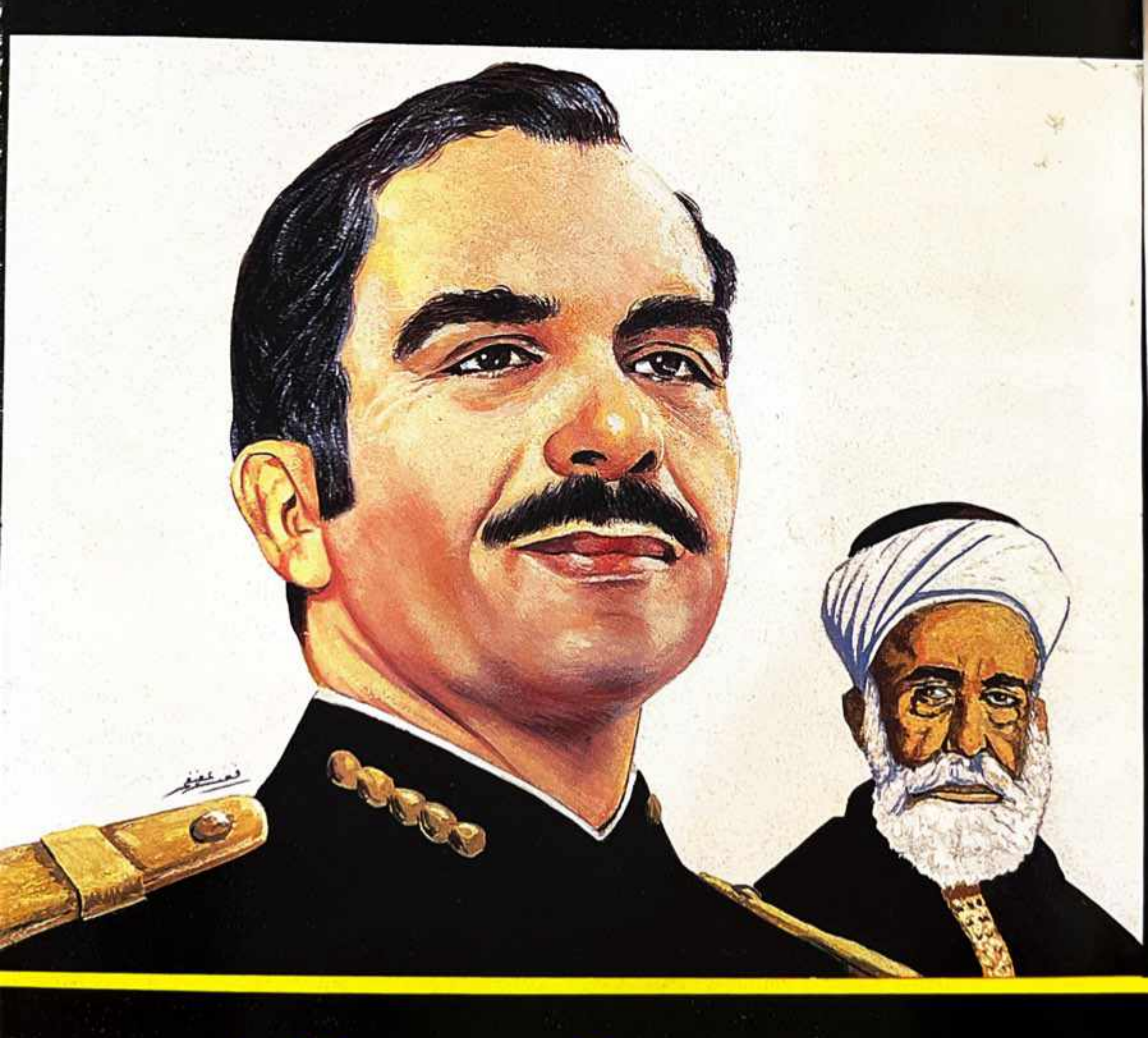
الخيانة العربية الكبرى

كتاب الهاشميين الأسود من الشريف إلى الملك!

أحمد رائف



الزهراء للإعلام العربي


بسم الله الرحمن الرحيم



الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشـر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهرايف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ راف يو.إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ ـــ ١٩٩٢ م

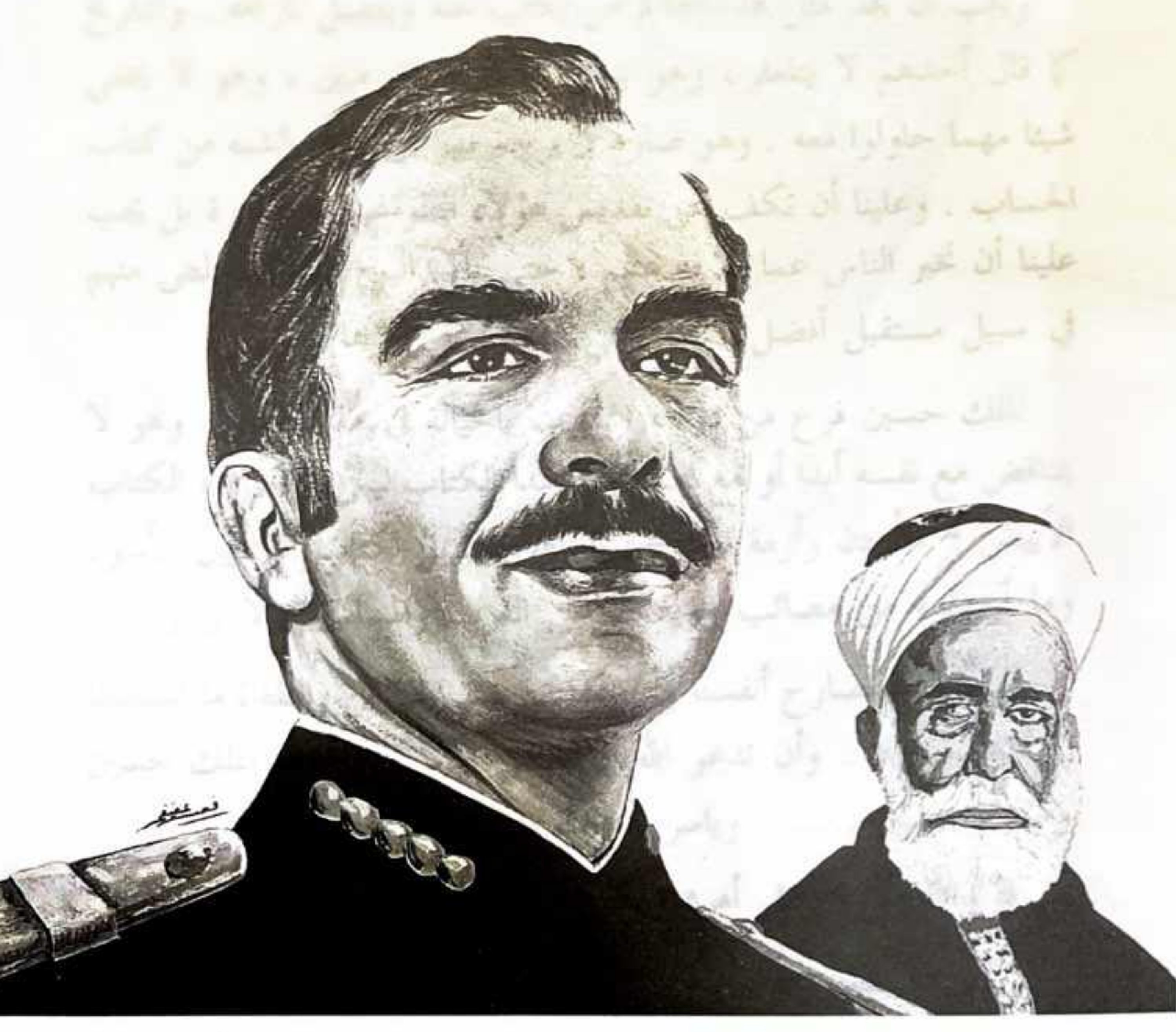
الجمع التصويري والتجهيز

بالزهراء للإعلام العربي

الخيانة العربيّة الكبرى

كتاب الهاشميّين الأسود
من الشريف إلى الملك!

أحمد رائف



الزهراء للإعلام العربي

الطبعة الأولى

١٤١[illegible] هـ ـ ١٩٩٢ م

مقدمة

سوف يظل الملك حسين علما للخيانة العربية والإسلامية في العصر الحديث وتشهد بذلك مواقفه الكثيرة المتعددة منذ أن تولى سدة الحكم في دولة أنشأتها الظروف القلقة المضطربة التي كانت في مطلع القرن العشرين .

ويجب أن يجد مثل هذا الحاكم من يكتب عنه ويفصل تاريخه . والتاريخ كما قال أحدهم لا يتلعثم ، وهو ينطق دائما بلسان مبين ، وهو لا يخفي شيئا مهما حاولوا معه . وهو صارم لا يرحم فهو قريب في الشبه من كتاب الحساب . وعلينا أن نكف عن تقديس هؤلاء الطواغيت والفجرة بل يجب علينا أن نخبر الناس عما نعرفه عنهم ، حتى يأتي اليوم الذي نتخلص منهم في سبيل مستقبل أفضل لبلادنا التي غلبت على أمرها .

الملك حسين فرع من دوحة اشتهرت بالخيانة في هذا العصر ، وهو لا يتناقض مع نفسه أبدا أو مع أصوله . وهذا الكتاب ليس ردًا على « الكتاب الأبيض – الأردن وأزمة الخليج » بل هو تفصيل لكتاب الهاشميين الأسود وما أحدثوه من مصائب وويلات على العرب والمسلمين ولا يزالون .

فلنتعود أن نصارح أنفسنا وأن نكشف ستر الجبارين والطغاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . وأن ندعو الله أن يخلص الناس من أمثال الملك حسين وصدام حسين .... وياسر عرفات .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

29 ديسمبر 1991 — ***أحمد رائف***

الكتاب الأبيض ينفع فى اليوم الأسود



الفصل الأول



الكتاب الأبيض ينفع في اليوم الأسود

أصدرت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية « الكتاب الأبيض – الأردن وأزمة الخليج » في أغسطس 1991 ذكرى الغزو الآثم لعراق صدام حسين على دولة الكويت ، والذي تم القضاء عليه عسكريا قبل عام من بدء الغزو .

وعندما حدث الغزو وقف في صف صدام حسين بعض الرؤساء العرب وملك الأردن ، وكانوا رسله وعيونه إلى العالم بعد العزلة التي فرضها على نفسه وعلى مجتمعه بحادث الغزو .

وقد استطاع الأردن أن يساعد في التخفيف من حدة الحصار الاقتصادي الذي فرضه العالم على العراق ضغطا عليه من أجل الانسحاب السلمي من الكويت . وذلك بإمداده بكل المؤن والأغذية وحتى الذخيرة والأسلحة للقتال ، وقد تحدوا بذلك قرارات الأمم المتحدة التي تقضي بفرض هذا الحصار .

ويقول بعض المعلقين إن الأردن لو التزم بقرارات الحظر الاقتصادي الذي فرض على العراق لربما كنا في غنى عن عملية « عاصفة الصحراء » وكان يمكن للعراق أن يستجيب وينسحب . ولكن الحظر الاقتصادي لم يحقق الجدية اللازمة بسبب موقف الأردن .

وحدود الأردن مع العراق كبيرة ويصعب مراقبتها ، ومن ثم يمكن إدخال كل ما يلزم دون اكتشافه ، اللهم إلا في القليل النادر وما لا يقاس عليه ،

مثل باخرة السكر التي ضبطت في ميناء العقبة ، والشاحنات على استعداد لنقلها إلى العراق .

وقبع صدام حسين في العراق لا يغادره وكان الملك حسين هو الذي يسافر إلى كل مكان ليجذب الأنصار إلى تأييد الغزو العراقي وتكريسه . وكان موقفه داعما ومؤيدا للغزو تماما . حتى إن أحد الصحفيين[1] قد سأله أثناء مؤتمر القمة الذي عقد في القاهرة بعد أسبوع من الغزو :

– لماذا لا تطلب من صدام حسين الانسحاب ثم يمكن الجلوس للتفاهم ؟

فضحك الملك وقال :

لو انسحب العراق من الكويت فليست ثمة دواع للجلوس والتفاوض .

يعني أنه يكرس الغزو ويطلب التفاوض والحراب العراقية تملأ الكويت !

فشل الغزو فشلا ذريعا . ولقي النظام العراقي هزيمة عسكرية لم يسمع بمثلها فهو لم يحارب كما هو معروف . وعادت السلطة الشرعية إلى دولة الكويت وزال الخطر . وانسحبت الجيوش التي قدمت لحملة التأديب . ولاشك أن هناك شخصيات إيجابية كان لها الدور الرئيسي في إنجاح هذه الحملة وطرد العراق من الكويت .

(1) هو رئيس تحرير جريدة مصرية معارضة قال ذلك في بيتي أمام لفيف من الصحفيين والكتاب أثناء الندوة الأسبوعية التي كنا نعقدها لمناقشة أوضاع ذلك الغزو وما ينبغي علينا أن نفعله ككتاب .

فمن الجانب العربي والإسلامي كان :

الملك : فهد بن عبد العزيز ، ملك المملكة العربية السعودية

الرئيس : حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية

الرئيس : تورجوت أوزال ، رئيس الجمهورية التركية

* * *

فالملك فهد قد شعر بالخطر وأدرك أهمية العمل العسكري ضد نظام البعث وأنه الوسيلة الوحيدة ، وسمح به ووضع قواته في صف قوات التحالف الدولية وكان لها دور رئيسي في تحرير الكويت .

والرئيس حسني مبارك برغم أنه عضو في التكامل الرباعي الذي كان يضم العراق ومصر والأردن واليمن ، فإنه استنكر الغزو منذ اللحظة الأولى ووضع قواته في صف التحالف وأرسلها للدفاع عن السعودية واشتركت القوات المصرية في عملية تحرير الكويت .

وكان هذا هو موقف الرئيس تورجوت أوزال الذي سمح باستخدام القواعد التركية لضرب القوات العراقية المعتدية .

وهناك الكثير من القادة العرب والمسلمين ، منهم الرئيس حافظ الأسد الذي فعل نفس الدور في عملية التحرير .

ولعل الرئيس هاشمي رافسنجاني رئيس الجمهورية الإيرانية قد وقف موقفا عظيما تمثل في استنكار الغزو وشجبه ، وأعلن في مرات مختلفة أنه لا يوافق على أي تغيير جغرافي في المنطقة ، ولا يقبل ضم الكويت إلى العراق بأي حال .

وأعظم موقف وقفه أنه لم يتحالف مع صدام حسين في هذه الأزمة ولو فعل لأخذت الأحداث شكلا آخر غير الذي كان .

وبدون هذه الأسماء التي ذكرتها من الملوك والرؤساء المسلمين ما كان يمكن لعملية عاصفة الصحراء أن تتم بنجاح .

والذي لاشك فيه أن العامل الرئيسي في نجاح هذه العملية هو الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي وقف موقفا تاريخيا من العدوان يجعله من أعظم رؤساء أمريكا الذين ظهروا في هذا القرن .

ولعلنا نعيش الآن موقفه الشجاع ضد إسرائيل – رغم خطورة اللوبي الصهيوني في أمريكا – فقد طلب من الكونجرس الأمريكي عدم النظر في ضمانات القروض التي تطلبها إسرائيل والتي تبلغ عشرة مليارات من الدولارات قبل مضي مائة وعشرين يوما . يعني حتى يتم انعقاد المؤتمر الدولي للسلام بين العرب وإسرائيل .

وقد قال إنه سوف يستخدم حق النقض لو وافق الكونجرس على هذا . وطلبوا منه – حلا للمشكلة – أن يصرح بأنه سيوافق بعد مضي المدة التي حددها ، فرفض بحسم وقال سوف ننظر في هذه الضمانات بعد مضي المدة .

وهذه إيجابية يجب أن ينتبه العرب إليها في العلاقات الامريكية العربية ، وينبغي العمل على تنميتها ، وبذل الجهد اللازم في هذا المجال .

هذه أسماء جعلت عملية تحرير الكويت ممكنة ، وردت الخطر البعثي العراقي ، وقلمت أظافره لعدد من السنين ، وهناك غيرهم من رؤساء العالم .

* * *

وهناك أسماء أخرى بدونها لم يكن صدام حسين ليستطيع أن يقدم على غزو الكويت واحتلالها .

وأشهر هذه الأسماء بترتيب الأهمية :

الملك حسين : ملك الأردن
ياسر عرفات : رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
علي عبد الله صالح : رئيس جمهورية اليمن

وهناك أسماء أخرى تقل في الأهمية والدور الذي قاموا به .

ولكن المحللين يقولون لو أن هؤلاء الثلاثة وقفوا موقفا مختلفا من صدام حسين لتغير الوضع .

ويزيد بعض أهل العلم فيقولون إن هؤلاء الثلاثة لم يكتفوا بتشجيع العدوان ومساندته ، بل كانوا على علم به من قبل ، واشتركوا في التخطيط له والعمل على نجاحه .

وهذه من الأمور التي تنكشف أسرارها يوما بعد يوم ، ويستحيل إخفاء الحقيقة إلى الأبد في عالم يمور بثورة الاتصالات الهائلة التي تمت فيه بعد منتصف القرن العشرين .

* * *

والذي يعنينا في هذا المقام هو الملك حسين وكتابه الأبيض .

فهذا هو موضوع كتابنا الذي بين يدي القارىء العزيز .

ولعل من أهم الملاحظات حول الكتاب هو صدوره !!

فإن كان الملك حسين قد وقف موقفا أمينا صحيحا من قضية

غزو العراق للكويت فما أهمية أن يقدم مذكرة للدفاع عن نفسه وتبيان أنه بريء من الاتهامات التي قيلت ضده من حيث علمه بالغزو وتأييده ومباركته ومحاولة تكريسه ؟

والملك ينسى أن تقديم المذكرات للدفاع عن النفس قد يصلح في المحاكم عند نظر أمر سرقة بعض المجوهرات ؛ وبيان أن مقدم المذكرة لم يكن له علم ولم يشارك من قريب أو بعيد .

فقد ينفع هذا النوع من الدفوع - إن قدم الأدلة الثبوتية - في مثل هذا النوع من القضايا . وقد يصدر القاضي حكمه لعدم كفاية الأدلة أو لاضطرابها .

ولكن عندما تكون القضية هي سرقة دولة ، والتآمر لاجتياح دولة أخرى ، ومحاولة تقسيم الخريطة الجغرافية للعالم العربي ، والشروع والعمل من أجل ذلك فإن الصورة تختلف بالتأكيد ؛ لأن مثل هذا النوع الأخير من الجرائم أمره أشهر وأعظم من أن تقدم فيه مذكرة دفاع ساذجة لشعب يعيش خلف أسوار عالية ، وليس مقدرا له أن يعلم الحقائق التي تدور في العالم بالقدر الذي يسمح له بفهم الأمور فهما صحيحا .

وهذه القضية التي يدافع فيها الملك حسين عن نفسه هي أشهر قضية حدثت في القرن العشرين ، وقد شغلت العالم أجمع شهورًا وكانت حديث جميع وسائل الإعلام بجميع اللغات . وهي الخبر الرئيسي في نشرات الأخبار وعناوين الصحف . وكانت المجالس تعقد لمناقشتها يوميا في البيوت والنوادي والمحافل .

وظلت هي حديث رؤساء العالم وملوكه عبر الهاتف وحول الأرض وهي شغل الناس الشاغل .

ومعظم تفاصيل الجريمة معلن ومشهور . ولا يخفى منه إلا بعض من الشق التآمري ، وهو يظهر مع الأيام .

ومن الصعب على الملك حسين أن يدافع عن نفسه في مثل هذه الجريمة البشعة ، فالشهود ضده كلهم عدول ، وهم ملوك ورؤساء عرب ومسلمون وغير ذلك . فكيف تأتيه البراءة ؟ أو كيف يمكن أن يظهر نفسه بمظهر الحمل الوديع الذي كان يريد منع الكارثة فحالوا بينه وبين هذا ؟ في الوقت الذي كانت فيه أحاديثه مشهرة ومسجلة ، وتصرفاته معروفة وسط لفيف من الشهود هم قادة العالم والصحافة العالمية .

هل هي محاولة لتجاوز الجريمة والنظر في المستقبل وتقديم ورقة على هيئة التماس لتجاوز هذا ؟

هل هو اعتذار للعالم يقدمه على نحو ما ؟

هل هو وثيقة تقدم لشعبه ليظل هو الحسين البطل « سيدنا » ؟

وهناك أسئلة كثيرة يمكن أن تقدم في هذا المجال ؛ قد يعتبرها البعض من باب الفكاهة . وقد يراها البعض ذات صلة بالموضوع . وأنا أعتبرها من باب الفكاهة ، ولها صلة أيضا بالموضوع .

لماذا أطلق صاحب الجلالة لحيته ؟

ولماذا حلقها ؟

ومتى أطلقها ؟ ومتى حلقها ؟

ولماذا أطلق على نفسه « الشريف حسين » بمرسوم ملكي ؟

ولماذا ألغى هذا المرسوم ؟

فهل لشرفه ولحيته صلة بجريمة غزو الكويت ؟

يقول أهل العلم : نعم .

وقد يقول البعض : إن وحدة الصف العربي تقتضي أن يقبل اعتذار الملك حسين إذا اعتذر . وكتابه الأبيض هو ضرب من ضروب الاعتذار ، فلماذا لا يقبل منه ذلك ؟ وتكون هذه خطوة في سبيل المزيد من تضامن العرب وتماسكهم ووحدتهم !!

وقد قلت لصاحب هذا القول :

– الاعتذار يقتضي الاعتراف بالخطأ ، وهناك زيادة على ذلك هي ذكر كل ما خفي من التآمر وتفصيله لتحقيق الفائدة . أما الذي يقوله الملك حسين فهو يغير الحقائق ويدعي ما لم يحدث . وهذا لا يليق بملك . ومسألة الوحدة العربية هذه قد فقدت معناها ومحتواها رغم أنها هدف ومصير للعرب ، ولكنه لن يتحقق بهذه الوسائل أو بمعرفة هؤلاء الناس من أمثال الملك حسين وياسر عرفات . وحتى يتحد العرب يجب أن يتحدوا على المبادئ والقيم واحترام بعضهم البعض ونصرة الضعيف والإقرار باستقلال الدول ، واختفاء بعض الوجوه الكريهة ، ويأتي عامل الزمن فيتوج هذا كله .

وقلت له :

– إن أعظم طريق لوحدة العرب وتماسكهم هو تأكيد استقلال الدول العربية واحترام الحدود . وفي ظني أن هذا هو الطريق الصحيح للوحدة . أما أن يستبيح كل أفاق حدود جيرانه العرب باسم الوحدة ، فهذا أمرٌ قد تجاوزته الإنسانية وثبت عدم جدواه . وربما لا يسمح به مرة أخرى ، وإن حدث فقد يتجاوز تأديبه ما حدث لصدام حسين .

* * *

وقد تناول هذا الكتاب بعض الصحفيين بالتعليق ، وقالوا إن الملك كذاب ودلّلوا على ذلك .

وجاء صحفي مشهور بوقوفه إلى جانب المعتدين فقال : إن الصحفيين الذين شتموا الملك وقالوا عنه إنه كذاب ، كان عليهم أن يقرءوا صفحة كذا وصفحة كذا ، وليس من الأسلوب العلمي أن نأخذ فقرة واحدة نقطعها من سياق ونعلق عليها . ووصف الكتاب بأنه من أعظم الوثائق السياسية التي ظهرت في العصر الحديث .

وقال الصحفي المشهور بوقفته مع المعتدين :

– الحكوميون ناقشوا صفحة واحدة من الكتاب الأبيض وأغفلوا 180 صفحة و 15 وثيقة .

وجعل هذه العبارة عنوانا عريضا في صفحة من جريدته .

ثم كتب بعد ذلك كلاما كثيرا يدين الملك بأكثر مما يبرئه . وملأ بكلامه هذا صفحة كاملة من جريدته ، تخللتها بعض عبارات الثناء العظيم على العراق وصدام حسين وأنه ظاهرة عربية فريدة .

وبطبيعة الحال فإنه قد اتهم الآخرين الذين وقفوا ضد الغزو وقال إنهم خونة وعملاء لأمريكا وإسرائيل وما شابه ذلك من كلام .

ونشر مجموعة من العناوين المثيرة زيَّن بها الصفحة مثل :

– ماذا قال الملك في رسالته السرية لصدام ؟

– لماذا عارض الأردن قرار قمة القاهرة وماذا قال لي الملك حسين ؟

« ماذا قال للصحفي صاحب المقال ! » .

وربما نسي الأستاذ أنه قد حكى لنا تفاصيل ذلك الكلام الذي سمعه من الملك حسين أثناء عقد القمة العربية بعد العدوان . وكان ذلك في بيتي وفي حضور عدد من الكتاب والصحفيين .

ونعود إلى عناوينه المثيرة :

– الحسين لم يكن في يوم متطرفا وقد تعرض لضغوط وتهديدات ... ياليتنا نتعلم من حكمة الأردن .

– بالوثائق : موقف الأردن قبل القتال وأثناءه . وهل تغير الموقف بعد إطلاق النار ؟

وعناوين أخرى كثيرة .

وحتى يكون موقفنا علميا ولا ينشأ عليه مطعن ، فإننا ينبغي أن نناقش كل فقرات الكتاب فقرة فقرة ولا نغفل سطرا واحدا منه . فالكتاب يدين الملك إدانة أمام التاريخ في موقفه المخزي من أزمة الخليج . وأمره وتاريخه أشهر من التنويه عنه .

وقبل أن نفعل ، ربما كلمة عن الملك وتاريخه قد تفيد القارئ في رسم الصورة الصحيحة لما حدث .

وحتى نفهم سلوك الملك حسين بن طلال في أزمة الخليج ، ونفسر كيف وقف بجانب صدام حسين ، علينا أن نمر بتاريخه ، كما قلنا ، وأهم ما في تاريخه هو نشأته ، وأهم من نشأته الثورة العربية الكبرى التي قادها جده ضد المسلمين ، وكان لها الأثر الأكبر في تشكيل عالم العرب اليوم . فهي التي خلقت جميع المشاكل التي يعاني منها الناس . وهي التي رسمت الحدود بين الدول . وهي التي زرعت العالمانية في بلاد الإسلام . وهي التي

وضعت خريطة إسرائيل الكبرى في قاعة الاجتماعات بمبنى الكنيست في إسرائيل .

وجده الملك عبد الله هو الذي رباه وعلمه ونشأه على أفكاره وهو الذي بث فيه تعاليمه ، وعرفه كيف يتعامل مع المسلمين ومع الكفار ، وأفهمه أن الكفار خير وأبقى من المؤمنين ، وأن عقلاء القرن العشرين هم الذين يحاربون المسلمين .

ورأى الملك حسين وهو طفل جده عبد الله كيف كان يبيع كل شبر من فلسطين لليهود ، وجلس صبيا في اجتماعات جده مع اليهود في القدس وفي الشونة وفي أماكن مختلفة .

صنعت عائلته المقدسة دولة إسرائيل ، وحاربوا الإسلام وكرسوا العالمانية ، وأجهضوا كل أمل في الإصلاح . وتركوا لنا كوما من المشكلات والمصائب يصعب حلها .

الهاشميون كتابهم أسود ومليء بالخيانات والفظائع . والتاريخ ليس أبكم فهو يتكلم مهما حاول من حاول أن يخرسه ، وهو يظهر مهما أحرقوا الكتب ومنعوا تداولها . وهناك من يقول الحقيقة ويرفض أن يقبض ثمنا للزيف والكذب . وسوف نجد مثل هذا الشخص طول الوقت ، فالباطل لا يسود وعلى الأخص عند كتابة التاريخ .

سوف نمضي مع الهاشميين الجدد الذين نسوا سنة رسول الله ﷺ ، سوف نلقي الضوء على تاريخهم الكالح الأسود المليء بالخيانة والبعد عن الدين وموالاة اليهود وأعداء الدين .

وعند نهاية الكتاب سوف نفهم سلوك الملك حسين في مناصرته لصدام حسين . وسنجد أنه أمر يستقيم مع تركيبه النفساني وتراثه وتاريخه وأعمال أجداده الذين خانوا الإسلام والمسلمين . ولنبدأ من الثورة العربية الكبرى .

الثورة العربية الكبرى
(عرب خيانات)



الفصل الثانى

الثورة العربية الكبرى

« عرب خيانات »

الثورة العربية الكبرى هي الأب الشرعي للمملكة الأردنية الهاشمية !! فلو لم تكن هذه الثورة لما كانت هذه المملكة ، ولكان الملك حسين في مكان آخر غير عرش الأردن !

وقصة هذه الثورة العربية الكبرى مثل سائر القصص التي تروى في بلاد الشرق الإسلامي ، حيث تطلق النعوت والصفات على عكس ما تتميز به الأشياء .

فتوصف دولة صغيرة ليس لها وزن كبير « بالعظمى » ، وتطلق كلمة الاشتراكية والحرية على أقسى أنواع الأنظمة التي تأكل الحقوق وتستبد بالناس . وذلك مثل ما تجد حانوتا صغيرا في زقاق وقد كتب عليه صاحبه « المحلات الدولية للأمانة وراء البحار » وقد رأيت هذا الحانوت بنفسي يوما ، ووقفت أرقب صاحبه في هيئته الرثة ، وهو يبيع من أجولة بعضا من البقول والأعشاب . وسألته عن سبب التسمية ، فنظر لي شذرا وقال :

– هذه العطارة تأتي من بلاد الهند في سفن تشق البحار .

وعاد يناول الناس بضاعته وهو يتمتم :

– والأمانة واجبة وإن لم يلتزم بها الناس فلن يدفعوا ما عليهم من دين .

وكان الرجل يتكلم بجدية وضيق ، وهو مقتنع بصدق اللافتة ودلالة

العنوان . ويشفق علي من عدم فهمي وضياع إدراكي ، وهذا هو دائما شأن المخدوعين وسائر الواهمين من عباد الله النائمين من أهل الشرق .

* * *

الثورة العربية للقضاء على الخلافة التركية :

وقد كتبت الكتب وألفت المؤلفات عن الثورة العربية الكبرى ، وعن عظمة الشريف حسين ، الذي فهم الزمن ، وعرف حكمة التاريخ .

ولعل هذه الكتابات قد جانبت الحقيقة والصواب ، ولعل أصحابها قد استؤجروا حتى يزوروا تاريخا وفكرا ونظرية ، لدولة صنعت لأجل غرض يبدو بوضوح مع تقدم الأيام وتوالي الحوادث .

كانت الثورة العربية الكبرى لصاحبها الشريف حسين وأولاده ، ثورة ذات مسئولية محدودة هي القضاء على الخلافة العثمانية ووضع آخر مسمار في نعشها ، وتكريس الشعوبية والانفصال بين العرب وسائر الأجناس الإسلامية .

وكانت هذه الثورة العربية الكبرى هي الخيانة الحقيقية التي طعنت دولة الخلافة في مقتل وساعدت في هزيمة الأتراك أمام الإنجليز ، ومهدت لظهور العالمانية ومصطفى كمال أتاتورك الذي لم ينس ما حدث في الأمس القريب من خيانة العرب التي كانت من الأسباب التي دعته إلى قطع كل صلة للأتراك بالعرب وتكريس الانفصال والتجزئة ، حتى اللغة التركية بدل حروفها العربية إلى اللاتينية في تفصيل طويل ليس هذا مكانه .

وتذكرت السلطان سليم الأول بعد أن استقر له المقام في القاهرة ، وجلس على كرسي صلاح الدين الأيوبي بالقلعة وهو يحاور شيخ الإسلام زمبيلي التركي .

- أريد أن أجعل اللغة العربية تحل محل التركية في سائر بلاد الخلافة .

وابتسم شيخ الإسلام :

- هذا يخالف منطوق القرآن الكريم يا حضرة البادي شاه .

وتعجب سليم الأول :

وكيف ذلك ؟

أنت هكذا تعطل آية من التنزيل . ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾ . وأُفحم البادي شاه ولم يُحرْ جوابًا وعدل عن تلك الفكرة العبقرية التي لو كانت لتغير تاريخ العرب والمسلمين .

وحملت دولة الخلافة العثمانية راية الإسلام خفاقة أكثر من أربعة قرون . ثم مرضت وانتظر الغرب موتها ، ولم يغامروا بالهجوم عليها وتركوها حتى لفظت أنفاسها ، وأبناؤها يغرسون خناجرهم في جسدها باسم العروبة ، كما فعل الشريف حسين وأولاده ، وكافأهم الإنجليز بأن جعلوهم ملوكا على عروش تتأرجح بهم ، فمنهم من سقط ومنهم من ينتظر .

* * *

كنا بدوًا لا نفهم في السياسة :

قال الشريف حسين قبل أن يموت معتذرا لما فعله من موالاة للإنجليز ومعاداة للمسلمين :

- كنا بدوًا لا نفهم في السياسة ، فخدعنا الإنجليز وجعلونا نوقع على

ما لم نفهم ، وأتينا من الأعمال ما يستوجب الاعتذار والندم .

ولعل هذه العبارة الغريبة – التي لا تقبل كاعتذار – توضح الجرم الكبير الذي صنعه الشريف حسين .

لقد تعاون مع الإنجليز وأقنع الكثيرين من رؤساء القبائل والبدو حتى استطاع أن يجمع عددا من القوات التي قاومت العساكر التركية ، وأخرجتهم من كل مواقعهم التي كانوا يتحصنون بها ، ومنعتهم من تحرير مصر من الاحتلال الإنجليزي آنذاك .

الأسد المريض الذي كان يحتضر :

وقد بدأ اختراق العالم الإسلامي منذ انتهاء عصر الكشوف الجغرافية وبداية عصر الاستعمار والمستعمرات حيث بدأ الغرب يقترب في حذر من أطراف العالم الإسلامي ، فيضع بعض الجند والحاميات في مواطن متفرقة ، وهم لا يجرءون على الاقتراب من قلبه ، فلم يكن يظن في ذلك الوقت أن الأسد الرابض بين قارات ثلاث ، هو أسد مريض يحتضر ، لا يملك من أمر نفسه شيئا .

وتسللوا إليه عبر عقود وقرون حتى تمكنوا من عقله وجسده .

وكانت رحلات الكثيرين من المستشرقين وأهل المخابرات والاستخبارات ، وعلى الأخص الإنجليز منهم الذين كانوا يجوسون خلال الديار يسجلون الملاحظات ، ويرسمون خرائط البلاد والمدن ، ويتعرفون على القواد والرؤساء ، ويدونون العادات ويفهمونها ، ويدرسون مداخل البلاد ومخارجها ، ومواطن القوة والضعف ، وأثر الدين في نفوس الناس ، وما تبقى منه في قلوبهم ووجدانهم .

ظل الفتح الإسلامي سرا على علماء الغرب :

كانت تجربة الفتح الإسلامي شديدة الوطأة على بلدان أوروبا وقادة الفكر المسيحي ، فقد وجدوا دولة شديدة البأس تنشر سلطانها على كل العالم المعمور وتفرض قوتها ولا يقف حيالها شيء ، وتقضي على الحضارات والدول في جهد يسير ونجاح كبير ، واستمرت على هذه الهيمنة والسيطرة أكثر من ألف سنة . وأسرار القوة غير معروفة على نحو دقيق ، ولكنهم فهموا أن سرا يكمن في المبادئ وفي التصور العام ، وأن هذه القوة الخارقة تكمن خلفها دفعة هائلة من عقيدة تقف خلف الجيوش وتمدها بروح عالية تمكنها من النصر العسكري وتساعد عليه .

لهذا كان اهتمام الغرب المسيحي بالعالم الإسلامي عظيما ، ولم يدخروا وسعا في اكتشافه ومحاولة فهمه ، وعلى الأخص عندما بدأ يدخل في طور الضعف ، وبدا للبعض أنه يوشك على الموت .

وكثير من الرحالة والجواسيس الذين جاسوا خلال الديار غلبتهم التصورات الإسلامية والعقيدة الجديدة على أنفسهم فأسلموا وعاشوا في هذه البلاد ، أو عادوا وبشروا بدين جديد بين قوم معزولين عن السمع ، لا يبصرون ، ولا يعرفون غير ذكريات الفتح ، والمعارك الطويلة التي دارت في القرون التي انقضت .

الشرق الإسلامي يستيقظ :

وعندما بدأ الشرق الإسلامي في الاستيقاظ بعد سبات القرون ، كان هناك من له دور في إيقاظه وتنبيهه إلى ماضيه التليد وحاضره الذي لا يحقق شيئا من الفخر ، ثم مستقبله الواعد لو أحسن التصرف . وأخذت دورات الإصلاح والإيقاظ أشكالا شتى ، وأنماطا مختلفة ، واهتم كل واحد بجانب خطر ورئيس وجعله أساسا لنهضة المسلمين .

محمد بن عبد الوهاب :

فهناك الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي اهتم بالعقيدة وتصحيحها في نفوس الناس ، وجعلها معيارا لكل حق ، وأساسا لكل نهضة ، وأنها لو تم إصلاحها في الوجدان فسوف ينبع عنها العمل الصحيح والتصرف الأمثل ، وهي أساس النهضة ، والطريق الوحيد لمن أراد . ومن واجب المسلمين أن يحسنوا التصور عن الكون والحياة والإنسان ، وأن يعبدوا الله بالطريقة التي أرادها ورسمها وبينها في محكم كتابه .

وكان الحق مع الشيخ فيما ذهب إليه .

جمال الدين الأفغاني :

وجاء جمال الدين الأفغاني ، وكان قد جلس إلى محمد بن عبد الوهاب واستمع إليه وأخذ منه ، ورأى أن المشكلة تكمن في تفرق المسلمين ، وأن ضعفهم يزول لو اتجهت همتهم إلى الوحدة والتضافر . ونادى بجامعة الشعوب الإسلامية ، وحاول أن ينقذ الخلافة العثمانية من السقوط ، وذلك بتوسيع دائرتها ، وضم بلاد كثيرة إليها ، بشروط جديدة ورؤية مختلفة .

اليهود يجبرون المسلمين على الاستسلام :

ولم يسمح له بالمضي قدما في مشروعه . وتكالب عليه اليهود والإنجليز وحاشية السلطان عبد الحميد . وسجنوه في قفص من ذهب ، وعينوا له جيشا من الجواسيس ، يعد خطواته ، ويحصي أنفاسه ، ويؤول كلامه ، ويوقع بينه وبين السلطان ، حتى انتهت حياته في الآستانة بعد جراحة غامضة في فكه ، قيل إن طبيبا يهوديا هو الذي أجراها له ، وأن الرشوة قد قدمت ليموت .

واختلطت المفاهيم والموازين في أذهان بعض التلاميذ . واستيقظ الناس

من سباتهم على جوقات صاخبة تعزف ألحانا عالية الصوت في ضجة عظيمة . وتداخلت مطالب الإصلاح ودواعيه ، وقدمت فروض ومقولات . وضاعت الأصوات الصحيحة بين ذلك الركام .

وكان الغرب قد تمكن من الشرق !!

* * *

العالمانية بين الكنيسة والإسلام :

بنى الغرب أساس نهضته في التخلص من السلطة الدينية والحد من سلطان الكنيسة ، واستطاع أن ينقل هذا المفهوم إلى الشرق الإسلامي عبر فريق من المدربين والتلاميذ ، رغم وجود الفرق الهائل بين سلطة الكنيسة ونظام الإسلام ، ورغم الشاهد التاريخي في ازدهار المسلمين عندما يجعلون الدين عاملا من عوامل الخروج من محنة ما ، وضياعهم عندما يفقدون هذا العامل أو ينحونه جانبا . وعلى العكس تماما من الأحوال في أوروبا .

وبينما كان رواد النهضة الإسلامية في الشرق على تصورهم الصحيح ومنهجهم في إصلاح الأحوال ، وتمسكهم بمقولاتهم الواضحة ، كان دعاة العلمانية الذين يقلدون كالقرود ينشرون سمومهم وأفكارهم في عالم منهك قد فقد كرامته مع دينه الذي نحاه جانبا عن الحياة . والناس متعجلون في الوصول إلى نتيجة ما - وهم لا يضعون في اعتبارهم شروط النهضة وقوانينها الغالبة ، والتي جاءت بوضوح للناس في آيات القرآن الكريم من خلال نص مكتوب له القداسة والاعتبار ، حيث النظرة الصحيحة التي لا يجوز الاختلاف حول كلياتها اللهم إلا في التفصيل والتفسير والتأويل .

وارتفعت صيحة باطل تدعو إلى نبذ الدين جانبا إن أراد الناس حياة

مختلفة . وانطلق دعاة إلى العالمانية يفسرونها ويبينون محاسنها وأنها الطريق الوحيد للنهضة ؛ ويضربون بأوروبا المثل ، متجاهلين الاختلاف في كل شيء ، وأن المثل لا ينطبق وأنه غير صحيح .

وتوالت النكبات والدعوات ؛ فالشعوبية والقومية والوطنية ، وأن يتفرق الناس بحثا عن مصالحهم ، وأن دولة الخلافة لم تكن غير استعمار من نوع رديء ، وأن دول الإسلام الزاهرة التي حكمت وسادت كانت هي الأب الشرعي للاستعمار الأوروبي بصوره المختلفة . وأنه لا فرق بين الجميع .

واختلطت المفاهيم واختلت الموازين !!

الغرب المسيحي يفسد عقل المسلمين :

لم ينج قطر من أقطار المسلمين من البلبلة التي صنعها الغرب المسيحي ، هذا إذا استثنينا جزيرة العرب ، فقد استعصت على هذا الاضطراب والاختلاط . وعندما أرادوا أن يقيموا فيها الأعوان والعملاء نجحوا مع الشريف حسين الذي كان مهيئا ، ثم أخرجوه منها إلى أرض الشام والعراق حيث يكون التأثير أكبر والنتيجة مؤكدة .

إمارة الأردن مقدمة لإعلان إسرائيل :

وكان لابد من إقامة دولة الأردن ، على النحو الذي كان ، من الإمارة ، فالمملكة لتكون عونا للدولة اليهودية المزمع إقامتها ، والتي أعلنت عام 1948 ، وتحقيقا للتجزئة ، ومدرسة للتغريب والمفاهيم المناهضة للإسلام ، وتأكيدا لمعنى الوطنية وغرسها في النفوس ، وإحياء القومية واحتضان كل المبادئ التي يقذف بها الغرب ، بتناقضها وتباينها ووحدتها في حرب الإسلام والمسلمين ، والوقوف بالمرصاد أمام كل دعوة صحيحة تستدعي العودة إلى قيم الإسلام ومبادئه في استلهام روح العصر ومحاولة التقدم إلى الأمام .

خلفية الصراع الإسلامي الأوروبي :

والغرب المسيحي لم ينشط ضد الإسلام والمسلمين وفق خطة موضوعة . ولكن كان هناك توجه عام يشمل كل المؤسسات والأشخاص في سياسة أكدتها الثقافة ورسمت خيوطها التجارب وتاريخ الصراع الطويل . حيث ترسبت في أعماقهم خروج الرومان من بلاد الشام ومصر ، والقضاء على جيش رودريك في وادي لكة من بلاد الأندلس ، ومعركة بلاط الشهداء ، وسقوط جزر البحر المتوسط تحت السيطرة الإسلامية ، والغارات العنيفة على جنوب إيطاليا وبعض أماكن من سويسرا ، ثم سقوط القسطنطينية الذي أحدث دويا هائلا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي في كل الأوساط الأوروبية .

كل تفاصيل الصراع الهائلة التي حدثت بين المسلمين والمسيحيين ، والتي كانت تنتهي في معظم الأحيان بانتصار الأولين على الآخرين خلقت ضربا من العداوة الشديدة العارمة التي تتنافى مع الفكر المسيحي ومبادئ الرحمة والحب .

وكانت محاكم التفتيش التي نشأت في الأندلس بإذن من البابا ومشورته ، والتي كان من أهم ما تستهدفه هو القضاء المبرم على كل بقايا الإسلام في أوروبا ثم مطاردته إلى العالم الجديد .

وترسخت مفاهيم الكراهية والعداء في كل المؤسسات المسيحية في سائر بلدان أوروبا المختلفة بدءا من الكنيسة وانتهاء إلى الدولة .

وكانت من دوافع الكشوف الجغرافية ، الإحاطة بذلك المارد الضخم وانتقاص أطرافه بعيدا عن مركز القلب من دولته في القاهرة ، كانت أم في الآستانة .

وأكدت مفاهيم الصراع تلك المعارك التي نشبت بين المماليك وبين البرتغاليين في أعالي البحار البعيدة في طريق الهند في بداية القرن السادس عشر الميلادي .

خطأ الأتراك الاستراتيجي :

وكانت قوات العثمانيين المسلمين تطرق أبواب أوروبا طرقا عنيفا وتضع الحصار على مدينة فينا ، ولم تفلح أو تحقق نجاحا فقد وقع الأتراك في خطأ استراتيجي عندما تركوا غرناطة تسقط في أيدي القشتاليين ، وتحولت مآذن الإسلام إلى أبراج للكنائس تدق فيها الأجراس . وكانوا يستطيعون إنقاذها لو اتبعوا سياسة التعاون مع المماليك في مصر ومع الصفويين في العراق وإيران . ولكنهم آثروا سياسة المواجهة والقتال مع هاتين الدولتين العظيمتين من دول المسلمين .

ولما انتهوا منهما كانت الأندلس قد سقطت وبدأت سياسة الإبادة لكل ما تبقى من معالم الإسلام ، ولم يكتفوا بفرض التنصير والقتل والحرق ، ولكن جاء الوقت الذي طردوا فيه كل من تبقى من أفراد وجماعات ، فجمعوهم وحملوا بهم المراكب وألقوا بهم على الشاطىء الأفريقي .

وأنهكت الجيوش العثمانية في قتال المماليك والصفويين عبر عقود من الزمن ، وانتهى القتال بغلبة العثمانيين ، وضياع دولة المماليك في مصر والشام ، ودولة الصفويين في العراق وإيران .

ولعل العثمانيين قد فكروا في إنقاذ بلاد الأندلس عبر أوروبا حيث يمرون على المكان الذي يقيم فيه البابا بروما . ولكنهم لم يقدروا أن هذا الطريق صعب ووعر واجتيازه بعيد إن كانت الفكرة هي إنقاذ دولة الإسلام ، أو ما تبقى من دولة الإسلام في الأندلس .

الأتراك يحاولون استرجاع الأندلس :

وعادوا بعد ذلك إلى الطريق الطبيعي عبر الساحل الأفريقي حيث استمرت الغارات على أسبانيا طيلة قرنين من الزمن ، ولكن ليس بالقدر الذي يسمح باستعادة الأرض التي ضاعت . فقد تغيرت الظروف وتضافرت دول أوروبا للوقوف في مواجهة المسلمين الأتراك ، ولم يسمحوا لهم باستعادة شيء مما ضاع .

كانت الدول الأوروبية تتحارب ، ولكنها تتحالف في مواجهة الأتراك .

وكانت كلمة « تركي » في الثقافة الأوروبية تعني الكافر عدو المسيحية ، وهم يعلمون أبناءهم ذلك ، ويكون من هدف المخلصين للمسيح أن يعملوا على تطهير الأرض من ذلك الرجس .

وعلى العكس من ذلك في الثقافة الإسلامية ، كانت هناك عداوة ولكن ليست بذلك القدر من الحدة والتطرف .

* * *

أوروبا تتآمر على العالم الإسلامي :

كان الغرب المسيحي يعرف أن قلب العالم الإسلامي في ذلك الوقت يقع في القاهرة وليس في الآستانة .

وعندما بدأ القرن التاسع عشر كان قد تأكد لعلماء السياسة والاجتماع في الغرب المسيحي أن الخلافة العثمانية قد أدت دورها ، وهي تخرج رويدا من مسرح التاريخ ، وأن هذه النتيجة ليست سوى مسألة وقت . وأنه يمكن إطلاق صفة الرجل المريض على هذه الخلافة ، وأنهم ينتظرون موته ليقتسموا

دولته من بعده . وهم لا يغامرون بمحاولة إزهاق أنفاسه والقضاء عليه ، لأنهم لا يستطيعون تقدير درجة مرضه تقديرا صحيحا ، وقد يفاجئون بقوته ، ومن الأحسن والأسلم انتظار الزمن فهو الفيصل والأضمن في مثل هذه الأمور ، وعلى الأخص إذا استرجعنا تجارب الصراع المريرة السابقة وكيف يمكن أن تؤدي إلى نتائج لم تكن في الحسبان .

الغرب يستعين بمحمد علي لضرب الإسلام والمسلمين :

وعندما ظهر محمد علي في أول ذلك القرن تضافر معه الغرب وعلى عاتق الإنجليز والفرنسيين وقع واجب أن يكون مشروعه مشروعا علمانيا خالصا يعمل على انتقاص سيادة الدولة العثمانية ، وشجعوه على ذلك ، وساروا معه إلى نهاية الشوط .

واستطاع محمد علي أن يقتطع جزءا كبيرا من دولة الخلافة العثمانية في مصر والشام وأن يستقل بهما ، وأصبحت صلته بالسلطان صلة شكلية يحكمها البروتوكول أكثر مما تحكمها السيادة الفعلية لدولة الخلافة في الآستانة .

وضرب السلطان بمحمد علي نزعة الإصلاح التي ظهرت في بلاد العرب والتي نادى بها محمد بن عبد الوهاب ؛ وذلك عندما اختلطت المفاهيم واختلت الموازين ، وبعد أن شاخت الخلافة وأوشكت على السقوط فهي تحافظ على هيبتها وسلطانها ، ولم يعد المضمون هو ما يشغل الدولة ، بل صار شكلها هو ما يؤرق أصحاب السلطان . وعندما حدث الخلاف بين محمد علي والسلطان ، وآثر محمد علي أن يحل هذا الخلاف على طريقته ؛ بتسيير الجيوش الجرارة وهزيمة جيوش السلطان في مواقع مختلفة ، وتجاوز كل الخطوط الحمراء ، وأوشك أن يجلس على كرسي آل عثمان بعد أن يجتاز المضيق ، كما فعل سلفه محمد الفاتح من قبل عندما طرد الإمبراطور البيزنطي

من القسطنطينية ، وحوّل كنيسة أياصوفيا إلى مسجد تحول إلى متحف لا تقام فيه الصلاة بعد سقوط الخلافة .

ولم يكن محمد علي بعيد النظر في زحفه إلى الآستانة ، فقد كان يظن أنه مؤيد من دول الغرب ، وأن إنجلترا وفرنسا سوف يسعدهما أن يفعل ذلك . ونسي أن هؤلاء لا يسمحون بخليفة قوي يجلس على كرسي آل عثمان حتى ولو كان هذا الخليفة عالمانيا لا يؤمن بالإسلامي !

لم يسمح الغرب أن تدب الحياة في جسد الرجل المريض مرة أخرى !

لو أخذ محمد علي عمامة السلطان ووضعها على رأسه فإنها علامة لتغير التاريخ واختلاف شكل الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي . وهذا ما لا توافق عليه إمبراطوريات الاستعمار في أوروبا .

ويكفي ما ألحقه محمد علي من هزيمة ساحقة بجيوش السلطان . فهذه الهزيمة إن لم تكن « البروفة » للقضاء على دولة الخلافة فإنها بالتأكيد بداية العد التنازلي لنهاية هذه الدولة .

وإن بعث محمد علي العالماني الحياة في دولة الخلافة فيمكن أن يتحول إلى الإسلام ، أو أن يتسلمها منه واحد من المسلمين . وذلك إذا عرفنا أن الكثير من قادة السلطان والجنرالات المسلمين قد انضموا إلى محمد علي في حربه ، وقدموا له المساعدة والعدد والآلات حتى تمكن من الوقوف أمام جيوش الخلافة وهزيمتها .

كانت هناك حسابات كثيرة لم يضعها محمد علي في حسبانه وهو يتقدم لاجتياز مضيق البوسفور . وكل ما تذكره أنه صاحب منهج يتفق مع ما يريده الغرب في القضاء على دولة الخلافة .

رُدَّ محمد علي وأجبر على معاهدة لندن سنة 1840 حيث يحتفظ بحكم

مصر والشام طيلة حياته ، ثم تبقى مصر في حكم أكبر أبنائه من بعده . وكانت هذه هي خاتمة المطاف في حلمه البعيد .

* * *

الغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين :

تكاثر التجار والعلماء وأصحاب البنوك ورجال الأعمال من دول أوروبا على مصر والشام . وكان القرن التاسع عشر هو عصر الغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين . وهو عصر صناعة الأتباع والتلاميذ . وتكريس مفاهيم التغريب والتجزئة والتمهيد للدولة اليهودية في فلسطين ويتم ذلك من خلال إفساد النخبة أو تكوين نخبة جديدة عالمانية التوجه ، غربية الثقافة والعادات .

ومن خلال هذه النخبة اختير حكام هذه البلاد ليساعدوا على التغيير في صالح الغرب المسيحي .

وقامت حركة ترجمة هائلة ، وأعيد النظر في القوانين ، وسافرت البعثات للتعلم في بلدان أوروبا . ولم يكن هذا شرا في حد ذاته ، ولكنه صار كذلك عندما اقترن بفقدان الهوية وارتداء القبعة وارتياد المراقص ، وشرب الخمر مع الطعام على عادة أهل أوروبا ..

اليابان تنجو من الغزو الثقافي :

وقد انفتحت اليابان على الغرب ، وفعلت ما فعله العرب المسلمون ، ولكن مع الاحتفاظ بالهوية والثقافة والعادات . وكل ما فعلوه أنهم حصلوا علوم الغرب وعادوا بها حيث احتفظوا بهويتهم خالصة .

وظلت اليابان هي اليابان حتى اليوم .

حتى وثنيتهم التي كانوا عليها لم يتركوها انبهارًا بما وجدوا الغرب عليه ، وجاء الوقت الذي أعلنوا فيه الحرب على الغرب وأوشكوا أن يتغلبوا عليه ، ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة واحتلت بلادهم ، وأجبر الجنرال ماك آرثر الإمبراطور الياباني ابن الشمس الذي لا يراه أحد ، على أن ينزل إلى الناس ويسير في الشوارع ويطرح عن رأسه قدسية الإله ، وأن يبدو للناس بشرًا سويًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .

وكان ذل ليس بعده ذل ، وقد حدث ذلك عند هزيمة اليابان مع دول المحور في الحرب العالمية الثانية عام 1945 .

واليوم ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين أين اليابان من العالم اليوم ؟

التلاميذ يقومون بدورهم في بلاد المسلمين :

قد كرَّس الغرب في نفوس المدربين والتلاميذ من بلاد العرب الهزيمة النفسية ، والشعور بالدونية والرغبة العارمة في تقليد الغرب في كل تفاصيل حياته ، وأن هذا هو سبيل الخلاص الوحيد .

وقد نجحوا في ذلك نجاحا باهرا !!

وقلَّبوا لهم الأمور !!

وطرحوا من خلال التلاميذ مفاهيم جديدة لم يكن المسلمون يعرفونها .

وكان هناك حلف بين اليهود وبين أهل الغرب المسيحي حيث العالمانية وقد ضربت بجذورها في كل المجتمعات الأوروبية ، وتحقق فصل الدين عن الدولة .

ومن ثم فقد جاء الوقت الذي حكم فيه اليهود هذه الإمبراطوريات

ولم يكن من الغريب أن يرأس الوزارة في إنجلترا أو فرنسا يهودي حسب مبدإ العالمانية في نظر المجتمع ، أما هو فيبقى على يهوديته ، ويرى الدولة جزءا من الدين ، ولا تتحقق الطاعة إلا بإقامة الوطن القومي لليهود في أرض فلسطين ، فلابد من إفساد العرب وإنهاكهم ليتحقق هذا الحلم .

اليهود يحكمون أوروبا :

وكانت إدارة أوروبا تقع في أيدي اليهود ، وتم ذلك من خلال العلماء في كافة المجالات ، ومن خلال الساسة ، وأصحاب البنوك ورجال المال .

* * *

العادات والتقاليد الغربية تغزو الشرق :

ومع خلق تلك النخبة المختارة من رجال السياسة والحكم في بلاد العرب ، ودعمهم بالأدباء والمفكرين الذين ينادون بالوطنية ، والذود عن حياض الوطن ، والشعارات العالمانية التي يعلمونها الأولاد في المدارس ، وتحية العلم وتقديسه وتقبيله والوقوف احتراما له عندما يرتفع ويرفرف ، كان لابد من تحرير المرأة .

وتحرير المرأة كان أعظم بروجرام قدمه اليهود والغرب إلى أهل الشرق الإسلامي ، وقدموه باقتدار وعبقرية وصبر ودأب .

وقد حقق النتيجة المرجوة التي كانوا ينشدونها .

كانوا يريدون تحرير المرأة من الإيمان والاعتقاد والأخلاق ، وأداروا هذا المشروع ببراعة ، فقد كتب المفكرون والأدباء والكتاب ، وتقدمت الرائدات بخلع الحجاب وحرقه ، وكان وراءهم جيش من الخياطات اللائي

وفدن من بلاد الشام إلى أرض مصر ، وأغلبهن من اليهوديات المدربات الواعيات .

وتتردد المرأة الجديدة على منزل « الخياطة » وهناك تتعلم الفساد والحياة التي ينبغي أن تكون . فتعرض عليها « المدام » الجديد من الأزياء التي نزلت أوروبا وتستخدمها سيدات المجتمع هناك ، وأنه لا ينبغي أن تكون أقل منهن ، وهي ترى « المدام » وهي تحتسي الخمر فلا تبدي امتعاضا أو استنكارا ، ثم تشاركها فيه بعد فترة من الوقت .

وتأخذ لها « المدام » مقاييس جسدها لتصنع « الفستان » وهي تملي على مساعدها تلك المقاييس ، وهو مخنث مدرب من المارون أو اليهود . لا ينظر إلى جسدها أثناء أخذ المقاييس حيث تشجعها « المدام » على خلع بعض الملابس لتكون المقاسات صحيحة ، فتخلع المسكينة ملابسها وهي تختلس النظر إلى ذلك الشاب الذي يقف لترى إن كان يرقبها أم لا فتجده مستغرقا في كتابة ما يملى عليه .

وتعتاد هذا المكان .

ويأتي يوم ترجوها فيه « المدام » أن تدع جوزيف مساعدها يأخذ لها المقاييس فهو أدق وهي منشغلة في أمر آخر .

وتعتاد المرأة الجديدة أن تخلع ملابسها أمام الرجال ليأخذوا المقاييس ، ويتحسسوا جسدها خطأ ثم يعتذرون ، ويتحسسونه بعد ذلك برضاها ودون اعتذار .

ويخبرونها في تلك الجلسات المتعددة أن من علامات الرقي والمدنية أن تظهر مفاتن جسدها ، وأن ترتاد الأماكن التي يرتادها الرجال ، وأن تتخذ صديقا ، وأن تحتسي الخمر ، وأن تترك التقاليد البالية العفنة ، وأن غاية الرقي والرفعة هو ترك الدين والفضائل التي نادى بها الإسلام .

وكانت النوادي والمراقص ومخالطة الرجال ، ومحاولة التكلم باللغة الفرنسية ثم الإنجليزية والانسلاخ رويدا رويدا من كل العادات الطيبة ، واستبدالها بأخرى أوروبية من أية جنسية ، والمهم هو الابتعاد عن عالم الإسلام بثقافته وتصوراته .

* * *

اليهود والفنون في الشرق :

وجاءت الفرق التمثيلية والمسرحية من بلاد الشام وحطت رحالها على أرض النيل ، وهي فرق غريبة في الأصل عن بلاد الشام ، ولكنها جاءت على قدر مع اليهود الذين أقاموها وقدموها على أنها فن رفيع قد غفل عنه أهل الشرق طويلا وقد آن لهم أن ينتبهوا إليه ، وإلى إدراك ما فيه من سمو حيث الثقافة العالية والمجال الجديد .

ومع هذا الفن جاءوا بكل المفاسد والمباذل ، وقذفوا بالنسوة اللائي جيء بهن للتمثيل للعشق وبيع الهوى في مجتمع مسحور مبهور ، قد فقد هويته وكرامته ، فهو يتلمس أي طريق .

واتخذ رجال المجتمع وصفوته من التلاميذ المدربين العشيقات من أولئك اللائي قدمن لذلك ، واشتهر أمرهن وتنافس القوم عليهن ، وكانت القصص والأساطير .

وضربت الغانيات مثلا لسيدات المجتمع وطرحن عليهن الدرس بليغا ومؤثرا ، وصرن قدوة ومثالا لكل زوجة تخشى أن يهرب منها زوجها .

مصر هي ملهى بلاد العرب الكبير :

وارتادت الغانيات المنازل والبيوت ورحب بهن في المجامع والمآدب

والحفلات ، وتغير المجتمع رويدا رويدا . ومن يتأمل يظنها خطة مدروسة ، وهي ليست كذلك ، فهي خطة لم تكتب ، وتخطيط لم يتفق بشأنه مع أحد . ولكن كل يبذل جهدا من أجل فصل هذه المجتمعات عن جذورها وإبعادها بحنكة عن مجال الدين وتأثيره .

امتلأ شارع عماد الدين بالحانات والبارات والمسارح التي تقدم المباذل مع الفن في قالب رخيص ركيك .

ونافس ساحل روض الفرج قرينه في الملاهي والراقصات .

ولمعت أسماء كثيرة من الوطنيين والوطنيات . وصارت هذه الأماكن ملجأ وملاذا للهاربات والساقطات وصاحبات التهتك والخلاعة والمجون .

الشريف حسين وأولاده في مصر :

وكان الشريف حسين وأولاده يقدمون من بلادهم سرًا وعلانية لارتياد هذه الأماكن حيث تنخلع الروح الإسلامية وتموت النخوة ، ويشعرون بالضآلة والصغار ؛ فهم يأتون من الأعمال ما يترفع عنه قادة البلاد ورؤساء العشائر ، وما ينبغي أن يحرمه على نفسه كل صاحب دين أو خلق قويم .

ولهم في هذا المجال قصص مشهورة وأحاديث مختارة يرويها الناس ممن يعرفونهم في عمان ؛ فقد بدأ فسادهم في القاهرة قلب العالم الإسلامي ، ثم انساحوا في الأرض بعد ذلك ، واشتهروا في أماكن مختلفة من العالم .

* * *

الاحتلال الإنجليزي لمصر يتوج العالمانية في الشرق :

جاء الاحتلال الإنجليزي إلى مصر في يوليو عام 1882 بعد مقدمات .

وهو يعترف بتبعية البلاد للسلطان العثماني من الناحية الشكلية أو الاسمية ، ثم اجتاز بالبلاد والعباد مخاضة بعيدة المهوى عميقة القرار .

ولسنا بصدد ما فعله الاحتلال بالتفصيل والتحليل ، ولكننا نشير إلى ما فعله في مجال التعليم ، فقد كان ذلك لبنة من لبنات البناء العالماني الذي بدأ للقضاء على ما تبقى من أصول الإسلام ، وضرب دولة الخلافة ، والقضاء على أية بارقة لأمل في العودة إلى الدين .

كان أهم ما فعلته سلطلات الاحتلال في مجال التعليم هو فصل التعليم الديني عن التعليم المدني ، والتفرقة بين الخريجين في المجالين في كل شيء بدءا من الاحترام وانتهاء إلى السلطة والدرجة الاجتماعية .

وبدأت السخرية من رجال الأزهر وعلمائه ، سخرية خفيفة أخذت مكانها ومقامها مع السنين .

وفرقوا في المرتبات والمعاملة والمنزلة ، وشجعوا الذهاب إلى مدرسة الحقوق أو كليته ، ومن يخرج منها متفوقا ويعين في النيابة يكون له الحول والطول والسلطان وربما لا تتجاوز سنه عشرين سنة مما تعدون . فهو شاب حدث ولكنه يقف فوق السلطة والإدارة ويفعل ما يشاء .

وقد خلق هذا خللا في المجتمع ، وصار أمل كل شاب أن يخدم الحكومة وهو يرتدي البذلة والطربوش ، وينظر بسخرية ورثاء إلى رجال الأزهر الذين يتعثرون في قفاطينهم ، ولا يجدون لهم مكانا لائقا إلا بعيدا في القرى والنجوع .

التحقير من التعليم الديني وخلق قيادة فكرية جديدة :

فصل التعليم المدني عن التعليم الديني ، ووضعت سياسة التفرقة بين هذا وذاك ، وصار لا يرتاد الأزهر إلا أهل الريف والفقراء ومن نذره أهله لخدمة

الدين والإسلام . ولم يجد العلماء طريقة لاعتدال الميزان إلا بتملق أهل السلطان والسير في ركابهم وإصدار الفتوى لخدمتهم ، ورغم هذا لم يعتدل الميزان !

وصار قادة الفكر والرأي في البلاد أولئك الذين ينقلون الحضارة الغربية بقدها وقديدها إلى الناس ؛ فالأدباء والشعراء وكتاب الرواية ، والذين يكتبون في الصحف ، لا يجدون مكانة أو وجاهة إلا إذا غربوا أو هكذا ظنوا ، وشجعت الحكومة هذا الاتجاه ودعت إليه ، وتغيرت أغراض الشعر والثقافة والأدب ، وكتبت المسرحية وكلها تعالج موضوعات غربية ومشاكل أوروبية في مجتمع مصري يدين بالإسلام ، ويتم نشر هذا كله إلى جميع بلاد العرب . فقد كانت القاهرة مقصداً لكل طلاب العلم والثقافة ، وكتبها تذهب إلى أقطار العرب وكذلك صحفها ومجلاتها ، ويأتي العرب إليها ، فقد كان الامتزاج والاختلاط على أشده في تلك الأيام ، رغم أن وسائل المواصلات لم تتطور على النحو الذي نراه الآن .

الخلافة العثمانية هي الشبح الذي يهدد الغرب :

كل هذا قد حدث ولم يستطيعوا النيل من الخلافة العثمانية ، فلا يزال هناك من يدعو الشعوب الإسلامية إلى الالتفاف حول علم الخلافة وتجديد معانيها ، والخروج بها إلى الدنيا مرة أخرى على نسق جديد .

ورغم كل مظاهر الانحلال وبدء برنامج التجزئة والتغريب فلم يستطع أحد أن ينال بطريقة مباشرة واضحة من دولة الخلافة ، والذي يفعل فكأنما قد انتقص الإسلام ، وأتى من العمل ما يشينه ، ويجعله موضع لوم وازدراء .

كانت الخلافة قد بلغت أوج قداستها في نظر عوام المسلمين قبل أن تسقط .

وكان لابد من انتقاص الخلافة بطريقة عملية واضحة من خلال زعيم كبير أو رجل له مكانة وسلطان .

وبعد ذلك تتم التجزئة دون خوف ، ويكمل تغريب المجتمعات الصغيرة ، التي تناثرت من دولة الخلافة وهي تسقط .

وكل هذا في مخطط غير مكتوب للقضاء على الإسلام العدو الذي دوّخ الغرب بضع قرون ، ويتم إنشاء دولة يهودية في أرض فلسطين ، بينما تنشغل هذه الأقطار بالأفكار الجديدة التي قذفت إليها ، وبمشاكل السيادة والحدود المختلطة ، والأعلام الجديدة في أوطان جديدة قد منحت إليهم فهم بها فرحون .

وكان علماء الغرب يعرفون أن عصر الاستعمار قد قارب على النهاية ، ولابد من إنجاز هذه المهمة قبل أن يذهب ، ومن ثم تستقيم الأمور لأكثر من مائة عام .

الشريف حسين هو الذي قضى على دولة الخلافة :

ويمكننا القول بحق إن الذي استطاع القضاء على دولة الخلافة هو الشريف حسين من خلال الثورة العربية الكبرى ، وبعض العوامل الأخرى التي عملت عملها .

ويمكننا القول أيضا إن الشريف حسين هو الذي وضع حجر الأساس لدولة إسرائيل وليس هرتزل ، فدور الأول فيها دور رئيسي وبدونه لم يكن لهذه الدولة أن تقوم ، أو كان لابد من شريف حسين آخر ليفعل ما فعل .

كانت كل الظروف التي شرحناها هي مقدمات الثورة العربية الكبرى ! أو كانت بمثابة تهيئة المسرح لدخول الشرير الذي يطعن دولة الخلافة في ظهرها بخنجره المسموم .

* * *

الإنجليز هم أعداء الأمة :

كانت بريطانيا العظمى تعمل حسابا للخلافة العثمانية وتعمل على تقويضها والقضاء عليها في السر ، وتعلن صداقتها والوقوف معها لمكانتها بين المسلمين الذين يشكلون جسما كبيرا من المستعمرات الإنجليزية وعلى الأخص في الهند وجنوب شرق آسيا . حيث كان أحرار المسلمين في هذه البلاد يعملون جاهدين على التحرر من إنجلترا والاستقلال عنها وخلق رابطة ما للتبعية أو للصداقة مع سلطان الترك .

فهم يفكرون في علاقة لم تتبلور في تصور القائمين على هذه الحركة ، ولكنهم متفقون على ضرورة التعاون والتحالف مع دولة الخلافة على نحو من الأنحاء .

وكانت هذه النزعات تخيف البريطانيين ويعملون لها الحساب الكبير في دراساتهم وتناولهم للمسألة الشرقية . وهم يقدرون حجم العالم الإسلامي ، ويعملون على عدم التصادم معه في شكل مباشر ومفضوح .

الوطن القومي لليهود :

وكان النفوذ الصهيوني قد بلغ أوجه في مطلع القرن العشرين ، وكان تواجده في السياسة البريطانية على النحو الذي رأيناه في نهاية هذا القرن في السياسة الأمريكية . فقد كان لهم دور وتأثير في كل ما يصدر من قرارت عن حكومة جلالة الملك في لندن .

وكانت فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين قد اكتملت وصارت الخلافة العثمانية هي العقبة الكئود ، والسلطان عبد الحميد على وجه التحديد .

فقد رفض في وضوح وصراحة فكرة السماح لليهود بإقامة وطن قومي تحت رعايته وتبعيته . وذلك رغم الوعود الهائلة التي قدمها له الماليون اليهود من تقديم الهبات والقروض ومساندته سياسيا في كافة المشكلات .

اليهود يشهرون جميع الأسلحة في وجه دولة الخلافة :

وقد شجع اليهود كل نزعات التحرر التي قامت في الآستانة ، وكانت أصابعهم وراء حركات الإصلاح الدستوري وإنشاء الصحف التي تعمل على الانتقاص من دولة الخلافة ونقدها ومحاولة تغييرها ، وكانوا وراء حزب الاتحاد والترقي الذي أخذ على عاتقه مهمة إبطال القوانين واللوائح الإسلامية وتغيير شكل البلاد فيما بعد توافقا مع ما تم من أحداث جسام .

والتقت إرادة اليهود والإنجليز في القضاء على دولة الخلافة لتحقيق مصلحة مشتركة والوصول إلى هدف عليه اتفاق .

لابد من شخصية دينية تواجه المسلمين :

وكان لابد من شخصية دينية إسلامية لها مكانتها تساعدهم في تحقيق المواجهة مع دولة الخلافة ، وذلك للاعتبار الكبير للملايين من المسلمين يعيشون في العالم ينظرون إلى هذه الدولة على أنها الأمل الكبير في تحقيق التحرر من الاستعمار الغربي . وكانت هذه الشخصية الدينية الشريف حسين بن علي !!

وكانوا يرصدونه ويدرسون أحواله ويعدونه لهذا اليوم الذي يقدم في المستقبل حيث يكون وجوده ضرورة ، ودوره أساسيا ورئيسيا .

الشريف حسين في الآستانة :

عاش الشريف حسين بن علي منفيا في الآستانة فترة تقرب من ستة

عشر عاما وكان عضوا في مجلس شورى الدولة الذي كان يضم إليه أعضاء من بلاد الإسلام التي تتبع دولة الخلافة . ومن ثم فدعواه أنه كان بدويا لا يفهم في السياسة كاذبة لا تتفق مع واقعه وتاريخه . ولعله لم يقل عبارته التي قالها اعتذارا إلا لشعوره بالجرم الفظيع الذي ارتكبه في حق الإسلام والمسلمين .

كانت تحكم مكة أسرة الأشراف عندما قدم سليم الأول إلى مصر . وقد أقرهم على ما هم فيه بشرط تبعيتهم لدولة الخلافة ، ووافقوا على ذلك ودعوا باسمه على المنابر ، واستمتعوا باستقلالهم وتبعيتهم الاسمية فيختارون حاكمهم ويرسلون إلى السلطان فيصدر مرسوما بذلك .

وضعف حكام مكة من الأشراف الأمر الذي دعا السلطان إلى التدخل الفعلي في شئون الحجاز في مطلع القرن الثامن عشر حيث كان معظم موظفي الإدارة من الأتراك العثمانيين الذين يعينهم السلطان .

وفي أوائل القرن التاسع عشر عندما دبّ الخلاف بين السلطان وبين محمد علي استبدل السلطان قوات عثمانية بالقوات المصرية في أماكن مختلفة . وأرسلوا واليا عثمانيا إلى جدة عام 1840 الأمر الذي أثار الشريف عون حاكم مكة وحاول الاعتراض وإحداث الشغب فقبض عليه وأرسل منفيا إلى الآستانة .

الشريف حسين أميرا لمكة المكرمة :

ولد الحسين بن علي بن عون عام 1853 ثم نفاه عمه مع آخرين إلى إستانبول ، وكان ذلك في عام 1893 على وجه التقريب .

وقد لعب ابنه عبد الله بن الحسين دورا هاما في تعيينه شريفا على مكة ، فقد كان الأمير عبد الله على صلات وثيقة باليهود والحركة الصهيونية

العالمية ، والتي كان لها النفوذ في عاصمة الخلافة آنذاك من خلال حزب الاتحاد والترقي .

وكان الشريف عون عم الحسين بن علي أميرا على مكة فأرادوا أن يعزلوه ليولوا مكانه الشريف عبد الله عم الشريف المعزول ، ولكنه توفي وهو يستعد للسفر .

وأثمرت مساعي الأمير عبد الله واتصالاته الواسعة والتي أدت إلى موافقة السلطان عبد الحميد على لقاء الشريف حسين وولاه أميرا على مكة ، وكان لقاؤهما مؤثرا تكلم فيه الشريف حسين كلاما كثيرا حول أهمية دولة الخلافة للمسلمين .

وكانت النذر توحي بالقلاقل والاضطرابات المقبلة على دولة الخلافة . وهذا يفسر كلام الشريف حسين للسلطان عبد الحميد :

« إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي إذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك . ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلدان العرب يقوم بالواجب المفروض هو الحجاز .

وإن النبي ﷺ قال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم ، لجبيت لكم الأموال ولأخضعت رقاب العصاة ، لأنكم تكونون حين ذاك فوق متناول أيديهم »[1] .

---

(1) العرش الأردني بين الخيانة العربية الكبرى والتآمر مع صدام حسين ، للأستاذ محمد العباسي ، ص 15 من إصدارات الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى 1990 .

وهذا الكلام الذي نطق به الشريف حسين أمام السلطان عبد الحميد يدل على حس عميق بالسياسة وأحابيلها ، ويدرك الخطورة التي تمر بها دولة الخلافة ، ويفهم أهميتها وضرورتها للمسلمين .

وقد عرض على السلطان عرضا لو أدركه واستجاب إليه لربما تغيرت الأحوال ، ولأخذ التاريخ شكلا آخر غير الذي كان .

وهذا ينفي قولته إنهم كانوا بدوًا لا يفهمون في السياسة وقد خدعهم الإنجليز . فمثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن سياسي محنك يفهم ماذا يقول .

ولا تفسير لتصرفات الشريف حسين في طعنه للخلافة العثمانية تلك الطعنة النجلاء التي أودت بها إلا الخيانة الواعية ، وتفضيل الدنيا على الآخرة .

وقد استمع إليه السلطان عبد الحميد وتأثر تأثرا كبيرا واغرورقت عيناه بالدموع وقلده وسام الافتخار المرصع ، وأنعم عليه بالإمارة ، وودعه وهو في غاية التأثر من الكلام الكثير الذي سمعه منه ، والذي يدور حول حرصه على دولة الخلافة وشخص السلطان .

ولو عرف السلطان الغيب لعلم أن هذا الشخص الذي أثر فيه كلامه هو نفسه الذي سوف يجهز على دولته في المستقبل القريب .

الشريف حسين هو الأب الروحي لحزب البعث :

وتمضي الأيام ثم يأتي حزب البعث العربي الاشتراكي فإذا هو امتداد طبيعي للخيانة التي ارتكبها الشريف حسين ، وينص دستور الحزب في مادته التاسعة على هذا صراحة فيقول :

« راية الدولة العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت عام 1916 لتحرير الأمة العربية وتوحيدها » .

وهذا هو الضلال البعيد ، بدأه الشريف حسين وانتهى إل حزب البعث وصدام حسين .

تحرير الأمة العربية من ماذا ؟

وتوحيدها ؟

وإن تعجب فعجب قولهم ! هل كان من العقل تمزيق الأمة وتجزئتها ، ثم نعمل بعد ذلك على توحيدها ؟

وهذا ما يفسر تضامن الملك حسين مع صدام حسين في غزو الكويت ومحاولة رسم الخريطة العربية حيث يستعيد الملك أرض الحجاز التي كان يحكمها أجداده في صدفة أدت إلى ضياع دولة الخلافة ، فهو ميراث تاريخي وفكري يجعل بينهما حبلا متينا في جلب الأذى والضرر للإسلام والمسلمين .

* * *

الشريف حسين والمخابرات البريطانية :

كانت المخابرات البريطانية تجوس خلال الديار ، وتجمع الأخبار وترصد الناس ، وتبحث عمن يساعدها في إحكام السيطرة على بلاد المسلمين . ونشبت الحرب العالمية الأولى في أغسطس عام 1914 .

وكانت عائلة الشريف حسين من دهاة السياسة حيث يفهمون الحيل ، ويعرفون اتجاه الريح ، وكانوا انتهازيين لا خلق لهم ولا ضمير ، ويبحثون عن مصالحهم وسلطتهم دون الأخذ في الاعتبار من أي طريق تكون . وكانوا يعرفون أن مثل هذه الحرب سوف تتبعها متغيرات كثيرة ، وما ينبغي لأمثالهم أن يفوتهم الكسب من هذه المتغيرات .

الأمير عبد الله هو الأب الروحي للثورة العربية الكبرى :

ويجمع كتاب تاريخ الثورة العربية الكبرى على أنها لم تقم بتحريض من الإنجليز ، ولكنها قامت ونشأت باقتراح من الأمير عبد الله ابن الشريف حسين تقدم به إلى مساعد وزير الحربية البريطاني ، والذي كان يقيم في مصر في ذلك الوقت ، وكان أيضا مسئولا عن أعمال المخابرات .

وقال الأمير عبد الله لمسئول المخابرات إن تركيا قد تدخل الحرب في صف ألمانيا ، ولم تكن قد دخلت بعد ، وفي حالة دخولها الحرب فسوف يؤثر هذا بالتأكيد على موقف الإنجليز في الشرق وبلاد العرب ، فكل هذه البلاد تابعة للخلافة العثمانية . ولكن ربما يتغير الموقف في غير صالح تركيا لو قامت نزعة للتحرر من حكم العرب يقودها رجل عظيم .

وكانت هذه هي الفرصة التي تبحث عنها بريطانيا ، وكان الشريف حسين هو الشخصية الدينية التي يمكن أن تطعن الخلافة من خلالها !!

ومن ثم ترى أن هذه الأسرة الهاشمية التي حكمت مكة في مطلع هذا القرن العشرين أسرة من الثعالب وأبناء آوى ، ويصعب التصور أنهم ينتمون إلى البيت النبوي .

وهناك من يقول إن اتصالات الأمير عبد الله بالمخابرات البريطانية كانت مبادرة شخصية منه ولا صلة للشريف حسين بها في مبدإ الأمر ، وهذا مستبعد ، فالأمير لا يصدر عن نفسه ، بل يتكلم نيابة عن أبيه وبعلمه ومشورته .

وتستوي إن كان قد قام بالاتصال بنفسه بعيدا عن الشريف حسين أو تم ذلك بمعرفته وتوجيهه ، فالنتيجة واحدة .

* * *

الإنجليز يتباحثون مع الشريف حسين :

بدأ العمل البريطاني باستفسار إلى الشريف حسين حول ما إذا كانت نية الشريف حسين تتجه إلى مناصرة بريطانيا أو قضية تركيا في حالة دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء .

ومثل هذا الاستفسار لا يتقدم به إلى مثل الشريف حسين إلا إذا كانت الإجابة بالقبول والوقوف في صف الإنجليز ، فهو تساؤل لا يقدم إلا لمن كانت صلته وثيقة بجهاز المخابرات .

وقد قدم هذا الاستفسار إلى الأمير عبد الله بناء على برقية من اللورد كتشنر وزير الحربية البريطاني الشهير إلى مساعده ستورز المقيم في القاهرة .

وهناك سؤال : لماذا قدم هذا الاستفسار إلى الشريف حسين ؟

والإجابة أن الإنجليز يعرفون عملاءهم كما يعرفون أبناءهم !!

ويأتي رد الشريف حسين على هذا الاستفسار مبينا حنكته السياسية وتمرسه في بيع الأوطان وموالاته لأعداء الدين .

قال إنه سوف يرسل الرسل إلى الحكام العرب ليرى رأيهم ، ويعرف مدى استعدادهم للثورة ضد الحكم التركي ، ومدى رغبتهم في مناصرة قضية الإنجليز العادلة ، وإنه راغب في المساندة والمؤازرة ، ولكن منصبه الديني يحتم عليه الحذر الشديد ، وإنه مضطر إلى الوقوف على جانب الحياد وإلا سوف يفقد شعبيته بين جماهير المسلمين ، ولكن إن تعهدت بريطانيا بالوقوف معه ومساعدته ليكون ملكا للعرب فإن الأمر يختلف ، وهو لا يملك في هذه الحالة غير نفسه وأولاده ويضمن أن تثور الحجاز التي يحكمها ضد الأتراك .

وجعل ولده عبد الله يرفع الرسالة بدلا منه ، فهو داهية حريص .

وتسلم ستورز الرسالة وأبرق إلى لندن وجاءه الرد برجوع البرق .

أن بريطانيا العظمى تقدم وعدا قاطعا للشريف حسين أن تضمن له ملك الحجاز وأن يبقى شريفا لمكة دون عزل أو تغيير ، وتحميه وتحفظ حقوقه من أي عدوان يأتيه من الخارج .

وأن الحكومة البريطانية تقدم للعرب كل ما يريدون من أجل نيل حريتهم .

وألمحت الرسالة أنه في حالة تفكير الشريف حسين بإعلان خلافة جديدة من مكة ضد الخلافة العثمانية ، فإن هذه الخطوة ستكون محل ترحيب كبير ومساعدة جمة من الحكومة البريطانية .

ولم يستطع الشريف حسين الصبر أكثر من ذلك !

وسارع بإرسال رسالة بتوقيع ولده عبد الله تعهد فيها بشكل واضح وصريح بموالاته للإنجليز وبحلف سري بينه وبينهم يحقق فيه مصالحهم ويفعل كل ما يرغبون من أجل إضعاف دولة الخلافة والقضاء عليها .

ولكن الشريف حسين لا يمكنه أن يجاهر في الوقت الحالي بذلك قبل عمل ما يلزم من استعدادات . وطلب أن يمهل بعض الوقت لتجهيز جيشه ، ثم انتهاز الفرصة المواتية لنجاح ما يفعل .

* * *

العالم العربي والأسرار :

ثم بدأت مراسلات حسين – مكماهون الشهيرة . وقد قامت الحكومة الإنجليزية بالكشف عن هذه الرسائل عام 1939 ، ويبدو أننا في عالمنا العربي نحتاج دائما إلى أكثر من ثلاثين عاما لنعرف ما يدور اليوم . ويبدو

أيضا أن معظم حكامنا العرب لا يحركهم في سلوكهم السياسي والاجتماعي غير المصلحة الشخصية العاجلة ، أو الجنون والغموض ودوافع لا يعرفها أحد أبدا ، ولكن قد تكشف عنها وثائق تظهر في بلد ما بعد عدة عقود . فالمصلحة الشخصية العاجلة هي التي تحكم مثل الملك حسين ملك الأردن ، فكل ما يعنيه من النشاط والسياسة أن يبقى ملكا على الأردن ، وقد يشط به الخيال أحيانا فيفكر بعيدا في اتساع دائرة ملكه لتشمل الحجاز ، حيث تضطرب في وجدانه تهويمات من مجد قديم ، وهو مطمئن إلى أن أحدا لن يعرف شيئا قبل أكثر من ثلاثين عاما .

وقد يجد أولاده من يدفعون له المال ليكتب عن عظمته وعن تفرده وبعد نظره وأنه كان يريد الخير والفلاح ولكن المسلمين لا يعلمون . إنه الجنون والغموض ودوافع لا نفهمها ولا نعرفها ويصعب الوصول إليها في وضوح وجلاء مثل ما يفعل صدام حسين ! ويستحيل علينا القول إن المصلحة العاجلة هي التي تحركه وتدفعه إلى إتيان هذه الغرائب التي تخبرنا بها الأخبار . فهو يأتي من الأعمال ما حقق الضرر المؤكد لنفسه وبلاده ، وأساء إلى قضية العرب والمسلمين وفلسطين .

والذي يحركه ويوحي له بما يفعل لاشك أنه شيطان قد تمكن من روحه وعقله ، أو هو الجنون والخبال والإسراف في المخدرات حتى إنه لا يعرف ولا يفهم ما يدور حوله من أحداث جسام هو محركها وفاعلها ، ويتحمل وزرها ونتائجها أمام الله والتاريخ .

ثم يمر بعد ذلك ثلاثون عاما أو تزيد وعندها ربما نعرف بعض ما غمض علينا ، وقد يأتينا عندها شيء من التفسير .

وذلك مثل ما حدث مع الشريف حسين !!

انكشفت مراسلاته ومخاطباته ، وموالاته لأعداء العرب والمسلمين حيث لم تكن توجد حاجة لذلك . ثم جاء من أولاده من استأجر بعض المؤرخين

والمفكرين الذين يحدثوننا عن بعد نظره وحكمته ، وأجهدوا أنفسهم في تغيير معالم الحق ومحاولة خداع الناس في قضايا لا ينخدع بها أحد .

وهذه هي مشكلة العرب والمسلمين التي ظلت معنا حينا طويلا من الدهر ؛ عدم الجهر بالحق لمقاومة الباطل ، وهو واجب عظيم ينبغي أن يتبناه كل عالم وصاحب قلم ، فهؤلاء هم عدة التغيير في بلاد قد أضناها الخوف وتخللها التزييف والفساد ، وحكام أقل ما يوصفون به أنهم خونة ، قد زرعهم الأعداء فهم يوالونهم سرا وعلانية دون خوف من شعب ، أو وجل من غضبة الله سبحانه وتعالى .

الملك حسين يتقاضى مرتبا من المخابرات :

وتعلن المخابرات المركزية الأمريكية أنها تحول لحساب الملك حسين كل عام مبلغ عشرة ملايين من الدولارات ليستعين بها على قضاء حوائجه . فالحكومة الأمريكية لا يمكنها صرف مثل هذا المبلغ دون حساب أو إعلان ، ولكن المخابرات حرة التصرف ، ويمكنها دفع ذلك من ميزانيتها ويزيد . والعالم كله يعرف ، ونشر ذلك بكل اللغات المنطوقة عبر كتاب قد ألفه واحد من الذين كانوا يعملون في المخابرات ، ورغم ذلك فأنت تزور الأردن وتفتح الراديو أو التليفزيون فلا تسمع غير حديث الإفك ينطق به العلماء والشعراء والأدباء عن حكمة الملك حسين وخوفه من الله ، وإدراكه لمصلحة الأمة العربية ، ورؤيته البعيدة وخطته العظيمة في الإصلاح ، ولكن العرب لا يعلمون .

ويبدو أنها ذرية بعضها من بعض .

عودة إلى الشريف حسين :

والحسين الملك هو الشريف حسين ! ولا فرق بينهما غير ما يقرب من

ثمانين عاما حيث تغيرت الأزياء واختلف شكل الحياة على نحو ما ولكن جوهر ما يفعله الحفيد هو نفس ما فعله الجد في وقت مضى .

قام الشريف حسين باتصالاته ومشاوراته !!

واستقر رأيه حسب ما كتب في الرسائل على ضرورة الحلف مع الإنجليز . ولا بأس من شيء من الخيال ، وتوهم ما ليس موجودا .

فهو ملك العرب ويمكن أن يقيم إمبراطورية جديدة على أنقاض الخلافة العثمانية إن ساعده الإنجليز فيرفع راية مختلفة شعارها الصليب .

وهذا ما يفهم الإنجليز أنه فوق إمكاناته وقدراته !

ولكن لا بأس من مجاراته في حلمه البعيد ليأخذوا منه غاية ما يقدر عليه من خيانة قومه ، وحتى تكون طعنته لدولة الخلافة نجلاء نافذة يضربها في حماس وقوة ودون تردد .

اقتراحات الشريف حسين للإنجليز :

أرسل إلى مكماهون يؤكد له أن العرب يتحالفون مع بريطانيا دون سواها . ولا يقبلون مساعدة من أحد غيرها ، فهي الدولة العظمى في هذا الكون ، وهي التي تحفظ ميزان الحق والعدل بين الشعوب ، وتنشر الرحمة والحضارة . ومن مصلحة بريطانيا أن تقف مع الشريف حسين ، وهذا ما قاله وهي تعلم ذلك ، فهو يذكرهم بما يعرفون .

وهو يتقدم إليهم بمقترحات يراها ضرورية لعقد الحلف .

فينبغي على بريطانيا الاعتراف باستقلال العرب في بلادهم التي يحدها شمالا خط مرسين – أضنة المطابق لخط 37° التي تقع عليه بيرجيك ، أورفة ، ماردين ، ميدان ، جزيرة ابن عمرو ، عمادية ، وذلك حتى حدود فارس .

ومن الشرق من الحدود الفارسية حتى خليج البصرة .

ومن الجنوب حتى المحيط الهادي ، ويمكن أن تستثنى عدن لضرورتها للإمبراطورية البريطانية .

ومن الغرب البحر الأحمر والبحر الأبيض حتى مرسين على حافة هضبة الأناضول .

وتوافق بريطانيا وتبارك إعلان الخلافة العربية !!

ونظير ذلك تتعهد حكومة الشريف حسين الجديدة في هذه المساحة من قلب العالم العربي بأن تقدم بريطانيا وتفضلها في كافة المشاريع الاقتصادية والعمرانية في كافة البلدان العربية .

وقيام حلف أبدى بين الفريقين للوقوف أمام أي عدوان ولدحر أية قوة أجنبية تهدد أحد الطرفين .

ولا يتم صلح مع هذه القوة إلا بموافقة الطرفين .

ويتشاوران إذا دخل أحدهما في نزاع مسلح مع طرف ثالث . والذي لم يكتبه الشريف حسين في هذا العرض ولكنه مفهوم ، أن للإنجليز في دولة الخلافة العربية الجديدة ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . والمهم أنهم يوافقون على هذه الخطة ويجلسون الحسين على كرسي الخلافة العربية الجديدة .

الإنجليز وأحلام الشريف حسين العريضة :

وقد اندهش رونالد ستورز من هذه الأحلام العريضة التي كشف عنها الشريف حسين في مذكرته . وأرسل إلى حكومته تعليقا عليها . بأن هذه شروط خاصة من تصورات الشريف حسين وربما يكون مبالغا فيها كثيرا ،

ولعله لا يقوى على تحمل هذا الوضع فهو لم يفوض من أحد من العرب في الحديث عنه ، ولكنه يتصور أنه يتحدث باسمهم جميعا ، وهو لايملك القوة للمحافظة على هذا الوضع الذي يقترحه ، وهو يطالب بأشياء لا يستحقها ، وهي أكثر بكثير مما يحق له أن يطالب به . ولكنه سوف يعدل من لهجته ويعتدل في طلباته عندما تسقط إستانبول .

تسلم مكماهون الرسالة مع تعليقات ستورز مسئول المخابرات البريطاني في السفارة الإنجليزية بالقاهرة ، وأبرق بمضمونها إلى الحكومة الإنجليزية ، واقترح أن يرد على هذه الرسالة ردا فضفاضا غير محدد المعالم ، يرحب فيه بكل ما يقوله الشريف حسين ، ويؤكد له تطابق المصلحتين : مصلحة بريطانيا مع مصلحته هو شخصيا ، وأنه من السابق لأوانه بحث مسألة الحدود للدولة الجديدة التي يحلم بها ، ثم بعضا من الكلام المعسول حول تأكيد بريطانيا في رغبتها في تحقيق استقلال العرب ، وأنهم يستصوبون فكرة إعلان مثل هذه الخلافة العربية .

الملك حسين يتقمص شخصية الشريف حسين :

ولسنا في حاجة إلى تذكير القارئ أن الشريف حسين هو جد الملك حسين ، الذي أصدر مرسوما في ليلة من ليالي الصيف الذي هوجمت فيه الكويت بأن ينادى بالشريف حسين تيمنا بذكرى جده العظيم ، ثم عدل عن ذلك المرسوم وحلق لحيته بعد أن تم طرد صدام حسين من الكويت .

وعاد إلى همومه وأحزانه يبحث عن فرصة جديدة قد تأتي من الغيب يحقق فيها بعضا من تلك الأحلام التي راودت أجداده دون أن يحققوا شيئا منها لأنها لا تتفق مع الحق أو القدرة .

ورأى الدنيا كلها وقد عرفت تآمره مع صدام حسين ، ويشيرون إليه

بأصبع الاتهام فقال أكتب للناس كتابا أبيض أبرئ به نفسي الأمارة بالسوء ، ثم خرج علينا بكتاب أبيض ، هو في سواده مثل الكتاب الأبيض الذي أصدره جده الملك عبد الله ابن الشريف حسين ليبرئ نفسه من تهمة التحالف مع الصهيونية ، تلك التهمة الثابتة ضده ، والتي لا ينفع فيها دفاع أو احتجاج وإنكار .

* * *

إعلان الثورة العربية الكبرى :

أُعلنت الثورة العربية الكبرى عند قبر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مع الخيوط الأولى لصباح 5 يونيو 1916 ، وقد أعلنها هناك الأخوان فيصل وعلي ابنا الشريف حسين ، وكان معهما خمسمائة وألف من الجند الذين تم تجنيدهم كنواة لجيش يضرب الأتراك ودولة الخلافة .

وقد أعلنا على الناس باسم الشريف حسين ملك العرب استقلال كل بلاد العرب عن الخلافة التركية ، ثم انضموا إلى البدو المعسكرين خارج المدينة ، ومن هناك أرسلا إنذارا إلى جمال باشا يوم 9 يونيو ، ثم تم تحطيم الخط الحديدي الذي يربط الحجاز بالشام فأرض الأناضول ، وكان لورنس داهية المخابرات الإنجليزية معهما حيثما كانا يخطط لهما ويشير عليهما ويأمرهما ويهديهم إلى صراط الإنجليز .

ولست أدري ما الذي دعا هؤلاء الحمقى لتحطيم الخط الحديدي الذي بناه العمال والفلاحون الأتراك في سنوات تحملوا فيها برد الشتاء القارص ، وحرارة الصيف القاتلة ، وكان بحق شريانا للحياة والاتصال ؟ وكان يمكن للثورة العربية الكبرى أن تأخذ طريقها دون هذا التخريب الذي لم يكن

له ما يبرره لا من الناحية الاستراتيجية ولا من الناحية التكتيكية ، وكان يكفي إيقافه وحراسته وليس أكثر من ذلك .

ولكنها روح التدمير والفساد التي كانت تحكم هؤلاء الناس في سلوكهم وسائر تصرفاتهم .

كان الشريف حسين قد أخذ وقتا في التحضير لذلك الإعلان عند قبر حمزة على مقربة من جبل أحد في المدينة .

وكان قد أرسل من قبل ولديه فيصل وعلي لتحريض القبائل وبلاد العرب ضد الأتراك ؛ فذهب فيصل إلى دمشق ، وذهب علي إلى المدينة حتى يراقب الوالي التركي ويرسل أخباره إلى أبيه الذي بقى بمكة ومعه كاتم سره عبد الله ، المطلع على كل الأسرار ، والذي يرسم لأبيه كيف ينبغي أن تسير الأمور مع الإنجليز والعرب ومع الأتراك . وهو الذي يكتب الرسائل إلى مكماهون في القاهرة يطلب منه المال والعتاد حتى يمكنهم تجنيد الجند وتجييش الجيوش . وقد اكتسب خبرة في هذا المجال ساعدته بعد ذلك في ابتزاز الوكالة اليهودية بعد أن صار أميرا على شرق الأردن في زمن لاحق .

الأمير عبد الله هو رجل الإنجليز المخلص :

وكان الأمير عبد الله هو الذي يشير على الإنجليز بأنجح الوسائل في الضغط على الأتراك ، وهو الذي طلب أن ترسل الأسلحة من بور سودان إلى أي مرفأ آمن في أرض الحجاز على شاطئ البحر الأحمر .

وهو الذي طلب منهم - الإنجليز - أن يحكموا الحصار على موانئ الحجاز ، وذلك للضغط على الأهالي والمواطنين الذين رفضوا تلك الخطة الخبيثة ، ومن خلال الحصار وعدم وصول البضائع يمكنه أن يلقى التأييد والاستسلام من القبائل والناس .

وهو الذي طلب من مكماهون أن يطلب إنزال القوات البريطانية على سواحل الشام ليساعد أولئك الذين يصنعون الاضطرابات ضد الحكم التركي ، ومن ثم يقطعون الصلة بين آسيا الصغرى وبلاد الشام والعرب فيحصرون الجيوش التركية التابعة هناك .

وكانت تاكتيكاته واسعة لا تتفق مع قدرة الإنجليز في تنفيذها جميعا فكانوا يأتون منها ما يستطيعون ، وهم في إعجاب شديد من هذه العائلة العريقة القادرة على ذلك القدر من خيانة قومهم .

الشريف حسين يدعو الله على المسلمين :

وكان أبناء الحسين الأشراف قد انتشروا في البلاد يكيدون للمسلمين ، ويظاهرون أعداءهم ، ومن ورائهم أبوهم يتهجد عند الكعبة ، ويدعو بالنصر للكافرين على المؤمنين .

وهذا ليس مجازا أو خيالا أو ضربا من البيان ، ولكنها الحقيقة في بساطة وسهولة ويسر ، رغم تأويلات المؤولين ، وتفسيرات المفسرين ، وتبريرات المعتذرين .

الثورة العربية تؤثر على الموقف العسكري للأتراك :

وعندما أعلن الشريف ثورته وحربه ضد الأتراك ؛ كانت الريح والدولة مع جيش الخلافة ، وكان الحلفاء في وضع سيىء من الناحية العسكرية ، وكانت جيوش الحلفاء تستسلم للأتراك ، مثل ما فعل الجنرال تاونسند الذي استسلم بجيشه عند كوت العمارة في 26 أبريل 1916 ، وكانت جيوش الأتراك ضاغطة ومنتصرة ، وتتبع سياسة الهجوم في اليمن وعند قناة السويس ، والحلفاء غير قادرين على مواجهة هذا الزحف وهو ما حدا بالإنجليز للضغط على عميلهم بإعلان الثورة العربية الكبرى حتى يحدث تخفيفا

على القوات الإنجليزية في جبهة القتال .

وعندما انسحب الإنجليز والفرنسيون من الدردنيل ، ذلك الانسحاب الذي وصفه بعض المؤرخين بأنه هزيمة لهم وانتصار للأتراك ، لم يكن هناك بدٌّ من إعلان الثورة .

وقد صدق حدس الإنجليز فقد أدى هذا الإعلان إلى تخفيف الضغط بالفعل على قوات الحلفاء ، وبدأت الحاميات التركية في الاستسلام بعد أن حوصرت ، واستعمل معها رجال الشريف حسين أسلوب حرب العصابات .

واستسلمت حامية جدة ثم تلتها الطائف وينبع والمدينة وسائر مدن الحجاز واحدة بعد الأخرى .

وقد تم ذلك ومشاعر الغضب تجتاح العالم الإسلامي لهذه الخيانة الصريحة لدولة تمثل كل آمال المسلمين .

الشريف حسين يتحالف مع الشيطان :

كان من سياسة الشريف حسين وأبنائه أن يستعينوا بالشيطان من أجل ملك يحلمون به ويخططون له . وكان الناس في ذلك الوقت رغم تخلفهم وجهلهم شرفاء طيبين يعرفون الحق من الباطل ، ويفهمون كيف يميزون بينهما ، وإن كانت بعض القبائل قد استجابت للشريف حسين ورضيت بقيادته بعد استلامهم لذهب مكماهون ، والذي جاء به لورنس ، فهناك القبائل التي رفضت الذهب وأبت الخيانة ولم تلتبس عليها الأمور .

وانضمت بعض العشائر إلى الترك في رابغ ، وأكدت قبيلة حرب أنها تنضم إلى الجيوش التركية في حالة زحفها إلى المدينة .

ووجد الشريف حسين نفسه في مكة وكأنما قد حصر فيها ، وتداول مع ولده عبد الله الذي أكد للمخابرات البريطانية ضرورة التدخل .

واقترح عبد الله على ستورز أن تحشد بريطانيا فرقة من « المسيحيين » في السويس للشك في ولاء المسلمين ، وأن تتحرك هذه الفرقة بسرعة إلى ميناء رابغ حتى تعمل عملها عند تحرك الأتراك من المدينة لإخراج الشريف حسين من مكة .

واعترض البريطانيون ، فليست لديهم القوات الكافية لمثل هذا المشروع ، وليسوا بالذين يرسلون المسيحيين للدفاع عن أهل مكة فهذا يُحْدث ثورة في الهند المسلمة ، وهي من مستعمرات التاج البريطاني ويُعْمل لها كل حساب ، بالإضافة إلى الشعور العام الغاضب الذي اجتاح العالم الإسلامي ، والذي لا يتعاطف مع الشريف حسين ومخططاته وممارساته ضد الأتراك المسلمين .

يعرفون ماذا يفعلون !!

يطلبون نصارى للدفاع عن مكة ولا يتحرجون من ذلك ، لأنهم يعرفون أن المسلمين لا يوافقونهم على ما يفعلون ، وهم يشكون في ولائهم إن جاءوا .

« وهنا نرى أن مربي الملك حسين وجده الملك عبد الله لا يرى بأسا في الاستعانة بالقوات المسيحية للدفاع عن الأماكن المقدسة !! وإن كنا لا نوافقه بالطبع على ذلك ، وبقيام الحرب وتدمير الإنجليز للثورة الشريفية ، وإعلان الحسين نفسه ملكا للعرب تضخم حجمه في نظر نفسه وأولاده ، إذ أصبح قائد النهضة العربية ، والمفاوض المعترف به باسم الأمة العربية ، مما زاد الهوة اتساعا بينه وبين ابن سعود الذي رفض الاعتراف به ملكا

للعرب . نام الملك الحسين فوق أرجوحة العظمة التي نسجها له مكماهون ومكتب الشئون العربية في دار المندوب السامي البريطاني بالقاهرة ، وراح يهزها له لورانس وهوجارت والموظفون الإنجليز في جدة »[1] .

ولم يقبل ابن سعود والدولة السعودية هذه الخيانة من الشريف حسين ورفض أن يكون ممثلا لهم في شيء . وأراد أن يتقي شره بترسيم الحدود مع الحجاز ، ولكنه أبى واستكبر ، ولو كان حكيما لفعل ، ولو قبل الشريف حسين من ابن سعود ما طلب لتغير تاريخ الجزيرة ، ولكنه كان يفكر في أمر واحد وهدف رئيسي هو تدمير الدولة السعودية ، ولم يكن يدري أنه يسعى جاهدا لتدمير دولته هو ، على حد تعبير فيلبي ، وهو ما أثبتته الحوادث والوقائع بعد ذلك .

المسلمون في العالم يستنكرون ما فعله الشريف حسين :

ويقول محمد أسد في كتابه « الطريق إلى مكة » :

« وكان الرأي العام الإسلامي غير راض عن الدور الذي لعبه الأشراف في الثورة التي قام بها الملك حسين بوحي من الإنجليز ضد الأتراك ، واعتبروها خيانة من قبل المسلمين لإخوانهم في الدين ، أما العرب في إفريقيا والمحميات ، فكانوا مع الأتراك بعواطفهم ، نكاية في محتليهم الإنجليز والفرنسيين ، وكان لهم من تجاربهم المريرة مع هؤلاء الأوروبيين ما يحميهم أو يغنيهم عن تجربة وعودهم . ومن ثم فقد رأوا في موقف الحسين عمالة للمستعمرين ، وطعنة للآمال التي علقوها على الحرب العالمية ، كفرصة

(1) العرش الأردني بين الخيانة العربية الكبرى والتآمر مع صدام حسين . الأستاذ محمد العباسي « الزهراء للإعلام العربي » الطبعة الأولى 1990 ص 22 .

لإضعاف المستبدين بأوطانهم الإنجليز والفرنسيين والطليان . ومسلمو مصر والسودان لم تكن لديهم عقد خاصة تجعلهم يفضلون الاستعمار البريطاني أو الفرنسي على الأتراك .

وكان من المستحيل على هؤلاء العرب الانضمام لثورة يقودها الإنجليز والفرنسيون وتنفق عليها بريطانيا أكثر من مليوني جنيه لتحرير العرب ! لذلك كان المناخ العام يعادي الملك حسين ويتهم ثورته بأنها مؤامرة استعمارية ، فلما تتابعت الأحداث ، ونشر البلاشفة مشروع سايكس - بيكو ، ثم صدر وعد بلفور ، وسمعوا جورج الخامس يتحدث عن « تحرير فلسطين » فيصفه بأنه « الحملة الصليبية الأخيرة » ، واللنبي يصف انتزاع القدس من المسلمين ، بأنه هدية الكريسماس للعالم المسيحي ، ويرون أن أمجد أعمال « الثورة العربية » هو نسف الخط الحديدي ، الذي كانت إقامته مظاهرة إسلامية ، إذ تبرع لإنشائه المسلمون من جميع أنحاء العالم ، فكان أول وآخر عمل « إسلامي » ، وظل فلاحو الأناضول البؤساء يعملون ليل نهار في حر الصحراء القاتل بالنسبة لهم ، فضلا عن القتل والنهب والسلب وغير ذلك ، مما يمارسه البدو في غاراتهم ، ضد هؤلاء الأتراك ، الذين رغم هذه الأهوال ، أنجزوا المعجزة ، وربطوا المدينة المنورة بالشام ، وسهلوا طريق الحج ، فإذا بالعرب يقودهم ضباط إنجليز ينسفون الخط ، ويفتخرون بذلك ، ومن هنا كانت صيحة « عرب خيانات » التي استغلها أتاتورك بعد ذلك لقطع كل صلة بالعرب والدين الإسلامي » .

فلا المسلمون ولا العرب صدقوا أن هذه ثورتهم ، ومن الناحية الأخرى ، لم يكن الإنجليز عندما دبروا الثورة يشغل بالهم موقف المسيحيين العرب ، أو يهتمون كثيرا بكسبهم ، بل كان كل همهم ، تضليل المسلمين الهنود ، بإعطاء زعمائهم المتعاونين عذرا يبررون به القتال ضد دعوة الجهاد العثمانية .

مطلوب قائد مسلم لثورة لحساب الإنجليز :

وقد لخص فيلبي القضية بقوله :

« عندما أعلن سلطان تركيا الجهاد ضدنا ، اضطررنا مراعاة لملايين الهنود المسلمين من رعايانا ، إلى إيجاد قائد مسلم معترف به ليعلن الثورة لحسابنا ضد الأتراك » .

وهكذا كانت ألقاب الشريف ومنصبه خامة استطاع الإنجليز تطويرها ، فهو شريف هاشمي ووالي مكة المكرمة ، وهي العناصر التي تجذب غير العربي ، وكذلك جاء منشور الثورة إسلاميا كاملا من ناحية الصياغة والشعارات ، ويحتج على سلب سلطات السلطان ومخالفة الحاكمين الأتراك لأحكام القرآن[1] .

قبض الريح هو نتيجة الثورة :

انتهت الثورة العربية الكبرى نهاية درامية مؤثرة تبعث الأسى والتفكر . ولو أن أصحابها أو ورثتها ظنوا أنهم حازوا كل شيء ، فإنهم فقدوا الكرامة والكبرياء والإحساس بالوطن ، وكانوا في نظر الناس من المفرطين في أمور دينهم وقومهم . وصار الدفاع عنهم من أصعب الأشياء ، ولا يستطيع صاحب فكر أو رأي أن يمضي طويلا في هذا المجال . ومن يفعل فكأنما يريد أن يقنع الناس بجمال القبح أو بحكمة السفيه أو بحق الظالم ، وكلامه لا ينطلي على أحد من أهل النظر ، وهو يكلف الأشياء ضد طباعها .

شرّق أصحاب الثورة العربية الكبرى وغربوا . أرادوا أن يوحدوا العرب ففرقوهم بعد أن كانوا متحدين . وضعوا القومية العرية في مواجهة

---

(1) المصدر السابق ص 25 .

الإسلام . وتجرءوا على الخلافة وأهانوها وقضوا عليها .

أخرجوا إلى الوجود اتفاق سايكس - بيكو الذي قسمت به بلاد العرب إلى دول وشعوب .

كانوا سببا مشجعا لإصدار وعد بلفور الذي بدأت به قصة إسرائيل .

تناثروا كالقردة على عروش الشام والعراق وأفسدوا الناس وعلموهم أخذ ثمن العمالة من اليهود وكانوا أكبر عون للصهيونية وأفهموا العالم أنه يمكن زرع إسرائيل في هذه الرقعة من الأرض ، وأن العرب يمكنهم تقبل مثل هذا الأمر ، وكانوا من قبل يشكون فيه !! جعلوا وحدة العرب حلما بعيد المنال ، عبَّر عنه لورنس ضابط المخابرات البريطاني الشهير بقولته الشهيرة : « لا أمل في وحدة عربية لا في الحاضر ولا في المستقبل » .

سنوا سنة سيئة وزرها كبير ، فقد كانوا ملوكا ويتقاضون رواتب من المخابرات الأجنبية ، ويتشكون طلبا في العلاوة وزيادة للمخصصات . ومنهم من قدم استقالة مكتوبة إلى وزارة الخارجية البريطانية ، واحتج عليه المسئولون وأخبروه أنه ملك العرب وعليه أن يعرض الأمر على شعبه ، فقال لهم : أنا لا أعرف غيركم .

عينوا فيصل ملكا على سوريا . ثم اتفقت إنجلترا وفرنسا على تقسيم بلاد العرب بينهما وكانت سوريا من نصيب فرنسا ، فأخذوا فيصل من دمشق إلى بغداد ونصبوه ملكا على العراق . وكان رحمه الله دنيء النفس ، فلم يشعر بغضاضة أو بمهانة وذهب معهم إلى هناك ، وأعدوا له احتفالا بتنصيبه على منصة تستخدم لتنفيذ حكم الإعدام ، وحضر الاحتفال مجموعة من الضباط البريطانيين ، ووقف الناس ينظرون من بعيد ولا يفهمون ما يدور .
وأخذ عبد الله الأمير ما تبقى من جيش فيصل واتجه إلى سوريا ، وعلى

حدودها نصبوه أميرا على ما سمي بشرق الأردن بعد أن أجروا عليه كشفا للهيئة كما يقول البعض ، فقد استدعاه تشرشل إلى لندن وعاد من بعدها أميرا .

كان الناس ينظرون إلى الشريف حسين على أنه الذي خان الأمة وفرّط في الأمانة ، وقد تناولت الصحف هذا الموضوع في كل أرجاء العالم الإسلامي . وأراد الرجل أن يحسن من صورته أمام الجماهير ، وكانوا قد أطلقوا عليه ملك العرب ، وعندما زار عمان عام 1924 هتف له بعض الزعران « عاش ملك العرب ، عاش المنقذ الأعظم » .

وصدق الرجل أنه مؤهل للخلافة ، ووجد من بايعه بها بين سخط العالم الإسلامي وغضبه .

ذهب أبناء الحسين الشرفاء في خدمة اليهود والإنجليز شأوا عظيما كما ظنوا ، وصار واحد من أبنائه أميرا على شرق الأردن ، والآخر ملكا على العراق ، بعد أن قضى فترة للتدريب بدمشق .

عزل الشريف حسين وطرده من مكة :

وكان الشريف حسين قد أنهى دوره في خدمة الإنجليز ، ولم يعودوا في حاجة إليه ، وكان الإنجليز يريدون استرضاء العالم الإسلامي فأوحوا إلى أبنائه بالتقدم بعريضة يوقع عليها عدد من الأشراف يطلبون فيها عزل الشريف حسين خليفة المسلمين عن إمارة مكة ، وتعيين ابنه علي بدلا منه . ووقع الأمير عبد الله على هذه الوثيقة . وكان الشريف حسين قد قدَّم استقالته من قبل للمعتمد البريطاني الذي اندهش منها وأخبره أنه يحكم دولة مستقلة ذات سيادة ، ولكنه لم يفهم .

وأثناء ما كان الإنجليز يهيئون تنازله وعزله أرسل الأمير عبد الله لإخوته

يعرض عليهم الموافقة على اقتطاع العقبة ومعان من أرض الحجاز نظير مبلغ كبير من المال ، ويضمن لهم أن يساعدهم الإنجليز ضد ابن سعود ويحتفظون بملك الحجاز .

الخروج بطريقة مهينة :

خرج الشريف حسين بليل على البارجة دلهي من ممتلكات التاج البريطاني منفيا إلى قبرص وصحب معه حفيده الأمير طلال ، وأخرجوه بطريقة مهينة مؤسية ، فطلب التأخر يومين فرفضوا ، وقال أذهب إلى حيفا بدلا من قبرص فقالوا لا ، وأراد أن يستقل يخته الخاص به ، ولكنهم لم يوافقوه .

وأنزلوه بمنزل متواضع لا يليق بأمير ، وألحقوا حفيده بوظيفة نائب حاكم قبرص حتى يؤهلوه للعرش بعد ذلك . وأساءوا معاملته دون قصد ، وضيقوا عليه في حياته عن غير عمد .

وكان المرتب الذي يتقاضاه كل شهر لا يكفي ثمن الغذاء والدواء كما روى الملك طلال في مذكراته عن تلك الفترة .

وكانوا يقترضون من بعض الأثرياء العرب الذين يمرون بقبرص ، فكانوا يعطونهم مرة ويمنعونهم مرات .

وكان يرسل الاسترحامات إلى الإنجليز ليزيدوا من راتبه فلا يردون عليه ، فهو موظف على المعاش ويتقاضى معاشه الذي قرر له ولا يزيدون على ذلك دانقا واحدا .

وهكذا تحول الثوار الذين ضربوا الإسلام بالعروبة إلى موظفين في وزارة الخارجية البريطانية .

ملك معزول .

وآخر أمير على شرق الأردن .

وثالث يثب كالقرد فوق العروش ، فهو ملك لسوريا تارة وملك للعراق تارة أخرى .

وكان منهم من ينتظر دوره أو فرصته في العرش ، أو في أي عرش !

أولاد الشريف حسين يهربون من مساعدته :

وأرسل الحسين الشريف حفيده إلى أولاده الملوك يسألهم شيئا من المال فردوه ردا قبيحا .

ورفض الأمير عبد الله أن يقدم لولده ما يساعد به أباه . حتى إنه نهره نهرا شديدا عندما أخبره أنه لا يملك أجرة الرجوع .

واقترض طلال مبلغا من المال من بعض من يعرف ، وواصل السفر إلى بغداد حيث لقي الملوك الثلاثة من أبناء الشريف حسين : الملك فيصل والملك علي والملك غازي ، وكان وقتها أميرا .

والعجيب أنهم رفضوا مساعدة الشيخ الخائن في مرضه وعزلته وندمه .

وعاد طلال خاوي الوفاض ، وجلس هو وجده في الميناء يتحسسون أخبار القادمين فلعلهما يجدان من يقرضهما ، وظل على هذا الحال حتى مات .

هذه هي شجرة أسرة الملك حسين ملك الأردن صاحب الكتاب الأبيض والعمل الأسود في أزمة الخليج .

رسائل الحسين - مكماهون



الفصل الثالث

رسائل الحسين - مكماهون

الوثيقة الأولى

من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون .

مكة في 28 رمضان سنة 1333 الموافق 14 يوليو - تموز 1915 .

بسم الله الرحمن الرحيم

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر سلمه الله .

أقدم لجنابكم العزيز أحسن تحياتي الودية واحتراماتي ، وأرجو أن تعملوا كل ما في وسعكم لتنفيذ المذكرة المرسلة إليكم طيه ، المتضمنة الشروط المقترحة المتعلقة بالقضية العربية .

وأود بهذه المناسبة أن أصرح لحضرتكم ولحكومتكم أنه ليس هناك حاجة لأن تشغلوا أفكاركم بآراء الشعب هنا ، لأنه بأجمعه ميَّال إلى حكومتكم بحكم المصالح المشتركة .

ثم يجب ألا تتعبوا أنفسكم بإرسال الطيارات أورجال الحرب لإلقاء المناشير وإذاعة الشائعات ، كما كنتم تفعلون من قبل ، لأن القضية قد قررت الآن . وإني لأرجوكم هنا أن تفسحوا المجال أمام الحكومة المصرية لترسل الهدايا المعروفة من الحنطة للأراضي المقدسة « مكة والمدينة » التي أوقف إرسالها من العام الماضي .

وأود أن ألفت نظركم إلى أن إرسال هدايا هذا العام ، والعام الفائت سيكون له أثر فعال في توطيد مصالحنا المشتركة ، وأعتقد أن هذا يكفي لإقناع رجل ذكي مثلك ، أطال الله بقاءكم .

حاشية :

أرجو ألا تزعجوا أنفسكم بإرسال أية رسالة ، قبل أن تروا نتائج أعمالنا هنا ، خلا الجواب على مذكرتنا وما تتضمنه .

ونرجو أن يكون هذا الجواب بواسطة رسولنا كما نرجو أن تعطوه بطاقة منكم ليسهل عليه الوصول إليكم عندما نجد حاجة لذلك .

المذكرة

لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا في الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم .

ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول إلى أمانيهم المشروعة ، وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم ، وكرامتهم وحياتهم .

ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى بالنظر لمركزها الجغرافي ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا . إنه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أنه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبيها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية الآتية :

أولا : أن تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين – أدنه حتى

الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ، - ومن البحر الأحمر ، والبحر الأبيض حتى سيناء غربا .

على أن توافق إنجلترا أيضا على إعلان خليفة عربي على المسليمن[1] .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية ، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

ثالثا : تتعاون الحكومتان الإنجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين وذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتأمينا لأفضلية إنجلترا الاقتصادية فيها . على أن يكون هذا التعاون في كل شيء ، في القوة العسكرية والبحرية والجوية .

رابعا : إذا تعدى أحد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك وقتال فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد . على أن هذا الفريق المعتدي إذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معا وأن يتفقا على الشروط .

خامسا : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة . وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق والحمد لله على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبا أو إيجابا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح .

---

(1) يا لضيعة الأئمة من قريش !!

وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فإنه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء.

وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا – إذا لم يصل الجواب – أحرارا في القول والعمل من كل التصريحات، والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي أفندي.

تذييل:

هناك وعود سابقة لم تذكر في الرسالة قدمها الشريف حسين بواسطة علي أفندي، وهي وعود بتقديم الخدمة والمبالغة في العمالة للإنجليز، وهم يهددون، أقصد أن الشريف حسين يهدد بأنه سيصير حرا في عدم تنفيذها إذا لم يأته جواب إيجابي عن مقترحاته التي سبق أن بحثت مع خبراء السياسة الإنجليزية قبل أن تصاغ.

بلد فقير يتوسل إلى السير هنري مكماهون أن يسمح للحكومة المصرية بأن تقوم بإرسال الحنطة والهدايا كما كان الحال في العام الماضي، ما الذي يمكن أن يقدم للإمبراطورية البريطانية غير استخدام اسمه كشخصية دينية، يمكنها أن تقف في وجه الخلافة العثمانية ؟!

شريف لمكة يتقدم بطلب إلى وزارة الخارجية البريطانية عن طريق ممثلها في القاهرة أن يعينوه في وظيفة خليفة عربي للمسلمين، وهو يلوح لهم بمزايا هذا التعيين، كأنه يريد أن يقول إنهم يستطيعون أن يضعوا جميع المسلمين في سلة واحدة هي الشريف حسين، وأن توضع هذه السلة تحت مكتب السير هنري مكماهون في القاهرة، أو في أي مكان يذهب إليه.

خلافة عربية إسلامية تابعة للتاج البريطاني !! وخليفة لا يقدر على شيء مما كسب، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير !!

الوثيقة الثانية

رسالة السير هنري مكماهون الأولى إلى الشريف حسين .

القاهرة في 19 شوال سنة 1333 هـ الموافق 30 أغسطس – آب 1915 م .

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والمكانة السامية ، السيد ابن السيد ، والشريف ابن الشريف ، السيد الجليل المبجل ، دولتلو الشريف حسين ، سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة ، قبلة العالمين ، ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لإظهاركم عاطفة الإخلاص وشرف الشعور والإحساسات نحو الإنجليز . وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد . وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنجليز . والعكس بالعكس .

ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي ، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها ، مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها .

وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها ، وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة ، التي ليس أعظم منها – وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مدَّ يد المساعدة إلى الألمان – نعم مدَّ يد المساعدة لذلك السَّلاب النهاب الجديد وهو الألمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك .

مع ذلك فأنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم ، وفي المكان الذي تعينونه . وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ، ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

المخلص

تحريرا في 19 شوال 1333 هـ	السير آرثر ماكماهون
الموافق 30 أغسطس 1915	نائب جلالة الملك

تـذيـل :

إني أتصور السير هنري مكماهون واللورد كتشنر وهما يموتان على نفسيهما من الضحك عندما يتولى أحدهم ترجمة مضمون هذه الرسالة العجيبة والمفروض أنها قد كتبت باسم السير هنري . وكأنها قد كتبت لشخص متخلف عقليا وينبغي أن يعامل معاملة الأطفال بتوصية من اختصاصي نفساني .

يبدأ كاتب السير هنري مكماهون بألقاب لا أول لها ولا آخر يصف بها الشريف حسين ، وهي ألقاب لا معنى لها ولا طائل من ورائها . وأخذت أكبر حجم من الرسالة . أما المفيد منها فهو يرسل الحبوب والصدقات إلى الشريف حسين . ومسألة الحدود والاستقلال لها حدود وليس هذا موعد الحديث فيها ، والمطلوب من الشريف حسين أن يسير وراء بريطانيا ، وأن الحكومة البريطانية وعلى رأسها جلالة ملك بريطانيا العظمى يباركون خلافة إسلامية جديدة على أن تكون من الدوحة النبوية المباركة .

كلام لا يكتب إلا إلى مجانين !! والرسالة ليس فيها أي كلام مفيد غير موضوع الحنطة والصدقات !! وهم يحثونه ويدفعونه وينفخون في روحه العظمة والشموخ وأن يظن بنفسه أنه سيد العرب وملكهم كما ادعى بعد ذلك .

الوثيقة الثالثة

من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون .

مكة في 29 شوال سنة 1333 هـ الموافق 9 سبتمبر – إيلول سنة 1915 .

بسم الله الرحمن الرحيم

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر ، سلمه الله .

بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في 19 شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الأساسية . أعني نقطة الحدود .

وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم إخلاصنا نحو بريطانيا العظمى . واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشئون وفي أي شكل ، وفي أية ظروف ، ويجب أن أؤكد لكم أيضا أن مصالح أتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم .

ويعذرني فخامة المندوب إذا قلت بصراحة إن « البرودة » و « التردد » هما اللذان ضمنهما كتابه فيما يتعلق بالحدود وقوله إن البحث في هذه الشئون إنما هو إضاعة للوقت ، وإن تلك الأراضي لا تزال بيد الحكومة التي تحكمها .

ويعذرني فخامته إذا قلت إن هذا كله يدل على عدم الرضا ، أو على النفور أو على شيء من هذا القبيل .

فإن هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من إرضائه ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد .

وهذا ما جعل الشعب يعتقد أنه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ، ويعلقون عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى .

وإذا أجمع هؤلاء على ذلك فإنما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك ، وهم يرون أنه من الضروري جدا أن يتم تنظيم الأراضي المجزأة ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم كي لا تعارضهم إنجلترا أو إحدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي إلى نتيجة معاكسة ، الأمر الذي حرمه الله .

وفوق هذا فإن العرب لم يطلبوا – في تلك الحدود – مناطق يقطنها شعب أجنبي بل هي عبارة عن كلمات وألقاب يطلقونها عليها .

أما الخلافة فإن الله يرضى عنها ، ويسر الناس بها .

وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة ، أنكم لا تشكون قط بأني لست أنا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب بأسره ، يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية .

أو ليس هذا صحيحا يا فخامة الوزير ؟

وباختصار فإننا ثابتون في إخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع سواء أكنتم راضين عنا – كما قيل – أم غاضبين .

أما ما يتعلق في قولكم بأن قسما من شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الأتراك ، فلا أظن أن هذا يبرر « البرودة » و « التردد » اللذين شعرت بهما في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود ، الموضوع الذي لا أعتقد أن رجلا مثلكم ثاقب الرأي ينكر أنه ضروري لحياتنا الأدبية والمادية .

وأنا حتى الساعة لأزال أنفذ ما تأمر به الديانة الإسلامية في كل عمل أقوم به ، وأراه مفيدا وصالحا لبقية المملكة ، وإني سأستمر في هذا إلى أن يأمر الله في غير ذلك .

وأود هنا ياصاحب الفخامة أن أؤكد لكم بصراحة أن كل الشعب – ومن جملته هؤلاء الذين تقولون إنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا – ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم بشأن قضية الحدود وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمايتهم من كل أذى أو خطر .

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقا لسياستها في هذا الموضوع ، فما عليها إلا أن تعلمنا به ، وأن تدلنا على الطريق التي نسلكها .

ولذلك نرى أن من واجبنا أن نؤكد لكم أننا سنطلب إليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست أرى هنا أن ألفت نظركم إلى أن خطتنا هي آمن على مصالح إنجلترا من خطة إنجلترا على مصالحنا ، ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها .

وفوق هذا فإن الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطرونا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة ، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة .

وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة . وأنا أصرح بهذا رغم أني أعتقد وأؤمن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم .

ويستطيع معالي الوزير وحكومته أن يثقا كل الثقة بأننا لا نزال عند قولنا وعزيمتنا وتعهداتنا التي عرفها المستر ستورز منذ عامين .

ونحن ننتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا ، وخاصة فيما يتعلق بالحركة التي أضحت قريبة ، والتي يدفعها إلينا القدر بسرعة ووضوح ، لنكون حجة - نحن والذين يرون رأينا - في العمل ضد تركيا ، ودون أن نتعرض للوم والنقد .

وأعتقد أن قولكم « بأن بريطانيا لا تحثكم ولا تدفعكم للإسراع في حركتكم مخافة أن يؤدي هذا التسرع إلى تصديع نجاحكم » لا يحتاج إلى إيضاح ، إلا فيما يتعلق بمطالبكم بالأسلحة والذخائر عند الحاجة .

أعتقد الآن أن في هذا الكفاية .

تذييل :

يتوسل الشريف حسين لمكماهون أن يرضى عنه ، ويقسم له بأغلظ الأيمان أنه حليف مخلص ، وأنه يفكر في مصالح بريطانيا أكثر منهم . ويتعجب من سبب عدم رضاء الإنجليز عنه رغم استماتته في تحقيق ما يريدون ، وهو يطلب منه أن يحدد لهم ماذا يريدون منهم وأنهم سوف يستجيبون فورا ودون أي تأخير من أنهم سينفذون ما تطلبه بريطانيا دون تردد . فهو يقدم لهم الاقتراحات ، ويقبل منهم رفضهاويطلب أوامرهم . وهو يتحسس كلامه ، ويختار ما يظن أنه لا يغضب الوزير . وهو يطلب مباركة الحكومة البريطانية لفكرة الخلافة الإسلامية ، وألا يعترضوا على

تنصيبه أميرا للمؤمنين !! ويدعي أنه يمثل العرب ويتكلم نيابة عنهم ، وهو لا يتكلم إلا عن نفسه وأولاده وبعض التجار والأعيان المقيمين في جدة ومكة . وواضح أن الرسالة تشير إلى حوار لم يكتب في رسالة مكماهون السابقة ، وأن مكماهون يطلب منه التريث وعدم التسرع رغم أنه يضمر غير هذا ، ولكنه يعرف كيف يتصرف مع ذلك البدوي المسكين الذي لا يفهم في السياسة ولا يرضى منه بغير التسليم المطلق دون مناقشة .

الوثيقة الرابعة

رسالة السير هنري مكماهون الثانية إلى الشريف حسين .

القاهرة في 15 ذي الحجة سنة 1333 هـ الموافق 24 أكتوبر - تشرين أول 1915 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء ، جعله الله حرزا منيعا للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين .

وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ 29 شوال سنة 1333 هـ وبه عبارتكم الودية المحضة وإخلاصكم ما أورثني رضاء وسرورا .

إني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي قط ولكنني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، لذا فإني أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم ، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا أشك في أنكم تنزلونها منزلة الرضا والقبول .

إن ولايتي مرسين وإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة

الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة . وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء الحرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الأقاليم التي تضمنها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي :

1 - أنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

2 - إن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

3 - وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العرب بنصائحها ، وتساعدهم على وجود هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة .

4 - هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها . وأن المستشارين والموظفين الأوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قومية يكونون من الإنجليز .

5 - أما من خصوص ولايتي البصرة وبغداد فإن العرب تعترف أن مراكز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة .

وإني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب ، وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب ،

وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال .

وقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وإن كانت هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل .

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضا خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة ، وأنها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحكمة قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة . ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم .

إني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف ابن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي من الدرجة الثانية من الأهمية ، ولم أذكرها في كتابي هذا .

وفي الختام أبث دولة الشريف ذي الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي ، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم وصالح الشعوب . إن بيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف يشاء . ونسأله تعالى حسن الختام والسلام .

نائب جلالة الملك

السير آرثر مكماهون

تحريرا في يوم الاثنين 15 ذي الحجة 1333 هـ

تذييل :

لم تكن جبهة قناة السويس حتى ذلك التاريخ قد تعرضت لضغط الجيوش التركية ، ولا بأس من الكلام المعسول الذي يبدأ بالألقاب الفخيمة العظيمة والتي يسر من أجلها الشريف حسين كثيرا .

وهو يؤكد مرة أخرى أن الوقت غير ملائم لمناقشة كل شيء . لا بأس من استقلالكم عن تركيا ، وأن تكونوا تابعين لنا ندير لكم بلادكم ، ونرسل إليكم الموظفين وأهل الإدارة ، وألا تخرجوا عن إرادتنا قيد أنملة . وسوف يكون هناك حلف أبدي معكم .

كل ما هو مطلوب منكم أيها العرب أن تحاربوا الأتراك وأن تطعنوهم في ظهورهم وتعملوا معنا للقضاء عليهم . وبعدها سوف نبصر ماذا تريدون أو ماذا يصلحكم .

فأنتم يا عائلة الشريف حسين من كنا نبحث عنهم للوصول بنفوذنا إلى أرض العرب ، ولكم الحمد والمنة فأنتم تجعلون لنا سلطانا على كل بلادكم .

هناك ما نتكلم فيه الآن ، وهناك ما نؤجل الكلام فيه أيها الشريف حسين . المهم أن تحسنوا الطاعة . والتوقيع هنري مكماهون .

الوثيقة الخامسة

رسالة الشريف حسين الثالثة إلى السير هنري مكماهون .

مكة في 24 ذي الحجة سنة 1333 م الموافق 5 نوفمبر – تشرين الثاني 1915 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالي الشهم الهمام ذي الأصالة والرياسة الوزير الخطير وفقه الله لمرضاته . بملء الإيناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر وأحللناه محل التبجيل وعلى مؤداه نجيب الشهامة :

أولاً : تسهيلا للوفاق وخدمة للإسلامية فرارا مما يكلفها المشاق والإحن ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأضنة في أقسام المملكة العربية ، وأما ولايتا حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة ، ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما ابنا جد واحد ، ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ، ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لأنفسهم بقوله : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به .

ثانيا : حيث إن الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة ،

بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده ، وبها قامت مدنية العرب ، وأول ما اختطوها من المدن والأمصار ، واستفحلت دولهم ، فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة ، والآثار التي لا تنسى ، فلا يمكننا إرضاء الأمة العربية وإرضاخها لترك ذلك الشرف . ولكن تسهيلا للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم إليها في المادة الخامسة من رقيمكم آنف الذكر محفوظها وصيانتها من طبعه ، وضرورة ما نحن فيه ، وحيازة ما نريد التوصل إليه ، فإن أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا بصورة كأنها الجوهر الفرد يمكننا الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الإشغال البريطاني إلى مدة يسيرة ، والبحث فيما يقبل على قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل ، سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية الحياتية ، وأن يدفع للمملكة العربية في مدة الإشغال المقدار المناسب من المال لضرورة ترتبه كل مملكة حديثة الوجود . مع احترامنا لوفاقاتكم المشار إليها مع مشايخ تلك الجهات وبالأخص ما كان منها جوهريا .

ثالثا : رغبتكم في الإسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر ما نرى فيه من المحاذير ، أوله خشية لوم الإسلامية ، كما سبق الجاهل عن حقائق الحالة بأننا شققنا عصاها وأبدنا قواها . الثاني المقام تركيا معاضدتها جميع معاني قوى جرمانيا لجهلنا عما إذا حصل وهن إحدى دول الائتلاف وواجبها على صلح دول الاتفاق ، فكيف تكون خطة بريطانيا العظمى وحلفائها لئلا تكون الأمة العربية أمام تركيا وحلفائها معا إذ لا يهمنا ما إذا كنا والعثمانية رأسا لرأس . وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه ، ولاسيما عقد صلح اشتركنا في حربه بصورة غير رسمية يخول للمتصالحين البحث فيه عن شئوننا .

رابعا : إن الأمة العربية تعتقد يقينا أن العثمانية عند وضع أوزار الحرب سيوجهون كل أعمالهم فيما يغضب العرب ويغتصب حقوقهم المادية والمعنوية ، وذهاب شعارهم وأحسابهم وإخضاعهم بكل معاني الإخضاع مع بقائها تحت النفوذ الألماني ، فهم عازمون على حربهم حتى لا تبقى لنا باقية ، وما يرى فينا الآن من التأني سبق بيان علته .

خامسا : متى علمت العرب أن حكومة بريطانيا حلفاؤهم لا يتركونهم عند الصلح على حالهم أمام تركيا وجرمانيا ، وأنهم يدافعون عنهم ويعاضدونهم ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي ، فالدخول في الحرب من الساعة لاشك أنه مما يوافق المصالح العربية .

سادسا : إفادتنا السابقة الصادرة بتاريخ 29 شوال 1333 هـ تغني عن إعادة القول في المادة الثالثة والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصوصات الهيئات الحاكمة والمشاورين والموظفين ، سيما وقد صرحتم يا حضرة الشهم بأنكم لا تتدخلون في الأمور الداخلية .

سابعا : وصول الجواب الصريح القطعي في أقرب زمن على ذكر أعلاه من الطلبات إذ إنا استعملنا كل ما يقربنا إليكم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة جوهرية ، فإنا نعلم أن نصيبنا من هذه الحروب إما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم أو الاضمحلال في سبيلها . ولولا ما رأيتم ورأيت ما في عزمهم لاخترت العزلة في شواهن السراة ، ولكن أبوا علي يا عزيزي - أعزك الباري بمرضاته إلا أن يقودني إلى هذه المواقف .

ودم غانما سالما بما تحبه وتريده .

وحرر في 27 من ذي الحجة 1333 هـ .

التوقيع

المذلة والمهانة في مخاطبة السير هنري مكماهون . والتوسل أن يوافق عليه خليفة للمسلمين ، وبذل الجهد لإقناع الشعوب الإسلامية الواقعة في فلك الاستعمار البريطاني بالموافقة على هذا الأبله خليفة للمسلمين .

التنازل السريع عن أضنة ومرسين فغاية ما يريده إقراره حاكما على أي إقليم ، ولو أطلقوا عليه لقب أمير المؤمنين ، وهو ما لا يقبله الإنجليز ، لكان هذا غاية المراد من رب العباد .

وهو يخادع الإنجليز من أجل السيطرة على أقاليم واسعة في الشام والعراق وجزيرة العرب ويكون خليفة وأميرا للمؤمنين يحكم بالقانون الإنجليزي ، وينحي القرآن والسنة جانبا . ويؤكد عليهم أن المسيحيين كالمسلمين في نظام حكمه الجديد ، وهم أبناء أب واحد ، وقد أوصى بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يتمسك بولايتي حلب وبيروت .

وهو يطلب إيجارا للبلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية ، ويعرض على السير هنري مكماهون تأجير البلاد العربية لأية فترة يحددونها على أن يدفعوا قيمة هذا الإيجار ليمكنه الإنفاق على دولة الخلافة المزمع إنشاؤها .

وهو يوافق السير هنري مكماهون ولا يستطيع التدخل في اتصالاته مع مشايخ العرب ورؤساء العشائر في بادية الشام والعراق ، وهو يقر الحكومة البريطانية فيما تفعل ولا يستطيع التدخل .

وهو يستعجل الدخول في حرب مع الأتراك بشكل رسمي ومعلن حتى يكون له الحق في حضور مؤتمر الصلح بعد الحرب .

وهو يذكر الإنجليز ألا يتركوهم وحدهم للعقاب أمام تركيا بعد انتهاء الحرب ، بل عليهم أن يؤازروهم ويدافعوا عنهم .

كان الشريف حسين مسنا ومتهاونا في مصالح بلاده وأمته !

الوثيقة السادسة

رسالة السير هنري مكماهون الثالثة إلى الشريف حسين .

القاهرة في 9 صفر سنة 1334 هـ الموافق ديسمبر - كانون أول 1915 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الأصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين . أدامه الله في رفعة وعلاء .

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ 24 ذي الحجة 1333 وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية .

وقد تلقيت أيضا بمزيد من السرور والرضا تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الأولين ، التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء .

هذا ، وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين ، يعلم منه طبعا أن هذا يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية ، لأن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء .

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ، ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت

مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق – وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم ، مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا أدق وأتم مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات . وإننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ، ولكنا في الوقت نفسه ، نرى من الضروري جدا أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن تحثوهم على ألا يمدوا يد المساعدة إلى أعدائنا بأي وجه كان . فإنهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل وتتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته .

وفي هذه الأحوال فإننا حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك .

هذا وعربون على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإني مرسل مع رسولكم عشرين ألف جنيه .

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات الودية ، مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ، ولأفراد أسرتكم المكرمة .

مع فائق الاحترام .

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

تحريرا في 9 صفر 1334 السير آرثر هنري مكماهون

تـذييل :

أهم ما في رسالة السير هنري مكماهون الثالثة هو مبلغ العشرين ألف جنيه التي أرسلها مع الرسول !! وهي كجهيزة تقطع قول كل خطيب !! وهذا بداية ظهور المال في المكاتبات الرسمية . ولم يشر الشريف حسين في رسالته السابقة إلى هذا ، أو ربما أسر رسوله بمطالب أمير مكة شفاهة إلى بعض الموظفين ، فأخذها السير هنري في اعتباره .

لم يقدم السير هنري جوابا شافيا بخصوص ولايتي حلب وبيروت بل أكد له أن الحكومة البريطانية قد أخذت الموضوع في اعتبارها ودونته بعناية شديدة على حد تعبيره .

يحرضه تحريضا واضحا أن يجري اتصالاته مع رؤساء البلاد العربية ليقدم الخدمة اللازمة للقضايا البريطانية ، فقد كان الشريف حسين صاحب اسم في ذلك الوقت ، وهو شخصية دينية ولم تكن خياناته للعرب والمسلمين قد ظهرت بعد بوضوح . وكان المطلوب استغلال اسمه ومكانته إلى أقصى حد ممكن .

الوثيقة السابعة

رسالة الشريف حسين الرابعة إلى السير هنري مكماهون .

مكة في 25 صفر 1334 هـ الموافق 1 يناير - كانون ثاني 1916 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الوزير الخطير الشهم الهمام .

بأنامل الإبجال والتوقير تلقينا رقيمكم 9 صفر الجاري برفق حاملهم ، وعلمت مضمونيها ، وأدخل علينا من الانشراح والارتياح مالامزيد لإزالتهما ما يختلج بصدري ، إلا وهو وقوف حضرتك بعد وصول أحمد شريف وحظوته بالجناب ، بأن كلما أتينا به في الحال والشان ليس بنا شيء من عواطف شخصية ، أو ما هو في معناها مما لا يعقل ، وإنها قرارات ورغائب أقوام ، وأنّا لسنا إلا مبلغين أو منفذين لها بصفتنا التي ألزمونا بها ، إذ هذا عندي من أهم ما يجب وقوف شهامة الجناب عليه وعلمه به .

أما ما جاء بالمحررات الموقرة فيما يتعلق بالعراق ، من أمر التعويض مدة الإشغال فلزيادة إيضاح ، وقول بريطانيا العظمى بصفاتنا في القول والعمل في المادة والمعنى ، وإعلامها بأكيد اطمئناننا باعتماد حكومتها المفخمة نترك أمر تقدير مبلغه لمدارك حكمتها ونصفتها « !! » .

أما الجهات الشمالية وسواحلها فما كان في الإمكان من تعديل أتينا به في رقيمنا السابق .

هذا ، وما ذاك إلا للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى . وعن هذا الحس والرغبة هما التي ألزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما أنه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا ، واتفاقهما إبان هذه الحروب والنوازل .

إلا أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة أن يتيقنها بأن عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولا أرى لزوما بأن نحيطكم بما في هذا أيضا من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها ، هو أهم وأكبر مما يعود إلينا . وأن لابد من هذا على أي حالة كانت ليتم للعظمة البريطانية أن ترى أخصاءها في البهجة والرونق التي تهتم أن تراهم فيه ، سيما وأن جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات ، التي لا يمكن معها استقرار الحالة ، عدا أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ، ويلجئوننا على حالات جديدة تهم وتشغل بريطانيا بصورة لا تكون بأقل من اشتغالنا الحالي بالنظر لما نعتقده ونتيقنه من اشتراك المنفعة ووحدتها وحدها ، وهي الداعية الوحيدة لعدم التفاتنا لسواكم في المخابرات ، وعليه يستحيل إمكان تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرا من أراضي تلك الجهات . أصبح بهذا مع اعتماد لكل جوارحي ، اعتمادا يرثه الحي منا بعد الميت بتصريحاتكم التي ختمتم بها رقيمكم الموقر .

وعليه فليعتقد جناب الوزير الخطير ، ولتعتقد بريطانيا العظمى ، أنا على العزم الذي أشير إليه ويعلمه منا جناب الأريب الكامل ستورز منذ عامين ، ولا نناظر فيه إلا الفرص المناسبة لأحوالنا ، وأخصها داعيته ووسيلته التي اقترب وقتها مما تسوقه الأقدار إلينا بكل سرعة ووضوح لتكون حجة لنا وعن رأينا على الاعتراضات والمسئوليات المقدرة ، وفي تصريحاتكم بقولكم

« وأنا لسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم » يغني عن زيادة الإيضاح ، ما عدا طلب ما نرى لزومه عند الحاجة من الأسلحة وذخائرها الحربية ، وما هو في معناها .

وأكتفى بهذا القدر عن إشغال شهامتكم بتقديم وافر احتشاماتي وجزيل توقيراتي لمقام المقر الموقر .

وحرر في يوم الخامس والعشرين من صفر الخير 1334 .

التوقيع

تذييل :

أخذت لهجة الشريف حسين شكلا مختلفا بعد استلامه للنقود ، ولو أنه لم يشر إليها في رسالته . ولكننا نلمح ذلك في لهجة التوقير والاحترام الشديد الذي دبجت به الرسالة . والتعبير عن الانشراح والارتياح الشديدين اللذين شعر بهما بعد وصولها .

التأكيد على التحدث باسم العرب جميعا وأنهم الذين وكلوه في الحديث مع بريطانيا العظمى وممثلها السير هنري مكماهون .

والرجل قد تجرد من الحياء ومن الحس القومي والديني في مواضع كثيرة .

فهو يعرض تأجير العراق بأكملها إلى بريطانيا العظمى ، ويترك تحديد قيمة هذا الإيجار لأريحية حكومة جلالة الملك في لندن ، وعدلها وإنصافها ، وهو يقبل القيمة التي يحددونها للإيجار . ولعمري هذه عجيبة من العجائب أن تصدر من مثل هذا الذي يريد أن يكون أميرا للمؤمنين ذلك التصرف الرديء الدنيء . يؤجر إقليما بأكمله لبريطانيا ؟ وما هي ولايته على هذا

الإقليم ؟ وما هي صلته به ؟ لذلك لا نجد عجبا في تصرف ولده عبد الله في أن يؤجر أراضي أخذها عنوة للوكالة اليهودية !!

والشريف حسين يقبل من بريطانيا كل ما تتفق بشأنه مع فرنسا دون أن يفهم الغرض والهدف من ذلك . ولكنه بسذاجته يخوف بريطانيا من فرنسا ، ويلفت نظرها إلى أهمية أن تكون هي المسيطرة على بلاد الخلافة الجديدة المزمع إقامتها .

وهو من باب مصلحة بريطانيا سوف يطالب بعد انتهاء الحرب بما سيغض الطرف عنه أثناءها وهو يقصد بذلك ساحل الشام وولاية بيروت .

وهو يزين لبريطانيا أن ترى دولة قوية للخلافة تابعة للتاج البريطاني ، وأنه ليس هناك من داع لوضع جرثومة للمشاكل في جوار هذه الدولة الجديدة مثل التواجد الفرنسي في بيروت .

وهو يلمح من طرف خفي أن هناك غير الإنجليز من حاولوا استعماله ، وتمت بينه وبينهم مخابرات ، ولكنه آثر الإنجليز على من سواهم .

وهو يوافق على تأجيل الدخول إلى الحرب بشكل علني ورسمي حسب رغبة بريطانيا العظمى حتى تأتيه الإشارة منها فيفعل .

ولكن !!

هو يؤكد على المؤن والذخائر والأموال وما شابه ذلك فهم المصدر الوحيد لأمير المؤمنين الجديد حتى يظل حيا لحين وقت بيعته .

وهو يؤكد مرة أخرى على إخلاصه وولائه وتبعيته الكاملة لبريطانيا وأنها سيدة دول العالمين ، ويحذرها من مغبة التفريط في حقوقها لفرنسا .

الوثيقة الثامنة

رسالة السير هنري مكماهون الرابعة إلى الشريف حسين .

القاهرة في 25 ربيع الأول 1334 هـ ، الموافق 30 يناير - كانون ثان 1916 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقينا بسرور كتابكم المؤرخ في 25 صفر بواسطة رسولكم الموثوق به واطلعنا منه على رسالتكم الشفوية .

وإننا لنقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة ، ونعرف جيدا أنكم تعملون في صالح العرب وأنكم لا ترمون إلى شيء - في عملكم - غير صالحهم وحريتهم .

وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد ، وسنبحث هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين عندما تتم هزيمة الأعداء ، ونصل إلى التسويات السلمية .

أما مايتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى تحالف إنجلترا وفرنسا وسررت جدا بإبداء مثل هذه الرغبة .

وأظنكم تعرفون جيدا أننا مقررون قرارا نهائيا بألا نسمح بأي تدخل - مهما قل شأنه - في اتفاقنا المشترك في إيصال هذه الحروب إلى النور ، ثم متى انتهت الحرب ، فإن صداقة فرنسا وإنجلترا ستقوى وتشتد ، وهما اللتان بذلتا الدماء الإنجليزية والفرنسية جنبا إلى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات .

والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق ، وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة ، فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة ، وهذا التعاون الوطيد ، صداقة دائمة ، تعود على الجميع بالسرور والغبطة .

وقد سررنا جدا للحركة التي تقومون بها لإقناع الشعب بضرورة الانضمام إلى حركتنا والكف عن مساعدة أعدائنا . ونترك لفطنتكم وتقديراتكم الوقت المناسب ، لاتخاذ تدابير أوسع من هذه .

وإنكم ستخبروننا دون شك بواسطة حامل هذه الرسالة عن الطرق التي نستطيع مساعدتكم بها ، ويمكنكم أن تطمئنوا إلى أن جميع طلباتكم سوف تبحث بدقة دائما ، وتعالج بسرعة فائقة .

ولاشك أنكم قد سمعتم أن السيد أحمد الشريف السنوسي قد أعار آذانا صاغية إلى مكائد أعدائنا ، وبادأنا العداء ، ولسوف يحزنكم حتما أن تسمعوا أن بصره قد غشي عن المصالح العربية ، ورمى بثقله مع أعدائنا . إلا أنه وقع الآن ضحية أخاديعه ، وهو يقابل بالعداء حيثما اتجه .

ولعل ذلك يقنعه بخطئه ، ويقوده ثانية إلى جادة العقل ، وسبيل السلام ، رحمة بأتباعه المساكين الذين يقودهم إلى الهلاك . ولسوف يبلغكم رسولكم

الأمين الذي يحمل إليكم هذه المذكرة كافة أخبارنا .

مع فائق الاحترام

المخلص

السير آرثر هنري مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

تحرير في 25 ربيع الأول 1334 هـ

تذييل :

خلت رسالة السير هنري الرابعة من عبارات التبجيل والتفخيم التي حفلت بها الرسائل السابقة ، فلم يعد هناك ما يستدعي هذا بعد تهافت الشريف حسين ، وتعليقه كل آماله على الحكومة البريطانية ، فقد صار يعتمد عليها اعتمادا كاملا . وانتهت الرسالة بتهديد غير مباشر وبضرب المثل لما حدث لأحمد شريف السنوسي ، وهي إشارة لمن يخرج عن أمر بريطانيا .

وفي الرسالة شهادة من السير هنري مكماهون للشريف حسين أنه يعمل من أجل مصلحة العرب والمسلمين !!

وقد وعده خيرا بشأن ولاية بغداد ، ولكن بعد الحرب ، وبطبيعة الحال سوف يبحثون قيمة إيجارها .

وأهمية هذه الرسالة أن السير هنري مكماهون قد سمح للشريف حسين بإعلان الحرب رسميا على دولة الخلافة العثمانية وترك له تقدير الوقت المناسب ، وهو بهذا يدفعه دفعا إلى إعلانها ، فقد كان في رسائله السابقة ينصح بالتريث والانتظار ، وفي هذا أمر بذلك ، وقد تحول الحال الآن إلى أمر بإعلان الثورة .

الوثيقة التاسعة

رسالة الشريف حسين الخامسة إلى السير هنري مكماهون .

مكة في 14 ربيع الآخر 1334 هـ ، الموافق 18 فبراير - شباط 1916 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة ذي الأصالة فخامة نائب جلالة الملك دام مرعيا .

وبعد فبأيدي التوقير والاحتشام تلقينا رقيم الفخامة المؤرخ 25 ربيع أول ، وأن مضامينه أدخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب أسأل الله أن يسهل المقاصد وينجح المساعي .

ومن الإيضاحات الآتية نفهم الفخامة الأعمال الجارية والأسباب المقتضية :

أولا : قد أعلمنا فخامتكم بأننا قد بعثنا بأحد أنجالنا إلى الشام ليرأس ما يقتضي عمله هناك ، ولقد ظفرنا منه بتقرير مفصل يفيد به اعتسافات الحكومة هناك لم تبق من الأشخاص الذين نعتمد عليهم في الأمر سوى أن كانوا من الجند على اختلاف مراتبهم ، أم ممن لم يكونوا من ذلك الصنف إلا القليل مما كان في الدرجة التالية ، وأنه ينتظر وصول القوات المعلن

بقدومها من مواقع مختلفة أخصها من أهالي البلاد وما جاورها من الأقطار العربية كحلب وجنوب الموصل ، والمشاع بأن عددها ما ينوف عن المائة ألف على ما يزعمون .

وأنه لابد يؤمل إن كانت الأكثرية من القوة المذكورة من العرب فهو عازم على إجراء الحركة والقيام بهم ، وإن كان العكس يعني الأكثرية من الأتراك وسواهم ، فسيناظر تقدمهم نحو النزعة ، وعند اشتباك الحرب حركته بهم عندما يريدون .

ثانيا : عزمنا على إرسال نجلنا الكبير إلى المدينة المنورة بقوة كافية ليكون ردءًا لأخيه الذي بالشام ، ولكل احتمال ، واستيلائه على الخط الحديد وما هو في معنى ذلك مما تظهره الشئون . وهذا هو المبدأ للحركة الأساسية المكتفين في مبادئها بما جندناه برسم المحافظة على راحة داخلية البلاد وبأهل الحجاز أهل المركز فقط لأسباب يطول شرحها :

(١) تعسر إحضار لوازمهم بصورة تجعل المشروع في حيز الكتمان ، مع عدم الضرورة على ذلك وسهولة جلب الإمدادات عند الحاجة ، هذا خلاصة ما رغبتم في الجواب عليه والاستفهام عنه . وفي ظني أن فيه الكفاية ، واتخاذه أساسا وقياسا في أعمالنا أمام كل التبدلات والطوارئ التي يظهرها سير الحالة .

بقي علينا بيان ما نحتاجه والحالة هذه هو :

أولا : مبلغ خمسين ألف جنيه ذهبا لمشاهرة القوات المجندة ونحوها مما ضرورته تغني عن بيانه . فالرجاء إحضارها على وجه السرعة الممكنة .

الثاني : إحضار عشرين ألف كيس أرز وخمسة عشر ألفا دقيقا ، وثلاثة آلاف شعير ومائة وخمسين كيس بن قهوة ومثلها سكر ، ومقدار خمسة

آلاف بندقية من الطراز الجديد ، وما تحتاجه النسبة لها من المرميات ، وأيضا مقدار مائة صندوق من النوع المرسل منه مرميتان طيه ، من مرميات بواريد مارتن هنري ، وبارودات غرا ، أعني بواريد معمل سانت آتين الأفرنسية لاستعمال هذين الصنفين في بواريد أي بندقيات قبائلنا ، ولابأس من جعل لكل نوع خمسمائة صندوق .

الثالث : إذا استنسبنا مركز سوقيات هذه المواد المرغوبة يكون بور سودان .

الرابع : بالنظر لكون المواد الغذائية ، واللوازمات الحربية الموضحة أعلاه لا حاجة لنا بها إلا عند ابتداء الحركة ، وسنبلغكم إياها بصورة رسمية فتبقى في الموضع المذكور ، وعند الحاجة إليها يبلغ أمير الجهة المذكورة وقائدها بالمواقع التي يقتضي سوقها إليها ، والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم .

الخامس : النقود المطلوبة يقتضي إرسالها في الحال إلى أمير بور سودان ، وسيرده من طرفنا معتمد بتسلمها إما دفعة أو دفعتين على حسب استطاعته . وهذه علامة اعتماد الرجل .

السادس : مندوبنا في قبض المبالغ المذكورة سيتوجه إلى بور سودان بعد ثلاثة أسابيع ، يعني يكون وصوله إليها في 5 جماد الأول حاملا كتابا منا باسم الخواجة إلياس أفندي ، وأنه يصف له بموجبه ما لديه من إيجارات أملاكنا والإمضاء صراحة باسمنا ، غير أننا معدينه يسأل عن عائد الموقع وأميره ، فأنتم تخبروهم عن ذلك الشخص ، وبمراجعته يجري له ما يقتضي من صرف ما لديهم بشرط ألا يبحثوا معه في أي موضوع كان ، مؤكدين غاية التأكيد في عمد المظاهرة له وكتمان أمره ومعاملته في الظاهر بأنه لا شيء ، لا يظن أن ثقتنا للشخص الأخير ، من اعتماد الأول حامله هذا ،

لا بل لعدم ضياع الوقت لتعييننا له خدمة في جهة ثانية ، مع تكرر رجائنا بعدم إركابه وإبعاثه في بابور أو في شيء من هذه الرسميات فإن وسائطه كافية .

السابع : مندوبنا حامل هذا أكد عليه بالاكتفاء بإيصال هذا وأظن أن مأموريته في هذا الدور تمت ، حيث إن الحالة علمت أساساتها وفروعها فلا حاجة في بعث شخص آخر ، إذ إن اللزوم للمخابرة يكون منا ، ولاسيما أن مندوبنا الأخير سيردكم بعد ثلاثة أسابيع يمكن في ظرفها إفادتنا بما يلزم له الحال ، وألا يعامل في الصورة الظاهرة إلا معاملة بسيطة .

الثامن : تعهد الحكومة البريطانية العظمى قبول هذه المصاريف الحربية بموجب الدفاتر التي تقدم إليها ببيان الوجهة التي صرفت فيها .

وبالختام أهديكم أشواقي التي لا تعد واحتشامي الذي ليس له حد .

14 ربيع الآخر 1334 هـ التوقيع

تذييل :

حدث الإذن بالقتال ، وها هي طلبات الشريف حسين ومستلزمات إشعال الثورة العربية الكبرى . الذهب والبنادق والسكر والبن والدقيق وكل شيء . وطريقة التسليم ، والذكاء البدوي في طريقة توصيل هذه المؤن حتى يتسلمها كاملة دون أن يضيع منها شيء .

لقد وصل الإنجليز إلى الوقت المناسب الذي يستعملون فيه الشريف حسين استعمالا حقيقيا مفيدا يعدل الموازين في جبهة القتال في الشرق الأوسط . فقد بدأت القوات التركية تمثل ضغطا حقيقيا على الجيوش البريطانية .

أما الشريف حسين فقد كتب عليه القتال ، وكان هذا غاية ما يرجوه ويأمله ، والمتأمل في الرسالة يبصر حجم الثروة التي يمكن للشريف الحسيب النسيب أن يحققها ، وهذا مجرد بيان بالقائمة الأولى من طلبات ملك العرب وأمير المؤمنين الأنجلو سكسوني.

ولله في خلقه شئون !!

الوثيقة العاشرة

رسالة السير هنري مكماهون الخامسة إلى الشريف حسين .

القاهرة في 6 جمادى الأولى سنة 1334 هـ ، الموافق 10 مارس – آذار 1916 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الإسلام والمسلمين ، معدن الشرف وطيب المحتد ، سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء آمين .

وبعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجلة والاحتشام ، وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية ، أرفع إلى دولة الأمير المعظم أننا تلقينا رقيمكم المؤرخ 14 ربيع الآخر 1334 هـ ، من يد رسولكم الأمين ، وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها ، وإنها لموافقة في الأحوال الحاضرة . وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها .

وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع

رسولكم حامل هذا . والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بور سودان وتحت أمركم لحين ابتداء الحركة وإبلاغنا إياها بصورة رسمية « كما ذكرتم » وبالمواقع التي يقتضي سوقها إليها والوسائط التي يكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم .

إن كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بور سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم ، وقد عملت جميع الترتيبات والتسهيلات اللازمة لإرسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكللها بالنجاح وحسن النتائج وسيعود إلى بور سودان ، وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله .

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحا لديكم أو ما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يجاهرون بالعداء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى أنه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ، ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدءون بالعداء وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا نقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية .

وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضطرنا إلى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغنا إشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون جهدهم في أعمال السفن

ليبثوا بها الألغام في البحر الأحمر وإلحاق الضرر بمصالحنا في ذلك البحر ، وإنا نرجوكم سرعة إخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم .

وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عددا عظيما من الجمال وقد أرسلت إلى دمشق الشام . نأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقضوا على الجمال حال سيرها ، ولاشك أن في ذلك صالحا لمصلحتنا المتبادلة .

وقد يسرني أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك قد ابتدءوا يعرفون خطأهم ، وهم يأتون إلينا وحدانا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إليهم . وقد والحمد لله هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا . وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم .

وإن لسقوط أرضروم من يد الأتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاز تأثيرا عظيما ، وهو في مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة في سبيل الأمر الذي نعمل له وإياكم .

ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج .

وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزها كر العصور ومرور الأيام .

كتبه المخلص

تحريرا في 6 جماد الأولى 1334	السير آرثر هنري ماكماهون
الموافق 10 مارس 1916	نائب جلالة الملك بمصر

تذييل :

بدأ الجد وصدر القرار الإنجليزي باستخدام العرب في طعن الدولة العلية العثمانية في ظهرها ، وبعد أن مهدوا لهذا أكثر من سنتين ، بعد أن وقع اختيارهم على شخصية مناسبة تماما لهذا الغرض ، وكانت هذه الشخصية هي الشريف حسين أمير مكة الذي كان أحد عمال الدولة العثمانية ، ولكنه رأى شمسها تغيب ، أو رجح ذلك ، وآثر أن ينضم إلى أعداء العرب والمسلمين التقليديين وكانوا الإنجليز في ذلك الوقت .

وكانت كل الحركات السياسية والإسلامية في أنحاء العالم تعمل على التحرر من الاستعمار البريطاني وليس من الحكم التركي الإسلامي الذي اعتوره شيء من الترهل والشيخوخة . وكان هناك من ينادي بإصلاح الحكومة العثمانية والاهتمام بما سمي في ذلك الوقت بالجامعة الإسلامية .

وكان جمال الدين الأفغاني ينادي بهذا ويسعى من أجل تحقيقه ، ولو نجح لتغير تاريخ المسلمين ولكن حاربه الإنجليز واليهود وبعض فقهاء السلطان . وكان يمكن للعرب وللشريف حسين أن يغير تاريخ الحرب العالمية الأولى لو كان استجاب إلى داعي الجهاد التركي ، وأخلص في تبعيته للدولة العثمانية الإسلامية لتخلص العرب من حكم الفرنسيين والإنجليز معا .

فقد كانت الحرب في الشرق هي التي حددت مصير الحرب العالمية الأولى .

ووقوف الشريف حسين ورجال العشائر بجانب الإنجليز كان له الأثر الكبير في القضاء على الدولة العثمانية بعد تحديد نتيجة الحرب . وكانت

رسالة هنري مكماهون الأخيرة . عادت اللهجة المليئة بالاحترام والتبجيل في مخاطبة الشريف حسين كما كان الحال في الرسالة الأولى ؛ فقد برزت أهميته واتخذ القرار بأن يقوم بدوره في خدمة الإنجليز ضاربا عرض الحائط بمصالح إخوانه من المسلمين في جميع الأقطار . فهو يحدثه بتبجيل مصطنع ويعلم أن الشريف حسين ما هو غير عميل لهم خان شعبه وبلاده على أمل أن يتوج ملكا على رقعة من الأرض صغرت أو كبرت ليس هذا في الاعتبار . ليس في اعتبار الإنجليز ، وليس أيضا في اعتبار الشريف حسين .

رجل الإنجليز واليهود
« عبد الله بن الحسين »



الفصل الرابع



رجل الإنجليز واليهود

« عبد الله بن الحسين »

العالم العربي بعد الحرب الأولى :

كانت الحرب العالمية الأولى علامة من علامات تغير الزمن واختلاف التاريخ .

وكانت بداية مرحلة جديدة للعالم بشكل عام ، ففي نهايتها تغيرت الجغرافيا مع ضغط التاريخ الساحق الذي تمثل في الحرب الضروس التي كانت .

ولم يدرك أهل السياسة من العرب ما ينتظرهم بعد الحرب ، ولم يتبينوا أن المستقبل القادم قد صنعته جهالتهم وطموحاتهم الرديئة ، وفريق من العلماء وأهل الاختصاص من أهل الغرب عكفوا على دراسة الظاهرة ، ووضع ما رأوه من حلول تضمن التبعية ، وتحقق التجزئة وتكرس التغريب .

فقد كان الغرب يعمل على إنشاء دول من الخدم والعبيد والمستهلكين ، يتخلون عن عاداتهم وتقاليدهم ودينهم ، ويرتدون القبعات ويعكفون على عبادة الغرب والتسبيح بحمده .

ولم يفهم العرب وعد بالفور الذي قدمته وزارة الخارجية البريطانية بإنشاء وطن قومي لليهود بأرض فلسطين ، لم يعوه ولم يدركوا أبعاده . وأغلبهم لم يأخذه مأخذا جادا ، ولعل أكثرهم لم يسمع به في حينه ! ولكنهم أدركوه بعد عقود .

وكان العالم العربي ممزق الأوصال ، والصلة تكاد تكون منقطعة بين

أرجائه وهو عالم غريب على أصحابه أنفسهم ، وهم يجهلونه وأعداؤهم يعرفونه شبرا شبرا ، ويفهمون موارده وإمكاناته .

وعندما بدأت بوادر التجزئة تناثرت الدول والدويلات والولايات هنا وهناك . فالمشيخات التابعة للتاج البريطاني ، واليمن وعسير وحضرموت وعدن .

وسوريا بأقسامها الجديدة .

والعراق بشعوبه المتعددة التي يريدون جمع عقدها لتسهل السيطرة عليهم تحت علم واحد وملك واحد .

والمغرب العربي الذي يبدأ من ليبيا حتى المحيط عند أقدام عقبة بن نافع عندما وقف بجواده وقد ساخت ساقه في الماء وظن أن لا مجاز .

وكانت كل هذه البلاد تعيش داخل حدودها ولا تعرف شيئا عن مثيلاتها ولا تدرك من تفاصيل ما يجري عند الجيران إلا قليلا .

ولا تعدو معلومات دويلة عن أخرى من بلاد العرب بعض الأقاصيص والروايات والطرائف . وربما كان معظمه مما يندرج تحت عنوان الأساطير ، وينتمي إلى عالم الخرافة .

* * *

الغرب يثأر من الشرق :

وكان العالم العربي آنذاك قد تصدع تصدعا بينا تحت الضربات الموجعة التي أجهزت على الخلافة العثمانية ، والتي كانت تضم الجميع في عقد منضبط الحبات رغم جميع الملاحظات وكان الغرب والأمريكان — الذين

دخلوا الحلبة حديثا آنذاك - يولون العالم العربي عظيم الاهتمام ويعقدون حوله الدراسات المتأنية العميقة . وبدأت الخطط تأخذ طريقها للظهور لتتم الاستفادة من هذا العالم وتكريسه في خدمة الغرب .

ذلك العالم الغامض الذي تكون عبر قرون ، واستفاد فائدة لا حد لها من مجتمع الإسلام ، وحكمته تراكات الحروب الصليبية وذكرياتها المترسبة في اللاشعور ، وفي هذه الفترة على وجه التحديد . ثم بدأت معالم انتصار الغرب على الشرق في شكل حاسم ، ومن وجهة نظر أوروبا بشكل نهائي .

وفهم الجميع أن العالم العربي قد أحكمت تجزئته ، ويجري تغريبه تغريبا كاملا ، ويتم تحقيق تبعيته للغرب تبعية خالصة لا شبهة فيها ، ومن ثم يتحول إلى مجال حيوي للتجارة والنشاط الغربي ، بعد منحه استقلالا ظاهريا ، وحكما ذاتيا لكل دولة على حدة ، من تلك البلاد المنكوبة التي تم تقطيع أوصالها في بعض الليالي الحالمة ، عندما كان يجلس الخبراء يرتدون ملابس السهرة ويحتسون الويسكي ، وينفثون السيجار في كبرياء وأنفة ، والخدم المتأنقون يسعون حولهم بالخدمة في دأب ونشاط .

وظن الغرب أنه قد أخذ ثأره كاملا من العرب ؛ فقد استطاع هزيمتهم مع الحرب العالمية الأولى ، وظنوا أنهم قد قضوا قضاء مبرما على دولة الإسلام ، وأنهم قد أحدثوا بالأمة الإسلامية خللا لا يستقيم ، وأنهم قد زرعوا في بلاد المسلمين عملاء يحكمونهم لأكثر من مائة عام ، وهم يقومون نيابة عن الغرب بتحقيق كل الأهداف القريبة والبعيدة ، ويقومون أيضا بتفريخ أجيال من العملاء للحكم بعد ذلك في تواصل لا ينتهي .

نهاية الحروب الصليبية :

بدأت الحروب الصليبية في عهد رسول الله ﷺ في مؤتة مع الروم .

وانتهت في زعم الغرب عندما وقف الجنرال جورو أمام قبر صلاح الدين في نهاية الحرب العالمية الأولى وقال :

- ها نحن أولاء قد عدنا ثانية يا صلاح الدين .

أو عندما دخل الفيلد مارشال أللنبي القدس فاتحا حيث ساعده أبناء الشريف حسين ، واحتوى أللنبي المدينة المقدسة بعينيه وقال :

الآن فقط انتهت الحروب الصليبية .

الأردن دولة مؤقتة !!:

كان الكل يتشكك في مستقبل إمارة شرقي الأردن عندما تكونت عام 1921 م فقد كانت جسما غريبا في شكله ومظهره ، لم تحدد معالمه جغرافيا ، وكان سكانه بدوا رُحَّلا من عشائر عديدة ليست لها أوطان محددة ، بل هي تسيح في الأرض شمالا وجنوبا وشرقا حسب ظروف المناخ والماء وإمكانات الغزو والإغارة . وربما كان أهم ما ينبغي على الجنرال جلوب باشا قائد الفيلق العربي الذي أنشىء في هذه الإمارة أن يقوم بهذه المهمة ، وهي مهمة التحديد الجغرافي لدولة تكونت عبر خاطر تكون مع سحب الدخان المنبثقة من فم إنجليزي له دور ورأي في تكوين الأمم والدول في بلاد العرب ، في ليلة من ليالي التفكير فيما ينبغي أن يفعلوه مع بلاد الإسلام .

فقد كان الجنرال جلوب باشا يقوم برسم حدود لدولة جديدة تحت ستار منع الإغارة بين عرب الشمال والجنوب . وقد نجح في هذا تماما ، وفي ظني أنه استطاع أن يرسم الحدود الحالية لدولة شرقي الأردن التي تكونت عبر اضطراب في تقسيم مناطق النفوذ بين إنجلترا وفرنسا في طوارىء لم تكن في بال الأخوين سايكس - بيكو . فلم يكن في الخاطر رغبة فرنسا العارمة في نفوذ أكثر في سوريا ولبنان .

اتفاق سايكس - بيكو :

ولعله من المفيد أن نلقي بعض الضوء على اتفاق سايكس - بيكو .

فعندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى كانت دول الوفاق تفكر في كيفية الاستفادة من نتائج هذه الحرب التي بدت واضحة المعالم . وكان التعامل مع ألمانيا يختلف عن التعامل مع تركيا ، فهم يريدون إذلال الأولى وتحطيم آلتها العسكرية تحطيما يمنعها من العدوان في المستقبل . أما تركيا فقد كانت رغبتهم عارمة في القضاء عليها قضاء مبرما والاستيلاء على كل أراضيها .

وكان حلم روسيا هو الحصول على مضيق الدردنيل ومضيق البوسفور ، والاستيلاء على القسطنطينية نفسها .

وكان حلم فرنسا هو الاستيلاء على أراضي سوريا .

وكانت إنجلترا تنظر بعين الريبة إلى أطماع روسيا وفرنسا في أراضي الخلافة العثمانية فيما يلي بلاد العرب ، فهي تريد الحصول على طريق بري مأمون إلى ممتلكاتها في الهند يمر في منطقة يمكنها أن تدحر الخطر الذي قد يهدد الإنجليز من جراء توسع الروس والفرنسيين ، بالإضافة إلى أهمية الحفاظ على قناة السويس بعيدا عن أي تهديد .

حتى إيطاليا كانت تريد أن تأخذ جزءا من أراضي آسيا الصغرى .

كانت كل الدول الأوروبية المسيحية والتي سمت نفسها دول الوفاق تريد أن تلتهم الأراضي الإسلامية وجرت المفاوضات والمراسلات قبل نهاية الحرب حول هذه الموضوعات .

وبدأت الحكومة البريطانية في الضغط على منطقة الخليج العربي وفرض

سيطرتها ، ثم الزحف شمالا على البصرة وبغداد تمهيدا للقسمة العظيمة التي يفترض أن تتم في أعقاب الحرب .

ويبدو أن اتفاقات حسين - مكماهون لم تكن لها أية قيمة ، وأن كل التعهدات التي أخذها على نفسه السير هنري مكماهون باسم الحكومة البريطانية من ضمان استقلال البلاد العربية التي خانت دولة الخلافة ، لم يكن يعنيها هو أو حكومته ، بل كان مجرد كلام ليس له أي محتوى ، يكتبه مكماهون في القاهرة ويردده لورنس لفيصل الأول نجل الشريف حسين أثناء سهرهما للسمر في ضوء القمر عبر الصحراء الممتدة بين الحجاز والشام .

انتهى مكماهون من محادثاته مع الشريف حسين الذي قدم كل شيء ولم يأخذ مقابل ما قدم غير كلام وتعهدات . وبدأت الحكومة الإنجليزية في التفاوض مع الفرنسيين وهي تريد التوفيق بين أطماع فرنسا في سوريا وبين إضفاء شكل ظاهري يحفظ لها ماء وجهها أمام العرب .

وكانوا لا يريدون أن يظهروا للفرنسيين شيئا مما اتفقوا بشأنه مع ملك العرب الشريف حسين .

واجتمع المسيو جورج بيكو القنصل الفرنسي العام ببيروت مع السير مارك سايكس خبير الشئون الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية واستقرا على اتفاق مكتوب لتقسيم البلاد العربية .

وحتى يمكن أن يضفى على هذا الاتفاق شرعية وقوة كان لابد من دخول روسيا في المفاوضات ، وكان أن ذهب المسيو بيكو وزميله السير سايكس إلى سان بطرسبورج حيث المزيد من المناقشات والمفاوضات ، وأيضا مزيدا من الرسائل والمذكرات بين الحكومات الثلاثة ، وانتهوا في شهر مارس من عام 1916 إلى اتفاق .

واستقر الاتفاق على أن تأخذ روسيا منطقة المضايق والقسطنطينية والإقليم الذي حولها ، وكل ما هو ضروري للدفاع عنها والسيطرة عليها ، وكذلك أربع ولايات تركية إسلامية تقع على الحدود المشتركة مع القوقاز .

وأعطوا فرنسا سوريا كلها وجزءا من جنوب الأناضول ، ويمتد سلطانها ونفوذها حتى منطقة الموصل من أرض العراق .

وأمرت إنجلترا ، ووافق الآخران على أن تحتفظ بمنطقة تقع في جنوب سوريا وتمتد عرضا حتى العراق ، وهي تشمل البصرة وبغداد ، وتفصل عن منطقة النفوذ الفرنسية ، وهي تصل إلى حيفا ويافا على البحر . واتفقوا جميعا على أن تكون القدس منطقة دولية لا يسمح لأحد بأن ينفرد بها ، وأصرت إنجلترا على ذلك خوفا من تهديد خطوط المواصلات الإمبراطورية في قناة السويس . وكانت فرنسا تصر على أن تكون منطقة نفوذها هي الشام جميعا بما ذلك القدس ، وأصرت إنجلترا على التدويل ، وأن يكون لها منفذ على البحر .

ونصت هذه الاتفاقية على وضع كل هذه البلاد تحت الوصاية ، وأطلقوا على هذه الوصاية اسم الانتداب .

وكان يمكن لهذه البلاد الأوروبية أن تفعل في هذه البلاد العربية ما تشاء ، فيمكنها أن تحكمها حكما مباشرا ، أو تضمها ، أو تكتفي بالإشراف العام والتوجيه مع وجود القوات العسكرية بطبيعة الحال . وعلى بقية البلدان الأوروبية التي لم تشترك في الاتفاقية الاعتراف بها ومباركة كل ما جاء فيها ، ولا بأس من وضع بعض المناطق تحت السيادة العربية الظاهرية ، على أن يكون للدول الموقعة على المعاهدة أو الاتفاقية الحق في كافة المنافع والاستغلال التجاري بكافة مظاهره ، وتقديم المعونات الفنية

وغيرها ، والانتفاع بكل ما في هذه البلاد من فوائد دون غيرها من بقية دول أوروبا التي توافق على هذا وتباركه .

وكانت إنجلترا تحرص على تأمين طريق بري في حالة تعطل الملاحة في قناة السويس لسبب أو لآخر . فهناك طريق بري من حيفا إلى ميناء العقبة يقع تحت السيطرة البريطانية .

وفي حالة تعطل الملاحة في البحر الأحمر نفسه فهناك طريق بري مأمون من البحر الأبيض إلى الخليج لتأمين الوصول إلى الممتلكات البريطانية في الهند والشرق الأقصى .

وقد قضت الاتفاقية أن تقع البلدان العربية الأكثر تحضرا تحت حكم الإنجليز والفرنسيين بشكل مباشر مثل ما حدث في البصرة وبغداد وشمال سوريا .

وتركت الأماكن الأكثر تخلفا لحكم أنفسها مع الإشراف الصارم الملزم من بعيد مثل عشائر البدو الذين انتهوا بهم إلى صناعة ما يسمى بإمارة شرقي الأردن بعد ذلك بسنوات قليلة .

ومن أهم أسباب ذلك هو عدم القدرة على السيطرة الكاملة على تلك العشائر المتناحة والتي لا تعرف الحدود المرسومة والمتفق عليها . ولذلك كان اهتمام الإنجليز بالأشخاص عظيما ، فهم البديل للجغرافيا والتاريخ في مثل هذه المناطق التي يصعب السيطرة عليها سيطرة كاملة إلا من خلال شخص أو شخصين أو ثلاثة يمكنهم أن يصنعوا فريقا كبيرا يضمن الاستقرار ويحقق التبعية .

وهنا تبرز شخصية الملك عبد الله ابن الشريف حسين وتتضح أهميتها للإنجليز ثم لليهود على حد سواء .

الأردن دولة عازلة بين المسلمين واليهود :

كان الكل يتشكك في مستقبل إمارة شرقي الأردن كما قلنا .

ويبرز هذا بوضوح في كتابات أمين الريحاني الذي عاصر تلك الفترة .

وكان أمين الريحاني لبنانيا « تأمرك » وساح في الأقطار العربية بعد الحرب الأولى ، وقد ألّف كتابا ضخما سماه « ملوك العرب » فيه خلاصة مشاهداته وملاحظاته حول هذه الأقطار الحاضرة الغائبة في سياسة العالم آنذاك .

وكان أمين الريحاني ممن لهم صلة وثيقة بدوائر السياسة في الغرب ، وربما كان مطلوبا منه أن يعد تقريرا مكتوبا عن هذه البلاد لمن يهمهم الأمر في ذلك الحين .

ونراه يتشكك في تصريح واضح حول مستقبل إمارة شرقي الأردن التي لم يكن قد مضى على إنشائها عندما قام برحلته تلك غير عامين .

وهو يعتذر عن عدم زيارتها في تلك الجولة فيقول :

« بقي ذلك القطر الجديد في الشمال الغربي الذي أنشأته السياسة الجديدة ، سياسة « بعد الحرب » ، وأمّرت عليه النجل الثاني من أنجال الملك حسين ، الأمير عبد الله . فما تلك الإمارة في اعتقادي من الإمارات العربية الثابتة الدائمة . قد لا تزول في عهد أميرها الأول ، وقد يكون أميرها الأول الحامل غدا لواء الاتحاد إلى ما وراء الأردن ، أو إلى ما دون العقبة وتبوك . أما إذا فازت سياسة التقسيم وثبتت إمارة شرقي الأردن ، فالعذر سلفا إلى سمو أميرها »[1] .

---

(1) ملوك العرب المجلد الأول أمين الريحاني ص 18 ، الأعمال الكاملة بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى 1980 .

وأمين الريحاني يعرف طبيعة تكوين تلك الإمارة ، وهو على علم بسياسة تلك الفترة . وهو يعلم أن هذه الإمارة قد صنعها الغرب بمفهومه المتداخل الواسع ، وبشكل مؤقت ، وهو أيضا قابل للتغيير ، وهي تعتمد في بقائها على السيناريو المكتوب ، والتعديلات التي قد تدخل عليه إذا استدعت الظروف ذلك . أو أن يحدث من المتغيرات ما يمكن أن يلغي مشروع تلك الدولة بالمرة . ومن ثمَّ فهو لم يفكر في زيارتها أثناء جولته التي قام بها ، ولكنه آثر أن يؤجل هذه الزيارة حتى تستقر الأحوال فيها ، وهو ما يدل بوضوح على أن الواضح في ذلك الوقت لأهل السياسة والفكر أن هذه الإمارة رهينة لسياسة تقسيم هذه الأقطار ، وقيام دولة لليهود في أرض فلسطين .

قامت إمارة شرقي الأردن كدولة عازلة بين أهل جزيرة العرب الذين يجتهدون في إقامة دولة ترفع راية إسلامية وشعارا جهاديا وبين الدول التي وضعت تحت الحكم الإنجليزي والفرنسي المباشر .

كان ابن سعود يتحرك بقواته في كل مكان ، وتشرشل يجري اختبارا للأمير عبد الله حتى تستقر أوضاع الإمارة التي جعلت بمثابة حرس لحدود الجزيرة لمنع انتشار المبادىء الإسلامية ، وصيحات التقويم والعودة إلى الإسلام الصحيح . ووافق تشرشل على تنصيب الأمير عبد الله أميرا لشرقي الأردن بعد لقاء قصير سبقه اطلاع وعلم بكل بما جاء في التقارير .

ونشأت الإمارة وعبد الله أميرا عليها !!

وبدأ مسلسل تكوين دولة إسرائيل ، واتخاذ الخطوات السريعة للإعلان عن تكونها وإنشائها .

وقد يكون من الصعب الحكم على سريرة الملك عبد الله ودخيلة نواياه ،

وقد يقول قائل إنه ليس هناك من هو خائن بطبيعته ، وإنما هي صور وأخيلة عما ينبغي أن يكون عليه النشاط في الحياة من وجهات نظر متباينة ومن تصورات مختلفة . ولكننا ننظر في أمور التاريخ بشكلها النهائي وما آلت إليه . وقد نستطيع أن نرسم الدوافع خلف التصرفات ونحددها ونفهمها . وقد نعجز عن فهم النوايا ، ولكننا نرصد العمل ونحدده ، ولا نخطئ عادة في وضع الأشياء في إطارها الصحيح فيما له صلة بالتاريخ .

الملك عبد الله من خلال الكتبة الرسميين :

وتقول الكتب عندما تعرض للملك عبد الله بشكل يتجنب به كاتبه المشاكل ويسمح لكتبه بالدخول إلى مملكة الملك حسين الأردنية الهاشمية ، تقول كلاما مرتبا منمقًا ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب .

ونورد اختصارا لما كتب وتجميعا له :

عبد الله بن الحسين 1882-1951 ، تاريخ الميلاد وتاريخ الاغتيال :

هو أمير شرقي الأردن من 1921-1946 ، ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية التي أعلنت عام 1946 ، وهو الابن الثاني لشريف مكة وملك الحجاز عام 1917 الحسين بن علي الذي ينحدر نسبه إلى قريش كما يدعي .

تلقى الملك عبد الله علومه في تركيا وفي إستانبول على وجه التحديد . وكان قد انتقل إليها بعد أن استدعاه أبوه ، وكان الأتراك قد استقدموهم للإقامة هناك شكا في ولائهم .

وبعد عام 1908 وقيام حركة تركيا الفتاة عاد إلى مكة مع والده الذي أعيد أميرا عليها تحت ضغط الظروف السياسية الضاغطة وشك السلطان عبد الحميد في كل من حوله .

وفي عام 1912 انتدب نائبا عن مكة في « مجلس المبعوثان » الذي كان بمثابة برلمان للدولة العثمانية . وعُيِّن فيما بعد نائبا لرئيس المجلس .

وقد أنابه أبوه الشريف حسين للتفاوض مع المعتمد البريطاني في مصر عندما زارها في طريق عودته إلى مكة . وكانت هذه الاتصالات هي المقدمات الطبيعية إلى رسائل حسين - مكماهون الشهيرة .

ما لم يذكره المؤلفون !

وقد شارك الأمير عبد الله فيما سمي في تاريخهم بالثورة العربية الكبرى التي أقامها الشريف حسين للقضاء على الخلافة العثمانية عام 1916 .

عينه أبوه في العام التالي وزيرا لخارجيته ومستشارا سياسيا له بعد أن أعلن نفسه ملكا للحجاز في لحظة من اللحظات التي يغفل فيها التاريخ .

وبعد أن أعلن فيصل بن الحسين ملكا على سورية في أعقاب المؤتمر السوري العام اجتمع نفر من العراقيين في دمشق بترتيب من الإنجليز وعرضوا عليه عرش العراق ، واعترض الإنجليز يومها رغم أنهم الذين دفعوا من تكلم إلى ذلك .

وهاجم الفرنسيون دمشق وأسقطوا الحكومة ، وحشد عبد الله بن الحسين بقايا جيش فيصل لاسترداد العرش الهاشمي الذي هوى .

ووصل الأمير عبد الله بقواته إلى معان في نوفمبر عام 1920 ثم عمان في مارس 1921 وكان اقتراح تشرشل بتعيين عبد الله أميرا على هذه المنطقة التي كان ينبغي أن تكون تحقيقا لاتفاق سايكس - بيكو السري ، والذي أعلنه الروس بعد الثورة البلشفية فقد كانوا طرفا في هذا الاتفاق كما سبق أن وضحنا .

وكان قرار تشرشل الحاسم أن يكون عبد الله أميرا على شرقي الأردن

بشرط أن يكف عن مشاغبة الفرنسيين في سوريا . وقد وافق عبد الله على الفور وتعهد بذلك . وتعهد أيضا بعدم التعرض لإقليم العراق ، وكانت هذه كلها أقاليم مفتوحة متاحة ليس لها صاحب بعد انهيار الخلافة العثمانية .

وعقد مؤتمر إنجليزي في القاهرة بين تشرشل وكبار موظفيه ومستشاريه وأقروا ما ذهب إليه ، وكان مع المجتمعين مستشارو وزارة المستعمرات البريطانية وممثلو الإمبراطورية في البلاد العربية الذين يدركون طبيعة الظروف التي تحكم هذه البلدان . وبعد عامين تقريبا وفي مايو 1923 اعترفت بريطانيا بشرقي الأردن كإمارة مستقلة ضمن الانتداب البريطاني على فلسطين ، واستثنيت من أحكام الفقرة الخاصة بإقامة وطن قومي لليهود فيها .

الأمير عبد الله يود لو يحكم الشام !

ولكن الأمير عبد الله بتعاونه مع الإنجليز وغيرهم ظل على حلمه القديم بفكرة يتحقق من خلالها عمل اتحاد لسوريا الكبرى تحت حكمه أو مشروع الهلال الخصيب حيث يضم لهذا التجمع إقليم العراق بولاياته المختلفة .

وكانت بريطانيا تنظر بعين الارتياح لمثل هذا المشروع دون أن تبذل خطوة عملية في إخراجه إلى النور خوفا وقلقا من القوى الوطنية والشعور الديني السائد الذي كان له وجود في فلسطين من خلال المفتي الحاج أمين الحسيني ونشاطه .

ولم تكن فرنسا توافق على مثل هذا المشروع أو تسمح بتسليمه لعميل بريطانيا الأمير عبد الله في منطقة الشرق الأوسط فمعنى ذلك ضياع نفوذها وطردها كلية من هذه البلاد .

وكانت فكرة منح الاستقلال لهذه البلدان بعيدة ولم تفكر فيها الدول التي عهد إليها بالوصاية والانتداب ، بل كانوا يفكرون في الاستمرار إلى زمن لا يعلمه إلا الله ، ولم يكن في اعتبارهم أن هناك حقبة قادمة سوف يندلع فيها ما يسمى بالحرب العالمية الثانية التي غيرت الموازين ورسمت حدودا جديدة للعصور والعهود .

الإنجليز يدفعون القليل للأمير عبد الله !

اعتمدت إدارة الأمير عبد الله ابتداء وانتهاء على المساعدات البريطانية والتبعية الكاملة لها . وكانت هذه المساعدات ضئيلة للغاية لا تكاد تكفي مرتبات الموظفين . وفي الثلاثينات من القرن العشرين اضطر الإنجليز إلى إنشاء قوة حدود شرقي الأردن والغرض منها مقاومة استخدام ثوار فلسطين هذه الحدود لتأمين الإمدادات وتسلل قواتهم أثناء ثورة فلسطين الكبرى .

وتطورت قوة الحدود هذه إلى ما يسمى بالجيش العربي !

شارك الأمير عبد الله في تأسيس جامعة الدول العربية التي كانت فكرة أوحى بها أنتوني إيدن وزير الخارجية البريطانية إلى العرب . وعندما منحت بريطانيا الاستقلال لشرقي الأردن صار الأمير عبد الله ملكا عليها في عام 1946 .

وعلى الرغم من الاتصالات العديدة والمكثفة التي قام بها عبد الله مع اليهود – سوف نعرض لها بتفصيل أكثر – إلا أنه لم يتوصل إلى صيغة نهائية أو اتفاق للاعتراف بكيانهم عام 1948 .

الملك عبد الله يهزم العرب أمام اليهود :

وقد سمت الدول العربية الملك عبد الله قائدا عاما لجيوش الدول العربية التي دخلت الحرب ضد اليهود في فلسطين عام 1948 .

وقد قاد العرب إلى هزيمة منكرة في هذه الحرب رغم أن قيادته كانت شكلية إذ اتبع كل جيش خطته الخاصة في القتال .

وقد تجنبت قوات الملك عبد الله التواجد في المناطق التي تبعت لليهود وفقا لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة . وقد جعل هذا موقفه محل تساؤل واعتورته الكثير من علامات الاستفهام ، واتهم صراحة بخدمة المصالح اليهودية . وكان بينه وبين اليهود محادثات سرية استطاع بها أن يتخطى كل مشكلات المفاوضات في رودس مع العرب .

واستطاع الملك في عام 1949 أن يعقد مؤتمرا في أريحا جمع فيه عددا كبيرا من الوجهاء الفلسطينيين لإعلان الموافقة على ضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية . وتم إعلان ذلك رسميا في إبريل عام 1950 .

اغتيل الملك عبد الله عند باب المسجد الأقصى في 20 يوليو عام 1951 بمعرفة مجموعة من الشباب الفلسطيني .

وتضيف الموسوعة السياسية :

« عرف عن الملك عبد الله المحافظة والتفرد وتفضيل مشاورة الوجهاء على اعتماد المؤسسات التمثيلية ، وكان على جانب من الفصاحة والبلاغة والتمرس بالأدب »[1] .

خلاصة يتلوها تفصيل :

هذا هو الملك عبد الله عند الكلام في اختصار موجز وفي تحوط شديد ، دون الخوض في دوره أثناء الخيانة العربية الكبرى ، أو بعد سقوط الخلافة

---

(1) الموسوعة السياسية الجزء الثالث ص 846 دار الهدى بدون تاريخ .

وإنشاء دولة شرقي الأردن ، وما تلى ذلك من مفاوضات واتصالات وترتيبات مع الوكالة اليهودية عندما كان يفكر في ضم شرقي الأردن إلى فلسطين ، حيث تظل له سيادة إسمية ، وتبقى السيادة الفعلية في يد اليهود حسب ما أوردت في ذلك الوثائق . ولم تتعرض الكتابات الرسمية إلى دوره في حرب فلسطين وإبلاغه الخطط العسكرية العربية إلى الجيش الإسرائيلي وتنسيقه الكامل معهم من أجلهم وفي سبيلهم .

وينبغي تفصيل ذلك بطبيعة الحال .

شعب أفسده شيطان وافد !!
« فلتكونوا جميعاً خونة » !



الفصل الخامس

شعب أفسده شيطان وافد !!
« فلتكونوا جميعا خونة ! »

مهندس الخيانة العربية :

الملك عبد الله بن الشريف حسين هو الشقيق الأكبر للثورة العربية الكبرى وجد الملك حسين ملك الأردن الحالي ، وهو الذي قام على تربيته وتنشئته ورعايته ، ويدين له الملك حسين بالكثير ، كما عبَّر بذلك في مذكراته أو كتابه الذي كتبه عن مهنته كملك أكثر من مرة .

وتاريخ الملك عبد الله معروف ومشهور وتناولته الكتب .

وهو باختصار كان سكرتيرا لأبيه ، يزين له سوء عمله ، ويشير عليه بالباطل وخيانة المسلمين ، حتى انتهى به المقام إلى عرش شرق الأردن أميرا ثم ملكا . وكان يحلم بملك يضم سوريا وفلسطين ولبنان وشرق الأردن ، وكان حلما خياليا بعيد المنال . فلم يكن من العقل تصور الإنجليز يعيدون توحيد العرب في دولة بعد أن بذلوا غاية جهدهم في تفريقهم ورسم الحدود بينهم .

ولكن الأمل لم يفارق الملك عبد الله حتى انتهت حياته برصاصات في ساحة المسجد الأقصى ، وقتل مظلوما كما يقول حفيده الحسين ، مثله في هذا كمثل سيدنا عثمان .

والذي يعنينا هنا هو دور الملك عبد الله في جريمة صدام حسين ، فالحوادث لا تأتي من فراغ . والتاريخ يسلم بعضه بعضا .

كان الملك عبد الله أول مهندس لخيانة عربية في التاريخ الحديث .

وقد اشترك الملك في صناعة حفيده حسين الذي علمه ورباه .

الكتاب الأبيض يغيظ الحليم :

واشترك الحسين الحفيد في جريمة صدام الكبرى ، وهي في بشاعتها مثل تلك التي حدثت منذ عقود ، الثورة العربية الكبرى !

ولكنه جاء يعتذر بعد أن فشل التخطيط وبقيت الآثار والنتائج ، وقال لم أكن أقصد ، وإن أحدا لم يفهمني للأسف .

وكتب كتابا أبيض للناس يبين فيه كم هو عظيم وحكيم .

وهو كتاب يغيظ الحليم ؛ لما فيه من افتراء وزيف لحوادث قد عايناها وعشناها وتجرعنا مرارتها ساعة بعد ساعة . وكنا نسمع الحسين في الراديو ونشاهده في التليفزيون ، وكل كلمة ينطق بها تقول إنه شريك وفاعل أصيل في جريمة صدام حسين .

ولو قلنا بغير ذلك فكأننا نصف العالم أجمع بالغباء . فالدنيا كلها تعرف دور الملك ، وتعرف أنه شريك ، والبعض يؤكد أنه الذي أوحى إلى صدام ما أوحى ، وفي ذلك شواهد كثيرة وأدلة متواترة .

تجارة المبادئ والأوطان !

كان الملك عبد الله خائنا بسليقته ، لئيما بطبعه ، محل ازدراء واحتقار من الإنجليز واليهود ، وكان شديد الذكاء واسع الحيلة ، انتهازي الخصال ، عاش حياته يساوم ويبيع ما يأنف الحر عن التفريط فيه ، وهي المبادئ والأوطان ، ولا يخجل عند المساومة ، ولا يستحي عند التسليم والخيانة . وكان قصيرا مقيتا على رأسه عمامة تزن قنطارا ، وهو أشبه الناس بالملك حسين شبها وشكلا وخلقا ، أو أن الملك هو أشبه الناس بجده الذي لم نعرف له نظيرا بين العرب منذ أن قدم علينا القرن العشرون .

قام بدور رئيسي في الخيانة العربية الكبرى وطعن دولة الخلافة ، ووقف مع الإنجليز بإخلاص ووفاء على حد تعبيره ضد بني وطنه من العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

كان هو الذي يكتب لأبيه الرسائل التي كان يرسلها إلى مكماهون في القاهرة ، وفيها تفاصيل الاتفاق والتسليم ، وكيف يهاجمون الترك ، ويشنون على حامياتهم حرب العصابات .

لم يكن موجودا في الخطة كملك لشرق الأردن ، ولكن اتفاق سايكس - بيكو الذي تم بين إنجلترا وفرنسا جعل سوريا ولبنان من مناطق النفوذ الفرنسية . وهو الأمر الذي لم يكن في تقدير الإنجليز ، وجعلهم يعدلون من خططهم ، ومن ثم خرجت إمارة شرق الأردن إلى الوجود وعلى رأسها أمير هو عبد الله بن الحسين .

وكان وعد بلفور قد خرج أيضا إلى الوجود بعد نجاح الثورة العربية الكبرى في تحقيق أهدافها القريبة ، وبعد أن كشفت عن حقيقة العرب ، وأظهرت من حكامهم من يمكنه القيام على أمر الغرب وما يريد . وأنهم يجيدون الكلام الكبير الفخيم ، ويعملون أعمالا أخرى في السر ودون أن يعلم بأمرهم أحد .

واشتدت الوكالة اليهودية في أداء عملها حتى يأتي الوقت القريب وتُعلن دولة يهودية تحت علم العرب وبصرهم . وسوف يساعدنا الملك عبد الله وغيره على ما نريد ، هكذا كانوا يقولون .

وما يعنينا هنا في هذا المقام تاريخ الملك عبد الله مع اليهود . ومن خلال هذا التاريخ يمكن لنا الحكم على الثورة العربية الكبرى ، ويمكن لنا أيضا أن نفهم حبل الجرائم المتصل الذي استقر في النهاية عند كرسي الملك حسين .

ونستطيع أن نتبين الصدق والكذب في كلام الملك ومواقفه ، إلى فريق ينتمي في الصراع والتدافع الذي يكون العرب والمسلمون طرفا فيه . ولدقة هذا الأمر وغرابته فإن الإنسان يحاول أن يجد تفسيرا ناضجا رصينا لتصرفات الملك عبد الله فلا يجد غير الخيانة ولؤم الطبع واعتياد ذلك . فهو بدوي قدم من الصحراء من واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام وبه نهم إلى الدنيا وجوع إلى الزينة والطيبات من العيش ، ووجد طريقا واحدا يحصل على هذه الملذات من خلاله ، وهذا الطريق هو خيانة قومه ودينه ، وهو يفهم ذلك ولا يلتبس عليه شيء منه . وأتباعه وحاشيته مثله في هذا .

وكأنه الرجل الذي باع نفسه للشيطان على ما يحكي لنا « جيته » في « فاوست » . وأمر الشيطان لا يلتبس على أحد . وهو الضعف والتردي والخذلان المبين . وهو في ظني في شك من أمر الآخرة ، وثقة وولاء ورق للبوارج البريطانية . وللنفير الذي يرتفع عاليا في المعسكرات معلنا عن بدء يوم جديد لشمس لا تغرب عن الإمبراطورية أبدا .

وهذه هي الحقيقة التي راها الملك عبد الله كل يوم ، يراها عندما يكتب إلى المخابرات البريطانية يطلب النقود . ورآها عندما جاءهم لورنس بالذهب ليوزعوه على القبائل ، ويراها في خضرة عيون الكولونيلات وزرقتها وهم يرتدون الملابس الكاكية ، ويتكلمون فيرطنون ، ولكنهم ينفثون السلطة والقوة والإرادة ، في كل مكان يكونون فيه . أما الدين والآخرة وعقاب المسيء فأمر تحكي عنه الكتب ، ولم يأت واحد بخبر اليقين عن كل هذه الأقاويل ، وهي لا تعدو في نظر الملك عبد الله – إن أحسنا الظن به – أمورا لا يفهمها العقل ، ومن الخير تركها وعدم التفكير فيها والاهتمام بالحقائق التي تدور ، وترك مكة والانتباه إلى لندن مركز العالم ، حيث يصدر القرار فيلتزم الكون به ، ولا يملك أحد عصيانه ، أو الوقوف ضد إرادتهم إن أرادوا .

والمسلمون في نظر الملك قوم متخلفون أغبياء لا يفهمون العالم وما يدور فيه ، وأن بريطانيا هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

جد الحسين الحقيقة والأسطورة :

وكان الملك عبد الله قاسيا لا يرحم ضعيفا ، وشحيحا لا يعطي محتاجا ، ولا يعرف في حياته العريضة غير الأخذ . وهذا يفسر لنا كيف منع أباه من حقه في العلاج والعيش في آخر أيامه التعيسة عندما كان يعيش في الغربة بمنفاه بقبرص . فقدْ فَقَدَ الرجل سلطانه ، وصار مثل أي شيخ عجوز ينتظر الموت ، ويحرص أهل البيت ألا يراه أحد من الضيوف .

وفعل الملك نفس الشيء مع ولده طلال الذي كان يتركه للتسكع في جبل عمان بحثا عن كريم يقرضه بعض النقود يستعين بها على أعباء الحياة . وهو يرده مرة ومرة ومرة ولا يعطيه فلسا واحدا .

كان مجردا من العواطف والقيم النبيلة يفكر في مشروعه الشخصي وهو السلطة والمال ، ومن أي طريق ، وبأية وسيلة ، فهو يتودد للإنجليز ويعرض عليهم أكثر مما يطمعون أو يفكرون ، وكذلك فعل باليهود عندما استقر مقامه بينهم ، وعرف أن هناك في الكون من هم أشد قوة وأكثر جمعا من الإنجليز ، ففي الأيام الأولى للجهاد كان يظن أن إنجلترا هي نهاية العالم ومنها يبدأ . ثم جاء إلى عمان وذهب إلى القدس والتقى بموسى شرتوك فعرف أن في الكون قوى أخرى غريبة ، وأن إنجلترا ليست سوى جزء يسير من الصورة التي لا يستطيع الإحاطة بها ، ولكن اليهود أصحاب نفوذ وإرادة على الإنجليز .

وهذا ما بدا واضحا عندما التقى بالدكتور حاييم وايزمان في لندن ، فقد طلب منه التدخل لتغيير المعتمد البريطاني المقيم بالقدس المستر كوكس

لأنه يحول دون مشروع الملك في بيع أراضي شرق الأردن لليهود ، وهذا المعتمد البريطاني يعارض في طلب الملك عبد الله في استقدام المهاجرين اليهود إلى شرق الأردن ، وليس ذلك بدلا عن فلسطين ، ولكنه يطلب الهجرة إلى المكانين حتى تحل البركة وتحسن الأحوال ، أحوال الملك بطبيعة الحال !

ولكنه في المجامع والمجالس يقول كلاما آخر ويستشهد بالقرآن الكريم في أقواله ، وكثيرا ما يروي أحاديث عن رسول الله ﷺ ، وقد نقش على خاتمه : ﴿ **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا** ﴾ . هذا هو الملك عبد الله جد الحسين . الحقيقة والأسطورة .

* * *

وكان العصر الذي ظهر فيه الملك عبد الله يسمح بظهوره . فالمسلمون متخلفون وهم يفتحون أعينهم بعد رقاد طويل ، فانبهروا من الغرب ومن المكانة التي وصل إليها . وهم على ما هم عليه من نقص الثقافة والبعد عن الدين والهزيمة الروحية أمام الغرب وقيمه .

الأردن هي وسادة إسرائيل الآمنة :

قد يخرج إلينا في هذا المناخ الكثير من الدعاة والمفكرون وأهل الإصلاح ، ولكن يخرج معهم أيضا الكثير من المغامرين والانتهازيين وطلاب الفرص ، ففي رقعة فسيحة من الأرض مثل شرق الأردن يسكنها مئات من الآلاف ، وأهلها إلى البداوة أقرب ، والعالم يتحرك إلى الأمام وتحكمه قوى مختلفة ، فمن الطبيعي أن يجد شخص مثل الملك عبد الله مكانه بسهولة في حكم هذا الشعب ، والجلوس على كرسي الدولة ، والتي صنعت على عجل لحماية وعد بلفور وتنفيذه .

والذي لاشك فيه أن المهندس الذي وضع التصميم لإقامة دولة إسرائيل مهندس بارع شديد الذكاء، فَخَلْقُ مثل دولة شرق الأردن أساس لا استغناء عنه في إقامة دولة إسرائيل. فهذه الدولة بمثابة الوسادة الآمنة التي ترد أي عنف، ومن خلالها ينفذ أي تخطيط، ويمكنها أن تقوم بدورها لأكثر من مائة عام. وقد تنشأ لها فوائد لم تكن في حسبان المخطط ولكن توالي التداعيات واختلاف الحوادث يؤكد إمكانية هذا. فمع الحوادث الجديدة يمكننا ترجيح أن الأردن هو الأساس في حل المشكلة الفلسطينية بشكل نهائي في نظر المخططين.

ولا تصلح الأردن للأغراض المطلوبة بغير ملك في مبتداها مثل الملك عبد الله، أو في منتهاها مثل الملك حسين، ولعل الصواب معه عندما أخبر أحد خاصته بأنه آخر ملك للأردن.

آه لو جعلني اليهود ملكا على فلسطين:

وكان الملك عبد الله يظن أن الإنجليز واليهود يمكن أن يسمحوا له بسيادة شكلية على بلاد الشام، وأن يُعْلَن ملكا عليها، وأن يسمح لليهود بالهجرة إلى كل مكان من سوريا وفلسطين وشرق الأردن، حتى إنه قال مرة متحدثا إلى موسى شرتوك في رسالة نقلها رئيس الديوان محمد الأنسي، أحد شياطين الإنس، إن على اليهود أن يهتموا بجوهر السلطة وليس بشكلها، ومن الخير لهم أن يساعدوه على ملك سوريا فيسمح لهم بالحكم الفعلي، ويكون هذا توطئة لما يريدون، ولكنهم يفهمون ويعرفون ماذا يريدون ولا يمكن لهم أن يستدرجوا لمثل هذه الأفكار الساذجة، من أجل أن يكون الأمير عبد الله ملكا من ناحية الشكل، وهم الحكام الحقيقيون.

وقد أخذ مخططهم مداه، وها هم الآن الحكام الحقيقيون !!

الأرشيف المركزي الصهيوني :

أتاحت الطالبة م. وكسون التي تعد رسالة دكتوراه عن حياة الملك عبد الله الفرصة للدكتور سليمان بشير الباحث العربي أن يطلع على ما حصلت عليه من وثائق الأرشيف المركزي الصهيوني، والتي سمحوا بنشرها بعد مرور ثلاثين عاما على حفظها.

وقد ضمن الدكتور سليمان بشير هذه الوثائق في دراسة قيمة تحت عنوان: «جذور الوصاية الأردنية» وقامت الزهراء للإعلام العربي بنشرها.

وهذه الوثائق تروي من طياتها حقائق قد يعرفها الكثيرون، وهي ما نقول به من عمالة الملك عبد الله لليهود، وأن مصالحه الذاتية قد أنسته مصالح قومه، واستغرق فيما يريد.

ولخطورة هذه الوثائق سوف أعرض لبعضها وأشير إلى مكانها من الأرشيف الصهيوني المركزي، ومن أراد المزيد فقد يكون من الأصوب والمفيد أن يرجع للكتاب.

الوكالة اليهودية ورؤساء العشائر الأردنية :

ظلت الاتصالات بين الوكالة اليهودية وبين أهل الأردن من رؤساء العشائر ورجال الحكومة والأمير عبد الله تسير بشكل متفرق وغير رسمي، وهم يلعبون لعبة القط والفأر، فيستأجرون من الملك عبد الله أرضه التي في الأغوار لمدة ثلاثة وثلاثين سنة قابلة للتجديد، ولا قيمة لها من الناحية الاقتصادية حتى يكون هناك شكل مبرر للاتصال مع الملك. والملك عبد الله يود لو انحصرت هذه الاتصالات به وحده بعيدا عن رؤساء العشائر، الذين شجعهم اتصال عبد الله باليهود فقلدوه في ذلك وشايعوه عليه.

ويظهر هذا من رسالة الأمير عبد الله إلى موسى شرتوك يوم 1939/7/1 حيث كتب يقول:

« ولقد قلت كلمة في حيفا لأحد زعماء الحركة الصهيونية بأنه كان يجب على ساسة اليهود أن يطرقوا الباب ولا يدخلوا من الشباك لأن ذلك أحذر »[1].

« وقد شكّل انتشار ظاهرة ارتباط شيوخ العشائر وكبار ملاكي أراضي شرق الأردن مصلحيا بالوكالة اليهودية خلفية مواتية لقيام الأمير عبد الله بتوثيق علاقاته السياسية بزعامة الحركة الصهيونية . كما أن تحول اليهود إلى عامل سياسي هام في فلسطين بفعل تعاظم الهجرة اليهودية الجديدة ، قد دفع الأمير إلى الاعتقاد بأن تنمية مثل تلك العلاقات أمر يخدم طموحاته في ضم فلسطين إلى إمارته ، ومن هذا المنطلق حاول إقناع سلطات الانتداب البريطاني بأن توحيد فلسطين وشرقي الأردن تحت سيطرته هو الإمكانية الوحيدة لحل المشكلة الفلسطينية .

ومن الناحية الأخرى فقد هدف من وراء توثيق علاقاته بالحركة الصهيونية إلى إقناع زعمائها بأن وحدة من هذا النوع ستكفل لهم الموافقة العربية الرسمية على نشاطهم الاستيطاني ، الأمر الذي انطوى في حينه على التعهد بوضع حد لمقاومة عرب فلسطين لذلك النشاط من ناحية ، وستفتح أمامهم مجالات جديدة وواسعة للاستيطان في شرقي الأردن »[2] .

وكانت هذه هي سياسة الأمير عبد الله التي تعتمد على إجهاض الحركة الوطنية الفلسطينية والتي أدت إلى ذلك بالفعل خلال ثورة 1936-1939 .

---

(1) (الأرشيف الصهيوني المركزي - ا .ص .م - ملف س 3504/25 بالعربية) .
(2) جذور الوصاية الأردنية الدكتور سليمان بشير ص 11 ، الزهراء للإعلام العربي 1991 القاهرة .

الضائقة المالية دفعت رؤساء العشائر نحو اليهود :

وجدنا من الوثائق التي نشرت أن الكثيرين من الأعيان ورجال الحكم والسياسة كانوا على صلة وثيقة برجال الوكالة اليهودية ، ووجدنا أن شرقي الأردن لم يقتصر في اتصاله باليهود على الملك عبد الله وحده بل تعدى ذلك إلى أناس كثيرين ، وكانت الضائقة الاقتصادية التي مرت بالبلاد والقحط الذي أصابها عام 1929 سببا جوهريا في نظر هؤلاء الأعيان في محاولة العثور على الحل مع دهاقين المال والاستثمار اليهود .

ولم تكن الوكالة اليهودية تبذل جهدا كبيرا أو صغيرا في هذا الاتصال ، بل كان هؤلاء الأعيان هم الذين يفرضون أنفسهم ، وربما في ضغط وإلحاح ، ويبدو أن الوكالة لم تكن لديها سياسة واضحة المعالم في التعامل مع أهل الأردن اللهم إلا في تأكيده كحجاب حاجز يقيهم ما يمكن أن تأتي به الأيام من سوء . ولعلهم قد فوجئوا بذلك العدد الكبير الذي يحاول الاتصال بهم وعمل مشروعات تجارية وزراعية أو من يعرض عليهم بيع أراضيه ، رغم أن القوانين تمنع ذلك وتجرمه ، ولكن على حد تعبير واحد منهم : نحن الذين صنعنا القوانين ونستطيع أن نغيرها .

ويبدو أن أي أحد من اليهود كان يقدم تقريرا للوكالة حول اتصاله بأي من العرب المهمين ، أو اتصال أي أحد من العرب به ، فهو يكتب التقرير عن هذا الاتصال ولو لم يكن يعمل في دائرة الاستخبارات ، ويترك للوكالة مهمة تقييم المعلومات التي حواها التقرير .

هذا بالإضافة إلى وجود عملاء وجواسيس عرب يكتبون بانتظام إلى الوكالة اليهودية بما يدور ، ويكلفون أيضا بمهام يؤدونها بشكل دقيق . وهؤلاء العملاء كانوا يرمزون إليهم بأسماء حركية في التقارير ، ولو أنه من السهل الوصول إلى أسماء بعضهم بالمقارنة والتدقيق .

أعضاء المؤتمر الإسلامي يجتمعون سرا باليهود :

ورد تقريران لناثان كابلان « بالإنجليزية » ولإبراهام شابيرا – مبخو « بالعبرية » حول زيارة شيوخ ثلاثة من أعيان الأردن لإبراهام شابيرا في مزرعته بمستعمرة بتاح – تكفاه ، وقد تمت هذه الزيارة أثناء عقد المؤتمر الإسلامي في القدس في الفترة بين 7-1931/12/18 ، وقد شارك الأعيان الثلاثة في هذا المؤتمر وهم حسب ما جاء في التقرير :

1 – رفيقان باشا المجالي .

2 – حسين باشا الطراونة .

3 – صالح باشا من الطفيلة .

ويصف ناثان رفيقان باشا بأنه زعيم الحزب الحكومي في المجلس التشريعي في شرقي الأردن ، وممثل 80٪ من سكان شرقي الأردن .

وحسين باشا الطراونة زعيم المعارضة وممثل العشرين في المائة الباقية . وهو يتناولهم بشيء من السخرية في تقريره المقدم إلى الوكالة اليهودية ، حيث يقول إن هذه الزيارة قد جاءت صبيحة اليوم الذي تلا انعقاد المؤتمر الإسلامي ، حيث أقسم المؤتمرون على الجهاد وتكريس حياتهم من أجل مقاومة الصهيونية في كل البلاد الإسلامية .

وهو يصف هذا القسم بأنه قد تم – وهؤلاء الأعيان الثلاثة كانوا من الذين أقسموا – وهم شاهرون سيوفهم في حماسة وحمية ، ولكنهم قاموا بالزيارة في اليوم الذي تلا ذلك .

ويقول شابيرا إنه قد دعاهم إلى العشاء بعد زيارتهم الأولى له بأسبوع ، وإنه أخذهم لزيارة « البيارات »[1] محاولا إقناعهم بضرورة السلم بين العرب واليهود .

---

(1) البيارة هي حديقة الموالح في بلاد الشام .

ويبدو أن اليهود كانوا من عالم مختلف عن عالم العرب ، فقد أصاب الزوار الدهشة والانبهار أثناء الزيارة .

ويحكي شابيرا أنه قد أخبرهم أن بيارته التي تبلغ مساحتها 500 دونم تدر دخلا صافيا مقداره عشرة آلاف ليرة .

وهذا أصابهم بدهشة شديدة ، وكادوا لا يستطيعون النطق . فقد قال رفيقان باشا المجالي إن دخل أراضيه وهي تبلغ خمسة عشر ألف دونم لا يزيد بأي حال عن مائتين إلى ثلاثمائة ليرة سنويا . وسرعان ما تسابق الضيوف الثلاثة في دعوة شابيرا إلى الدخول إلى شرقي الأردن .

وقال لهم رفيقان باشا : إن أرضنا خصبة وعندنا الينابيع الكثيرة وسوف نشارككم ونربح وتربحون .

وقد أخبره شابيرا أنهم لا يستطيعون ذلك لأن قوانين بلادهم تمنع اليهود من الدخول إليها .

وقال رفيقان باشا المجالي زعيم الحزب الحكومي في المجلس التشريعي وممثل 80٪ من سكان الأردن لشابيرا اليهودي :

– نحن الذين صنعنا القوانين . وباستطاعتنا تغييرها[1] .

وفي تقرير كابلان المكمل لتقرير شابيرا أو المطابق له باختلافات طفيفة أنهم عادوا من المستعمرة إلى القدس وسهروا في مقهى جراند حتى منتصف الليل ، ولم يحضروا الجلسة الختامية للمؤتمر الإسلامي . وقد توثقت العلاقات بين شابيرا وبين هؤلاء الزعماء .

---

(1) تقرير ا . شابيرا يوم 1932/2/15 ا . ص . م ملف س 3489/25 بالعبرية .

وإذا تأملنا أصابنا هم وغم شديدان فهؤلاء المؤتمرون يقسمون والسيوف مشهرة في أيديهم على حرب الصهيونية ، وهم شديدو الانبهار بهم ويودون لو يدهنوا فيدهنون . يريدونهم في التجارة والمشاركة ، ويعرضون عليهم تغيير القوانين من أجل استقرارهم عند شرقي النهر بعد أن استقروا في غربيه !

وقد تبادلوا الزيارات والدعوات والهدايا ، فاليهود يهدونهم شتلات للزرع منها الخشخاش وأجناس مختلفة ، والعرب يهدونهم الخيل كما جاء في التقارير والوثائق .

أعيان الأردن يطلبون من اليهود فحص أرض الأمير :

ولا تتصور أن اتصالا مثل هذا يتم دون علم الأمير عبد الله ومباركته وحرصه وطلبه على نحو واضح وصريح . ولكننا نرى ذلك بوضوح مع توالي الأحداث والاتصالات . فهم يطلبون من الخبراء الذين وفدوا لزيارتهم في شرقي الأردن أن يقوموا بفحص أرض الأمير عبد الله ، ويقدموا التقرير الفني بشأنها ومدى صلاحيتها اقتصاديا . ولا يتم ذلك تطوعا بل بطلب من الأمير .

فمن غير المعقول أن يأتي واحد من المواطنين مهما علا شأنه ببعض الخبراء لفحص أرض أمير البلاد وتقديم تقرير عنها دون علمه . هذا إذا وضعنا في الاعتبار أن هؤلاء الخبراء من اليهود حيث تعقد المؤتمرات للحد من خطرهم وتتكون الأحزاب لمقاومتهم ، وقضيتهم ساخنة مع العرب في ذلك الوقت .

الأمير عبد الله يتفق مع الأعيان للاتصال باليهود :

فهناك البعض يتصور أن الاتصالات اليهودية – العربية في تلك الفترة

كانت تتم بشكل تلقائي وعرضي ودون خطة مسبقة ، وهذا من الصعب تصوره ، فقد لا يكون عند العرب خطة ما لمثل هذا الموضوع الخطر ، ولكن لدى اليهود أكثر من خطة بالتأكيد . أما أن يتم اتصال هؤلاء الباشوات الأردنيين بالوكالة اليهودية ، وهم يشغلون أرفع المناصب الحكومية والشعبية في مجتمع شرقي الأردن ، دون علم الأمير وبصره فمن الصعب تصور ذلك وقبوله . والمعقول والمقبول أن هناك اتفاقا بين الأمير وبين بعض العناصر الفاعلة في الحكومة والشعب بإجراء مثل هذه الاتصالات فهي تتم بقصد ونية وليست تجري على حسب ظروف كل شخص وهواه .

الأردنيون يطلبون فتح باب الهجرة لليهود :

والمثير للدهشة أن الأردنيين يطلبون بإلحاح حكومة وشعبا تحت راية الأمير عبد الله فتح باب الهجرة اليهودية إلى شرقي النهر ، بينما نجد اليهود في حالة من التحفظ والممانعة ، فهذا لا يتفق مع خططهم الآنية في ذلك الوقت .

وقد قطع حسين باشا الطراونة صلته بإبراهام شابيرا والوكالة اليهودية بعد فترة من العلاقة وتبادل الزيارات والهدايا ، وانضم إلى حزب الاستقلال المعارض حسب ما ظهر من وثائق الأرشيف الصهيوني المركزي .

ويذكر ناثان كابلان في تقرير له إلى الوكالة اليهودية أنهم أثناء زيارتهم لرفيقان باشا المجالي في الكرك وجه لهم دعوة أخرى لفحص أراضيه شرق البحر الميت ، وتم تحديد موعد لتنفيذ هذا ، وتم لقاؤهم في أريحا بعد ذلك وسافروا للمعاينة التي طلبها رفيقان باشا المجالي .

وأثناء ذلك الفحص طلب الباشا منهم فحص أراضي الأمير عبد الله فاستجابوا على الفور وأجابوا أنها صالحة للزراعة بعد تفقدها ، واقترحوا

جلب المزيد من الخبراء لتقديم تقرير نهائي عنها[1] .

شابيرا يدعو رفيقان باشا المجالي للقدس :

وفي هذه الزيارة وجه شابيرا الدعوة لرفيقان باشا المجالي لزيارة القدس وقضاء ليلة في فندق « بار » ، ورحب الباشا بهذا . وهناك قدمه شابيرا لموسى شرتوك حيث قضيا وقتا في الكلام والتشاور .

ثم وجهوا له الدعوة لزيارة « المعرض الشرقي » الذي أقامته الوكالة اليهودية في تل أبيب ، وهناك استقبله رئيس بلديتها « ديزنجوف » ، وقضى عندهم يومين ، وعاد إلى القدس ثانية ، وزار الدكتور حايم أولوزوروف رئيس الوكالة اليهودية آنذاك في بيته في حضور موسى شرتوك وشابيرا وليبرخت والحاج محمد حمزة من أعيان الخليل ، وكان على صلة وثيقة بالوكالة اليهودية .

وعند عودة رفيقان باشا هاجمته الصحافة بشدة ، وردّ على ذلك بأن قام بدعوة شابيرا وليبرخت ولويس حرمين وناثان كابلان لزيارته في قريته عند الكرك . ومثل هذا التصرف من رفيقان باشا المجالي لا يفسر إلا بأن هناك اتفاقا وتنسيقا مع الأمير عبد الله بشأن تلك الاتصالات .

مثقال باشا الفايز واليهود :

وأثناء هذه الزيارة توثقت العلاقة بين زعماء الوكالة اليهودية وبين مثقال باشا الفايز من رؤساء عشيرة صخر والذي لعب دورا هاما في تلك الاتصالات اليهودية العربية .

---

(1) نفس تقرير كابلان المشار إليه من قبل ص 5-6 .

وتجدر الإشارة إلى تيسير الدوجي الذي تشير إليه التقارير والوثائق مرة ت . د ومرة أخرى « جاد » وواضح من سير الوثائق والتقارير أنه كان يعمل لحساب الوكالة اليهودية ، وقد لعب دورا هاما في توثيق الصلة بين الوكالة وبين الأمير عبد الله ومشايخ شرقي الأردن[1] .

وفي تقرير لموسي شرتوك يقول فيه إن ت . د يوصي بأهمية قيامنا بإعطاء مثقال باشا وراشد الخزاعي القروض اللازمة لتوثيق الصلة ، وإدامة الاتصال ، ويبين أنهما من الشخصيات الهامة وأصحاب نفوذ قوي في شرقي الأردن ، وأن صلتهما وثيقة بالأمير عبد الله ، وأنه لا يفعل شيئا دون استشارتهما ورأيهما ، وأنه ليس لرفيقان باشا أي مركز مستقل يستدعي التنويه عما سبق[2] .

وكثمرة لهذه الاتصالات فقد عقد « المؤتمر العربي في شرقي الأردن » وكان ت . د من المشاركين فيه يوم 1932/3/15 ، وكانوا قد أدرجوا مناقشة خطر التغلغل الصهيوني وضرورة مقاومته .

عدم جدوى التوصيات المعادية لليهود :

ويشير موسى شرتوك في تقريره عن مقابلته مع ت .د يوم 32/3/19 أن هذا الأخير قد التقى مع مثقال باشا الفايز قبل عقد المؤتمر وأفهمه عدم جدوى إصدار أية قرارات أو توصيات معادية للصهيونية . وقد وعده مثقال بمعارضة هذه التوصيات إن وجدت .

وبالفعل فإن مثقال باشا هاجم الهيئة التنفيذية للمؤتمر ، وقام بالانسحاب

---

(1) تقرير ا . كومين تحت عنوان معلومات جاد يوم 32/7/21 بالعبرية « ا . ص . م ملف س 4143/25 .

(2) ا . ص . م ملف س 3051/25 بالعبرية .

منه ومعه مجموعة من الأعيان مثل رفيقان باشا المجالي وناجي العراد ومحمد باشا السعد[1] .

وكان هناك حسيدوف سمسار بيع الأراضي الذي يقوم بهذه العملية لحساب الوكالة اليهودية حيث يتم شراء الأرض من الفلسطينيين ورغم أن هذه المهمة ذات طابع سياسي في المقام الأول إلا أنه كان يتقاضى 12٪ على عمليات البيع هذه . فهو موت وخراب ديار بالفعل كما يقولون !

مثقال باشا الفايز يدعو لفتح الهجرة اليهودية :

ويحكي شرتوك في تقريره نقلا عن حسيدوف فيقول :

« ثم حدثني حسيدوف كيف أن مثقالا جمع شيوخ قضاء مادَبا وكيف أنه خطب فيهم حول ضرورة فتح البلاد أمام الهجرة اليهودية ، وذلك من أجل تطويرها من ناحية ، ولأن اليهود ستكون عامل ردع أمام خطر سيطرة أبناء المدن على البدو من الناحية الأخرى . وقد أبدى الاستعداد للدفاع عن المستوطنين اليهود حتى ولو بلغ عددهم ألف عائلة »[1] .

وقد قام « جاد » بتقديم أهرون كوهين رئيس القسم العربي في الدائرة السياسية للوكالة اليهودية إلى مثقال الفايز أثناء زيارة لعمان لبحث إمكانية قيام شركة « إيفين فسيد » بالدخول في مناقصة أعلنت عنها بلدية عمان في 4 - 1932/8/5 .

ويقول أهرون كوهين في تقريره :

« في المساء أخذني « جاد » لزيارة مثقال الفايز في بيت صهره هاشم بك خير . وهناك التقيت أيضا بزعيم الشركس سعيد بك المفتي الذي كان

---

(1) نفس المصدر السابق .

مندوب الأمير لتقصي الحقائق في فلسطين عام 1929 ، وقد تمّ تقديمي إلى هؤلاء كموظف في شركة الحاج طاهر قرمان المساهمة إلى جانب مركز العمل التابع للهستدروت في شركة « إيفن فسبد » . أما الحديث فقد دار حول الوضع الاقتصادي الصعب لشرقي الأردن ، وخاصة وضع مثقال الفايز »[1] .

اليهود يعملون والعرب يخطبون !!

هكذا شأن الوكالة اليهودية ! كل من يذهب إلى مكان ويلتقي بأحد يعود فيكتب تقريرا عما حدث وما تم حتى تكمل الصورة في نظر السياسيين والمخططين من اليهود .

وأما الباشوات ومشايخ العرب فغارقون في الكلام الفخيم الذي لا معنى له ، ويعقدون المؤتمر تلو المؤتمر ويختارون له عناوين مثيرة تبعث الخوف والرعب في قلب من لا يدرك الحقائق ، ويقف الخطباء وأهل الكلام ، والعرب جميعا من أهل الكلام ! ويتكلمون ويرعدون ويبرقون ، وتأخذ واحدا منهم « الجلالة » فيدعو المؤتمرين إلى الوقوف ويشهرون سيوفهم ويقسمون على القضاء على خطر الصهيونية في كل قطر من أقطار العرب والمسلمين ، كما رأينا من قبل ، ولم يتكلم واحد فقط ليبين كيف يقضون على الخطر الصهيوني الذي يتحدثون عنه ، وفي المساء يذهبون للسهر مع اليهود في مقهى « جراند » بالقدس ، واليهود لم يعقدوا مؤتمرا واحدا غير المؤتمر الصهيوني السنوي وكان يعقد في سويسرا ، أما في فلسطين فهم يعرفون جيدا ماذا يريدون . ولم يكن لواحد فيهم أن يرفع سيفا ليقسم للقضاء على العرب كما رأينا في ذلك المشهد الهزلي الذي يثير الضحك

---

(1) ا .ص .م ملف س 6313/25 بالعبرية .

والسخرية ، وأشارت تقارير الأرشيف المركزي الصهيوني إلى تلك السخرية التي لم تكن تخلو منها التقارير التي تصف مثل تلك المشاهد .

على النجدة هيا يا رجال !!

وأذكر عندما كنا أطفالا وتفتحت أعيننا على نكبة 1948 وكنا نشاهد بعض الأفلام العبيطة الساذجة في سينما « ينى » بشبين القناطر ، تلك الأفلام التي لم يستطيعوا إنتاج أفلام في جودتها بعد مضي ما يقرب من خمسين عاما الآن . وكان فيلم « عنتر وعبلة » يعرض في تلك الفترة ، فكنا نذهب إلى السينما أكثر من مرة ، ونظن أن الحرب بين العرب واليهود على هذا النحو الذي رأيناه على الشاشة ، وأن الجميع يركبون الخيل ويشهر السيف ويكرون ويفرون على الأودية والنجاد . وأذكر أن واحدا منا – وقد كنا أطفالا – قال : إن العرب يقاتلون بالسيوف والرماح بينما اليهود يحاربون بالبنادق مثل تلك التي نراها على أكتاف الجند في احتفال المولد النبوي .

وكانت تذاع في تلك الفترة أغنية للحماسة والتشجيع ورفع الروح المعنوية عند الشعب ، ومن قد يسمعها من الجند في ميدان القتال .

وكانت الأغنية لمغن مشهور لا أذكر اسمه وتقول بعض كلماتها :

على النجدة هيا يا رجال
على النجدة هيا يا رجال
نريد سيوف نريد رماح
تبدلنا من حال لحال
على النجدة هيا يا رجال

وقد أكدت لي هذه الأغنية التي كانوا يذيعونها – في ذلك الوقت – مائة مرة في اليوم أن المشكلة تكمن في السيوف والرماح وعدم وفرتها ، وأن المطلوب هو تأمينها بالقدر الكافي .

ثم سمعنا بعد الحرب بانسحاب الملك عبد الله من اللد والرملة ، وسمعنا عن الأسلحة الفاسدة ، ولم أكن أفهم في مبدإ الأمر ، وظننت أن السيوف غير مشحوذة ، وأن الخواجات قد باعوا لنا رماحا مقصوفة ، ومن ثم فقد انهزمت جيوشنا أمام اليهود الذين يحاربون بالبنادق .

وكنت أعجب .... لماذا لا نحارب بالبنادق مثل اليهود ؟

وظلت هذه الصور تنتابني بعد أن تقدمت في السن ، لأنها تكونت أيام الطفولة البعيدة ، وعرفت بعدها أننا كنا نحارب بالبنادق مثلهم ، ولكن هناك فرقا بين الذين يحملونها .

وبعد أن قدر لي الاطلاع على تلك الوثائق من الأرشيف الصهيوني المركزي في دراسة الدكتور سليمان بشير عن جذور الوصاية الأردنية عادت لي من جديد فكرة الطفولة الأولى .

لقد كنا نحمل السيوف والرماح الفاسدة في حربنا مع اليهود الذين يحملون آليات فتاكة وأدوات حديثة !!

ونظرة إلى مشهد مثقال الفايز ورفيقان المجالي والمؤتمرين من المشايخ والعربان الذين يرتدون العباءات ثم يشهرون السيوف للقسم على إبادة اليهود أو القضاء على خطرهم تؤكد لك هذا المعنى .

استراتيجية الهاشميين هي الإخلاص للعدو :

ويظهر لنا من تفاصيل اللقاءات والاتصالات بين مشايخ العرب ورجال الأمير عبد الله وبين اليهود ، أنها كانت من ناحية المشايخ دافعها المصلحة المالية في المقام الأول ثم وصلت إلى حد الخيانة القومية ، وكذلك الحال مع الأمير عبد الله مع بعض الاختلاف ، فالدوافع التي جعلت الأمير عبد الله يجري

مثل هذه الاتصالات الواسعة ، وينمي تلك العلاقات ويوطدها قد بدأت من نقطة الخيانة لأنها قد تمت من قبل في زمن سابق ، فهو استكمال للدور الذي ارتضاه لنفسه وعائلته تشايعه في هذا . حتى صارت مسألة التعامل مع الأعداء بشكل عام تشكل مبدأ استراتيجيا في أسرة الشريف حسين ، ومع تطاول العهد عليهم صاروا يجدون لها التبريرات المنطقية والسياسية من وجهة نظرهم ، ويطلقون المقولات السياسية التي يقدمون بها دفاعا عن موقفهم ، وهم في تطوير وتجديد لهذه العلاقات ، وهي تحقق مصلحة سياسية شخصية للأمير والعائلة ، ربما تتوسع دائرة سلطانه من خلال هذه العلاقات ، وهي تأكيد لحكم العائلة لهذه البقعة من الأرض .

وكانت الانهزامية تسيطر على كيان الأمير عبد الله وفكره في سلوكه بشكل عام . وهي التي جعلت التعاون مع الأعداء مسألة حياة أو موت وليس فيها تفريط ، بداية من الإنجليز ونهاية إلى اليهود .

ويبدو أن اليهود كانوا يوجهون المشايخ والأمير عبد الله بطريقة هادئة نحو الارتماء في أحضان الوكالة اليهودية والعمل على دفع المواطنين جميعا على ذلك . ولم تكن لهم خطة في ذلك الوقت لاستيطان المهاجرين في أرض شرقي الأردن وسوريا رغم إلحاح المشايخ والأمير ودعوتهم إلى ذلك ، وكانت خطتهم كما سنرى هي أن تكون هذه البلاد ملاذا ومكانا للفلسطينيين الذين يبيعون أراضيهم ، ومن ثم يجب إخلاؤهم ليحل مكانهم عدد من المهاجرين .

وإن استطاعوا عمل بعض المستوطنات في شرقي الأردن لليهود ، وفي سوريا كما نصح الملك عبد الله ، فسوف تكون هذه حلقة في المخطط الكبير الذي ينفذه جيل الأبناء عن إسرائيل الكبرى التي تصل حدودها حتى الفرات . وكانت الضائقة المالية هي المفتاح مع المشايخ .

في بيت ماير حسيدوف :

وفي بيت ماير حسيدوف تم لقاء يوم 1932/8/1 اشترك فيه موسى شرتوك وماير حسيدوف ، ومثقال باشا الفايز وسكرتيره أبو خالد ومحاميه أبو سليمان . وذلك حسبما جاء في تقرير موسى شرتوك .

وأهمية هذه اللقاءات تظهر في اهتمام اليهود من تضمينها في تقرير وعرضها على أصحاب الشأن في الوكالة للدراسة والتصور ومن ثم إصدار القرار .

وفي هذا اللقاء تكلم مثقال الفايز باشا عن ضائقته المالية ومحاولته الخلاص منها ، واجتماعه مع رئيس الحكومة الشيخ عبد الله سراج وسكرتيرها توفيق أبي الهدى لهذا الغرض . وكيف طالبهم بإعفائه من الديون ومن الضرائب ، أو تأجيل موعد الدفع ، أو شراء قسم من أراضيه مقابل ما عليه من ديون .

أو السماح ببيعها لليهود !!

الحكومة تنصح مثقال برهن أرضه لليهود :

ويقول مثقال باشا حسبما جاء في تقرير موسى شرتوك إنهم نصحوه بعد تشاور طويل بأن يرهن بعض أراضيه لليهود مقابل مبلغ يمكنه من سداد ديونه لسنة أو سنتين . وعند حلول موعد السداد يقوم بعرض الأرض المرهونة للبيع العلني . ولن يجد من يشتريها غير اليهود الذين يمكنهم عندها حيازة هذه الأرض بشكل تلقائي وطبيعي ، ولن يؤدي هذا إلى ضجة في الصحف أو إثارة للرأي العام[1] .

هذا هو رأي الحكومة الأردنية ؛ رئيس الوزراء وسكرتير الحكومة لا مانع لديهم في بيع الأراضي في شرقي الأردن إلى اليهود ، ولكن ينبغي

---

(1) ا . ص . م ملف س 3489/25 ص 1 بالعبرية .

أن يتم هذا دون ضجة أو إثارة .

ويقول موسى شرتوك إن هذه كانت بداية قصة السعي للحصول على قرض مقابل رهن بعض أراضي مثقال ومساحة هذه الأراضي تتراوح بين 30 ألف دونم إلى خمسة وأربعين ألفا .

ويقول أيضا إن مثقال باشا قد أكد لهم في اللقاء أنه كان السبب في تغيير السياسة الأردنية تجاه اتجار وبيع الأراضي لليهود ، وأنه يواصل الضغط لتحقيق المزيد من النتائج .

مثقال باشا يطلب أجرا على خدمته :

وقد استدعى ذلك أن مثقال باشا طلب أجرا على هذا فيما بعد .

ويواصل موسى شرتوك شرحه في تقريره المرسل إلى أورلوزوروف بتاريخ 1932/8/2 في لندن فيقول :

« وبطلب من مثقال أخرج سكرتيره أبو خالد عريضة موقعة من قبل عشرين من الشيوخ يطالبون السلطات فيها بالسماح لهم ببيع أراضيهم دون ما قيود للشركات أو للأفراد من أبناء شرقي الأردن وخارجها ودون تفرقة في الدين للمسلمين والمسيحيين واليهود »[1] .

وفي نفس اللقاء كما يروي شرتوك تحدث مثقال باشا عن فشل مساعيه مع الزعماء الوطنيين في القدس في جمع رءوس الأموال اللازمة لتنمية أراضيه ، وعن خيبة أمله في وعود عوني عبد الهادي والشيخ سليمان الفاروقي وبعض أعضاء اللجنة العربية والمجلس الإسلامي بمساعدته في حل مشاكله المالية .

---

(1) نفس المصدر السابق ص 3 .

وكان يتحدث بمرارة شديدة ، ولم يكف لحظة واحدة عن شتم القوميين العرب في فلسطين والطعن في قوميتهم ، وأنهم كذابون منافقون ، ويؤكد عن نيته في الانتقام منهم .

وأكد مثقال باشا للمجتمعين أن مستقبل فلسطين سيكون مرتبطا بشرقي الأردن التي تمثل الركيزة الوحيدة التي بقيت للتجار وأصحاب رءوس الأموال العرب الذين يقيمون غربي النهر . فإذا دخل اليهود إلى شرقي الأردن فسوف تنتقل التجارة إليه مما سيؤدي إلى تطويق عرب الضفة الغربية وخنقهم اقتصاديا ، ولذلك فهم يعارضون بشدة دخول اليهود إلى شرقي الأردن حتى يحافظوا على مصالحهم الاقتصادية المهددة بذلك النشاط الجديد .

ويؤكد مثقال باشا أنهم لن ينجحوا في هذا فقد أعلن لشيوخ شرقي الأردن أنه سوف يعمل على توطين عدد من اليهود ليس فقط ألف أو ألفي يهودي ، ولكن باستطاعة أراضي بني صخر وحدها أن تستوعب أكثر من 200 ألف شخص . وذكر أن هناك من سيساعده على هذا !!

ولاشك أنه الأمير عبد الله وحكومته ، فهذا مفهوم من السياق ضمنا !! هل كانت الأبعاد السياسية والدينية غائبة عن مثقال باشا والأمير ؟!

لا أعتقد فالإنسان ليس على هذا القدر من السذاجة التي قد يدعيها في موقف ما . ومثل هذه القضية لا يغيب مغزاها ومرماها عن أحد .

ذكرى شخصية من الأردن :

وأذكر أنني كنت في الأردن منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، وكنت في صحبة أحد الصحفيين الأصدقاء ، وعرج بي على معرض للسيارات لمصلحة له يؤديها هناك . وعندما كنا نهم بالدخول إلى مكتب مديره ، همس لي صديقي :

– هذا حفيد ... باشا الفايز الذي باع فلسطين لليهود .

وقال مثقال باشا ولكنه لم يعلق لغرابته . وانتبهت فرأيت شابا جميل الصورة يرتدي قميصا مفتوح الأزرار حتى سرته تقريبا ، وقد زيَّن نفسه بالمصوغات والمجوهرات ، ففي رقبته سلسلة ذهبية عريضة كأن ذرعها سبعون ذراعا ، وفي معصمه أسورة من ذهب ، وأصابعه تزينها اليواقيت والمرجان . وجلسنا وصرت أتأمل فوجدته قد نتف شاربه بمهارة ، وحلق ذقنه فأحسن حلقها ، ثم غطاها في إتقان شديد بطبقة رقيقة من الدهون والكريم ، وكأنه قد وضع صبغة حمراء خفيفة على شفتيه .

وتركت صديقي الصحفي يتحدث مع المدير فيما جاء فيه ، وصرت أتأمل ذلك الشاب من أسرة الفايز المشتهرة وهو يتحدث مع رفيق له ، ويبادلني كلمات ناعمة طرية كل حين ، وأنا مستغرق في منظره العجيب وطريقته في الحديث . وكان من الواضح أنه على درجة كبيرة من الثراء .

وعندما خرجنا من معرض السيارات سألت صديقي الصحفي :

– هل هذا الشاب فلسطيني ؟

– لا هذا أردني قح .

– وهل كان أبوه يملك أرضا في فلسطين ؟

– كان يريد بيع أرضه لليهود . أرضه التي تقع في شرقي الأردن . وتعاون مع الملك عبد الله تعاونا مخلا في تمكينهم من فلسطين ، عن طريق فتح الباب لهم في شرقي الأردن . قصة طويلة .

وقلت له :

– للأسف لم أقرأ عن هذا فيما قرأت عن المشكلة .

وقال لي وهو يزفر بخارا يخرج من فمه في طرقات جبل عمان الباردة فقد كان الوقت شتاء ، والبرد شديدا والمطر يهطل رذاذًا :

– هذا التاريخ لم يكتب بعد . وظني أنه لا يكتب . فهو يؤكد عمالة وخيانة الأسرة المالكة في الأردن .

وقلت له :

– ولكن هذا شيء معروف ويفهمه الجميع .

وقال :

– هذه أمور نعرفها بالسماع من الذين عاينوا تلك الخيانة فتاريخها قريب ، والذين اشتركوا فيها معظمهم أحياء . ولكن سوف يأتي يوم تخرج فيه الوثائق على الناس .

– أية وثائق يمكن أن تخرج على الناس في مثل هذه المشكلة ؟

وقال ونحن نغذي السير فقد زاد المطر :

– اليهود يسجلون كل شيء ... كل لقاء تم مع هؤلاء الخونة كتبوه وحفظوه ... ويأتي يوم ينشرون فيه هذه الصحف .

– وما الفائدة في نشر كلام عن قوم ماتوا ودرسوا ؟

– حتى يتعلم من يأتي بعد ذلك .

وقلت له حزينا :

– العرب لا يتعلمون .

وقال وقد وصلنا إلى غايتنا وقد بلغ المطر مداه :

– لقد حارب الملك عبد الله ومثقال باشا الفايز ورفيقان باشا المجالي وجمع كبير من أعيان الأردن معركة اليهود . وانتصروا لهم .

وظللت تلك الليلة أفكر وأتأمل في هؤلاء المشايخ من العربان والباشوات وماذا فعلوا بأمتهم ودينهم ، وعلام كانوا يقاتلون ؟ من أجل هذا الشاب المخنث الذي يرتدي المجوهرات ويضمخ جسده بالعطور الغالية ، وهم الآن نائمون في التراب ، حيث لا اعتذار ولا تبرير ولا قدرة على التنصل مما فعلوا ، وإن كانوا قد استطاعوا خداع الناس من قبل وموهوا عليهم أعمالهم ، وأخفوا دوافعهم ، فيصعب عليهم ذلك الآن حيث الحساب الدقيق ، والكتاب الأسود الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما فعلوا ؛ ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ .

بدو الأردن ينافسون تجار فلسطين في خدمة اليهود :

كان مثقال باشا الفايز ينظر إلى الرأسماليين العرب من الفلسطينيين بأنهم المنافسون الحقيقيون لمشايخ العرب والبدو من سكان شرقي الأردن ، وكان يرى أن المصلحة تتحقق بالتحالف مع الرأسمالية اليهودية ، ومن ثم يمكنه الوقوف بقوة أمام الخطر العربي الساكن في فلسطين .

وهذا بعد سياسي خطر إن تذكرنا دائما أن مثقال باشا لا يمثل نفسه فقط بل يتكلم نيابة عن الأمير عبد الله – الذي سيأتي ذكره ودوره بالتفصيل – ونيابة عن المشايخ ورؤساء العشائر ، وإذا أضفنا إليه رفيقان باشا المجالي وغيره لوجدنا أن الأردن كله تقريبا يمارس الضغط على اليهود لاستيطان البلاد من المهاجرين ، وليس العكس ، وهذه أيضا عجيبة من العجائب العربية الشرق أردنية .

أهمية الأردن للوكالة اليهودية :

وكانت الوكالة تعي جيدا البعد السياسي الغائب الحاضر في هذه اللعبة . ويتضح ذلك من كلمة أورلوزوروف رئيس الوكالة اليهودية في مجلس إدارة

الوكالة بتاريخ 1932/9/28 حول أهمية التحالف مع شيوخ العشائر وربط مصالحهم باليهود من وجهة نظر سياسية وأمنية فقال أورلوزوروف :

« هذه النقطة هامة من وجهة نظر أمن فلسطين - فلسطين اليهودية طبعا - فلو أن عشائر شرقي الأردن عبرت نهر الأردن في سنة 1929 لكانت أعمال الشغب قد تحولت إلى ثورة ، وقد وقف بنو صخر عندها على جسر أللنبي .

أما المفتي - يقصد الحاج أمين الحسيني - فقد سعى يومها كما يسعى الآن لكسب مثقال الفايز والشيوخ الآخرين إلى جانبه . لذلك فإن لتحييد عشائر شرقي الأردن أهمية خاصة من الناحية الأمنية ، ومن الممكن أن تدفعهم خيبة أملهم إلى عدم الوقوف جانبا في المناسبة القادمة .

وقد قلنا لهم في لقاءاتنا : إما أن توفروا لنا الظروف المناسبة لنشاطنا أو أن نعتبر ذلك في غير مصلحتنا . وأظن أننا نستطيع الخروج من الحلقة المفرغة عن طريق الشيوخ والباشوات فقط .

فالمعتمد البريطاني في شرقي الأردن معني بتأمين الحدود الصحراوية . والأمير - عبد الله - لا يحسن القيادة إذا لم يكن هناك من يوجهه لكونه غريبا عن شرقي الأردن .

والحل الوحيد الآن يوجد في أيدي رؤساء العشائر !!

وإذا توحّد هؤلاء ورفضناهم فإننا نتحمل المسئولية !!

كما تبحث الأقليات الشرق أردنية عن طريق للاتصال بنا !!

لذلك فأمامنا بالدرجة الأولى قضية سياسية وليست اقتصادية .

وإذا سألتموني : من أين لنا الحصول على 5000 ليرة الآن ؟

فيكون جوابي : لا جدوى من الحديث إذن .

أظن أن علينا تجاوز العقبات وإيجاد الوسائل حتى لو اضطر أحدنا إلى السفر للخارج والحصول على الأموال لهذا الغرض »[1] .

وقد أخذت كلمة أرلوزوروف بالقبول والاهتمام والتعقيب والتعليق . واعتمدت تلك السياسة مع رؤساء العشائر ومع الأمير .

اليهود يفكرون في شراء الأراضي في سوريا والأردن :

وقد تقدم م . نحماني باقتراح يوم 1932/9/26 إلى دائرة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية بشأن تأسيس شركة استيطان يهودية تقوم بشراء الأراضي في سوريا وشرقي الأردن بغرض نقل عرب فلسطين الذين باعوا أراضيهم ، ومن يستجد إلى هذه الأراضي[2] .

ويلاحظ أن هذا الاقتراح قد تقدم به نحماني قبل اجتماع مجلس إدارة الوكالة اليهودية بيومين فقط . الأمر الذي يشير إلى انشغال الوكالة وتبنيها لفكرة تجنيد رؤساء العشائر الأردنية لحساب الوكالة ، والاهتمام بمزيد من ربط المصالح مع الملك عبد الله .

وواضح من كلمة أرلوزوروف أن هذا المجلس الخاص بإدارة الوكالة اليهودية لم يكن مجلسا غوغائيا ، بل كانت به نخبة من العلماء وأهل الإدارة والسياسة ، وهم يبحثون كل أمر بحثا دقيقا مفصلا ، ومن ثم يخرجون بقرار مدروس .

رؤساء العشائر يطلبون السماح ببيع الأراضي لليهود :

جرت الاتصالات والقروض إلى تحول مثقال باشا إلى حليف طبيعي مع اليهود حيث ارتبطت مصالحه الشخصية بهم ارتباطا وثيقا . ووقف موقفا

---

(1) ا . ص . م ملف س 3489/25 بالعبرية .
(2) نفس المصدر السابق .

معاديا تماما للحركة الوطنية الفلسطينية .

واختلت الموازين في رأسه عن عمد وقصد أو بدون ذلك فهو يرى أن زعامة العرب في فلسطين تريد أن يستأثر بالخير اليهودي وحدها وتمنعه عن الأرض الجدباء في شرقي الأردن ، وأن فلسطين قد نمت اقتصاديا في ظل الرعاية اليهودية . والقيادة الوطنية تريد أن تمنع نماء شرقي الأردن .

وقد سرت قيادة الوكالة اليهودية لهذا التنظير الذي نطق به الباشا . وبالاتفاق مع الأمير ورجاله ، عقد مثقال باشا مؤتمرا لزعماء العشائر وتوجهوا في وفد إلى الأمير وسألوه هو والحكومة الأردنية والمعتمد البريطاني أن يساعد أبناء العشائر بإلغاء أو تأجيل الضرائب المستحقة عليهم أو السماح لهم ببيع قسم من أراضيهم لليهود .

وقد اعتبر مثقال باشا أن هذه خدمة جليلة قد قدمها لليهود ، ومن الواضح أنه يعي جيدا الجوانب السياسية لهذه القضية .

فيقولماير حسيدوف في تقريره المرسل إلى الوكالة :

« ألمح مثقال في نهاية حديثه بأن له الحق الآن في مطالبتنا بمساعدته على الخروج من مأزقه الحالي »[1] .

وقد أحدث تصرف مثقال ومن معه خللا خطيرا في الشكل العشائري الأردني وتصوراته وآفاقه ومجال النشاط ، وحتمية التعاون الاقتصادي والسياسي والاجتماعي مع اليهود ، وجعل ذلك هدفا لكل رئيس عشيرة ، فهم يتنافسون في الاتصال بالوكالة اليهودية ورجالها ، ويعتبرون ما وصل إليه مثقال باشا وزملاؤه هو غاية ما يمكن أن يصل إليه حكيم حصيف يبحث عن المال ، ويجد من ينقذه بالقروض السريعة في الوقت الذي يشاء .

---

(1) ا . ص . م ملف س 6313/25 بالعبرية .

فقد تم الاتفاق على رهن بعض أرضه لمدة خمس سنوات بمعرفة الوكالة ومن خلال « شركة تطوير أراضي فلسطين » وجاري فحص أراض أخرى لعمل الرهن اللازم لها . وكأن الأراضي قد خلقها الله سبحانه وتعالى للرهن والاقتراض والبيع وليس للإعمار .

فكل رؤساء العشائر يتسابقون لرهن أراضيهم تمهيدا لبيعها إلى اليهود .

وكان الأمير عبد الله قد نجح في تلك الأثناء برهن جزء من أراضيه في الغور لليهود وأثار ذلك ضجة كبيرة وتحولا في الرأي العام الشرقي أردني ، فبينما قيلت الكلمات البليغة في السر ، كان ما حدث إذنا عاما لكل من يستطيع أن يفعل مثلهم .

حكمة الوكالة ونزق العربان :

وكانت الوكالة اليهودية حصيفة حكيمة في التعامل مع هؤلاء المشايخ والعربان ، فهي التي ترسم لهم السياسة ، وتقول لهم ما ينبغي أن يفعلوه ومالا ينبغي . ونصحت مثقال باشا بالتريث في مسألة القرض الجديد أو رهن أراضي « البرزين » حتى تهدأ الضجة . ونظير ذلك منحته قرضا من الوكالة نفسها ، وليس من شركات شراء الأراضي ورهنها حتى تخفت الضجة ، ومن ثم يتم الرهن في أمن وهدوء .

وكان نشاط مثقال باشا الفايز وسكرتيره أبي خالد يتمثل في محاولة رهن أراضيه التي أخذها بلا معنى أو سبب اللهم إلا أنها كانت تقع في مضارب بني صخر عشيرته من حملة السيوف .

وكان الرجل شديد الاستياء لحكمة اليهود وحساباتهم الدقيقة التي تحول دون إتمام الرهن بالسرعة التي ينشدها هو . فكان كثير التردد على رفيقان باشا المجالي وعلى الأمير عبد الله ، ويلتقي برئيس الديوان محمد الأنسي يوعيهم

بأهمية التعاون مع اليهود ، وهم أكثر وعيا منه بهذه القضية ، وأكثر حرصا عليها ، ولكل واحد منهم ملف ضعف ملفه أو ضعفاه في الوكالة اليهودية .

وكانت المؤتمرات العربية تعقد في ذلك الوقت أثناء ذلك النشاط الخطر . وكان الذين يرهنون الأراضي من أبرز المتكلمين فيها .

اليهود وفن صناعة العميل :

ونحن هنا نتكلم عن رجال الأمير ودورهم في العلاقات العربية اليهودية تمهيدا للحديث عن الدور الخطر الذي لعبه الأمير عبد الله وسائر أسرة الشريف حسين في التمكين لليهود وخلافه في هذه المنطقة من أرض العرب . ومثقال باشا الفايز شيخ عرب ومتلاف ومبذر ، وجاءته الأراضي من حيث لا يحتسب ، فهو يرهنها ذات اليمين وذات الشمال . وهو يتفضل على اليهود بأن يذكرهم بالخير في مجالسه ، ويبين لزملائه من المشايخ وأتباعه من العربان كيف أن العناية الإلهية قد حبتهم بذلك النبت الصالح من ولد إسرائيل على غير حول منهم ولا قوة ولا جهد . وبقي عليهم أن يهتبلوا الفرصة التي أتاحتها لهم السماء فيسلموا إلى اليهود قيادهم ، وهم قادرون على أن يرتفعوا بهم إلى آفاق لم يحلموا بها ، فعندهم العلم ولديهم المال الوفير ، الذي لا أول له ولا آخر ، فهم يأتون به من البنوك في القدس وتل أبيب وحيفا ، وإن حزبهم أمر وأعيتهم الحيل فهم يستقدمون المال بالتلغراف أو التليفون ، من حيث لا يعلم أحد من مدن كثيرة زاهية تتلألأ بالليل وتشرق بالنهار في أوروبا وأمريكا . أما هم فأعراب جفاة يعيشون على الأمطار ويأكلون « المجدرة » وينامون على مقربة من ماشيتهم ، ولا يفترقون عنها إلا في أقل القليل من الملبس الذي يلبسون ، والماشية لا ترتدي عباءة ، ولا تضع في أقدامها الحذاء .

ولم يفهم الفايز أو غيره أن الأمر ينتهي عند هذا النحو ، فهو يرسل الخطاب إلى ماير حسيدوف أو إلى موسى شرتوك أو إلى غيره ممن عرف فيسارع الآخر بإرسال المال وكفى الله المؤمنين القتال .

لم يفهم مثقال قانون العمالة الخالد الذي يقضي بأن يطالب العميل دائما بتقديم التنازلات والخدمات . وإن كان العميل قد سلك سبيل الخيانة بسبب المال وجمعه ، وهذا ما حدث عند مثقال وغيره قبل أن يكون ذلك مبدأ في رأسه وعقيدة في نفسه حتى يحقق توازنا قد فقده في ذاته ، وأمنا داخليا يبحث عنه فلا يجده ، فهو يُطَالَبُ بمزيد من الخدمات أو يمنع عنه المال الذي صار عصبا لحياته التافهة .

واليهود يلعبون هذه اللعبة باقتدار حتى يمكنهم أن يسوسوه في سلاسة ، ويحصلوا على ما يريدون منه في يسر ، دون أن يجفل أو تصيبه نوبة من نوبات الشرف فيرتد على عقبيه مثل ما فعل حسين باشا الطراونة ، والذي عاد بعد ذلك للاتصال ، ولكن في حذر وارتياب ، وعلى خوف من أن يفتضح أمره أو أن يشعر به قومه ، ولم يفهم أن الخيانة يستحيل إخفاء رائحتها ، فهي تزكم الأنوف ويعرفها الجميع .

وبدءوا يطلبون منه المزيد من الخدمات في حذر وحذق ، وهو لا يملك غير أن يستجيب على أمل ألا يتأخر الرهن القادم كثيرا .

ولما مضى معهم إلى آخر الشوط الذي يظنه ، طلبوا منه في وضوح وحزم أن عليه القيام بنشاط سياسي مكثف في شرقي الأردن حتى يمكن تغيير القوانين التي تمنع الاستيطان والهجرة إلى هناك . وأفهموه أن هناك الكثير من الوجهاء والأعيان قد تم الاتفاق معهم على ذلك أيضا ، وأمير البلاد يبارك هذا النشاط .

ولم يكن مثقال باشا في حاجة لهذه الملاحظة فهو يعرفها ، ويحضر اللقاءات والاجتماعات في الليل والنهار ، في قصر الأمير بالشونة ، وفي جبل عمان الموحش القفر في ذلك الوقت ، وفي أماكن أخرى متفرقة ، وهو يعرف جميع العملاء كما يعرف أبناءه ، وهو يريد أن يتفوق عليهم ، وأن يكون هو الوحيد الذي يستحيل على أحد الاستغناء عنه . فهو يريد أن يري الوكالة اليهودية أنه في هذا المجال أكثر أهمية وضرورة لهم من الأمير نفسه ، ويريدهم أن يعرفوا أنه بدونه لا يستطيع الأمير أن يقدم لهم الخدمة المطلوبة ، أو أن يؤدي المهام على النحو المرضي الذي يحقق أهداف اليهود .

وكان يكثر من الاجتماعات والمؤتمرات والزيارات ، فهو يعرف أن عليه حافظين كراما كاتبين يعلمون ما يفعل ، ويدري أن هناك من ينقل عنه كل كلمة يقولها ، وكل إشارة يلمح بها ، وهو يفهم أن اليهود قد تمكنوا من بلاده وتغلغلوا فيها ، وتخللوها حتى النخاع . وهو يدرك أنه لا يستطيع أن يحيط بكل العملاء الذين يعملون لحساب اليهود . فقد عرف جانبا من أسلوبهم وطريقتهم ، وإن كان قد عرف عشرة عملاء ممن يعملون لحساب الوكالة اليهودية ، فهناك ألف عميل لا يعرف عنهم شيئا ، والحكمة والأمن في طاعة الوكالة . وأن الخير والبهجة والستر و « المناسف » التي لا أول لها ولا آخر ، في تنفيذ الأوامر من شرتوك أو حسيدوف ، أو أي مخلوق له صلة بالوكالة ؛ الوكالة اليهودية !

الحاج محمد حمزة :

وهناك الحاج محمد حمزة الذي لعب دورا هاما في لعبة بيع الأراضي ورهنها والتمكين لليهود ، وكان يعمل كوسيط بين مشايخ الأردن وعلى الأخص شيوخ آل المجالي وبين الوكالة اليهودية . وكنا نراه من خلال

التقارير متواجدا في كثير من اللقاءات والاجتماعات . ووصفته التقارير أنه من أعيان الخليل .

وهناك رسالة محفوظة في الأرشيف الصهيوني من عطوي باشا المجالي إلى الحاج محمد حمزة مؤرخة في 1932/11/20 ووجودها في الأرشيف المركزي الصهيوني مع غيرها من الرسائل الشبيهة ، بالإضافة إلى مضمون التقارير يؤكد الصلة الوثيقة للحاج محمد حمزة والوكالة .

تقول الرسالة :

« إلى حضرة السيد الحاج محمد حمزة المحترم .

بعد هذا السلام ، أبدي ، سابق حرّرت لكم مع خليل المدانات وتأملت أن تجاوبونا ، وحضر خليل من طرفكم ، ولم نر أقل جواب ، لذلك أعود وأكتب هذا الجواب لحضرتكم متأملا أن تسعوا بكل جهدكم وتعملوا لنا مثل ما سعيتم مع غيرنا . ونحن نقدر لكم كل أمر ونساعدكم بجميع ما ترغبون . وبهذه الوسيلة أقدم لكم مزيد السلام وننتظر أن تكون عملت شغل ، وكلمنا للحضور ، وبالختام دوم لأخيك »[1] .

ومن الواضح أن محمد حمزة أحد الذين يعملون بهمة وجد مع الوكالة في ترتيب عمليات الرهن والبيع من العرب إلى اليهود . وهو يكتب تقارير عن كل ما يراه ، ويقدم المقترحات اللازمة من أجل إنجاح الاستيطان ، ومن أجل خلق رأي عام قوي يؤيد ويشجع هذه الاجراءات . وهو على صلة طيبة بالحكومة الأردنية وبالأمير عبد الله الذين يشاركون في هذا النشاط ويشجعون عليه . وواضح أيضا أن كل مشايخ العرب حريصون على

---

(1) ا . ص . م ملف 3489/25 بالعربية .

الصلة بالوكالة ، وهم يجتهدون في البحث عمن يقدم التسهيلات في هذا المجال . وهم يتوسلون إلى الوسيط كما رأينا في الرسالة : « أن تسعوا بكل جهدكم وتعملوا لنا مثل ما سعيتم مع غيرنا » . وكأنه مهرجان كبير وسباق لبيع الأراضي ورهنها لليهود . والفائز من اهتمت به الوكالة وسعى من أجله الوسطاء .

وفي تقرير لموسى شرتوك ينسب فيه كلاما لمحمد حمزة ويرمز له م ح ولاحظنا في هذه الوثائق أنهم عندما يرمزون إلى اسم ولا يذكرونه في صراحة في هذه الوثائق فإنها قرينة على الصلة العضوية بين الوكالة وبين ذلك المشار إليه بالرمز دون التصريح ، وأحيانا يذكرون الاسم .

يقول التقرير :

« يقول م . ح :

1 ــ يقترح زعل باشا المجالي ابن أخ رفيقان باشا تسجيل 1000 دونم من أراضي لسان البحر الميت على اسمنا في طابور شرقي الأردن دون مقابل ، بشرط أن يُتعهد بمساعدته على فلاحة المساحة المتبقية من أراضيه هناك . وقد قرر زعل أن يكون أول من يفتح الطريق لإصدار كوشان على اسم اليهود في طابور شرقي الأردن .

وقد اتفقت ــ شرتوك ــ مع م . ح ــ محمد حمزة ــ على تأجيل البحث في الاقتراح إلى حين قيامنا بالعمل الذي وعدنا به رفيقان باشا . ويقترح م . ح ــ محمد حمزة ــ أن يقوم من طرفنا بإرسال شخص لمعاينة أراضي زعل والتحدث إليه .

---

2 ــ يلح الشيخ عطوي باشا المجالي ، ابن أخ رفيقان باشا والذي يحمل

لقب شيخ مشايخ عربان الكرك على م .ح أن يرتب له لقاء معنا « كما فعل بالنسبة للآخرين » .

قلت ــ إننا مستعدون لعقد مثل ذلك اللقاء في القدس في أي وقت ملائم »[1] .

وفي تقرير آخر لموسى شرتوك بتاريخ 1932/12/20 يقول :

« يقول الحاج محمد حمزة إنه استلم رسالة من رفيقان باشا المجالي حول إمكانية أخذ الذين يقال بأنهم يفاوضون الأمير « يقصد موظفي الوكالة » بعين الاعتبار فيما يتعلق باقتراح زعل المجالي .

وواضح من خلال الرسالة أن محمد حمزة قد علم بكون الأمير قد حدث رفيقان أثناء زيارته الأخيرة للكرك عن مفاوضاته بشأن أراضي الغور . كما أن محمد حمزة يعلم أن صيغة الاتفاقية قد قدمت للأمير « من قبل الوكالة » وأنه أعادها مقابل إدخال بعض التعديلات عليها .

وقد أجاب محمد حمزة رفيقان بأنه لا يعقل أن يسعى طيلة سنة كاملة من أجل إقامة العلاقات بين اليهود وشرقي الأردن ، وأن يصرف من أمواله لهذا الغرض على أمل المستقبل ، بينما يتوصل آخرون إلى ذات الهدف دون وساطته . وقد أجابه رفيقان مؤكدا على أنه يكفل أن يقوم الأمير بتسديد أتعاب محمد حمزة في مشروع ينوي افتتاحه قريبا »[2] .

شيوخ العشائر يتوسطون لبعضهم عند اليهود :

ومع تطور العلاقة بين مشايخ العرب في شرقي الأردن وبين الوكالة صار البعض منهم يتوسطون من أجل الآخرين ، فنرى رفيقان باشا يتوسط عند

---

(1) أ .ص .م ملف س 3489/25 بالعبرية .

(2) المصدر السابق نفسه .

الوكالة من أجل أن تمنح خليل المدانات قرضا ، وكذلك بعض الشيوخ .

ويوصي رفيقان في رسالته الأولى بمنح خليل المدانات قرضا بمبلغ 200 ليرة لكونه « يقوم بالخدمات الصادقة والسعي الطيب ، حبا بمنفعتكم ومصلحتكم » كما يؤكد على كفالته له مشيرا إلى أنه « من أكبر ملاك المسيحين بأراضي الكرك والغور والبجاد .

أما في الرسالة الثانية فنجد رفيقان يوصي لابن أخيه زعل المجالي بالمثل . ويكفله مشيرا إلى أنه « من أكبر الملاك بالغور وأراضي الربذ » وأنه سيسدد عن طريق رهن أراضيه أو بيعها إذا لزم[1] .

زعل باشا المجالي يتقدم بطلب إلى الوكالة اليهودية :

ثم نجد تطور علاقة زعل باشا المجالي الذي كان يوسط محمد حمزة وعمه رفيقان باشا لتزكيته لدى أصحاب الوكالة اليهودية . فنراه يرسل رسالة باسمه وتوقيعه لهم . ويبدو أن هذه الخطوة قد مهد لها من قبل توقيع الرسالة ، وأن الرسالة كانت ثمرة لمساع كثيرة .

ويقول زعل باشا المجالي في رسالته :

« إلى جناب الفاضل الخواجة موشى شرتوك المحترم حفظه الله .

سلام محبة واحترام . أعرض أنني صاحب أملاك واسعة بغور المزرع ومحتاج إلى مساعدة لأجل تعميرها . إما بطريقة الرهن أو بيع قسم منها .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3515/25 النصوص الأصلية بالعربية عن كتاب د . سليمان بشير « جذور الوصاية الأردنية » المشار إليه من قبل .

وقد كنت أود أن أتشرف عندكم بنفسي إلا أن كثرة أشغالي تمنعني عن السفر ؛ لذلك أحرر كتابي هذا إليكم مع خليل بك المدانات وحضرته ينوب عني على أن يتفق معكم بطريقة تكون موافقة لكلا الطرفين . وإذا أمرتم أن تشرفوا لغور المزرع لكي تشاهدوا أراضينا بأنفسكم وعندها نتم الاتفاق بالطريقة التي ترغبونها . هذا ما لزم وبالختام تفضلوا بقبول تحياتي واحتراماتي سيدي »[1] .

ويبدو أن خليل بك المدانات بعد أن كان يبحث عمن يوسطهم لدى الوكالة اليهودية صار هو شخصيا يقوم بدور الوسيط بين مشايخ العرب وبين اليهود ، وقد اتضح ذلك من الرسائل الكثيرة التي أشير فيها إلى اسمه ، وأنهم يفوضونه في الاتفاق مع اليهود ، وأن ما يراه خليل بك هم يوافقون عليه .

وواضح أن الوكالة تعمل على تطوير علاقاتها بشكل سريع مع العناصر الفاعلة في شرقي الأردن ، وتشجع على قيام البعض بهذه الوساطات .

الشيخ حمد بن جاري يطلب المثول بين يدي شرتوك :

ونجد رسالة أخرى في الأرشيف قد أرسلها في 1932/12/27 من يسمى حمد بن جاري شيخ مشايخ عرب الحويطات يقول فيها :

« إلى حضرة الخواجة موسى سكرتير الرئيس المحترم .

بعد إهدائك وافر التحية القلبية . أبدي . قبل أن يكون بيننا عرف أقدم لحضرتكم هذه الرسالة مع صديقنا خليل بك المدانات الذي توقنا لزيارتكم لأجل تبادل المعرفة والصداقة . لذلك أنا يوجد عندي شغل ضروري

---

(1) ا .ص .م ملف س 3515/25 بالعربية .

أتوجه إلى عمان من أجله . وقد فوضت خليل إلى مقابلتكم لكي يتكلم معكم بخصوص نيتنا نحوكم . وإن شاء الله بعد عودته إلينا نكون جاهزين للسفر بحسب الوقت الذي تخصصونه لنا أن نكون به عندكم . وكيف لا يكون هذا مادام الواسطة بيننا وبينكم أعز أصدقائي خليل الذي تفضل علينا وغمرنا بفضله وسهل لنا أمر السفر لأهلنا ، وهذا على حسابكم . ونحن الآن رهن الأمر منكم - وبالختام تفضلوا فائق الاحترام »[1] .

وتتوالى الرسائل على الوكالة اليهودية وكلها من رؤساء العشائر يعرضون على اليهود خدماتهم ويتوسلون لقبولها . ويؤكدون فيها ولاءهم وحرصهم على ما فيه منفعة الوكالة .

متري باشا زريقات يعرض خدماته :

ونجد متري باشا زريقات يرسل رسالة إلى موسى شرتوك يقول فيها :

« سعادة الخواجة موسى سكرتير الرياسة الصهيونية المحترم .

تحية طيبة مشفوعة بأبلغ الاحترام والشوق لرؤيتكم . عزيزي . إنكم تعلمون ولا ريب أنني كنت أول من انبرى للدفاع عن رعايتكم المشروعة في المجلس التشريعي لرد كيد الخصوم في نحورهم . وبعون الله تعالى وفقنا إلى إحباط عملهم ذلك الذي يرمي إلى وضع الحواجز في سبيلكم ، صدا لكم عن غايتكم وغرضكم النبيل الذي لا يرمي إلا إلى إحياء البلاد وغوث العباد . ولا غرو فإن مشاريعكم في فلسطين لأكبر مروج لدعايتكم ومؤيد لقضيتكم . التي هي جل ما نتمنى وغاية ما نريد . والآن فإني موفد شقيقي سلامة لكي يفهمكم ما حدث ، ومزمع أن يحدث . حيث أولا كتب

---

(1) ا .ص .م ملف س 3489/25 بالعربية .

مرسلا لكم مكاتب من الكرك مع أحد أولاد العم ورجع دون تسليمه لكم . والآن أعد أحد المكاتبين للخواجة أبو إسحاق . والناس أكيد مع الأخ . وتروني أرقب جوابكم أو كلامه مع الأخ . حتى أقف على رأيكم في الموقف . حتى إذا كان من الممكن لدى الرياسة تأسيس بنك عقاري برأس مال كبير عندما نسعى إلى ذلك بكل وسيلة ممكنة . لأني وأشهد الله أعطف على مصلحتكم كواحد منكم . وإني من الصميم أود أن أراكم بين ظهرانينا »[1] .

وقد أرخت هذه الرسالة في 1932/6/5 .

من هذه الرسائل الكثيرة المرسلة من المشايخ إلى الوكالة اليهودية وحرص هؤلاء المشايخ على إبداء الولاء والخروج من دائرة المصالح والقروض إلى تقديم المقترحات لتحقيق القضية اليهودية يبين لنا التطور السياسي للإمارة وتحالفها الوثيق مع الحركة الصهيونية تحت قيادة الأمير عبد الله ، وأنه قد حدث توجه عام إلى دعوة اليهود إلى الاستيطان في شرقي الأردن ، وقد أحدث هذا التوجه صفوة المجتمع وقياداته الممثلة في الأمير والشيوخ .

بعض الأسماء من الأرشيف :

ونجد قوائم بالذين اجتمعوا من أجل إقرار أهمية الهجرة اليهودية ليس إلى فلسطين ولكن إلى شرقي الأردن فهم يريدون منافسة أولئك الذين يعيشون في الضفة الغربية من النهر . وكلهم في خدمة اليهود .

وبينما كان ا . كوهين في فندقه بعمان زاره مثقال باشا الفايز وأخبره أنه قادم لتوه من اجتماع تم في بيته حضره بعض الأعيان ، وكلهم على اتفاق كامل في تأييد فكرة دخول اليهود إلى شرقي الأردن . وكان ذلك مساء 1933/1/16[2] .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3525/25 بالعربية .

(2) ا .ص .م ملف س 6313/25 ص3 بالعبرية .

وهؤلاء الأعيان كالتالي :

سلطان باشا العدوان	غور السلطان
راشد باشا الخزاعي	عجلون
سالم باشا الهنداوي	عجلون
رفيقان باشا المجالي	الكرك
فلاح باشا البركات	الرمثة
سعيد باشا أبو جابر	السلط
عيسى قعوار	السلط
أبو يوسف السكر	السلط

وفي يوم 1933/1/17 ينقل كوهين مادار في بيت مثقال باشا في ذلك اليوم .

وقد حضر هذا اللقاء : مثقال باشا نفسه ومحمد بك المحسن « حاكم لواء عجلون » وسعيد بك المفتي « ممثل الطائفة الشركسية في المجلس التشريعي » والشيخ موسى خليفة « المدعي العام بالسلط » وتوفيق بك الحنداوي « من كبار ملاك الأراضي في مَادَبَا » .

وقد نقل كوهين مادار من حديث على النحو التالي :

توجه محمد بك المحسن بالحديث إلى مثقال باشا الفايز قائلا :

-هل جماعتك في القدس جادون ؟

وأجابه مثقال متحمسا في اندفاع :

– أقسم بأنهم مخلصون ويريدون مصلحتنا .

وسأل توفيق الحنداوي :

– هل حاولت طرقا أخرى ؟

ورد عليه مثقال موجها له الحديث مرة وللمجتمعين مرة أخرى :

– لقد تحدثت إلى المجلس الإسلامي ، وإلى البنك العربي ومؤسسات أخرى . وكلهم يتحدثون عن الوطنية . ولكنهم غير مستعدين للقيام بأي عمل .

وقال توفيق الحنداوي ساخرا مستاء :

– وما قيمة وطنيتهم ؟

وتدخل سعيد المفتي :

– هناك يهود في سوريا والعراق ومصر ، فلماذا لا يأتي اليهود إلى شرقي الأردن أيضا ؟

وقال محمد بك المحسن منبها :

– ومع ذلك يجب ألا ننسى أن لليهود مطامع دينية أخرى في فلسطين .

وهنا تدخل الشيخ موسى خليفة مندفعا في حماسة :

– أقسم أن النزاع بين اليهود والمسلمين هو من دسائس النصارى .

وقال توفيق الحنداوي :

– أقترح حل المشكلة بنقل يهود فلسطين إلى شرقي الأردن .

وسأل سعيد المفتي :

– هل هناك اتفاقية بين الأمير واليهود ؟

وردّ عليه توفيق الحنداوي :

– سمعنا أنه أجّر أراضي غور الكبد لليهود مقابل 2000 ليرة في السنة .

وتلفت الحاضرون إلى بعضهم يستوعبون ما سمعوه ، وهنا اندفع مثقال باشا الفايز مدافعا :

- هل هذه جريمة ؟ لماذا يجب أن نبقي الأرض معطلة ؟

وقال سعيد المفتي :

- إذا توصلنا إلى اتفاق مع اليهود ستقوم ضدنا ضجة في شرقي الأردن .

وهوّن عليهم مثقال الأمر قائلا :

- أنا أتولى أمر الذين سيصرخون .

وقال توفيق الجنداوي :

- لا تستهن بهم . لقد ذهبت اليوم إلى اجتماع لحزب الاستقلال حيث أسمعت خطابات معادية للأمير من قبل عادل العظمة وحسين الطراونة وآخرين .

وتدخل محمد المحسن :

- إن وضع الأمير صعب الآن .

وقال مثقال الفايز :

- سنتمكن بمجهود بسيط من دحر هذه العصابة . نحن نعلم من هم . إنهم يبذرون أموالهم في القمار ولعب الورق ولا يستطيعون قيادة الجمهور .

وواضح أن مثقال يجمع الأنصار والمؤيدين من أجل الدفاع عن ارتباط الأمير بالوكالة اليهودية ، ودعوة الرأي العام إلى تبني فكرة استيطان اليهود في شرقي الأردن .

مؤتمر عربي لخدمة الصهيونية :

ويقول ا . كوهين في نهاية التقرير :

« قبل أن أترك مثقالا تحدّث إلى مرة أخرى عن الحاجة في عقد مؤتمر

لشيوخ العشائر والزعماء . وقد عرض علي قائمة بأسماء الذين ينوي دعوتهم »[1] وقد أكد له مثقال من قبل تأييد الأمير عبد الله لفكرة الدعوة إلى مثل هذا المؤتمر .

وتم عقد المؤتمر ، وبعد ذلك كتب مثقال باشا في 1933/2/3 خطابا إلى :

« حضرة الصديق الدكتور أرلوزوروف رئيس الوكالة اليهودية المحترم . بعد السؤال على خاطركم العزيز . أود إعلامكم أنني عقدت اليوم مؤتمرا في بيتي الخاص في عمان حضره الكثير من الوجهاء وأكثر أعضاء المجلس التشريعي وقد قمنا بالإبراق لسمو الأمير ولسعادة المندوب السامي في القدس في طلب عاجل للقيام بنشاطات تطويرية نحن بحاجة لها . لذلك أخبركم أنه تم تسهيل أمرنا والجميع يؤيدوننا . وما احتجنا إليه من مصاريف البرقيات والسيارات قمنا بالإيفاء به ، على الرغم من أن ذلك قد أخر من عملي الشخص . لأن الوقت مناسب . لذلك قمت بما أستطيع في الوقت الحاضر . وبقي علينا أن ندعو أهالي جبل عجلون والكرك ومعان وقضاء مادبا لدعم المطالب التي وردت في برقياتنا ، وذلك معلوم . أخبرونا عن رأيكم فيما يجب عمله لأن المناسبة مواتية من جانب ما يريده المواطنون . أرفق بهذا طيه رسالة للسيد خانكين أرجو إيصالها له . سلامي إلى الأخوة السيد موشى والسيد هارون .

(....) مثقال الفايز

التحرير : محمد خالد .

ملحوظة : جميع نسخ البرقيات محفوظة عندنا لوقت الضرورة[2] .

---

(1) نفس المصدر السابق .

(2) ا .ص .م ملف س 3491/25 عن الترجمة العبرية .

وقد تمت المطالبة بالسماح لليهود باستيطان شرقي الأردن من خلال إبراز الضائقة المالية التي مر بها العشائر والبلاد ، وأن هذه الفكرة سوف تحقق الرواج المطلوب وتؤدي إلى التطوير .

وهذه واحدة من البرقيات التي تم إرسالها لتغيير القوانين واستبدال السياسة القائمة ، وقد وقع عليها واحد وعشرون من المشايخ ورؤساء العشائر البدوية ، ومن بينهم أعضاء المجلس التشريعي .

ونص البرقية كالتالي :

« إلى سمو الأمير عبد الله .

إلى دولة المندوب السامي لشرقي الأردن .

إن الشعب الأردني الذي أقمتم له الأسس القومية يرى في استمرار المطالبة بالديون القديمة ، وحظر بيع الأموال غير المنقولة سوى عن طريق البنك الزراعي ، والوقوف في وجه محاولة البحث عن رءوس الأموال في حين تعاني البلاد من ضائقة خانقة ، ما يدفعه إلى الإيمان بوجود سياسة جديدة تهدف إلى هدم أركانه وإبادته . لذلك فإنه يستحث سموه في طلب المساعدة ، ويرجوه في إنقاذ البلاد بالوسائل ومشاريع التطوير التي ترونها مناسبة »[1] .

وفي هذه البرقية نجد التالي :

- دعم الأمير عبد الله في تأجيره لأرضه للوكالة اليهودية .
- الوقوف بجبهة قوية أمام الحركة الوطنية في فلسطين والأردن .
- كون الموقعين من أعضاء المجلس التشريعي الأردني يؤكد خطورة التوجه وقوته ويبين أنها سياسة البلاد العليا .

---

(1) نفس المصدر السابق .

• كسر معظم الحواجز المتبقية بين اليهود والعرب .

• تقديم المفهوم المعاكس أن الهجرة اليهودية هي في الحقيقة لصالح العرب . وأن قيام دولة لليهود ليس بالأمر الذي يؤدي إلى كل هذا الانزعاج بل ينبغي الترحيب به والعمل على تنفيذه بنجاح . فتقديم المساعدات من خلال دولة لرؤساء العشائر أفضل لهم ألف مرة من تقديمها من خلال الوكالة .

• دور الملك عبد الله المتحالف مع اليهود وتقويته ودعمه .

مؤتمر شرقي أردني يهودي في القدس :

وقد وصل هذا النشاط إلى مداه عندما تم اللقاء في فندق الملك داود يوم 33/4/8 بين القيادة الصهيونية والقيادة الشرقي أردنية .

وكان الجانب الصهيوني يتكون من :

دكتور حايم وايزمان .

حايم أرلوزوروف .

عمانوئيل نيومان .

هيكنز .

بيرحون .

بن تسفي .

المليح .

إبراهام شابيرا .

موسى شرتوك .

أهارون كوهين .

وكان الجانب الشرقي أردني يتكون من :

مثقال باشا الفايز	زعيم بني صخر .
راشد باشا الخزاعي	شيخ مشايخ جبل عجلون .
متري باشا زريقات	زعيم الطائفة المسيحية في مؤاب .
سالم باشا أبو الغنم	شيخ مشايخ لواء البلقاء.
شمس الدين سامي بك	زعيم الطائفة الشركسية .
محمد أبو خالد	سكرتير مثقال باشا .

وكان جميع المجتمعين من الجانب الأردني أعضاء في المجلس التشريعي .

ومعظم المجتمعين من الجانب الصهيوني أعضاء في مجلس إدارة الوكالة اليهودية . وكان أهم توصية اتفق عليها الطرفان هي :

« ضرورة التعاون المشترك بقيادة كل من الأمير عبد الله والدكتور وايزمان بما فيه مصلحة البلدين ، على الرغم من المحرضين الذين يسمون أنفسهم بالقيادة القومية »[1] .

وشتان ما بين حايم وايزمان والأمير عبد الله ابن الشريف حسين ، والشقيق الأكبر للثورة العربية الكبرى !!

إنشاء أحزاب عربية بتمويل يهودي :

وقد عملت الوكالة اليهودية بعد ذلك اللقاء على تشجيع وإنشاء بعض الأحزاب السياسية وتمويلها والقيام بمتطلباتها المالية حتى تكون سندا حقيقيا لها في مواجهة التيارات الدينية والوطنية المعارضة للسياسة اليهودية .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3510/25 بالعبرية .

فقد أسفر اللقاء الذي تم في فندق الملك داود بالقدس والمشار إليه، بين القيادة الصهيونية ورؤساء العشائر الأردنية عن قيام ضجة إعلامية ضد هذا اللقاء والمقترحات والتوصيات التي تمت فيه.

ومن أهم الأحزاب التي تم تأسيسها لتحقيق الغرض الصهيوني الأردني «حزب التضامن الأردني»، وكان قد تم تأسيسه في 1933/3/24 وبدأ ينشط نشاطا كبيرا بعد الاجتماع الذي تم في فندق الملك داود.

وقد نص البند الأول من نظامه الأساسي على:

«الإخلاص لسمو أمير البلاد وأعقابه من بعده»[1].

وكانت الوكالة اليهودية شديدة الاهتمام بهذا الحزب وتعلق عليه الآمال العريضة في تحقيق أهدافها.

ويتضح ذلك من رسالة موسى شرتوك إلى أرلوزوروف المؤرخة في 1933/4/27 والتي يقول له فيها:

«لقد حدث ما خشيناه. جاء أبو خالد اليوم وحدثنا عن قضية كاملة. منذ حفلة «الملك داود» والضجة تتزايد. الاستقلاليون نشطون جدا.

لقد أحضروا الأموال من فلسطين ووزعوها في عمان والسلط. ونظموا مسيرة من أهالي السلط إلى عمان. وينوون تنظيم مظاهرة. باختصار الحركة نشيطة. الهجوم في الصحف لا يتوقف، والشخصيات التي اشتركت في الاحتفال تشكل هدفا للطعن. أمور حزب «التضامن» الذي أسسه جماعتنا تسير ببطء. وهناك حاجة في المساعدة من أجل تنشيطها.

(1) النسخة الأصلية للنظام الأساسي للحزب في ملف س 3491/25.

يطلب إليك مثقال أن تعين له مقابلة يقوم فيها بطرح برنامجه . أخبرته بسفرك واقترحت أن ترسل إليهم أهرون ليستوضح أمر البرنامج . بعدها نستطيع أن نبحث فيما إذا كان بإمكاننا عمل أي شيء أو الاتصال بخارج البلاد وانتظار الرد . لقد رفض أبو خالد هذا الاقتراح . هم يخشون من كون التعرض لأهرون من قبل الوطنيين سيجرهم بالضرورة إلى الرد حيث اقترحت عليه أن يبقى في أريحا ، فسافر لاستطلاع الجواب .

من الواضح أننا سنقف أمام هجمة مالية جديدة . وهذه المرة ليس من قبل مثقال وحده . بل من قبل أصدقائه أيضا . أنت تعرف أوضاع الخزنة . سأحاول التحدث إلى النحاس بهذا الخصوص . غير أني أشك فيما إذا كان سيقدم أي شيء . يجب قطعا أن تحاول تجنيد مصادر مالية أخرى خلال وجودك في الخارج »[1] .

شيوخ العشائر يتصدون للحركة الوطنية :

ويبدو أن العلاقة مع مشايخ العرب ومثقال باشا الفايز قد تطورت تطورا بعيدا ، ونلاحظ في رسالة موسى شرتوك السابقة إلى أرلوزوروف أنه يتحدث عن مثقال الفايز وعن أبي خالد سكرتيره وكأنهما قد صارا أعضاء في مجلس إدارة معهم . فهو يتناولهم بالحديث دون حساسية ما .

وقد جرى نشاط شعبي كبير للرد على الوطنيين والذين يناهضون اليهود ، وتولى مثقال باشا هذا النشاط ورعايته ، من حيث عقد المؤتمرات أو اللقاءات أو الزيارات لشرح قضية اليهود وتجنيد العرب من أجلها بعد أن صارت في نظره هي قضية مشتركة ، وهي تفيد العرب بالقدر الذي

---

(1) ا .ص .م ملف س 3515/25 بالعبرية .

تفيد به اليهود . واختلطت المسألة في وجدانهم وصاروا يعبرون عنها بإخلاص شديد ؛ فقد صارت قضية اليهود هي قضية جميع العرب .

وقد أدى ذلك إلى تزايد النشاط الوطني لمقاومة هذا الاتجاه التخريبي الجديد ، والذي يفسد العقول والرأي العام . ولكن هذا التزايد في النشاط لم يؤد إلى النتيجة المرجوة .

تطور العلاقة بين مثقال باشا واليهود :

والرسالة المرسلة في 1933/6/4 من مثقال باشا الفايز إلى موسى شرتوك تبين الحال الذي وصلت إليه العلاقة بينه وبين الوكالة .

يقول مثقال في رسالته :

« عقب سؤال خاطركم الكريم أعرض أولا سؤال خاطركم عساكم بخير وعافية .

أعرفكم أن الاجتماع عقد ولله الحمد عاقبة مأمولة . يسرني أن أخبركم أننا توفقنا لمسعى حسن تفهمونه شفاهيا من محمد خالد من عمان ؛ لأننا لا نستطيع الكتابة يا موشى .

عزيزي :

نحن موقفنا حرج لاسيما على أثر الاجتماع ، لزومنا المساعدة من حضرتكم ، بأي واسطة كانت ، حيث إننا تضايقنا جدا وأربكنا الدين في دعوة هذا الاجتماع . راجيا أن تنقلوا سلامي إلى الأخ هارون . أعرفكم أيها الصديق أن الأخ أبا خالد أوصيته على مقابلة وكيل الرئيس وتسليمه الكتاب ، وأنتم كما تعهدوننا . ولا يوجد خفي عليكم شيء . المرجو ضرب موعد لأجل أن نحضر نحن وشمس الدين بك سامي للمفاوضة بشأن العمل الجدّي . الاجتماع عينوه بغير القدس ، في مستعمرة أو محل تشاءوه أنتم .

أنبه فكر حضرتكم من الآن فصاعدا أن لا تفاوضوا إنسانا مهما كان باسمنا . أيضا أرجو حضرة الخواجة هارون أن لا يبوح لإنسان مهما كان . حيث أكثر رجالنا الذي نعتمد عليهم هم الذين تبوحوا بالأسرار »[1] .

إلى هذا الحد وصلت العلاقة بين رجال الأردن وشيوخ العشائر وبين الوكالة اليهودية . قد صاروا شيئا واحدا !!

وقد قام الوطنيون بعمل مؤتمرات أيضا بغرض الوقوف أمام هذا النشاط والتصدي له . وقد أسفر « المؤتمر الشرقي أردني » في 1933/6/7 عن مجموعة من قرارت الاحتجاج ضد سياسة التعاون مع اليهود .

معلومات من شرقي الأردن :

ويقول أهرون كوهين في تقريره بعنوان : « معلومات من شرقي الأردن » :

« في السابع من الشهر الجاري « يونيو 1933 » ذهب عادل العظمة وصبحي أبو غنيمة وحسين الطراونة ، ومعهم مجموعة من الأشخاص إلى الأمير ، ورفعوا له قرارات المؤتمر الشرقي أردني وطلبوا مساندته .

وكان رد الأمير أن بعض القرارات غير متعقلة ، لذلك فلا يستطيع مساعدتهم لأن الحكومة البريطانية من الممكن أن تشك في كون هذه القرارات قد اتخذت بوحي منه . وأعلمهم الأمير أيضا أن ليس في مقدور حكومته مساعدتهم على تنفيذ تلك القرارات لأن فيها نقاطا سوداء جدا ستؤدي إلى إثارة رجالات بريطانيا في شرقي الأردن ضدها بشدة .

ويقوم مثقال بالتحضير لعقد مؤتمر كبير في الثلاثين من الشهر الجاري .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3491/25 بالعربية .

وقد توصل الكثير من الزعماء « من شيوخ شرقي الأردن » إلى اتفاق معه . مما يبعث على التفكير بأن المؤتمر سيكون ذا وزن هام يضرب الجانب الوطني المعادي بشكل حاسم »[1] .

وفي يوم 1933/6/26 كتب مثقال إلى موسى شرتوك وأهرون كوهين يخبرهم بأنه قد دعا إلى عقد المؤتمر الذي سيحضره أكثر من ثلاثمائة من زعماء وشيوخ ووجوه شرقي الأردن ، ويطلب منهم تمويل هذا المؤتمر ودفع نفقاته .

وفي الرسالة يقول مثقال :

« أعرفكم أن اللجنة التحضيرية قررت إرسال أبي خالد بعد يومين من تاريخه لكي يأخذ النتائج الحقيقية التي تفيدنا بالقيام لتتميم هذا الاجتماع ، حيث إن الأعداء مرتابون منا ومن اجتماعنا ، ولكي نكون الفائزين بعون الله تعالى بجميع ما فيه منافع الطرفين ، ويكون الأعداء هم المنهزمين . يلزم جهدكم السعي بالحال وتنجيز العمل الذي يطلب منكم لهذه القضية »[2] .

وهل نتخيل أن الأمير عبد الله بعيد عن هذا النشاط ؟

وواضح أن مثقال يعرف طبيعة النشاط وأنه سياسي في المقام الأول ، وهو يستهدف قيام دولة لليهود في فلسطين ، وأنه يعمل من أجل ذلك ويساعد على قيام هذه الدولة ، وهو يعادي في سبيل إقامتها أي مخلوق .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3501/25 بالعبرية .
(2) ا .ص .م ملف س 10122/25 بالعربية .

التعاون العربي اليهودي :

وفي لقاء ببيت إسحاق بن تسفي التقى فيه مثقال مع أهارون كوهين ، والسيدة نبائيب ، وكان ذلك في 1933/8/24 ، وقد احتفى الموجودون بمثقال ، وعبر له إسحاق بن تسفي عن إعجابه به وبآرائه وهمته العالية ، ونشاطه الكبير من أجل تغيير الرأي العام في شرقي الأردن ، وتكلموا عن التعاون العربي اليهودي في المستقبل . وكان مثقال سعيدا بهذه الزيارة ، وأبدى سعادته بالتعرف إلى السيدة بنائيب ، وعن رغبته في تسجيل قطعة أرض باسمها في شرقي الأردن ، حتى تستطيع أن تجري تجاربها الزراعية هناك . وقد طالبته السيدة بنائيب بأن ينشط أكثر من أجل دخول اليهود إلى شرقي الأردن دون مشاكل كبيرة .

وقد أجابها مثقال قائلا :

« إن أكثرية أهالي شرقي الأردن يرحبون بالصهيونية إلى حد أن اسمها يدخل إلى قلوبهم ، وذلك عدا قلة قليلة من مثيري الشغب والكراهية »[1] .

وفي هذا اللقاء عبَّر مثقال عن استيائه لعدم حماسة الوكالة اليهودية للقيام بمزيد من النشاط في شرقي الأردن ، وعن استغرابه لقيامها بشراء دونم أرض واحد في منطقة يافا يزيد ثمنه على ثمن مائة دونم من أراضي شرقي الأردن .

وانتهت الجلسة كالعادة بطلب مثقال باشا المزيد من النقود لمواجهة النفقات الخاصة بعقد المؤتمرات وعمل الدعاية اللازمة لقضية الصهيونية . وتحدث عن الديون التي لحقته من جراء نشاطه السابق .

---

(1) تقرير ا . كوهين عن زيارة مثقال باشا الفايز لبيت بن تسفي يوم 1933/8/24 ا .ص .م ملف س 3491/25 بالعبرية .

الاتصالات اليهودية مع كل أركان الدولة !

لم تقتصر اتصالات الوكالة على مثقال باشا ورفيقان باشا وغيرهم ممن ذكرنا ولكنها امتدت لتشمل قطاعا واسعا كبيرا من رجالات شرقي الأردن باختلاف توجهاتهم ورؤاهم السياسية وأديانهم ، وكان في الأردن « لوبي » ضخم مساند للصهيونية ومؤيد لقضاياها .

ويكتب أهارون كوهين عن زيارته لعمان في الفترة 13-1933/12/19 ويبين من خلال زيارته نوعية الاتصالات التي أجراها مع رجال الأردن ، وحجم هذه الاتصالات وتنوع الطلبات والأهداف والأغراض في كل اتصال منها .

ويبين التقرير أن أهارون كوهين قد فعل التالي :

• قابلت وزير الآثار هاشم بك خير صهر مثقال باشا ، وعرضت عليه أن تشترك حكومة شرقي الأردن في معرض الشرق في تل أبيب . استحسن الفكرة وقال إنه سيطرحها على مجلس الوزراء . « ص 10-11 من التقرير » .

• قابلت مثقال باشا الفايز الذي قال : « ستجرى انتخابات المجلس التشريعي بعد شهرين أو ثلاثة ، ويجب السعي لضمان انتخاب أناس يحسنون المحافظة على المصالح التي تعمل الدائرة السياسية « الوكالة اليهودية » من أجلها ، ولا يعمقون العداوة لليهود ، وسيكلفنا ذلك 1000 ليرة على الأقل لكي نستطيع التصدي لقائمة « الاستقلاليين » الذين يسعون لتقوية مركزهم في المجلس التشريعي » « ص 13-14 من التقرير » .

• قابلت سعيد باشا أبو جابر – زعيم الطائفة المسيحية في السلط وممثلها في المجلس التشريعي الذي يؤيد دخولنا إلى الأردن ، ويدعونا إلى الإسراع في ذلك « ص14 » .

• قابلت عودة بك الفسوس ؛ مسيحي من عمان وعضو بارز في حزب « الاستقلال » ، قال لي بأننا لم نحز على ثقة الفلسطينيين خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، لذلك فلا يستطيع الشرق أردنيون أن يؤيدوا دخولنا إلى شرقي الأردن . فنحن لا نقبل العمال العرب ولا نسعى لإقامة شراكة اقتصادية مع العرب ، بل نطمح إلى السيطرة على البلاد وإفقارهم . حاولت إقناعه أن ذلك غير صحيح . « ص 14-15 » .

• قابلت عبد السلام بك كمال سكرتير الأمير الخاص – الذي حذرنا من محاولة شراء بعض زعماء شرقي الأردن لأنهم سينقلبون إلى أعداء لنا في حالة توقفنا عن دفع الأموال لهم « ص17 » .

• قابلت شبلي بركات – التاجر من السلط – الذي قال لي إن الأقلية المسيحية تؤيد دخولنا إلى شرقي الأردن ، غير أنها لن تكون أول من يطالب بذلك « ص18 » .

• قابلت توفيق بك النحداوي الرئيس السابق لديوان الأمير ، ومن سيصبح حاكم لواء عجلون ، وقد احتج على كوننا لا نسعى بما فيه الكفاية من أجل الدخول إلى شرقي الأردن ، وعبر عن رأيه في أن مثل هذا الدخول يجب أن يتم بشكل رسمي عن طريق الوكالة ، وليس عن طريق أفراد أو سماسرة ذوي مصالح شخصية « ص 18 » .

• يوم 1933/12/15 قابلت بطريق الصدفة سعيد بك حلاوة عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ، وممن كانت له يد في الاعتداء الذي تعرضت له في عمان في شهر يوليو الماضي . وعلى الرغم من أنه اعتذر لي عن ذلك فقد حذر من سعينا إلى التوصل إلى اتفاقية مع الحكومة الحالية لأنها ضعيفة . ولأن الانتخابات المقبلة ستثبت أن حزب الاستقلال أقوى مما نظن .

• قابلت ناجي أبو نوار : عمره 30 سنة من مواليد عمان . صهر حسين باشا الطراونة رئيس اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال . ومراسل صحيفتي « فلسطين » و « الجامعة الإسلامية » . أرسل يسأل إذا كنت مستعدا لمقابلته فوافقت .

أخبرني أن حسين باشا يود مقابلتي غير أنه يخشى انتشار الأمر . سألني عن رأيي فاقترحت عليه عدة إمكانيات لعقد المقابلة . ذهب إلى حسين باشا ثم عاد فقال إن الباشا قرر ألا يلتقي بي هنا وأنه سيبحث عن مناسبة أخرى للالتقاء بي في أريحا أو في القدس . وحاليا طلب إليه أن يخبرني بأنه يود عقد حلف صداقة معنا . وتذمر من الأسلوب القاسي الذي انتهجناه معه .

ففي فترة زيارة الملك فيصل لعمان . وفي حين قام الاستقلاليون بالتحريض ضدنا وضد أصدقائنا سمحنا لمثقال بنشر رسالة موسى شرتوك إليه ، حيث ورد ذكر سعي حسين باشا الطراونة التقرب إلى اليهود ، وذكر علاقته بإبراهام شابيرا . أما الآن فيطلب حسين باشا أن ندخل معه في هدنة متبادلة ، ويعلمنا من ناحيته بأنه وضع مخططا يلتزم بموجبه بالامتناع تدريجيا عن القيام بأي نشاط وبعدم التوقيع على البيانات التي تصدرها اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ضدنا . كما يعدنا بالتواني عن حضور الاجتماعات العامة بحجج مختلفة لكي يضطرنا لانتخاب شخص آخر بدلا عنه . ويعدنا بالتأكيد على صدق كلامه خلال الأشهر القادمة . ومقابل هذه التضحيات فإنه يطلب إلينا مساعدته على الخروج من الديون التي تراكمت عليه بسبب مصاريف نشاطه في حزب الاستقلال . « ص 19 » .

• قابلت خليل نصر محرر صحيفة الأردن لبناني الأصل عمره حوالي 40 سنة . وبعد نقاش طويل وافق على دعم قضيتنا مقابل دعمنا له بمبلغ بسيط من المال « ص 20 »[1] .

---

(1) ا .ص .م ملف س 6313/25 بالعبرية .

القائمة السوداء على رأسها الملك عبد الله :

وقائمة أسماء الشخصيات الشرقي أردنية التي كان للدائرة السياسة « في الوكالة اليهودية » اتصال معها بين أيلول 1933 وآذار 1934 كالتالي :

الأمير عبد الله	
سمير بك الرفاعي	سكرتير حكومة شرقي الأردن
عودة بك القسوس	وزير العدلية
هاشم بك خير	وزير الآثار
مثقال باشا الفايز	زعيم بني صخر
رفيقان باشا المجالي	عضو المجلس التشريعي
متري باشا زريقات	من زعماء المسيحيين في الكرك وعضو المجلس التشريعي
حسين باشا الطراونة	زعيم حزب الاستقلال في شرقي الأردن وعضو المجلس التشريعي
راشد باشا الخزاعي	زعيم لواء عجلون
زعل بك المجالي	من شيوخ عشيرة المجالي
محمد بك الأسد	حاكم لواء العقبة
سلطي باشا بشارات	من زعماء المسيحيين في السلط
سالم محمود	من رؤساء البوليس السري في عمان
ناجي أبو نوار	مراسل صحيفة الجامعة الإسلامية في عمان
سلامة شريحات	من زعماء المسيحيين في السلط
سعيد باشا أبو جابر	عضو المجلس التشريعي

عبد السلام بك كمال	من أمناء القصر الأميري
محمد بك المحسن	رئيس ديوان الأمير
محمد بك الأنسي	مستشار الأمير
دليوان بك المجالي	رئيس بلدية الكرك
أحمد بك صدقي	قائد شرطة عمان
نظمي بك عبد الهادي	محام وسكرتير حزب الشعب
توفيق النحداوي	من زعماء حزب الشعب
شمس الدين بك سامي	من زعماء الطائفة الشركسية
بهجت الصليبي	أحد موظفي ديوان الأمير سابقا
عطا الله المجالي	من أعيان عشيرة المجالي
شبلي بشارات	من زعماء المسيحيين في السلط
سعيد بك حلاوة	من زعماء حزب الاستقلال في عمان
سليمان سلطاوي	من زعماء المسيحيين في عمان

وقد أعد هذه القائمة أهرون كوهين رئيس القسم العربي في الدائرة السياسية يوم 1934/3/20 ا .ص .م ملف س 3515/25 بالعبرية[1] .

ويضيف ما ير حسيدوف سمسار الأراضي قائمة « بأسماء ملاك قرى شرقي الأردن المتفقين على تدخيل شركات أجنبية بإرادة كل من الأشخاص المحررين ذيله »[1] :

مثقال باشا الفايز	شيخ مشايخ
رفيقان المجالي	عضو المجلس التشريعي

---

(1) جذور الوصاية الأردنية د . سليمان بشير ، الزهراء للإعلام العربي 1991 ص 72 .

حديثة الخريشة	عضو المجلس التشريعي
حمد بن جازي	عضو المجلس التشريعي
عبد العزيز أبو أبريك	
فضيل الشهوان	
متري الزريقات	عضو المجلس التشريعي
إسماعيل بن سالم الفياض	من مشايخ السلط
حنا بن فرج	من أهالي مادبا
سلطان باشا العدوان	شيخ مشايخ البلقاء
راشد باشا الخزاعي	من مشايخ جبل عجلون

ويميل الدكتور سليمان بشير إلى أن هذه القائمة قد كتبت قبل الأخرى في غضون سنة 1933 ، وأنها سابقة للقائمة الأولى التي حررها أهرون كوهين .

ومن المراسلات التي تمت بين رجال الوكالة اليهودية وبعض الشخصيات المشار إليها نجد إلى أي درك وصل إليه هؤلاء الأعيان العرب في التعامل مع اليهود ، ونجد أن من الممكن إرسال رسالة توبيخ وإهانة إلى واحد منهم لأنه يريد أن يبتز أكبر قدر من النقود ، وهم ينفقون بحساب .

ومن المعروف أنهم قد أنشئوا الأحزاب السياسية لدعم المجهود الصهيوني وتهيئة الرأي العام الشرقي أردني للهجرة اليهودية .

أهرون كوهين يوبخ خليل المدانات :

وبنظرة إلى المراسلات التي تمت بين أهرون كوهين وخليل مدانات مثلا نجد أن هذا الأخير قام بتنظيم « مضبطة » طالب موقعوها الحكومة الشرق

أردنية بفتح باب الهجرة اليهودية وبيع الأراضي للوكالة وذلك بتنسيق مسبق مع هذه الأخيرة . وهذا ما يفهم من رسالة أهرون كوهين يوم 1935/4/3 إلى « جناب حضرة الفاضل الأكرم خليل بك المدانات المحترم – الكرك » وفيها يوبخ كوهين هذا الأخير على مطالبته بالمزيد من الأموال مقابل تنظيم مثل تلك المضبطة »[1] .

يقول كوهين :

« سلام واحترام وبعد . أنا متعجب من موقفكم حيال القضية المتعبة هذه وأرغب أن أذكركم ببعض الأمور مع الرجاء أن تمعنوا في مطالعتها وتردوا لي موضحا على كل أمر وأمر .

حضرتكم أتيتم إلينا باقتراح تنظيم مضبطة إلى الحكومة وإلى مراجع عالية أخرى . وقلتم لنا بالصراحة التامة أن لا حاجة لكم إلى مصاريف أبدا لأجل توقيع هذه المضبطة . ومع ذلك ، وجدت لزاما علي أن اشترط عليكم عدم دفع شيء لأجل التواقيع . حيث وأهمية هذه المضبطة هي بطبيعة الحال غير منبئة . وإذا بلغ مسامع الحكومة بأن أصحاب التواقيع قد تناولوا أجرتهم أو ثمن تواقيعهم فإن العاقبة تكون مضرة أكثر منها نافعة حيث لا تعود الحكومة تؤمن فيما بعد بالأمور المنظمة بواسطتكم » .

وبعد أن يذكره كوهين بأن كان قد دفع له ولعطوى باشا المجالي 55 ليرة في السابق « كسفريات ومصاريف » يقول :

« وأخيرا من الموضح أن هذا الحال يجعلني في موقف حرج تجاه حضرة الرئيس « أي رئيس القسم السياسي في الوكالة » وبحق أنه بأي حق أدبي

(1) جذور الوصاية الأردنية ص 74 .

وجد أني صرفت مبلغ 55 ليرة في الهواء . لقد اعتمدت بوقتها على وعود حضرة عطوى باشا ووعودكم ، وأشرت على الرئيس أن يدفع هذا المبلغ ، فماذا أقول له إذن » ؟ .

سياسة الملك حسين صدى لسياسة جده عبد الله :

وهذه الوثائق على درجة عالية من الصراحة والخطورة ورغم مرور أكثر من ستين عاما على أحداثها فإنها ترسم صورة دقيقة لما يحدث الآن في الساحة الأردنية ، فسياسة الحكومة الحالية تحت رئاسة الملك حسين ، هي نفس السياسة القديمة التي وضع أسسها الملك عبد الله جد الحسين ، ومارسها وجعل منها مدرسة انضم إليها الكثير من الأعيان ، وجعل منهم روادا فيها ، وما يحدث اليوم هو وليد شرعي لما حدث في الأمس القريب ، أو هي سياسة واحدة تتغير فقط من ناحية الشكل والظروف المتباينة .

وهناك بؤرة صديدية عفنة في جسم الأمة العربية تفرز السم وتنفثه في كل حين ، وهي تعاضد الباطل أو تنشئه ، وتباعد بين الناس وبين طموحهم وأملهم في حياة مختلفة تتحقق فيها أهدافهم .

ورغم اختزالنا للوثائق وتركنا الكثير منها فإننا نجد منها ما ينبغي عرضه ، ولا يمكننا إغفاله حتى تكتمل الصورة ، ويعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وهذا النشاط المعادي للحركة الوطنية يهدد بإجهاض الثورة التي حدثت في 1936-1937 .

شيوخ الأردن يتبنون المطالب اليهودية :

ودخل رفيقان باشا المجالي سنة 1937 في مفاوضات مع الوكالة اليهودية حول تقديم مضبطة إلى لجنة الانتداب الملكية يطالب موقعوها بالسماح لليهود بدخول شرقي الأردن ، وذلك أثناء زيارة تلك اللجنة لفلسطين من

أجل « تقصي الحقائق » . ويأتي تقرير أهرون كوهين . ليبين طبيعة هذه المفاوضات ، تحت عنوان :

« محادثة في بيت الدكتور ب . جوزيف يوم 1937/4/15 » .

وقد شارك في هذا اللقاء كل من رفيقان المجالي وخليل المدانات والدكتور ب . جوزيف وأهرون كوهين نفسه .

ويقول ا . كوهين في التقرير :

« قبل عدة أسابيع اقترح رفيقان أن يقوم بجمع تواقيع شيوخ العشائر في عريضة موجهة إلى اللجنة الملكية يطالبونها فيها بالسماح بدخول اليهود إلى شرقي الأردن . وفي حينه تم الاتفاق على صيغة العريضة ، غير أن إصدارها تأخر من يوم إلى يوم . لذلك فقد طلبت الدائرة السياسية إلى رفيقان الحضور إلى القدس للتباحث في الأمر . وقد قال رفيقان إنه لم يسمح لنفسه بالتوقيع عليها بسبب الوضع الحالي في فلسطين ، فأجابه د . ب . جوزيف بأنه تفهم موقفه الحساس ، ولكنه يتوقع منه أن يقوم بأي عمل بعد عودة الأمير عبد الله من احتفالات التتويج في لندن .

فقال رفيقان إنه ينوي تشكيل وفد من كبار الشيوخ للتوجه إلى الأمير ومحادثته في الأمر – ومن بين هؤلاء الشيوخ ماجد العدوان الذي – كما قال رفيقان – بقي حتى الآن بعيدا عن هذه الأمور ، وربما رئيس الحكومة أيضا .

أما ب . جوزيف فقد طلب تزويده بتفاصيل كاملة قبل القيام بأي عمل من هذا النوع .

خلاف بين مثقال باشا وبين الوكالة يحاول الأمير حله :

وفي اليوم التالي قابلت رفيقان مرة أخرى فرجاني أن أسعى في المصالحة

بين مثقال وبيننا . قلت له بأننا لن نقوم بذلك قبل أن يقدم مثقال « رسالة اعتذار إلى الدائرة السياسية »[1] .

وليس معروفا على وجه التحديد سبب الخلاف بين مثقال باشا وبين الوكالة اليهودية ، فالوثائق الموجودة لا تشير إلى طبيعة الخلاف ، ولكن تتكلم حوله . والظن أن هذا الخلاف الذي نشأ بين الباشا وبين الوكالة سببه مالي في المقام الأول ، فالعلاقة بينهما علاقة مالية ، تعتمد على تقديم الخدمات للوكالة من مثقال باشا حسب توجيههم ، وتتولى الوكالة دفع الأجر الذي قد يغالي فيه الباشا معظم الوقت . وهو يقدم إليهم ما يفيد صرفه لمصروفات وهمية ، ومطالبات مزورة الأمر الذي يثير ضيق القائمين على أمر الدفع في بعض الأحيان .

ولعل الحركة الوطنية لم تغفل عن مثقال باشا فهي تحاول استمالته مرة ثانية إلى صفوفها ، وربما استخدمت نفس الطريقة التي استخدمتها الوكالة مع الباشا ، وهي استمالته عن طريق دفع الأموال له .

والذي يظهر من التقارير هو محاولة بعض زعماء شرقي الأردن في إحداث مصالحة بين مثقال باشا وبين الوكالة ، حتى الأمير عبد الله شخصيا تدخل في هذا الأمر .

ويقول تقرير أهرون كوهين في هذا الصدد :

« ازدادت في الفترة الأخيرة محاولات زعماء الحركة العربية في شرقي الأردن وفي فلسطين إعادة مثقال باشا الفايز إلى حضن الحركة القومية . وقد قدم سليم عبد الرحمن من طولكرم إلى هنا خصيصا لهذا الغرض ،

---

(1) ا .ص .م ملف س 3052/25 بالعبرية .

وتفاوض مع مثقال حول هذه المسألة ووعده بمبلغ ألفي ليرة من أجل سداد ديونه لليهود وللحكومة ، بشرط أن يصرح علانية عن معارضته لليهود . حتى الآن لا تعرف نتائج المفاوضات[1] .

وفي تقرير آخر يشير أهرون كوهين بعنوان محادثة مع م . ا - يقصد محمد الأنسي في يوم 1936/7/5 إلى تدخل الأمير عبد الله في موضوع مثقال الفايز .

ويقول التقرير :

« يقول م .ا - يقصد محمد الأنسي - إن ا .ع - يقصد الأمير عبد الله - مستاء من معاملتنا لمثقال باشا في الفترة الأخيرة . وأضاف م .ا أن اللجنة العربية العليا في فلسطين قد نجحت في دفعه للعمل وأرسلت له 150 ليرة كمصاريف لعقد اجتماع لشيوخ العشائر ، الأمر الذي تم بالفعل قبل بضعة أيام في أم العمد . وقد فكر ا .ع في البداية باتخاذ إجراءات صارمة ضده ونفيه إلى إيلات . غير أنه لم يفعل ذلك خشية أن يقول العرب بأن اليهود قد نجحوا في زرع بذور الخلاف بين صفوف عرب شرقي الأردن أيضا . ويقترح م .ا أن نكتب إلى مثقال ونشير عليه بتغيير سياسته أما جوابي فقد كان سلبيا »[2] .

مثقال باشا لمن يدفع أكثر :

وواضح أن مثقال باشا قد عرض نفسه للبيع لمن يشتري ، فهو تارة ينفذ المخططات اليهودية ، وهي الأكثر والخط الرئيسي في نشاطه ، وتارة

---

(1) ا .ص .م ملف س 3051/25 بالعبرية .
(2) ا .ص .م ملف س 3242/25 بالعبرية .

أخرى يفعل ما تطلبه منه اللجنة العليا العربية . ويتضح من التقرير أن الأمير عبد الله وراء نشاط مثقال باشا المعادي للعرب ، فهو يشجعه عندما ينفذ المخططات اليهودية ويقيم المؤتمرات من أجل السماح لليهود باستيطان شرقي الأردن . وإن فعل عكس ذلك فهو يوبخه ويؤنبه ويهدده بالنفي إلى إيلات . ويبدي استياءه لرجال الوكالة اليهودية في عدم حكمتها مع مثقال باشا ، ويطلب منهم حسن معاملته . ويقترح رئيس ديوانه محمد الأنسي أن تكتب إليه الوكالة تطلب منه تغيير سياسته ويرى أنه سوف يستجيب .

ويرينا التقرير حصافة رجال الوكالة اليهودية ، وحنكتهم في التعامل مع الخونة . فهم يقدرون أن الباشا قد سقط ، وباع شرفه لهم ، وعلم بذلك القاصي والداني ، ولا ضرورة لاسترضائه . بل يجب تأديبه لخطأ لم نطلع عليه ولم يذكر ، ويبدو أنه المبالغة في طلب المال ، والتهديد بوقف خدماته ، فهم يكشفونه أمام نفسه . لا يساوي شيئا ، وسوف يعود ، وإن لم يعد فليس هناك ما هو مطلوب منه ، فقد تم عصره كالليمونة ، ولم يتبق غير قذف ما تبقى منها . حيث لم يعد لها استعمال غير مسح الأيدي بها عقب أكله شهية من السمك ، ويمكن الاستغناء عنها تماما .

وكان هذا هو حال مثقال باشا الفايز !!

رفيقان باشا يحل محل مثقال باشا :

وكان ينافس مثقال باشا الفايز كثيرون أشهرهم هو رفيقان باشا المجالي . وفي أواخر صيف 1937 اتفقت الوكالة اليهودية مع رفيقان باشا وخليل المدانات على إنشاء حزب سياسي لدعم أغراض الوكالة .

ويبدو هذا من الرسالة التي بعثها خليل المدانات يوم 1937/10/10 إلى أهرون كوهين ويقول خليل المدانات في الرسالة :

« أعلمك بهذا أن الحكومة قد وافقت على الطلب الذي قدم إليها بشأن تأسيس حزب بزعامة سعادة رفيقان باشا المجالي . لم يتم تحديد موعد اجتماع الحزب بعد ، بسبب قرب انتخابات المجلس التشريعي . بعد الانتخابات سيحدد الباشا موعد اجتماع الحزب ، وسيعلم مواطني البلاد بذلك . وكما سبق وأخبرتك فإن مركز الحزب سيكون في عمان . كما سيتم في بقية المدن والقرى عقد اجتماعات للفروع التي ستكون على اتصال بالمركز .

لذلك فالمصلحة تقتضي أن توضع تحت تصرف الباشا سيارة بستة مقاعد .

أما بخصوص أجرة المقر ومعاش السكرتير والمصاريف الأخرى فستتحدث في ذلك في المستقبل .

غير أن السيارة ضرورية للباشا حالا . لأن المصاريف ستزيد بدون السيارة بشكل لا يمكن تحمله .

أرجو إعلامنا ردكم وتقبل تحياتنا . سلامنا إلى الدكتور جوزيف . الباشا يهديه ويهديكم السلام »[1] .

حزب الإخاء الوطني :

وهذا الحزب الذي يشير إليه خليل المدانات في رسالته هنا هو حزب الإخاء الوطني الأردني برئاسة رفيقان باشا المجالي ، الذي أعلن بيانه رسميا يوم 1937/9/28 .

وقد دعا البيان إلى « تحسين الأوضاع الاقتصادية وتثبيت السيادة

---

(1) ا .ص .م ملف س 10097/25 عن الترجمة العبرية .

الوطنية » للإمارة « بزعامة صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين المعظم » . كما تعهد بالعمل على « خدمة قضايا ومصالح الأمة العربية جمعاء في الظروف الدولية الراهنة » . وادعى كذلك بأن الحزب « سيمثل كافة طبقات الشعب » وبأنه « سيطمح إلى توثيق الروابط الاقتصادية والثقافية والسياسية بين البلدان العربية الشقيقة بهدف تحقيق الوحدة العربية » . وحذَّر البيان من أن الحزب « سيناضل ضد كل من يحاول العبث بالمصلحة العامة وبوحدة وأمن شرقي الأردن » . « مستلهما في ذلك كله من حكمة وبعد نظر صاحب السمو ... إلخ ...إلخ »[1] .

ونرى هنا أهمية الأمير وبروزه في التخطيط لمثل هذا الحزب ، وأهدافه هي أهداف الأمير المستترة والمعلنة ، ووسيلته هي الوقوف الكامل بجانب ما تراه الوكاله ، وتحقيق الغاية التي تريدها الحركة الصهيونية .

ونجد فيه كلاما طيبا جميلا كما هي العادة ، وظاهرا ساميا نبيلا ليس له أدنى علاقة بالدوافع والهدف النهائي .

فالحزب يهتم بالوحدة العربية .

والحزب يدعم الروابط السياسية والثقافية مع الدول العربية الشقيقة .

والحزب يقوم على خدمة القضايا والمصالح العربية للأمة .

وهو يرعى اقتصادها وأمنها .

وهو يمثل كل طبقات الأمة والشعب .

والحقيقة المرة أن الوكالة اليهودية هي التي أوحت إليهم فأنشئوا الحزب ، وهي التي تمده بالمال اللازم للبقاء والحياة .

---

(1) نفس المرجع السابق عن كتاب جذور الوصايا الأردنية د . سليمان بشير ص 78 ، الزهراء للإعلام العربي ص 1991 .

حتى سيارة زعيم الحزب تقدمها الوكالة وبستة مقاعد !

ومصاريف الإيجار والانتقال والمآدب والدعوات سوف تقدم بها الفواتير .

وأهداف الحركة الصهيونية تختلف عن تلك المعلنة في البيان .

واستلهام حكمة الأمير عبد الله وبعد نظره معناه أن يلقي الحزب بنفسه ورجاله في أحضان الصهيونية العالمية والمحلية .

وحقيقة الحقائق أن الحزب يمهد لبيع شرقي الأردن لليهود كما تم بيع فلسطين في السنوات التي سبقت ذلك .

والأمير عبد الله حلمه كبير ، وهو يريد أن يوفق بين الضدين ، يجمع الماء مع النار ، يضع الظلمة والنور في بؤرة واحدة . يريد أن يحكم سوريا الكبرى وينشىء لليهود دولة في فلسطين . ويظن أن هذا ممكن ، ونسي أن الضدين لا يلتقيان أبدا وهذا هو قانون الحياة .

العشائر بين البداوة والإسلام :

كان مجتمع شرقي الأردن يتكون من العشائر العديدة التي تقيم في رقاع مختلفة من الأرض ، ولكل عشيرة مكان معلوم ، وقانون البدو يضفي قدسية على هذه التقسيمات المتعارف عليها ، والتي لم تكتب في وثيقة ، ولم يتفق بشأن خرائطها أحد . وفي أغلب أحوالهم كانوا يعيشون على السلب والنهب والغزو . أو على عكس ذلك من حفظ النظام وحراسة القوافل والتجارة المسافرة .

والبعد الديني في نفوس هذه العشائر ساذج وضعيف في تكوينها النفسي والعقائدي فلم يتبق لديهم غير آثار من فقه قديم ، قد تطاول عليه العهد ، ولم يوجد من ينميه ويقويه ويجدده . وغلبت العادات والتقاليد على أي معنى لدين أو عقيدة في نفوس هذه العشائر . وهم يقدسون ما تعارفوا عليه كما قلنا ، ولكن منطق القوة والقدرة هو الغالب فوق جميع هذه

المقدسات . فيمكن للقوى أن يخرق الناموس ويغير النظام ، ويفعل ما يشاء وله الصلاحية والحق في هذا دون مؤاخذة من أحد ، أو قدرة على هذه المؤاخذة .

وقانون العشيرة وتقاليدها أقوى في نفوس أتباعها من القرآن الكريم ومن تعاليم الدين ، وهم يعتبرون قانونهم هو الدين والشريعة ، وهو الأحق بالطاعة والاتباع . وباستثناء لا يخل بالقاعدة فقد عاشت تلك العشائر في البادية العريضة لا يفترق في نظرهم الإنجليز عن الأتراك . ونظرتهم إلى اليهود نظرة سطحية ليست عميقة . فهم ليسوا أعداءهم بالمفهوم القومي المتعارف عليه . والقضايا الوطنية لا قيمة لها ما لم يكن لها تأثير مباشر على دخل الأفراد والعشائر . لذلك فقد وجدنا أن الذهب له المعيار الأساسي في سلوك تلك العشائر وتصرفاتها ، وربما كان لضرورة حفظ الحياة دخل في ذلك . فالذهب يعني الطعام في صحراء لا ترحم ، ولا تنقذ أحدا من الموت ، وبه يمكن شراء الأسلحة للغزو أو ما يستعينون به على حفظ الحياة . وهذا الكلام ينطبق على التجمعات المدنية الصغيرة الملتصقة على استحياء بالصحراء العريضة ، وببحر الرمال والجبال الذي يبدو وكأنه لا آخر له ، أو بشاطئه المقابل بعيدا .

وعندما تسيطر الحكومة - أية حكومة - على مجتمع بدوي التقاليد والتكوين فإن مهمتها بالغة الصعوبة في التحكم والسيطرة وفرض النظام . وإن كانت لهذه الحكومة نظرية ما أو قضية تدعو إليها ، فإنها لا تصل إلى رعاياها بهذا التصور إلا بجهد جهيد ، وهم يتبعونها على حرف .

وعندما فكر الشريف حسين في التحالف مع الإنجليز وهو شريف مكة التي كان يحكمها وهي أخلاط من الناس ، قد قدموا من كل بلاد الدنيا وآثروا البقاء بجوار البيت ، وأهل الحجاز الأصليون فيها قليل ، وهم

مرتبطون ارتباطا وثيقا بالبادية وأهلها على طول الطريق الممتد إلى الشام ، الضارب في شرق الجزيرة وجنوبها . ولو تأملنا لوجدناهم يعيشون تحت رحمة البدو ووفقا لقانون العلاقة معهم ، حيث تحكمها القوة والضعف والغنى والفقر .

لذلك كان ما ذهب إليه الشريف حسين وأبناؤه اختيارا طبيعيا لعقل مشوش وبيئة قاسية ، ومحيط من الرمال تعيش فيه مفارز من البدو لا يحكمهم غير قانونهم وعاداتهم .

فالاستعانة بمفهوم جديد للسيطرة ، مفهوم يجلب المال والقوة من قوم يستفيدون منه كالإنجليز ، وقد يساعد الشريف حسين على رشوة القبائل وتدعيم سلطانه في تلك الرقعة من الأرض التي تحكمها قوانين البداوة ، ولا تؤثر فيها بنفس القدر أحكام الإسلام ، بعد ذلك الغياب الطويل الذي استمر عددا من القرون .

وعندما كان الشريف حسين يعيش في كنف العثمانيين في إستانبول ، حيث الخلافة وأبهة السلطان ، والأمل في الولاية ، فإننا نجده يتحدث باسم الإسلام ويخاطب أمير المؤمنين في الوسائل التي تحفظ هيبة الدولة ومكانتها ، ويدعوه إلى النزوح بأهله إلى المدينة مقر الخلافة الأولى ، والتي شهدت مولد الإسلام ، ويبين له أهميتها بالنسبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن سلطانه هناك لن ينازع وسوف يجد المنعة ويجدد شباب الدولة .

ولكنه عندما يبلغ مأمنه ، وينزل بساحة الإنجليز ، ويغرق في بحار من البدو لا أول لها ولا آخر فهو يجهد ذهنه من أجل معنى جديد يجنده الإنجليز ، ويحفظ عليه الإمارة ، ونسي أفكاره القديمة عن دولة الإسلام

وحماية السلطان ، وطرح معنى علمانيا جديدا ، وقال بثورة عربية قومية تأتي للناس بالاستقلال .

أي استقلال ؟ وأية حرية ؟ وعمن يتكلم ؟ وباسم من ؟ ولماذا ؟ استقلال العشائر العربية الممتدة في أحضان الصحراء ؟ وهي التي لم تعرف في حياتها غير الحرية والاستقلال ! أم استقلال المدن والقرى والتجمعات ؟ وهل معناه أن نستبدل بحكم الأتراك المسلمين الإنجليز السكسون ؟

والحقيقة أن معناه أن يستمر ملكا على الحجاز ويمتد سلطانه إلى بلاد الشام ، في عالم للمتغيرات لا يقدر عليه . فابن سعود في الشرق قد رفع لواء إسلاميا لقي التشجيع والموافقة من المسلمين في أنحاء العالم ، ولم يبق أمامه إلا أن يطرح فكرة العروبة ، ويقدمها هدية للإنجليز واليهود ، ومن خلالها سوف يبقى أميرا ليس للمؤمنين ولكن للعرب !

ورفع الستار عن بادية الأردن ، فوجدناها تمور بالنفعيين والانتهازيين ، وطلاب الثروات ، والباحثين عن المال بأي طريق ، وقلة يسيرة لا تقدم ولا تؤخر من المؤمنين وأصحاب الدين ، فهم في حيرة مما يدور ، وليست عندهم فكرة عما ينبغي أن يكون ، وهم في تذبذب بين مقتضيات الدين ، وبين الضغط الذي يشكله الواقع الصعب المليء بآفاق العروبة والقومية المتحالفة مع الاستعمار والصهيونية .

جاء الأمير عبد الله وأمامه الرماح الإنجليزية إلى رقعة فسيحة من الأرض قد حددها المستر سايكس بعناية على الخريطة ، وأوحوا إلى الأمير عبد الله حتى يفاوض إخوته الذين سيرثون الحجاز إلى أمد قريب فيقدم لهم مبلغا كبيرا من المال فيتنازلون عن العقبة ، وجزء من معان ، حيث تضم إلى الإمارة الجديدة .

فالمستر سايكس يعلم علم اليقين أن ابن سعود سوف يوحد أرض

الجزيرة العربية كلها تحت حكمه ، وفي ظل تصور إسلامي قد بشر به ودعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وحكم الأمير عبد الله مجتمعا من العشائر ، عاشوا واشتركوا في بيع المدن والقرى وشراء الولاء بالذهب ، وجاء منهم في الزمن القريب من يدخل خيمة فيصل بن الحسين ويسلم عليه بإمرة المؤمنين نظير أربعة آلاف قطعة من الذهب ، ثم يضع رجاله المقاتلين الأشداء تحت إمرته ، وما هم بالمؤمنين . على النحو الذي رواه لورنس في « أعمدة الحكمة السبعة » عن وفود عودة بن تايه على معسكر فيصل الذي يجمع الأنصار وطلاب الذهب لضرب دولة الخلافة ، والإجهاز عليها وهي تحتضر .

ومن الطبيعي أن يتجه رؤساء العشائر إلى جمع المال من أي طريق ، ومن المنطقي أن يتجهوا في جمعه إلى المصدر الذي يأخذ منه الأمير نفسه وعائلته الكريمة التي سنت سنة سيئة بين العرب . فهم ينافسون الأمير في الاتصال بأوليائهم من الإنجليز الذين نضب ذهبهم ودولتهم غاربة ، وهناك القادمون الجدد من اليهود الذين يريدون إقامة دولة على ضفاف الأردن ، وعندهم المال اللازم لتنفيذ المشروع ، وكان من الحمق ألا يلتفت رؤساء العشائر إلى هؤلاء ، والتكالب على مائدة الأمير حيث فتات الفتات ، هذا إذا أخذنا في الاعتبار غياب الدين والأخلاق ، وضياع المثل العليا .

لورنس هو القائد الحقيقي للثورة العربية :

وعندما نطالع كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » لمؤلفه الكولونيل لورنس الشهير عن ذكرياته أثناء قيادته « للثورة العربية الكبرى » فقد كان هو القائد الحقيقي لهذه الثورة ، ولم يكن فيصل غير الوجه العربي الذي يتقدم الناس بتقديم الولاء للإنجليز من خلاله ، فهذا أوقع وأبقى ولا يثير الخلاف .

فيروي لورنس في مواضع كثيرة من كتابه أن أهم ما كان يلزمهم لإنجاح هذه الثورة شيئان : الذهب والمدافع .

الذهب عيار 24 فرؤساء العشائر مهرة وينافسون الصاغة في تحديد عيار الذهب ، والمدافع ، ولا يهم مدى قوتها أو تأثيرها ، ولكن المهم أن تحدث دويًا يفوق ما تحدثه مدافع الأتراك من دوي . أما قوة النيران فهي مسألة ثانوية ولا يلتفت إليها العربان كثيرا . فإن أطلق المدفع وأحدث دويا لم يسمعه العرب من قبل ، فإن التهليل والتكبير يجاوز عنان السماء .

وكان لورنس يلح على قيادته في القاهرة بأن يمدوه دائما بالذهب والمدافع عالية الصوت فهي طريق الفيلق العربي الذي يقوده إلى دمشق .

وقد نمت الصداقة بين لورنس الكولونيل ، وبين الكثير من رؤساء العشائر ، وكان يعدهم ويمنيهم بمستقبل يفيض بالمال لهم عندما تتكون الممالك الجديدة على أنقاض الخلافة العثمانية .

وكانت للورنس تحليلات قيمة عن نفسيات هؤلاء الرؤساء الذين التقى بهم ، وقضى معهم فترة من الوقت في الصحراء الضاربة من شمال الحجاز إلى بادية الشام مرورا بدولة الملك عبد الله في شرقي الأردن ، والتي لم تكن بعد .

وكان يرى أنه يمكنك الحصول على ولائهم طول الوقت إن ضمنت مددا من الذهب لا ينقطع . ويؤكد أنه ولاء يعتمد على كمية الذهب ونوعه . ويقرر في مواضع كثيرة أن القيم العليا ، ومعاني الوطنية والقومية والدين لا يأخذونها مأخذا جادا ، بل ويعبثون بها ويسخرون منها في بعض الأحيان ، ووصف الملك فيصل ابن الشريف حسين – الوجه العربي بالنيابة للثورة العربية الكبرى – بأنه لم يكن متدينا بأي حال ، وأنه كان ضابطا في الجيش التركي ، وجال في البلاد والدول ، وقدم إلى الصحراء يحلم بملك

يقيمه بين هؤلاء العربان ، ولن يتأتى بغير الولاء الذي لا شروط له للإنجليز . وهو يعرف أنه وريث أبيه الشيخ الذي ينتظرون موته هو وإخوته حيث عظمت بينهم المنافسة على تركة الرجل الذي يحتضر .

وكان فيصل متعاطفا مع الأماني القومية والدينية لليهود ، أكثر من تعاطفه مع أحلام قومه وآمالهم ، ويبدو أن لم يكن شيء من هذا يجول في أخيلة من تبعوه من رؤساء العشائر .

كان الشريف حسين لا يعرف في الكون قوة أخرى غير الإنجليز . وكان أبناؤه يدركون علامات الزمن ويعرفون أن القوة القادمة في منطقتهم هي قوة اليهود ، وأنهم أقوى من أن يسيطر عليهم الإنجليز ، والعكس هو الصحيح ، فاليهود يستخدمون كل قوى الكون ويسخرونها ويتحكمون فيها .

وقد أمر الشريف حسين ولده فيصل بألا يهتم بالضجة التي أثارها بعض العرب الذين لا يفهمون حول وعد بلفور عندما صدر ، وأن يستمر في ولائه الكامل لبريطانيا العظمى فهي الأبقى والأجدر بالعبادة وتقديم القرابين .

ولكن فيصل الذكي الذي يعرف اتجاه الريح ، ينفذ قول أبيه فهو يقدم القرابين لبريطانيا ، وفي الوقت نفسه يستعد لعبادة الإله الجديد في ذلك المعبد المزمع إقامته فوق جبل صهيون .

فيصل ابن الشريف حسين واليهود :

وفي رسالة لفيصل يقول فيها :

« أود أن أغتنم فرصة أول اتصال لي مع الصهيونيين الأمريكيين لأعيد

عليكم ما سبق أن قلته للدكتور حاييم وايزمان في الجزيرة العربية وأوروبا . إننا نعتبر العرب واليهود أبناء عمومة في الجنس ، وقد تعرضوا لاضطهادات مماثلة على أيدي قوى أقوى منهم ، واستطاعوا لحسن الحظ أن يحققوا الخطوة الأولى نحو أهدافهم القومية . فإننا نحن العرب والمثقفين منا بوجه خاص ، نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق المشاعر .

وإن وفدنا هنا في باريس ليدرك المطالب التي قدمتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح في الأمس تمام الإدراك . إننا نعتبرها مطالب معتدلة وصحيحة ، وسوف نعمل جهدنا ، حسب طاقتنا ، على الاشتراك في تحقيقها ، إننا نرحب باليهود أعظم ترحيب ، ولنا مع زعماء حركتكم خاصة الدكتور وايزمان أوثق العلاقات ، وقد كان مساعدا كبيرا لقضيتنا ، وأملي أن يحتل العرب في القريب مركزا يمكنهم من رد المعروف لليهود ، إننا نعمل من أجل شرق أدنى متطور ومترف ، وحركتنا تكمل إحداهما الأخرى ، فالحركة اليهودية قومية ، وليست استعمارية ، وحركتنا قومية وليست استعمارية ، لكلينا مكان في سوريا ، بل إني لا أظن أن لأي منا مكانا في النجاح بدون الآخر »[1] .

ويمضي فيصل إلى أبعد من ذلك ، فهو لا يكتفي بتقديم الأماني الطيبة وإبداء المشاعر الجميلة وحرصه الكامل على تحقيق الأماني القومية لليهود ، تلك الأماني التي وقف السلطان عبد الحميد دون تحقيقها ، وفقد عرشه ثمنا لذلك ، ولكن فيصل يبرم اتفاقا مع الدكتور حاييم وايزمان هو أخطر وأعظم من وعد بلفور ألف مرة . ففيصل يتفق مع وايزمان على التعاون الكامل من أجل تحقيق وتأسيس كيان يهودي منفصل في فلسطين مستقطعا

---

(1) العرش الأردني بين الخيانة العربية الكبرى والتآمر مع صدام حسين ، الأستاذ محمد العباس ، الزهراء للإعلام العربي 1990 ص 36 .

من الدولة العربية السورية التي حكمها في غفلة عن أهلها . وهو يتعهد في هذا الاتفاق على عمل كافة الإجراءات الضرورية لتأمين الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والعمل على تشجيعها وخلق عوامل الاستقرار حتى تتمكن الوكالة اليهودية من تأسيس وطنها القومي[1] .

ونرى أن فيصل يتعهد مع اليهود على ملء تلك الرقعة الفسيحة من الأرض باليهود لتكوين دولة لليهود . فقد وجدت الأرض ولم يوجد الشعب الذي باسمه تقوم الدولة . وفيصل يتعهد بالمساعدة في جلب هؤلاء المستعمرين الجدد ، ويصف حركتهم بأنها عادلة ، وأنهم أصحاب أمان قومية ، ومن حقهم إقامة تلك الدول وتأسيس هذا المجتمع .

وعمل فيصل ومن معه في جلب اليهود من جميع أنحاء الدنيا لإقامة الدولة لأبناء العم المضطهدين ، وهذا هو الكرم العربي الأصيل .

كان أبناء الشريف حسين أكثر موالاة لليهود ويفهمون قوتهم ، وقد رأينا الملك عبد الله يوسط الدكتور وايزمان في تغيير المندوب السامي البريطاني في القدس . ويعرف أن لوايزمان سلطانا عظيما على الإنجليز ولديه صلات وثيقة تمكنه من ذلك .

***الشريف حسين وأولاده في خدمة اليهود*:**

هذا هو الجيل الذي زرع إسرائيل . الشريف حسين وأولاده وأهمهم الملك فيصل بن الحسين ، والملك عبد الله بن الحسين .

خرجوا من مكة يطلبون ملكا ، وسلكوا في سبيل تحقيقه كل ما استطاعوا ، وتخلوا عن الأخلاق والمثل العليا في سبيل ذلك الملك . والذين

---

(1) العرش الأردني بين الخيانة العربية الكبرى والتآمر مع صدام حسين ، الأستاذ محمد العباسي ، الزهراء للإعلام العربي 1991 ص 36 .

عاشوا معهم فهموا ذلك ، فهم يخالطونهم بالليل والنهار ، ويشهدون اجتماعاتهم أو يسمعون عنها . وتنشر تصاريحهم ورسائلهم . ومجمل القول أن نشاطهم معروف وملحوظ ، فقد أعطتهم بريطانيا أرضا شاسعة تقترب من مساحة أوروبا ، يفعلون فيها ما يشاءون ولدينا مزيد .

وعلى هذا فليس من المستغرب أو العجيب أن نشهد مثل مثقال باشا الفايز ورفيقان باشا المجالي وزعل باشا وحسين باشا الطراونة ، وكل الأسماء التي قاتلت معركة اليهود في شرقي الأردن وفلسطين ــ ليس من المستغرب أن نراهم يتكالبون على خدمة الوكالة اليهودية ، وعقد المؤتمرات لتأييد قضيتها .

فقد خلقت عائلة الشريف حسين المثل العليا لهم ، وأرشدتهم إلى الغايات التي ينبغي عليهم الجري خلفها وتحقيقها . وجاءت الثورة العربية الكبرى بزعامات عاينت تحقيق هذه الثورة . ورأت كيف كان الذهب يوزع على القبائل لشراء الولاء . وحضرت التأييد الكامل لمطالب اليهود في فلسطين في الوقت الذي كان عدد سكانها من العرب يتجاوز نسبة 94٪ من إجمالي عدد السكان .

وهذا يفسر تصرفات الزعماء وسلوك الأبناء . فهناك اتفاق غير معلن ، تم في الأروقة وفي قاعات القصور بالليل بين الملك عبد الله ورجاله الذين تربوا في مدرسة الثورة . يقضي هذا الاتفاق بالعمل الجاد المستميت من أجل تحقيق الأماني القومية ... الأماني القومية لليهود !!

وعليهم أن يواجهوا الغوغاء والعامة ويرشدوهم إلى ما غمض عليهم من حقائق الكون والحياة . تلك الحقائق – من وجهة نظرهم – التي تقضي بأن اليهود قادمون ، وعلينا أن نهيئ المكان لهم ، وسوف نحصل على المال منهم في سبيل تحقيق هذا .

ولم يكن رجال الملك عبد الله يحصلون على المال الوفير ، وكذلك هو شخصيا ، فقد كانت الوكالة اليهودية تنفق عليهم بحساب ، وتعطيهم بقدر ، وتعمل حسابا للزمن ، حيث يتزايد الدفع لهم وفق متوالية هندسية ، عليهم أن يراعوها ويقدروها .

ونرى هذا جليا في القروض التي كانوا يقدمونها للباشوات وشيوخ مشايخ العربان ، فهي 200 ليرة ، وأحيانا 500 ليرة ، وتصل إلى ألفين . ومصاريف العمالة تتراوح بين خمسين ومائة ليرة ، وعلى حين فترة من الوقت . فهذه الصحراء الجدباء ، وأولئك القوم الجائعون لا يجب أن يشعروا بالشبع مرة واحدة ، فهذا ضد الاستراتيجية التي تقضي أن تمر عقود حتى يتحقق المطلوب .

الملك حسين وطفولته الفقيرة في مدرسة جدة :

في هذه البيئة نشأ الملك حسين بن طلال المقرب من جده على حسب ما رواه هو شخصيا . فقد كان قريبا إليه يعده ليجلس على كرسيه يوما . فهو يروي أنهم كانوا فقراء ، وأن أختا له قد ماتت لعدم وجود وسائل التدفئة اللازمة التي لم تجعلها تتغلب على الالتهاب الرئوي الذي أصيبت به فماتت .

وهو يروي كيف أهداه أحد أعمامه الملوك في بغداد دراجة عندما زارهم مرة وهو طفل ، وكيف أن أمه اضطرت لبيع هذه الدراجة يوما حتى يحصلوا من ثمنها على الطعام ، وكيف ظل يذكرها حتى بعد أن استطاع شراء أحدث السيارات وأغلاها ثمنا .

فذلك هو المناخ الذي تربى فيه العملاء ملوكا كانوا أم زعماء !!
لا ينبغي توجيه اللوم إلى أولئك الزعماء الذين تعاونوا مع اليهود بهذه

الطريقة المخلصة العجيبة ، فقد كانوا مجردين من الشرف والضمير ، وتربوا في مدرسة الثورة العربية والملك عبد الله .

وينبغي أن نفهم تصرفات الملك حسين بن طلال على ضوء ذلك التاريخ ، وعندها تذهب الدهشة ويزول العجب ، فهي مدرسة قد نشأ فيها ، والإنسان لا ينفصل عن تاريخه ، وحاضره ومستقبله جزء من ماضيه ونشأته . فقد رأى جده يقول كلاما للصحف مليئا بالمشاعر الفياضة والحماسة الزائدة ، وحرب اليهود ومقاومتهم ، والعمل للحد من الخطر الصهيوني على فلسطين وشرق الأردن ، وفي الوقت نفسه يبصر رجال الوكالة اليهودية وهم يزورون القصر خلسة ، ويبصرهم وهم يقدمون لجده النقود ، ويسمع جده الملك وهو يساومهم ويطلب منهم المزيد .

قد شهد الملك حسين كل هذا . وعاشه بنفسه لحظة بلحظة ويوما بيوم . ونشأ وليست بينه وبين اليهود عداوة أو حواجز ، فهو الذي تربى معهم وسمع رطانتهم واعتادها ، ووجدهم طيبين ظرفاء ، يجاملون فيحسنون المجاملة ، ويقفون مع عائلته عند الشدائد والنوازل . فكيف يكرههم أو يتخذهم أعداء ؟

لهذا فإن العلاقة بين اليهود وبين الملك حسين لم تنقطع أبدا ، ولا ليوم واحد ، فهو يلتقي بهم في عمان وفي تل أبيب ، وفي البحر عند العقبة أو على مقربة منها ، وفي سويسرا وفي لندن وباريس وكل بلاد الدنيا . وهو ينقل إليهم ما يقوله العرب وما يتفقون عليه . ويقدم لهم النصيحة المخلصة حتى يتمكنوا من البلاد والعباد .

وكل ما خفي علينا من الأخبار والتفاصيل سوف يأتي وقت ينشر فيه ، ويعلم الناس المدى الذي وصل إليه هؤلاء في التعامل مع أعداء بلادهم .

رغم أن القدر الذي نشر وعرف يكفي لفهمهم وإدانتهم ، وتفسير كل ما يفعلونه من أعمال .

لا مكان لوطني في عائلة الشريف حسين :

وقد رأينا ماذا فعلوا بالملك طلال الذي نبا عن عائلته وأخذ خطًا وطنيا يحقق المصلحة العربية والإسلامية ، واتهموه بالجنون وأودعوه المصحات النفسانية وسجنوه بها ، ولم يسمحوا لأحد بالاتصال به ، وكانت زوجته الملكة زين تنسق وترتب مع السفير البريطاني في كل صغيرة وكبيرة تتصل بالحكم والبلاد ، وكيف واصلت توجيه الملك مع السفير ، الملك الجديد حسين ، وهما يقدمان له النصيحة التي تحتوي على الأمر الذي لا يملك له غير الامتثال ، وهو الذي تربى في حجر جده ، وعرف ماذا فعل بأبيه ، وفهم سر السياسة في تلك المملكة المنكودة ، ودخل قدس الأقداس في عالم عداوة الأوطان والتنكر للمثل العليا والدين . وعلّموه أن غاية جهده أن يحصل على المال من أجهزة المخابرات العالمية . وجاء اليهود واستثمروا له أمواله في شركاتهم التي تغطي الأرض ، وأعطوه من الأرباح فوق ما يحلم ويتصور . مثل ما فعلوا مع جده الملك عبد الله من قبل ، عندما استأجروا منه أرض غور الكبد ، حيث أكد الخبراء أنها لا تحقق نفعا اقتصاديا أو ماليا ، ولكن استئجارها من الملك ، ودفع الإيجار مضاعفا له كل عام يحقق نفعا سياسيا ودينيا . وقد فعلوا !

كان كل رجال الملك عبد الله خونة وعملاء لليهود !!

ولم يكن أمامهم من سبيل غير هذا !

لم يكونوا أصحاب قضية أو أهل حضارة . وعاشوا عصر الخيانة العربية الكبرى ، فكان من الطبيعي أن يسلكوا هذا السلوك ولا يجدوا فيه أية غضاضة . وربوا أبناءهم على هذا .

ومن الأبناء كان حكام الأردن اليوم ورجال السياسة والفكر ، إلا بقية قليلة ليس لها دور رئيسي في شيء ، وهي أيضا مشوشة الذهن مختلطة الفكر ، من كثير مما مرّ بهم وبلادهم من أحداث .

الهاشميون لم يكونوا أصحاب قضية :

كان الإنجليز يتعاملون مع أصحاب الثورة العربية الكبرى على أنهم خونة ، وهم يعون ذلك جيدا . وكانوا يعرفون أن هؤلاء ليسوا بأصحاب قضية أو هدف قومي ، ووجدوا أن لزاما عليهم – الإنجليز – أن يصنعوا لهم هدفا ويجعلوهم يتمثلونه ويحاولون تصديقه ، والذهب يعينهم على ذلك . وكل هذا من أجل الانتصار في الحرب العالمية الأولى ، والتمكن من هزيمة الأتراك في تلك البلاد الشاسعة المترامية الأطراف .

أهمية العشائر لمن يريد السيطرة :

وفي مناقشة طويلة بين لورنس والفيلد مارشال أللنبي حاول الأول أن يشرح للثاني أهمية هذه العشائر العربية المنتشرة في شرق سوريا من شمال الحجاز حتى جنوب دمشق . وكان لورنس ملما بتاريخ المسلمين ، وعلى علم بالمعارك التي دارت في هذه المنطقة عبر التاريخ ، واستشهد له بما فعله صلاح الدين الأيوبي الذي جند معه هذه القبائل المتناثرة ولم يكن أن ينتصر في حطين لو لم يؤمن جناحه الشرقي . واستشهد كذلك بما فعل أبو عبيدة ابن الجراح أنه لو لم يؤمن تلك القبائل ويجندها في جيشه لما استطاع الانتصار على البيزنطيين ، ولما خرج هرقل من سوريا أبدا .

وكان أللنبي يبدي اهتماما فائقا بشرح لورنس الذي قدم إلى القاهرة ولم يكن يعلم بعزل الجنرال موري عن قيادة القوات في الشرق الأوسط ، وحلول هـ . أللنبي مكانه . وكان يخشى من عدم تصديقه على خططه

ومواصلة دعمه في المضي قدما بالثورة العربية الكبرى حتى فتح القدس ودمشق وهزيمة الجيوش التركية وإخراجها من بلاد الشام .

وكان أللبني حصيفا يفهم ما شرحه له لورنس ثم أعطى تأييده له بلا حدود وأمّن له الذهب والمدافع والمؤنة التي طلبها .

وكان هؤلاء جميعا يتعاونون مع عرب الثورة العربية الكبرى باعتبار أنهم خونة ، ولم يلتبس عليهم ذلك الفهم أبدا .

الأسير الألماني الذي لم يفهم الثورة العربية :

ولعل قصة الأسير الألماني الذي أسر في العقبة تعطي بعض الضوء .

كان لورنس كولونيل المخابرات هو القائد العام الفعلي لقوات فيصل العربية ، تلك التي كانوا يجمعونها من العشائر والقبائل بالتفاهم والمراضاة . وكانت العقبة هي هدف لورنس الكبير ، وتمكن من فتحها بعد سلسلة من المغامرات ، ولكن اضطرت حاميتها التركية إلى الاستسلام في النهاية .

وأثناء استلام الأسرى لاحظ لورنس ضابطا أشقر اللحية يرتدي ملابس غبراء وهو أحد مهندس الحامية ، ولم يكن تركيا بل كان ألمانيا تبدو على محياه علامات الدهشة الشديدة العارمة ، وهو لا يكاد يفهم شيئا مما يدور ، فكان ينظر إلى الجنود العرب بملابسهم المعروفة وهم يطلقون الرصاص في الفضاء ابتهاجا بالنصر ، ويجرون بالخيل على غير هدي ، ويقلب بصره بينهم وبين لورنس الذي كان يجيد الألمانية .

وسأله الضابط الألماني المهندس الذي قدم لحفر الآبار الأرتوازية :

– أنا أفهم أنك إنجليزي . ولكن . هؤلاء ؟ من يكونون ؟

وأشار ناحية العرب المبتهجين .

وقال له لورنس :

- هؤلاء عرب من جيش الشريف حسين شريف مكة .

وقال له المهندس الضابط :

- وهل هؤلاء مسلمون ؟

وأجابه لورنس :

- نعم .

لا أستطيع فهم هذه الأحاجي . معنى ذلك أنكم ترسلوننا أسرى إلى مكة .

وأجابه لورنس :

- بل إلى مصر .

واتسعت حدقتا الضابط الألماني من الدهشة :

- إلى مصر ؟ وهؤلاء ؟ هل قلت إنهم عرب ؟

- نعم .

- ويحاربون الأتراك ؟

- نعم .

- قد فهمت أن المسلمين لا يتقاتلون .

وأجابه لورنس :

- هم يتحررون من الاستعمار التركي .

- الاستعمار التركي ؟ ظننت أنها دولة واحدة تضم جميع المسلمين . في الحقيقة سامحني . أنا لا أفهم ! كيف يحارب العربي التركي ؟

وظل لورنس يشرح للألماني تلك الأحاجي التي صعب على عقله فهمها . ولكنه بالتأكيد قد فهم أن هؤلاء هم الخونة الذين حاربوا دولتهم تحت اسم الاستقلال والقومية العربية ، ليوهموا أنفسهم أنهم يقاتلون في سبيل مبدإ . والحقيقة التي يعرفها لورنس وكل قيادة الشرق الأوسط

الإنجليزية في القاهرة أنهم يحاربون في سبيل الذهب .

وعاد الألماني يسأل لورنس ولكنه لم يفهم حتى النهاية فقد كان له تصور عن العالم الإسلامي واختلف عندما وجد المسلمين يقاتلون المسلمين .

وسأله :

– إن كنتم تابعين لجيش الشريف حسين فلماذا تأخذونني أسيرا إلى مصر ؟

وأجابه لورنس :

– هذه قصة طويلة .

وعاد الألماني يسأل في اهتمام :

– هل مسموح بشرب الخمر في مصر ؟

– مسموح بكل شيء هناك .

وتنفس الألماني الصعداء وهو يقول :

– لعلي أفهم هذه الألغاز مع كأسين من الخمر في القاهرة .

جيش الشريف حسين مرتزقة يقودهم الإنجليز :

وفصل يرويه لورنس ويبين من خلاله أن جيش الشريف حسين الذي كان يقوده فيصل لم يكن غير مرتزقة يقودهم الإنجليز ، ولهم جزء من الخطة الموضوعة لغزو الشام وضرب الأتراك ، ومسألة الاستقلال هذه لم تكن إلا للاستهلاك المحلي كما يقولون . وإن أرادوا حكاما منهم في المستقبل فلا بأس فهم لن يجدوا من هم أفضل منهم في خدمتهم . والجميع أوغاد ومرتزقة يستويّ في هذا رؤساء العشائر والملوك من أبناء الحسين ملك العرب كما وصفوه .

كان أللنبي يستعد لغزو بلاد الشام وطرد الأتراك منها ، وكانت الخطة

تقضي أن يتحرك فيصل بمن معه في خدمة الجيوش الغازية ويصير تابعا في القيادة للجيش الزاحف من القاهرة والذي يقوده أللنبي .

وعند طرح هذه الفكرة بدت أنها صعبة التنفيذ . فهل سيقبل فيصل ؟ وإن لم يقبل فماذا يكون التصرف ، ويقول لورنس إنه قد بحث هذا الوضع مرة مع فيصل عندما كانوا في « الوجه » قبل عدة أشهر . والمندوب السامي هل يوافق على هذا ؟ لقد كان جيش فيصل من أفضل وحدات الحجاز وأهمها .

وكان الجنرال وينجت قد تحمل مسئولية الثورة العربية في أحلك ساعاتها وقد جازف بسمعته في سبيل إنجاح المشروع ، فهل يمكن أن تواتينا الشجاعة ونطلب منه أن يترك طليعة الثورة لمساعدة أللبني وهي على مرمى قوس من النجاح ؟

لم يتردد كلايتون الذي كان يعرف وينجت في عرض الفكرة عليه ، وجاء رد وينجت سريعا إنه إذا كان في استطاعة أللنبي أن يستفيد أكثر من فيصل وجيشه فسيكون مسرورا من أداء هذا الواجب في سبيل التاج البريطاني .

ويقول لورنس أما العقبة الثالثة فيمكن أن تأتي من ناحية الشريف حسين نفسه، وهو يصفه بأنه شخص ضيق الأفق معجب بنفسه وغير مستعد على الإطلاق للتخلي عن بعض ما يزيده عجبا وزهوا ، وهو كثير الشكوك لا يثق بأحد ، وإذا اعترض على ما نطلب فسوف يعرض خططنا للخطر .

واقترحت أن أذهب بنفسي إلى الشريف حسين لأحاول إقناعه ، مع نية المرور على فيصل الذي سيعطيني المستندات اللازمة للمرور ، والتي من

شأنها أن تدعم الرسائل التي كان وينجت نفسه قد أرسلها إلى الشريف حسين .

وصدرت الأوامر إلى الباخرة دفيرن العائدة من العقبة أن تنقلني إلى جدة لتنفيذ هذه المهمة الصعبة الجديدة .

ويقول لورنس إنه بعد يومين أوصلتني السفينة إلى الوجه ، غير أن فيصل وجوبس ونيوكمب والجيش بأكمله كانوا جميعا في جيدة على بعد مائة ميل إلى الداخل . فتولى ستانت الذي حلَّ محل روس في قيادة الطيران العربي نقلي جوا إلى جدة .

وضحك فيصل كثيرا من حروبنا كمبتدئين عندما سمع تفاصيل حملتنا . وقضينا تلك الليلة في وضع الخطط . ثم كتب إلى والده وأمر بإرسال الهجانة إلى العقبة . واتخذ الإجراءات اللازمة كي ينقل جعفر باشا وجيشه من الأسرى الأتراك على متن الهاردنج البطيئة الحركة .

ويواصل لورنس فيروي أن الطائرة قد أعادته إلى الوجه في اليوم التالي . وبعد ساعة كانت الهاردنج في طريقها إلى جدة .

والشريف حسين الذي جاء من مكة بدا كثير الكلام ثرثارا . وكان ويلسون يرافقني ، ونعتبره بمثابة العصا السحرية للمشروعات المشكوك في أمرها . وبفضله وجدنا الشريف حسين يوافق بسهولة وبشكل سريع على أن ينتقل ابنه فيصل تحت إمرة أللنبي . ووجدها فرصة ليتكلم عن إخلاصه العميق لبريطانيا وللحلف القائم بيننا .

وبعد فترة من الوقت في ذلك الحديث وجدناه ودون منطق ظاهر كعادته دائما قد بدأ يشرح لنا محاسن الإسلام .

وتركناه يتحدث كما شاء له أن يتحدث فالمهم أنه وافق على ما نريد .

وينتقل لورنس إلى جانب مهم من هذا الاقتباس الذي أخذناه من مذكراته التي رواها في أعمده الحكمة السبعة فيقول[1] :

وفيما كنا في جدة نقوم بالدور الملقى علينا جاءتنا برقيتان على وجه العجلة وقد بددتا هدوءنا .

ورد في البرقية الأولى أن « الحويطات » كانوا يخونوننا ويتصلون سرا « بمعان » .

والثانية تتهم « عودة » بأن له ضلعا في هذه الخيانة .

وقبل أن نمضي في القصة مع لورنس ينبغي أن نذكر أن قبائل الحويطات من أهم العناصر التي قامت عليها الثورة العربية ، وأن عودة بن تايه هو زعيم هذه القبائل وشيخ مشايخها ، وله دور هام في أحداث تلك الفترة ، وشارك برجاله في نسف الخط الحديدي التركي الذي كان في خدمة العرب .

ونمضي مع لورنس في استرساله .

ووقعت علينا هذه الأخبار وقوع الصاعقة .

فويلسون كان قد سافر وتنقل مع عودة وتأكد له حسن سلوكه ، وأنه مخلص كل الإخلاص . أما محمد الدخلان فمن الممكن أن يلعب دورا مزدوجا ليس ذلك بمستبعد عنه . وابن جاد ومن معه كانوا محل شكنا طول الوقت . وقررنا دون تردد أن نتوجه إلى العقبة على الفور ، فقد وضعنا الخطط للدفاع عن المدينة و لم نأخذ في اعتبارنا إمكانية الخيانة بين صفوفنا .

ولحسن الحظ كانت الهاردنج في الميناء تحت تصرفنا . وبعد ظهر اليوم

---

(1) والكلام هنا نقلا عن كتابه بتصرف .

الثالث ألقت الباخرة مرساها في ميناء العقبة ونحن على متنها . ولم يخطر ببال ناصر أن هناك شيئا سيئا يمكن أن يحدث ، وقلت له إنني أرغب في رؤية عودة لتحيته والسلام عليه ، فوضع دليلا وفرسا تحت تصرفي .

وفي الفجر وجدت عودة ومحمد وزعل في خيمة واحدة عند القويرة . واعتراهم الذهول عندما رأوني أهبط عليهم بهذا النحو المفاجئ .

وأخبروني أن كل شيء على ما يرام ، وجاءوا بالفطور وأفطرنا معا كأصدقاء . وفي هذه الأثناء دخل علينا بعض رجال « الحويطات » وتحدثنا بعض الأحاديث الطريفة عن الحرب وما حدث فيها . ثم وزعت على الجميع الهدايا والمكافآت . وأعلنت وسط هذه السعادة الغامرة بأن ناصر قد نال إجازة لمدة شهر سوف يقضيه في مكة . والشريف حسين في حماسته الفائقة للثورة العربية ينتظر من الجميع أن لا يكونوا أقل حماسة منه .

وبعد الغداء تظاهرت بالرغبة في النوم للتخلص من الزائرين وبعد أن انصرفوا طلبت من عودة ومحمد أن يرافقاني في نزهة إلى الخرائب الأثرية .

ولما أصبحنا وحدنا واجهتهما بثبات وفتحت معهما موضوع مراسلتهما الأخيرة مع الأتراك ، وسألت عن طبيعة تلك القصة .

وراح عودة يقهقه ضاحكا بينما تغير وجه محمد .

وبعد فترة من الوقت شرحا لي الملابسات التي حدثت .

فقد أخذ محمد خاتم عودة وكتب إلى حاكم معان ، وجاءه رد الحاكم التركي سريعا واعدا بجوائز ومكافآت كبيرة . فطلب محمد قسطا تحت الحساب . ولما علم عودة بذلك تربص بالرسول المحمل بالهدايا وجرّده من كل ما معه ومن ثيابه أيضا وتركه عاريا تماما . وهو الآن يرفض أن يعطي محمدا أي جزء من الغنائم .

ضحكنا جميعا لهذه النكتة ، ولكن هذا لم يكن كل شيء .

كان عودة ومحمد غاضبين لأنهما لم يتلقيا مساعدات عسكرية ، ولم يتسلما مكافآت وجوائز ونقودا بعد الاستيلاء على العقبة . وكان أهم من هذا كله أنهما يودان معرفة كيف حصلت على مراسلتهما السرية . وماذا كنت أعرف على وجه اليقين . وكنت من وقت لآخر أورد بعض الجمل التي جاءت في رسائلهم .

وبدأت وجوههم تتغير .

وأسرعت فذكرت أن جيش فيصل في الطريق ، وأن أللنبي سوف يرسل إلى العقبة بنادق ومدافع ومتفجرات ومؤنا كثيرة وأموالا طائلة . ثم تكلمت بلهجة ذات مغزى عن أن مصاريف عودة في هذه الضيافة القادمة سوف تكون كثيرة بالتأكيد .

وكان عودة يستمع إلي شاردا بفكره هنا وهناك ، وهو يتأمل كلامي فيجده معقولا ، وقد كان كذلك ، وأسرعت بالحديث مرة أخرى ، وذكرت له أن فيصل عندما يأتي سوف يقدم له هدية ثمينة ، ثم همست له أنني أستطيع أن أتدخل في تحديد هذه الهدية مع فيصل . وكان على يقين أن هذا ممكن . ومادامت عودة فيصل إل العقبة قريبة ، ومعها كل هذا ، فلماذا لا ننتظر والأتراك في أيدينا طول الوقت ؟

وسألته عن رأيه في حديثي ، فشكرني شكرا عميقا وأخبرني أنه سوف يستخدم المال الذي يأتي مع حلول فيصل في تحسين أحواله بشكل عام .

وكان لابد من تقديم تقرير إلى مصر !!

وجد لورنس أنه لا يستطيع تحطيم الأسطورة التي اشترك في صنعها ،

ووجد أيضا أنه لا يمكنه إخبار القاهرة أن رجال الثورة العربية الكبرى هم مجموعة من الخونة وقطاع الطرق ، وأنه لا يمكن الوثوق بهم لليلة واحدة ، وأنهم في القاهرة لا يبخلون عليهم بشيء ويمدونهم بما يطلبون ، وأنه يفهم هؤلاء العرب أكثر من أي إنسان آخر ، وفي تقديره أنه يستطيع الاستمرار معهم مادام يسارع إليهم بالمال الذي يطلبون .

وطلب القاهرة على الهاتف وأعلنهم أن الوضع ممتاز في « قويرة » وليس هناك أي أثر للخيانة ، ويقرر أن هذا كان كلاما على حافة الصدق . ويرى أنه كان لزاما عليه تلطيف الحقائق للاحتفاظ بثقة القيادة ، وإبقاء على الأسطورة التي أجادوا رسمها ، وهي الثورة العربية الكبرى !

تقرير هام للورنس عن بلاد الشام :

كان لورنس هو مندوب المخابرات البريطانية لدى فيصل والشريف حسين ، وهو استعماري قاد الثورة العربية وجعل منها أسطورة حتى يمكن تحقيق النصر لبريطانيا ضد تركيا . وقد اختلط بأهالي شرقي الأردن وزعماء عشائرها بحكم دوره الذي قام به في إتقان شديد . وصار خبيرا بأهالي تلك الناحية ، وكانت له آراء لها قيمتها وملاحظات لها وجاهتها مع الأخذ بالاعتبار صليبيته وأنه بريطاني من رجال المخابرات .

وفي كتابه أعمدة الحكمة السبعة وضع تقريرا له أهميته عن هذه البلاد ، وننقله هنا باختصار فبه نستكمل الصورة عن ذلك الحجاب الحاجز الذي صنعوه في مطلع ذلك القرن في براعة واقتدار[1] .

يقول لورنس :

---

(1) عن الترجمة العربية لكتاب أعمدة الحكمة السبعة من منشورات المكتبة الأهلية بيروت طبعة أولى 1968 وقد عدنا للأصل في مواضع كثيرة لغموض الترجمة .

كان علينا أن نبدأ حملتنا الثانية كما سبق لنا وبدأنا الأولى في وادي « عيسى » بدراسة للخريطة وباستطلاع ميداني للمكان الذي ستدور فيه وأعني سورية .

كنا نقبع على حدودها الجنوبية . وإلى الشرق كانت تمتد الصحراء موطن البدو الرحل . وفي الغرب يحد سورية البحر المتوسط من غزة إلى الإسكندرونة وفي الشمال يحدها الأناضول بسكانه الأتراك . وداخل هذه الحدود تقسم البلاد إلى عدة أقسام طبيعية وفقا للنتوءات والسلاسل الجبلية .

وأولى هذه السلاسل وأهمها تلك التي تفصل من الشمال إلى الجنوب المناطق الساحلية عن الداخل حيث السهول . والمناخ متباين بين هاتين المنطقتين الكبيرتين ، وقد شكّل لهذا بلدين تتفاوت عقلية سكانهما .

فسكان الساحل وسكان الداخل يعيشون في بيوت تختلف في شكلها عن الأخرى . كما أن طبيعة عملهم ونوعية طعامهم مختلفة ، وكذلك لهجاتهم العربية التي ينطقونها . وأهل الساحل يتكلمون عن سورية الداخلية بلا عاطفة وكأنهم يتحدثون عن بلاد بعيدة تعيش في المجاهل لا تربطهم بها صلة .

وقسمت الأنهار السهل في الداخل إلى عدة أقسام جغرافية ، وجعلت من الأودية أخصب أراضي سورية وأكثرها ضمانا . والسكان في هذه المناطق انعكاس لطبيعة أرضهم . فهم يعيشون تحت الجفاف والجراد والغزو القادم كل حين من الصحراء ، وهم يعانون من الثأر وعادة الأخذ به .

وإن كانت الطبيعة قد قسمت البلاد إلى مناطق ، فقد جاء الإنسان ليضيف إلى هذه التقسيمات تعقيدات جديدة . وهذه هي طبيعته في هذه

البلاد . فالأقسام الطولية من الشمال إلى الجنوب منعزلة عن غيرها بشكل مصطنع للخصام الدائم بين الجماعات هناك .

وكان علينا أن نبسط سلطاننا ونفوذنا على تلك الجماعات والفئات ، وأن نحاول جاهدين إزالة ما بينها من بغض وتنافر وتباعد ، ومن ثم يتم حشدها في صفوف متراصة في عمل مشترك ضد الأتراك .

وهنا في ذلك الطلسم السوري كانت تكمن كل مهارات فيصل . وفيه أيضا كانت جميع العقبات التي تحول بينه وبين النجاح .

في أقصى الشمال الأكثر بعدا عن تتبع الحدود اللغوية ، وعلى وجه التقريب على طريق الإسكندرونة – حلب . وعند النقطة التي تلتقي فيها هذه بخط بغداد الحديدي حيث تتجه شمالا مع الخط في وادي الفرات .

غير أنه توجد جنوبي هذه الحدود العامة حول إنطاكية في الأماكن التي لجأ إليها الأرمن قرى تركمانية وجماعات تتكلم اللغة التركية .

وإلى جانب هذا كان هناك عامل أساسي لا يمكن تجاهله لدى سكان الساحل وهو وجود الطائفة النصيرية التي تكره كل ما هو أجنبي ، وهي طائفة تعيش وفق طقوس خاصة ومشاعرها عشائرية كسياستها ، ومن قوانينهم وعاداتهم أنه لا يمكن لنصيري أن يخون نصيريا آخر ، بينما يحق له أن يخون الآخرين . ولكنهم خونة بوجه عام .

وإلى جانب هؤلاء تقع مستعمرات مسيحية سريانية ، وعند منعطف العاصي تعيش جماعات من الأرمن من أعداء الترك الألداء .

وفي الداخل يعيش الدروز وهم من أصل عربي ، وبعض الشركس الذين قدموا من بلاد القفقاس .

وإلى الشمال الغربي وراء هؤلاء يعيش الأكراد المقيمون هناك منذ عدة أجيال ، وهم يتزاوجون مع العرب وينتهجون سياستهم . ومن المعروف عن هؤلاء الأكراد أنهم يكرهون أول ما يكرهون جيرانهم من المسيحيين ثم الأتراك .

وفي منطقة مجاورة للأكراد يعيش بعض اليزيديين ، وهم يتكلمون العربية ، ولكنهم تأثروا بالمانوية الإيرانية القديمة ، ويبحثون عن طريقة من خلال ديانتهم لتهدئة روح الشر في نفوسهم .

وإذا ما أوغلنا أكثر إلى الداخل لنصل إلى حلب فإننا نجد في تلك المدينة التي تعد مائتي ألف نسمة صورة مصغرة لكل العناصر والأديان الموجودة في تركيا . وإلى الشرق من حلب في منطقة يزيد عرضها عن ستين ميلا يعيش العرب المسلمون .

وإذا ما أخذنا قطاعا آخر من سورية إلى جنوبي القطاع الأول ومثله يمتد بين البحر والداخل ، فإننا نجد بالقرب من الساحل جيوبا شركسية مسلمة يتحدث أبناء الجيل الجديد منها العربية ، ولكنهم في نزاع مستمر مع جيرانهم العرب .

وفي الداخل يعيش أبناء الطائفة الإسماعيلية الذين رغم كونهم من العجم في الأصل فقد استعربوا على مرّ العصور . وهم يحلمون بعودة محمد الذي يتجسد في الأغاخان ، ويحملون له ولاء فريدا من نوعه ، ولعله لا يوجد له مثيل في أية طوائف أخرى . وهم يحبون الإنجليز لصداقتهم مع الأغاخان . ويتحاشون المسلمين السنة ويجتهدون في إخفاء معتقداتهم .

وفي الداخل يبدو المشهد أكثر غرابة ، عندما نجد قرى تقطنها قبائل مسيحية تحت إمرة بعض المشايخ ، فهم مسيحيون نشطون جدا وأقوياء

أيضا ، ويختلفون عن إخوانهم الباكين على الأطلال . ويعيشون وفقا لعادات جيرانهم السنيين وعلى وفاق تام معهم .

وإلى الشرق من هؤلاء تعيش جماعات إسلامية على رعي الماشية .

وأخيرا عند طرف الأراضي المزروعة يوجد عدد من القرى الإسماعيلية الساعية أبدا مع جيرانها إلى سلام لا يأتي ولا تنعم به على الإطلاق . وبعد ذلك تبدأ الصحراء حيث يحيط بها نطاق من البدو الرّحل .

وإلى الجنوب من هذا القطاع الثاني بين طرابلس وبيروت يقع قطاع ثالث نجد فيه أولا بالقرب من الساحل مسيحيي لبنان وأكثرهم من الموارنة والروم الأرثوذكس .

ومن الصعب جدا الفصل بين سياسة الكنيستين .

الأولى تميل إلى أن تكون فرنسية والثانية روسية . غير أن قسما من الكنيستين كان قد هاجر طلبا للرزق إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، واكتسب إلى حد بعيد تلك الروح الأنجلوسكسونية العنيفة .

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة الأرثوذكسية تفاخر بكونها جزءا لا يتجزأ من سورية القديمة ، وبأنها كنيسة وطنية . كما أن إقليميتها الشديدة تجعلها تفضل الارتباط بتركيا على الرضوخ للسيطرة النهائية لدولة رومانية جديدة .

ويلتقي أبناء الطائفتين عند الطعن الذي لا حدود له بالمسلمين كلما تيسر لهم ذلك . ويبدو أن هذا النزوع ناتج عن تصورهم وإحساسهم بأنهم أقلية . ويلاحظ أن عائلات مسلمة تعيش بين هؤلاء المسيحيين ولا يختلفون عنهم في العادات والشكل غير أن لهجتها أقل رخاوة .

وعلى منحدرات الجبال العالية ناحية الشرق تكثر جماعات المتاولة ، وهم

من الشيعة الذين هاجروا من إيران منذ أجيال عديدة . وأبناء هذه الطائفة يرفضون أن يأكلوا أو أن يشربوا مع أبناء الطوائف الأخرى ، وهم يأبون الانقياد إلا إلى أئمتهم وأعيانهم .

وعلى قمم الجبال تقبع قرى معلقة كأعشاش النسور يقطنها صغار الملاك من المسيحيين ، وهم على وئام تام مع جيرانهم المسلمين .

وإذا اتجهنا أكثر ناحية الشرق فإننا نجد قرويين من العرب المسلمين الذين هم في طريق الاستقرار ، ومن ثم تبدأ البادية .

أما القطاع الرابع إلى الجنوب فيقع في أنحاء عكا .

وفي هذا القطاع يتألف السكان ابتداء من الساحل من عرب سنيين ثم دروز ثم متاولة « شيعة » .

وعلى ضفاف الأردن توجد مستعمرات من اللاجئين الجزائريين كثيري الشكوك حتى المرارة في مقابل القرى اليهودية .

وأما اليهود فهم خليط عجيب من الأجناس والأنواع . البعض متمسكون بالتقاليد العبرانية ويعيشون وفقا لعادات هذه البلاد . والبعض الآخر قادمون من أوروبا مؤخرا وأغلبهم ذو ثقافة ألمانية ، وأدخلوا إلى البلاد طقوسا وطرق حياة غريبة لا تتفق وطبيعة فلسطين . ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء اليهود لا يلاقون من جيرانهم العرب في الجليل نفس العداء الذي يلاقونه في المنطقة اليهودية المجاورة .

ووسط السهول الشرقية التي يدب فيها عشرات الألوف من العرب يمتد لسان بركاني ، حيث تجمّع على مر العصور بقايا شعوب سوريا القديمة . ويعيش أحفاد هؤلاء في قراهم على هواهم دون حسيب أو رقيب في منجى من الأتراك والعرب والبدو على السواء .

وأما هذه المنطقة وجنوبها الشرقي فينفتحان على سهل حوران الخصيب موطن الفلاحين العرب الشجعان .

وإلى الشرق من هذه المنطقة يعيش الدروز . وهم فئة من المسلمين من أتباع سلطان من سلاطين مصر قضى منذ زمن بعيد . ومن المعروف عن الدروز أنهم كانوا يكرهون الموارنة كرها شديدا . وكثيرا ما أدى هذا الكره ، وبتشجيع من الدولة العثمانية ، ومن بعض المتعصبين إلى مذابح دورية كبرى . وهم في اقتتال مستمر مع البدو وفقا لعادة الأخذ بالثأر التي يعملون بها ، كما أنهم يحتفظون في معاقلهم بشكل من أشكال الإقطاع الذي كان يسود لبنان في عهد أمرائه الوطنيين المستقلين .

وأما القطاع الخامس الذي يبدأ عند القدس فيشمل عند الساحل سكانا من الألمان الذين يدين بعضهم باليهودية . وهم يتكلمون اللغة الألمانية أو اليديش الألمانية ، وهم على درجة عالية من التعصب ، ويرفضون كل اتصال مع الغير ، ويحيط بهم بحر من العداء حيث يقيم الفلاحون الفلسطينيون . وإلى الشرق في الداخل يمتد وادي الأردن الذي يقطنه أرقاء ومماليك ، قد جعلت أشعة الشمس لونهم شبيها بالبرونز . وبعد ذلك تنتثر القرى التي يسكنها المسيحيون ، وهم كإخوانهم من مسيحيي منطقة العاصي ، ولم يشكوا أبدا من مجاورة المسلمين لهم .

وبين هؤلاء وإلى الشرق منهم يعيش عشرات الألوف من العرب نصف الرُحل المحتفظين بنقاء الصحراء .

وعلى طول هذه المنطقة المتنازع عليها كانت الحكومة التركية قد أسكنت هناك مهاجرين من الشركس الذين استقدمتهم من بلاد القفقاس التركية . وهؤلاء يدينون بوجودهم وببقائهم هناك إلى قوتهم وسيوفهم ، وإلى عطف الحكومة التركية عليهم ، الأمر الذي جعلهم مخلصين لها لأن بقاءهم مرهون ببقائها .

في هذا التقرير العجيب قدم لورنس المسرح الذي جرت عليه أحداث الثورة العربية ، فهو يصف سوريا وسكانها وصفا دقيقا ، بعين رجل المخابرات الحصيف الذي ينتبه إلى كل شاردة وواردة رغم أنه غريب عن البلاد ، وهو زائر لها مهما أقام فيها .

أضعف نقطة في خريطة لورنس السياسية :

وإن نظرنا إلى الخريطة التي رسمها لورنس بكلامه وشرحه لوجدنا أن أضعف نقطة فيها تلك التي سميت بشرقي الأردن ، حيث اجتمعت تلك العشائر تحت زعامة الأمير عبد الله وصارت إمارة ، وتحولت بعد ذلك إلى مملكة حيث توج عليها الملك عبد الله عام 1946 بعد انتهاء الانتداب البريطاني ، وتطورت حتى صارت إلى الشكل الذي نراه الآن تحت حكم الحسين بن طلال . وبقيت ككيان يحرص عليه الجميع للدور الذي تقوم به ، وذلك الآخر الذي ستقوم به .

وهي كما وصف عشائر من البدو الرُّحل يعيشون على السلب والنهب والإغارة والغزو ، حيث تضعف قيمة العهود ويكون السيف هو السلطان والقانون . وتكثر الخيانة والنكث ، ويكون هذا الخلق طبيعة وعادة لا يستنكرها أحد ، ولا يلام من يفعلها فهي طبيعة الحياة والمجتمع في تلك البقعة من الأرض التي توارثت قوانين الجاهلية قرونا طويلة . وكانت الصحراء هي الوعاء الحافظ لتلك الخصائص الرديئة .

لن تقوم وحدة بين العرب في الحاضر أو المستقبل :

وقد قال لورنس كلمته الشهيرة إنه لن تقوم وحدة بين العرب في الحاضر أو في المستقبل . ونحن نخالفه في هذا ، ولكن مقولته هي تعبير عن الواقع الغريب من الأجناس والأقوام الذين يستحيل عليهم أن يجتمعوا في

إطار الوحدة العربية ، وهذا ما عاينه ورآه ، بالإضافة إلى القيم الأخلاقية المتردية التي رآها ووجدها منتشرة بين القادة وبين الأتباع حيث يسود النفاق وتبرز الخيانة وتتغلب المصالح الذاتية على كل معنى طيب ونبيل . ولهذا نراه لا يدهش عندما تفكر « الحويطات » في خيانة الثورة العربية فهو يعرف أن الثورة العربة هي خيانة في حد ذاتها ، لهذا لم يعجب أو يغضب ، ولكنه عالج المشكلة بمزيد من الذهب والمال . فكل هؤلاء مستأجرون لأداء خدمة للإمبراطورية البريطانية وقد غلفوا هذه الخدمة ببعض الكلمات النبيلة والأهداف السامية الجوفاء ، ولكن لابد لهم من أخذ أجرتهم . وعلينا زيادتها بين الحين والآخر حتى نضمن ولاءهم للانتهاء من المشكلة المطروحة ، وهي القضاء على دولة الخلافة ، وتحقيق الهزيمة العسكرية للأتراك . وبعد ذلك فليذهب جميع من ساعدونا إلى الشيطان فلا حاجة لنا بهم وليبحثوا لهم عن سيد آخر إن أرادوا ، وقد تقاضوا أجرهم كاملا وبزيادة وبصورة لم يتوقعوها من قبل . وقد خلقت لهم هذه الخدمة التي قاموا لنا بها رخاء لم يعهدوه وخصبا وطيبات بعد قحط وجدب طال أمدهما عليهم وهم يعيشون في أتون ملتهب من نيران الشمس التي تقدح كل شيء في منازلهم ومضاربهم .

ونسي لورنس أن هؤلاء الذين لا يظن أنهم يتحدون كانوا في وحدة وفي اتساق ، وأن السياسة البريطانية والعملاء هم الذين فرقوهم شيعا ، وخلقوا من هذا الشتات دُولا وإمارات .

المستقبل للوحدة الإسلامية :

ربما يكون لورنس على صواب في أن العروبة ليست وعاء أو إطارا يجمع الناس . ولكن الإسلام هو الصيغة المثلى لتلك الوحدة وسوف تكون .

وما الذي يدفع العشائر والقبائل الكائنة في شرقي الأردن على قوتها وما

هي عليه من بأس أن تدين بالطاعة لمجموعة قدمت بلادهم على الجمال ، وهم من عائلة قد اشتهر أمرها بالخيانة والعمالة للإنجليز ؟

ويتواثب الملوك منهم على هذا العرش العجيب ، ويحكمونهم كما يشاءون ، بلا قانون أو شرع أو مبرر عميق ، وتنعدم الحرية ويستشري الفساد ، ويحصل الملك باسم هذا المجتمع الأموال والمساعدات من بلاد الدنيا المختلفة ويعطيهم الفتات ، ثم يودع الباقي في بنوك مختلفة من العالم !

وهذه أمور ليست من الأسرار ، بل أمرها مشتهر ومعروف ، ويعرفه سكان شرقي الأردن أكثر مما يعرفه غيرهم من الناس .

هل كان سكان هذه الناحية خليطا من أجناس وشعوب وأديان يبحثون عن سيد ، مهما كانت طبيعة هذا السيد ووجدوه في أبناء الشريف حسين ؟ ويبدو أن الأغلب والأقرب إلى الذهن أنه مجتمع فقير في أرض جدباء ، يمكن أن يؤدي دورا ما في تفريق العرب وخدمة الصهيونية العالمية ، ويقوم بهذا الدور ويتقاضى عليه الأجر كما فعل من قبل أيام الثورة .

ولمثل هذه اللعبة قانون معلن وآخر مستتر . ومن قوانينها الهامة التي يجب أن يعيها الجميع أن شرطنا في أن تأكلوا وتشربوا ويأتيكم رزقنا رغدا من كل مكان أن تسمعوا وتطيعوا لمن يجلس على عرشكم ولو كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة .

وقد فهم رؤساء العشائر هذا الشرط ، وهم لا يعارضون فيه ، فليس المهم من يجلس على كرسي الإمارة أو العرش ، ولكن المهم ماذا يأتي من ورائه ، وهم لا يحاسبونه على ما يأخذ ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، ولكن المهم ماذا سيأخذون هم . فإن كان ما يأتيهم كافيا يفي بالأغراض والنفقات ، فليبارك الله للأمير أو الملك فيما يأخذ أجرا لعمالته !!

وربما لو تذكرنا الفقر المدقع الذي كانت تعيشه الأسرة الحاكمة هناك حيث لم يجدوا في بعض الأحيان ثمن العلاج وأجرة التدفئة . وتوسل أمير البلاد عبد الله بن الشريف حسين للقاصي والداني أن يتوسطوا له عند الوكالة اليهودية حتى تستأجر أرضه ، وهو على أتم استعداد لفعل أي شيء من أجل خدمتهم .

وقد فعل أكثر مما توقعوا منه . ربما لو تذكرنا كل هذا لفهمنا هذا الاتساق بين الحاكم والمحكوم هناك حيث لا موارد يمكنهم بيعها أو تجارة يخشون كسادها ، اللهم إلا قليلا من الفوسفات اكتشفوه أخيرا ، أو أرشدهم إليه الإنجليز واليهود ، وهو لا يفي في حجمه بالإنفاق على تلك القصور الشاهقة التي تزين التلال في جبل الحسين وجبل عمان وجبال أخرى منتشرة .

ونحن هنا في هذا المقام لا نقدح ، ولكننا نفسر ظاهرة .

هل فقد الأردن دواعي وجوده ؟

وعندما فكر المخططون في قيام دولة إسرائيل حيث تقوم ، فكروا في دولة شرقي الأردن حيث تقوم ، وهي لازمة للأولى حتى تستقر ، وبعدها تفقد الدولة في شرقي الأردن أسباب بقائها ودواعيه . وعندها يخرجون من الأدراج ملفا آخر ومشروعا جديدا لا تكون فيه الدولة ولا الأسرة الهاشمية . ولكن متى يحدث هذا ؟ لا أحد يعلم على وجه التحديد ، ولكن بوادره قد بدأت على أي حال .

الإخوان المسلمون في الأردن :

ومن الملاحظات الغريبة ما يستلفت النظر عن الحركة الإسلامية في الأردن . ومثلا جماعة الإخوان المسلمين .

وجماعة الإخوان المسلمين في الأردن لا تختلف عن مثيلاتها في مختلف البلدان العربية . والمراقب العام هناك يتبع المرشد العام للجماعة في القاهرة حيث المركز العام العالمي للإخوان .

ونظرة على تاريخ الجماعة في البلاد العربية خلال نصف القرن المنصرم فإننا نجد أن كل نظام من الأنظمة العربية قد اصطدم مع فرع جماعة الإخوان في بلده . ونكبت الحركة الإسلامية عموما وجماعة الإخوان بشكل خاص في كل البلاد الإسلامية والعربية .

ونستثنى من هذا التعميم جماعة الإخوان في الأردن .

لماذا ؟

هذا ليس اتهاما ولكنه مجرد ملاحظة !!

فقد ذهب كل أعضاء الحركة الإسلامية وجماعة الإخوان إلى السجون والمعتقلات في مشارق الأرض ومغاربها ماعدا الأردن ! أمر يستحق النظر والتفكير العميق . وتصوري أن الحكومة الأردنية بمثابة شركة قابضة بتمويل أجنبي 100٪ ويتقاضى الملك حصة نظير الإدارة وتحقيق الأهداف ، وكل ما يقع تحت الحكومة في الجدول الهرمي للإدارة عبارة عن مؤسسة أو شركة متخصصة في فرع بعينه ، والكل يعمل وفق خطة موضوعة في مكان بعيد ، ولا يستثنى من ذلك أحد حتى الحركة الإسلامية بجميع فصائلها . وهذه هي الخاصية الفريدة التي يتميز بها النظام الأردني .

الملك ورؤساء الوزارات السابقين والحاليين أعضاء في محافل ماسونية !!

وهذه حقيقة يعرفها جميع الصحفيين تقريبا في الأردن .

وهناك من يدافع فيقول : وماهي الماسونية ؟ هي جماعة تدعو إلى الإخاء والحب والخير . ونقول لهم هذا صحيح ولكن بين اليهود !

ثم جاءت أزمة الخليج والغزو البربري الهمجي من جيش صدام حسين للكويت وتهديده للمملكة العربية السعودية ، واختلف الناس في مشارق الأرض ومغاربها حول هذا الغزو ، إلا الأردن فقد صدروا جميعا على قلب رجل واحد . كل الدولة والمجتمع والأحزاب والحركة الإسلامية مع صدام حسين ويساندونه في الغزو ويوافقونه عليه ، ويفتحون مراكز التطوع للوقوف بجانبه ضد من ؟ يقولون ضد أمريكا . والحقيقة أنهم يقفون معه ضد العرب ، ومع الباطل ضد الحق .

والمثير للدهشة أنه لم يشذ شخص واحد عن موقف رئيس مجلس إدارة الأردن شركة مساهمة أجنبية للعمل وراء البحار ، جلالة الملك حسين بن طلال بن عبد الله ابن الشريف حسين ملك العرب وأولاده .

كان ينبغي أن يترفع أصحاب الحركة الإسلامية عن هذا الموقف ، والإخوان المسلمون بشكل خاص ، وكان يمكن أن يستأذنوا من الملك في الوقوف مرة واحدة في الجانب المعاكس ، ولو من باب توزيع الأدوار . ولكنهم لم يفعلوا واشتطوا في موقفهم في دهشة المراقبين وعجبهم .

ثم نسمع خطيبهم الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وكان قد فصل من الجماعة في زمن مضى لقبوله الوزارة ، ثم تواثب عليها ، وانتهى به المقام وزيرا للأوقاف وربما عزل من الوزارة ، فأنا لا أتابع أخباره .

ولكني سمعته يخطب الجمعة ، وأذيعت الخطبة من راديو عمان ، وقد سمعها الملايين من الناس . وصعقت وأنا أسمعه يتحدث عن الدبابات التي تزاحم السيارات عند باب الكعبة ، وعليها شقر زرق العيون قد قدموا من أمريكا ووقفوا بباب الكعبة ! وأقسَم للمصلين على ذلك وصوته يتهدج ويبكي ، ويبكي معه المصلون على ضياع الكعبة !

ألا شاهت الوجوه !!

ما سمعنا بهذا إن هو إلا اختلاق .

وإن اختلق الساسة فهل هذا يجوز للدعاة أصحاب الدين ، ومن يعلمون الناس الفضائل ، ويُبيِّنون لهم أن الكذب يهدي إلى الفجور ، وأن الفجور يهدي إلى النار ؟

وهناك بعض الكتاب والمفكرين يصفون الإخوان المسلمين بالسذاجة والغفلة وعدم فهم الأبعاد المختلفة للمشكلات السياسية ، ويتهمونهم بأنهم متأخرون دائما عن الحدث فهم يستوعبونه بعد أوانه ، وتكثر رؤاهم حوله بعد انقضائه ، وذهاب آثاره . ويقولون عندها لو كنا فعلنا كذا لكان أحسن ، ولو كنا قلنا كذا لكان يستحسن . ولعل هذا الكلام فيه الكثير من الحق ، أو أن أغلبه صواب ، فحسن الظن يستدعي التأمين على تهمة الغفلة والسذاجة وعدم الوعي بالسياسة .

أما الإخوان المسلمون في الأردن فالأمر معهم يختلف ، فهم شركاء مع الملك والنظام وصدام حسين وآخرين من دونهم لا نعلمهم الله يعلمهم .

فهناك فرق حين يخرج شيخ من الإخوان المسلمين في مصر ، والشيخ هنا هو الرجل الطاعن في السن ، ثم يختلط الأمر عليه ويتكلم عن غزو العراق والتدخل الأجنبي ، وينسى غزو العراق للكويت وتبقى في مخيلته ما ينجم من مضاعفات تنتج عن وصول الجيوش المختلفة لطرد صدام من الكويت وإزالة تهديد الكعبة ، فمثل هذا الشيخ نجد ذكريات ضرب الأسطول البريطاني للإسكندرية في 11 يوليو 1882 لا تزال في مخيلته . وبعثة جوشن وجوبير أيام الخديو إسماعيل لفحص مالية البلاد كأنها حدثت بالأمس في نظره . فهو معذور لأنه لم يستطع أن يجتاز الزمن ويبصر

مشكلات القرن الواحد والعشرين ، والتي هلّت علينا بتصور مختلف تمام الاختلاف . وكما قلت فإنهم يدركون مشكلات القرن الواحد والعشرين في بداية القرن الثاني والعشرين ، وهذه ظاهرة تستحق التأمل والدرس .

وهذا الشيخ يقود شبابا لا علم لهم بشيء وغاية ما يعرفونه من الفقه هو أحكام الطهارة وأنواع الماء وفرائض الوضوء . وهم عندما يذكرون أنواع الماء لا يذكرون ماء الصنبور الذي لا يوجد غيره تقريبا في هذه الأيام ، وكل أنواع المياه التي يتكلمون عنها أصبحت مياها تاريخية لا وجود لها إلا في الكتب بالنسبة لحداثة العالم الذي نعيشه .

وإن قالوا في السياسة فلا يعرفون إلا ما قال الماوردي في الأحكام السلطانية منذ قرون عن وزارة التفويض وغيرها .

ومن ثم فإن الشباب يصدق ما يقوله الشيخ عن التدخل الأجنبي وخطره وأبعاده وآثاره السيئة على الإسلام والأمة . ولا يعملون فكرهم أو يتأملون ليبصروا الاختلاف الكبير الذي غيّر شكل الحياة والعلاقات بين الدول ، أو أن يفهموا أن التدخل الأجنبي يمكن التخلص منه بتحسين الحال وتغيير ما بأنفسنا كما قال القرآن الكريم .

ولكن الإخوان المسلمين في الأردن !!

المفروض أنهم أهل ثقة لدى قومهم من الجماهير التي لم تمكنها ظروفها من فهم المشكلات والحكم عليها ، فهم ينتظرون رأيا لجماعة مثل جماعة الإخوان ويثقون في رؤيتهم وحكمهم ، ومن ثمّ يتبعونهم .

وواجب الأمانة في قيادة الجماهير والناس يستدعي الأمانة في العرض عليهم ، والصدق في تبيان الأبعاد المختلفة لمشكلة ما مثل ما حدث من حدوث تلك المشكلة الكبيرة ، فصدام حسين يغزو الكويت ويفكر في غزو

الكعبة ، ويصف قواته في ترتيب للهجوم . والعالم كله يستنكر ذلك ويرسل إلى هناك بالجيوش لإزالة هذا التعدي .

هذه هي المسألة ببساطة تامة .

أما أن صدام حسين يفكر في تحرير فلسطين ، ولذلك فقد قام بغزو الكويت فذلك كلام « حشاشين » لا يليق بأحد أن ينطق به من الإخوان المسلمين .

وإن كان الإخوان في الأردن يريدون تحرير فلسطين مع الملك حسين وصدام حسين ، فلماذا لم تفتح الحدود والأجواء للجيوش العراقية والطيران والصواريخ فتصلي إسرائيل نارا ذات لهب . وعندها سنسير خلفهم مؤمنين ، مصدقين ، مهللين ، مجاهدين .

ولو فعل وفعلوا لتغير ميزان التاريخ ، ولاختلفت النظرة إلينا ، ولاجتمع الناس على قلب رجل واحد من المحيط إلى المحيط .

ولكنه لم يرد ذلك ، وهو أجبن من أن يعتدي على إسرائيل اللهم تلك الصواريخ التي أطلقها عندما أدركه الغرق ، وأفادتهم و لم تضرهم .

ويقول الإخوان في الأردن كلاما عن التيجان والعروش التي ينبغي أن تزول و لم يفرقوا بين عرش وآخر قد أقامت دعائمه الخيانة والعمالة وعداوة الإسلام . وإن كانوا صادقين ألم يكن أولى بهم التصدي لعرش الأردن الذي يعرفون عنه أكثر مما يعرف أي إنسان آخر ؟

ويقولون توزيع الثروة وأن تعطي الدول الغنية الدول الفقيرة ما يقيم أودها ، وأن لهم حق الركاز وزكاته ، وأن صدام هو حمدان قرمط الذي جاء في العصر الحديث ليقيم الميزان بالقسط . وأنه اللص الشريف أرسين لوبين الذي يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء .

سبحان الله !! وهل هذا كلام يقوله ساسة أو أصحاب دين ؟

وإن وضعنا هذا الكلام على ميزان الشرع فهل يستقيم ؟

ولن ندخل في تفصيلات حول ما إذا كانت العراق توزع ثروتها على الدول الفقيرة أو أن الدول الأخرى الغنية تقوم بواجبها ولا تقصر فيه .

ولكن نتكلم عن المبادئ والأسس .

هل يجوز أن يسطو جيش على دولة فيأخذ ثروتها ليعطيها للفقراء ؟

وهل يكون ذلك مبررا معقولا للغزو وما نتج عنه من نهب واغتصاب ؟

وهل كل تلك القضايا نشأت فجأة وصار لزاما على المؤمنين أن يقفوا خلف المستبد لتحقيق هذا ؟ وهل هذا هو الطريق حقا ؟

والحقيقة أن هذا كلام اللصوص والأفاقين ولا ينبغي أن يصدر عن أحد من الإخوان المسلمين .

هل أراد الإخوان في الأردن أن يتبعوا سيدهم وصاحب نظامهم في كل ما يعن له ، حتى في مثل هذه الجرائم الكبرى ، التي قد لا يرون مثلها في حياتهم القادمة ؟

أما كان أجدر بهم وأقرب للتقوى أن يقولوا لا ؟

وفتح مكاتب التطوع لمناصرة صدام حسين . وتسيير المظاهرات الضخمة حيث يقودها أصحاب اللحى والعمائم هل كان هذا يجوز ؟

ثم الكلام عن الكعبة والدبابات الأمريكية وجنود مشاة الأسطول الأمريكي التي تحيط بها ، هل هذا جائز ؟ إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة كما قال زياد بن أبيه !!

وتغيرت قضايا العرب عام 1990 بعد الغزو العراقي للكويت ، كما تغيرت بالضبط بعد هزيمة 1967 !!

صارت المشكلة الجديدة هي أحقية المستبدين أصحاب الجيوش القوية في احتلال الدول العربية المجاورة ، وينبغي الوقوف معهم والدفاع عنهم وتأييدهم في هذا الباطل المرفوع على أسنة الرماح .

وابتعد العرب عن أهدافهم كأمة ، وظهرت أحقاد وإحن قد ترسبت عبر قرون في النفسية العربية التي انهزمت روحيا أمام الغرب في ماضي الصراع الطويل . وكشفت الأزمة أن خاصة هذه الأمة من دعاة الإسلام لا يختلفون عن عوامهم ، وقد لا يكون هذا مطعنا أو مأخذا في رأي البعض إن تناولناه كعرض لمرض ينبغي تشخيصه بدقة ، وتناوله بفهم واهتمام . ونصوص الدين والمنطق السديد يرفعان الحرج عن المريض إن كان تصرفه وسلوكه نتيجة لمرضه . وهناك مدرسة تنفي بشدة أن يفسر سلوك المجرمين بالمرض النفسي ، ومن ثم يرفع عنه التكليف والعقاب .

ونحن في حيرة من أمرنا ومن أمر دعاة الإصلاح والإسلام ، فهل يكون من المناسب أن نضعهم في صفوف المرضى ، والذين لا يعرفون ماذا يريدون أو ما ينبغي عليهم أن يفعلوا ؟ أو أن نضعهم في صفوف المجرمين الذين يفهمون ويأتون أعمالهم عن قصد وعمد ؟

النقد الذاتي للحركة الإسلامية :

والظن أن الحركة الإسلامية قد اعتورتها أصناف ثلاثة كان لها أعظم التأثير في السلوك والتصور والحركة وقيادة الجماهير والشباب بوجه خاص . وهي التي صبغت شكل التيار العام الإسلامي في العصر الحديث وهو بحاجة إلى تصحيح . وقبل أن نمضي في تبيان الأصناف الثلاثة ينبغي التأكيد على وجود العنصر الواعي المخلص الفاهم للقضية المتجرد لله ولأعباء الدعوة من خلال تصور صحيح على أساس من فقه سليم للإسلام ، ولكنه ضعيف وعدده قليل ، وليس له تأثير وتم استبعاد معظم من يمثلون هذا

النوع على قلة عددهم ، فالتيار الغالب تيار غوغائي التفكير والسلوك ، يبحث عمن يساعده على الرئاسة والتحكم ، وينفر ممن ينتزعها منه ، ولو كان ذلك عن جدارة ودون قصد .

وقد تم استبعاد عناصر عديدة كان يمكن أن يكون لها دور في قيادة الحركة الإسلامية بشكل يختلف عما هو عليه الآن .

وهناك أفراد من هذا النوع ؛ منهم على سبيل المثال الأستاذ محمد قطب والأستاذ محمد الغزالي والأستاذ فريد عبد الخالق ، وبعض الآخرين .

وعودة إلى الأصناف الثلاثة التي غلبت على قيادة التيار الإسلامي .

فنجد الصنف الأول ولعله أفضل الأنواع الموجودة وأطيبها ، وهم أهل السذاجة والغفلة والنوايا الحسنة ، والذين لا علم لهم بما يدور في العالم من أحداث ومتغيرات . وهم ضعفاء ليسوا أهلا لفتوى أو قرار في مسائل الدين والسياسة مما يتعلق بالمشكلات التي يعيشها العالم الإسلامي .

وهؤلاء يخفون جهلهم وغفلتهم وسذاجتهم في الاستجابة التلقائية للآخرين من أهل الكلام والصياح المرتفع الذين يقطبون وجوهم ويتجهمون وهم يتحدثون ، ويعتبرون هؤلاء أدرى وأعلم بالحديث منهم في الأمور الكبيرة ولهذا فهم يسلمون قيادهم لهم .

وإن تحدثت مع واحد من هذا الصنف من أصحاب الغفلة والسذاجة فهو يحوقل ويبسمل ويحيلك إلى مقتطفات من كلام الإمام الشهيد حسن البنا ، وقد لا يكون لما استشهد به صلة بالموضوع الذي تسأله فيه ، ولكنه حريص أن يأتي بشيء مما كتبه الإمام في رسائله ، التي يقدسونها ويعتبرونها وكأنها ضرب من التنزيل ، رغم أنه رحمه الله لم يكن يرى هذا أبدا .

وانحصرت قضايا الإسلام الكلية في تصورهم من خلال ما يمكنهم

التقاطه من أقوال الإمام وخطبه ، ولا يزيدون عن ذلك ، ولا يخرجون عنه قيد أنملة ، ويرفضون ما عداه في تعصب شديد . وهو ما لا يؤيده سند من دين أو قرآن .

ورغم أنه قد مضى على ما قاله الإمام الشهيد أكثر من نصف قرن ، وأن أشياء كثيرة قد تغيرت تغيرا بينا في مقدماتها وكل نتائجها ، وتراكمت أمور أحدثت اختلافا في أنماط المشاكل ونوعية العلاقات . وأخذ العالم صورة سياسية جديدة قد صارت صلتها بعيدة بما كان عليه الحال منذ قرن .

والشكل السياسي له دخل في شكل المشكلات في العالم ، وهو يفرض صورا مختلفة ، كل منها يحتاج إلى طريقة محددة في التناول والعلاج .

والصنف الثاني المسيطر على قيادة الحركة الإسلامية بأسمائها المختلفة في العالم صنف قد عمل في السياسة منذ زمن ، وأخذ مكانا وكان له دور بين الشيوعيين والماركسيين ، وكانت لهم سابقة نضال في هذا المجال ، أيام كانت مسألة الشيوعية والماركسية تملأ العالم بضجيج مرتفع ، عندما عملت المخابرات الأمريكية على تنمية هذا الاتجاه وتشجيعه بين جماهير العالم الثالث للعمل على تكسيحه وتعجيزه ، وجعله يدور في حلقة مفرغة من الحيرة والتجارب الفاشلة ، وحشد الجماهير نحو ما لا يمكن تحقيقه ، ومن ثم يفرغون أية طاقة من محتواها ، وكان هذا من الأساليب التي اتبعت بعد الحرب العالمية الثانية .

وسار التاريخ على النحو الذي ساره في بلاد العالم الثالث ، وحدثت موجات التحرر الزائفة من الاستعمار الذي انتهى ولم يعد له وجود ، حتى يتمكن من البلاد مجموعة من التلاميذ والمدربين . وسمعنا في تلك الفترة العجيبة عن الشهيد لومومبا والمجاهد جيزنجا وسائر ما كان يدور في تلك

الأيام من خزعبلات وأوهام أضاعت عقودا من عمر الشعوب المنكودة المغلوبة على أمرها . عندما غاب العقل وتسنم الوهم مكانا عاليا من أهداف الناس . وتغير شكل الاتجاه والمنحى ، وبدأت موجة الاشتراكية والشيوعية في الانحسار والانكشاف . وككلاب الصيد المدربة أدرك مجموعة من هؤلاء أن هذه « الموضة » توشك أن تخرج من التاريخ بعد أن بدأت في التراجع بالفعل . وبحاسة الشم القوية عرفوا أن الجماهير مسلمة الهوية تبحث عن قيادة رشيدة ، حيث العواطف الدينية القوية ، وغلبة الاتجاه الديني وتحركه الصاعد في طبقات المجتمع وفي مختلف الأقطار .

وغيَّر مجموعة من الأذكياء جلدهم وتوجههم ، وتسللوا لواذا حتى صاروا في واجهة الحركة الإسلامية في أماكن مختلفة .

وبدأ الذين كانوا يكتبون عن الصراع الطبقي ، والاقتصاد كمحرك رئيسي لنشاط الإنسان وعقيدته ، وجدناهم يتكلمون رويدا عن التجربة الإسلامية وآثارها التاريخية ، وإمكانية تحقيقها من جديد ، ثم التحدث عنها كحتمية كما كانت الاشتراكية حتمية من قبل .

واستطاعوا بقدرتهم على الجدل ، والخبرة في استعمال الألفاظ واللعب بها ، واختراعها أحيانا الغلبة والسيطرة على القيادة التي لا تحسن الكلام المنمق الفخيم .

ووجدنا مثل تلك الكاتبة السودانية التي لايعرفها أحد ومن كانت تدعو إلى الإباحية ، وحرية المرأة في الفجور والفسق ، رأيناها تلف رأسها بشيء أسود ، وتغمغم وتردد بعض المصطلحات الإسلامية وهي سنية مرة وشيعية مرة أخرى ولكنها دائما بعثية حتى النخاع ، وتدخل المجامع بردائها الذي يوحي بنقائها وتقواها ، وهي تعلن ساعة ظهورها :

- أنا أسلم ولا أصافح ... ألا شاهت الوجوه !!

ويتم هذا بين حيرة الجالسين ودهشتهم ، ونحن نجد هذه المرأة في بلاد كثيرة أخرى . ثم نبحث عن أخلاقها وثقافتها فنجد فسادا قد ارتدى ثوبا إسلاميا ، وخليطا من كلام ماركس وميشيل عفلق وسائر الشياطين .

ولكنها « رسالية » . هكذا تقول !! وهي تدعى إلى المؤتمرات والمجامع حيث يرتفع صوتها ، والناس قد تعودت أن تنبهر من الصوت المرتفع ، وهي تريد أن تنقل إلى الحركة الإسلامية ممارسات فاسقة مضلة كانوا يفعلونها أيام الشيوعية والبعث ، وهناك نموذج لها في كل قطر تقريبا .

فالمرأة التي سمحت لنفسها بالاعتصام مع طلبة كلهم من المراهقين في كلية من الكليات أيام الاشتراكية ، حيث تبيت معهم في مكان واحد ، ومعها بعض من مثيلاتها ، هي نفسها التي تريد أن تفعل نفس الشيء مع الطلبة المسلمين ، وهي تدعوهم إلى ذلك ! لن يكون هذا أبدا إن شاء الله .

هل هذا جهل بكليات الدين ؟ أم سوء قصد ، وتعمد لإفساد الشباب ؟ اللهم إنه هذا وذاك .

محاولة ماركسية شيوعية لقيادة الحركة الإسلامية لقيت شيئا من النجاح قد ترك آثاره وبصماته على هذه الحركة .

وقد قال البعض عندما نوقشت هذه المشكلة :

- أليس للشيوعي أو البعثي من توبة ؟

وانبرى أحد العقلاء يرد :

- بلى ولكن لا يكونون منظرين وقادة ، بل عليهم أن يكونوا في صف الجند حتى يتعلموا الإسلام ويفهموه ، ولا ينقلون إلى الشباب ما كانوا فيه من فساد قديم .

والصنف الثالث تمثله مجموعة من الانتهازيين أصحاب الصوت المرتفع أيضا ، الذين يستطيعون توظيف المبادئ والشعارات لتحقيق المصالح الذاتية والمادية من خلال قيادة الجماهير عظيمة العدد .

ولنا أن ننظر فنجد أن القيادة قد تكونت من غافل وشيوعي قديم وانتهازي ، وغاب المخلصون وأهل الرأي السديد ، فماذا يكون حال مثل هذا ؟ وإلى أين يفضي ؟

حال سيء ويفضي إلى شر مستطير .

عودة إلى شرقي الأردن :

ونعود إلى الأردن وتكوينه الفريد في عالم المجتمعات والشعوب . حيث تجمعت عشائر من العرب الرُّحل في نقاط ، بصدد تكوين حياة مدنية جديدة تحت ظل ظروف غريبة من احتلال إنجليزي يمهد لدولة يهودية في فلسطين يكون مجالها سوريا الكبرى على الأقل .

ونجح الإنجليز في زرع الملك عبد الله أميرا فملكا على شرقي الأردن ، ثم تعهده اليهود بالرعاية والاستخدام حتى صارت حياته رهنا بإقامة هذه الدولة . ونجح الملك عبد الله وهو أمير في مساعدة اليهود والإنجليز في خلق طبقة حاكمة رائدة في البلاد تقود الشعب إلى الغايات التي يريدها مستعمروه وأعداؤه ، وصارت قضايا اليهود وما يبغون هوالمسلّم به من الشعب العربي في شرقي الأردن ، وما لا ينبغي معارضته أو الوقوف بشأنه . وعمل عدد كبير مع المخابرات العامة البريطانية والمخابرات العسكرية ، ثم صب ذلك النهر الهائل في الموساد الإسرائيلي .

ولم يجد أعيان الأردن ورجال الملك العوامل القوية التي تضعهم في المكان الصحيح ، أو أن يساعدهم قوم أصحاب مبدإ قويم في العمل على تحقيق آمال المسلمين ، ومحاولة خلق دولة الإسلام في إقليمهم بعد أن ضاعت مع الخلافة العثمانية الغاربة . وتطورت الأمور بهم وبالعرش الأردني حتى صار على النحو السيئ الذي وجدناه عليه الآن .

الملك عبد الله والوكالة اليهودية
« ماقبل حرب فلسطين »



الفصل السادس



الملك عبد الله والوكالة اليهودية
« ما قبل حرب فلسطين »

الأمير عبد الله ينشىء حزبا لدعمه :

أعلن حزب الإخاء الوطني الأردني برئاسة رفيقان المجالي رسميا في 1937/9/28 وكان الغرض من إنشائه بإيعاز من الأمير عبد الله هو دعمه سياسيا واجتماعيا في تحقيق أهدافه في السيطرة على شرقي الأردن وفلسطين ومحاولة تحقيق حلم سوريا الكبرى ، وإن استطاع فالهلال الخصيب ، ومن ثم قد ينجح فيما فشل فيه أبوه من الخلافة العربية على أنقاض العثمانيين وفي حماية الحراب البريطانية حيث تمول هذه الخلافة الأموال اليهودية .

وحقيقة هذا الحزب هو تغطية كافة الاتصالات بين الأمير ورجاله وبين أعضاء الوكالة اليهودية إذا نظرنا إلى القصة في صورة واقعية ، وإلى الأهداف القريبة التي هي محل جدل وشغب ونقاش ، وتتصدى لها القوى الوطنية والإسلامية في فلسطين بوجه خاص وفي شرقي الأردن بشكل عام .

ولعل الهدف الرئيسي من إنشاء هذا الحزب هو تصفية الثورة الفلسطينية بصورة مباشرة ، واحتواء قيادتها الوطنية ، ومحاولة حل القضية من خلال زعامته لهذه المنطقة من العالم العربي ، على أن يسمح لليهود بما منعهم إياه السلطان عبد الحميد في آخر أيامه ، عندما طلبوا منه إقامة وطن قومي لهم في أرض فلسطين .

ونسي الأمير عبد الله أن قضايا آخر القرن التاسع عشر قد اختلفت في شكلها ومقدماتها عن قضايا ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وأن هذه الحرب هي من علامات تغير الزمن والسياسة .

وكان هذا الحزب قد تمت بشأنه مشاورات ومفاوضات وترتيبات مع

الوكالة اليهودية ، وكان لها دور كبير في إنشائه ورسم برنامجه ، والموافقة على الأعضاء الرئيسيين فيه .

الأمير عبد الله ينسق بين اليهود والمشايخ :

ولاشك أنه كما أوضحنا في مكان آخر أن الخلاف الذي كان بين مثقال باشا الفايز وبين اليهود كان سببا رئيسيا في ظهور رفيقان باشا المجالي ، ودوره في التنسيق بين الأمير عبد الله وبين الوكالة اليهودية ، وهو الذي استطاع أن يجعل العلاقة أكثر فاعلية بينهما ، وأن يحولها من تعاون عفوي إلى تحقيق مصالح مشتركة بشكل مدروس وجيد ، يرضي الأمير ماليا وشعبيا ، ويحقق الأهداف الصهيونية في الإسراع بخطوات إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وقد وصل الأمر بالأمير عبد الله إلى التفكير في نفي مثقال باشا إلى إيلات ولكن اليهود رفضوا ذلك . وفي الوقت نفسه حاول الأمير ورجاله الضغط على الوكالة لإحداث تأثير في نفسية مثقال باشا الفايز من خلال الضغط عليه ماليا ، من أجل أن يكون طوعا لهم فيما يأتي من تصرفات .

ولم يكن الأمير ورجاله على وعي كامل بأبعاد السياسة الصهيونية في تعاملها معهم ومع سائر رجال العشائر في الأردن .

ويبدو أن مثقال باشا قد مرت علاقته باليهود بفترة من الفتور والانقطاع وقد حاول فيها أن يعيدها مرة أخرى معهم من خلال بعض الوسطاء العرب ، ويبدو أيضا أنه قد حاول أن يقيم جسرا مع الحركة الوطنية والإسلاميين الفلسطينيين ، وذلك من خلال التعاملات الاقتصادية والدعم المالي الذي انتبه إليه الحاج أمين الحسيني ومن معه ، مع الأخذ في الاعتبار طاقتهم المالية المحدودة إذا قيست بجانب الوكالة اليهودية وقدرتها على تدبير الأموال بصورة أوسع أو بشكل أكبر .

ويبدو أن مثقال باشا قد استنفد مع العرب غاية ما يمكنهم تقديمه له من دعم ثم انقلب على عقبيه مرة أخرى يخطب ود اليهود ويطلب رفدهم .

ويتبين ذلك من وثيقة في الأرشيف المركزي الصهيوني .

مثقال باشا حاول الصلح مع اليهود :

فقد بذل مثقال باشا محاولات من خلال بعض اليهود بعد أن فشلت المحاولات مع الوسطاء العرب ، أو أنهم لم يستطيعوا تحقيق نتيجة مرجوة في هذا المجال . واتصل مثقال باشا بالمدعو ا . كمحي الذي كتب إليه أهارون كوهين بهذا الخصوص .

ورد كمحي على مثقال باشا بتاريخ 1938/6/21 برسالة كوهين : « طلب إلي السيد موسى شرتوك الرد على كتابك إلينا يوم 17 الجاري . انقطعت العلاقات بيننا وبين صديقك مثقال قبل حوالي سنتين . لقد توجه عندها إلى المفتي وإلى البنك العربي في القدس . وهؤلاء ساعدوه – بعد خيانته لنا – على شراء الكومباين الذي تمتلكه اليوم . وقبل فترة غير طويلة حاول تجديد ارتباطه بنا عن طريق وسطاء عرب . هؤلاء أجابوه حسب تعليماتنا ، أن عليه التوجه إلينا بشكل مباشر ، والظاهر أنه يجرب نصيبه الآن عن طريقك . لذلك فعليك أيضا أن ترشده إلى الطريق السليم . وأقترح أن تقول له إن رسالتك حتى لم تصل إلى الخواجة موسى . بل إن أحد سكرتيريه كتب إليك يقول إن مثقال يعرف عنواننا جيدا وأنه إذا أراد منا معروفا فإننا نحبذ تقديمه له إذا اتصل بنا مباشرة . بإمكانه ، إذا أراد ، الكتابة بشكل مباشر إلى الخواجة موسى ، أو إذا شاء فإلى سكرتير الخواجة هارون . وإذا ادعى أنه نسي العنوان فباستطاعتك أن تقول له إن رقم صندوق بريدنا هو 92 »[1] .

---

(1) الأرشيف الصهيوني المركزي ملف س 3491/25 بالعبرية . د . سليمان بشير ، الزهراء للإعلام العربي 1991 .

وبذلت محاولات عديدة من جانب مثقال باشا انتهت في السنتين اللتين لحقتا هذه الرسالة إلى تحسن العلاقة بينه وبين الأمير عبد الله واليهود . حتى صار هو أحد الوسطاء الرئيسيين بين الأمير وبين اليهود ، وصار أحد الدعاة الكبار من أجل تحقيق الوحدة في إقليم سوريا الكبرى تحت زعامة الأمير عبد الله ، ومن أجل إزالة كافة العقبات أمام الوكالة اليهودية بشأن إعلان وطن قومي لليهود في فلسطين .

مثقال باشا يدعو في البلاد لقضية اليهود :

ويقول إلياهو ساسون في تقرير له بعنوان ، « محادثتان مع مثقال الفايز » ، في يوم 1941/8/13 :

« خلال الأسابيع الماضية كانت لي محادثتان مع مثقال والأخيرة منهما تمت اليوم في فندق ترسافسكي بالقدس .

في المحادثة الأولى تحدث مثقال باشا عن جولته الأخيرة في سوريا ، وعن مدى النجاح الذي حققته دعايته من أجل توحيد فلسطين وسوريا وشرقي الأردن تحت سيطرة الأمير عبد الله . كما تحدث عن ذلك إلى المعتمد البريطاني بشرقي الأردن .

ومن خلال نشاطه هذا توصل مثقال إلى نتيجة أن الأمير غير محبوب في سوريا . غير أن حكم الديجوليين الحالي في سوريا مؤقت . وستقع سوريا في المستقبل حتما ضمن منطقة النفوذ البريطاني . حاليا يظهر البريطانيون الحياء تجاه دعاية الأمير وتحركاته . هم لا يعارضونها ولا يدعمونها . وذلك على الرغم من كونهم يودون رؤية الأمير الذي خدمهم طيلة الوقت بإخلاص وتفان « كما قال مثقال » يحكم سوريا كما تحدث مثقال عن اعتقاده بأن وحدة كهذه ستكون في صالح « الوطن القومي اليهودي في فلسطين » .

وخلال محادثاته مع الأمير شعر بأن الأخير متفهم لأهدافنا ، وعلى استعداد لدعمها . قلت له إننا نثق في الأمير جيدا غير أننا لا نستطيع إعطاءه رأينا في مشروعه حتى نعلم تماما ماذا ستكون حقوقنا ضمن تلك الوحدة . وحتى الآن لم نستلم منه أية إيضاحات مفصلة حول مشروعه .

واليوم أخبرني مثقال في لقائي الثاني به بأنه تحدث مع الأمير ، وأن هذا الأخير أخبره عن استعداده لإجراء مفاوضات رسمية معنا بخصوص مشروعه من أجل الوحدة . سيعود مثقال اليوم إلى شرقي الأردن ، ومن المحتمل أن يأتي في الأسبوع القادم بدعوة يوجهها الأمير إلى السيد شرتوك لزيارة عمان »[1] .

تقرأ الوثيقة فتجد أنك حيال عميل مثالي يقدم خدماته لليهود بوضوح ويبين لهم مدى أهمية هذه الخدمات في تحقيق أهدافهم وأغراضهم في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وهو يستمد سلطانه من رئاسته لعشيرة كبيرة . ويقدم هذه الخدمات نظير ثمن مالي مدفوع ، في وضوح وغير مواربة . لا يوجد لديه أي اعتبار لمعاني الوطنية أو الدين . يتوسط بين حاكم البلاد الأمير عبد الله ابن الشريف حسين وبين اليهود . بل هو يشير عليهم ويبين محاسن فكرة ما ومساوئها . ويعمل جاهدا مع رجال الوكالة اليهودية بإخلاص وتفان . وينقطع عنهم ثم يعود إليهم ، ورائده في ذلك جمع المال وخيانة قومه .

والأمير عبد الله يعمل على تحسين العلاقة التي ساءت بين مثقال وبين اليهود . فمثقال رسول جيد ومفاوض متمرس ، ويستطيع الحصول على ما

---

(1) ا .ص .م ملف س 3504/25 بالعبرية .

يمكنه من فائدة للأمير ولنفسه ، وهو يخلص النصيحة لليهود ، ويتجول ف أنحاء سوريا الكبرى مروجا لأفكارهم وعارضا مشاريعهم على الناس . وهو أكثر إخلاصا لليهود منه للأمير عبد الله ، كما ورد في الوثيقة ، فهو لا يتورع أن يخبر اليهود في صدق وأمانة أن أميره عبد الله غير محبوب في سوريا . فهو يقدم لهم المعلومة ، وهم يفعلون وفقا لها ، وما توفر لديهم من معلومات أخرى . والأمير يعرض على اليهود الدخول في مباحثات ومفاوضات رسمية حكومية ، من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

هذا هو الأمير عبد الله ورجاله من شيوخ العشائر !

مثقال باشا يطلب سيارة هدية :

كان غاية جهدهم تكوين مجد دنيوي من خلال المال والحكم ووجدوا وسيلتهم الوحيدة في ذلك الوقت هي خدمة اليهود . وهم لا يتورعون في خدمتهم أن يطلبوا من اليهود أقل القليل ، وهم أيضا لا يخجلون في طلباتهم فمثقال يطلب سيارة يقدمها له اليهود ، حيث يمكنه أن يتنقل بها أثناء تقديم الخدمة لهم . ويظهر هذا من الوثيقة الممثلة في الرسالة التي أرسلها ا .س إلى الياهو ساسون يوم 1941/4/14 . والتي يقول فيها :

« ذهبت اليوم لمقابلة مثقال باشا ، وأخبرته بأنني جئت لرؤيته نيابة عنك ، وذلك لانشغالك بأمور الدائرة « السياسية » قبيل سفر السيد شرتوك إلى مصر . وقد امتنع عن الحديث في البداية مدعيا بأنك على علم مسبق بكل شيء . بعدها قال إنه لم يكن ليأتي إلينا لولا أنه قد وضع كل أمله فينا . وطلبت إليه أن يوضح كلامه . فبدأ بالحديث عن السيارة : لقد وعدنا بشراء سيارة جديدة له ، أو مساعدته بمبلغ معين من أجل شرائها . لذلك فقد باع سيارته القديمة وخرج صفر اليدين من الناحيتين .

قلت له بأن من المؤسف أن السيد شرتوك موجود في مصر ، وأن ليس هنالك من يستطيع البت في هذا الأمر سواه . فأجاب بأنه لو كانت لديك رغبة أكيدة فإنك تستطيع ترتيب الأمر من أجله . قلت له إنه سيكون من الصعب عليك ترتيب أمر من هذا النوع ، يتعلق بصرف عدة مئات من الليرات ، وأنك لا تستطيع البت في الأمر عن رأيك فقط ، وأني سوف أنقل لك كلامه على أي حال . فطلب إلي أن أخبرك بأنه على استعداد لتقديم أية مساعدة تطلبها منه وأن « الأيام بيننا » ، وأنه لو لم يعتبرنا أصدقاء له لما توجه إلينا أصلا في هذا الموضوع »[1] .

يا لضيعة العرب !!

أكابر مجرميها !

الأمير عبد الله ابن الشريف حسين أمير مكة وملك العرب كما سمى نفسه هما من أكبر الخائنين الذين ظهروا في العصر الحديث في بلاد العرب ، فقد قدموا هم وأسرتهم لأعداء العرب أكثر مما كانوا يحلمون به ، وخدموهم خدمة العبيد لأسيادهم ، وكانت آفاقهم محدودة ، ولا يعرفون الغايات العظيمة ، وقد نشئوا بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام ، وادعوا صدقا أو كذبا نسبتهم إلى رسول الله ﷺ الذي قال مرة لبعض أقاربه : [لا تأتوني بأنسابكم بينما يأتيني الناس بأعمالهم] .

كانوا يبحثون عن السلطة ولديهم شبق شديد إلى المال نتيجة للفقر الشديد الذي عاشوا فيه وعاينوه في أيامهم الأولى ، بعد أن تنقلوا في البلاد ورأوا الأبهة والسلطان في تركيا ومصر ، وكان غاية همهم أن يحصلوا شيئا مما رأوه ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، وأشار لهم أن سبيل هذا هو الخيانة

---

(1) ا .ص .م ملف س 3504/25 بالعبرية .

والعمالة ، وخدمة اليهود والإنجليز .

خرج الأمير عبد الله من واد غير ذي زرع إلى صحراء قاحلة حيث الفقر المدقع ، والناس لا يأكلون غير « المجدرة » ولا يرتدون من الملابس إلا الأسمال البالية ، وأنهم يفتحون أعينهم على عالم مليء بالمن والسلوى ، ويقدمون على بلاد قد يملؤها اليهود سمنا وعسلا ، وعليهم أن يجدوا لهم مكانا فيها ، ولابد من دور يؤدونه ، وليس أمامهم خيار غير العمالة ، وفي وضوح شديد ، وأن يكونوا خدما مطيعين للوكالة اليهودية .

وعندما نبصر اليوم الملك حسين بن طلال ملك الأردن بملايينه أو ملياراته التي جمعها من هنا وهناك ، فعلينا أن نرجع البصر كرتين لنرى كيف جاء جده إلى هذه البلاد .

المسرح قبل أن يظهر البطل :

يقول العلامة الأوروبي المسلم محمد أسد في كتابه « الطريق إلى مكة » في ص 145-146 وصفا للأردن ولأميرها عبد الله :

« تعرفت في القدس إلى الأمير عبد الله ، أمير شرقي الأردن ، الذي دعاني إلى أن أزور بلاده . وهناك رأيت لأول مرة ، بلادا بدوية حقيقية . كانت عمان – العاصمة – المبنية على أطلال فيلادلفيا ، مستعمرة بتوليمايوس فيلادلفوس اليونانية – في ذلك الوقت مدينة مغمورة لا يتجاوز عدد سكانها ستة آلاف نسمة .

كانت شوراعها مليئة بالبدو ، بدو السهول المنبسطة الحقيقيين الذين نادرا ما كان يراهم المرء في فلسطين على حقيقتهم : محاربين أحرارا ومربي إبل . وكانت الجياد المدهشة ترمح في الشوارع ، كما كان كل رجل مسلحا يحمل خنجرا في حزامه وبندقية على ظهره . وكانت عربات الثيران

الجركسية ؛ ذلك أن المدينة كان يسكنها أصلا الجراكسة الذين هاجروا إليها بعد أن غزا الروس وطنهم في القرن التاسع عشر » تتهادى متثاقلة عبر السوق التي كان يسودها ، رغم صغرها لغط وهرج جديران بمدينة أكبر جدا من عمان .

وإذا لم يكن في المدينة أبنية مناسبة ، فقد كان الأمير عبد الله يعيش في تلك الأيام في مخيم على رابية تشرف على عمان ، وكانت خيمته أكبر نوعا من سائر الخيام ، ومؤلفة من عدة غرف تفصل بينها قواطع من القماش وتتميز بالبساطة المتناهية »[1] .

هذه هي عمان التي قدم إليها الأمير عبد الله يطلب ملكا ومالا لأول مرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وكان خير الدين الزركلي قد زارها قبل قدوم الأمير عبد الله إليها ، وكان ذلك عام 1921 في شهر فبراير فيصفها :

« لم تكن عمان في ذلك الحين أكثر من قرية ، قليلة السكان ، ضئيلة المباني ، مظلمة السبل لا يصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ما شخص من آثارها . ولا يدل على إمكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بني صخر وبني حسن وعباد والعدوان ، حيث يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ، ويبتاعون منها ما يكتسون ، فللتجارة فيها شبه سوق ، ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا إليها حوالي 1290 للهجرة ، كما انفردوا بكثير مما حولها من قرى ومزارع ، هم أصحابها اليوم غير منازعين . ولكن ابتغاء الربح وطلب الكسب هما اللذان حملا إلى عمان تجارا من دمشق ونابلس افتتحوا فيها حوانيت صغيرة

---

(1) الطريق إلى مكة ، محمد أسد ، ص 145-146 بدون تاريخ .

فقصدها أهل الخيام والأكواخ من البداة الضاربة حولها والمقيمين في ما جاورها من قرى ، وأصبحت ولها شيء من الشأن »[1] بلاد فقيرة جائعة كما وصفها الذين ذهبوا إليها وأقاموا فيها قبل أن تتغير أحوالها . يعيش أهلها حياة دون خط الفقر . لا أمل لهم في تحسن أو تبدل ، يعيشون في أطراف الصحراء حيث لا تعتمد القبائل في حياتها على غير الغزو والإغارة عائدين بذلك إلى أيام الجاهلية الأولى ، نسوا دفعة الإسلام الحضارية ودعوته إلى تعمير الأرض وإقامة ما ينبغي عليهم أن يفعلوه تحقيقا لتعاليم دينهم ، ومن ثم فقد كانوا على استعداد لعمل أي شيء يخرجهم من هذه الفاقة مع غض النظر عن التعاليم والمبادئ والقيم الأخلاقية .

ولكن نشاط الوكالة اليهودية في فلسطين وشرقي الأردن ، وقيام الحرب العالمية الثانية قد أحدث هذا تأثيرا عظيما على عمان وعلى شرقي الأردن بشكل عام ، حيث تطورت الحياة هناك ، واختلف شكلها عما كانت عليه قبل عشرين عاما .

فيصف المستر لانكستر هاردنج الذي أصبح مديرا لدائرة الآثار الأردنية هذه الأحوال فيقول :

« عندما زرت عمان للمرة الأولى في عام 1932 لم تكن أكثر من قرية كبيرة ، لأن السلط كانت أكبر بلدة في شرقي الأردن خلال العهد التركي ، ولم تكن عمان سوى قرية صغيرة أخرى من قرى الشركس ... وفي عام 1932 كانت بيوت الشراكسة ما تزال ماثلة ، منها المسقوف بالقرميد الأحمر ، ومنها ذو السقوف العادية ، وكان أكثر بيوت البلدة في الأودية ،

---

(1) عامان في عمان ، خير الدين الزركلي ص 6 .

ولكن اتجاه المباني الجديدة قد بدأ زحفه نحو قمم التلال المحيطة ، وكانت الشوارع ضيقة وأكثرها غير معبد ، وأما مكتب رئيس الوزراء فقد كان في بناء صغير بجانب السيل ، كما كان ديوان الأمير عبد الله في منزل مجاور لفندق فيلادلفيا الذي بني قبل ذلك بفترة وجيزة . أما الأسواق والدكاكين فقد كانت ماتزال على نسق مثيلاتها في أية بلدة شرقية على أطراف الصحراء . وكانت الطريقة الوحيدة إلى الجنوب تقطع السيل قريبا من الجسر الروماني . وفي ذلك كانت بقايا آثار رومانية وبيزنطية ماتزال ماثلة في أماكن كثيرة من البلدة . وكانت دائرة الآثار في بيت مؤلف من خمس غرف قريبا من المدرج . ثم أصبح لفترة قصيرة مقر القيادة العامة للجيش العربي » .

ويستمر المستر هاردنج في وصف التطورات التي طرأت على عمان بعد أن نشطت الوكالة اليهودية في فلسطين وقيام الحرب العالمية الثانية فيصف ماكان عند اقتراب الحرب من نهايتها فيقول :

« لقد جلبت الحرب رخاء عظيما للبلدة ، وبدأت مناطق السكن تنتشر وتتسع فوق التلال ، وعندما أقبلت الحرب على نهايتها أصبح اتساع العمران من السرعة بحيث أنني صرت أخطىء في التعرف على الطرق في الأحياء الجديدة التي لم أكن أزورها باستمرار . على أن البلدة عرفت أعظم فترات الاتساع بعد تدفق النازحين إليها من فلسطين عامي 1949,1948 ، حينما أخذ أصحاب الأعمال منهم يبنون بيوتا لأنفسهم »[1] .

لنترك الإنجليز رويدا إلى اليهود !

ونعود إلى الأمير عبد الله وصلته باليهود .

---

(1) لانكستر هاردنج آثار الأردن تعريب سليمان موسى ص 54,53 .

قدم عبد الله بن الحسين إلى أرض الأردن تحدوه آمال كبار ، فهو يطمع أن يكون زعيما دينيا له وزنه واعتباره في عالم قد فقد هويته بعد سقوط الخلافة ، وهو يطمع في تكوين ثروة كبيرة من خلال حكمه لهذه البلاد القاحلة ، حيث يتعاون مع القوى الفاعلة في تلك المنطقة .

وكانت هذه القوى الفاعلة تتمثل في المقام الأول في الوكالة اليهودية ، ومن بعدها القوى البريطانية التي تزمع على المغادرة في قت قصير يقدره اليهود تقديرا دقيقا ولا يعرف الأمير عبد الله والعرب مداه .

وكانت المنطقة قد أفلست من القيم الروحية والمبادىء العليا والشعور بالدين كدافع للسلوك والنشاط واتخاذ المواقف . وهي تعيش عالما من الفقر والمسغبة ، وترى على مقربة غنى وثراء على مرمى قوس منهم عند الضفة الغربية من النهر . وهذه المواقف لا تفسر العمالة والخيانة ولا تبررها ، ولكنها تلقي ضوءا من التاريخ على هذه الرقعة من الجغرافيا . وتبين الكثير مما حدث بعد ذلك في مستقبل الأيام . فقد فعل الأبناء نفس ما فعله الأسلاف وإن اختلفت المواقع والظروف .

كان الأمير عبد الله ينظر إلى الإنجليز بمفهومه القديم ويظن أنهم الذين يتحكمون في البلاد والعباد في تلك المنطقة من الأرض ، ولا تزال أصداء أعماله مع أبيه تراوده ، يذكر كيف كانوا يحكمون بلاد العرب من مبنى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة . وهو يذكر كيف تآمروا على الخلافة العثمانية واتفقوا عليها ، وكيف ساهم وأسرته في هذا المخطط حتى نجح . ولكنه يبصر قوة جديدة تقف بجانبه وتحت بصره في مدن فلسطين والقدس على وجه التحديد ، وهو يرى كيف يعمل الإنجليز حسابا لهؤلاء اليهود ، ويعملون بما يشيرون عليهم به ، ويمكن لشخص مثل حاييم وايزمان أن يوصي بتغيير المعتمد البريطاني في فلسطين أو شرقي الأردن فتستجيب الحكومة البريطانية إلى ما يريد ، وينفذون أمره دون مناقشة . فهي قوة

وليدة قد تكونت واكتسبت قوتها في رحم الزمن عبر مدة لم يحددها أحد أو يرصدها مراقب .

والأمير عبد الله يعيش في عالم قد هدّه الفقر والجهل وسوء الخلق والبعد عن المثل العليا ، وهم يبحثون عن المال والثروة ، كل في موضعه وحسب طاقته ومكانته . وهو يقع على رأس هذا النظام العشائري لأنه ينتمي إلى البيت الهاشمي حسب دعواه وأبيه . وإن كانوا يبحثون عن الثروة فلا بد له أن يأخذ منها بأكبر نصيب ، وفي وقت قياسي فلا أحد يدري كيف يمكن أن تتبدل الظروف والأحوال .

وما إن استقر المقام بالأمير عبد الله في بلاد الأردن حتى استطاع أن يعرف بحاسة الشم التي أحسن تدريبها والانتفاع بها أن غاية ما يأخذه من الإنجليز هو بعض المرتبات الضئيلة له ولرجاله وخاصته والجهاز الإداري الذي يدير الدولة .

أما اليهود فالأمر أكبر من مجرد دفع المرتبات والمكافآت ، ويتعداه إلى تكوين الثروة ، ولكن ذلك لابد أن يتم بشروط . شروط يمليها الذي يدفع ويساعد على تكوين المال ، والطرف الآخر عليه الاستجابة بشكل تلقائي لا يقبل المناقشة .

نشر الأمير عبد الله رجاله المقربين هنا وهناك وأرسلهم ككلاب الصيد المدربين يبحثون له عن الرزق الحرام ويتوسطون لتقديم خدماته التي حددها اليهود . وكان الأمير عبد الله عظيم الإخلاص لهم فهو يفعل ما يريدون ، وقد يقترح عليهم ما لا يظنون . ولم يكن له غير هذا بعد أن أدرك أن الربح والدولة مع اليهود .

ليس أمام الأمير عبد الله غير اليهود !

أخذ الأمير عبد الله عشر سنوات من الوقت بعد وصوله إلى معان عام 1921 ليدرك أهمية اليهود وضرورة الاتصال بهم والتعاون معهم ، فقد حاز الرجل مساحة كبيرة من الأراضي بحكم الغزو وبحكم كونه أميرا للبلاد . وهذه الأرض لا تساوي شيئا دون الخبرة الفنية والأموال اللازمة لاستغلالها واستصلاحها ، وهذه لا تتوفر عند غير اليهود الذين تدفعهم في نشاطهم أهداف السياسة حيث يريدون الاستيلاء على هذه الأراضي ، وهم يريدون أيضا تحقيق الثروة وتكوين المال للإنفاق على مشاريعهم .

وكانت الوكالة اليهودية أهم مصدر للتمويل يمكن أن ينتفع به أمير البلاد ، عبد الله ابن الشريف حسين .

والاقتصاد لا ينفصل عن السياسة فهو جزء منها أو هي جزء منه ولا ينفصلان أبدا . ومن خلال العلاقة المالية والاقتصادية قد يقتنع اليهود بمشروع عبد الله في توحيد هذه البلاد تحت حكمه وإعطائهم قطعة كبيرة منه هي أرض فلسطين .

والظن أن هذا المشروع قد لقي هوى في نفوس القائمين على إدارة الوكالة اليهودية فهو يحقق الأهداف ، ويحمي كافة التصرفات تحت ستار من الدخان الكثيف . وكانت العلاقة بين الأمير وبين الوكالة اليهودية قد بدأت تتوثق اعتبارا من عام 1932 م حسب ما أوضحت وثائق الأرشيف المركزي الصهيوني ، وربما قبل ذلك .

وكانت العلاقة كما ذكرنا لها شكل اقتصادي ومالي وخبيء سياسي يتمثل فيما يجب على الأمير أن يفعله لليهود خدمة لمصالحهم وأهدافهم !

وكانت الوكالة اليهودية قد شعرت بشيء من القلق عندما أرسل الأمير

عبد الله رسولا إلى سويسرا لمقابلة الخديو السابق عباس حلمي يستقرضه مالا لاستصلاح أرضه التي حصل عليها في بلاده الجديدة ، ثم سُرَّ خاطرهم عندما علموا بفشل هذه المفاوضات ، فقد كانوا حريصين أن يظلوا هم المصدر المالي الوحيد له ، حتى يمكنهم إحكام قبضتهم عليه ، وكان الأمير عبد الله واقعا في تلك القبضة تماما ، ولا تستدعي حالته المزيد من الضغط .

اليهود أمامكم وخلفكم :

وكانت اتصالات الأمير ورجاله لتطوير أراضيه والاقتراض باسمها تجري مع يهود في بلاد مختلفة سواء في مصر أو إيطاليا ، تبوء بالفشل دائما ، والأمير لا يدري أن هؤلاء الماليين اليهود الكبار المنتشرين في أرجاء المعمورة على علاقة ما بالوكالة اليهودية ، والمشروعات اليهودية في فلسطين ، ومن ثم فلا يمكن لهم أن يجروا أي اتفاق دون العودة إلى رأي المسئول السياسي في الوكالة .

وفي أول زيارة قام بها حاييم أرلوزوروف رئيس الوكالة اليهودية للأمير في عمان يوم 32/3/14 كان الموضوع الأساسي المطروح للمناقشة هو كيفية تطوير النشاط الصهيوني في منطقة شرقي الأردن وإمكانية إحضار هجرة يهودية إلى هذه المنطقة ، وكيفية العمل على إلغاء القوانين التي تحول دون هذا ، والتي صنعتها سلطات الاحتلال الإنجليزي من قبل .

الرقص على الحبل بين الوطنية والخيانة :

كان الأمير عبد الله يتصرف كأحد الإقطاعيين الكبار ؛ فهو يريد تحقيق مصالحه من أي طريق ، وفي الوقت نفسه يريد أن يتم هذا في الخفاء ، وأن يبدو بمظهر الوطني الذي يريد تحقيق الأماني الوطنية والقومية ، وهو لا ينسى أن الناس ينظرون إليه على أنه من سلالة النبي ﷺ ، فهو في موقف

صعب ، وكان على يقين من أن الأولى خير له من الآخرة ، وأنه من الصعب عليه أن يمضي قدما في الطريقين معا وأمره مشتهر ومعروف بين الناس .

وكان الأمير حريصا على تمكين اليهود ليس في أرض فلسطين فقط ولكن في شرقي الأردن ويقول لخاصته إنهم البقرة الحلوب التي طورت فلسطين وينبغي أن يحصلوا منهم على بعض الفائدة ، ولكن بالقدر الذي يسمح له ببعض السلطان ، وهو يخشى أن يطرد كلية من البلاد ، فصار كالذي يمشي على الحبل وهو يؤدي دور البهلوان .

وكان بعض الوسطاء مثل توفيق جاد الذين ينسقون العمل والتعاون بين الأمير وبين الوكالة اليهودية يشيرون على الأخيرة بأن عليها إزالة مخاوف الأمير وبعث الطمأنينة في نفسه حتى يبالغ في تقديم الخدمة والولاء .

وقد حاولوا مرة أن يجعلوه يقدم على زيارة إحدى المستوطنات اليهودية في فلسطين ولكنه تردد وأبدى تخوفا ، ثم أسرَّ إلى بعض خلصائه أن هذا التمنع يجعل الوكالة اليهودية لا تتردد في تنفيذ المطالب المالية ، وفي الوقت نفسه يمكنه من الظهور بمظهر البطل أمام الغوغاء والعوام ومن يستطيع تحقيق بعض أهدافه السياسية .

وقد اقترح توفيق جاد على الوكالة اليهودية تقديم ضمانة خطية تضمن للأمير عبد الله مستقبله السياسي في المنطقة ، وإن كانت هذه الضمانة قد قدمت فلا يوجد ما يشير إلى وجودها ، أو أنها لم تكتشف بعد ، أما الاقتراح المقدم فمثبت في التقرير المقدم من أهارون كوهين يوم 1932/7/29 .

الأمير عبد الله يفتح الأردن أمام الشركات اليهودية :

وبدأت الاجتماعات مع رئيس بلدية عمان طاهر الجيقة ومع توفيق جاد حيث تفاهما على المشروعات المزمع إنشاؤها وقائمة بأسماء الشركات اليهودية التي ينبغي عليها أن تقوم بتنفيذ هذه المشروعات ، وقد قدم رئيس البلدية بيانا وافيا بالمشروعات المطلوبة تفصيلا ، مع كشف أسعار الشركات الأخرى حتى تستقر المشروعات لحساب الشركات اليهودية ، وكان الأمير عبد الله يشجع هذا الاتجاه ويحبذه ويصرح به أمام المستر كوكس المعتمد البريطاني الذي لعب هو الآخر دورا هاما في تقوية العلاقة بين الأمير وبين اليهود .

موسى شرتوك يقترح وجود شركاء عرب :

وكان للداهية موسى شرتوك رأي آخر فقد بعث برسائل إلى أرلوزوروف رئيس الوكالة اليهودية وكان في لندن يشرح له فيها عملية اقتحام شرقي الأردن من خلال الشركات اليهودية وأهمية أن يكون هناك شريك عربي مع اليهود حتى يهدأ الرأي العام ، ولا تعطى الذريعة للقوى الوطنية لإثارة القلاقل .

ويقول في إحدى الرسائل :

« وقد فكرت أن شراكة مركز العمل مع الحاج طاهر قرمان « التي هي شركة إيفين فسيد » هي أنسب مرشح للظهور كمقاول لمشروع الشوارع والمجاري ومن جميع النواحي فإن دخولنا شرقي الأردن عن طريق شراكة يهودية – عربية سيكون أفضل من الناحية السياسية وأسهل من الناحية العملية من ظهورنا كيهود فقط »[1] .

---

(1) ا.ص.م ملف س 3489/25 بالعبرية .

وكان هذا الترتيب يتم بمعرفة وعلم الأمير عبد الله الذي كان يعطي الضوء الأخضر من خلال رئيس ديوانه محمد الأنسي إن تعلق الأمر بالموظفين الصغار أمثال رئيس البلدية ومن خلاله شخصيا إن كانت المسألة لها صلة برؤساء العشائر وكبار الموظفين كالوزراء ورئيسهم .

وكانت الوكالة اليهودية تهتم بالاشتراك في تنفيذ مثل هذه المشروعات من خلالها لأسباب عديدة ؛ من ضمنها معرفة أحوال البلاد وخرائط الطرق والمجاري والمياه والكهرباء وسائر ما يشكل البنية الأساسية لشرقي الأردن حتى تكون البلاد كتابا مفتوحا يقرؤه من يشاء في أي وقت . ولا يكون فيها سر خفي عليهم من طبيعة المنشآت والعمران .

الأردن على مصراعيها أمام الفنيين اليهود :

وتقرّر إرسال وفد إلى عمان لفحص ما ينبغي على الشركات اليهودية عمله ، وكانت هناك توصية عليا بالاهتمام بذلك الوفد والاستجابة لكافة طلباته .

وقد قدّم أهارون كوهين الذي رافق الوفد مندوبا عن القسم السياسي في الوكالة اليهودية تقريرا عن الزيارة التي تمت يومي 4-1932/8/5 .

ويقول في هذا التقرير :

« اقترحت شركة « إيفن فسيد » أن تهتم بمشروع الأشغال العامة المزمع القيام به في عمان . وشركة « إيفن فسيد » هي شراكة بين مركز العمل التابع للهستدروت وبين الحاج طاهر قرمان . وفي يوم 1932/8/3 تم ترتيب اجتماع بين توفيق جاد ودافيد هكوهين مدير إيفن فسيد نيابة عن مركز العمل ، وذلك لدراسة الموضوع . وبعد الاجتماع قام دافيد هكوهين بدعوة الحاج طاهر للسفر إلى عمان لنفس الغرض . وقد طلبت مني الدائرة

السياسية أن أنضم إليهما وإلى جاد وتمّ تقديمي إلى الحاج طاهر كصديق لدافيد هكوهين وكمترجم له .

وصلنا إلى عمان في المساء والتقينا برئيس البلدية طاهر الجيقة الذي طلب إلينا مراجعته في مكتب البلدية في صباح اليوم التالي .

وفي الصباح ذهبنا لمقابة رئيس البلدية في مكتبه ، كما قابلنا مهندس البلدية درويش أبو العافية . وقد تم تقديم دافيد هكوهين كمهندس وتم تقديمي كمساعد له .

قرأ علينا رئيس البلدية خطة المشروع ، ووعدنا بإرسال نسخة منها إلى مكتب فرمان في حيفا . والمشروع ينحصر في تعبيد 52 ألف متر مربع من الشوارع في عمان وحفر مجاري بحجم 14 ألف متر مربع .

وقال إن البلدية تقدر تكاليف المشروع بـ 20-25 ألف ليرة ستكون مستعدة لدفعها خلال خمس سنوات .

وأضاف أن « فاكوم أويل » الشركة الأنجلو مصرية ، وشركة بترول العراق قد قامتا بتقديم مناقصة على المشروع . أما بالنسبة لمشروع الكهرباء فقد قررت البلدية تأجيله بسبب النقص في الميزانية »[1] .

وفي 1932/9/11 قام كل من أهارون كوهين ودافيد هكوهين وش . مرجولين بزيارة أخرى لعمان حيث التقوا بمحمود أبو العافية مدير دائرة المشاريع والإنشاءات البلدية العامة في شرقي الأردن الذي أطلعهم على خرائط مفصلة عن المشروع وأعطاهم نسخة منه .

ويقول أهارون كوهين في تقريره حول هذه الزيارة :

---

(1) ا .ص .م ملف س 6313/25 بالعبرية .

« قبل مغادرتنا سألنا سكرتير البلدية إذا كنا سنقدم مناقصة بخصوص تكاليف المشروع في المستقبل . وطلب ألا نفعل ذلك إلا بعد أن تنشر البلدية موضوع المشروع في الصحف »[1] .

استئجار أرض الأمير عبد الله :

ولم يكن هذا هو مناط الجهد اليهودي فقط ، أن تقوم الشركات بعمل المنشآت الأردنية ، ولكن تعدى هذا إلى التدخل في محاولة تعديل أحوال الأمير عبد الله المالية ، وكانوا يستعملون معه سياسة اللين والشدة . وكانت مسألة التوسع واستدعاء المهاجرين اليهود إلى شرقي الأردن عندما تسنح الظروف هدفا استراتيجيا يعملون جاهدين على تنفيذه . وكان لابد من ربط الأمير شخصيا بهذا المخطط من خلال تقديم الرشوة المقنعة واستحضار الفنيين وأصحاب التكنولوجيا لاستصلاح أراضيه .

وكانت المفاوضات مع الأمير حول استئجار أراضيه الواقعة في الغور ، أو ما يسمى غور الكبد إلى الشمال من جسر أللنبي .

واشترك في هذه المفاوضات من جانب الأمير عبد الله توفيق جاد ومحمد الأنسي مستشار الأمير ورئيس ديوانه آنذاك ، وكان معهما محاميان يهوديان هما كل من ي . آمون و ت . العدس ، وهما اللذان قاما بصياغة الاتفاقية مع الجانب الذي يمثل الوكالة اليهودية عمانوئيل نيومان ويوشع فاربشتاين ، وهما من وقعا نيابة عن الوكالة .

وهذا من المضحك المبكي أن يتفاوض جانبان من اليهود حول أرض الأمير عبد الله في شرقي الأردن والتي آلت إليه دون سند من شرع أو قانون .

---

(1) جذور الوصاية الأردنية د . سليمان بشير ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ص 98 .

والمثير للدهشة أيضا أن المحاميين اللذين كانا وكيلين عن الأمير أرسلا إلى الوكالة اليهودية يطلبان أتعابهما للدور الذي قاما به في خدمتها[1] .

الأمير عبد الله واتفاقية التأجير :

وقد أرسل الأمير عبد الله إلى محمد الأنسي رسالة يخبره فيها أنه قد اطلع على ما في اتفاقية إيجار الأرض وكانوا يطلقون عليها « الأوسيون » ، وأكد له في رسالته أن ما جاء في مسودة هذه الاتفاقية يتفق تماما مع مصلحة الأمير ورغباته .

ولكنه يطلب تعديل بند في الاتفاقية بحيث يصبح الإيجار السنوي المستحق 2000 ليرة فلسطينية . وقد أناب الأمير محمد الأنسي في التوقيع في حالة تعديل هذا البند[2] .

وكانت بنود الاتفاقية تقضي بأن تدفع الوكالة اليهودية للأمير عبد الله مبلغ 500 ليرة كمنحة توقيع . ومن حق الوكالة التصرف في أراضي غور الكبد الواقعة في شرقي الأردن والبالغ مساحتها 70 ألف دونم تقريبا . وهي أراض مسجلة باسم الأمير في دائرة تسجيل الأراضي في السلط بموجب المادة 4 بتاريخ 1922/3/24 الملف رقم 738/1/3 وكذلك بموجب خرائط دائرة أراضي شرقي الأردن .

والاتفاقية موقعة من قبل الطرفين لمدة 33 سنة من تاريخ توقيعها وذلك مقابل مبلغ سنوي قدره 2000 ليرة فلسطينية كما أوضحنا .

وكان من حق الوكالة اليهودية حسب نصوص الاتفاقية التجديد مرتين أخريين كل منهما 33 سنة أخرى بموجب نفس الشروط .

---

(1) تراجع رسالتهما إلى موسى شرتوك يوم 1933/11/2 وفيها يطالبان بدفع الحساب ا .ص .م ملف س 3513/25 بالعبرية .

(2) ا .ص .م ملف ك 16/3 ص 6 بالإنجليزية .

واتفق الجانبان على أن يتم تجديد التوقيع على هذا الاتفاق في ابتداء كل عام جديد ولم يكن أحد غافلا عن خطورة مثل هذا الاتفاق من الناحية السياسية وآثاره المستقبلية على النشاط السياسي والاجتماعي في المنطقة ، ولم تكن الوكالة اليهودية بغافلة عما تعمل ، وأن هذا خطوة من خطوات في سبيل إقامة الوطن القومي لليهود في أرض فلسطين ، والذي لم يبق عليه غير إعلانه في زمن وشيك قريب .

الأمير عبد الله يرتبط سياسيا بالوكالة اليهودية :

ولم يكن الأمير عبد الله نفسه بغافل هو الآخر عن نتائج هذا النشاط ، وكان على علم بما سوف يكون ، وكان غاية ما يريد أن يأخذ قطعة من الكعكة أو جزءا من السلطة ، في حلم بعيد التحقيق مستحيل المنال . وهم يخدعونه وهو يخدع نفسه ويلهيه الأمل حتى يأتيه خبر اليقين في حياته أو بعد أن يموت .

وقد قام محمد الأنسي بالتوقيع على الاتفاقية نيابة عن الأمير ، ووجدت في ملف هذه الاتفاقية رسالة موجهة من محمد الأنسي إلى المحامين عمانوئيل نيومان ويوشع فاربشتاين مع توقيعه الذي قام به ، ويقول في هذه الرسالة :

« يشرفني أن أعلمكم باسم سمو الأمير عبد الله أن إدارة الأوقاف ستنشر في الصحف المحلية خبر إيجار أراضي غور الكبد لمدة شهرين فقط ، غير أنني أؤكد باسم سموه على أن نشر هذا الخبر لن يؤثر على جوهر الاتفاقية التي وقعت يوم 1933/1/3 أو من جوهر ملحقاتها ، لأن القصد من عملية النشر هو أخذ الظروف الراهنة بعين الاعتبار فقط »[1] .

---

(1) نفس المصدر السابق .

الوطنيون يراجعون الأمير عبد الله :

وقد حاول جمع من الأعيان والوطنيين أن يؤثروا على الأمير عبد الله حتى يرجع عن هذه الخطوة الخطرة ، وذهب وفد منه إليه بلا فائدة ، وهناك من ذهب إلى مقابلة الملك فيصل للتأثير على أخيه دون تحقيق نتيجة مرجوة في هذا المجال . وكانوا يحذرون من التواجد الصهيوني في شرقي الأردن .

وقد جرت مقابلة صحفية مع الأمير عبد الله ذكر فيها أنه لم يجاوز التفاوض حول إيجار هذه الأرض ، وأنكر أن تكون هناك اتفاقية قد عقدت بهذا الشأن .

ويبدو أن الأمير عبد الله قد استطاع أن يستوعب ذلك الجمع الذي ذهب إليه ليصرفه عن إيجار أرض غور الكبد لليهود ، وقد قدم للبعض الهدايا والمنح ، فهناك تقرير غير موقع موجود في الأرشيف المركزي الصهيوني يفيد أن الأمير قد قدم سيارة لموسى كاظم ، وهو أحد أعضاء الوفد الذي ذهب إليه ، ويقول التقرير أيضا إن الأمير عبد الله قد تسامح مع المفتي ، وكان أيضا من أعضاء الوفد ، وتركه يتصرف في الأموال الموقوفة لخدمة قبر ملك العرب الشريف حسين . وبوجه عام فإن التقرير يفيد أن أعضاء الوفد لم يكونوا حازمين في الحديث مع الأمير .

نحن نريد بيع وإيجار الأرض لليهود !

وقد طلب الأمير عبد الله من مثقال الفايز ومحمد الأنسي أن يقابلا الوفد ويتحدثا معه حول قضية تأجير أراضي الأمير لليهود .

وفي هذا اللقاء المبدئي تكلم مثقال باشا الفايز بصلف شديد مع الوفد وقال لهم :

– نعم ... نحن نريد بيع وإيجار الأرض لليهود ، فليست أمامنا أية طريقة أخرى .

ثم انبرى مثقال باشا الفايز ساخطا إلى المفتي وقال له :

– من الأفضل أن تشرف على شئون المسجد وأن تترك مستقبل البلاد للآخرين . وبعد جولة مع الوفد وسماعهم ما يكرهون سمح الأمير عبد الله للمفتي بلقائه في الشونة حيث كان يقضي فترة العيد .

وقال الأمير عبد الله للمفتي :

– ما هذه الضجة التي أثرتموها ضدي في فلسطين ؟

وقال المفتي في هدوء شديد متذرعا بالصبر :

– وهل يظن سموكم أنه بالإمكان أن تسكت البلاد على عملية رهن الأراضي وفتح أبواب البلاد أمام اليهود ؟ لقد كانت الضجة أمرا طبيعيا وردة فعل لهذا الحدث الهام .

وقال الأمير عبد الله باستعلاء :

– من هم أصحاب هذه الضجة على أي حال ؟

وقال المفتي :

– القسم الأول هم من يسعون لإهانتك أمام الجمهور بسبب العلاقات المتوترة بينك وبين ابن سعود وهم يميلون إليه . والقسم الثاني هم من يحثون بشكل مباشر على الحرب مع اليهود ، وأنت تعرفهم . غير أن ممثلي الرأي العام الجديين يرون في هذه الخطوة أمرا طبيعيا ، لأنهم يعلمون أن لا مستقبل لشرقي الأردن دون الاستثمارات .

وهدأت أسارير الأمير عبد الله وعلم أن الهدايا والمنح قد عملت عملها ،

وأن الوفد قد قام بوساطته لمجرد إجراء شكلي ليس إلا . وقال للمفتي :

- هل يوجد إذن من يؤيد هذا العمل ؟

وقال المفتي في استخذاء :

- نعم ... الناس المتنورون يرون فيه عمل رجل يعرف ما يواجهه ولا يهتم بصراخ الشارع .

وانتفخت أوداج الأمير عبد الله وقال :

- وما هو موقف المعارضة ؟

وأخفى المفتي وجهه في الأرض وهو يجيب :

- موقف راغب النشاشيبي هو ألا مستقبل لشرق الأردن دون إدخال العنصر المنتج . ومثل هذا العنصر لا يتوفر إلا لدى اليهود[1] .

ضجة بسبب تأجير أرض الأمير عبد الله لليهود :

ويبدو أن موضوع تأجير أرض الأمير عبد الله للوكالة اليهودية قد أثار الكثير من اللغط والضجة في فلسطين وشرقي الأردن . وقد اهتمت الوكالة اليهودية أيما اهتمام بردود الأفعال المختلفة حول هذا الموضوع . ونشرت رجالها في المجتمعات والأندية لتسفيه من يعترض على هذا التصرف من الأمير أو يشجبه . ويبدو أيضا أن الكثير من الذين اعترضوا على هذا الإجراء كانوا مجرَّحين ، وهناك ما ينال منهم ومن السهل الرد عليهم وقذف مقولة تخرسهم ، ولا تجعلهم يستمرون كثيرا في المماراة والملاحاة . فهو مجتمع

---

(1) نفس المصدر السابق .

يتذبذب بين الحق والباطل ، ويتقلب بين الهدى والضلال ، وليس هناك أحد من المخلصين إلا قليلا ، وهؤلاء لا قوة لهم ولا حول ، فهم يهتاجون وسرعان ما يسكتون .

وكان مثقال باشا هو رجل الأمير ومندوب الوكالة اليهودية في كل مجمع ومنتدى ، فهو يدافع عن قضيتهم وينافح عنهم في قوة وصلف ، ولا يجد من يقف أمامه في دعاواه الباطلة ، ومرافعته عن أعداء وطنه وبلده .

وهو يصفهم بأنهم الذين يخلصونهم من الفقر والمسغبة . وأن الطعام لن يتوفر لأهل هذه البلاد إلا إذا خرجوا من بيوتهم مستسلمين رافعين أيديهم عاليا ، وأمامهم من يقودهم وفي يمينه علم أبيض ، هو الأمير عبد الله بن الشريف حسين ملك العرب والعجم إن استطاع .

ومثقال باشا يرسل التقرير تلو التقرير إلى الوكالة اليهودية مبينا جهاده وسابقته في رد كيد المسلمين عن اليهود . وهو يكتب لهم كل ما يدور في ناد واجتماع ، ويذكر كلماته القوية المفحمة التي يلقمها للذين يهاجمون اليهود .

وفي الوفد الذي ذهب يحاول إثناء الأمير عن موقفه المعيب المخزي الذي وقفه انبرى مثقال باشا يقول ليعقوب العضين أحد الأعضاء وابن أحد تجار الأراضي في يافا :

– وماذا تقول عن الأموال التي جمعها أبوك من السمسرة على الأراضي وبيعها لليهود ؟

وسكت الرجل ولم يعقب وكان يمكنه الرد عليه .

هذه البلاد لا تقع ضمن وعد بلفور !

أما الأمير عبد الله فقد وقف خطيبا في وفد الشباب العربي الذي ذهب

إليه يستنكر ، وقال لهم إنه لا خوف على أرض شرقي الأردن من وجود النشاط الصهيوني بها . وقال لهم مؤكدا إن هذه البلاد لا تقع ضمن وعد بلفور . وهو يسلم بأن وعد بلفور لابد أن يكون ، وعندما يلج أحد معه في الحديث ، وكان هذا نادرا ما يحدث ، كان يقول لهم في صلف :

- لا فائدة من ترك الأرض دون زراعة .

ولم يكتف الأمير عبد الله بهذا ، متجاهلا أن هناك من يمكنه زراعة الأرض بطريقة أحسن من اليهود ، وناسيا أنهم لم يكونوا في ذلك الوقت أهل زراعة ، ورافضا ذلك المشروع الذي عرضه عليه أحمد حلمي باشا مدير البنك العربي ، وكان معه المفتي عندما تقدم بمشروعه للأمير لاستغلال أراضي غور الكبد . وقال للمجتمعين في غرور وصلف :

- أنا أعرف كيف أدير شئوني خيرا منكم ومن غيركم .

رجال الأمير عبد الله :

وكان يحضر في مقابلة هذه الوفود الكثير من الذين راهنوا بحياتهم ودينهم على مستقبل اليهود في تلك البلاد ؛ فكان هناك مثقال باشا ومحمد الأنسي ونمر باشا الحمود وعبود نجار سكرتير ديوانه الخاص .

ثم جاء فؤاد باشا الخطيب مستشار الأمير وأعلن كاذبا أمام الجالسين أن الأمير عبد الله لم يؤجر أراضيه بعد وأنه على استعداد لدراسة أي اقتراح تقدمه أية شركة عربية .

خداع وضحك على الذقون ، والكل على استعداد أن يخدع ، وهم يبتلعون الأكاذيب التي تلقى لهم ويزدردونها وهي لا تقف كثيرا في حلوقهم ، واليهود يتقدمون ويكسبون الأراضي ويستخدمون العملاء ويصنفونهم في درجات وقوائم ، وأمير البلاد من فوقهم يأتمر بما يطلبون ويصنع لهم مايريدون .

نصائح يهودية من الخارج :

وكان هناك رجال أعمال يهود يعيشون خارج فلسطين والأردن في مصر وفي إيطاليا يقدمون نصائحهم للأمير عبد الله أنه لا سلطان له في هذه البلاد التي وفد إليها غريبا عنها وعن أهلها إلا إذا اعتمد على استثمارات من خارجها ، وأفهموه وأقنعوه أن اليهود هم الذين يمكنهم أن يقدموا له الأموال اللازمة ، وعليه أن يقبلها ، وأنه إذا اعتمد في استثماراته على الماليين العرب ، مثل عبد الحميد شومان وغيره من الذين يعيشون في أمريكا ، ولديهم المال الذي يمكنهم أن يقدموه له ، فسوف يكون بقاؤه في الحكم رهنا برأيهم وموافقتهم ، ومن ثم فسوف يكون عرشه قلقا لا استقرار له ، وأن الأمن والأمان والاستقرار بين ذراعي الوكالة اليهودية الرحيمة بمن يعملون لحسابها !

وتجربة الأمير عبد الله وذكرياته مع أبيه مرة وتملأ قلبه بالخوف ، وهو يريد أن يبقى في الحكم في بلاد يُظنُّ أنها قد فقدت كرامتها وكبرياءها ودينها عندما ساروا خلفه وخلف أبيه في صف الإنجليز ضد العثمانيين المسلمين .

خائن كبير وخونة صغار :

كان الأمير عبد الله يعلم أنه يتعامل مع قوة وطنية ضعيفة غاية ما عندها بعض الآمال والأحلام الطيبة في استقلال لن يكون ، فهم لم يأخذوا له عدته ، ولم تكن هذه القوى التي تعمل ضد اليهود في فلسطين وشرقي الأردن مبرأة تماما من التعامل معهم على نحو أو آخر ، وهذا ما يفسر موقف المفتي الحاج أمين الحسيني أمام الأمير .

فهناك من عائلة الحسيني من هم في شراكة مع اليهود في بعض المشروعات والشركات . وكان المفتي يعلم جيدا أنه إن تكلم بقوة في مسألة

تأجير أرض الأمير لليهود فسوف يسارع الأخير بفتح ملفاته ويحدثه عن الطلبات التي تحت يديه والتي تقدم بها له إسماعيل الحسيني وسعيد الحسيني مشاركين يتسحاك يهودا هكوهين لأخذ امتياز للتنقيب عن الحديد . والأمير على علم بأن رجال الأعمال الفلسطينيين أغلبهم في شركات مع اليهود ، فهو خائن كبير يتعامل مع خونة صغار ويعرف كيف يتحدث معهم بلغتهم ويستطيع أن يفحمهم ، وقد صنع لنفسه قاعدة كبيرة من رجال العشائر ورؤسائها الذين غرقوا حتى أذقانهم في التعامل مع الوكالة اليهودية . وهذه العشائر هي القوة الفاعلة في ذلك المجتمع الجديد الذي تكون والتاريخ يرمقه بعين ساخرة .

وكان الأمير عبد الله يظن أنه يمكنه أن يضم إليه فلسطين ويترك الحكم والأمر لليهود في الإقليمين ، وكانت آماله عريضة ومستحيلة التحقيق ، ولم يكن يستطيع فهم المعادلة الصحيحة للسياسة في ذلك الوقت في عالم عربي قد نزع هو وعائلته منه كل عناصر القوة والصمود ، وخرُّوا ساجدين أمام عتبة الوكالة اليهودية !!

الأمير عبد الله يؤيد السياسة اليهودية علانية :

وقد أسفر الأمير عن وجهه علانية من أنه يؤيد السياسة اليهودية عندما رافق مثقال باشا في زيارته لحسن خالد في القدس صباح 1933/1/17 فالمعروف لدى الخاصة ولدى العامة أن مثقال باشا يهودي النزعة والهوى وأنه يأتمر بأمرهم ويفعل ما يطلبونه منه وهو ينفذ سياستهم دون مواربة أو إخفاء ، وظهور الأمير معه علانية وتحركه معه وقيامهما بزيارة بعض الأعيان لدلالة واضحة من الأمير عبد الله يريد أن يخطر بها جميع الناس إلى أية طائفة ينحاز وأية سياسة ينتهج .

وقد أسر مثقال باشا في تقاريره التي يرفعها للوكالة اليهودية أن الأمير

عبد الله قد تبنى فكرة عقد مؤتمر لشيوخ العشائر للترويج لفكرة بيع الأراضي ورهنها وتأجيرها لليهود في منطقة شرقي الأردن ، وأن هذا هو الملاذ الوحيد والملجأ الذي يخرج البلاد والعباد من الفقر والضنك .

تربى الأمير عبد الله في مدرسة الشريف حسين ، وها هي ذي النتيجة تأتي أعمالا ظاهرة للعيان ، معلنة للناس ، فيها موالاة صادقة لليهود ، وإخلاصا حقيقيا لهم من أجل دنيا لم تدم لأحد ولن تدوم لآخر وعُمرٌ قد انقضى فجأة وبغير إنذار على أثر رصاصة انطلقت في لحظة على باب المسجد الأقصى أصابت عبد الله بن الشريف حسين في مقتل ، ومضى وترك كل ما كان يحلم به ويرغبه ، وصار وحيدا في الحساب ، حيث يقدم بين يديه كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

تجديد اتفاقية تأجير أرض الأمير عبد الله لليهود :

كانت الوكالة اليهودية قد جندت اختصاصيين في التعامل مع الأمير عبد الله ، فلم يكن الرجل ساذجا أو سهلا فقد تمرس في السياسة وألاعيبها ويعرف فنونها ، ولكنه يتصرف من موقف الضعف والتخاذل ، ويعرف أن بضاعته التي يعرضها ليست بالقيمة الكبيرة التي يمكنه أن يحدث حولها مساومة تؤدي إلى ثمن مرتفع ، فهو يعرف قدر نفسه ويصدر وفقا لذلك .

وكانت اتفاقية تأجير أراضي غور الكبد التي يمكلها الأمير ينبغي تجديدها حسب الاتفاق كل عام . وكانت المعارضة في المجلس التشريعي بشرقي الأردن تريد أن تسن قانونا يمنع تأجير الأرض للأجانب وتمليكها لهم . وقد نوقش هذا المشروع ورفض إدراجه ضمن جدول الأعمال بحجة أنه تحصيل حاصل ويؤكد السياسة القائمة بالفعل .

والغريب أن المستر كوكس المعتمد البريطاني كان يقف ضد رهن

الأراضي لليهود أو تأجيرها لهم ، وذلك وفقا للسياسة البريطانية المدروسة في المنطقة ، وهي لا تريد أن يتجاوز النفوذ اليهودي إلى شرقي الأردن حفاظا على مصالح الإمبراطورية التي كانت لا تزال .

وقد أدى هذا إلى حدوث خلاف كبير بين الأمير عبد الله وبين المستر كوكس ، وكان يرسل بشكاواه ضده إلى وزير المستعمرات البريطاني . ويوعز إلى الوكالة اليهودية بضرورة استخدام نفوذها من أجل تغيير المستر كوكس ، والعمل على إحضار غيره ممن يتفهمون طبيعة المشكلات في شرقي الأردن ، ويشجع سياسة الاستيطان .

وكان لفشل المجلس التشريعي في الوصول إلى سن ذلك القانون الذي يمنع تمليك الأرض للأجانب أكبر الأثر في مضي الأمير عبد الله قدما نحو تجديد اتفاقية تأجير أرض غور الكبد التي يملكها إلى اليهود .

وقد تم تحقيق ذلك في 1934/1/11 .

وكانت المفاوضات قد سبقت ذلك بين محمد الأنسي مستشار الأمير عبد الله وبين أهارون كوهين ممثل الوكالة اليهودية .

كان عقد تأجير الأرض باسم نيومان وفاربشتاين وأراد الدكتور ب . جوزيف من الوكالة أن يتم تغيير عقد الإيجار وتحويله باسم شركة تطوير أراضي فلسطين ، وذلك بعد الدراسات والمشاورات التي تمت بهذا الغرض .

سرعان ما جاء رد الأمير عبد الله عبر مستشاره محمد الأنسي ، وهو استجابة كريمة لطلب الوكالة اليهودية :

« لقد فقد نيومان وفاربشتاين حقهما في تجديد « الأوبتسيا »[1] لأنهما لم

---

(1) هو اسم اتفاقية تأجير أراضي الملك لليهود .

يعلنا عن رغبتهما في ذلك خلال الشهور الثلاثة الماضية . ولأن شركة تطوير أراضي فلسطين هي شريك جديد ، فإن مفاوضات جديدة يجب أن تتم من أجل الحصول على « أوبتسيا » جديدة لذلك ، ويجب دفع 500 ليرة مقابل فترة الأشهر الستة الأولى »[1] .

كانت كل المفاوضات التي تجري حول هذه الأمور وغيرها تسجل في تقارير مرفوعة إلى الوكالة اليهودية حيث تصنف ويوضع كل منها في الملف الذي يخصه ليسهل الحصول عليه بعد ذلك .

توقيع الأمير عبد الله على تجديد الاتفاقية مع اليهود :

في تقرير الدكتور ب . جوزيف حول هذا الموضوع :

وفي يوم 1934/1/6 ذهبت لمقابلة محمد الأنسي الذي طالب هو الآخر بدفع مبلغ 100 ليرة كأتعاب له على تجديد الأوبتسيا للأشهر الستة الأولى ، وادعى بأن نيومان وفاربشتاين قد وعداه في حينه بدفع 200 ليرة على أتعابه سنويا .

بعد مفاوضات معه اتفق على أن ندفع له 200 ليرة على أتعابه إذا حصل على موافقة الأمير على تجديد الأوبتسيا لمدة سنة كاملة مقابل 500 ليرة فقط فوافق .

بعدها بيومين أخبرنا الأنسي بموافقة الأمير . وتم تحديد يوم 1934/1/11 للتوقيع على الأوبتسيا الجديدة .

في ذلك اليوم سافرت مع ي . ك والتقينا بالأمير في بيت محمد الأنسي

---

(1) جذور الوصايا الأردنية د . سليمان بشير ص 124 ، الزهراء للإعلام العربي طبعة 1991 .

الواقع على أراضيه بالقرب من جسر أللنبي حيث وقع الأمير على ثلاث صيغ للأوبتسيا الجديدة :

الأولى بينه وبين شركة تطوير أراضي فلسطين مباشرة .

الثانية بين محمد الأنسي وبين الشركة بمصادقة الأمير .

والثالثة اتفاق ثلاثي تنازل بموجبه نيومان وفاربشتاين عن حقهما في الأوبتسيا لصالح شركة تطوير أراضي فلسطين .

وبعد التوقيع ذهب الأمير في جولة بين الحقول . أما محمد الأنسي فقد دعانا لدخول البيت وشرب القهوة »[1] .

اتفاقية تأجير الأراضي سياسية مائة في المائة :

كل تلك المفاوضات التي تدخل فيها أطراف عديدة مثل شركة تطوير أراضي فلسطين ونيومان وفاربشتاين والدكتور ب . جوزيف وغيرهم حول تأجير أراضي الأمير عبد الله ، والمماحكة في تحديد القيمة والأتعاب وتغيير العقود ، والبحث عن المخرج القانوني لإلغاء العقد مع نيومان وفاربشتاين ، واللقاءات المتعددة والمناقشات الحامية ، ثم رضوخ الأمير وموافقته السامية على تغيير العقد ، والحصول على توقيعه وتوقيع رئيس ديوانه من أجل أرض ليست لها قيمة اقتصادية أو مالية في حقيقة الأمر حسب علم الخبراء وقتها وحسب ما اتضح بعد ذلك ، هذا كله يشير إلى شيء تسعى له الوكالة .

لقد كانت اتفاقية تأجير أرض الأمير عبد الله الجديدة والتي تم توقيعها في بيت محمد الأنسي في يوم شات شديد المطر لم يحظ بصحو إلا في تلك اللحظات القليلة التي خرج فيها الأمير يتجول بين الحقول يفكر في الدرك

(1) أ .ص .م ملف س 3487/25 بالعبرية .

الذي انزلق إليه طواعية وعن وعي كامل ، بينما الآخرون يشربون القهوة في بيت الأنسي على مقربة من المدفأة . كانت هذه الاتفاقية بمثابة حلف سياسي ومعاهدة بين دولتين ، قد تم توقيعها حتى يتمكن الجانب القوي من الجانب الضعيف . ومع الأيام لم تعد لهذه الاتفاقية أية قيمة اقتصادية على الإطلاق ، ولكن ظهرت أهميتها السياسية في ربط هيئة الحكومة الأردنية وعلى رأسها الأمير بحذاء رئيس الوكالة اليهودية أيا من كان .

وقد صنعت تلك الاتفاقية دوائر عديدة ولغطا في المجتمعين الفلسطيني والأردني ، مما أدى إلى مزيد من الاتصال بين الأمير وبين الوكالة اليهودية وكثرت المراسلات بينهما . فالأمير يواجه ضغطا شعبيا ووطنيا وهو في حاجة إلى مواجهته والسيطرة عليه . وأصبحت المصلحة اليهودية – الهاشمية واحدة ، وعلى الغني أن يساعد الفقير إن توحدت المصالح . لهذا كانت طلبات الأمير المالية كثيرة من الوكالة اليهودية فهو يريد أن يسترضي الأعيان وأعضاء المجلس التشريعي وبعض كبار الوطنيين وذلك بالهدايا والمنح حتى يستجيبوا له ويسيروا وفق هواه الذي لم يكن غير سطر في بند قد كتب في بروتوكولات حكماء صهيون منذ زمن قديم .

وكانت الوكالة اليهودية تستجيب لمطالب الأمير عبد الله معظم الوقت ! وكانت التعليمات تصدر إلى البنوك بمنح الأمير القروض بفوائد بسيطة ، وهي قروض لن يتم تسديدها ولكنها تحول إلى حساب الوكالة حيث تخصم قيمتها من الميزانية السياسية للوكالة لهذا العام أو العام الذي يليه . وكان أهم شيء أن تسير الأمور وفق ما يرسمون ويخططون . وكانوا أقوياء عمالقة قادرين وأمامهم قطيع من الأشباح والأقزام لا يقدرون على شيء مما كسبوا .

المصالح اليهودية – الهاشمية :

وأصبح من الواضح أهمية أرض الأمير السياسية ، وصار من المفهوم أنه

لا جدوى اقتصادية من ورائها على الإطلاق ، وأنه الحلف السياسي وليس الاستثمار والتعمير كما كان يظن بعض الجهلاء في ذلك الوقت .

وكانت الاجتماعات بين الكيانات الاقتصادية المختلفة التي لها صلة بتأجير هذه الأرض تتم لتحديد الجهة التى تتولى عبء الخسائر المالية والاتفاقات . وفي اجتماع من هذه الاجتماعات تحدث الدكتور روبين وكان ممثلا للوكالة اليهودية وقال :

« من المعروف أنه لا وجود لأية قيمة اقتصادية كبرى لهذه الأرض . وأن القيمة السياسية هي الأساسية . وإذا استطعنا بواسطتها الحصول على موافقة الأمير لدخولنا شرقي الأردن فذلك أمر حسن . ويبقى السؤال حول الوقت الملائم لذلك. فالرأي العام العربي غاضب اليوم بسبب أراضي الحولة . ويجب أن نفكر فيما إذا كانت اتفاقية الاستئجار في شرقي الأردن لا تزيد من توتر الوضع »[1] .

وكانت المناقشات كثيرة بين الصقور وبين الحمائم في هذا الاجتماع . فإن كانت الجدوى من إيجار هذه الأرض سياسية وليست اقتصادية فلماذا لا يتم استغلال الوضع حتى آخر مدى فيه ؟ ولماذا التخوف الذي لا مبرر له في نظر البعض ؟

وتحدث الدكتور ماهون :

« إذا كان الأمير غير مهتم بالرأي العام العربي فلماذا ينبغي علينا أن نهتم به ؟

سيضطر العرب لابتلاع ذلك رغما عنهم ؛ لأن الفكرة المنتشرة بينهم

---

(1) ا .ص .م ملف س 3492/25 ص 5 بالعبرية .

الآن هي أن اليهود ليسوا المتهمين الوحيدين في جريمة بيع الأراضي ، بل الزعماء العرب أيضا الذين لا يحافظون على أراضي الشعب»[1] .

وكان يغيب أحيانا عن ذهن البعض دور السياسة البريطانية التي تحول دون التغلغل اليهودي في منطقة شرقي الأردن ، حتى تضمن طريقا بريا ممتدا من مصر إلى العراق فالخليج ، لتأمين مواصلات الإمبراطورية ، التي لم تكن قد دخلت بعد في المرحلة الحرجة ، والتي آذنت بخروجها أخيرا بعد الحرب العالمية الثانية من مصاف الدول العظمى ، ثم تخلت عن ممتلكاتها ومستعمراتها في شتى أنحاء الأرض .

كانت الوكالة اليهودية تصارع القوة الأساسية في المنطقة وهي الوجود البريطاني ، وتعمل حسابا للأمير بقدر توافق حضوره مع المصلحة البريطانية ، وهي تعمل على سلخه رويدا رويدا من دائرة سلطانهم ، وتعرف أن هذا الوجود البريطاني سوف ينقضي في زمن قادم قد يطول قليلا أو يقرب كثيرا . وأن الوقت القادم سوف يتم لهم التعامل مباشرة مع الأمير عبد الله وغيره دون تدخل من أحد أو تأثير من أي سلطان غيرهم .

والأمير عبد الله رغم حنكته المؤكدة كان يظن خطأ أنه يلعب لعبة للتوازن بين قوتين باقيتين في البلاد إلى زمن طويل .

النموذج المثالي للعميل :

كانت أرض الأمير عبد الله هي طريق الوكالة لاستعمال الخائنين وكل من يعرضون أنفسهم للبيع على ضفتي الأردن ، وعلى رأسهم الأمير عبد الله وكل أفراد عائلته .

---

(1) المصدر السابق نفسه ص 7 .

وقد نجحت الوكالة نجاحا باهرا في هذا المجال . وكانت سياستها بعيدة المدى حتى إنها وصلت إلى نموذج العميل المثالي الذي لقي التهليل والخوف من شعبه ، وهو غارق حتى قمة رأسه في العمالة والخيانة ، وتحقيق مصلحة الأعداء .

هذا النموذج يتمثل في الملك حسين بن طلال ملك الأردن !!

وكان في تلك الأثناء غيبا يتشكل في عقل جده الأمير عبد الله والذي ربّاه وعلمه وأرضعه خدمة اليهود والذين أشركوا .

وكان الأمير عبد الله يحاول أن يدخل شريكا إنجليزيا يهوديا في اتفاقيته مع الوكالة اليهودية حول إيجار الأرض ليضمن رضا الحكومة البريطانية في تداخلاته اليهودية . أو هو يريد أن يقول لهم : إنني معكم ومعهم !! ومع من تحبون !

الإنجليز يحاولون الحد من اندفاع الأمير عبد الله نحو اليهود !

وكانت السلطات البريطانية قلقة بشأن مسألة تأجير أرض الأمير لليهود ، وقد عبر المستر كوكس عن هذا القلق في مناسبات مختلفة . وهم يخشون ردود الأفعال من أصحاب الاتجاهات الدينية والوطنية ، وهم يريدون لهذه المنطقة الاستقرار والهدوء .

وقد أرسل محمد الأنسي تقريرا عن هذا في محادثة مع أهارون كوهين يوم 1934/8/8 بين له كيف قام المندوب السامي البريطاني خلال زيارته الأخيرة لشرقي الأردن باستطلاع رأي كبار الموظفين والأعيان حول قضية تأجير أراضي الأمير لليهود ، وعن مدى تقبل الشعب الشرقي أردني حول استيطان اليهود في شرقي الأردن . وكيف أن المندوب السامي البريطاني تحدث إلى جمع غفير ؛ منهم علي بك طبارة مدير دائرة الأراضي الحكومية

الذي أكد للمندوب السامي أن المسألة لا تعدو كونها استثمارات وتوظيف رءوس أموال أجنبية في البلاد مما يعود بالخير على الشعب .

وقد أكد محمد الأنسي لأهارون كوهين أن الأمير عبد الله يلاحق الوطنيين والا ستقلاليين حتى إنه اضطر الدكتور صبحي أبو غنيمة إلى الهجرة إلى سوريا ، بينما يحاول عادل العظمة عمل مصالحة مع الحكومة بأية طريقة »[1] .

وكان الأمير عبد الله يعمل جاهدا على تغيير الموقف الرسمي البريطاني من مسألة تأجير أراضيه لليهود .

وكان محمد الأنسي هو رسول الأمير عبد الله إلى الوكالة اليهودية وهو همزة الوصل بينهما ، الأمر الذي جعله يظن أنه الذي يرسم السياسة الأردنية اليهودية ، وقد عبَّر عن ذلك في مناسبة أخرى سوف نعرض لها .

مطالب اليهود السياسية :

وكانت الوكالة اليهودية تنتهز أية فرصة لتقديم المال والهدايا إلى الأمير عبد الله ، وإن لم تجد الفرصة فإنها تخلقها ، فهي تقدم علبة من المجوهرات وساعة ثمينة لمناسبة قرب زواج الأمير طلال نجل الأمير عبد الله من ابنة عمه الأمير جميل بن ناصر . ويذهب الأنسي ليشكر أهارون كوهين على هذه الهدية الثمينة .

وينتهز كوهين الفرصة ليبدي استياءه من البيان الذي ألقاه حزب الشعب والذي دان فيه خطاب الدكتور وايزمان بشأن تشجيع دخول اليهود إلى شرقي الأردن .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3485/25 بالعبرية .

وقال كوهين للأنسي إن بيانا مثل الذي صدر عن حزب الشعب من شأنه أن يشجع المستر كوكس الادعاء بأن الرأي العام في شرقي الأردن يقف ضد فكرة استيطان اليهود وقدومهم إلى البلاد .

وبين محمد الأنسي لكوهين أن الأمير عبد الله يعمل جاهدا على تسوية مثل هذه الأمور ، وهو يحاول التخلص من حكومة عبد الله سراج التي تأتمر بأمر المستر كوكس . وبيّن أن المستر كوكس كان وراء هذا البيان الذي صدر عن حزب الشعب .

وهكذا نرى أن الوطنيين والخونة كلهم يتجهون في نشاطهم إلى أجنبي غريب !!

اتساع عملية بيع أراضي فلسطين لليهود :

وقد شجع تصرف الأمير عبد الله وعلاقته مع اليهود الكثير من أهل فلسطين لبيع أراضيهم إلى اليهود في إقليم لم تكن تعترض فيه على ذلك السلطات البريطانية .

ولعلنا لا نكون مبالغين إن قلنا إن الأمير عبد الله وحلفه مع اليهود الظاهر للجميع هو الدافع الرئيسي إلى بيع ما تم بيعه من أراض فلسطينية لليهود ، وهو الأمر الذي كان له أكبر الأثر في قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين ، وكان أحد العوامل الأساسية في تكوين دولة إسرائيل .

وقد أبدى الأمير عبد الله في وقت لاحق تذمرا عبَّر عنه محمد الأنسي رئيس ديوانه إلى كوهين عندما اكتشف أن نيومان وفاربشتاين ــ وكانا قد ادعيا أنهما يمثلان شركة أمريكية ــ أنهما يتبعان للدائرة السياسية بالوكالة اليهودية ، وأنه يتجاوز هذا الأمر نظرا لحرصه على العلاقة الطيبة مع الوكالة .

مطالب الأمير عبد الله المالية :

طالب الأنسي بمزيد من المال باسم الأمير عبد الله حتى يواجه الضغوط التي يمارسها عليه المستر كوكس من ناحية والمعارضة والتذمر الشعبي من ناحية أخرى . الأمر الذي يستدعي المزيد من اللقاءات والمؤتمرات والهدايا والمنح هنا وهناك حتى تستقيم الأمور له في البلاد ، ومن ثم يكون قادرا على تنفيذ المخططات الصهيونية التي يعرف بعضها ولا يعرف البعض الآخر .

وقد حاول كوهين أن يطمئن الأمير عبد الله ويفهمه أن الوكالة لا تتركه وحده في هذه المعركة ، بل هي تسانده وتؤازره بكل ما تستطيع ، وهي ناجحة في هذا المجال نجاحا كبيرا ، وأن عليه الصمود أمام ضغوط لا وجود لها إلا في مخيلته ، وأن الأعيان ورؤساء العشائر يساندونه ويقفون معه ويباركون سياسته وأنهم جميعا يستفيدون منها .

وأكد كوهين أن الوضع الداخلي غير سيىء كما يظن الأمير وشرح له كيف تقوم الوكالة اليهودية بدعمه .

اليهود يطمئنون الأمير عبد الله عن وضعه الداخلي :

وقد كلمه كوهين في وضوح وصراحة :

قلت له إنه من غير الصحيح أنه يواجه ضغوطا عربية قاسية فهاشم خير وزير الآثار وسعيد المفتي وزير إدارة الألوية ، وعودة بك القسوس المدعي العام يوافقون على دخولنا شرقي الأردن ، وقد قابلتهم وعبروا لي عن موقفهم هذا . كما قلت له إنه من غير الصحيح أننا لا نقوم بأي عمل لمساعدته ، فقد عقدنا حفلة استقبال وتعارف في فندق الملك داود في نيسان 1933 حضرها زعماء شرقي الأردن والدكتور وايزمان .

كما ساعدنا مثقال باشا الفايز على عقد مؤتمره الاقتصادي في تموز 1933 . ومنحنا بعض شيوخ العشائر قروضا صغيرة على قدر إمكانياتنا . ودفعنا مبالغ أخرى لبعض الصحف مقابل اتخاذها موقفا إيجابيا مؤيدا للأمير »[1] .

أقسم بشرفي وشرف ملك العرب أنني لن أخون شعبي !

وحاول الأمير أن يلمح إلى عدم ضرورة تجديد اتفاقية تأجير أرضه لليهود ، وأنه ليس وراء هذه الأرض أية جدوى اقتصادية ، وأن تجديدها سوف يجر عليه الكثير من المتاعب السياسية والشعبية ، وكأنه أراد إلغاء الاتفاقية مع الاستمرار في أخذ قيمة الإيجار السنوية ، وفي تصور الأمير عبد الله أن هذا سيكون أحسن له ولليهود في نفس الوقت .

ولكن كوهين تكلم معه بحزم شديد وأكد له أهمية مثل هذه الاتفاقية لهم وله . وبين أنها ذات طابع سياسي وهذا ما يهمهم . وقال له في وضوح وصراحة :

ولكن ما هو الشيء الذي سيربطنا في المستقبل إذا قمنا اليوم بإلغاء الأوبتسيا التي قامت عليها علاقتنا ؟ فوقف الأمير وأمسك بيدي وحلف بشرفه وشرف والده المرحوم ملك العرب الحسين بن علي على أنه لن يخون شعبه أبدا . كما أقسم برب الأنبياء أن مصلحة شعبه تحتم عليه التفاهم معنا »[2] .

وهذا هو عبد الله ابن ملك العرب الحسين بن علي !! يقسم بشرفه

---

(1) ا .ص .م ملف س 6313/25 بالعبرية .

(2) المصدر السابق نفسه .

وشرف أبيه أن مصلحة شعبه في التعاون مع اليهود والتبعية لهم ، وتمكينهم من بلاده ، وتيسير الأمر عليهم حتى يكونوا قوة لا يقدر عليها أحد !!

وهو في إخلاصه لليهود ، وحديثه مع ممثل الوكالة اليهودية الخواجة كوهين في حالة من الوجد الصوفي والتأثر البالغ وكأنه بخدمته للصهيونية يقوم بواجب ديني مقدس أو كأنها رسالة عليه أن يؤديها خدمة للرب والشعب قبل أن يموت .

المعارضة تشتد وموعد تجديد الاتفاقية يقترب :

واشتدت المعارضة ونشطت القوى الوطنية لمجابهة مسألة تأجير أرض الأمير لليهود .

وقد شرح بهجت الصليبي لأهارون كوهين في تقرير كتبه الأخير عن الاجتماع الذي تم في السلط بين طاهر الجيفة وحسين الطراونة وعادل العظمة من زعماء حزب الاستقلال ، وبين بعض زعماء لواء عجلون مثل راشد الخزاعي وسليمان السويدي من ناحية أخرى . وكيف اتفقوا على معارضة الحكومة بصورة أكثر فاعلية ، ومحاولة تبيان مخاطر إدخال اليهود إلى شرقي الأردن .

وقد ذكر الصليبي الذي كان يحضر الاجتماع لأهارون كوهين أن عادل العظمة قد حمله رسائل إلى المفتي وعوني عبد الهادي وسليمان الفاروقي رئيس تحرير « الجامعة الإسلامية » في فلسطين .

وزادت مخاوف الأمير عبد الله من تجديد مثل هذه الاتفاقية ، وكان وقت تجديدها قد حان مع اقتراب بداية عام 1935 . وزادت ضغوط الوكالة اليهودية لتجديد هذا الاتفاق فله أكبر الأثر في إجهاض الحركة الوطنية في البلاد .

وفي تقرير لأهارون كوهين عن مقابلة تمت بينه وبين محمد الأنسي رئيس ديوان الأمير بتاريخ 1935/1/1 يقول كوهين :

« عبرت عن مخاوفنا من تردد الأمير في تجديد الأوبتسيا على غور الكبد . فقال م .ا « يقصد محمد الأنسي » إن السبب الوحيد في التأخير والتردد هو عزم حكومة إبراهيم هاشم على سن القانون الذي اقترحه عادل العظمة في حينه . طلبت إلى م . ا أن يحاول جهده إقناع الأمير بتجديد الاتفاقية لسنة أخرى مقابل دفع مبلغ إضافي من المال علاوة على ما دفعنا له حتى الآن . وقد وعد م . ا بالسعي في ذلك »[1] .

ويبدو أن الساحة الفلسطينية والشرق أردنية كانت حافلة بالذين يتعاونون مع اليهود ويحققون مصالحهم بشكل دءوب وبحثا عن السلطة والثروة دون النظر بعين الاعتبار إلى أمان قومية أو روح دينية تحكم التفكير والسلوك .

فبينما نجد أهارون كوهين يحاول إقناع الأمير عبد الله والأنسي بتجديد الاتفاقية ، وبينما نجد الأمير يتردد ، ويجري مفاوضات مع جهات أخرى كثيرة نحو تأجير هذه الأرض التي يتسابق الجميع عليها ، وهي لا تنتج شيئا له قيمة مالية أو اقتصادية إذا بنا نجد موسى شرتوك يرسل برسالة إليهم مع أهارون كوهين جاء فيها :

« لقد كنا أول من اهتم بأراضي غور الكبد التي بقيت مهملة حتى ذلك الحين ، والتي ارتفعت قيمتها بسبب اهتمامنا بها . والمجموعات العربية التي تتفاوض مع سمو الأمير حول استئجارها الآن تجري معنا في نفس الوقت مفاوضات لنقلها إلى اسمنا !! ومن الناحية الأخرى هناك سماسرة عرب ويهود يفكرون بشكل شخصي في الاهتمام بالأرض .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3485/25 بالعبرية . ويلاحظ هنا استخدام م . ا بدلا من اسم محمد الأنسي نظرا لأهميته كعميل له قيمته الكبرى عند الوكالة اليهودية .

إن دخول الأمير في مفاوضات مع هؤلاء وأولئك لا يليق بمقامه السامي !! وربما شكل أيضا خطرا سياسيا عليه إذا ما وصل الأمر إلى الصحافة في المستقبل .

وأفضل طريقة لتجنب ذلك هو تجديد الاتفاق الذي بيننا بشأن الأوبتسيا . لذلك أرجو أن تعمل كل ما في وسعك على تأجيل توقيع الاتفاقية مع المجموعة الأخرى في أسرع وقت ممكن »[1] .

وبالتأكيد فهناك الكثير من الشركات والمجموعات العربية غير محددة المعالم ولم يتضح بشأنها شيء كانت تجري اتصالات مع الأمير من أجل تأجير هذه الأراضي العجيبة .

وربما كان هناك من يدفع هذه الشركات من ناحية الوكالة اليهودية ، وهذه الأخيرة قد شكت في أن الخديو عباس حلمي وكان يزمع زيارة شرقي الأردن قد يكون وراء مثل هذه المفاوضات ، وقد سئل محمد الأنسي حول هذه الزيارة ، وماذا يمكن أن يكون في جعبتهم عندما يحل الخديوي السابق بساحتهم ، وقد أخبرهم محمد الأنسي أنهم ينوون أن يسألوه قرضا قيمته 20000 ليرة ، وأنه ليس هناك كلام على تأجير أراض أو شيء من هذا .

غير أن التفاصيل الوافية حول التطورات التي سبقت تجديد الاتفاقية والأطراف التي شاركت في التفاوض بشأنها موجودة ضمن التقرير الذي أعده أهارون كوهين بعنوان « قضية الأوبتسيا على غور الكبد في الفترة مابين 1/5 – 1935/2/5[2] .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3487/25 عن الترجمة العبرية .

(2) جذور الوصاية الأردنية د . سليمان بشير ، الزهراء للإعلام العربي ص 138 طبعة 1991 .

ونورد ملخصا للتقرير ، لأهمية المعلومات التي جاءت فيه :

التطورات الخاصة بتجديد اتفاقية تأجير الأرض .

. 1935/1/5

يقول السيد و . ج إن المحامي أنسطاسي حنانيا يقترح بأن توقع اتفاقية غور الكبد باسم مجموعة من السماسرة العرب على أن يتعهد هؤلاء بنقلها إلى اسم الوكالة اليهودية فيما بعد .

. 1935/1/7

بعد التشاور معنا أبلغ و . ح المحامي حنانيا بأن الوكالة لا ترضى أن تتم المفاوضات بينها وبين الأمير بصورة غير مباشرة وعن طريق السماسرة العرب حول غور الكبد .

. 1935/1/8

قمت أنا وشرتوك بزيارة الأمير الذي أبلغنا بأنه يود أن تتم المفاوضات حول تجديد الأوبتسيا عن طريق طرف ثالث وذلك للضغوط التي يتعرض لها من قبل الكولونيل كوكس والقوميين العرب .

. 1935/1/11

اتصل السيد ميشيل تلحمي أحد أغنياء بيت لحم بشرتوك وأخبره بأنه سيوقع اتفاقية استئجار غور الكبد مع الأمير ، وبأنه يود التفاوض معنا حول شروط نقل الاتفاقية إلى اسمنا فيما بعد .

. 1935/1/13

بطلب من موسى شرتوك ذهبت اليوم للتفاوض مع ميشيل تلحمي الذي قال إنه مستعد لنقل الاتفاقية إلى اسمنا مقابل 15 ألف ليرة .

1935/1/15 .

زارني تلحمي في مكتبي اليوم ووافق على تنزيل المبلغ إلى 7500 ليرة : منها 4000 ليرة للأمير و 3000 لمحمد الأنسي و 500 لشريكه حبيب بشارات . غير أني رفضت هذا الاقتراح .

1935/1/16 .

قابلت محمد الأنسي ولمته على التفاوض دون علمنا ، فقال إن المسألة سياسية وليست مالية . وإن الأمير لن يوقع معنا بشكل مباشر حتى لو دفعنا له 2000 ليرة سنويا بدلا من 500 ليرة ، وذلك بسبب ضغوط كوكس . وبعد ظهر ذلك اليوم زرت الأمير في قصره في الشونة وعرضت عليه أن يوقع الأوبتسيا لسنة أخرى مقابل 2000 ليرة ندفعها له رأسا . احتج الأمير بقوله إننا قد وعدناه في السابق بضمان موافقة الإنجليز على المشروع ، غير أننا لم نفعل ذلك وهو غير مستعد للتضحية بمصالح بلاده والصدام علنا مع الإنجليز لأنهم يعارضون دخولنا إلى شرقي الأردن .

1935/1/18 .

زار مشيل تلحمي يتسحاك بن تسفي في بيته وأطلعه على إيصالين موقعين من قبل محمد الأنسي كل واحد بمبلغ 500 ليرة ، ووصل ثالث بمبلغ 200 ليرة موقع من قبل مثقال الفايز .

1935/1/21 .

ذهبت إلى زيارة محمد الأنسي الذي أطلعني على مسودة الاتفاقية المقترحة بين الأمير والمجموعة العربية . وقد رأيت أن أحمد حلمي كان من بين الأسماء الواردة فيها .

1935/1/22 .

زار اليوم موسى شرتوك المندوب السامي البريطاني ، وأطلعه على

التطورات . وهذا الأخير كتب رسالة إلى كوكس يطلب فيها التأثير على الأمير بتأجيل التوقيع على الاتفاقية . كما أرسل شرتوك رسالة مماثلة إلى محمد الأنسي يحثه فيها على التأثير على الأمير بتأجيل التوقيع على الاتفاقية مع المجموعة العربية .

1935/1/23 .

زارني محمد الأنسي في المساء وأخبرني أن كوكس نقل إلى الأمير رسالة المندوب السامي وأنه « أي محمد الأنسي » قام بدوره بإطلاع الأمير على رسالة شرتوك له ، وأنهما نجحا بمساعدة إبراهيم هاشم رئيس الحكومة في إقناع الأمير أن يؤجل موعد التوقيع حت 1935/1/30 .

1935/1/24 .

أخبرني م . ح « محمد حمزة » أن اجتماعا عقد في مقر المجلس الإسلامي بشكل سري للبحث في قضية غور الكبد ، وشارك فيه كل من المفتي وأحمد حلمي وجمال الحسيني وصفوت يونس الحسيني .

1935/1/25 .

اقترح علينا محمد الأنسي أن نوقع على اتفاقية مع الأمير لمدة 4 سنوات مقابل 7000 ليرة .

1935/1/31 .

أخبرني محمد الأنسي أن المجموعة العربية زارت الأمير مرة أخرى بالأمس ، ولكنه طلب إليها أن تمهله يومين آخرين .

1935/2/1 .

التقيت بمحمد الأنسي واتفقنا على تفاصيل الاتفاقية الجديدة بيننا وبين الأمير مقابل 5300 ليرة منها 3500 للأمير و 1800 للأنسي .

1935/2/2 .

قابلني محمد الأنسي وقال لي إن الأمير يطلب ألا نطلع الإنجليز على الاتفاقية قبل توقيعها .

1935/2/3 .

وافق مجلس إدارة الوكالة اليهودية على الخطوات التي تم القيام بها حتى الآن . كما قرر أن يشارك الصندوق القومي اليهودي « كيرن كيمت » بثلث المصاريف . ومن الناحية الأخرى فقد استلمت من شركة تطوير أراضي فلسطين مبلغ 1000 ليرة وذهبت بعد ظهر نفس اليوم إلى الأمير في الشونة حيث سلمتها له وقبضت الوصل .

وفي المساء أخبرني محمد حمزة أن المفتي طلب إلى جمال الحسيني الاتصال بالخديو عباس حلمي والتحدث معه حول غور الكبد .

1935/2/5 .

زرت الأمير في الفندق الذي نزل فيه في القدس . وهناك تم التوقيع على اتفاقية الأوبتسيا الجديدة . وقد طلب إلي ألا نطلع الإنجليز على تفاصيلها ، كما تعهد محمد الأنسي بعدم إجراء أية مفاوضات في المستقبل مع أية جهة حول غور الكبد[1] .

وهكذا نرى كيف كان يتصرف سليل الأسرة الهاشمية كما يدعي ، وكيف جمع حوله لفيفا من الخونة والعملاء وطلاب المال ولايهم من أي طريق ، والعبث بقضايا العرب المصيرية ، والعمل الجاد المخلص من أجل تمكين أعداء البلاد من رقاب العباد في عبثية لم يوجد لها نظير ؛ واستهتار

---

(1) ا .ص .م ملف س 10122/25 بالعبرية .

ليس له مثيل . ويقبضون الأموال ويوقعون بأسمائهم على الايصالات ، فقد قطعوا الطريق إلى آخره وباعوا أنفسهم للشيطان بيعة كاملة لا رجوع فيها .

ونحن نبصر من خلال التقارير السالفة الذكر كيف تطورت السياسة الإنجليزية في المنطقة ، وكيف ساهمت أخيرا في تطويع الأمير عبد الله لليهود ، فقد بدأت تتضح معالم المستقبل القريب في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، فقد تشكلت كل أجهزة الدولة اليهودية و لم يبق غير الإعلان عنها ، وقد تم ذلك بعد سنوات قليلة جدا من ذلك التاريخ ، و لم تكن رحلة الألف الميل التي تبدأ بالميل الأول ، بل كانت رحلة ميل واحد بدأت بخطوات واسعة وئيدة واثقة أدت إلى نتيجة يدركها الساسة آنذاك جيدا .

وهذا هو الأمير عبد الله الذي صار ملكا بعد ذلك ، ثم صار قائدا عاما للجيوش العربية التي ذهبت للقتال ضد اليهود في فلسطين عام 1948!! وفي ظني أن لو كان جنرال يهودي قائدا للجيوش العربية المقاتلة في فلسطين في ذلك التاريخ لما استطاع الوصول إلى النتائج التي حققها سليل الهاشميين .

شكرا للسيد ا . ح . كوهين !!

وتنتهي قصة تأجير أرض الأمير عبد الله لليهود على النحو الذي كتبه موسى شرتوك في التقرير الذي رفعه موسى شرتوك إلى الوكالة اليهودية ، والذي تأرخ في يوم 1935/2/6 والذي يقول فيه :

« بالأمس تم التوقيع في القدس على اتفاقية جديدة للأوبتسيا لمدة 4 سنوات أخرى . وقد تم إعداد الاتفاقية كرديف للاتفاقية السابقة . وفيها تصديق لجميع الحقوق والواجبات المذكورة في هذه الأخيرة . بالإضافة إلى ذلك فقد أدخلت عليها كل الالتزامات عن طريق السلب « عدم منح

أويتسيا للغير وعدم التفاوض مع الغير » وكذلك مسألة الغرامة المالية في حالة عدم الوفاء بالالتزامات .

ويجدر شكر ا . ح . كوهين على معالجته الجادة والمخلصة لهذه القضية المعقدة »[1] وكانت مسألة تأجير أرض الأمير لليهود تعني دخول جيبه وجيب من معه بعض النقود بشكل دوري ، وكانت تعني أيضا دخول السياسة الصهيونية إلى أرض شرقي الأردن بشكل نهائي ، وأن يخيم اليأس على الذين يحاولون التخلص من قبضة الصهيونية الطاحنة في أرض فلسطين .

لم يكن تأجير أرض بل استئجار دولة !

وقضية تأجير أرض الأمير لليهود تكمن أهميتها في محتواها وفي دلالتها السياسية ، وليس في مسألة استغلال أرض أو تطويرها واستثمارها ، فقد قالت التقارير إنها أرض لا قيمة لها من الناحية الاقتصادية ، وليست لها من نتيجة مالية ترجى .

فقد كانت هذه المسألة التي شغلت الوكالة اليهودية تلك الفترة وأخذت منها ذلك الجهد مسألة سياسية تستدعي السيطرة على رجالات شرقي الأردن من خلال أكبر رأس فيها الذي وفد إلى هذه الديار على ظهر جمل ومعه بعض الأكياس من النقود الذهبية استلمها من قيادة الجيش البريطاني في القاهرة ليشتري ولاء العشائر ويدفع المنح والرشا لرؤسائهم ليتمكن من غرس جذوره في البلاد هو ومعه القوى الاستعمارية واليهود ، في بلاد لم تكن تعرف القيود والحدود وكانت كلها أرض الإسلام أيام الخلافة التي طعنها أبوه الشريف حسين ملك العرب طعنة نجلاء أصابتها في مقتل .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3512/25 .

كانت اتفاقية تأجير أراضي الأمير عبد الله للوكالة اليهودية ستارا يخفي تحته كل ما يمكن للأمير أن يفعله في خدمة اليهود ، من ضرب للحركة الوطنية ، ومن نشر روح اليأس والتخاذل بين الذين يريدون نجاة فلسطين من برائن الصهيونية ، وإطلاع اليهود عن الخطط العربية لمواجهة الخطر ، فهو عميل لا يقدر بثمن ، ورغم ذلك فقد شروه بثمن بخس دراهم معدودة إذا أخذنا في الاعتبار ما قدمه لهم . فقد شارك الأمير عبد الله في إقامة إسرائيل ، وقد يمكن لليهود أن يجدوا غيره إن لم يكن موجودا ، ولكن ليس بمثل هذه الكفاءة والقدرة والإخلاص ، والإيمان بقضية اليهود وأحقيتهم في الأرض وكفاءتهم في عمارتها حسب تصريحاته المختلفة في مجالسه الخاصة ، وأحيانا لبعض مندوبي الصحف . وقد أظهرت الوثائق الصهيونية دخيلة نفس الأمير وموقفه من العرب والمسلمين بما لايدع مجالا للشك أو التأويل والاجتهاد . فما ظهر من صحفه واضح المعالم قطعي الدلالة ، ينطق بما فعل . وقد تركت مسألة تأجير أرض الأمير لليهود بعض المشكلات المالية حول الجهة التي ينبغي عليها أن تقوم بالصرف ، هل هي الشركات الاقتصادية أم هي الدائرة السياسية ؟ وانتهى الأمر إلى تحديد الجهة لدفع الرشا إلى الأمير عبد الله ورئيس ديوانه محمد الأنسي ، فهي مسألة سياسية في المقام الأول ، ولا دخل لها بالأمور التي لها صلة بالاقتصاد والاستثمار .

ويقول الدكتور سليمان بشير :

« وواضح هنا أن العلاقة بين الدعم المالي الذي كانت الوكالة تقدمه للأمير وبين امتياز أراضي غور الكبد أصبحت علاقة شكلية مع مرور الوقت ، وتدريجيا أصبح واضحا أيضا لكل من الأمير والوكالة أن هذه الأخيرة ، تقوم عمليا بتمويل نشاط الأمير ، ذي الطابع السياسي البحت »[1] .

---

(1) جذور الوصاية الأردنية د . سليمان بشير ص 148 ، الزهراء للإعلام العربي 1991 .

اليهود يوافقون على كل مطالب الأمير عبد الله المالية :

وهناك رسالة بعث بها أهارون كوهين إلى موسى شرتوك في 1937/11/1 يقول له فيها :

« بالأمس أعلنت م . ا « محمد الأنسي » عن نيتنا في منح الأمير مبلغ 500 ليرة فقال إنه لا يستطيع الظهور أمام سيده بأقل من 1000 ليرة للأسباب الآتية :

ا - لقد صرف الأمير معاشه للأشهر القادمة « حتى شباط » على النشاطات السياسية .

ب - قريبا سيحل عيد الفطر حيث ستتم أكثرية تلك النشاطات ، وستكون أمسيات العيد مخصصة للاحتفالات واللقاءات السياسية .

جـ - يحتاج الأمير إلى 1000 ليرة لصرفها على الالتزامات الملحة : الصحافة والعملية السورية ومصاريف الحزب في عمان ، وعقد الاجتماعات في جميع مدن شرقي الأردن ، وتأسيس فروع مختلفة للحزب ...... إلخ .

واقترح أن تؤخذ احتياجاته الملحة بعين الاعتبار ، وأن نعطيه المبلغ المطلوب ، لكي لا يستطيع القول أو الادعاء في المستقبل بأننا لم نفعل كل ما نستطيع في هذه الفترة المليئة بالإمكانيات »[1] .

وكما هو واضح من الوثائق أن الأمير عبد الله يعمل لحساب الوكالة اليهودية وهو يشرح لهم طلباته واحتياجاته من أجل تنفيذ المهام الملقاة على عاتقه وأهارون كوهين يرى أن طلبات الأمير وجيهة ومقبولة وينبغي تنفيذها لدوره الهام والخطر . ويتضح أيضا من الوثائق دور محمد الأنسي الذي يعمل قوادا للأمير مع الوكالة اليهودية أو وسيطا إن أردنا أن نستخدم كلمة مهذبة

---

(1) ا .ص .م ملف س 3486/25 بالعبرية .

غير بذيئة لا تغني شيئا عن المعنى الحقيقي لطبيعة العلاقة بين الاثنين وبين الوكالة اليهودية .

رئيس الديوان يهدد بالاستقالة من عمله كخائن :

كان محمد الأنسي يقوم بالمساومة حول كل مبلغ تدفعه الوكالة له وللأمير ، وهو كثير اللجاج والمماراة .

وفي رسالة أهارون كوهين لشرتوك في 1938/3/1 يقول :

« اليوم حدث بيني وبين م . ا « محمد الأنسي » خلاف مثلما يحدث عادة عند كل عملية دفع للأموال ، في حين كنت قد وعدته بدفع المبلغ من بداية الشهر الحالي ، فقد أصرّ على ألا يكون ذلك أقل من الدفعة السابقة « 800 ليرة للأمير عبد الله و 150 ليرة له » . قلت له إن وضعنا المالي سيئ في الوقت الحاضر وعليه ألا يتوقع مثل ذلك المبلغ .

ومع ذلك فقد رفض استلام الدفعة التي عرضتها عليه اليوم . شعرت بأنه غاضب لأننا لم ندفع له 150 ليرة . وبأن حرصه على تأمين المبلغ الخاص بالأمير عبد الله لم يكن صادقا في ادعائه . وقلت له إن عليه إيصال المبلغ للأمير عبد الله وإبلاغه بأن ذلك هو المبلغ الذي يستطيع موشة شرتوك منحه إياه في هذه الفترة الصعبة « وإذا رفض الأمير فعليه إعادته لنا !! » .

وبالنسبة للمائة ليرة التي له فقد قلت له أن باستطاعته استلامها أو رفضها « !! » .

بدأ يشكو ويتذمر وقال :

أنا ممثلكم الوحيد في شرقي الأردن . وبالنسبة للمواطنين الشرق أردنيين فأنا هو ممثل الصهيونية « !! » لذلك فقد أطلق النار على بيتي مرة واثنتين

وثلاثا . وقد أقسم المفتي أن يقضي علي عندما اتضح له أنني حلقة الوصل بين الأمير عبد الله وبينكم . وقد تخلى عني أعز أصدقائي وأقاربي الذين ينظرون إلي الآن كخائن باع بيته للصهاينة بأبخس ثمن « !! » ولا تكفي الأموال التي أستلمها منكم لدفع البقشيش .

صحيح أن ارتباطكم هو مع الأمير عبد الله ، غير أنني أقوم بالعمل الأسود .

اضطررت بسببكم إلى استئجار بيت في القدس بمبلغ 150 ليرة سنويا لأن اجتماعي بكم في الفندق يشكل خطرا علي . وأنتم ترفضون دفع مصاريف البيت .

إذا كان لديكم شخص أفضل مني في شرقي الأردن فأخبروني لكي أتخلص من هذا الوضع الصعب . أما إذا أردتم أن أخدم قضيتكم فعليكم دفع المصاريف « !! » .

كان جوابي له طويلا .

ذكرته بأنه استلم منا في السنة الماضية فقط 600 ليرة . وإذا كان هناك من يجب عليه أن يحرص على إيفاء جميع احتياجاته فذلك هو الأمير عبد الله نفسه . وفي النهاية طلبت إليه أن يقبل مائة الليرة فرفض . ولم أجد بُدا من إعادتها إلى الصندوق .

وأظن أنني لم أخطئ في عملي هذا ، وبأنه سيعود إلى التصالح معنا ، وإلا فعلينا إبلاغ الأمير عبد الله عن المشاكل التي يسببها لنا الأنسي في الفترة الأخيرة .

أرفق بهذا وصلين : الأول من الأمير عبد الله عن المبلغ السابق « 800

ليرة »، والثاني مؤقت عن مبلغ الخمسمائة ليرة الأخيرة . أرجو اعتمادهما وإرسالهما إلى السيد زجاجي المحاسب »[1] .

بعض ما يتقاضاه الأمير ورئيس ديوانه من واقع الحسابات :

وقبل أن نتطرق بشيء من التعليق على هذه المعلومات الجسام نورد قائمة بالمبالغ التي تقاضاها كل من الأمير عبد الله ورئيس ديوانه محمد الأنسي من الوكالة اليهودية حسب ما جاء في دفاتر السيد زجاجي رئيس قسم المالية في الدائرة السياسية في يوم 1938/5/8 .

وكان قد بقي على إعلان دولة إسرائيل في فلسطين عشر سنوات .

والقائمة التالية تحدد المبالغ التي تم قبضها في الفترة من 1936-1938 وهي الفترة التي وصفتها الدائرة السياسية بأنها فترة خصبة مليئة بالإمكانيات ، وهي لحسابهم بطبيعة الحال .

القائمة الأولى : تحت عنوان :

« المبالغ التي استلمها الأمير عبد الله منا منذ سنة 1936 وحتى اليوم » :

1936/ 2/28	500	ليرة فلسطينية
1937/ 1/19	500	ليرة فلسطينية
1937/ 4/25	500	ليرة فلسطينية
1937/ 7/ 5	500	ليرة فلسطينية
1937/ 8/25	500	ليرة فلسطينية
1937/11/ 1	700	ليرة فلسطينية
1938/ 3/ 2	500	ليرة فلسطينية
المجمـــوع	3700	ليرة فلسطينية

(1) ا.ص.م ملف س 3491/25 بالعبرية .

والقائمة الثانية : تحت عنوان :

« المبالغ التي استلمها محمد الأنسي منا منذ سنة 1936 وحتى اليوم » .

1936/ 4/ 3	50	ليرة فلسطينية
1937/ 1/ 4	100	ليرة فلسطينية
1937/ 1/19	100	ليرة فلسطينية
1937/ 4/25	150	ليرة فلسطينية
1937/ 7/ 5	100	ليرة فلسطينية
1937/ 2/22	50	ليرة فلسطينية
1937/11/ 1	100	ليرة فلسطينية
1938/ 3/ 2	100	ليرة فلسطينية
1938/ 4/11	50	ليرة فلسطينية
المجمــوع	800	ليرة فلسطينية

والقائمتان محفوظتان في الأرشيف الصهيوني المركزي ملف س 3513/25 باللغة العبرية .

اليهود يضمنون الأمير لدى البنوك في ديون معدومة :

وهناك الكثير من المعاملات المالية مثل الاقتراض من البنوك حيث قامت الوكالة اليهودية بتقديم الضمانات للبنك وبالتعهد بتسديد المبالغ المقترضة في حالة عدم قيام الأمير عبد الله بدفعها ، وهي قروض تستكمل شكلها ثم لا يقوم الأمير بدفعها ولا تسددها الوكالة اليهودية أيضا فهي ديون معدومة ، والبنوك تابعة إلى الوكالة اليهودية أولا وأخيرا .

ومن أمثلة ذلك تلك الرسالة التي بعث بها قسم المالية في الوكالة

اليهودية إلى ر . هوبين مدير فرع بنك أنجلو – فلسطين في تل أبيب يوم 1934/3/18 والتي يضمن فيها الأمير عبد الله .

وتقول الرسالة :

« وفقا لإعلان السيد م . شرتوك عن موافقته على منح الأمير عبد الله قرضا بمبلغ 500 ليرة بكفالتنا ولمدة سنة واحدة . نؤكد لكم بهذا على التزامنا بدفع المبلغ المذكور إذا لم يف المدين بسداده .

كما نلفت انتباهكم إلى الطابع السري لهذا القرض ، ونرجو سعادتكم أن تأخذوا ذلك بعين الاعتبار في حالة معالجة صرفه »[1] .

وهناك الكمبيالات ثمن السيارة الفيات التي اشتراها الأمير ولم يسدد ثمنها . وأرسل وكيل الشركة في حيفا في 1936/6/30 برسالة إلى موسى شرتوك يعرض عليه شراء هذه الكمبيالات أو تسديد ثمنها :

« ألفت انتباهكم إلى أنه توجد لدينا ست كمبيالات موقعة بيد الأمير عبد الله نفسه . وتبلغ قيمة كل كمبيالة 8,30 ليرة فلسطينية استحق سداد مجموعها البالغ 52,98 ليرة في الفترة بين 1936/6/25-35/12/25 ، لقد وقّع الأمير على هذه الكمبيالات في حزيران من السنة الماضية مقابل شرائه سيارة فيات من وكالتنا . وحاليا ننوي القيام بخطوات قانونية أو عرض الكمبيالات للبيع « وفي السوق من يشتري مثلها » غير أن بعض الأصدقاء أشاروا علينا بالتوجه إلى حضرتكم قبل القيام بأي عمل . والسؤال إذا كنتم معنيين بهذه الكمبيالات »[2] .

---

(1) ا .ص .م ملف س 3486/25 بالعبرية .

(2) ا .ص .م ملف س 10122/25 بالعبرية .

وتم تسديد قيمة الكمبيالات للشركة بمعرفة الوكالة اليهودية . فقد كان الأمير عبد الله أهم شخصية عربية لدى اليهود في ذلك الوقت .

آخر مبلغ تقاضاه الملك عبد الله من اليهود قبل حرب فلسطين :

وفي تقارير ووثائق الأرشيف المركزي الصهيوني نجد آخر إشارة ظهرت حتى الآن عن تقاضي الأمير عبد الله أموالا ، وكان في تاريخها قد أصبح ملكا ، وربما تظهر وثائق أخرى بعد ذلك . ولكن تاريخها يرجع إلى أقل من عام واحد من حرب فلسطين عام 1948 .

وهي رسالة بعثت بها رئيسة الدائرة السياسية في ذلك الوقت السيدة جولدا مائير الشهيرة إلى الدائرة المالية يوم 1947/5/2 تقول فيها : « الرجاء دفع مبلغ 3200 ليرة للسيد ا . إلياهو ساسون على حساب ميزانية الدائرة السياسية – القسم العربي – شرقي الأردن »[1] .

والذي أرجحه أن هناك وثائق سوف تظهر وتدل على أن الملك عبد الله قد تقاضى من اليهود أموالا حتى يوم قتله على باب المسجد الأقصى .

الملك عبد الله أعطى اليهود كل شيء قبل إعلان دولتهم :

كانت هذه تصرفات الأمير عبد الله ورجاله وعمالتهم الصارخة مع اليهود من أجل تحقيق المصالح الدنيوية وجمع المال واقتناء السيارات التي كانت حدثا في تلك الأيام ، وإن أخذنا في الاعتبار حالة الغليان التي كانت تشمل الشعب المسلم في فلسطين آنذاك ، بدءا من ثورة عز الدين القسام الذي آثر الشهادة على الاستسلام . وانتهاء بالثورة الفلسطينية الكبرى وكأنها كانت رد فعل لاستشهاد القسام في عام 1935 ، واندلعت الثورة في عام

---

(1) ا .ص .م ملف س 9037/25 بالعبرية .

1936 ، وفشل اليهود والإنجليز في القضاء عليها وإخماد شرارتها ، ونجح الأمير عبد الله ورجاله في ذلك .

هذا يبين لنا أهمية الدور الذي لعبه الأمير عبد الله في تلك الفترة الحرجة من تاريخ فلسطين والعرب . وهو ما يؤكد لنا أن لو كان هناك آخر في مكان الأمير يتمتع بالحس القومي والديني لربما كان لتاريخ تلك المنطقة شأن آخر يختلف عما هو عليه الآن . فقد كان عنصرا فعالا ونشطا في خدمة المصالح الصهيونية والقضاء على الأماني القومية وإفساد كل الجهود الوطنية ، ومساعدة اليهود في التمكن من الأرض .

ولعل اليهود لم يفكروا بشكل جدي في ذلك الوقت في الاستيلاء على شرقي الأردن ، فقد كان الاستيلاء على فلسطين أمرا بالغ الصعوبة ، ولكنهم كانوا يفكرون في تفريغ فلسطين من سكانها العرب وترحيلهم إلى شرقي الأردن ، حتى تأتي جولة أخرى في وقت لاحق من الزمن .

وكان الأمير عبد الله ورجاله يفهمون هذا ويقدرون الخطط الصهيونية حق قدرها ، وكان غاية أمله أن يدخلوا تعديلا بسيطا في هذه الأفكار ، بأن تتم وحدة بين هذه الأقطار يكون له فيها سيادة اسمية بألقاب كبيرة ، ويكون الحكم والأمر والسيطرة لليهود ، وقد عرض عليهم ذلك في صراحة ووضوح ولكنهم كانت لهم أفكارهم الخاصة وخططهم التي يفهمونها ويعرفونها ، وليس فيها مكان للأمير عبد الله .

وكان مكان الأمير عبد الله في خطط اليهود هو القبر بعد حين من الزمن قضاء وقدرا أو على يد أحد المتحمسين الذين يدركون خيانته ، ولكن كان ينبغي الحفاظ عليه حتى تتمكن الدولة اليهودية في كيانها ويعلن عنها ، ويقوم عبد الله بن الحسين بدوره فيها ثم يذهب بعد ذلك إلى الشيطان . وقد كان !!

الملك عبد الله القائد العام للجيوش العربية فى حرب فلسطين ١٩٤٨



الفصل السابع

الملك عبد الله القائد العام
للجيوش العربية في حرب فلسطين 1948
الحلم الهاشمي في مشكلة فلسطين

اليهود في فلسطين :

كان اليهود يسعون دائبين إلى إقامة وطن قومي لهم في أي مكان من العالم ، ثم تبلورت هذه الفكرة إلى إقامته في أرض فلسطين بعد دراسات عميقة دينية وسياسية قام بها علماء من اليهود ، وذلك لجذب يهود العالم إلى مكان لهم فيه ذكريات دينية وارتباطات وجدانية قديمة .

ورتبت الخطط وأقيمت المنشآت والبنوك لترتيب هذه الهجرة اليهودية من جميع أنحاء العالم . وكانت قد بدأت بطيئة ثم اشتدت مع صدور وعد بلفور عام 1917 بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد بلغت هذه الهجرة أوجها عندما أمسك هتلر بزمام الحكم في ألمانيا عام 1933 ، وكان واضحا من سياسته وسياسة حزبه أنه يريد أن يقيم إمبراطورية آرية ليس للأجناس الأخرى مكان لهم فيها ، غير أن يكونوا خدما وعبيدا للآريين .

وكان هتلر يرى أن اليهود هم سبب شقاء العالم وما يمر به من أزمات وكوارث ، ويعتقد أنهم وراء الحروب التي نشبت في المائة سنة التي سبقت حكمه ، ويؤكد أنهم وراء الانحلال والفساد وأماكن اللهو في أي مكان من الدنيا . وأنهم يريدون أن يقوضوا الحضارة الإنسانية من خلال المبادىء

الهدامة التي يلقون بها بين الحين والآخر في مجالات السياسة والعلوم الاجتماعية .

وأخذت عداوته لهم نزعة صوفية عميقة ، وبدت وكأنها رسالة دينية ، وقد عبَّر عنها في كتابه « كفاحي » وفي خطبه الملتهبة التي كان يخرج بها على الجماهير بين يوم وآخر .

كل هذا جعل الهروب من ألمانيا ومن أوروبا مطمحا لكل يهودي . وبدأت أعداد الهجرة تزداد بشكل كبير إلى فلسطين بوجه خاص ، وإلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث كانت مهجرا لليهود من أصحاب الملايين .

وكانت المشاكل العربية والإسلامية في الربع الأول من القرن العشرين على درجة من التركيب والتعقيد تجعل الاهتمام بمثل هذه القضية الخطرة اهتماما عاطفيا لا يدعمه شيء من العلم أو العمل الواعي المتمثل في وضع خطط محكمة لمواجهة هذا الغزو الجديد .

فالخلافة العثمانية تتهاوى ، والعرب مشغولون بمقولة ألقيت إليهم من أوروبا عبر التاريخ والجغرافيا متأخرة عليهم قرنا من الزمن هي القومية ، وهي كما يقول جلوب باشا إن هذا أسوأ ما أخذه العرب من أوروبا . واهتموا بها عن مشاكلهم الحقيقية ، وربما كانت سببا للكثير من كوارثهم الحاضرة .

ولم تكن لهم القدرة على مواجهة المنظمات اليهودية التي تعمل من أجل الوطن القومي اليهودي . ولم يكن يقدر لذلك الوطن القومي اليهودي أن يقوم ككيان في 15 مايوم 1948 لولا وجود مثل الملك عبد الله بن الحسين وجد الحسين في مقعد الحكم في دولة شرقي الأردن ما يقرب من عشرين

عاما . والظن أن لو كان في هذا المكان شخصية وطنية أو دينية لاختلفت الظروف ولتغيرت النتائج ، فالأشخاص صالحين كانوا أم طالحين يدفعون عجلة التاريخ الضخمة ويؤثرون على الأحداث .

وكان تأثير الملك عبد الله والأسرة الهاشمية عظيما في وجود دولة إسرائيل . فهو قد أجهض الحركة الوطنية والدينية في فلسطين وشرق الأردن وأجاز التعامل مع اليهود وأخذ منهم الرشوة وشجع المواطنين العاديين على بيع الأراضي والمعلومات إلى اليهود .

وهو الذي وقف بالعشائر والقوات الإنجليزية سدا منيعا دون دخول قوات الملك عبد العزيز آل سعود إلى العراق والشام ، ولو دخلت هذه القوات إلى تلك الأقاليم لتغير تاريخ العرب بالتأكيد .

لقد جعل التسليم لليهود في إدارة البلاد ضربا من الحكمة وبعد النظر ، وكان في رأسه مشروع خيالي يستهدف وحدة بين فلسطين وشرقي الأردن على أن تكون هناك حكومة يهودية في فلسطين ، وأخرى شرقي أردنية ، وهما تحت رئاسته وحكمه ، مثل الإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي أيام الجمهورية العربية المتحدة في حكم عبد الناصر .

وهو يغري اليهود بذلك المشروع ، ويوهمهم أنه يمكن جر سوريا في مثل هذه الوحدة ، ويؤكد لهم أنهم الحاكمون بأموالهم وقدرتهم الاقتصادية والفنية الفائقة .

ولم يكن اليهود بمثل هذه السذاجة حتى يقبلوا عرضا خياليا مثل هذا من معتوه انتهازي يبحث عن مال ومجد بأي ثمن وتحت أية ظروف .

وكان يتصرف معهم كسياسي حكيم يعرف أسرار الأمة العربية ويدرك مداخلها ، ومن أين تؤتى ، وكانوا يتصرفون معه كعميل يتقاضى منهم أجر

عمالته ، ولكنه عميل في درجة رفيعة ، فهو يحمل لقب صاحب الجلالة . فهم لم يكن في خاطرهم ونظرهم غير صاحب الجلالة العميل !

وجمع عبد الله بن الحسين عددا من الشخصيات الفلسطينية فأوعى ، وعرض عليهم فكرته ، تقوم الوحدة بين فلسطين وشرقي الأردن على أربعة مبادئ :

1 - أن تكون الدولتان تحت حكم الأمير عبد الله .

2 - أن يعترف العرب بالانتداب وبحقوق اليهود المتضمنة فيه .

3 - أن تحافظ الدولتان كل على وضعها السياسي الخاص ، وتكون كل واحدة محكومة من قبل مجلس تشريعي . ورئيس حكومة خاص . وأن يعمل رئيس حكومتيهما بإمرة الأمير وبالاتصال المباشر معه .

4 - أن يتم التوصل إلى اتفاق يهودي عربي حول قضايا الهجرة وبيع الأراضي .

اتفاق في صالح اليهود بطبيعة الحال !!

وصفّق المجتمعون الفلسطينيون ، وكان ذلك في اجتماعه بهم في القدس ، وصاروا يتهامسون عن حكمته وبعد نظره ، ويمطرونه بابتسامات الاستحسان .

وقد أرسل الأمير عبد الله رئيس ديوانه محمد الأنسي ليستمزج رأي اليهود وطلب موافقتهم على مثل هذا المشروع .

وصار محمد الأنسي يغري أهارون كوهين بإقناع الوكالة بالموافقة على هذا المشروع ويقول له :

« إن هذا المشروع في صالحنا لأنه سيفتح شرقي الأردن أمام نشاطنا وسيزيل الوهم الذي يسيطر على العرب حول نوايا اليهود . كما أن سوريا من الممكن أن تنضم في المستقبل إلى مثل هذه الوحدة الأمر الذي سيوسع في مجالات النشاط الصهيوني شمالا وشرقا »[1] .

هذا كلام رئيس ديوان الأمير عبد الله !! يقول إن هذا في صالحنا !! فهو يدمج المصلحة اليهودية مع مصلحة العرش الأردني . أو هو يريد تحقيق مصلحة العرش الأردني من خلال الخدمة اليهودية المطلقة ، وهذا مرفوض من اليهود ، فهم لا يقبلون منهم غير الخدمة ، وتنفيذ ما يريدون منهم دون زيادة أو نقصان .

ملاحظات وثائقية حول صلة الهاشميين باليهود .

• في 1932/3/8 وجه عبود نجار سكرتير الأمير عبد الله الرسالة التالية إلى أرلوزوروف رئيس الوكالة اليهودية :

« رفعت لأعتاب سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي الأمير المعظم ما احتواه الكتاب الذي وجهتموه إلي . وإني – بعد أن استوثقت من رغبته السنية – أفيد أنه لمما يسر سموه المعظم أيده الله أن يستقبل الدكتور أرلوزوروف ومن معه في الساعة التاسعة من يوم الاثنين الواقع في 14 آذار سنة 1932 في قصر رغدان العالي »[2] .

• في التقرير الذي كتبه أهرون كوهين بعنوان « معلومات الدائرة العربية ليوم 1933/11/16 » ؛ التي استقاها من مخبر سري باسم « ابن عمران » . يقول التقرير :

---

(1) ا . ص . م ملف س 3485/25 بالعبرية .

(2) ا . ص . م ملف س 3489/25 .

« في الجلسة المغلقة التي عقدها الحسينيون وأتباعهم هذا الأسبوع تم بحث عدة قضايا ، ثم قدّم جمال الحسيني تقريرا عن اللقاء الذي تم مع الأمير في الأسبوع الماضي ، ونبّه إلى أن شهية الأمير في اللعب بقضية فلسطين من أجل التوصل إلى حكمها كبيرة ، غير أن الحركة لن تسمح بهذا الترتيب لأن الأمير معروف كموظف لدى الإنجليز »[1] .

• يوم 1934/1/21 بعث الأمير عبد الله إلى موسى شرتوك بالرسالة التالية :

« تقبلت بسرور تهانيك القلبية بعيد الفطر المبارك ، وقدرت مشاعرك السامية وتمنياتك القلبية لي . لذا فإني أعبر لك عن شكري وامتناني وأتمنى لك حياة طيبة وسعيدة »[2] .

• قبل سفر الأمير عبد الله إلى لندن من أجل بحث قضية فلسطين مع وزارة المستعمرات البريطانية كتب أهارون كوهين تقريرا عقب اجتماعه بمحمد الأنسي رئيس الديوان يوم 1934/3/5 .

يقول التقرير :

« « عقب محادثة الأمير مع شرتوك دعا الأمير عبد الله زعماء الفئات العربية في فلسطين لزيارته يهدف سماع آرائهم حول التحضير لإمكانية التفاهم والاتفاق مع اليهود ، وقد دعي لأول مرة لمثل هذه المشاورات بعض « الحسينيين » مثل الحاج أمين الحسيني وجمال الحسيني والشيخ مظفر ومحمود الدجاني . كما انضم إليهم كل من إحسان الجابري عضو اللجنة

---

(1) المصدر السابق ملف س 3542/25 بالعبرية .
(2) المصدر السابق ملف س 3501/25 .

السورية – الفلسطينية في جنيف ، وأخيه سعد الله الجابري . وقد حدثهم الأمير عن المسئولية التي ألقاها القدر على عاتقه في تحمل أعباء قضية الحركة العربية والبحث عن حل لها لآنه آخر الهاشميين القريبين منها . كما أخبرهم بأنه ينوي السفر إلى لندن في محاولة لإيجاد حل للقضية الفلسطينية بين اليهود والعرب .

وخلال حديثه عن اليهود أضاف الأمير أنه يجب عدم تجاهل كون وضعهم اليوم يختلف عما كانوا عليه قبل 10-15 سنة ، وأنهم وضعوا أقدامهم في فلسطين على جميع المستويات بحيث يتحتم النظر إلى مطالبهم بشكل جدي .

وعندما أشار الحاج أمين إلى أن مطالب العرب هي إلغاء الانتداب ووعد بلفور ، قال له الأمير : إن اللجنة العربية العليا عندما فوضت الملك فيصل بتمثيلها في لندن في حينه طلبت إليه أن يبحث في قضية الهجرة وبيع الأراضي فقط . مما يعني أنها قبلت ضمنا بالانتداب وبوعد بلفور .

عندها سأل الحاج أمين عن المقترحات التي يراها الأمير مناسبة لحل القضية وأجابه الأمير بغضب :

– أنا غير مستعد لتقديم أية مقترحات لكم . لقد دعوتكم لسماع آرائكم وليس لكي أسمعكم آرائي . وإذا لم يكن لديكم أي حل للمشكلة التي أنتم واقعون فيها فلا يحق لكم التحدث باسم الشعب العربي . أنت يا حاج غير قادر على السيطرة على صحيفة عربية واحدة في بلدك . فكيف تطالب بالاعتراف بك ممثلا عن الشعب العربي ؟ وصرفهم الأمير من حضرته .

وفي اليوم التالي دعا إليه زعماء المعارضة : راغب النشاشيبي « القدس »

وعاصم سعيد « يافا » وسليمان عبد الرازق طوقان « نابلس » وعبد الرحمن الحاج « الرملة » . وهؤلاء عبروا كلهم عن ولائهم المطلق ، وأبدوا استعدادهم لدعمه ماديا ومعنويا ، وقالوا إنهم مستعدون لإرسال مندوب عنهم معه إلى لندن وأن يقوموا بتغطية نفقات سفره ، وأضاف راغب النشاشيبي :

- إن قضية الاتفاق والتفاهم مع اليهود هي قضية ملحة .

وبالنسبة لفخري النشاشيبي فمن الممكن أن يسبق الأمير إلى لندن وأن ينضم إليه هناك .

ويرجو الأمير أن تقوم الوكالة بإرسال مندوب عنها أيضا يكون على اتصال به في لندن . كما يطلب الأمير الالتقاء بالدكتور وايزمان هناك ، ويقترح إعلام المندوب السامي بذلك اعتقادا منه أن هذا الأخير لن يعارض الفكرة .

وفي الوقت نفسه قد أصدر الأمير أوامره إلى رئيس حكومته بمقابلة السيد شرتوك والتحدث معه حول شرقي الأردن .

ويقول م .ا « محمد الأنسي » أننا سنستلم في القريب خبرا حول مكان وموعد هذا القاء[1] .

• وفي زيارة قام بها موسى شرتوك وصحبه أهارون كوهين في 1934/4/24 حيث التقيا بالأمير عبد الله في عمان لتبادل الآراء يقول شرتوك في التقرير :

---

(1) المصدر السابق ملف س 3486/25 .

« ..... وكان الشيخ فؤاد الخطيب والشيخ محمد بك المحيسن في استقبالنا في مدخل القصر . ثم دخل الأمير وبدأ الحديث .

وبالنسبة لليهود فقد أقرّ بأهميتهم وطلب إلينا أن نكون على ثقة بأن كل ما سنقول أو نفعل سيهدف إلى خدمة المصالح ، ليس العربية فقط بل واليهودية أيضا .

أما عن الساسة العرب في فلسطين فقد تحدث الأمير بغضب ساخر . ومن الواضح أنه لا يقدرهم وينظر إليهم كمن يحسنون حبك المؤامرات التي لا أهمية لها سياسيا .

كما يعتقد أنه من باب السخرية المؤلمة أن يتهمه هؤلاء بارتكاب الأخطاء بحق القومية العربية . وقد تساءل : ألم يدرك هؤلاء بعد أن لا حيلة لهم أو له في تصريف الأمور ، وأن الأمر يعود للغرباء الذين جاءوا لاستغلال البلاد والعيش برفاهية على حسابها ؟

وهنا قمت بتذكير الأمير أن من واجبنا كسياسيين واقعيين أن نواجه الحقائق وأن نعترف بالمصالح البريطانية في هذا الجزء من العالم ، وأنه لا فائدة ترجى من تجاهل هذا العامل الهام ، بل يجب القيام بمجهود للتوفيق بين مصالح بريطانيا في الشرق وبين مصالح اليهود والعرب على حد سواء »[1] .

• وفي رسالة بعث بها موسى شرتوك إلى الصهيوني البريطاني البروفسور بروسي في يوم 1934/6/7 يقول :

---

(1) المصدر السابق ملف س 3515/25 بالإنجليزية .

« وهنا في نظري يكمن سبب الضجة التي يحاول الأمير إثارتها حول زيارته إلى لندن . وذلك عن طريق استقبال الوفود من فلسطين والسعي لتنظيم حفلات الاستقبال على شرفه في مدن فلسطين قبل مغادرته إلى لندن ، واستعراض قوته المعنوية بهذا الشكل يعتبر من جانبه ليس أمرا مجديا من أجل أهدافه البعيدة المدى فحسب بل ومن أجل زيادة قدرته على التفاوض فيما يخص الأهداف الآتية أيضا . ومن خلال اتصالاتنا قد استطعنا الوقوف على الموقف الذي يفكر الأمير بأن علينا اتخاذه تجاه خطته في إعادة توحيد شطري فلسطين ، ويقال إن الأمير قد قال في أكثر من مناسبة : لو كان اليهود أذكياء بما فيه الكفاية لكانوا اكتشفوا مدى الازدهار الذي يسببه لهم وجودهم تحت هذا النوع من الحكم . إذ إن خطورة الدولة والسيطرة اليهوديتين تختفي عندها كليا من الذهن العربي ، وستتم إزالة العقبات التي تقف أمام تقدم الهجرة والاستيطان اليهوديين .

وما على اليهود في النهاية سوى الاهتمام بجوهر السلطة وليس شكلها .

وما من شك أن مغازلته لنا حول قضية إيجاد الأراضي وقضايا أخرى تعني أنه يعبث بفكرة جر اليهود مستقبلا إلى القبول بهذا النوع من الحل الذي يفكر فيه »[1] .

● بعد عودة الأمير من لندن ورفض وزارة المستعمرات البريطانية لأسباب استراتيجية ادعوها حاول أن يخفي هذه النتيجة التي وصل إليها ، وحاول الضغط أكثر على رجال الحركة الوطنية الفلسطينية لقبول أفكاره وتوجيهاته واتباعه فيما يراه وينادي به .

---

(1) المصدر السابق ملف س 3315/25 ص 3 ، 4 بالإنجليزية .

وفي تقرير لأهارون كوهين أن محمد الأنسي رئيس الديوان قد قابله ليطلع الوكالة على نتائج رحلة الأمير إلى لندن وفي استشارتنا حول البيان الذي ينوي التوجه به إلى عرب فلسطين ، وبيان الأمير يرتكز على ثلاث نقاط :

1 – لقد شعر الأمير بالأسف لاكتشافه بأن معرفة الرأي العام البريطاني بالقضية الفلسطينية محدودة ، ولا تتعدى بعض موظفي وزارة المستعمرات ، بينما الدعاية الصهيونية نشطة للغاية .

2 – تبقى شرقي الأردن خارج إطار الانتداب ووعد بلفور .

3 – وهو الأهم : « لقد أخطأ العرب دائما بكونهم نسبوا إلى الإنجليز نوايا غير سليمة ، وانتهجوا سياسة سلبية تجاههم . الإنجليز شعب مستقيم ومنفتح ، ولو أن قادة الحركة العربية انتهجوا سياسة حكيمة ولم يكتفوا بالمظاهرات والاحتجاجات لكان باستطاعتهم الحصول على الكثير من الأمور التي هي لمصلحة العرب . لذلك يقترح الأمير تغيير هذا الخط وتعيين ممثلين عن كل دولة عربية في لندن لشرح قضايا بلدانهم الشائكة لأبناء الشعب الإنجليزي الذين هم أصحاب السيطرة العليا على القضايا التي تقر في الدوائر الرسمية »[1] .

• حاول الأمير أن يظهر لسلطات الانتداب أنه يمثل كل طوائف فلسطين وشرقي الأردن من عرب ويهود وغيرهم كضغط من جانبه لإقناعهم بخطته في توحيد ضفتي النهر تحت حكمه .

وفي لقاء بين أهارون كوهين ومحمد الأنسي ، أعرب الأنسي عن تذمر

---

(1) المصدر السابق ملف س 3051/25 بالعبرية .

الأمير « من كون الوكالة اليهودية لم ترسل وفدًا إلى عمان لتهنئته بمناسبة عودته من إنجلترا ، لقد أرسلت جميع طوائف البلاد وفودها ولم يكن مكان في رأيه لغياب الوفد اليهودي »[1] .

• عند إعلان الإضراب العام في فلسطين مع بداية عام 1936 وانفجار الثورة في صيف ذلك العام كان الأمير عبد الله يتحرك بتوجيه مباشر من سلطات الانتداب البريطانية وكذلك الوكالة اليهودية .

وفي يوم 1936/4/3 وقبل اجتماع الأمير مع اللجنة العربية العليا بيوم واحد أرسل له موسى شرتوك رسالة يطلب منه أن يأخذ في اعتباره النقاط التالية أثناء اجتماعه مع الوفد وهي :

1 – أن الإضراب لن يفيد العرب فبريطانيا لن ترضخ لضغوط الإضراب بسبب حرصها على كرامتها وخوفها من الضجة التي سيحدثها ذلك لدى يهود العالم .

2 – كون الإضراب سيفقد العرب مواقعهم الاقتصادية في فلسطين .

3 – كون الزعماء العرب واقعين تحت تأثير الشباب الأرعن وجماهير الشارع »[2] .

معلومات من مصادر سرية :

وهذا عنوان تقرر في وثيقة من وثائق الأرشيف المركزي الصهيوني حول الاجتماع الذي تم بين الأمير عبد الله ووفد اللجنة العليا يوم 1936/5/1 ، وتدل تلك المعلومات على أن الأمير قد نفذ توجيهات موسى شرتوك .

---

(1) نفس المصدر السابق .

(2) نفس المصدر السابق ملف س 3243/25 .

ويقول التقرير في معرض حديث الأمير مع الوفد :

« إنه يقدر وضع العرب غير أنه على يقين بأن مصلحتهم في فلسطين وفي البلدان العربية تقتضي المحافظة على صداقتهم مع بريطانيا التي لا تتنافى مصالحها في الشرق مع المصالح العربية .

وأضاف الأمير عبد الله :

لم نثر أنا وأخي وأبي على الأتراك إلا من أجل تحرير البلدان العربية (!!) وأنا مستعد اليوم كوارث للثورة العربية للتعاون معكم من أجل خدمة قضيتكم . وسأقوم باستعمال جميع الوسائل التي ترضيكم وترضي بريطانيا . غير أني أرجو أن تكون مطالبكم معتدلة ، وأن تتجنبوا القيام بأية خطوة من شأنها الإخلال بالنظام »[1] .

وهكذا نرى الأمير عبد الله الذي قام بالثورة هو وأبوه وأخوه من أجل تحرير البلدان العربية من الأتراك يحاول إحكام القيد اليهودي والإنجليزي على هذه البلدان ، وهو في أحسن حالاته حسب ما جاء في التقرير وارث للثورة العربية وليس طرفا ، ويعرض وساطته بين الحركة الوطنية وبين الإنجليز واليهود . ويقرر أنه لا يوجد تعارض في المصالح بين هذه الأطراف ، ويؤكد أن مصلحتهم واحدة . وإذا ادعى أحد أن مصلحة القوي والضعيف في شيء واحد ، فإن اليقين يشير لنا أن مصلحة القوى هي الغالبة ، وعلى الضعيف أن يزعم أن ما تحقق يتفق مع مصلحته .

---

(1) الدكتور سليمان بشير مصدر سابق ص 176 .

وهذا ما يريده الأمير عبد الله من الحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي ومن معهم ، فهو يريدهم أن يزدردوا الحجارة ويتجشئوا ارتياحا وغبطة ! وهو يحدد دوره في وضوح ، وسيط لا يعنيه الأمر ، فهو يطلب منهم أن يكتبوا مطالبهم ، على أن تكون معقولة ، وهو يقوم بإرسالها إلى المندوب السامي لتأخذ طريقها إلى لندن ، وبطبيعة الحال مع توصياته التي لها كل اعتبار لدى الإنجليز كما يدعي ، ولكن عليهم أن يبقوا الأمر سرا[1] .

معلومات الدائرة العربية :

يقول إلياهو سانسون في تقريره المؤرخ في 1936/5/11 ما يلي :

كتب مندوب الوكالة في عمان يقول :

1 – تمت في عمان إقامة جميعة سرية تهدف إلى إثارة العدو لمهاجمة يهود فلسطين . وهذه الجمعية التي تدعمها اللجنة العربية العليا تمنح كل بدوي يوافق على السفر إلى فلسطين ثلاثة جنيهات وأكل ومسكن . وبعد أن علم جلوب باشا رئيس قوات الصحراء بذلك جمع رؤساء العشائر ووزع على كل واحد منهم ومن رجالهم خمس ليرات وثمارا وعباءة ، وحذرهم من أن الطائرات البريطانية ستقصفهم في الطريق إذا ما سافروا إلى فلسطين . كما أكد لهم أن الوضع هادئ هناك . وطلب منهم عدم تصديق الأخبار المبالغ فيها والتي يوردها الصحفيون والمحرضون .

2 – تقوم اللجنة العربية العليا يوميا بإرسال الرسائل إلى رؤساء العشائر وزعامة المعارضة الوطنية تحثهم فيها على تنظيم المظاهرات الاحتجاجية وإضرابات التضامن في شرقي الأردن ، وكذلك جمع التبرعات لذوي الحاجة من المتضررين .

---

(1) ا . ص . م ملف س 3243/25 .

وقد أعلن الأمير أنه لن يسمح بتنظيم المظاهرات والاضطرابات ، وأنه سيقمع بالقوة أية محاولة للإخلال بالنظام . غير أنه لن يعارض في جمع التبرعات . كما طلب الأمير إلى بيك باشا وجلوب مساعدة رئيس الحكومة في المحافظة على الأمن في شرقي الأردن .

3 – بدعوة من زعماء الاستقلال قام يوم الأحد الماضي بعض شيوخ العشائر بزيارة عمان بهدف البحث عن الوسائل التي سيتخذها سكان شرقي الأردن في حالة قيام حكومة الانتداب في فلسطين باعتقال قادة العرب هناك عند تنفيذهم لقرار عدم دفع الضرائب ، وقد حذرت الحكومة « الشرق الأردنية » الاستقلاليين من أنها لن تسمح بإجراء مناورات من هذا النوع دون حضور بعض أعضائها . كما طلبت الحكومة إلى بيك باشا دعوة رؤساء العشائر وإقناعهم بضرورة المحافظة على الهدوء »[1] .

الوسيط المحايد النزيه بين العرب واليهود !

وفي تقرير كتبه أهارون كوهين عن لقائه بمحمد الأنسي يوم 1936/5/18 بيّن كوهين طلبات الأنسي المالية باسم الأمير لمواجهة المتطلبات اللازمة للخدمة السياسية .

ويقول كوهين :

« ثم انتقل م . ا « محمد الأنسي » إلى المسألة الأمنية ، وتحدث عن نشاط زعماء الاستقلال في تحريض العشائر البدوية للذهاب إلى فلسطين من أجل الانتقام من اليهود والحكومة الانتدابية ، وقد أدى ذلك إلى إخراج الممثل البريطاني في عمان . فكتب إلى المندوب السامي في القدس مشيرا

---

(1) ا . ص . م ملف س 3252/25 بالعبرية .

إلى ضرورة إيقاف الهجرة اليهودية لفترة معلومة حتى تهدأ ثائرة العرب . أما ا . ع « الأمير عبد الله » فعلى الرغم من تجربته الواسعة في هذه الأمور فإنه قلق جدا من الوضع لذلك فهو يقوم بتتبع خطوات عادل العظمة الذي أخذ على عاتقه مهمة تحريض العشائر .

وقبل فترة قصيرة فقط دعا عادل بعض الشيوخ إلى اجتماع سري في عمان ، وحرَّضهم ضد اليهود . ويقول م . ا : إن ا . ع دعا هؤلاء على الفور وحذرهم من الانضمام إلى الأعمال العدوانية العربية في فلسطين قائلا إن على شرقي الأردن البقاء محايدا لكي يستطيع القيام في المستقبل بدور الوسيط النزيه بين الشعبين المتخاصمين في فلسطين .

ويطلب ا .ع دعمنا المالي مقابل هذه النشاطات . ويقول إن العجز المالي في شرقي الأردن سيصل ذروته نتيجة للقحط الذي أصاب البلاد هذه السنة .

وأقترح أن نمنح ا . ع مبلغ خمسمائة ليرة فلسطينية من أجل تغطية مصاريفه . لأن أخبار الصحافة العربية والمعلومات السرية التي تصلنا تؤكد على الجو العدواني العاصف ضدنا في شرقي الأردن . لذلك فمن الضروري عمل كل ما في وسعنا لإيقاف مدّ هذا الخطر »[1] .

الأمير عبد الله يدعي الوساطة النزيهة بين شعبه وبين غاصبيه كما فعل حفيده الحسين بن طلال بعد ذلك بنصف قرن في قصة غزو العراق للكويت . ووساطة الأمير ناعمة كجلد الأفعى ، عظيمة الأثر كضربة السيف ، فهو يريد أن يضرب الحركة الوطنية في مقتل ، وأن يوقع العداوة والبغضاء بينهم .

---

(1) المصدر السابق ملف 25 س /3252 بالعبرية .

وهو يدعوهم لفك هذا الإضراب لأنه يشكل ضررا أكيدا على مصالحهم . وهو يصرح لهم بأن استمرار هذا الوضع قد يفقدهم السيطرة على الأمور .

ولكن الأمير لا ينسى أن يكتب التقارير للوكالة اليهودية أو أن يرسل لهم من يخبرهم بما حدث فهذا واجبه حيالهم .

والتقى محمد الأنسي بأهارون كوهين في 1936/5/18 وكتب الأخير تقريرا إلى الوكالة بما حدث .

ويقول كوهين في تقريره :

« ينقل م . ا « محمد الأنسي » إلينا الأمور التالية باسم ا .ع « الأمير عبد الله » : اقترح المندوب السامي على اللجنة العربية العليا في الأسبوع الماضي فك الإضراب مقابل تعهده بإيقاف الهجرة اليهودية طيلة فترة سفر الوفد العربي إلى لندن وعودته . وقد رفضت اللجنة العربية هذا الاقتراح ، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين المندوب السامي وأعضاء الوفد .

وقد أرسلت بعض الدوائر الإنجليزية الرسمية شكوى إلى الأمير عبد الله بهذا الخصوص . وهذا الأخير أرسل كتابا شديد اللهجة إلى الحاج أمين منددا بموقف اللجنة العليا ، الأمر الذي أدى إلى وقوع انشقاق داخل صفوف الزعماء من الفلسطينيين .

ويقول محمد الأنسي إن نصف الأعضاء لم يحضروا الجلسة التي كان مقررا أن تعقد بالأمس واليوم .

ويلتمس الأمير عبد الله من الوكالة أن تفكر معه من أجل إيجاد مخرج ملائم من الوضع الصعب الذي وجد الزعماء العرب أنفسهم فيه .

وفي تقدير الأمير أن الأرض تشتعل تحت أقدامهم ، وأن الشعب لم يعد يصغي إلى نصائحهم . لذلك فهناك خطر من إمكانية ترك الجمهور بأيدي زعماء الإرهابيين . الأمر الذي ستعاني منه البلاد لفترة طويلة ، ويظن الأمير عبد الله أن من الواجب مساعدة الزعماء على الخروج من هذا المأزق ، واستعادة ثقة جزء من الشعب على الأقل بهم ، وقد توصل إلى نتيجة أنه مستعد – في حالة موافقتنا – لإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين لبضع سنوات وتوجيهها إلى شرقي الأردن . ويعتقد الأمير أن الإنجليز سيوافقون على هذا الاقتراح . لذلك فإنه يود الوقوف على رأينا في أقرب وقت ممكن »[1] .

توجيهات الوكالة للأمير بطريقة التصرف :

في يوم 1936/6/28 أرسل كوهين إلى الأنسي الرسالة التالية والتي تضمنت الصيغة التي اقترحتها الوكالة لتدخل الأمير .

يقول كوهين :

« عزيزي محمد بك .

أسِفَ مديري موسى شرتوك لغيابه عن القدس حين زيارتك لها لأنه كان متشوقا لمعرفة العلاقة بين الأمير وبين اللجنة العليا في هذه الفترة ، وفيما إذا كان سيدك يرى أن الوقت قد حان لوضع حد للتطرف الحالي بما له من تأثير أخلاقي .

ويود المدير الاستفسار عن إمكانية « اتباع » الطريقة التالية :

---

(1) المصدر السابق ملف س 3252/25 بالعبرية عن جذور الوصاية للدكتور سليمان بشير .

أن يتوجه سموه إلى الأشخاص المعنيين هنا كأمير عربي هاشمي يرعى مصالح العرب لإيقاف الإضراب والدخول في مفاوضات مع الحكومة الانتدابية ».

وباستطاعة الأمير من خلال هذا التوجه أن يشيد بروح التضحية والاستمرارية التي تحلوا بها خلال الأسابيع العشرة الماضية . وإلى كون ذلك قد زاد من النفوذ الذي كان لهم قبل الإضراب بشكل يمكنهم من استغلاله في المفاوضات المقبلة مع الحكومة .

غير أن استمرار الوضع الحالي وعدم توقف أعمال العنف وسفك الدماء سيحول بينهم وبين إمكانيات التفاهم مع الحكومة لأنه من غير الممكن أن ترضخ هذه الأخيرة للضغوط وتتنازل لهم . فذلك سيكون بمثابة إهانة لها وضربة لنفوذها ، وفي نفس الوقت فإن موقفهم تجاه الرأي العام البريطاني سيزداد قوة إذا ما أوقفوا الإضراب وأعمال العنف وسفك الدماء .

بالإضافة إلى ذلك يستطيع سموه إعلامهم أنه في حالة قبولهم مشورته هذه فإنه سيكون مستعدا لخدمة قضيتهم كوسيط لدى الحكومة وكرسول لدى اللجنة الملكية التي ستزور البلاد [1] .

وحرصا من اليهود على الأمير أن يظهر بالصورة اللائقة أمام شعبه فقد اقترح كوهين تأجيل زيارة موسى شرتوك إلى عمان حتى لا تزيد من أعباء صاحب السمو على حد تعبيره ، ولأنه « في هذه الظروف الصعبة . من الممكن أن يسبب ظهور السيارة التي ستقلنا في مدينتكم توترا نحن في غنى عنه »[2] .

---

(1) المصدر السابق مل س 3243/25 .
(2) جذور الوصاية الأردنية د . سليمان بشير ص 187 ، الزهراء للإعلام العربي سنة 1991 .

الوكالة اليهودية توبخ الأمير عبد الله :

واجتهد الأمير عبد الله في التصرف ، وصدرت منه تصريحات ضد الهجرة اليهودية ولم تكن الوكالة تلقي بالا إلى مثل هذه التصريحات مادامت داخل الإطار المحلي . ولكنه صرح يوما لمندوب جريدة « نيوز كرونيكل » بتصريح مثل هذا الأمر الذي أدى إلى غضب الوكالة اليهودية .

وفي لقاء تم بين الأنسي وكوهين في 1936/7/5 احتج كوهين بشدة على تصريح الأمير وقال إن التصريح يشتم منه معاداة الصهيونية ، وأن هذا يتنافى مع الاتفاقات والسياسة المشتركة بين الأمير وبين الوكالة .

وأغلظ كوهين الكلام عن الأنسي والأمير . وراح الأنسي يعتذر عن الأمير ويذكر كوهين بخدماته الجليلة التي قدمها للصهيونية . وذكره بأياديه البيضاء من أجل قمع حركة التمرد والعصيان ووقف الإضرابات في الساحتين الفلسطينية والشرق الأردنية . وأن هذا يؤخذ في الاعتبار في تحديد السياسة الرئيسية للأمير .

وأضاف الأنسي :

« ولم يصرح الأمير برأيه في الهجرة اليهودية إلا عندما طلب إليه الإنجليز والعرب ذلك ولأن موقفه من هذه القضية كان من المفروض أن يكون واضحا ، فقد كان من المتوقع أن يتعارض مع مصالحنا . ولولا ذلك لكان الأمير قد فقد تأثيره لدى الإنجليز والعرب على حد سواء . وقد استعمل تعابير معتدلة في المذكرات التي قدمها للمندوب السامي والتي لم ترق للجنة العليا دائما »[1] .

---

(1) ا . ص . م ملف س 3243/25 ص 1 ، 6 بالعبرية .

ويعود الأمير فيطلب من كوهين عبر الأنسي في 1936/7/23 دعما ماليا جديدا حتى يتمكن من رشوة قبائل لواء عجلون وعرب الشمال الذين قاموا بالهجوم على أنابيب بترول شركة العراق ومشروع روتنبرج للكهرباء . وهو رده على انتقادات الوكالة حول تصريحاته حول الهجرة .

وقد أكد الأنسي بأن الأمير « قام بما قام به تحت ضغط حكومته التي يرأسها فلسطيني ، وأنه سيمتنع من الآن فصاعدا بقدر استطاعته عن الكتابة للإنجليز في القضايا المتعلقة بحوادث الشغب الحالية »[1] .

الأمير عبد الله يلتقي بموسى شرتوك :

« في 1936/11/24 قام اليوم مدير الدائرة السياسية – شرتوك بزيارة للأمير عبد الله في فندق الملك داود بدعوة منه . وقد شكر السيد شرتوك الأمير على موقفه المعتدل تجاهنا أثناء الحوادث، وسأله إذا كانت اللجنة الملكية تعتزم زيارته .

فأجاب الأمير بالإيجاب وعبَّر عن أمله في أن تفوضه اللجنة العليا بالتحدث باسم عرب فلسطين .

وعبر السيد شرتوك عن أمله في أن يتم ذلك التفويض على الرغم من كون الأمير يتخذ في بعض الأحيان مواقف لا تتناسب مع مصالحنا .

فاعتذر الأمير وقال إن وضعه الحساس يضطره إلى اتخاذ مثل تلك المواقف بين الحين والآخر .

وقد أخبرني محمد الأنسي فيما بعد أن الأمير عبَّر لأعضاء اللجنة العليا

---

(1) ا . ص . م ملف س 4243/25 .

عن رغبته في مقابلة شرتوك »[1] .

الأمير عبد الله يرفض التصريح بمعاداة الصهيونية :

« في 1936/12/27 في أعقاب شهادة الدكتور وايزمان قدم محمد الأنسي وأخبرنا أن اللجنة العليا طلبت إلى الأمير أن يستنكر اتفاقية وايزمان – فيصل لسنة 1919 غير أن الأمير ردَّ بقوله إن الاتفاقية حقيقية وأنه لا يستطيع إنكار صحتها .

« كما أخبرنا محمد الأنسي أن اللجنة العليا طلبت إلى الأمير أن يدلي بتصريح معاد للصهيونية وينشره في الصحف مقابل تفويض اللجنة العربية العليا له بالتحدث باسم عرب فلسطين .

وكان رد الأمير أنه لا ينوي تقديم أي شهادة أخرى أمام اللجنة الملكية . لأن شرقي الأردن لا يقع ضمن وعد بلفور . ولأنه لا يريد أن تسوء علاقته مع الإنجليز .

« في 1936/12/28 أخبرنا محمد الأنسي أن عوني عبد الهادي ترأس في المدة الأخيرة وفدا توجه إلى بغداد والرياض . وفي الطريق مرَّا بعمان والتقيا بالأمير وعبرا له عن احتجاجهما على مواقفه الموالية للصهيونية .

فقال الأمير إنه يتعامل مع الصهيونية كحقيقة واقعة وكعامل اقتصادي وسياسي هام في فلسطين لا تستطيع حتى إنجلترا – التي تسيطر على مقاليد الأمور في بلاده – تجاهله ، وقد ظهر هذا العامل بسبب عرب فلسطين الذين باعوا أراضيهم لليهود والذين يقع اللوم عليهم .

---

(1) المصدر السابق ص 2 ، 3 .

وقال الأمير لعزت دروزة إن ملوك العرب لا يحيدون عن السياسة التي يرسمها لهم بنفسه . وإنهم لن يدلوا بأي تصريح معاد للصهيونية لأن سياسيي أوروبا لن ينظروا إلى مثل ذلك التصريح بعين الرضا .

وبعد أن غادر الوفد عمان اتصل الأمير هاتفيا بغازي وبابن سعود وأخبرهم بزيارة الوفد .

ويقول محمد الأنسي إن الأمير ينوي ضرب الاستقلاليين وملاحقتهم أينما كانوا ، وإنه يجري حاليا اتصالات مع سليمان طوقان لتأسيس حزب جديد من المعارضة للمفتي وللاستقلاليين .

ويعتقد الأمير أن راغب النشاشيبي لم يعد يصلح لأي نشاط سياسي .

في 1937/1/10 جاء محمد الأنسي إلى القدس ، وقدم لنا نسخة عن بروتوكول المحادثة التي كانت للأمير مع اللجنة الملكية « ص 9 . ترجمة البروتوكول إلى العبرية في ص 16–9 أما النص الذي نقله الأنسي بالعربية فمحفوظ في الملف رقم س 9783/25 »[1] .

الأمير عبد الله يرسل أوراقه السرية إلى اليهود:

في 1937/2/5 قدم الأمير إلى المندوب السامي السير أرثر ويكوب مذكرة سرية نقل لنا محمد الأنسي اليوم نسخة عنها ، وقد حذّر الأمير في تلك الفترة من التأثير الذي من الممكن أن يكون للتطورات في مصر وسوريا على شرقي الأردن حيث يسعى حزب المفتي والاستقلاليين إلى شن حملة جديدة لتشكيل حكومة وطنية « في شرقي الأردن بدل الحكومة الإدارية الحالية .

---

(1) جذور الوصاية د . سليمان بشير ص 208 ، الزهراء للإعلام العربي 1991 .

كما أصرَّ الأمير على حاجته في تزويده بالأموال اللازمة من أجل التصدي لأية تطورات مفاجئة . ص 18 « من المصدر السابق » .

ما قبل حرب فلسطين 1948 :

استمر الأمير عبد الله وأسرته ورجاله في العمل على تقويض الحركة الوطنية الفلسطينية والتفريق بين رجالها والإيقاع بهم وكشف أسرارهم لليهود وللإنجليز ، ومحاولة الوصول إلى طريقة يضمن بها الحكم ويسلم في الوقت نفسه من القوى العاتية اليهودية التي يعيش وسطها . ولم يجد طريقة غير الاستسلام لهم ، ومحاولة عرض وجهة نظره عليهم ببقائه على نحو ما .

وكان كما رأينا يقوم بإخطار اليهود بتفصيل ما يحدث في الأروقة والاجتماعات عن طريق رئيس ديوانه محمد الأنسي وآخرين ، أو عندما يلتقي هو شخصيا بكبار رجال الوكالة اليهودية في عمان أثناء زيارتهم له ، أو في القدس في فندق الملك داود عندما يذهب هو إلى هناك ، وفي بعض القصور المتناثرة للفلسطينيين الموالين له ولليهود .

وكان من الصعب على الحركة الوطنية أن تقاوم الضغط اليهودي والإنجليزي عليها وفي خاصرتها ذلك الخنجر المسموم الممثل في الأمير عبد الله ، فهو يمثل الحكومة والإدارة ومعه الشرطة ، وكتيبة مدربة من الجيش الإنجليزي صار الجيش العربي فيما بعد تحت رئاسة جلوب باشا .

وكان تحت تصرف الملك فصيل من المخابرات الإنجليزية تعمل في بلاد مكشوفة ، ليس للمواطنين فيها ما يحميه من نقل كل أسراره إليها . وكانت المخابرات تمده بالمعلومات التي تفي بغرض القضاء على الحركة الوطنية ورجالها . وإعداد الترتيبات اللازمة لإقامة دولة إسرائيل .

وفوق هذا كله كانت هناك أجهزة المخابرات اليهودية التي كانت تعمل

قبل قيام الدولة ، والتي كانت تقوم بتسجيل المكالمات التليفونية حتى للأمير عبد الله نفسه ، حتى لا يفاجئوا بشيء يريبهم ويفسد ما يخططون .

وكانت الحركة الوطنية لا تقوم بأعمال جادة لها قيمتها في هذا المناخ الغريب الصعب .

وكان في صفوفهم من نصفه مع العرب ونصفه الآخر مع اليهود ، وهو مرة هنا وأخرى هناك . كل هذا أدى إلى محدودية ما يمكن أن يتم من عمل للحد من المخططات اليهودية ؛ كالاضطرابات والإضرابات نتيجة عدم القدرة على مواصلتها حتى النهاية ، وكان يمكن أن تأتي بنتيجة ما في ذلك الوقت .

وتوقفت الثورة العربية في فلسطين بضغط من الأمير عبد الله ، وجاءت لجنة بيل الملكية للتقصي والتحقيق والتوصية ، والنظر فيما يكون من شأنه فض المنازعات العربية اليهودية .

وفي 7 يوليو عام 1937 أعلنت لجنة بيل توصياتها بإنهاء الانتداب البريطاني ، وتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام :

دولة يهودية في سهل ساحل البحر الأبيض وفي الجليل ، وشريحة من الأرض تمتد إلى البحر من تل أبيب ويافا وتضم مدينتي القدس وبيت لحم .

وتبقى اللد والرملة تحت الانتداب البريطاني ولا يسري عليها وعد بلفور وتكون لغتها الرسمية هي الإنجليزية . ويشمل هذا الانتداب الناصرة وبحيرة طبرية .

ودولة عربية تضم باقي فلسطين وشرقي الأردن .

وأعلنت الحكومة البريطانية قبولها لهذه التوصيات .

وقد أعلن مع تقرير لجنة بيل بيان الحكومة البريطانية الذي ذهب إلى أن :

« حكومة جلالته على اتفاق مع اللجنة الملكية فيما أوردته من الاستدلالات وانتهت إليه من الآراء، وأنها بعد اختبارات سبعة عشر عاما وتجاربها العديدة، مسوقة إلى الاستنتاج بأن هناك تعارضا غير قابل للتوفيق بين أماني العرب وأماني اليهود في فلسطين، وأن هذه الأماني لا يمكن بلوغها بموجب شروط الانتداب الحاضر. وأن مشروع اللجنة في التقسيم الذي أوصت به يمثل أفضل حل لهذه المعضلة المستعصية، وأدعى الحلول إلى الأمل في النجاح، وحكومة جلالته تنوي القيام بما يلزم من الإجراءات لتنفيذ مشروع التقسيم، وتأمل جدا أن يظفر بقسط فعال من الموافقة عليه من لدن الجماعات التي يخصها الأمر. وستتخذ الحكومة مؤقتا في أثناء تقارير تفاصيل المشروع، إجراءات لمنع المعاملات في الأراضي التي قد تمس المشروع بسوء، وترى أن يسمح بهجرة ثمانية آلاف يهودي خلال ثمانية أشهر من آب سنة 1937 إلى آذار سنة 1938 مع رعاية مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين »[1].

وفي 7 من فبراير 1939 افتتح مؤتمر لندن بين البريطانيين والعرب صباحا، وبين البريطانيين والصهيونيين مساء. وقد اشتركت جميع الحكومات العربية في هذا المؤتمر الذي ظل منعقدا بضعة أسابيع، وقد وصفه فريق من المؤرخين الإنجليز بأنه أول اعتراف رسمي دولي بمجموعة دول عربية[2].

وفي 17 مارس 1939 أعلنت الحكومة البريطانية كتابها الأبيض الذي عدلت فيه عن فكرة التقسيم التي كانت قد أوصت بها لجنة بيل، واعترفت

---

(1) الدولة العربية الكبرى محمود كامل، دار المعارف بدون تاريخ ص 327.
(2) المعهد الملكي للشئون الدولية. الشرق الأوسط. طبعة ثانية 1955 ص 32.

بحق فلسطين في الاستقلال وخولت مندوبها السامي سلطة منع انتقال الأراضي إلى اليهود[1] .

وكان الكتاب الأبيض ، قد ربط استقلال فلسطين على اشتراك الصهيونيين ، وهو ما كانوا يرفضونه لأن مطالبهم قد بدأت تتجه إلى إنشاء دولة يهودية .

ورفض العرب كذلك الكتاب الأبيض ، فقد أرجىء إعلان الاستقلال فيه إلى ما بعد فترة انتقال حددت بعشر سنوات .

وكانت الثورة التي بدأت مرة أخرى في فلسطين في 26 سبتمبر 1937 لا تزال مستمرة ، وقد ظلت كذلك إلى ما بعد بداية الحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت الأمور بين شد وجذب أثناء الحرب العالمية الثانية وظن الأمير عبد الله أنها فرصة شبيهة بالحرب العالمية الأولى حيث تحالف أبوه مع الإنجليز ومن ثم جعلوه ملكا وجعلوا من أولاده ملوكا . وقال إن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه وتكلم مع الإنجليز حول هذا المعنى . وقام بدور فعال وحاسم في خدمة قضايا الإنجليز في المنطقة أثناء الحرب . وكان له دور حاسم أيضا في القضاء على انقلاب رشيد عالي الكيلاني في العراق عام 1941 من خلال الفيلق العربي الذي كان يقوده جلوب والذي استخدم الطريق الذي سلكه خالد بن الوليد لنجدة جيش أبي عبيدة بن الجراح في الشام ولكن بطريقة معاكسة ، كما ذكر هو في مذكراته .

وظن الأمير أن طلباته في حكم سوريا والأردن وفلسطين أصبحت قاب

---

(1) القضية الفلسطينية ، أكرم زعيتر ، دار المعارف 1955 ص 142 .

قوسين أو أدنى من التحقيق ، وبذل جهدا لدى اليهود في التوسط عند الإنجليز للموافقة على هذا المشروع ، وأغراهم بإمكانية الغزو الاقتصادي لهذه البلاد ، وأنهم تحت حكمه سوف يسيطرون على بلاد العرب ، وسوف يسمح لهم بذلك ويمكنهم منه ، وأنها فرصة تاريخية لن تعوض في تحقيق الأهداف الصهيونية بشكل لم يخطر ببال الوكالة أو الفلاسفة اليهود الذين يريدون إقامة دولة لهم في أرض فلسطين .

والظروف ، في نظر الأمير عبد الله ، تسمح بذلك ، وشخصيته فريدة لن تتكرر فقد ورث الخيانة عن أبيه وهو يُورِّثها أحفاده ، وسوف يشهد اليهود عصرا لم يحلموا به في أكثر أحلامهم جنونا .

ولكن اليهود لم يكونوا يؤمنون بعبقرية الأمير إلى هذا الحد ، وهم لا يثقون في خائن . وهذا درس التاريخ والاجتماع !

وكانوا لا يمارونه فيما يرى ، ولكنهم يردونه ردا جميلا ، ويمدون له في الغي في انتظار أن يحققوا برنامجهم هم ، وليس ما يفكر فيه الأمير .

وكانوا فيما يصدرون عنه أصحاب رأي وعلم ونظر ، ويقدرون لأرجلهم قبل الخطو موضعها ، أما الأمير ورجاله فكانوا أتباعا وعملاء ، ليسوا بأصحاب نظر ثاقب ، بل هم أصحاب حاجات سريعة يريدون إشباعها ، وطلاب مال يريدون جمعه من أي طريق . وصار الفريقان كالأعمى والبصير .

العالم العربي قبل حرب 1948 :

كان العالم العربي ، كما قلنا ، منشغلا بمشاكله الداخلية وصراعه مع الاستعمار من أجل نيل الاستقلال . وكانت قضية فلسطين في مراحلها الأولى لا تهم الحكومات بقدر ما تشغل الهيئات الشعبية الدينية . وكان الملك عبد الله هو المهيمن على هذه القضية ، وهو صاحب الحق الإلهي فيها بصفته وارث

الثورة العربية عن أبيه ملك العرب والمنقذ الأكبر الشريف حسين . وكان يعطي انطباعا عاما لدى الأوساط الرسمية والشعبية في كافة أنحاء العالم العربي أنه هو صاحب هذه القضية ، وهو المرجع فيها وصاحب القرار في حلها . ومن ثمّ فلم ينتبه العرب إلى هذه القضية إلا بعد نشاط المفتي الحاج أمين ووقوفه بجوار المحور ضد الحلفاء على أمل بفوز الألمان في الحرب ، وفي هذه الحالة هم الذين يقضون على اليهود ويخلصونهم من هذا العناء .

وأخذ الحاج أمين الحسيني شهرة كبيرة في العالم العربي بعد نفيه من فلسطين ولقائه بهتلر في زيارة له لألمانيا . وبدأ العالم العربي ينتبه انتباها كبيرا لقضية فلسطين ، وتحت ضغط المظاهرات في مصر وغيرها بدأت الحكومات تضع هذه القضية العربية الهامة في جدول أعمالها .

وكان انتباه الحكومات العربية لقضية فلسطين قد جاء متأخرا جدا ؛ فبينما كانت الصهيونية العالمية تعد العدة لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين منذ أيام ما قبل السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية ، كان العرب ينظرون إلى هذا الأمر على أنه حلم من الأحلام ، ومن ثم فعندهم من المشاكل ما يكفيهم وليسوا في حالة تسمح لهم بمشكلة جديدة هي إلى الأوهام أقرب .

وقد بدأت الأمور تأخذ بعدا عربيا هاما عندما بدأت المناوشات بين اليهود والعرب مع اندلاع الحرب العالمية الثانية .

وكان اليهود يعدون العدة – كما قلنا – لمواجهة عسكرية سوف تكون مع العرب ، فكانوا يقيمون البيوت والقرى والمستعمرات بشكل محصن لقتال من وراء جُدُر سوف يكون . فالقرية حصن يسهل الدفاع عنه والقتال من خلفه ، ويصعب اقتحامه والاستيلاء عليه ، بعكس القرى العربية والبيوت .

وهم يجمعون السلاح من كل حدب وصوب . ويشترون السلاح من الأفراد العرب بأسعار غالية ليمنعوهم حق استخدامه إذا جدَّ الجد . فكانوا يشترون البندقية القديمة الضعيفة الاستخدام بمبلغ خمسة وسبعين جنيها ، وهو ثمن كبير جدا يغري أي عربي جاهل ببيع سلاحه ، لأنه لا يفكر في المستقبل ولا يصدر عن خطة ما .

والخلافات العربية في داخل فلسطين والمناقشات التي لا تنتهي مع الأمير عبد الله وكشفه لأسرار العرب ، كل هذا جعل المستقبل يبدو مضيئا في نظر اليهود ، مظلما قاتما في مخيلة العرب .

ورأت السياسة البريطانية أن تجمع الدول العربية في اتحاد أو منظمة ليسهل عليها التوجيه المباشر لمجموعة من الدول في آن واحد .

وكان بروتوكول الجامعة ، ودعوة الملك فاروق في 28 مايو عام 1946 إلى عقد مؤتمر القمة الأول في إنشاص لملوك الدول العربية ورؤساء جمهورياتها .

وحضر هذا المؤتمر عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام لجامعة الدول العربية . ودارت المناقشات حول المسائل العربية العامة والخاصة .

وكان من أهم القضايا التي بحثت في هذا المؤتمر قضية طرابلس وبرقة ، وقضية فلسطين من جوانبها المختلفة وأبعادها المتشعبة .

وكان لهذا المؤتمر من القرارات ما هو معلن وما هو سري لم يذع على الناس .

وكانت القرارات العلنية إلى الإنشاء والبلاغة أقرب ، وهي لإرضاء الجماهير في البلدان العربية المختلفة .

فقلسطين عربية وقضيتها تهم العرب جميعا ، والمنشورات والملصقات تملأ الشوارع دعوة إلى التطوع لإنقاذ فلسطين . والعرب لا يوافقون على أية هجرة يهودية ، وأية هجرة جديدة تتناقض مع الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة البريطانية ، وهو ما يجب أن تتمسك به وتلتزم .

أما الاتفاق السري الذي تم فهو عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة ، وتنبيه الولايات المتحدة وأمريكا إلى أن تأييد اليهود يؤدي إلى عداوة مع العرب ، هذا بالإضافة إلى إمكانية مقاطعة البضائع التابعة للبلاد التي تؤيد اليهود . وفي النهاية فإن الدول العربية مستعدة للقتال من أجل عروبة فلسطين ، وعمل كل الاستعدادات اللازمة لهذا الهدف . والعمل على تدريب المتطوعين الفلسطينيين على القتال وإمدادهم بالمال اللازم لهذا .

وكلف عبد الرحمن عزام باشا بتبليغ هذه القرارات للدول التي لم تحضر هذا المؤتمر .

والذي لاشك فيه أن الملك عبد الله قد سارع بتبليغ الوكالة اليهودية بكل هذه القرارات ، فقد دأب على ذلك منذ أن دخل الأردن لأول مرة على بعير أجرب تسبقه الدبابات البريطانية .

ولكن وثائق تلك الفترة لم تظهر بعد !!

عرض القضية على الأمم المتحدة :

كان الملك عبد الله هو العميل السري لليهود في جامعة الدول العربية .

« وكان العرب يعلمون مسبقا بنتيجة العرض على الأمم المتحدة ، وأن الصهيونية ظافرة من المنظمة العالمية بما تريد . وقد وضح ذلك أثناء اجتماع مجلس رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية العرب بالقاهرة في النصف الثاني من مارس عام 1947 ، وكذا في اجتماع وزراء الخارجية العرب بدمشق في

أبريل من العام نفسه لبحث موضوع الدورة الاستثنائية للأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ، والذي تمخض عن اتفاق دون خطة تنفيذية بطلب إدراج إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والاعتراف باستقلالها في دولة ديمقراطية واحدة تضم جميع الفلسطينيين من جميع الديانات بما فيهم المهاجرون في ذلك الوقت .

وبناء على دعوة من صالح جبر رئيس الحكومة العراقية اجتمع وزراء الخارجية العرب لنظر مشروع عراقي يتلخص في الذهاب إلى الأمم المتحدة وإلى الاستعداد للحرب . وتحميل بريطانيا وأمريكا المسئولية كاملة وتهديدهما بالمقاطعة الاقتصادية ، وتزويد عرب فلسطين بالمال والسلاح عونا لهم على النهوض بواجب الدفاع الوطني .

وعقدت اللجنة السياسية لمجلس جامعة الدول العربية اجتماعاتها في صوفر بلبنان يوم افتتاح دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16 سبتمبر عام 1947 ، وامتد اجتماعها حتى يوم 19 من نفس الشهر ونظرت القضايا العربية بوجه عام ، والقضية الفلسطينية بوجه خاص ، واتخذت بشأنها بالإجماع القرارات الآتية[1] :

1 - ترى اللجنة أن مقترحات لجنة التحقيق المنبثقة من الأمم المتحدة تنطوي على إهدار فاضح لحقوق عرب فلسطين الطبيعية في الاستقلال ، كما تنطوي على خرق لجميع العهود التي قطعت للعرب ولذات المبادئ التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة .

---

(1) وثائق رئاسة مجلس الوزراء - ملف 64-5/8 ج2 القرارات السرية الخاصة بمؤتمر صوفر - لبنان عن كتاب حرب فلسطين 1948 رؤية مصرية اللواء الدكتور إبراهيم شكيب ، الزهراء للإعلام العربي ص 41 ، الطبعة الأولى 1986 .

وترى في تنفيذ هذه المقترحات خطرا محققا يهدد أمن فلسطين والأمن والسلام في البلاد العربية جميعا ، ولذلك فقد وطدت العزم تحقيقا لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعا عن ذات كيان الدول العربية على أن تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات ، وتنفيذ كل تدبير آخر لاستكمال تحقيق استقلال فلسطين كدولة عربية .

2 – توصي اللجنة دول الجامعة بتوجيه مذكرة إلى كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية وإشعارهما بالخطر المحدق فعلا بالأمن والسلام بالشرق الأوسط وتحميلهما مسئولية ما يمكن أن يتمخض عنه من أحداث إذا ما اتخذ أي قرار من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة .

3 – وتوصي اللجنة دول الجامعة العربية أن تقوم بمسعى دبلوماسي عاجل لدى دول الأمم المتحدة لإقناعها بوجهة نظر الحكومات العربية في رفض مقترحات لجنة التحقيق وفي تعضيد طلب العرب المعروض على الجمعية العمومية بقصد تحقيق استقلال فلسطين .

4 – توصي اللجنة دول الجامعة بتقديم أقصى ما يمكن من معونة عاجلة لأهل فلسطين من مال وعتاد ورجال على أن تقوم بتنظيم وتنسيق مجهودات الدول العربية في هذا السبيل لجنة فنية قوامها مندوب من كل البلاد الممثلة في الجامعة العربية ، وهي الأردن وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر واليمن وفلسطين ، ويكون مقر هذه اللجنة في القاهرة ، وتنحصر مهمتها في التعرف على حاميات فلسطين لتقوية وسائل الدفاع عنها ، وتنظيم وتنسيق المعونة المادية التي تقدمها دول الجامعة ، ومراقبة استعمال وصرف هذه الأموال على أن تقدم هذه اللجنة تقاريرها إلى الحكومات العربية وإلى الأمانة العامة للجامعة ، وتقدم تقريرها الأول في خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع .

5 – توصي اللجنة دول الجامعة بفتح أبوابها لإيواء الأطفال والنساء والعجزة من عرب فلسطين ، وأن تقوم بالعناية بهم إذا ما وقعت في فلسطين حوادث تستدعي ذلك .

6– قررت اللجنة أن يعرض على مجلس الجامعة في اجتماعه المقبل النظر في أمر تبليغ مقررات بلودان السرية إلى كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية .

وقد أبلغ نص هذه القرارات ببرقية رمزية دورية في 20 سبتمبر عام 1947 إلى الهيئات الدبلوماسية في الخارج عدا الفقرة الرابعة التي اعتبرت سرية .

وواضح من نص هذه القرارات أنها انطوت على أمور خطيرة بالرغم من ظاهريتها الحماسية فهي تحض على التعرف على حاجات فلسطين لتقوية وسائل الدفاع عنها ، وفي ذلك اعتراف ضمني بالتأخر الواضح في تخطيط وتنفيذ إجراءات الدفاع العسكري عنها ، كما تمضي في صميمها مع المخطط البريطاني في الذهاب إلى الأمم المتحدة ، كما أنها تتراجع عن قرارات إنشاص السرية القاضية بدخول الدول العربية الحرب عند الاقتضاء وتستبدل به تأييد النضال الفلسطيني »[1] .

بطبيعة الحال إن الجامعة العربية لا تعرف أن كل هذه التفاصيل تنقل بعد لحظة من صدورها إلى اليهود عن طريق الملك عبد الله أو مندوبه . وكان اليهود أمام عدو مكشوف لا يستطيع إخفاء خططه السياسية أو ترتيباته القتالية ، وهم على دراية بكافة التفاصيل من خلال مندوبهم فوق العادة جلالة الملك عبد الله .

---

(1) حرب فلسطين رؤية مصرية ، لواء دكتور إبراهيم شكيب ص 43 وما قبلها ، الطبعة الأولى ، الزهراء للإعلام العربي 1986 .

وكانت المعلومات المتاحة أمام الحكومات العربية والرأي العام العربي عن اليهود أنهم قوم ليسوا أهل حرب ولا طاقة لهم بالقتال ، وقد شارك الملك عبد الله في تكوين هذا الرأي العام العربي من خلال مباحثاته واتصالاته مع العرب .

وكان هذا بتوجيه من اليهود بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، حتى يتسنى لهم مفاجأة العرب والاستيلاء على جميع فلسطين في يوم كان في حسبانهم ، ولم يكن في حسبان أية حكومة عربية أخرى .

ولاشك أن الجيش اليهودي كان أغلبه قد تمرس في القتال أثناء سنين الحرب العالمية الثانية ، فقد كان أغلبهم من العاملين في جيوش الحلفاء النظامية ، سواء كان هذا في الجيش الأمريكي أو البريطاني ، وتمرسوا على كفاءة قتالية عالية جدا مما جرى وحدث في معارك الحرب المختلفة .

وحتى لا نخرج عن الموضوع فقد كانت عوامل كثيرة تجعل الميزان متعادلا بين العرب واليهود ، فالكثرة العربية من ناحية العدد قد تقابل الكفاءة الموجودة لدى اليهود . ويتدخل الملك عبد الله كعامل رئيسي في هزيمة العرب في الحرب التي دارت عام 1948 .

فقد عين الملك عبد الله قائدا عاما للجيوش العربية التي ذهبت للقتال في أرض فلسطين في منتصف مايو 1948 باتفاق من الدول العربية مجتمعة .

ولذلك تفصيل :

فقد كانت المهام الحربية للجيوش العربية كالتالي[1] :

---

(1) العمليات الحربية بفلسطين عام 1948 الجزء الأول ص 58 وزارة الحربية .

1 - المهمة الحربية للجيش اللبناني :

أن يحتشد حول منطقة رأس الناقورة ، بهدف الاستيلاء على نهاريا وتدمير مستعمرات اليهود قرب الحدود .

2 - المهمة الحربية لجيش سوريا :

أن يحتشد حول منطقة فيق بهدف الاستيلاء على سمخ ، وإنشاء رأس جسر عبر الأردن .

3 - المهمة الحربية لجيش العراق :

أن يحتشد حول منطقة إربد ، بهدف إنشاء جسر عبر نهر الأردن في منطقة جسر المجامع بين جيشر ووادي يابس .

4 - المهمة الحربية لجيش الأردن :

أن يؤمن جسر الشريف حسين ويستولي على نابلس ورام الله ، وينسِّق أعماله مع جيش العراق في اتجاه العفولة ، بينما يقوم القسم الأكبر منه بالتقدم صوب جنين .

5 - المهمة الحربية لجيش مصر :

أن يحتشد حول منطقة غزة بهدف الاستيلاء على المجدل وبير السبع بينما تفرض البحرية المصرية الحصار على سواحل فلسطين .

6 - المهمة الحربية لجيش الإنقاذ :

أن يحتشد في الجليل ، ويترك منطقة تمركزه الحالي في المثلث العربي للجيش العراقي .

7 - *المهمة الحربية لجيش الجهاد المقدس* :

أن يستمر في تأمين الأهداف السابق تحديدها له :

ا - فيؤمن صلاح الحاج حي الشيخ جراح شمال القدس .

ب - ويؤمن فاضل عبد الله حي القطمون .

جـ - ويؤمن عبد القادر الحسيني القدس وما حولها .

د - ويؤمن عبد اللطيف أبو قورة وعربي جميل جنوب القدس .

ولقد تأثرت هذه المهام الحربية للجيوش العربية النظامية وشبه النظامية السبعة بثلاثة عوامل مؤثرة نجملها في الآتي :

1 - قلة القوات المتيسرة التي خصصتها الدول العربية لإنقاذ فلسطين .

2 - تغلب فكرة قصر العمل داخل القسم الذي خصص للعرب في قرار التقسيم في الضمير الباطن لرؤساء العرب رغم التأكيد على عكس ذلك في الظاهر ، ولهذا لم يستغل أسلوب العمل من خطوط خارجية بالقدر الكافي ، رغم أن إحاطة الجبهات العربية بفلسطين من جميع الاتجاهات كانت تعطيهم فرصة ذهبية للنجاح إذا ما استغلوا هذا الأسلوب على الوجه الأكمل ، ولكن عدم استغلاله أتاح للقيادة الإسرائيلية أن تعمل وفق أسلوب العمل من خطوط داخلية فهيأ لها النصر .

3 - إعطاء الأسبقية لأمن هذه القوات العربية والبعد عن مناطق الخطر ما أمكن[1] .

---

(1) الحرب في أرض السلام لواء حسن البدري ، دار المريخ الرياض سنة 1987 ص 144 .

هل كانت حرب 1948 تدبيرا من الملك عبد الله ؟

من الصعب الإجابة الصريحة على هذا السؤال إلا بوجود وثائق تثبت ذلك ، وهذه الوثائق لم تظهر بعد ، فكل ماله علاقة بهذه الحرب لم ينشر منه إلا ما لا يضر ولا ينفع ، أما الأوراق الهامة مثل ما رأينا من تقارير الملك عبد الله لليهود هو ورجاله فهي كلها تنتهي في تاريخ سابق لحرب 1948 . وهذا ما يؤكد لنا خطورة الوثائق التي تلت هذه الفترة ، والتي يحرص اليهود على عدم إظهارها . ويقيني أنها تنسف مخططاتهم في المنطقة ، فظهورها ينبه الناس تنبيها قويا إلى طريقة عمل اليهود ونوعية عملائهم .

فقد رأينا كيف كانوا يتعاملون مع الملك عبد الله ورجاله وهم فقراء . ولابد من طريقة أخرى للتعامل مع العملاء الأغنياء . ولعل ذلك يكشف في وقت قريب ، بل يقيني أنه يكشف في وقت قريب .

وإن كنا رأينا في الفصول السابقة كيف كان الشريف حسين يعمل بتوجيه صريح من الإنجليز ، وهو لا يترك مناسبة دون أن يذكر ذلك لمن يعرف ، ولكن حياته نقاط غامضة !

عودة إلى الشريف حسين لنفهم الملك عبد الله :

وقبل أن نتناول موقف الملك عبد الله بمزيد من الشرح والتوضيح ، ننظر قليلا إلى الشريف حسين ؛ فحياته وما حدث له يلقي المزيد من الشرح والتوضيح لأحوال الملك عبد الله وخيانته للعرب والمسلمين بعد اشتراكه في الخيانة الكبرى الأولى .

فقد كان الإنجليز يوحون إلى الشريف حسين عبر ستورز وكلايتون وغيرهما ، وهم جميعا خبراء في علم النفس ، وأساتذة في الشرقيات ، وعلى دراية بالتاريخ الإسلامي ، والمذاهب الإسلامية وتنوعها ، والفرق بين الشيعي

والسني ، ولعلنا لا ننسى كتاب جلوب باشا القيم وعنوانه : « إمبراطورية العرب » ، وهو كتاب تناول فيه التاريخ الإسلامي تناولا عميقا دقيقا بغض النظر عن زاوية الرؤية التي رآها ، ولكن النتيجة التي نخلص منها بعد قراءة كتابه أنه خبير بالشئون والثقافة الإسلامية .

وجلوب باشا يأتي في سلم القائمة بعد الأسماء اللامعة التي تعاملت مع الشريف حسين الذي صار « ملك العرب » بعد ذلك ثم « المنقذ الأكبر » في زعمهم .

وكان يتعامل معه أساتذة جلوب مثل ستورز ويونج وكوشران وكلايتون ولورنس وغيرهم .

وكان هؤلاء يوحون له بأفكارهم ، ويحدثونه حديثا بعيدا متقنا ، حتى ينطق هو بما يريدونه منه ، وكأنه اقتراح من أفكاره ، ونبت لعبقريته .

وما زالوا به حتى اقترح عليهم بعد حواراته مع أبنائه فيصل وعبد الله وعلي أن يقوموا بطعن الخلافة العثمانية والثورة عليها ، ومساعدة الإنجليز في دحر الجيوش التركية ، وزاد الشريف حسين عن ذلك ففكر أن يكون خليفة للمسلمين تحت رعاية التاج البريطاني .

واستحسنوا منه هذه الأفكار الرائعة ، وهم الذين جعلوه ينطق بها ويدافع عنها ، وعلى الصورة التي يريدونها منه . وهم يصححون له إن أخطأ ويقومون أفكاره إن حاد عن النظرية التي رسموها في التعاون معهم . ويظل هو في نظر نفسه وأمام أبنائه صاحب هذه الأفكار العظيمة المؤثرة في التاريخ .

وقد تأتي لحظة من اللحظات ينقطع فيها الوحي عن مثل ذلك الرجل المسمى بالشريف حسين أو « ملك العرب » أو « المنقذ الأكبر » . وينحو

بنفسه وأفكاره في طريق آخر غير الذي يريده الإنجليز . فهو يصدق أن كل ما نادى به وفعله من وحي أفكاره هو ، وأن ذلك قد تلاق مع المصالح الإنجليزية ، وأن المصادفة فقط هي التي جعلت ذلك التطابق .

ومن ثم فقد يأتي اليوم الذي ينفصل فيه عن مصدر الوحي والإلهام ، ويصدر عن أفكاره الذاتية وعن إيحاء الجماهير التي لا تعرف أنه عميل زنيم .

ألهذا رأيناه عندما ذهب إلى عمان واستقبلته الجماهير استقبالا حافلا رائعا ، وهتفوا له هتافات بثت في نفسه البهجة ، وظن أنه مبعوث العناية الإلهية لخدمة العرب . وكانت تصريحاته العجيبة في ذلك الوقت عندما رفض وعد بلفور ، وقال لا للانتداب . وظن للحظة أنه يصدر عن قوة ذاتية تؤيدها جماهير العرب والمسلمين .

وكان الإنجليز يساعدونه بالمال والسلاح لمقاومة جيوش ابن سعود الضاغطة التي تريد توحيد الجزيرة العربية وتخليصها من العملاء والخونة وتطهير المدينتين المقدستين مما لحق بهما . وهو أمر قاومه الإنجليز بشدة ولكنهم لم يستطيعوا شيئا أمام القوى التي جاءت من نجد للقتال والاستبسال وطلب الشهادة .

وكانت هزيمة قوات الشريف حسين في « تربة » على مقربة من الطائف رغم وضع الإنجليز لكل طاقاتهم من أجل الحيلولة دون هذا الانتصار الساحق .

وكان من الصعب أن تأتي الفيالق البريطانية لحماية عرش الحسين الذي صار مكروها من الناس ، وأصبحوا يتندرون بعمالته .

وتأتي هنا لحظة الانفصال عن العميل وتركه يواجه مصيره وحده !

وهم في هذه اللحظة ينسون جميع العهود والمواثيق التي سبق تقديمها للعميل .

يقول توماس إدوار لورنس :

« كنت واحدا من ضباط أللنبي . وكنت موضع ثقته . وفي مقابل ذلك كان ينتظر مني أن أفعل خير ما يمكن أن أفعله من أجله . لكنني كنت أيضا مستشارا لفيصل ، وكان فيصل يطمئن إلى استقامتي وكفاءتي ، حتى إنه كان في الغالب يعمل برأيي دون مناقشة . ومع ذلك فلم يكن في وسعي أن أشرح لأللنبي كل الموقف العربي ، ولا أن أكشف القناع عن خطة الإنجليز أمام فيصل »[1] .

ويتابع لورنس شرح الموقف الإنجليزي العربي فيقول :

« وبمناسبة هذه الظروف الدقيقة رأت الحكومة البريطانية أن تعطي سعيدة باليد اليسرى . لقد وعدت العرب (وبتعبير آخر للجنة من حكماء لا سلطة لها في القاهرة) بملكية الأرض التي ينتزعونها من الأتراك أثناء الحرب . ولكي تثبت أنها جديرة بمنح عدد من الوعود يساوي عدد الفقراء ذوي العلاقة فإن حكومتنا عارضت وثائق (ا) الخاصة بالشريف حسين بوثائق (ب) الخاصة بحلفائها ، كما عارضت وثائق (س) الخاصة باللجنة العربية بالوثائق (د) الموجهة إلى اللورد روتشيلد (يقصد وعد بلفور) باعتباره رمزا لقوة جديدة قدمته لها امتيازات غامضة في فلسطين »[2] .

« وأخيرا وتتويجا لهذا البناء ، بهندسة قابلة للاعتراض، أقدم البريطانيون

---

(1) أعمدة الحكمة السابعة ب . ا . لورانس ص 482 ، المصدر السابق .
(2) المصدر السابق ص 691 .

على إجراء محادثات سلام منفصلة مع الأتراك كانت تشمل على قتل عدد لا يحصى من المقاتلين العرب الذين قاتلوا إلى جانبنا »[1] .

مسرحية بالغة التعقيد لا يمكن لأحد أن يتبين الحبكة فيها أو العقدة التي تحكم البناء الدرامي لها . وهي طلاسم يصعب فك رموزها بأية وثائق أو بيانات !!

الأمير عبد الله قائد الحرب في تربة عام 1918 :

كل هذا هو طريقنا لفهم الأمير عبد الله كقائد جيش يقاتل وهو يضمر خطة غير المعلنة ، وهو هنا يباشر خطة هي المضمرة والمعلنة في آن واحد ؛ كان عليه أن يقابل قوات عبد العزيز آل سعود الذي أراد أن يستنقذ مدينة كرمة الصغيرة الواقعة في الصحراء بين الغرب في الحجاز ونجد . وكان أهلها قد دانوا بأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأرسلوا إلى ابن سعود يسألونه الحماية من قوات الشريف حسين . ومنع الإنجليز ابن سعود بالقوة من نجدة المدينة ، وذهبت قوات الشريف إليها وأعملت في أهلها ذبحا وتقتيلا .

وضرب ابن سعود بتحذيرات الإنجليز عرض الحائط وزحف بقواته إلى « كرمة » ، وأرسل الشريف حسين ولده البكر عبد الله على رأس قوات مدربة يصل عددها إلى أربعة آلاف مقاتل من المشاة ومعه أيضا عشرة آلاف فارس بدوي .

« كان الجيشان المتعاديان يقتربان من كرمة » ، حين قرَّر لؤي زعيم المدينة الوهابي الذي كان خلال كل هذه الشهور يمثل روح المقاومة ، أن يتصرف بيادرة منه .

---

(1) المصدر السابق ص 693 .

ذلك أن بعض الجواسيس الوهابيين جاءوا يقولون له : إن القوات الهاشمية تخيم في واحة قريبة من « تربة » ، وإن عبد الله لم يجد فائدة من إقامة الحراس حول المعسكر اعتقادا منه أنه في مأمن من كل مفاجأة . كان الليل شديد السواد . وكانت قد هبّت عاصفة عند المغيب فأصبحت الأرض كلها غارقة في ضباب كثيف .

هذا وكان عدد من محاربي الإخوان قد ذهبوا فرديا إلى كرمة منذ بعض الوقت لتقديم العون إلى الأهالي المحاصرين .

وكان عددهم في حدود 400 رجل جمعهم الزعيم الوهابي لؤي ، وانطلق بهم في ظلام الليل ، ثم فاجأ معسكر عبد الله .

العدو يغط في نومه ، والضباط عراة نائمون . وبفضل الضباب تسلل المتطوعون من الإخوان في صمت شديد إلى المضارب وطعنوا من فيها بالخناجر . أما عبد الله فلم يكن له غير الوقت الذي يستقل فيه حصانه ويهرب نصف عار لينجو من المذبحة .

وانطلق عبد الله إلى مكة في نفس الوقت يرتجف من البرد والخوف ، ثم صعد القصر راكضا وأيقظ أباه ، وأحاطه علما بالكارثة ؛ إن مائة فقط من القوات النظامية التي كانت تبلغ أربعة آلاف من المشاة ، قد نجت من الموت .

هكذا غُنِمَتْ كل الأسلحة والذخائر والمؤن والركائب . لقد أبيد جيش الحسين في 13 يونيو « حزيران » 1918 .

أغرق هذا النبأ كل مكة في ذعر ووجوم .

في ذلك الفصل كانت المدينة مليئة بالحجاج ، فأحدث الإعلان عن

وصول ابن سعود الوشيك وفرسانه الوهابيين حالة من الذعر العظيم الذي لا يوصف . فانطلقوا جماعات كبيرة في الطريق إلى جدة ، لركوب البحر . أما الحسين الذي هزته أزمة غضب شديد قاربت حافة الهستيريا ، فقد طرد ولده من القصر ، ومنعه من الظهور أمامه مرة أخرى ، وأرسل رسالة استغاثة إلى الإنجليز يلتمس منهم أن يأتوا لنجدته .

وفي الصباح دخل ابن سعود إلى تربة بكامل جيشه وراح يركض راجلا فوق ساحة القتال . وكانت هناك الأرض المغطاة بالجثث ، وصناديق الذخيرة الموضوعة في غير نظام ، وأكوام من المؤن والأسلحة المتروكة . لقد دُمِّرت القوات العدوة لا بجملة الجيش كله ، بل بمفرزة مؤلفة من 400 متطوع . إن الثابت أن الإخوان كانوا أداة حرب ممتازة ! فليس من قوة أخرى في الجزيرة العربية تقارن بها . هكذا فتحت الطريق واسعة إلى مكة أمام ابن سعود ، وكان كل الحجاز الأعزل تحت رحمته .

كان ملك نجد يتذوق انتصاره ، ولم يكن قد بقي عليه غير أن يبذل القليل من الجهد ليستولي على المدينتين المقدستين . ثم تتوجه جيوشه نحو البحر وهي تردد الأناشيد .

وفي الوقت نفسه حمل إليه إنذار من الإنجليز . لقد منحوه ست ساعات ليجمع قواته ، ويعود بها إلى الصحراء الوسطى ، وإذا لم يفعل فإنهم سوف يرسلون إليه فرقة أسترالية مع تشكيلات مدرعة محمولة والكثير من فصائل الأسطول الجوي »[1] .

وهكذا نجا الحسين ملك العرب وولده عبد الله ملك الأردن فيما بعد .

---

(1) ابن سعود بنوًا ميشان ص 326 ترجمة رمضان لاوند ، دار أسود للنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

الطيور الزرقاء الباهرة الجمال :

يصعب على أحد أن يفهم نفسية العميل بوجه عام ، أو يدرك دوافع الخيانة بوجه خاص .

والعميل قد يخضع في خيانته لبلاده وقومه إلى عوامل كثيرة ، ربما فيها قدر من الاقتناع أن ما يفعله هو الصواب ، وهو ما يحقق به مصلحة بشكل ما ، وعلى درجة ما في ظنه .

وهو يظن أن خيانته وعمالته هي الطريق لإصلاح بلاده ، وأن اتفاقه مع أعداء قومه هو الوسيلة المأمونة للأخذ بيدهم إلى مستقبل يراه زاهرا في مخيلته .

ولعل توماس إدوارد لورنس الشهير قد عبر تعبيرا أدبيا جميلا عن أهم العوامل التي يستخدمون بها العميل ، ويحيطونه بالقيود حتى يصير تابعا لا يفكر إلا فيما يريدونه منه .

وأهم العوامل التي يشير إليها لورنس هي الوعود والعهود التي يقطعونها له ، وهم يقدمونها في شكل خلّاب ، ويقسمون للعميل على تحقيقها ، ويعطونه وعدا شريفا أنها تكون . وسمى لورنس هذه العهود والوعود بالطيور الزرقاء الباهرة الجمال التي لا وجود لها إلا في الأحلام والرؤى الغيبية البعيدة .

وهم يقدمونها له كل يوم فيمتلئ شوقا وحماسة ويستبسل في الخدمة . وبعد أن ينتهي أو ينتهون هم منه يجد أن كل العهود التي قطعت كانت برقا خلبا .

وهذا ما حدث للشريف ! وهو عينه ما حدث لأولاده فيصل وعبد الله ! وهو نفس ما يعيش فيه الآن الملك حسين الحفيد !!

فقد وعدوا الشريف بملك عريض وتحالف عربي يكون هو على رأسه . وألمح لهم بنيته في إعلان نفسه خليفة عربيا هاشميا . وقال له السير هنري مكماهون إن هذا أمر يسر الحكومة البريطانية لو تم .

وجاء وقت ألغت فيه لجنة الحكومة « الكمالية » أو المجلس الوطني في تركيا الخلافة العثمانية ونفت السلطان عبد المجيد عام 1924 ، وأسرع الشريف حسين في نزق الشيخ وجشع العميل فأعلن نفسه أميرا للمؤمنين .

وحدث هذا في وقت كانت بريطانيا قد حققت أهدافها الرئيسية التي استخدمت في تحقيقها الشريف وأولاده . وكان إعلانه هذا يثير ثائرة المسلمين في كل بلاد الأرض . وقد أثارها بالفعل . وعلى الأخص قطاع كبير من المسلمين الذين كانوا لا يزالون تحت رعوية التاج البريطاني في الهند وجنوب شرقي آسيا .

وكانت بريطانيا منهكة متعبة بعد ملايين القتلى من أبنائها الذين قضوا نحبهم في سهول الفلاندرز في أوروبا حيث حرب الخنادق الرهيبة التي استمرت سنوات تحت البرد والمطر ، في حرب لا معنى لها ولا أهداف حقيقية استراتيجية من ورائها ، مثل الحرب التي أشعلها صدام حسين ضد إيران واستمرت سنوات بخسائر كبيرة وبغير هدف واضح .

وكانت هزائم بريطانيا وخسائرها كثيرة في هذه الحرب ، ولعبت المنطقة العربية والإسلامية دورا حاسما في كسبها للحرب الأولى . وهناك الجنرال تاونسهند الذي جاء بقواته من الهند فالخليج فطريق البصرة على الفرات حيث مني بهزيمة ساحقة عند كوت العمارة ، وقتل من قتل وحصر من حصر .

وضربات الجيش السابع والثامن التركي الساحقة على الجبهة الإنجليزية عند قناة السويس .

وانتهت الحرب وهم يريدون الاحتفاظ بتلك الإمبراطورية المترامية الأطراف حيث الحاميات الإنجليزية في أماكن كثيرة من أوروبا وأفريقيا وآسيا .

وكانت المظاهرات في لندن وسائر مدن بريطانيا ترفع اللافتات تطالب فيها « بعودة أولادنا إلى الوطن » . وكانت حركات التحرر الوطني التي بدأت تزداد حدتها وحرارتها ، واشتداد الاستياء والاحتجاج من شخصيات إسلامية كثيرة لها تأثير كبير على جمهور المسلمين في أنحاء العالم ، واتهام الإنجليز بالعبث بالقيم الإسلامية السياسية .

ولم يكن من المعقول أن تقف بريطانيا إلى جوار أمير للمؤمنين مُدَّع ، عجوز مخرف سيئ السمعة والسيرة ، وقد عرفته جماهير المسلمين في العالم بالخيانة والعمالة ، وأنه الذي وقف تلك الوقفة الإنجليزية ضد العثمانيين . وهو الذي حال دون قدرة الخليفة في إعلان الجهاد المقدس ضد الإنجليز ، فقد كان لإعلان مثل هذا الجهاد ضرورة أن يكون متضامن فيه شخصية مثل الشريف حسين يحكم مكة ويسيطر على المدينتين المقدستين .

وكان وقوف الإنجليز بجانب الشريف حسين في هذا المشروع بمثابة كارثة سياسية !!

وفزعت وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات البريطانية تجاه ذلك الإعلان .

ولم يكن أمامها غير توماس إدوارد لورنس .

وكان لورنس قد صار خبيرا في الشئون العربية بوزارة المستعمرات تحت رئاسة تشرشل . وكان لورنس قد أصبح شخصا لا يطاق في نظر الساسة البريطانيين ، وذلك عندما جذب انتباه المجتمع البريطاني بحلو حديثه عن

بطولته وعبقريته الفذة ، وثقافته العميقة التي تكونت عن العرب وبلادهم . فكان يجلس في إيست إند وماي فير إلى عدد من الحسناوات البريطانيات يقص عليهن مغامراته العجيبة في بلاد العرب . وهن جالسات إليه ذاهلات من حلو حديثه ، وما يأتي فيه من غرائب . وكان يرتدي عباءته العربية الحمراء ، وعلى رأسه يلف عقالا ، ويتمنطق بخنجر معقوف ، ويراه حرس قصر بكنجهام وهو يدخل بذلك الزي العجيب حيث يتكلم بلغة سكسونية طليقة بينما يرسل إليهم شواظ لهب عينيه الزرقاوين . ويسمحون له بالدخول بين دهشتهم الغامرة .

وقد طلب إلى برنارد شو الكاتب البريطاني الشهير أن يقرأ أصل كتاب لورنس « أعمدة الحكمة السبعة » . وكان تعليقه مثيرا على المخطوطة ، فقد قال :

– لم يكتب مثل هذا بالإنجليزية من قبل .

وكان رجل مثل ونستون تشرشل يشعر بالغيرة الشديدة من نجاح لورنس على المستوى الشعبي والرسمي . وكان سطوعه وبهاؤه أمرا يشعر به الجميع . وكان له تأثير بالغ على الرسميين بإلحاحه وإصراره ، فهو الذي فرض الملك فيصل الأول على مؤتمر الصلح ، وجعله يناقش الأربعة الكبار برعونة متجاهلا الأعراف الدبلوماسية ، ويصرخ في وجوههم أن السير هنري مكماهون قد وعده بملك سوريا ، ضاربا عرض الحائط باتفاقات جانبية بين المؤتمرين قد تكون . وأنه ليس من المناسب الإعلان عن أية تعهدات بهذه العلنية ، فهناك اتفاقات أخرى إنجليزية – فرنسية تتعارض مع ذلك .

ورفض طلب الملك فيصل ورجع إلى بلاده خائبا بعد أن أفرط في حديثه

عن اهتمامه بأماني اليهود القومية في فلسطين . وأن غيره لن يقدم لهم مثل ما ينوي .

طلبت وزارة المستعمرات أن يسرع لورنس لمقابلة العجوز المخرف الذي أعلن نفسه أميرا للمؤمنين حتى يثنيه عن تلك الفكرة التي أصبحت حمقاء في ظل المتغيرات التي حدثت في أوروبا والعالم الإسلامي .

وهاج الشيخ المخرف الذي يحلم بخلافة المسلمين وماج وصار يجري خلف لورنس في ردهات القصر يحاول أن يناله بعصاه بينما أسرع الموجودون للإمساك به وهو يصرخ فيه :

- أنت الذي خنتني وعاهدتني فأخلفتني . أنت محتال وعميل واستدرجتني إلى هذه المغامرة البلهاء بوعودك الكاذبة . ولو كان لورنس يستطيع لقال :

- إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولكن لوموا أنفسكم .

وتحرك ابن سعود إلى مكة ، وكان يعرف علامات الزمن وأوقات التغيير ، ويدرك أن العالم الإسلامي كله معه ، فلا أحد فيه يقبل بهذا الرجل خليفة للمسلمين وسوف يتركه لمصيره .

واجتمع الأعيان والإنجليز وضغطوا على الشيخ وأرغموه على التنازل إلى ولده علي ، وغادر البلاد إلى قبرص .

وعاد علي ابن الشريف حسين ينظم صفوفه ويستعد لملاقاة قوات ابن سعود التي أخذت شهرة في الجزيرة ، وهو يطلب من الإنجليز عبر قنصلهم

في جدة مدافع وبنادق وذهبا وخناجر حتى يمكنه المقاومة . وهو يظن أنهم لابد أن يستجيبوا خوفا من الإسلام الزاحف من الصحراء مهددا الأماكن المتحضرة في بلاد الشام والعراق ، وربما مصر .

ولم يستوعب الأمير علي بن الحسين الموقف جيدا ، فمشاكل بريطانيا قد وصلت إلى درجة من التعقيد يستحيل معها الوقوف بجانبه ، ويكفي ما أخذه الهاشميون في بلاد الشام والعراق .

وجاء الرد الإنجليزي على برقية علي بن الشريف حسين كالتالي :

« إن النزاع بين الحسين وابن سعود هو نزاع ديني ، والغرض منه تصفية بعض الخلافات التي أحدثتها أيلولة الخلافة ، وليس مما يتفق مع التقاليد البريطانية التدخل في مثل هذه الأمور »[1] وهنا لم يكن أمام الأمير علي إلا أن يسأل عن شروط ابن سعود ، وكانت شروطه تتمثل في أن يغادر الحجاز آخر هاشمي .

وكان له ما أراد ....

وبدأت المدينتان المقدستان تأخذان سمتا آخر مغايرا ، وتسير فيهما الحياة على نحو يختلف عما كان أيام الشريف حسين .

فقد كان الشريف حسين جبارا غشوما يجمع المال ويتفنن في الوسائل التي تأتيه به ، فذهب الإنجليز رغم كثرته لا يكفي ، ولا يفي بالغرض . وما هو الغرض ؟ أي غرض !! فقد أصبح المال هو هواية الشيخ العجوز المخرف الذي يحلم بإمرة المسلمين .

---

(1) ابن سعود ، مرجع سابق ص 354 .

فقد كانت الغرامات تنزل بالتجار والمواطنين على حد سواء . والضرائب في عهده تزداد في كل عام عن ذلك الذي سبق . وهو يبحث عن البدو في كل مكان من الصحراء في أرض الحجاز وما جاورها ، ويأخذ أعشار ماشيتهم ودوابهم .

وفي أواخر سنين حكمه تفتق ذهنه عن طريقة جديدة لجمع المال عن طريق الحجيج .

وفرض ضريبة إقامة وانتقال على كل رأس من الحجاج يفدون لأداء الفريضة . ثم وضع أثمانا عالية للطعام والماء . وفي ذلك العام الذي فعل فيه هذا ، كان الماء شحيحا ، وكان أغلب الحجاج من الفقراء ، ومات عدد كبير منهم جوعا وعطشا .

وذاع هذا النبأ في كافة البلاد وأثار سخطا هائلا وغضبا كبيرا ، ورغم ذلك فقد استمر الشريف حسين في سياسته حتى آخر لحظة .

ولما جاء ابن سعود بدأ عهده بإلغاء كل هذه المظالم وتأمين طريق الحج ، واستضافة الحجيج وخدمتهم ، والاهتمام بالرعاية الصحية من أول عام للحج بعد حكمه للمدينتين .

وتغيرت الأحوال تماما وشعر المسلمون في كل بلاد الدنيا بذلك التغيير ، وعندما جاءت الوفود الإسلامية من مصر والهند وماليزيا وليبيا والمغرب والشام أقروا بعظم التغيير الذي حدث في بلاد الحج .

عودة إلى قيام الجيوش العربية في فلسطين 1948 :

قد أحطنا إحاطة كافية بشخصية الملك عبد الله قائد الجيوش العربية في حرب فلسطين عام 1948 ، ورأيناه سياسيا يرسم المؤامرات الفاشلة بين

أبيه وبين الإنجليز ، وعرفنا أنه قائد لا يحسن الحرب ، ولا يأخذ أهبتها ولا يعرف من أسرارها شيئا ، مثل ما حدث من هزيمته المخجلة أمام أربعمائة فدائي متطوع ، وهو في جيش من أربعة آلاف من المشاة المدربين ، وعشرة آلاف من الفرسان المسلحين عند واحة تربة أمام قوات ابن سعود التي حال دون تقدمها إلى أرض الحجاز الإنجليز وإنذارهم باستخدام الطائرات والمدرعات أمام مقاتلين ليس في أيديهم غير السيوف وبعض البنادق .

ثم رأينا صلته الحميمة العضوية بالوكالة اليهودية ، وكيف يتبنى أفكارهم ، ويدافع عن قضاياهم في حمية وحماس .

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها عرفنا كيف كان ينقل إليهم ما كان ينبغي أن يكون سرا عليهم ، وكيف كان يجتمع الوطنيون أو الحكام والملوك ومن بينهم رسول أمين لليهود يعلم سر المجتمعين ونجواهم . ومن ثم فلم تكن هناك أسرار في الجانب العربي على الإطلاق .

وفي الناحية الأخرى من الجانب اليهودي كان كل شيء سرا ، ولا يعرف تفصيله إلا من يهمه الأمر أو يعنيه ، وكل شيء عندهم بمقدار وحساب . وهم يعلمون ما يفعلون ، على عكس العرب فهم ينتظرون ماذا يفعل بهم ثم يكون رد فعلهم ، وهو يتوقف على ضوء الظروف والإمكانات ، والعلم الصحيح أو الناقص بما حدث ، ثم مشورة الخونة والعملاء ، ورأيهم له قيمة واعتبار ، وهو الذي يسود .

وكيف وفيهم عبد الله الملك سليل الهاشميين ووارث الثورة العربية الكبرى ! على حد تعبيره في موقف ما قد سبق ذكره .

ولم تكن أدلة الخيانة في أيدي الوطنيين في ذلك الوقت مثل تلك التي بين أيدينا اليوم ، بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على تلك الأحداث

العجيبة التي صنعت تاريخ العرب ، ولا تزال تصنعه ربما لنصف قرن آخر من الزمن .

ربما كان من خطة اليهود أن تنشب حرب مثل تلك التي نشبت بينهم وبين العرب عام 1948 ، وربما كانوا يسعون إليها ، ويدفعون عملاءهم لتحقيقها .

فالحرب عامل حاسم في تغيير الخرائط وإقرار حدود جديدة ، وإسباغ نوع من الشرعية عليها ؛ هي شرعية القوة ، وهي بمثابة توثيق الأراضي والعقارات بالمدافع والطائرات .

وفي ظني أنه لا يمكن إقرار حدود جديدة ، أو إنشاء كيانات سياسية لم يكن لها وجود بغير حرب وقتال ، وتاريخ العالم مليء بالأمثلة المختلفة حول هذه الأمور .

ولا شيء يعطي قدسية ومهابة لخطوط الحدود غير الأشلاء المتناثرة والقتلى من الجانبين المتحاربين . والظن أن هذا هو الدافع الرئيسي لحرب فلسطين عام 1948 ، حيث لعب الملك عبد الله أهم دور في تلك المسرحية المعقدة .

قد يفكر العرب بدافع من الحماسة أن يخوضوا حربا لم يعدوا عدتها ، ولم يعملوا لها حسابا ، ويقودهم في تقديرهم الحلم والوهم ، والبيانات الخاطئة التي لا تسمن ولا تغني من جوع . وهي إلى الأساطير أقرب ، حيث يختفي صوت الناصح الأمين ولا يلتفت إليه أحد ، ويرتفع صوت الجهلة والخونة ، وهو الصوت الذي يسود عند التصويت على قرار .

وقد يخطط اليهود لمثل هذه الحرب لحسم الخلافات حول التقسيم ، ولتعديله كما حدث ، وللاستيلاء على أراض لم تكن في حسابهم من وجهة

نظر العالم . وإن أردنا أن نحدث تعديلا فهذا سوف يقتضي وقتا طويلا ، مثل ما حدث على وجه اليقين .

وعند اليهود فلاسفة ومفكرون ومنظرون لهم فكر ونظر في تكون الدول والمجتمعات وهناك عوامل عديدة ينبغي توفرها لإقامة دولة مثل إسرائيل ، قد جمعت إليها مهاجرين من كل بلاد الأرض ، بثقافاتهم المختلفة ، ورؤاهم المتباينة ، وعاداتهم المتضاربة ، وانتماءاتهم العميقة البعيدة عن هذه الأرض الجديدة التي يقول عنها الحاخامات ورجال الدين إنها أرض الميعاد . فلتكن هي كذلك ولكن لابد من عامل رئيسي وهام يربط ذلك الوافد الغريب بتلك الأرض الجديدة . وأعظم العوامل التي تربط الشتات من البشر إن اجتمعوا في رقعة ما من الأرض هو الخطر المحدق والمحيط بهم . لهذا فليكن خطر العرب هو المادة التي يمكن أن تحدث التفاعل الإنساني بين هؤلاء القادمين ، حيث يمسك كل واحد منهم السلاح في يده ويقف بجوار الآخر ينتظرون خطرا قادما من وراء التخوم عليهم مواجهته والوقوف أمامه .

وهذا الدواء ينبغي تعاطيه لمدة أربعين عاما على الأقل ، حيث تظهر أجيال جديدة تنتمي إلى الأرض ، وتصير بينهم وبينها صلة ، ويصبح وطنا حقيقيا لكل الأبناء والأحفاد .

وهذا ما حدث في أرض فلسطين !

وكان لابد لليهود من شركاء فيما فعلوا.

وأكبر هؤلاء الشركاء هو الملك عبد الله وأحفاده من بعده !

الحرب النظامية أم حرب العصابات ؟

وزعت مهام الجيوش العربية المشتركة في القتال ، وكانت هناك بعض

الفصائل الشعبية التي ذهبت للجهاد منذ ديسمبر 1947 ، ومن أشهر من ذهب إلى القتال قبل ذهاب الجيوش الرسمية المتطوعون من جماعة الإخوان المسلمين ، وقد تناول دورهم الكثير من الباحثين والدارسين فيما لا مجال لذكره هنا في هذا المقام ، وقد ضربوا أيامها مثلا للجهاد والشهادة في عالم كان آنذاك مغلقا لا يعرف أحد أسراره .

وبشكل عام فقد ضرب جميع المتطوعين الذين ذهبوا للقتال في فلسطين قبل الحرب الرسمية مثلا للاستبسال وذهب منهم شهداء كثيرون إلى ربهم ، وكانوا يقاتلون بلا أدوات أو خطة محكمة ، وبغير تنسيق في أغلب الأحوال .

وكان هناك الكثير من الضباط العرب من أقطار مختلفة قد تركوا جيوشهم النظامية ، وانضموا إلى صفوف المتطوعين يدربونهم ، ويقومون على قيادتهم بقدر الإمكان . ولو أن العرب تركوا هؤلاء المتطوعين بالمال والسلاح يقاتلون اليهود بشكل غير نظامي مثل ما كان يفعل اليهود في أول الأمر ، ولو أنهم أصروا على عدم الدخول في حرب رسمية من خلال الجيوش النظامية للبلدان المختلفة لتغيرت النتيجة بالتأكيد . ولكن اليهود كانوا حريصين على أن تدخل الجيوش النظامية الحرب فتتم هزيمتها كما حدث وتتكرس دولة إسرائيل .

وعندما تكون الحرب بين اليهود والعرب هي حرب عصابات فإنها تأتي بنتيجة مؤكدة ، ويصعب السيطرة عليها ، ويطلب من الدول العربية المختلفة التدخل من أجل وقفها . وهي في هذه الحالة لا تتوقف مادامت هناك حقوق ضائعة . وتأتي هنا مسألة التسويات ، وهي ما لم يكن اليهود يحبونه أو يرغبونه . لذلك كان لابد من الحرب النظامية لتستقيم الأمور .

الملك عبد الله يُعدِّل خطة الجيوش العربية في آخر لحظة !

يقول اللواء حسن البدري عن الجيوش العربية ومهامها في حرب فلسطين 1948 :

« إننا لانجد خطا استراتيجيا واضحا لإدارة الحرب على الجانب العربي يجمع الأمور الاستراتيجية تحت قيادة تنسيق أو قيادة مشتركة أو موحدة أو متحالفة ، وهي كل صور القيادات العليا المعروفة للسيطرة على أنشطة عدة أطراف متحالفة ، تعمل في حلف عسكري داخل مسرح واحد ، لتوجيه قدراته نحو هدف نهائي يفيد جميع الأطراف[1] ؛ ذلك لأن الحلف العسكري – أيا كان نوعه – لا يكتمل بنيانه دون الآتي[2] :

1 – التزام صريح من كافة الأطراف باستخدام القوة المسلحة بمجرد وقوع اعتداء على أي طرف من أطرافه .

2 – تعهد جميع الأطراف باستخدام كل طاقاتهم لهزيمة العدو وليس مجرد التظاهر العسكري أو الاشتراك الرمزي في الصراع .

3 – إقامة قيادة موحدة ذات صلاحيات حقيقية تقوم بتنظيم الجهود العسكرية لدول الحلف ، وتمارس مسئولياتها في السلم والحرب ، كما تقود جميع الجيوش وقت الحرب ، بما يخدم القضية المشتركة .

---

(1) يرجع جون ديفيز الخطأ الرئيسي للعرب إلى عدم وجود قيادة مشتركة تسيطر على جيوشهم في فلسطين . علاوة على أن رجال السياسة العرب كانوا حديثي عهد بالاستقلال قليلي الخبرة بكيفية ممارسة الحرب الحديثة . « عن الحرب في أرض السلام مرجع سابق » .

(2) إسرائيل خطر اقتصادي وعسكري وسياسي . المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين 1952 م ، ص 178-179 .

4 – توزيع القوات العسكرية لهذه القيادة – نظامية وشبه نظامية – وقت السلم في اتجاهات الخطر ، استعدادا للطوارئ ، حتى لا يضيع الوقت إذا ما اشتعلت الحرب فجأة في حشد القوات من أماكن نائية عن أرض القتال ، فيسبقها العدو بالعمل التعرضي وينتزع منها المبادأة .

5 – أن يكون استعداد كل دولة ليس فقط حسب مواردها ، ولكن بمساعدتها ماليا وفنيا من جانب الدول الأقوى منها مثلما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية مع دول حلف شمال الأطلسي أو الاتحاد السوفيتي مع دول حلف وارسو .

6 – أن يكون الحلف العسكري مرتكزا على فكرة مشتركة ، وروابط مادية محسوسة ، تعزِّز شعور أعضائه بالمصلحة المشتركة التي تستحق منهم مجتمعين الدفاع عنها والعمل على الفوز بها .

7 – أن تخلص النيات بين أطراف الحلف ، ويظهر الجميع نفس ما يبطنون .

ولكن الأمر على حقيقته وعلى أفضل صوره لم يتعد مجرد تحديد واسع الإطار لمهام عمليات عامة ، كان على كل جيش أن ينجزها في توقيت فضفاض ، ثم ينتظر بعدها تعليمات أخرى ، قد تصله ، وأغلب الظن ألا تصله تبعا للموقف السائد وقتها .

إن « الخطة » السليمة ، كما تنص عليها مراجع العلم العسكري ، وكما تعالجها فنون القتال لابد وأن تحدد حجم وأماكن تمركز العدو المطلوب دحره ، ولابد وأن تحدد حجم واتجاه الضربات الرئيسية والثانوية والخداعية وأماكن تلاقيها لتدمير العدو وحسم المواقف .

ولابد وأن تحدد أشكال المناورة من اختراق بالمواجهة أو التفاف قريب

أو تطويق بعيد أو انقضاض بالبعد الرابع ومؤخرة العدو ، كما ويجب أن تحدد المهام المختلفة المباشرة والتالية ومهمة اليوم « المهمة النهائية » للتشكيلات والوحدات المرءوسة ، ولأسلحة الدعم والمعاونة من القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوي والقوات الخاصة .

ولابد وأن تحدد أيضا أسلوب التعاون والتنسيق في كل مرحلة من مراحل الحرب ، وطريقة استخدام القوات الجوية للحفاظ على التفوق الجوي في المسرح ، خاصة وقد كان هذا التفوق في جانب العرب حتى الهدنة الأولى التي فرضها مجلس الأمن على المتحاربين يوم 11 يونيو 1948[1] .

بالإضافة إلى ذلك فقد قام الملك عبد الله يوم 13 مايو بوصفه القائد العام للجيوش العربية بفلسطين بتعديل مهامها الحربية سالفة الذكر ، وذلك بتحويل اتجاه عمل الجيش السوري إلى جنوب بحيرة طبرية في اتجاه سمخ بعد أن كان يعمل من منطقة جبيل إلى جوار الجيش اللبناني في اتجاه صفد والناصرة[2] .

كما ألغى مهمة الجيش الأردني في اتجاه جنين والعفولة ، وتم ذلك كله بسبب الرغبة في عدم إشراك قواته في القتال .

وكان طبيعيا أن يترتب على هذا التعديل الذي أجراه الملك عبد الله في اللحظات الأخيرة قبل دخول هذه الجيوش فلسطين ثغرات واسعة بينها عانى منها بصفة

---

(1) يشير إلى ذلك بن جوريون رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الدفاع وقتئذ وذلك في كتابه « إسرائيل – سنوات التحدي » عن كتاب الحرب في أرض السلام مصدر سابق .
(2) المصدر السابق ص 151-152 .

خاصة جيش لبنان الصغير الذي ترك بمفرده في الشمال ، كما تركت منطقة بيسان بلا تأمين . وترتب على هذا التعديل أيضا أن أصبح الهجوم بالمواجهة بعد أن كان بحركة كماشة ، بالإضافة إلى أنه أوجد ثغرة واسعة بين جيشي سوريا والعراق .

ورغم اعتراض اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية على هذا التعديل ، ومفاتحة الملك عبد الله بشأنه ليلة 14 مايو ، ثم موافقته على إلغاء التعديل ، والعودة إلى المهام الأصلية ، وإصداره الأمر إلى قيادة الجيش الأردني بذلك ، فإن جلوب باشا ضرب بهذا الأمر عرض الحائط ، واستمر في العمل وفقا للتعديل الملغى »[1] .

وهكذا نرى جيوشا دخلت حربا غير محددة الأهداف ، ألقيت إلى كل جيش مهام غريبة غير واضحة بالغة الغموض ؛ قائد عام للجيوش ينتمي بشعوره إلى قضية العدو الذي تقاتله هذه الجيوش هو الملك عبد الله ، وقائد جيشه يتبعه أو هو يتبع قائد جيشه الجنرال جلوب باشا . وهو العسكري الفاهم لكل هذه الأمور . ويبدو أنهما اتفقا فيما بينهما على أن يوافق الملك على إلغاء التعديل الذي يضر بالخطة العسكرية بالتأكيد أمام زملائه من الملوك والرؤساء ، وعند التنفيذ فإن الجنرال جلوب يصدر عن أفكاره الخاصة وخطتهم التي لا يعلمها العرب ، ويعرفها الملك عبد الله بالتأكيد . لقد عمل الجنرال جلوب وفقا لذلك التعديل في الخطة الذي اتفق على إلغائه . ويمكن أن نتصور مدى الفوضى العسكرية التي تمت ، وعدم

---

(1) الحرب في أرض السلام ، اللواء حسن البدري ، مصدر سابق ص 148 .

الجدوى من العمليات العسكرية التي تقوم بها القوات العسكرية العربية .

وليس من الغريب أو الغامض تخيل أن كل هذه التفاصيل كان اليهود يحاطون بها علما أولا بأول .

ويصعب على العقل التخيل أن جيوشا تنتصر في قتال ويكون قائدها العام عينا على قومه للأعداء ، وهو يتصل بهم ويبلغهم أخبارهم .

هل كان العرب يعرفون طبيعة الملك عبد الله وقتها ؟

كانت أخبار الملك عبد الله مشتهرة ومعروفة لدى الخاصة والعامة ، يعرفها الساسة ولا يتكلمون حياء وأدبا ، ويعرفها عامة الناس ويتناقلون أخباره ويتندرون بها .

فقد جاء من الحجاز إلى الأردن في طريقه إلى سوريا التي احتلها الفرنسيون وأخرجوا منها شقيقه الملك فيصل ، والتف حول عبد الله لفيف من الأحرار والوطنيين وأيضا من الخونة والعملاء ، وجميعا وجهتهم دمشق لتحريرها من يد الفرنسيين .

ولكن وباختصار شديد قد جاء تفصيله من قبل تم اجتماع على جبل الزيتون بالقدس يوم 28 مارس 1921 بين عبد الله والمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك والسير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني اليهودي والمستر لورنس الشهير ، ومن نتائجه الكف عن التحرك ناحية سوريا والاكتفاء بإمارة شرقي الأردن التي يشملها الانتداب البريطاني ، ويصير السير هربرت صموئيل المندوب السامي في فلسطين هو أيضا المندوب السامي في شرقي الأردن . وهكذا كان على أبناء الشريف حسين القفز على أية أرض والجلوس على أي عرش حقيقي أو مصطنع ، في الشام أو في العراق .

واستقر عبد الله في شرقي الأردن على النحو الذي عرفناه .

ويقول الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين السابق تعليقا على قيادة عبد الله للجيوش العربية في فلسطين ما يلي :

« لما صدر تقرير لجنة بيل في 7 يوليو سنة 1937 بتقسيم فلسطين ، اتخذ المغفور له الملك عبد الله موقفا مؤيدا للتقسيم على أمل أن يتمكن من ضم القسم الباقي للعرب من فلسطين إلى شرقي الأردن . وكان طبيعيا ألا يقبل عرب فلسطين تقسيم بلادهم وتقطيع أوصالها . وأخيرا عندما وقعت حرب فلسطين على أثر صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيمها ، ثم تدخلت الدول العربية وقررت أن تدخل جيوشها فلسطين ، أصر المغفور له الملك عبد الله على أن تكون له قيادة الجيوش العربية ، وعارضت أكثرية الدول العربية في هذا ، ثم عاد بعضها فوافق تحت تأثير الضغط البريطاني الشديد .

وتسلم الجنرال جلوب القيادة الفعلية للجيوش العربية ، ووقعت كارثة فلسطين على الشكل المعروف .

وكنت بطبيعة الحال معارضا لهذه القيادة الغريبة الشاذة »[1] .

هذا هو كلام الحاج أمين الحسيني المليء بالتحفظ ووصفه لعبد الله بالمغفور له نظرا لأنه كان يعيش تحت متناول يد حفيده الحسين عندما كتب ذلك . ورغم هذا فهو يشير بوضوح إلى خيانته وتركه للجيش والخطة ومستقبل العرب لجلوب باشا واليهود ، وهو يعبر عن ذلك بجلاء شديد ، رغم أنه رحمه الله - الحاج أمين الحسيني - لم يكن قد أطلع بعد على الأرشيف المركزي الصهيوني وما به من عجائب غريبة عن الخيانة والعمالة وسوء القصد وحب الدنيا وكراهية الموت .

---

(1) حقائق عن قضية فلسطين ، أمين الحسيني ص 76 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1956 .

الملك عبد الله ونوري السعيد :

كان أشهر من دعا العرب للحرب مع اليهود عند زوال الانتداب هما الملك عبد الله ونوري السعيد . ولعل غيرهما كان يرى دعم عصابات المقاومة بالمال والسلاح ويبقى الموقف الرسمي بعيدا . ولكن عندما بدأت المزايدة على الحرب بجيوش ضعيفة ليست لها خبرة بالقتال زايد الآخرون مع من زايد حتى لا يتهموا بالخيانة .

وهناك تصريح لنوري السعيد على أثر صدور قرار التقسيم واجتماع مجلس الجامعة العربية في مؤتمر صحفي له عقده بالقاهرة في 1947/12/16 قال فيه :

« إن مشروع التقسيم خطة مخيفة لا يمكن أن ترضى بها الأمة العربية . وإننا مستعدون للنضال عن فلسطين لمحو هذه الخطة . وإن الحكومات العربية ستقف صفا واحدا في هذه الفترة التاريخية . إن أمريكا غادرة ، وقد عرضت سمعتها ومصالحها في الشرق الأوسط لأسوأ مستقبل وحاضر . إن العالم سيقف في المستقبل القريب على ما أعده العرب ويعدونه لمقاومة التقسيم ، وكل قوة تقف وراءه « !! » وإن الحكومات العربية قد أعدت ما يكفل إحباط التقسيم ، وسوف تخوض نضالا قد يكون طويل الأمد « !! » لكن امتداده سيضاعف من وسائلنا وعزائمنا . إن التقسيم لا يمكن أن يقع في فلسطين وفي العالم دولة عربية واحدة « !! » وهناك خطط أخرى لمقاومة التقسيم قد لا تخطر ببالكم الآن »[1] .

وقد أظهرت الحوادث كذب نوري السعيد بعد ذلك . وكان أحد الذين قادوا الأمة العربية إلى تثبيت الدولة اليهودية بعد هزيمة ساحقة للجيوش

---

(1) كارثة فلسطين عبد الله التل ، الطبعة الثانية ، دار الهدى 1990 ص 64 .

العربية ، أما الملك عبد الله فيورد له الكولونيل عبد الله التل ذلك الحديث الذي أدلى به إلى وكالة الأنباء العربية بتاريخ 1948/4/21 الذي يقول فيه :

« أما القدس الشريف فعلى منظمة الأمم أن تنصح للصهيونية بأن لا يفكروا ساعة من الزمن في الدنو إليها . ففي ذلك حز الحلاقيم ، والقدس القدس . وسيتجنب العرب الأعمال الشاقة في هذه الأرض المقدسة إلا إذا حملوا عليها ، والعين يقظة والشعور الديني والقومي يحفز إلى حفظ القدسية بأعلى وأبهظ الأثمان .

وإن ذئاب العرب لكثيرة ، فإذا دخلت فتكت ، وإذا غضبت ما رجعت ، وكرامتهم معروفة ، وصيحاتهم مخوفة . بالأخص إذا أخذوا بجنبات جيوشهم تشغل عنهم أسلحة الأعداء الجديدة ، وهم يفعلون في سعة ما عليه يقدرون « !! » وإن رغبتي في الصلاح هي التي تجعلني أنوه بهذا . وبعد ، فإن صدور العرب رحيمة واسعة إذا جرب اليهود التفاهم رأسا قبل زوال الانتداب »[1] .

يعني قبل بدأ الهجوم البري والبحري والجوي العربي على اليهود !! وهو أمر يبعث على الخجل والحزن والأسى أن تبدد الطاقات والأموال والعواطف والمشاعر وتضلل الأمة ويخدع الشباب في تصوراتهم .

كلام فخيم كاذب عن الذئاب العربية ، والغضبة المضرية . « وإذا ما دخلت فتكت . وإذا ما غضبت ما رجعت » . بلاغة هي إلى الهراء أقرب . وهي عين الاستخفاف والهزؤ والسخرية من تاريخ أمة وحاضرها ! إن علمنا

---

(1) نفس المصدر السابق ص 62 .

أن الذي يقول هذا الكلام هو نفسه الذي يتفق مع اليهود على أمور ضد ما يقول ، وأنه يكشف عورات قومه لهم .

الملك يجتمع باليهود قبل بدء الحرب :

قد علمنا اتصالات الملك عبد الله باليهود التي لم تنقطع منذ وطأت قدماه أرض الأردن ، وكيف كان يرسل لهم رجاله ورؤساء العشائر ، وكيف كان يحتج على قلة ما يقدمونه له من مال . والحقيقة أن هذه التفاصيل لم تكن بذلك الوضوح قبل ظهور الوثائق الصهيونية التي قمنا بنشرها في هذا الكتاب وفي مواضع أخرى[1] ، ورغم سرية تلك الاتصالات التي حدثت في وقتها إلا أنه كان هناك نوع من التوجس لدى البعض آنذاك ، ونوع من اليقين عند البعض الآخر الذين قدر لهم أن يكونوا على صلة بمثل هذه الاتصالات الشائنة .

وكانت اتصالات الملك عبد الله باليهود مستمرة ، ويعلم بها أهل عمان وخاصة الذين يترددون على قصره . وقد كان جلالته يحضر اليهود إلى القصر عن طريق مطار عمان حيث تهبط بهم الطائرة وكأنها طائرة بريطانية فلا يجرؤ أحد على التعرض لها ، ثم ينقل ركابها بسيارة من سيارات الخاصة الملكية إلى القصر الملكي . وفي كثير من الحالات كان جلالة الملك يسافر بنفسه خفية إلى الحدود الأردنية الفلسطينية حيث يجتمع بأقطابهم في مشروع روتنبرك « مشروع لتوليد الكهرباء يقع على الحدود الأردنية الفلسطينية » أو إحدى المزارع القريبة من ذلك المكان .

وسوف أذكر على سبيل المثال[2] اجتماعا واحدا من اجتماعات

---

(1) انظر جذور الوصاية الأردنية ، د . سليمان بشير ، الزهراء للإعلام العربي 1991 .
(2) الكلام هنا للكولونيل عبد الله التل .

جلالته على الحدود ، واجتماعا آخرا من اجتماعات جلالته بهم في عمان ، وقد استقيت المعلومات عن هذين الاجتماعين من مدير الخاصة الملكية محمد الضباطي ومن التشريفاتي عبد الغني الكرمي وجلالته نفسه لم يخف عن أحد ما جرى بينه وبين اليهود في هذين الاجتماعين[1] .

اجتماع الملك بشرتوك في المشروع :

في أوائل نيسان – إبريل 1948 اتصل أبو يوسف مدير روتنبرج بصديقه الضباطي الذي كان يزور المشروع كثيرا نظرا لقربه من مزرعته ولصداقته مع يهود المشروع . وأخبره برغبة شرتوك في الاجتماع مع جلالة الملك في المشروع . فنقل الضباطي الرسالة لجلالته ، فسرَّ كثيرا وحدد موعد الاجتماع في 1948/4/12 وهو اليوم الذي انتقل فيه جلالته من الشونة إلى عمان .

وفي اليوم المحدد ادعى جلالة الملك أنه يرغب في زيارة مقام الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وهو قريب من جسر المجامع ، وتوجه جلالته وبرفقته قاضي القضاة محمد الشنقيطي ، ومحمد الضباطي وسيارة واحدة من الحرس الملكي .

وحينما وصلوا للغور مروا بالفعل على مقام أبي عبيد ، وتفقد جلالته الإصلاحات التي قامت بها دائرة الأوقاف ، ثم نزل بعدها إلى مزرعة الضباطي لتناول طعام الغداء.

ومن مزرعة الضباطي ضاع أثر جلالته وأخفى حرس المزرعة النبأ ، إذ إن جلالته انتقل من بين الأشجار إلى المستعمرة التي بنيت للمشروع في أرض أردنية .

---

(1) كارثة فلسطين عبد الله التل مرجع سابق ص 65 .

وهناك كان شرتوك وأبو يوسف في استقبال جلالة الملك وكان وصوله وقت الغداء فجلسوا إلى المائدة .

وبعد تناول طعام الغداء اختلى جلالته بشرتوك وأبي يوسف وحضر الخلوة الشنقيطي .

ولم تدم الخلوة أكثر من ساعة ظلت الأبحاث التي دارت فيها سرا إلا ما كان يتفوه به جلالته بعد ذلك ، بما عرف عنه من صراحة ، وكان أهم ما اتفق عليه في ذلك الاجتماع هو قبول الطرفين لمشروع التقسيم والعمل على تنفيذه .

وسوف نرى بالفعل كيف نفذ جلالة الملك وعده لشرتوك الذي خان الوعد ، ولم يرض بالتقسيم وما هو أكثر من التقسيم .

وقد عاد جلالته إلى عمان بعد ظهر ذلك اليوم واستقبل في عمان استقبالا عظيما بمناسبة عودته من مشتاه في الشونة إلى العاصمة[1] .

جولدا مائير مع جلالته في عمان :

بلغت أزمة فلسطين أوج شدتها في أواسط مايس – مايو وقبيل انتهاء الانتداب ببضعة أيام . وأراد اليهود أن يطمئنوا إلى محافظة الملك عبد الله على وعوده التي قطعها لهم بتأييد مشروع التقسيم ، وعدم اللجوء إلى القوة فيما هو أبعد من ذلك ، ويبدو أن الاتفاق هو القتال ثم وقوف القوات المتحاربة عند خطوط التقسيم ، حيث تتأكد هذه الخطوط ، ورغم ذلك فقد زاد عليها اليهود ، حتى صار الحال على ما نراه اليوم .

---

(1) المصدر السابق ص 66 .

وجرى الاتصال بواسطة الضباطي ومزرعته في جسر المجامع ، وتبودلت الآراء والرغبات لعقد اجتماع بين اليهود وجلالته .

واتفق الطرفان على أن يكون المكان عمان . وعلم جلالته أن القادم هذه المرة هي جولدا مايرسون إحدى الشخصيات البارزة في الوكالة اليهودية . والتي أخذت بعد ذلك اسم جولدا مائير .

ولما كان موعد الاجتماع قد تقرر في ليلة 1948/5/12-11 فقد أرسل جلالة الملك محمد الضباطي بسيارة « بيك أب » من سيارات الضباطي التي يعتمد على قوتها وصلاحها . أرسله إلى الغور لينقل إلى عمان جولدا مايرسون التي كانت تنتظر بين الأشجار في مكان معين اتفق عليه .

وتحرك الضباطي من عمان إلى الغور ووصل إلى المزرعة في التاسعة ليلا ، ووجد جولدا في الانتظار مرتدية الكوفية والعقال ، فأركبها إلى جانبه ، وأركب رفيقها المترجم في قفص السيارة الخلفي ، وعاد أدراجه دون أن يعلم إلا القلائل من حرس المزرعة المخلصين .

وعاد الضباطي إلى عمان بأقصى سرعته ، فقطع المسافة في أقل من ساعتين وجولدا بجانبه لا تتكلم .

كان الصمت يخيم على المكان لا يقطعه غير هدير المحرك في ظلمة الليل والغبار ورائحة أزهار البرتقال تملأ المكان ، ويمكن للأنف أن تتبينها بوضوح من بين التراب الهائج الذي كأنما أدرك الكارثة التي ستحل بعد أيام لا تزيد عن ثلاثة .

ولا أحد يعرف الأفكار التي كانت تشغل ذهن تلك المرأة القوية الشكيمة التي تشترك مع قومها في صناعة تاريخهم . ولا أحد أيضا يعرف أفكار رجل البلاط الأردني الذي كان يقود السيارة والذي يأخذ تلك المرأة

لتملي شروطها على سيده ، ولعله أراد أن يجاذبها الحديث ، ولعلها فضلت أن تنفرد بنفسها وأفكارها وتستعد للقاء ذلك الغريب الذي جاء بالحراب الإنجليزية مثلهم وأخذ وطنا وبنى قصرا ووضعوا له فوق رأسه تاجا .

لم يذهب الضباطي إلى رغدان بل توجه إلى قصره الذي يقع على طريق المحطة – عمان .

وكانت جولدا مائير صامته كأنها تعرف الطريق .

وكانت الأوامر قد صدرت بإعداد العشاء في قصر الضباطي حتى لا يطلع الكثيرون من موظفي رغدان على ذلك الاجتماع .

كان قد بقي على موعد القتال الساخر ثلاثة أيام لا غير ؟ ناهيك عن حرب العصابات والمجاهدين الدائرة منذ الشتاء المنصرم .

كان العرب واليهود في هذه الليلة في حالة حرب مع اليهود ، حرب بكل ما في هذه الكلمة من مفاهيم وتداعيات .

كان الإخوة الأعداء يلتقون للسمر والعشاء والاتفاق ، وهناك من لا يعرف كيف يتقي الرصاص الذي ينزل عليه من إحدى المستعمرات اليهودية ، هناك في نقطة بعيدة عن ذلك المكان .

دخل الضباطي إلى الغرفة المعدة للاجتماع وأنبأ جلالة الملك بأن الضيفة قد وصلت بخير ، وانفرجت أسارير الملك الذي كان ينتظرها منذ أن تحركت بها السيارة ، وأمر بإدخالها على الفور .

دخلت جولدا مائيرا شامخة الرأس ، ولكن يبدو عليها بعض القلق ، ونهض الملك مسرعا إلى مصافحتها والترحيب بها ، ثم دعاها ومن معها إلى الطعام ، حيث أعد العشاء في الغرفة المجاورة ، وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة مساء .

ولم يدر حديث هام على المائدة . ولم تأكل جولدا كثيرا فقد كانت مضطربة قلقة كأنها مقبلة على معركة ، والملك يلاطفها ويحدثها ويطمئنها ، وهي لا ترد عليه إلا ببعض ابتسامات شاحبة باهتة من باب المجاملة .

وانتهوا من الطعام وانتقلوا إلى غرفة الاجتماع .

الملك عبد الله يعاهد جولدا مائير على عدم القتال !

وقع جدل طويل بين جلالته وجولدا مايرسون لأنها تقدمت بطلبات الوكالة اليهودية التي أثارت دهشة الملك وحيرته واعتراضه ، ووجدها ثقيلة ويصعب تنفيذها على الصورة التي وردت بها ، والتي ربما تتعارض مع اتفاقات تمت قبل ذلك .

وكانت خلاصة هذه الطلبات كما رواها من كان حاضرا الاجتماع كما يلي[1] :

1 – أن يعلن جلالة الملك الصلح مع اليهود ولا يبعث بجيشه إلى فلسطين بالمرة .

2 – أن يرسل جلالته واليا ليحكم القسم العربي من فلسطين بحسب قرار التقسيم .

3 – ومقابل ذلك تقبل الوكالة ضم القسم العربي من فلسطين إلى التاج الهاشمي .

وذهل الملك وبدت عليه علامات الشرود والحرج ، ودار حوار طويل بين الجانبين شرح فيه الملك عبد الله كيف أن هذا لا يتفق مع ما سبق

---

(1) كارثة فلسطين مصدر سابق ص 67 .

إقراره من قبل ، وأنه سوف يحرج الملك أمام زملائه من الملوك والرؤساء ، وأنه سوف يظهر جلالته بمظهر الخارج على إجماع العرب والدول العربية . مع ملاحظة أن موعد دخول هذه الجيوش الحرب بصفة رسمية بعد أيام قليلة . وقد تم حشد الحكومات جميعها لإصدار مثل هذا القرار .

وكانت جولدا مايرسون تتحدث في رصانة وصرامة في الوقت نفسه .

وبعد أن أخذت المناقشات بعضا من الوقت لانت عريكة جولدا عندما سمعت الملك عبد الله يتعهد بشرفه أن لا يحارب الجيشان الأردني والعراقي اليهود وأن يقف الجيشان في الحدود التي رسمها التقسيم ولا يتعديانها تحت أية ظروف .

وبعد أخذ ورد وتهديد من جولدا صريح بما يفهم وما لا يفهم ، قبلت جولدا رأي جلالة الملك وأخذت عهده بذلك ووافقت عليه .

انتهى الاجتماع في الثالثة صباحا ، وعادت جولدا مائير بجوار محمد الضباطي الذي كان يقود السيارة ، وجلس رفيقها في صندوق السيارة ، وعادوا صامتين إلى المزرعة ، وكل غارق في أفكاره الخاصة .

ووصلت السيارة إلى النقطة التي تركت فيها جولدا في تمام السادسة صباحا ، حيث وجدت من ينتظرها ليأخذها إلى داخل أرض فلسطين التي أصبح اسمها بعد أيام ثلاثة إسرائيل .

ولم تعد رحلة جولدا إلى عمان سرا ، فقد شرع جلالته يكشف النقاب عنها ويتندر بخشونة هذه المرأة اليهودية وجبروتها[1] .

تعهد الملك بشرفه في تلك الليلة البائسة بأن الجيشين الهاشميين لن يقاتلا

---

(1) المصدر السابق ص 68 .

اليهود !! الأردن والعراق . وقد رأينا أن اللذين كانا يدفعان العرب إلى الحرب والقتال وإرسال الجيوش النظامية إلى فلسطين هما الملك عبد الله ، ونوري السعيد رئيس الوزراء العراقي .

وكالعادة في بلادنا يجب أن نصبر خمسين عاما لنعرف جزء من الحقيقة ، وتظل الحقيقة في بلاد الشرق لا يعرفها إلا أحفاد الأحفاد وقد لا يعرفونها أبدا .

وهذه طبيعة أية بلاد يحكمها الاستبداد وتضيع فيها الحرية ، ولا يسود فيها غير الخائنين والعملاء .

هناك كلام معلن للناس مليء بالشجاعة والتصريحات العنترية لخداع السذج والبلهاء ، أما الوقائع فأمرها يختلف شكلا وموضوعا ، وهي شيء آخر لا صلة له بما يعلن ، وقد يتناقض معه .

ولا أحد يصدق أن هذا يمكن أن يكون إلا إذا كان من أهل الرأي والعقل .

ورغم ذلك فأهل الرأي والعقل إن لم يكن لهم صلة بأمر ما فهم لا يصدقون إلا ما يعلن ، وإن قال لهم أحد إن صاحب هذا التصريح لا يعنيه ، بل يعني ربما عكسه تماما ملأت الدهشة وجوههم وبدت في عيونهم .

صدام يقول : أنا لن أحارب إسرائيل !

وموقف الملك عبد الله يجعلنا نتذكر موقف صدام حسين القريب منا ، والذي جرت حوادثه منذ أقل من عامين . أولئك الذين يقولون لشعوبهم كلاما يشعل الحماسة في نفوس الناس ، ويعتذرون عنه في الخفاء وينكرونه تماما ، ويؤكدون عكسه ، ويُصرِّحون بصفاقة أن هذا لمجرد الاستهلاك المحلي لخداع الجماهير المنهكة المغلوبة على أمرها في عالم قد أضناه الشوق

إلى العدل والحنين إلى الحرية . يقول بوب وود ورد في كتابه « القادة »[1] :

« في بدايات إبريل 1990 تلقى السفير السعودي في أمريكا مكالمة هاتفية من حكومته تحيطه علما بأن الرئيس العراقي صدام حسين طلب من الرياض أن توافيه بصفة عاجلة بمبعوث من طرفها يصلح واسطة بينه وبين أمريكا . وكان السفير السعودي في واشنطن مرشحا لهذه المهمة .

وفي 5 إبريل 1990 كانت طائرة السفير السعودي تحط في مطار بغداد ، وبعدها قابل صدام حسين ، الذي قال إنه طلب هذه المقابلة لأن المسئولين في الولايات المتحدة بالغوا بشدة في رد فعلهم إزاء خطاب ألقاه صدام في أول أبريل وهدد فيه بقصف إسرائيل إذا ما حاولت أن تقدم على عمل ضد العراق ، ولوح بأن بغداد يمكن أن تستخدم الأسلحة الكيماوية .

يومها وصفت وزارة الخارجية الأمريكية هذا الخطاب الصدامي بأنه « تحريضي وغير مسئول ومهين » .

وفي نفس الوقت قال الرئيس بوش إن هذا ليس وقتا للحديث عن استخدام الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو تصعيد التوتر في الشرق الأوسط .

وفي مقابلة بغداد 5 إبريل 1990 أبلغ صدام ضيفه السفير السعودي بأن « كلماته قد أسيء فهمها فأصبحت تعني أنه – صدام – ينوي توجيه ضربة هجومية ضد إسرائيل وأنه لا يفكر في هذا بالمرة .

---

(1) القادة بوب وود ورد ، دار الكتاب العربي دمشق ص 132 .

ثم اعترف أمام بندر بأنه كان يود لو جاء خطابه مختلفا عما حدث ، لقد كان الخطاب موجها إلى القوات المسلحة في حفل عام وسط مشاعر ملتهبة بين تصفيق وهتاف الجماهير . بعد ذلك تطرق صدام حسين في هذا الاجتماع إلى شرح نواياه تجاه إسرائيل قائلا : « لو هاجمتني إسرائيل فلن أصمد أكثر من ست ساعات . وعندما هاجمتني مرة عام 1981 كان بوسعي أن أقول إنني كنت في حرب مع إيران ، لكن لو هوجمت الآن فلن يفهم الناس لماذا يحدث هذا » .

وهو يعني هزيمته أمامها ، فهو لا يقوى على حربها حسب تعبيره . وإن اعتذر في الماضي بأنه كان في حرب مع إيران ، فما هو الاعتذار الذي يمكن أن يقدمه اليوم للأمة بعد الهزيمة ؟

أخيرا جاء فحوى رسالة صدام إلى بوش .

قال صدام :

« أريد أن أؤكد للرئيس بوش إنني لن أهاجم إسرائيل ، هكذا أكد صدام قائلا إن الأمريكيين سيتعين عليهم في المقابل أن يتصلوا بإسرائيل لكي يؤكدوا أنها لن تهاجم العراق !

– أرجوكم أن تبلغوا الرئيس بوش إنني لن أهاجم إسرائيل طالما لن تهاجمني .

هكذا قال صدام في اجتماعه مع السفير الوسيط القادم على متن طائرة خاصة من واشنطن إلى بغداد ، وكان ذلك يوم 5 إبريل 1990 .

وفي هذه اللحظة استمر الحوار في ذلك الاجتماع بين السفير – الوسيط وبين الرئيس العراقي .

وقال السفير :

- فخامة الرئيس هل تريد أن تذكر حديثك من ناحيتنا بوصفه ملاحظاتنا الخاصة التي نبلغها إلى الرئيس بوش على أنها وجهة نظرنا ؟

ورد عليه صدام حسين :

- أنا أريدها رسالة مني إلى الرئيس بوش .

وقال السفير :

- إذن فسوف أحمل هذه الرسالة لدى عودتي إلى الولايات المتحدة .

سادت فترة صمت . ثم انطلق الرئيس العراقي بغير تمهيد إلى الإشارة لما اسماه المؤامرة أو المخطط الاستعماري - الصهيوني وقال صدام :

- علينا أن نكون حذرين للغاية من هذه المؤامرة لأن القوى الإمبريالية - الصهيونية تؤكد على هذه النظرية التي تدعي بأن لي أطماعا أو مخططات عند جيراني ، وهذا ليس صحيحا ، فأنا لا أضمر أية أطماع في جيراني .

ولم يحدد صدام من هم هؤلاء الجيران .

ولكن محدثه السفير الأمير بندر قال له :

- فخامة الرئيس إن إخوتك وجيرانك لا يساورهم شكوك فيك ، وإذا كنت تقول لي الآن إنه ليس لديك أية مخططات أو مشاريع ، فليس هناك من سبب لأن يقلق على ذلك .

وغادر الأمير بندر بغداد بعد أربع ساعات ، وأعد مذكرة من 18 صفحة ليحتفظ بها ضمن أوراقه الخاصة ، ومسجلا فيها حواره مع صدام حسين .

وجاءته تعليمات من الرياض أن يفيد من علاقاته الشخصية مع المستويات العليا في واشنطن لكي يبلغ الرسالة « الصدامية » مباشرة - نكرر مباشرة - إلى الرئيس بوش .

وبعد أربعة أيام لا تزيد توجه بندر إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض للاجتماع مع الرئيس بوش . ويبلغ رسالة مباشرة من الرئيس العراقي إلى الرئيس الأمريكي مضمونها كالتالي :

صدام يقول إنه سوف يرد إذا هاجمته إسرائيل ، ولكنه لا يفكر في مهاجمتها ولن يكون البادئ بشن هجوم على إسرائيل أبدا مهما كانت الظروف .

وعندها بدت على وجه الرئيس بوش علامات الدهشة الشديدة والاستغراب وقال :

- كأنه لم يكن ينوي تنفيذ هذا الهجوم ؟ فلماذا بحق السماء يتعين عليه أن يعلن ذلك الإعلان العجيب الذي أعلنه ؟

وهنا جرى التذكير بواقعة الهجوم الإسرائيلي على المفاعل الذري العراقي عام 1981 وأن صدام يتشكك في أن ثمة مؤامرة تحاك ضده .

وقال بوش :

- ليست هناك ثمة مؤامرات ضد صدام ، بل إن سلوكه هو الذي يقلق الآخرين .

وبعد يومين من لقاء البيت الأبيض توجه السفير العراقي في واشنطن الدكتور محمد المشاط إلى وزارة الخارجية الأمريكية ليسأل عما إذا كان هناك رد من الرئيس بوش .

ذلك لأن الرئيس العراقي بعد أن أعطى تأكيداته بأنه لن يهاجم إسرائيل فإنه يريد أيضا تأكيدات صريحة من الرئيس بوش بأن إسرائيل لن تضرب العراق .

ودارت اتصالات عديدة هنا وهناك ، وبعدها قال الرئيس بوش :

– أنا لا أريد من أحد أن يهاجم أحدا . أريد أن يخلد الجميع إلى الاستقرار في المنطقة وفي غيرها . ولسوف أتكلم مع الإسرائيليين وأعود منهم بخبر . ولكن على الجميع أن يتمسكوا بالهدوء .

وعاد الرئيس بوش بوجهه إلى محدثيه وقد امتلأ دهشة وحيرة إزاء سلوك صدام حسين وتصرفاته وقال لهم :

– إذا كان هذا الرجل لم يكن يعني حقيقة ما أعلنه ، فلماذا بحق السماء يذهب هنا وهناك ويقول هذا الكلام ؟

ولم يجبه أحد من الجالسين بشيء غير بسمات ساخرة علت بعض الوجوه التي تفهم طبيعة هؤلاء المستبدين من أهل الشرق الأوسط ، وكيف أنهم كشعراء القرآن الكريم يتبعهم الغاوون ، وتراهم في كل واد يهيمون ، ويقولون مالا يفعلون .

ولعل سلوك صدام حسين تطوير لعنتريات الملك عبد الله ونوري السعيد حيث البلاغة وزلاقة اللسان ، والتصريحات الفخيمة والرعود الكلامية التي تخفي خلفها الخواء الروحي والنفسي في عالم فقد الكرامة والضمير والرغبة الصادقة في حياة نظيفة وكفاح شريف .

اتصل البيت الأبيض بالإسرائيليين الذين يفهمون صدام أكثر من الأمريكيين ، وأخبرهم المسئول الإسرائيلي، أنه إذا لم يبادر العراق إلى توجيه

شيء ضدهم فلن تبادر إسرائيل إلى توجيه أي شيء ضد العراق .

وقامت الولايات المتحدة بإبلاغ مندوب صدام بهذه النتيجة .

وبطبيعة الحال فقد تمت هذه الاتصالات في السر ، وتأكيدات صدام حسين بأنه لن يهاجم إسرائيل أبدا لم تسمع بها الجماهير المعجبة بالبطولة الزائفة . ولكن الذي سمعه الناس هو خطبة صدام في جنوده وضباطه أنه سوف يحرق نصف إسرائيل . والتهبت أكفهم من التصفيق ، وشرخت حناجرهم من الهتاف ، ولكنهم لم يسمعوا أبدا أنه أكد لمن يعنيهم الأمر بعد ذلك أنه كاذب ومدع ولا يعني ما يقول .

وهذا الأسلوب الذي اتبعه صدام حسين ليس جديدا فقد سبقه إليه قوم آخرون هم عائلة الشريف حسين في مطلع القرن العشرين ، وفي منتصفه عندما بلغت كارثة فلسطين أوجها .

مشروع روتنبرج ومستعمرة نهرايم :

يقول الكولونيل عبد الله التل إن مشروع روتنبرج هو مشروع الكهرباء اليهودي الذي يمد مناطق كثيرة من فلسطين بالكهرباء ، ومن الصدق أن يكون السيد توفيق أبو الهدى الذي نفذت حكومته كارثة فلسطين ، هو الذي وهب اليهود – وبأمر من الملك عبد الله كما رأينا من قبل – امتياز مشروع روتنبرج ومسح أراضيه بداخل الحدود الأردنية عندما كان مديرا للمساحة عام 1928 . ومعلوم أن مياه نهر الأردن تعتبر وقفا على المشروع ، ولا يحق للأردن الاستفادة منها إلا بموافقة اليهود . كما أن امتياز المشروع يشمل لواء عجلون الأردني الذي لا يجوز له حسب اتفاقية أبي الهدى مع اليهود أن يأخذ الكهرباء إلا من المشروع نفسه .

وقد أقيم المشروع وأغلب منشآته ، ومنها مستعمرة نهرايم ، داخل الحدود الأردنية .

وقد تعهدت الأردن بالمحافظة عليه في زمن السلم .

وحين اقترب موعد انتهاء الانتداب البريطاني طلبت الحكومة الأردنية من اليهود أن يجروا اتفاقا معها على خطة المحافظة على المشروع بعد يوم 1948/5/15 وقد جرت اتصالات كثيرة مع اليهود بواسطة متصرف لواء عجلون وقائد منطقة إربد . وكانت أهم تلك الاتصالات ما جرى في 1948/5/14 وهو اليوم الذي سبق الحرب ونهاية الانتداب ، والذي تبودلت فيه الرسائل النهائية ، وتم الاتفاق على الشروط التي قدمتها الحكومة الأردنية .

وفيما يلي النص الحرفي لشروط الحكومة وجواب اليهود عليها[1] :

شروط الحكومة

1 – يستمر العمل بالمشروع حسب الشروط التالية :

ا ـ جميع الرجال المسلحين الموجودين في المشروع ومنشآته الواقعة داخل حدود المملكة الأردنية الهاشمية يسلمون أسلحتهم في نقطة يعينها متصرف لواء عجلون أو قائد المنطقة أو أي ضابط ينتدب لهذه الغاية . على أن يتم التسليم في تمام الساعة السادسة مساء اليوم . ثم ينسحب حاملو هذه الأسلحة إلى داخل الحدود الفلسطينية حالاً .

ب ـ لا يبقى في المنشآت إلا أولئك الأشخاص الذين يعتبر بقاؤهم ضروريا لتشغيل المشروع ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يكون بحوزتهم أسلحة من أي نوع .

جـ ـ تصبح المنشآت المسلمة تحت السلطة العسكرية العربية .

---

(1) كارثة فلسطين ، مصدر سابق ص 68 .

2 - إذا لم يقبل الشرط الوارد بالمادة الأولى وبنودها فيستعاض عنه بالشروط التالية :

ا - جميع الأشخاص سواء كانوا مسلحين أم غير مسلحين ، عمالا أم غير عمال ينسحبون إلى فلسطين حالا .

ب - تقف المنشآت عن العمل .

جـ - تصبح المنشآت جميعا تحت الاحتلال العسكري من قبل السلطات العربية .

د - يتم ذلك في تمام الساعة السادسة مساء اليوم .

3 - على المسئولين عن المشروع أن يقبلوا الشروط الواردة في المادة الأولى ، أو الشروط الواردة في المادة الثانية ، وإلا ستتعرض المنشآت للاحتلال العسكري بالقوة حالما ينتهي الانتداب على فلسطين .

والجواب على هذه الطلبات يعطى فورا

جواب اليهود للحكومة الأردنية[1]

« أمرت أن أبلغكم بأن المؤسسة تقبل الشرط الأول الوارد برسالة فخامة رئيس الحكومة المبلغة إلينا اليوم صدرت التعليمات لتسليم كافة الأسلحة مقابل وصل . يبقى الأشخاص والأملاك التابعة للمشروع تحت حماية ومسئولية حكومتكم » .

المخلص
بهارو - السكرتير

(1) المصدر السابق ص 69 .

ويروي الكولونيل عبد الله التل في مذكراته :

« وهكذا نفذ الشرط الأول ، وجمع اليهود أسلحتهم وسلموها إلى قائد المنطقة نديم السمان ومتصرف اللواء بهجت طبارة اللذين وضعا حرسا أردنيا على المشروع والمستعمرة التابعة له ، ووقعا المستندات التي تثبت تسلم المشروع من قبل حكومة عمان »[1] .

مدير المشروع هو قائد الهاجناه :

كان الجحفل العراقي مرابطا في « المفرق » ، وبتاريخ 1948/5/14 انتقل إلى إربد فمرَّ بها نهارا فاستقبله السكان بالدموع – دموع الفرح والشعور بالعزة والكرامة – ونزل الجحفل إلى الغور استعدادًا لدخول فلسطين في منتصف ليلة 1948/5/15 ولما أصبح جسر المجامع في مسئولية العراقيين ، فقد أصبح المشروع في مسئوليتهم كذلك[2] .

وحينما وصل الجيش العراقي إلى تلك المنطقة هاله أن يرى اليهود يسرحون ويمرحون حسب اتفاقية حكومة عمان مع سلطات المشروع ؛ ولذا فقد أصرَّ على نقل اليهود وإبعادهم عن منطقة القتال . فجرى نقلهم إلى « المفرق » كأسرى حرب ، أما أبو يوسف مدير المشروع فقد استطاع الإفلات من قبضة الضابط الموكل بحراسته بطريقة صارت معلومة لجميع الأردنيين .

وتتلخص فيما يلي :

كان أبو يوسف صديقا حميما لجلالة الملك والسلطات الأردنية في إربد ،

---

(1) المصدر السابق ص 70 .

(2) المصدر السابق ص 70 .

وحينما جمع اليهود بالسيارات لنقلهم للمفرق ادعى أبو يوسف أنه يريد أن يودع اليهود الموجودين في الجهة الفلسطينية المقابلة ، وقد سمح له قائد المنطقة نديم السمان ، وأرسل معه ضابطا برتبة رئيس ، وبعد برهة عاد الضابط واختلى بنديم الذي بدأ يشيع بين الناس أن أبا يوسف قد هرب والتحق بيهود الضفة المقابلة .

وبعد ساعات من هرب أبي يوسف نسف جسر المجامع ،وظهر أن الذي نسفه هو أبو يوسف نفسه .

وبعد أيام قلائل ثبت أن أبا يوسف هذا هو قائد الهاجناه في تلك المنطقة بأجمعها .

وحينما شاهد قائد الجحفل العراقي ما فعله نديم السمان مع أبي يوسف بعث إلى القيادة العراقية تقريرا أدان به نديم السمان بجريمة التواطؤ مع اليهود .

ولما أرسلت القيادة العراقية التقرير إلى حكومة عمان ، اضطرت هذه لتشكيل لجنة تحقيق برئاسة القائد سعيد العاملي ، وعضوية الرئيس إدريس التل . وقد دام التحقيق مدة طويلة أثبت بعدها مسئولية نديم السمان .

ورفعت أرواق القضية إلى الفريق جلوب باشا واحتفظ بها أكثر من أسبوعين ، ثم رفعها إلى الحكومة .

وفي الحكومة تبين أن نديم السمان له شركاء في الجرم ، لأن توفيق باشا لم يوافق على محاكمة القائد نديم في تلك الظروف وحفظ الأوراق .

وقد قيل في عمان إن نديم السمان كان قد تلقى أمرا من الحكومة ومن المقر العالي لترك أبي يوسف ، وقيل غير هذا مما لا أجد مجالا لذكره[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 71 .

ومهما قيل فإن الحقيقة التي لا ينكرها حكام الأردن هي، أن الأوراق التي أدانت نديم السمان لا تزال محفوظة بالرئاسة .

اللورد هربرت صموئيل في عمان :

ويبدو أن اتصالات الملك عبد الله لم تنقطع باليهود لحظة واحدة منذ أن أناخ جمله في تلال الأردن ، فقد اتصل بهم قبل الحرب وأثناء الحرب وبعدها ، ولم ينقطع هذا الاتصال إلا يوم أطلق عليه الرصاص وسقط قتيلا .

ففي 1949/4/19 « والرواية هنا للمرحوم عبد الله التل » زار اللورد هربرت صموئيل أول مندوب سامي يهودي على فلسطين الشونة ، وحلّ ضيفا على جلالة الملك ، وبعد انتهاء الزيارة بعث اللورد صموئيل إلى رئيس الحكومة توفيق أبو الهدى رسالة هامة حول مشروع روتنبرج الذي كان صموئيل رئيسا لمجلس إدارة شركته .

ونظرا لأهمية الرسالة فإني أورد ترجمتها[1] :

شركة كهرباء فلسطين ليمتد .

حيفا .

1949/4/25 .

فخامة رئيس حكومة مملكة شرق الأردن الهاشمية – عمان .

يا صاحب الفخامة .

حينما شرفني جلالة ملك شرق الأردن واستقبلني في الشونة بتاريخ 19 إبريل الجاري ، تفضل وسأل عما إذا كانت هناك مسائل خاصة أرغب

(1) المصدر السابق ص 73 .

في عرضها على جلالته ، فأجبت بأنني حضرت إلى فلسطين بصفتي مديرا لشركة كهرباء فلسطين ، وإني أرغب في عرض مسألة عاجلة ملحة ، وهي إعادة محطة توليد الكهرباء التي تسلمها الجيش العربي في جسر المجامع منذ 1948/5/14 .

وذكّرت جلالته بأن الشركة كانت قد تسلمت من حكومتكم في 1948/5/14 رسالة رسمية وفيها الشروط التالية : « وذكر الشروط التي سبق ذكرها » ومع ذلك فقد احتلت القوات العربية المحطة ونقل الموظفون إلى الأسر ، وعطلت المحطة عن العمل . وقد عرضت هذه الحقائق على جلالته فانزعج لأن موضوع محطة توليد الكهرباء قد أصبح خاضعا لتسوية المسائل المعلقة بين شرقي الأردن وحكومة إسرائيل .

ولما كانت المحطة قد عادت لمسئولية حكومتكم بعد أن رحل الجيش العراقي ، فإن المحطة يجب أن تعود للشركة من غير انتظار لحل المسائل بين الحكومتين .

وإنني واثق من أن فخامتكم ستولون هذه المسألة العاجلة اهتمامكم وعنايتكم » .

باحترام زائد

صموئيل

الملك عبد الله يكتب إلى صموئيل يعتذر عن الحرب :

وبعد زيارة هربرت صموئيل إلى عمان في 1949/4/19 واجتماعه بالملك ورئيس الحكومة عاد إلى فلسطين فبعث برسالة شكر إلى الملك على استقباله له حينما عرض على مسامعه قضية محطة توليد الكهرباء .

فأجاب الملك بالرسالة التالية وهي مكتوبة بالإنجليزية وممهورة بتوقيع

الملك نفسه[1] .

22 مايو 1949 .

عزيزي اللورد صموئيل .

تسلمت خطابكم المعبر عن شعوركم النبيل والمحرر في « هرزليا » في 3 مايو . وبخصوص الزيارة التي كنت أنتظرها ، فإن الأمر متروك لكم لتحددوا وقتها ، وأود أن أبلغكم هنا في هذا الخطاب أن الدعوة لا تزال قائمة إذا رغبتم وسمح وقتكم .

وبخصوص الأيام السالفة أقول لو أن شعبنا كان أطاعنا لكان في ذلك الخير لهم .

ولكن الظروف قضت بما كان .

وأحب أن أعتمد عليكم في أن رغبتكم للرفاهية العامة ونصائحكم لتحقيق ذلك سوف تتضاعف وتتخذ شكلا حاسما من الآن فصاعدا .

ومن جهتي أنا فقد قررت أن أحصل على مزايا السلام بمشيئة الله .

احتراماتي لكم وللسيدة صموئيل .

المخلص
عبد الله

والرسالة في غنى عن أي تعليق ، وقد أرسلت من القصر إلى هربرت صموئيل في القدس عن طريقي فاحتفظت بها مع غيرها من الوثائق الهامة .

---

(1) المصدر السابق ص 73 .

هكذا قال الكولونيل عبد الله التل ![1] .

أما نحن فنقول كما قال الشاعر :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

ونقول أيضا :

حسبنا الله ونعم الوكيل !!

رأي المرحوم عبد الله التل في الحرب وخيانة الملك :

كان المرحوم عبد الله التل أحد قادة الجيش العربي الأردني في حرب فلسطين ، وكان يعمل بطبيعة الحال تحت إمرة الفريق جلوب باشا ، وكان رحمه الله من الوطنيين المخلصين .

وكان يفهم طبيعة قرار الحرب ، ولكنه ظن أنه بغض النظر عن الدوافع التي أدت إلى نشوب الحرب الرسمية بين العرب واليهود ، فإن الجنود العرب كان يمكنهم القتال بشرف ، وكانوا يستطيعون حماية النساء والأطفال من المذابح التي جرت من اليهود مثل دير ياسين وغيرها .

وكان يرى أن الجيوش ما هي إلا صدى للشعوب التي هزتها مأساة فلسطين وأخبار المذابح التي تأتي بها وكالات الأنباء كل يوم ، بهدف إرغام العرب على الهجرة وترك قراهم وبيوتهم هربا من الموت أو القتل .

وإن كان الملك عبد الله خائنا ومتعاونا مع اليهود وينفذ مخططاتهم فإن الجنود يمكنهم القتال بشرف ، فجميعهم لا يعرف عن أمر هذه الخيانة

---

(1) المصدر السابق ص 74 .

شيئا . وهي أمور لا يعرفها غير الخاصة الذين قُدِّر لهم أن يكونوا على صلة بالأحداث من قريب أو بعيد .

والعجيب المثير للدهشة والسخرية في آن واحد أن جيوشا قد حددّت هدفها ، وأعلنته للعالم أجمع ، وهو دخول فلسطين في تمام الساعة الثانية عشرة من ليلة 14-1948/5/15 من محاور عدة وفق اتفاق أو نية ، وأثبتت الحوادث والوثائق أنه لم تكن هناك خطة عامة مركزية .

وكان قائد هذه الجيوش كما عرفنا هو الملك عبد الله الذي لا يعرف من أمر القتال شيئا ، وسبق وتعهد لجولدا مائير أنه لن يقاتل وكذلك الجيش العراقي .

ومن ثمَّ فقد كانت القيادة الفعلية للجيوش العربية في يد الفريق جلوب باشا الإنجليزي العتيد ، أحد إفرازات الثورة العربية الكبرى واتفاق سايكس بيكو ، وهو من بقي من الحرس الاستعماري القديم ، بعد أن رحل لورنس وستورز وهوجارت وسائر أعضاء المكتب الشرقي للمخابرات البريطانية في القاهرة .

وكان الأردنيون المساكين يودعون جنودهم الذاهبين إلى القتال بالزغاريد ، ونثر الورود فوق رءوسهم ، والأهازيج الحماسية :

أبو طلال لا تهتم   سيفك أحمر ينقط دم

وأبو طلال هذا هو مهندس الخيانة الأكبر جلالة الملك عبد الله ابن الشريف حسين !! وكذلك كانت تفعل كل الشعوب العربية ، تودع أبناءها بالزغاريد والورود والأهازيج .

وقد خرجت الجيوش العربية من بلادها في تلك المظاهرة الضخمة تحت

رصد وكالات الأنباء والصحف العالمية ، وفي مهرجان لم تشهد العرب مثله منذ وقت بعيد .

واجتمع الجيش العربي بكتائبه وجنوده في الشونة ليستمعوا إلى خطاب الملك عبد الله فيهم قبل الذهاب إلى القتال .

وكان ذلك يوم الجمعة 1948/5/14 في الساعة الرابعة بعد الظهر .

وعندما تهيأ المكان لخطاب الملك هبت عاصفة ، يصفها المرحوم عبد الله التل بأنها لم تشهد لها الأردن مثيلا من قبل ، واكتفى الملك بعبارة واحدة :

- أوصيكم بالطاعة يا جنودي البواسل فهي عماد الجيش .

وكان يقصد طاعة جلوب باشا الذي يعرف ماذا يفعل ، وفي رأسه الخطة التي لم يطلع عليها أحد من العرب ، بل كانت متداولة بينه وبين الملك وبين توفيق أبو الهدى رئيس الحكومة ، وبعض الخبراء من الوكالة اليهودية التي تأخذ طريقها في ذلك النهار البائس لتكون دولة عندما ينتصف الليل .

وعاد الملك عبد الله إلى عمان دون أن يقدم أمرا حربيا للعمليات كما تقضي بذلك التقاليد الخاصة بالحرب والقتال .

فقد كان عليه أن يصدر أمرا يقدر فيه الموقف بشكل عام ، ثم يقدم الأوامر الحربية تفصيلا ، وهو يبين الغرض من تلك العمليات العسكرية ، وكذلك الطرق التي تؤدي إلى تحقيق هذا الغرض . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

ويقول عبد الله التل :

« عدت إلى أريحا بعد أن كونت فكرة عن واجبات الكتيبة السادسة

على ضوء حديث جلوب باشا وتعليماته التي أدلى بها في 1948/5/14 . وبالرغم من إدراكي لخيوط رفيعة من خيوط المؤامرة كما أدرك بقية الضباط العرب ذلك ، فقد انصرفنا من الاجتماع وكلنا أمل في كسب معركة فلسطين خلال أسبوعين فقط . ولم يتصور أي ضابط عربي أن تكون السياسة العليا هي زج الجيش العربي بفلسطين لا ليحارب بل لتنفيذ المؤامرة ، ولم يرغب أي ضابط أن يتصور ذلك ، ولاسيما أن الضباط كانوا بعيدين عن التيارات السياسية ، وخفايا رغدان ودوائر عمان الحكومية »[1] .

وكان الجيش العربي الأردني هو أهم الجيوش في تلك المواجهة مع اليهود ؛ وذلك لمتاخمة الحدود ، ولعلم الضباط والجنود بخفايا الطرق والدروب ، وكافة التفاصيل عن أرض فلسطين . ولكننا لا يجب أن نغفل الحقيقة التي مؤداها أن كل قادة الكتائب من الإنجليز باستثناء الكولونيل عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة وأربعة آخرين معه ، ربما لم يكونوا في نفس الدرجة من الوطنية والحس القومي والديني .

بينما معهم القادة الرئيسيون للألوية والفرق والكتائب من الإنجليز ويزيد عدد هؤلاء عن مائة ضابط إنجليزي محنك لا يعصون جلوب باشا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ويقول عبد الله التل :

« إن اليهود يعرفون كل جندي يتم قيده في عمان ، وذلك من وزارة الحربية البريطانية نفسها التي كان يرأسها شنوئيل اليهودي الذي يعرف عن الجيش العربي أكثر بكثير من قائده الأعلى الملك عبد الله »[2] .

---

(1) المصدر السابق ص 88 .

(2) المصدر السابق ص 86 .

« وعندما وصلت إلى أريحا وشكلت الكتيبة السادسة ذهلت من رؤية اليهود وهم لا يبعدون عن أريحا أكثر من ثمانية كيلو مترات يسرحون ويمرحون دون أن يعترضهم أحد ، بل لم يكن يراقبهم أحد ، مع أنهم كانوا يهددون منطقة أريحا بأكملها ، وهي خط تموين الجيشين العربي والعراقي ، فاتصلت بجلوب باشا هاتفيا وطلبت منه السماح لي بمهاجمة المنطقة واحتلالها حتى لا تبقى شوكة في ظهر الجيش العربي » .

وكان جواب جلوب باشا[1] :

« يا حبيبي إحنا نفاوض الوكالة اليهودية ومدير الشركة « نوفومسكي » على استلام المنطقة كلها وحمايتها لتستمر بأعمالها ، خصوصا أن الشركة إنجليزية » .

ويمضي عبد الله التل يشرح أبعاد المؤامرة والخيانة :

« لم أطق رؤية عدد كبير من الأعداء المسلحين في مؤخرة الجيش العربي ، وبما أنه لم يكن باستطاعتي القيام بهجوم منظم على المنطقة بسبب قربنا من جلوب باشا في عمان ، فقد اكتفيت بتطويق المنطقة بأن أرسلت مفرزة كبيرة إلى دير حجلة الذي يبعد عن المستعمرتين والمنشآت مسافة كيلو مترين تقريبا وأعقبت ذلك بإنذار لليهود طالبا منهم التسليم ، ثم أكثرت من الدوريات حول المنطقة لأظهر لليهود أن الأمر جد .

ولقد كان جوابهم على الإنذار أن المفاوضات جارية بين عمان وتل أبيب بواسطة الطائرات وأنه سيتم الاتفاق على أمر ما »[2] .

---

(1) المصدر السابق ص 90 .
(2) المصدر السابق ص 90 .

المفاوضات بين العرب واليهود لأول مرة أثناء الحرب :

وجدت تل أبيب وعمان أن المفاوضات بالمراسلة الجوية قد يطول أمدها ، فاتفق على أن يحضر إلى « كاليه » مندوب عن الوكالة اليهودية مع مدير الشركة اليهودي « نوفومسكي »وذلك بطائرة تنقلهم من تل أبيب إلى كاليه ، وأن يحضر من عمان وفد المفاوضة الأردني ، ليتم الاتفاق حول المنطقة .

وفي صباح 1948/5/15 حضر لمقر قيادتي « الكلام على لسان المرحوم عبد الله التل » في أريحا كل من جلوب باشا والسيد حمد الفرحان سكرتير الحكومة آنئذ والميجور كوكر رئيس فرع الحركات الحربية بقيادة الجيش العربي ، وبينوا لي أنهم ذاهبون إلى « كاليه » للاجتماع مع الوفد اليهودي بشأن تسليم المنطقة .

ولم يكلفني جلوب باشا الذهاب معهم رغم أني كنت القائد المسئول عن هذا القطاع .

ذهبوا إلى كاليه وكان اليهود يعلمون بمجيئهم حسب المخابرات بين عمان وتل أبيب ، والتي كان يديرها كراكبرايد « الوزير المفوض في عمان » ، وجلوب باشا .

وبعد أن مكثوا في ضيافة اليهود ساعتين تقريبا عادوا إلي أريحا ، ومروا بقيادتي ثانية ليخبروني أنهم اتفقوا مع اليهود على ما يأتي :

1 ـ تجريد المنطقة من الأسلحة إلا ما يسمح به الفريق الأردني المفاوض وهي :

ا ـ 30 بندقية ألمانية ومائة طلقة لكل بندقية .

ب ـ أربعة رشاشات ألمانية وعشرة رشاشات ستن وذخيرتها المقررة .

2 – يحرس المنطقة بوليس يهودي ينتخب من غير أفراد العصابات ويسلم له السلاح المذكور بأعلاه بقصد الحراسة فقط .

3 – يشرف الجيش العربي على حراسة المنطقة بأن يضع مفرزة عددها 30 جنديا وضابطا في « كاليه » لتساعد على منع تعديات العرب على المنطقة .

4 – ينقل أفراد العصابات اليهودية الموجودون في المنطقة إلى تل أبيب بالطائرات .

5 – يتسلم الجيش العربي الأسلحة الزائدة عن المصرح به ويسلم مقابلها وصلا يحتفظ به اليهود .

6 – تمون المنطقة تحت إشراف الجيش العربي ، ويسمح لليهود بشراء مواد غذائية ضرورية لهم من الأسواق العربية .

7 – يسمح لضباط من قيادة الجيش العربي بزيارة المنطقة في أي وقت يشاءون .

8 – يسمح بنزول طائرة يهودية واحدة يوميا على أن يحضر للمطار الضابط العربي ليتأكد من أن الطائرة لا تحمل شيئا ممنوعا .

9 – تستمر الشركة بأعمالها الداخلية وتخفف القيود المفروضة على العمال العرب الذين يزيد عددهم على 300 عامل. وكذلك تستمر مستعمرة الكيبوتز بأعمالها الزراعية المعتادة .

10 – يبدأ تنفيذ هذه الاتفاقية اعتبارا من الساعة الثامنة صباح 1948/5/18 حيث تحضر لجنة أردنية لتفتيش المنطقة وجمع السلاح والمواد الحربية الزائدة .

11 – ينتهي العمل بهذه الاتفاقية حالما ينجلي الموقف في فلسطين وتعود المياه إلى مجاريها .

وحينما أتم السيد حمد الفرحان شرح المواد المتفق عليها لفت انتباههم إلى المادة العاشرة ، وسألت لماذا تعطونهم فرصة أربعة أيام ، وبإمكانهم نقل جميع الأسلحة الزائدة بالطائرات ، أو على الأقل إخفاؤها ؟

وهز الباشا رأسه وقال : « ما أظن عندهم سلاح كثير » .

ولم ألم حمد بك على هذه الاتفاقية السخية لأنه يجهل الأمور العسكرية ، ولم يكن يعلم بأن الباشا أخذه معه مندوبا عن الحكومة للتغطية فقط .

ولم يكن باستطاعة أحد من الحكومة أن يكلف جلوب أخذ ضابط عربي معه إلى كاليه .

« عزّ على اليهود أن يسلموا قطعة واحدة من السلاح ، وأن يروا جنود الجيش العربي يشرفون على حماية المنطقة ؛ ولذا فقد نزحوا جميعا عن المنطقة بأكملها ، ولجئوا إلى المشروع الثاني في جنوب البحر الميت ، وذلك بالقوارب واللنشات . وكان نزوحهم تدريجيا ابتداء من مساء 1948/5/15 أي قبل الوقت المحدد لمجيء اللجنة الأردنية المعينة في المادة العاشرة من الاتفاقية .

وقد ثبت فيما بعد أن جلوب باشا قد أمهلهم المدة الكافية لنزوحهم من الشمال إلى الجنوب .

الحكومة الأردنية تنهب المستعمرة بعد رحيل اليهود :

« في صباح 1948/5/18 هرع العمال السجناء في « كاليه » إلى أريحا وأخبروا أن اليهود هربوا إلى الجنوب . ولما وصلت الأنباء إلى عمان عينت

الحكومة حاكما عسكريا للمنطقة اسمه ذوقان حسين ، وأرسلت مفرزة من جنود الدرك لتحرس المنشآت والمستعمرتين .

ولم يكن هذا الإجراء إلا صوريا ، فقد بدأ نهب الأثاث والأشياء الخفيفة الثمينة وشحنها إلى بيوت اللصوص الكبار وأهمهم سماحة الشيخ الشنقيطي وزير المعارف آنئذ ، وأمير اللواء عبد القادر باشا الجندي ، والشيخ مناور « عن القصر » .

وحينما انتهوا من نقل الأثاث بدءوا يفكون الموتورات الضخمة ويشحنونها إلى عمان ، وفي عمان تباع تلك الموتورات لأغنياء شرق الأردن أصحاب المصالح ، ويذهب الثمن لجيوب اللصوص المذكورين ورفاقهم الذين اطلعوا على سرقاتهم الرسمية .

وقد دامت هذه الحال في كاليه والكبوتز أياما وأسابيع ، ولم يمض شهران على نزوح اليهود عن المنطقة حتى أصبحت جرداء قاحلة لا تجد بها قطعة حديد واحدة يمكن نقلها .

وهكذا تمت أكبر عملية نهب رسمي منظم في تاريخ البلاد العربية ؛ إذ قدرت قيمة المواد المنهوبة والموتورات الضخمة بما لا يقل عن مليون جنيه فلسطيني ذهبت إلى جيوب حفنة من الشخصيات الحقيرة في عمان . والمضحك المبكي هو عذر الحكومة في تصرفها هذا ؛ فعندما نسأل أي مسئول في الحكومة يجيبك بصراحة أن الحكومة غير مسئولة عن حماية المنطقة »[1] .

---

(1) كارثة فلسطين مصدر سابق ص 94 .

كان الملك عبد الله متآمرا مع اليهود !

كانت الحرب التي دارت بين العرب واليهود عام 1948 من الحروب المضحكة إذا ما نظر إليها أولئك الذين يعرفون أسرارها في ذلك الوقت . وقد كانوا حفنة من الساسة من بعض الدول العربية ، وليس جميعها ، ولكن على رأس هؤلاء جميعا كان أكبر المتآمرين هو الملك عبد الله وحكومته ؛ فهم الذين صنعوا هذه النتيجة بسنوات طويلة من التعاون والتآمر والترتيب مع اليهود . وكما قلنا فإن الشعوب العربية كانت في حجاب مما يراد بها .

وكان التآمر والتواطؤ واضحا وصريحا ويدركه الذين يقتربون أكثر من الأحداث ، والذين يشاهدون النتائج بعد ذلك ، وكيف تسير بالشعوب العربية ، والقضية الفلسطينية ، ومحصلة الأحداث بعد ذلك .

فالجيش الرئيسي الذي يحارب اليهود جيش إنجليزي التكوين والسياسة وبه بعض القادة من اليهود . وليس من المعقول أن يحارب اليهود يهودا ، بل هم يمكنون لهم ، ويصدرون عن خطة يعرفونها ومتفقون عليها .

وكان لابد من الحرب ، ومن الهدنة ، ومن رسم خطوط الحدود في شكل يستمر عشرات السنين .

كانت الجيوش العربية تقوم بمهام بسيطة ساذجة لا تتفق مع عظم الهدف والغرض الذي أرسلت من أجله .

وكان الجيش العربي « الإنجليزي القائد والتكوين » يقوم بمهام رئيسية في شكلها ولكنها خالية من المضمون وفقا للاتفاق بين الملك عبد الله وبين الفريق جلوب باشا قائده . حتى المناورات والعمليات البسيطة من باب التمويه والتغطية كانوا يستنكفون عملها ، ناهيك عن توريط القوات المقاتلة المجاهدة في متاهات القتال وهد قواهم والقضاء عليهم .

كان الإنجليز يسيطرون على المدفعية الموجودة في الجيش العربي ، وهم الذين يحسنون استخدامها ، وأغراضها كثيرة ومتعددة ، ولكنهم لم يسمحوا باستخدامها استخداما جديا ضد اليهود أو لحماية المقاتلين .

وكانت حدود التحرك للجيش العربي الذي يقوده جلوب باشا هي الأماكن العربية التي حددها قرار التقسيم ، وليس أبعد من ذلك بوصة واحدة ، وهم ليسوا على استعداد لإراقة نقطة واحدة من الدم الإنجليزي .

وقد رأينا في مذكرات عبد الله التل ما يشير إلى هذا .

« فقد حدث حين تقررت ساعة الهجوم أن أصدر « لاسن » أمره إلى أحد الضباط الإنجليز من رتبة ميجور بمرافقة السريتين في الهجوم لتقديم النصح والإرشاد إلى الضباط العرب الذين يجهلون فنون الحرب كما يزعم الإنجليز ، إلا أن ذلك الضابط قد رفض الأمر ، وقال بأنه ليس على استعداد للتضحية بنفسه في سبيل العرب ، وتساءل بوقاحة عن مصير زوجته إذا خسر حياته في المعركة . وأرجو ألا يعجب القارىء حينما يعلم أن ذلك الضابط كان يتقاضى راتبا يزيد عن راتب من يسمى نفسه بوزير الدفاع »[1] .

وكان الملك عبد الله يتظاهر بالوطنية أمام الضباط العرب ، ولكنه في الوقت نفسه ينفذ مخططا لا يعرفه هؤلاء الضباط ، فهو يقول لهم كلاما ، وينفذ هو وجلوب كلاما آخر يختلف في مضمونه وشكله مع أماني البلاد القومية والدينية .

---

(1) كارثة فلسطين مصدر سابق ص 145 .

كان عبد الله التل يلح إلحاحا شديدا على الملك عبر الهاتف أن يأمر جلوب بمساعدته في الاحتفاظ بالقدس العربية ، وتخفيف الضغط اليهودي على أبوابها ، وكان ذلك في أيام القتال الأولى .

ولابد للملك أن يصدر أوامر ما إلى جلوب باشا !

ولابد لجلوب باشا أن يصدر أوامر ما إلى شخص ما حتى يستقيم الشكل .

وأصدر جلوب باشا أوامره المسمومة ، على حد تعبير عبد الله التل ، إلى « لاسن » بإرسال الكتيبة الثالثة الموجودة بضواحي رام الله إلى القدس لمساعدة عبد الله التل في الاحتفاظ بمواقعه .

ولكن أحدا لم يعرف طبيعة هذه الأوامر التي صدرت ، فلا يوجد عند العرب سجلات أو أرشيف ، ولكن إن كانت تلك الأوامر تقتضي مساعدة اليهود فليس من المعقول أن تسجل في ورقة أو وثيقة ، ولكن المتتبع لطريقة القتال يمكنه أن يفهم طبيعة هذه الأوامر ، وهل كانت للمساعدة أم لمزيد من التوريط ؟

ويبدو من سير الحوادث أن الإنجليز كانوا يريدون القضاء على الكتيبة الثالثة ، حتى يمكنهم تبرير الانسحاب من القدس أمام العالم ، وذلك بعد أن يبدو الوضع بالغ الخطورة في نظر المراقبين وأهل النظر .

كان قائد الكتيبة الثالثة يدعى الميجور نيومان ، ويدعي أنه من أستراليا .

وكان الكولونيل عبد الله التل يتحفظ بالنسبة للأسماء الإنجليزية التي تنتهي عادة بالألف والنون مثل كروسمان ، وسلفرمان ، وترومان وغيرها ، ويرى أن هذه أسماء يهودية أو لها أصل يهودي .

وكان هذا هو قائد الكتيبة الذي أمر بمساعدة الكتيبة السادسة لتحتفظ بمواقعها ، وكان مساعده في هذه الكتيبة هو الميجور « هنكن يترفن » وكان هذا الرجل من أشهر ضباط البوليس السياسي الإنجليزي في فلسطين ، ولا علم له بالقتال وكل خبرته في التحقيق وانتزاع الاعترافات والتجسس على الوطنيين ، وكانت له سمعة سيئة جدا بين المواطنين ، وله شهرة بالغة في هذا المجال .

وبدأت الكتيبة الثالثة هجومها بأوامر عمليات موقعة من الميجور نيومان تقضي بفشلها والقضاء عليها[1] .

ويقول عبد الله التل[2] :

« لم أنم ليلة 20-1948/5/21 كعادتي وخاصة بعد أن تأكدت من أن إحدى الكتائب المدرعة ستهاجم شمال القدس قبل الفجر . وقد انتظرت طويلا ومن حولي بعض الشباب الذين دفعتهم الغيرة والنخوة لمجاراتي ومشاركتي شعور الفرح الممزوج بالحيرة والاضطراب .

وقد طلع الفجر ولم نسمع طلقة واحدة من المدفعية التي كنا نتوقع سماع هديرها تمهيدا للهجوم . ولم نسمع صوتا للرشاشات ولا لمدافع المدرعات ، وخجلت من أصدقائي أن يحسبوني كاذبا أو على الأقل جاهلا بحركات بقية الكتائب .

وقلت لهم لاشك أن الهجوم قد تأجل لأنه لا يعقل أن يجري في هذا الوقت من النهار ، وكانت الساعة قد وصلت العاشرة صباحا . وكنا لم نسمع صوت قنبلة واحدة .

---

(1) مصدر سابق راجع ص 146-147 .
(2) مصدر سابق 148 .

وكم كانت دهشتنا عظيمة حينما رأينا جمعا من جنود البادية ومن الكتيبة الثالثة نفسها يدخلون الروضة ، وعلائم التعب والانحلال بادية على وجوههم ويصيحون : نريد عبد الله التل .

وأشرت لهم والتفوا حولي ، ولم يستطع أغلبهم الثبات واقفين بل جلسوا على الأرض العراء بحالة يرثى لها .

وبدأ قائدهم الملازم غازي حربي يقص علي كيف أن قائد الكتيبة قذف بجنود السرية إلى الأحياء اليهودية دون أن يمدهم بدليل يساعدهم على معرفة الطرق والشوارع ، وهم البدو الذين يجهلون المدن ولم يسبق لهم أن دخلوها في حياتهم « !! »

ثم بيّن لي كيف أن الخطة كانت مدبرة لهلاكهم لأن نيومان رفض السماح للمدرعات بإعطاء النار الساترة للمشاة من مدافعها الكثيرة ، ثم رفض تكليف المدفعية برمي الأحياء اليهودية لإشغالها ثم رمي الأهداف قبل الزحف عليها » .

ويحكي قائد السرية غازي الحربي للكولونيل عبد الله التل كيف جرت الأمور معهم ، وكيف خانهم قائد الكتيبة نيومان ، وقصة استشهاد الضابط المدفعي محمد نجيب الذي عُيِّن من قبل المدفعية ليكون ضابطا للملاحظة .

فقد جاء محمد نجيب بمدرعته ومعه جنديان للمخابرة ما عدا السائق ، وقابل قائد الكتيبة الثالثة لتلقي الأوامر اللازمة حول الأهداف التي يريد رميها بالمدافع تمهيدا للهجوم .

وكان وصول محمد نجيب واجتماعه بنيومان في 1948/5/20 أي قبل الهجوم بيوم واحد . وبدلا من أن يصدر نيومان أوامره لضابط الملاحظة بكشف الأهداف لتسجلها المدفعية مقدما ، أمره أن ينتظر في الكتيبة

ليتحرك معها في صباح اليوم المعين للهجوم .

وفي صباح 1948/5/21 وبعد طلوع الشمس أرسل نيومان ضابط الملاحظة ليكشف الأهداف في « ميشيرم » أحد أحياء اليهود في شمال القدس .

وزيادة في اللؤم والغدر - على حد تعبير الراوي - وصل نيومان مع الضابط محمد إلى الشيخ جراح ، وأشار له بيده إلى « ميشيرم » مبينا له من بعيد الطريق التي يجب على هذا الضابط أن يسلكها في طريقه إلى باب العمود ، ثم برج المتحف لإتمام عملية الكشف ، وكان نيومان يعرف جيدا أن الطريق من جسر الشيخ جراح إلى بناية الأوقاف الإسلامية ثم مخفر ميشيرم مليء باليهود ، ويستحيل على مدرعة واحدة أن تسير في أي شارع بدون دليل من مجاهدي القدس المرابطين في وادي الجوز وباب الساهرة . ووقع الضابط في الفخ الذي قاده إليه قائده نيومان .

فما إن وصلت المدرعة بالضابط وجنوده الأبرياء بالقرب من مخفر « ميشيرم » حتى رماها اليهود بقنبلة من مدفع « بيات » قضت على جميع من بالمدرعة وأشعلت النيران بها .

و لم يعثر على جثث الشهداء لأن نيومان ترك المدرعة و لم ينقذها فسحبها اليهود ليلا .

و لم يكترث نيومان بما حدث . واعتبر هذا ذريعة قوية لعدم تكليف المدفعية شيئا مادام ضابط الملاحظة قد قتل .

ثم قدم سراياه للهجوم على الأحياء اليهودية للقضاء عليهم - على جنوده - فهو لم ينفذ أبسط قوانين الحرب ، وهو الضابط المحنك ، وكان ينبغي عليه كشف وتقدير الموقف الحربي ، ثم إعطاء ستر كثيف من المدفعية

والمدرعات . وكان ينبغي أن يأمر المدرعات فتعطي النيران الساترة ، وترمي الأوكار اليهودية من مواقعها المرتفعة في الشيخ جراح .

وكان يستطيع أن يفعل هذا من موقعه دون الحاجة لدفع ذلك الضابط الشهيد لأداء مهمة لا معنى لها بمفهوم الحرب والقتال .

ويبدو أن نيومان هذا كان شيطانا مريدا لا رحمة في قلبه ولا شفقة ، أو هو يقوم بواجبه حيال أهله وقومه من اليهود ! وليس مهما أن موقعه مع العرب وأنه يقاتل معركتهم في ظاهر الأمر !

ويحكي الملازم الذي نجا من المذبحة كيف تم الهجوم العجيب للكتيبة الثالثة ! فإن سرايا المشاة أمرت أن تنزل من السيارات في نقطة تبعد ثمانية كيلو مترات من الهدف .

وأمر قائد الكتيبة الجند أن يسيروا على أقدامهم وأن يتركوا السيارات في تلك النقطة . وكانت الساعة الثالثة والنصف فجرا .

وكان ينبغي عليه أن يذهب بالجند راكبين إلى أقرب نقطة ، وعلى الأخص أن الطريق مأمونة وتقع ضمن حدود الجيش العربي .

وعمله هذا يعد جريمة عسكرية بكافة المعايير ، ولكنها جريمة متفق عليها مع القائد العام جلوب باشا . وجلالة الملك عبد الله !!

وصل الجند منهوكي القوى من السير في الساعة الخامسة صباحا ، في حالة بالغة من الإعياء والتعب ، وهم يحملون عتادهم هذه المسافة .

وكان عليهم – حسب الأوامر – أن يبدءوا الهجوم فور وصولهم للشيخ جراح .

لم يسمح نيومان لقادة السرايا بكشف الطرق ، ولم يكلف نفسه مشقة

استدعاء الخبراء بالطرق من المجاهدين الفلسطينيين .

وكان موقع هؤلاء لا يبعد أكثر من مائتي ياردة من النقطة التي كانوا فيها .

وكان مصير الهجوم بطبيعة الحال هو الإخفاق الذريع والفشل . فما كادت سرية غازي الحربي تتوغل في الطريق المؤدية إلى « ماندلبوم » حتى نزل عليها الرصاص كالمطر ، وصار تقدمها مستحيلا ، وقد بدأت تتراجع ونجا أغلب جنودها بأعجوبة .

كل سرايا الكتيبة الثالثة منيت أعمالها بالفشل الذريع ، وكان هذا هو المراد .

وكانت سرية الميسرة بقيادة الملازم أول عيد أديلم من أهدافها أن تحتل « النوتردام » تمهيدا للالتقاء ببقية القوة في ساحة بنك باركليز .

ودفعها نيومان إلى النوتردام ولم يسمح للمدرعات بإمدادها بنار ساترة تساعدهم على التقدم .

ورغم الخسائر فقد تقدم المشاة الشجعان في أرض مكشوفة واستطاعوا احتلال النوتردام بنجاح .

ولكن نيومان أعادهم من الموقع الذي احتلوه إلى باب العمود رغم التضحيات التي تكبدوها في سبيل هذا الهدف ، وكان ضمن الضحايا قائد السرية الملازم أول عيد أديلم ، وكان يتقدم جنوده في الهجوم .

ولم يكن نيومان يتوقع أن تحقق هذه السرية نجاحا ، ولما حققته – وهو ما لايتفق مع الخطط العليا – أعادهم إلى نقطة أخرى بحجة التنظيم وإعادة الترتيب والتحضير لهجوم جديد .

ويقول الكولونيل عبد الله التل في مذكراته :

« وحينما اطلعت على فصول المأساة وكشفت بنفس الموقع لأتأكد من صحة ادعاء الضباط والجنود ، اتصلت بجلالة الملك عبد الله هاتفيا . ودارت بيننا المحادثة التالية في حضور الملازم غازي الحربي :

قال جلالته :

يابا كيف الأخبار ؟ بشرنا .

- سيئة يا مولاي .

خير إن شاء الله ... عسى ما صار شيء .

- الكتيبة الثالثة هجمت وأخفقت في الهجوم .

ليه تفشل ؟ هذا عيب علينا ! من المسئول ؟

- سيدي قائد الكتيبة إنجليزي واسمه نيومان ، والخطة التي عملها تؤدي إلى هلاك الكتيبة .

وبدا الامتعاض في صوت الملك وهو يقول :

ياريتك ما حكيت هكذا . بالله عليك لا تحك أسرارا بالتليفون .

- أمرك يا مولاي .

وأدركت أن جلالته لا يريد أن يسمع كلمة واحدة ضد الإنجليز .

وقد كان لي حينئذ بقية أمل في تسلم تلك الكتيبة من قائدها الإنجليزي ليصبح تحت أمري كتيبتان نظاميتان ، فأستطيع عمل شيء لا يرضى عنه الإنجليز ، ولكن الحوادث كانت تأتي سراعا . فسرعان ما تبين لي أن جلالته لا يفكر مطلقا في تلبية طلبي والخروج عن رغبة الإنجليز »[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 152 .

في هذه الأيام الأولى للحرب النظامية بين العرب واليهود كشفت المعركة التي قامت بها الكتيبة الثالثة بقيادة نيومان الإنجليزي الكثير من أبعاد التآمر . فبدت نوايا الإنجليز الذين يقودون الجيش العربي واضحة . وأنهم ينسقون مع حكومة عمان ومع جلالة الملك نفسه . وبدلا من محاكمة قائد الكتيبة الإنجليزي على ما فعل أو طرده من الجيش على الأقل فقد رقي إلى رتبة قائد ثم إلى رتبة قائمقام في أقل من ستة أشهر . وسلم قيادة لواء كامل من الجيش العربي ، على حسب ما يروي عبد الله التل في مذكراته .

وقد طمأنت هذه المعركة اليهود على نتيجة الصراع في فلسطين ، فكل شيء يسير وفق الخطة المرسومة التي لا يعرفها العرب . ومادامت مدفعية الجيش العربي في أيدي أصدقائهم الإنجليز فلن يستخدموها ضدهم ، وقد أثبتت الحوادث ذلك . وبدأت معنويات اليهود ترتفع مع الأيام الأولى للصراع ، فرغم التآمر وكافة ما اتخذوه من احتياطيات واتفاقات فقد كانوا على خوف من انقلاب الميزان في غير صالحهم . ولكن الحوادث تؤكد أن كل شيء يسير على ما يرام .

الجيش العربي يهدد بقصف المهاجمين العرب !!

تكتب قصة الصراع العربي الإسرائيلي وحرب فلسطين عام 1948 بحروف مليئة بالحزن والأسى والمرارة من هول الأحداث وتشابكها وخيانة الحكام الذين ضحوا بمصالح شعبهم القومية والدينية ، وكانوا مع اليهود ضد قومهم دون خجل أو حياء أو وازع من مروءة أو أخلاق . ويصعب تبرير ما حدث بغير التمسك بالعرش بغض النظر عن الوسيلة التي تؤدي إلى ذلك .

وقصة الهجوم على عمارة النوتردام في القدس لم تنته على النحو الذي

رأيناه من قبل . ولكن لها بقية مؤسية مؤسفة تثير الحنق والغيظ والغضب .

فبعد أن أمر نيومان الكتيبة الثالثة بالتراجع إلى باب العمود تاركة الهدف الذي من أجله كان الهجوم . ووزع القوات في البيوت العربية ، وقام بتثبيت المدرعات الكثيرة في طريق باب العمود – سعد وسعيد ، بحيث تشكل خطا دفاعيا عن القنصلية البريطانية ولم يسمح لها بالتقدم شبرا واحدا عن ذلك الخط . فتقدمها يعني احتلال بيوت يهودية . وهذا ليس ضمن الاتفاق اليهودي الإنجليزي مع جلالة الملك .

ولكن الضباط وجنود الكتيبة الثالثة لم يطيقوا هذا . وهم الذين خسروا زملاءهم من الجنود وضابطا من خيرة ضباطهم بالأمس . والعدو على مقربة منهم ، ولا يبعد أكثر من مائتي ياردة . وهو في عمارة النوتردام . ذلك الهدف الذي تحركوا من أجله .

واتفقوا على الهجوم بقيادة الملازم غازي الحربي ومساعده الملازم محمد النعمان . وفي فجر يوم 1948/5/24 أصلت المدرعات المرابطة في باب العمود مواقع اليهود في النوتردام نارا حامية . ومهدت للمشاة كما تقضي بذلك أبجديات الحرب التي تجاهلها نيومان عن عمد وسبق إصرار . وزحفت السرية ونجحت في احتلال النوتردام . وخسرت خمسة من الجنود ، وأصيب مساعد قائد السرية بجراح خطيرة ولم يدم احتلال النوتردام أكثر من ست ساعات !!

فقد طارت الأنباء لقائد اللواء الإنجليزي وأدرك أن نيومان قائد الكتيبة الثالثة لم يستطع السيطرة على جنوده . وأن هذا تم رغما عنه .

وفي الحال أصدر قائد اللواء أوامره بانسحاب الجنود من النوتردام على الفور ، وفي حالة تقاعسهم ، فقد أعطى الأوامر بقصفهم بالمدفعية الثقيلة العربية !!

وتحركت بطاريات المدافع يقودها الإنجليز إلى الشيخ جراح لقصف القوات العربية التي جرؤت فاحتلت النوتردام .

ولم يكن في وسع هذه القوة غير الانسحاب حتى لا تقع بين نارين : نار اليهود ونار العرب على حد تعبير المرحوم عبد الله التل[1] .

الملك عبد الله يلعب بالبيضة والحجر !!

لا يريد أن يبدو خائنا أمام قومه ، ولكنه لا يستطيع ، وهو لا يقدر على تمثيل دور الوطني ، فهذا الدور يكلفه عرشه ، ولم يدرك وقتها أن الخيانة قد كلفته حياته فيما بعد ذلك .

« كان اليهود قد استطاعوا الثبات في تحصينات الجامعة والمستشفى ، وكانوا قد تمكنوا من الاتصال بالقدس الجديدة على أثر احتلالهم للشيخ جراح وكرم المفتي . وذلك قبل طردهم من ذلك الموقع من قبل الجيش العربي .

وحينما علمنا بهجوم الكتيبة الثالثة على شمال القدس ظننا أنه من البديهي أن تحتل في طريقها جبل سكوبس وعليه المستشفى والجامعة لئلا يبقى اليهود في مواقع حصينة خلف الجيش العربي .

ولكن مضى يوم 1948/5/21 وهو يوم هجوم الكتيبة دون التعرض لجبل

---

(1) مصدر سابق ص 155 .

سكوبس الذي يشرف على جميع المواقع التي استقرت بها الكتيبة الثالثة في ذلك اليوم .

وقد ساد الهرج والمرج بين سكان القدس وعجب الناس وتساءلوا كيف يسمح الجيش بترك قوة يهودية تهدده من الخلف مع أنه كان في قدرة الكتيبة أن تحتل المنطقة في معركة لا تدوم أكثر من نصف ساعة . ولكن التساؤل لم يدم طويلا فقد أذاع الضباط العرب السر في ذلك الأمر ، وهو أن أوامر عمان قضت بتجنب الاشتباك مع حرس مستشفى هداسا والجامعة العبرية لأن هاتين المؤسستين شيدتا بأموال الأمريكان لا بأموال اليهود !! وادعت قيادة الجيش في عمان أن هداسا مؤسسة صحية عالمية لا يجوز التعرض لها حتى لا تثير العالم الغربي على العرب ، وكذلك الأمر مع الجامعة العبرية التي اعتبرتها عمان مؤسسة ثقافية تحوي أكبر مكتبة في الشرق الأوسط »[1] .

حينما استقرت الكتيبة الثالثة في مواقعها ، ولم يبدر منها ما يبشر بالقيام بعمل ما ضد جبل سكوبس ، بدأت أصدر أوامري إلى السرية المساندة في الكتيبة السادسة بقصف هداسا والجامعة العبرية في فترات معينة .

وأعني بالقصف رميها بما عندي من قنابل الهاون والهاوزر عيار 3/7 ومدافع المدرعات .

ولم يكن لي حيلة بالمدافع الثقيلة . وقد قمت بهذا العمل سرا . وتضايق يهود المنطقة الذين اطمأنوا بعد رؤيتهم الكتيبة الثالثة تتخطاهم .

وبينما كنت جالسا في مكتبي إذ جاءني قنصل أمريكا في القدس وادعى

---

(1) المصدر السابق ص 156 .

أنه اتصل بجلالة الملك وجلوب عن طريق القنصلية البريطانية ، وأنهما وعدا بإصدار الأوامر الثابتة لمنع التعدي على المستشفى والجامعة .

وبالفعل اتصل بي جلالة الملك مساء 1948/5/24 وأمرني أن أتجنب الاحتكاك بمنطقة هداسا والجامعة العبرية . وما كدت أشرح له خطورة السكوت والإبقاء على تلك المنطقة بيد اليهود حتى صاح قائلا :

- فين مدافع العراقيين ؟ أنا أرسلتها لك تحت أمرك . هيا أدّب اليهود بها .

فأجبت جلالته أن مدافع العراقيين تحت قبضة « لاسن » في رام الله وسأنقل إليه في الحال أمر الملك »[1] .

وهنا الملك نراه يلعب بالبيضة والحجر !! فهو يخدع الكولونيل عبد الله التل ويظهر أمامه بمظهر الوطني الغيور الذي يريد تأديب اليهود . وهو يعلم علم اليقين أن المدافع العراقية ، كانت أربعة مدافع ضخمة عيار 100 رطل لدك الحصون والمدن ، قد أعيرت للجيش العربي وهي في حوزة جلوب ولاسن ولا يمكن استخدامها إلا بإذن أحدهما أو كلاهما ، وأنهما لن يسمحا بهذا أبدا ، وهذا ما حدث فقد حالا دون أن تستخدم هذه المدافع وأعيدت بعد ذلك إلى الجيش العراقي مع قنابلها .

ويمضي الكولونيل عبد الله التل في مذكراته :

« ماكدت أوفق في إثارة حمية الملك وأسمع عبارته الحماسية ، حتى سارعت بالاتصال هاتفيا بقائد فرقة لاسن ، ونقلت إليه أمر الملك بوضع مدافع العراقيين تحت تصرفي .

---

(1) المصدر السابق ص 158 .

فأدرك لاسن خطورة الأمر . ولم يجبني ، بل طلب إمهاله نصف ساعة ليتصل بجلوب ، وبعد نصف ساعة طلبني وقال إن المدافع ستبقى تحت أمر قائد المدفعية « إنجليزي » وإنها لن تقصف هداسا والجامعة ، لأن أمريكا تدخلت وبريطانيا توسطت للإبقاء على هاتين المؤسستين .

ولما كنت حينئذ ضابطا تحت إمرة لاسن وجلوب فقد أردت أن أحتمي بجلالة الملك ، فاتصلت بجلالته في نفس الساعة ، وأخبرته بما دار بيني وبين لاسن وكيف أنه خالف أمر القائد الأعلى ، وما كان من تأنيبي له . فقال جلالته مهدئا أعصابي :

– على هونك يا عبد الله . لا تخالف لاسن بك . والباشا بلغنا رغبة أمريكا وإنجلترا فلا ترموا المستشفى والجامعة بعد اليوم »[1] .

الملك عبد الله يريد القضاء على الجيش السوري :

كانت هناك معالم واضحة للقوات العربية الممثلة في الجيوش المختلفة ، ويبدو أن المطلوب منها كان احتلال المناطق العربية التي حددها قرار التقسيم ، مع السماح لليهود بأخذ جزء من نصيب العرب في هذا القرار ، وكان هذا ما تفسره تحركات جميع هذه الجيوش . وعلى الأخص الجيش العربي . وكان الملك عبد الله هو صاحب النفوذ الكبير . وكانت له أطماعه الخاصة بالإضافة إلى ما كان يسير في سبيله من رسم الحدود الإسرائيلية من خلال الحرب والقتال . فقد كان أيضا يريد القضاء على الجيش السوري . فهو يحلم بسوريا الكبرى ، مادامت فلسطين قد ضاعت وأخذها اليهود . فلنفكر في إضعاف الجيش السوري والقضاء عليه من خلال هذه

---

(1) المصدر السابق ص 159 .

الحرب التي لا تخلو من فوائد جمة . وكانت لديه خطة مدبرة لهذا .

« أما تلك الخطة المدبرة فقد عرفها كل من اطلع على مادار في اجتماع درعا في 1948/5/19 وحضره الملك عبد الله وفخامة شكري القوتلي والشيخ بشارة الخوري وعزام باشا والأمير عبد الإلـه ورئيس أركان الجيش العراقي صالح صائب وطه الهاشمي والأميرألاي صبور عن الجيش المصري وعبد القادر الجندي عن الجيش العربي .

وفي ذلك الاجتماع التاريخي طلب فخامة شكري القوتلي أن تنفذ خطة الجيش السوري التي وضعها للدخول من بنت جبيل إلى الناصرة ، ومن هناك يحتل العفولة ويتصل بالقوات العراقية في جنين ، فيتم بذلك عزل جميع المستعمرات اليهودية الواقعة في الغور .

ولكن الملك عبد الله رفض هذه الخطة ، وأصر على إرسال الجيش السوري إلى منطقة سمخ وطبرية . ومن يعرف « باب الثم » أو مدخل طبرية يدرك لماذا أصر الملك على الزج بالجيش السوري في ذلك الموقع الخطير المليء باستحكامات الحرب العالمية الثانية « خط إيدن » .

وقد كان جلالته يملي إرادته في ذلك الاجتماع لأن أسهمه كانت في غاية الارتفاع ، ومما قاله في هذا الاجتماع :

– إنني أطمئنكم بأن الجيش العربي سيحتل القدس في 48 ساعة ثم يزحف إلى رأس الحية .

مشيرا بذلك إلى تل أبيب !

فتهامس الجميع ، ثم صدقوا ما قاله جلالته ووافقوه على ما اقترح ، ومن الجملة بقاء الجيش السوري في منطقة سمخ وطبرية .

وقد نفذ الجيش الفتي الأوامر ، واقتحم منطقة مليئة بالاستحكامات اليهودية ، واحتل سمخ بعد أن طرد اليهود منها ، ثم لحق بهم إلى باب الثم حيث استحال عليه الاستمرار في الزحف نظرا لما لذلك الموقع من أهمية حربية طبيعية .

وفي تلك المعركة خسر الجيش السوري عددا كبيرا من ضباطه وجنوده البواسل . وأدت تلك الخسارة الجسيمة إلى سقوط سمخ في يد اليهود ثانية . ولقد كانت منطقة الجيش السوري واسعة وصعبة للغاية . حتى إنه كان مسئولا عن منطقة الغور المحاذية للحدود الأردنية . وفي هذه المنطقة نجح الجيش السوري بمعاونة المناضلين في احتلال مستعمرة مسادة الواقعة على ضفة نهر الأردن الغربية .

وانتهت هذه المرحلة من حرب فلسطين والجيش يعمل في منطقة سمخ والغور مكشوف الجناح الأيسر بعد انسحاب الجيش العراقي ، وهو ما كان يرمي إليه الفريق جلوب ، لأن فيه ضمانا بعدم التعرض للمواقع اليهودية الهامة مثل العفولة التي كان احتلالها سيعزل جزءا كبيرا من إسرائيل عن القاعدة الرئيسية - حيفا - وفيه احتمال القضاء على الجيش السوري ، وهو ما لم يتحقق ، لأن ذلك الجيش استطاع أن يحافظ على شرفه العسكري فلم يخسره في فلسطين »[1] .

الملك عبد الله يرغم العرب على قبول الهدنة :

رغم كل ما خططوا له وصنعوه من أجل تكريس دولة إسرائيل ، فجيوش قد دخلت الحرب وهي على غير استعداد . والقائد العام للجيوش

---

(1) المصدر السابق ص 192 .

العربية على صلة كبيرة باليهود ، وهو يتظاهر بالوطنية في التليفونات والاجتماعات العامة . ولكنه ينفذ ما فيه فائدة اليهود في صفاقة وبرود . ورغم أن هذه الجيوش لم تكن لديها خطة ما تنفذها ، أو أنه لم تكن خطة عامة تتولى الجيوش العمل وفقا لها ، ورغم كل المعوقات والخيانات المختلفة ، إلا أن المتطوعين من المؤمنين والوطنيين استطاعوا أن يحققوا أهدافا كبيرة ، ووصل الحال باليهود أنهم شعروا بإمكانية اجتياح الجيوش العربية المفككة الأواصر كل أرض فلسطين ، ومعهم المجاهدون .

وحلَّ الفزع في نفوس اليهود ، وجاءهم الخطر من كل مكان ، وكادت القضية أن تنتهي بتغلب العرب على اليهود ، واستقرار فلسطين لأهلها من العرب .

ولم تكن كل القوى المناوئة للعرب تظن أن الأمور تسير على هذا النحو . وكان اليهود يسيطرون على صُنَّاع القرار في بريطانيا ، وكان لابد من هدنة حتى يُعيد اليهود تنظيم صفوفهم بشكل يتناسب مع المفاجأة التي جاءت مع الفوضى العربية ، وكان لابد أيضا من وجود أسلحة جديدة وإحضار مؤن وذخائر .

ولم يكن قد مضى على دخول الجيوش العربية الحرب أكثر من أسبوعين حتى بدأ التفكير في الهدنة .

وتقدم المندوب البريطاني في نهاية مايو 1948 إلى مجلس الأمن باقتراح يقضي بوقف القتال بين الفريقين لمدة أربعة أسابيع وتعيين وسيط دولي للتوفيق بين العرب واليهود .

وكانت بريطانيا لها التأثير القوي في ذلك الوقت على بقية أعضاء مجلس الأمن واستخدمت نفوذها للحصول على هذا القرار .

وأقرّ المجلس في 29 مايو 1948 الاقتراح البريطاني بوقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع وتعيين الكونت برنادوت وسيطا منتدبا من قبل هيئة الأمم ومهمته التوفيق بين العرب واليهود .

وكان لابد من اقتناع الدول العربية أو موافقتها على هذا القرار . أما اليهود فقد قبلوا قرار مجلس الأمن لأنه في صالحهم .

واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في عمان للتشاور حول قرار مجلس الأمن واتخاذ الخطوات اللازمة بهذا الشأن .

وكان الملك عبد الله وراء كل شيء في جامعة الدول العربية بهذا الخصوص . وهو المحرك للأحداث ، والذي يمثل الضغط الرئيسي على أية قرارات فيما يختص بقضية فلسطين ، فالملك عبد الله هو وارث الثورة العربية الكبرى ، وهو المنقذ ابن المنقذ على حد تعبير « الزعران » الذين استأجرهم يوما في عمان .

وفي اجتماعات اللجنة السياسية في عمان 25 مايو 1948 نطق الوفد الأردني بلسان الملك عبد الله والفريق جلوب باشا .

وتكلم توفيق أبو الهدى باشا وقال إن الجيش العربي لا يستطيع الاستمرار في القتال لنقص الذخائر والمؤن والمعدات ولابد من عقد الهدنة .

وقام أعضاء الدول العربية من المجتمعين بتفنيد دعاوى الوفد الأردني وأفهموه أن هذه الدعاوى غير دقيقة ، وأن الهدنة ليست في صالح العرب بالنسبة لقضية فلسطين .

وكانت تعليمات الملك عبد الله لتوفيق أبو الهدى باشا صريحة وحاسمة ، ولا مفر من قبول الهدنة فهي من المسائل الاستراتيجية التي تتعلق بالعرش !!

ولما وصل النقاش بالمجتمعين إلى حائط مسدود ، هدّد توفيق أبو الهدى باشا بأن المملكة الأردنية الهاشمية سوف تنسحب من جامعة الدول العربية في حالة رفض الأعضاء قبول الهدنة التي أقرها مجلس الأمن بين العرب واليهود .

وخيم على الجالسين صمت عميق قد ملأته سحب التفكير الشديد . فالملك عبد الله من عُمُد الجامعة العربية ، والجيش العربي وجوده مهم في ساحة القتال . ووجود الأردن في جامعة الدول العربية أساسي وانسحابه قد يؤدي إلى انسحاب العراق أيضا ، وهي فترة عصيبة وحدوث هذا كله قد يخلق تداعيات لا يستطيع أحد تقدير نتائجها .

وانصاعت الدول العربية لتهديدات الأردن ووافقت على قرار الهدنة ، واشترطت أمورا ما لبثت أن سحبتها بعد أن سعى برنادوت وأقنع العرب بقبول حله الوسط الذي يقضي بالتالي :

1 – وضع المهاجرين اليهود الذين يدخلون فلسطين في فترة الهدنة في معسكرات خاصة .

2 – عدم تدريب أولئك المهاجرين على القتال .

3 – تقوم جمعية الصليب الأحمر الدولي بتزويد القدس بالماء والمؤن خلال فترة الهدنة وتفتح طريق تل أبيب القدس لهذا الهدف .

4 – عدم استيراد أي نوع من الأسلحة من قبل الطرفين المتحاربين .

5 – عدم استغلال الهدنة لتقوية النواحي العسكرية في أي معسكر من المعسكرين المتحاربين سواء كان ذلك في البر أو الجو أو البحر .

وقد وافق العرب على هذه الشروط دون مناقشة طويلة أو قصيرة مع وسيط الأمم المتحدة .

ومن نتائج هذا الاتفاق أن رفع الحصار عن مائة ألف يهودي كانوا محصورين في القدس ، وهم يمثلون قوة هامة وأساسية عند اليهود ، بل هم كانوا يمثلون سبع السكان اليهود . وكانوا على وشك التسليم خوفا من الموت جوعا وعطشا .

ولم يفهم العرب ، أو فهموا وتغاضوا عن أن من يملك القدس إنما يملك كل فلسطين .

والغريب في الأمر – وهو ليس بالغريب لو تأملنا سابق ما مرَّ بنا من أحداث – أن مسألة الهدنة مع اليهود كانت في ذهن الملك عبد الله بعد أيام من اندلاع القتال بين العرب وبين اليهود ، وكانت قبل عشرة أيام من القرار الرسمي . فقد وردت الإشارات اللاسلكية تأمر بوقف اطلاق النار ومنع التحرش مع اليهود ، وكان يمكن في هذه الأيام إجراء عمليات حاسمة في صالح العرب .

وكان جلوب باشا على علم بطبيعة الحال بكل هذه التفاصيل وبما سيأتي من عمل وقرارات .

ولذلك فقد أرسل أمرا بتاريخ 1948/6/1 تحت رقم ال ج / 128 .

قيادة الفرقة الأولى .

في حالة إعلان الهدنة تحت إشراف الأمم المتحدة تتخذ الإجراءات التالية على الفور :

1 – تبقى الوحدات في مواقعها كما يلي :

الكتيبة الأولى في النبي صموئيل وبدو والرادار .

الكتيبة الثالثة في باب العمود – القدس .

الكتيبة السادسة في القدس القديمة .
الكتيبة الخامسة في الشيخ جراح - القدس .
الكتيبة الرابعة في اللطرون .
الكتيبة الثانية باب الواد ومفرزة منها في الرملة .

2 - إن فلسطين ملأى بالمسلمين الفلسطينيين والأردنيين وغيرهم مما يسبب إخلالا بالأمن . وأغلب الأردنيين المسلحين من أبناء العشائر الذين سلحهم الجيش العربي ، ولذا يجب أن تصدروا التعليمات الفورية إلى رؤسائهم البدو أن يجمعوهم في أماكن تعينها قيادة الفرقة ، ثم يستأجروا سيارات مدنية كبيرة لنقلهم إلى عمان من أجل تجريدهم من السلاح وتسريحهم .

3 - يمنع حمل السلاح من قبل الفلسطينيين إلا بتصريح . ومن يقبض عليه حاملا سلاحا بدون رخصة يصادر السلاح ويسلم الشخص إلى قائد المنطقة[1] .

ويبدو أن هذه الأوامر المفروض تنفيذها عندما يصدر قرار بالهدنة قد بدأ تنفيذها قبل ذلك في أماكن مختلفة منذ اليوم الأول من صدورها رويدا رويدا ، فقد بدأت الأسلحة تختفي ، ويختفي معها حاملوها لأن أحدا لا يعرف تحديدا متى تبدأ هذه الهدنة . وكل هذا قد أثر على العمليات العسكرية بطبيعة الحال . فقد أراد الملك عبد الله أن ينهزم العرب أمام اليهود . وأراد أن يستمر هتاف العرب له : يحيا المنقذ الأكبر ... المنقذ من ماذا ؟ ربما المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله !

---

(1) المصدر السابق ص 208 .

جريمة الملك عبد الله الكبرى
« تسليم اللد والرملة »



الفصل الثامن

جريمة الملك عبد الله الكبرى

تسليم اللد والرملة

الملك عبد الله يرفع الحصار عن يهود القدس :

صارت الهدنة حقيقة ، ووصل الكونت برنادوت إلى مطار « قلندية » يوم 1948/6/12 واستقبله المسئولون والقواد والأعيان ، وصافحهم جميعا وعلامات التفاؤل تبدو على وجهه . ودعاه عارف العارف باشا للمرور على رام الله لشرب الشاي ، واستجاب الرجل ثم ذهب إلى مقر قيادة الجيش العربي في الروضة ، واجتمع مع الكولونيل عبد الله التل الذي أطلعه على الموقف العسكري ، وكيف أن القوات العربية تطوق القدس تطويقا محكما . ورأى برنادوت بنفسه أنه لولا الهدنة لسقطت القدس بأكملها في يد العرب – وابتسم برنادوت وهو يمر على الاستحكامات ابتسامة غامضة – ربما كانت بها بعض المرارة من أن يرى ذلك الجهد وهو يتبدد من أجل حفنة من الساسة المخرفين العملاء . وربما أن هذا نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية . فالسلطان في الأرض لأصحاب القوة والنفوذ . وعلى الباقي أن يستجيب لما يراد به .

وقبل أن ينتقل برنادوت إلى الجانب اليهودي جاء من رام الله القائد لاسن للاجتماع به ، وتم ذلك في حضور عبد الله التل . وكانوا أحيانا لايستطيعون

تجاهله في مثل هذه الأمور فهو الحاضر الغائب في كثير من الاجتماعات .

وقد دار الحديث عن أهمية تزويد القدس بالمياه من المصادر الرئيسية في رأس العين ، وعن تموين القدس عن الطريق الرئيسية ما بين تل أبيب والقدس .

وقد حضر الاجتماع عدد من شخصيات القدس ، وجميعهم رأى كيف يوافق القائد لاسن على كل الطلبات الخاصة باليهود من برنادوت دون كلمة اعتراض أو مناقشة ، أو حتى استفسار . وكأن هذه الهدنة ما هي إلا محاولة سريعة لنقل دم لجريح يوشك على الموت من كثرة ما نزف .

وانتهت طلبات برنادوت وقام بتعيين المراقبين الدوليين ، فالكولونيل برانسون سويدي الجنسية رئيسا للمراقبين في القدس يساعده الكابتن بري وهو بلجيكي الجنسية ، ثم الفرنسي الكولونيل سيرو يساعد برنسون في الجانب العربي من المدينة .

وزار المراقبون المواقع العربية واليهودية ، وقرروا جمع الفرقاء المتحاربين للتوقيع على الخرائط التي تبين خطوط كل طرف ، والمناطق الحرام التي بينهما .

وبعد أن عرضت الخرائط ونوقشت الملاحظات ، ولم تكن هناك ثمة مشكلات إلا في الثوري والنبي داود حيث أصر الجانب العربي من خلال عبد الله التل على الاحتفاظ بأقسام كبيرة من هذين الموقعين عندما اعتبرهما اليهود واقعين في منطقتهما .

وقد عاتب جلوب باشا الكولونيل عبد الله التل فيما بعد على هذا التدخل في منطقة لا تقع ضمن اختصاص الكتيبة السادسة التي يقودها ، وكأنه كان يريد توفير منطقة أمان لليهود في هذه البقعة يتمكنون من خلالها من الاستيلاء على سلوان والعيزرية .

وكانت المنطقة الخاضعة لنفوذ الكتيبة السادسة ليست بها أية مشاكل فالأمور واضحة والسيطرة كاملة ، والمراكز ليس عليها خلاف ما .

أما المنطقة التابعة للكتيبة الثالثة فقد أصرّ مساعد قائد الكتيبة وهو إنجليزي على ترك معظم بيوت المصرارة وسعد وسعيد منطقة حراما ، مع أنه كان بإمكان الكتيبة احتلال تلك البيوت الخالية .

وبدأت قوافل اليهود تأخذ طريقها من تل أبيب إلى القدس ، وانزعج الضباط العرب عندما رأوا تلك القوافل تمر دون تفتيش أو أية رقابة . وكانت القافلة تتكون من مائتي شاحنة كبيرة محكمة الغلق ، والله أعلم بما فيها ومن فيها !

وأرسل الضباط العرب تفاصيل ما يرون إلى عبد الله التل فهم يعتبرونه زعيمهم وإن اختلفت الكتائب والسرايا . وتلك الطريق التي تمر منها القوافل هي مفتاح القدس .

وبدأ اليهود يخزنون المؤن والذخائر تحت سمع وبصر من له عينان للنظر أو أذنان للسمع . وليس هناك ثمة اعتراض . ولا أحد يعرف ماذا ينبغي عليه أن يفعل .

وكان لغط قد بدأ يظهر أن الملك عبد الله وراء هذه الهدنة لتمكين اليهود !

وقام عبد الله التل بمبادرة شخصية رغم عدم مسئوليته الرسمية ، فهذه الأشياء تحدث في منطقة لا يسيطر عليها وليست تابعة له ، واتصل بالمراقبين الدوليين وهددهم أنه سوف ينقض الهدنة في منطقة باب الواد والقدس حيث تتدفق الذخائر والمؤن .

وأصر على ضرورة تفتيش القوافل وفقا للاتفاق والشروط التي تم إبرامها .

واقتنع المراقبون وأصدروا قرارا جاسما يقضي بتفتيش القوافل .

وأصدرت لجنة الهدنة بمعرفة المراقبين القرار التالي المترجم إلى العبرية : 1948/6/20 .

« إن لجنة الهدنة والكولونيل برانسون ممثل الكونت برنادوت ، وقد درسوا بعناية مسألة القوافل اليهودية القادمة إلى القدس ، يرون أن هذه القوافل لابد وأن تقف للتفتيش في باب الواد لتتم المراقبة بشكل فعّال . ومن الآن حتى إشعار آخر يطلب من السلطات اليهودية أن توقف قوافلها قبل الوصول إلى باب الواد . وإذا مرَّت سيارة من باب الواد قبل أن يصرح لها مندوب الكونت برنادوت فإن لجنة الهدنة والكولونيل برانسون يحملون السلطات اليهودية المسئولية الكاملة عن الأعمال التي تؤدي إلى أي خرق لاتفاق وقف إطلاق النار »[1] .

وقد غضبت قيادة الجيش العربي الإنجليزية بعد أن عرفت أن تدخل عبد الله التل هو الذي أدى إلى صدور هذا المنشور من لجنة الهدنة . وأرسلت إليه برقية تصفه بقائد « القوات العربية في القدس القديمة » حتى لا تنعكس قيادته على أي إنجليزي هناك ، وطلبت منه بحسم عدم التدخل في مثل هذه المسائل التي لا تقع بالتأكيد – من وجهة نظرهم – ضمن اختصاصاته .

ونصها كالتالي[2] :

الرقم أل ج / 642 في 1948/6/23 .

من كوكر إلى عبد الله التل قائد القوات العربية في القدس القديمة .

---

(1) المصدر السابق ص 214 .

(2) المصدر السابق ص 216 .

« إشارة إلى كتابكم إلى مراقب الهدنة الكابتن بري في 6/18 (.) لا تقدموا تقارير بعد اليوم عن مسائل خارج مدينة القدس » .

وبعدها أصبحت الرقابة شكلية على عملية إمداد اليهود بالأسلحة والذخائر والمؤن والأطعمة .

وحاول عبد الله التل أن يقترح خططا جديدة لمواجهة الموقف عندما تنتهي مدة الهدنة ؛ وذلك بإعادة ترتيب القوات وإشراك جيوش عراقية ومصرية في المعركة بعد أن تم لليهود تحصين مواقعهم ودفاعاتهم من خلال التقارير والبرقيات بلا جدوى .

وعندما زار جلوب باشا موقعه في القدس أثنى عليه ثناء حارا أمام الجند والضباط العرب ، ثم همس في أذنه أنه يعطيه إجازة لمدة شهرين حيث يقضيهما في فرنسا وبريطانيا على حساب الجيش تقديرا له ومكافأة .

واعتذر عبد الله التل فقد أدرك أن جلوب باشا يريد أن يبعد المشاغبين عن مناطق القتال ، حتى يتسنى لهم تنفيذ ما يريدون دون مداخلات تضر بخطتهم .

ولم يرد جلوب باشا أن يجعل منها قصة ، فابتسم ابتسامة صفراء وانصرف ، فلن يستطيع عبد الله التل ولا غيره عمل شيء في هذه الآلة الجبارة التي تدير الأحداث .

اتفاق رودس حيث خسف القمر :

عند تأكد الكونت برنادوت من وقف القتال في جميع جبهات فلسطين ، اختار جزيرة رودس مقرا له لقربها . ثم دعا مندوبين عن العرب واليهود للتفاوض والاتفاق على حل للمشكلة الفلسطينية .

ورفضت الدول العربية ذلك لأنه بمثابة اعتراف بإسرائيل ، واكتفوا بإرسال خبراء من العرب ليقدموا للوسيط ما يحتاج إليه من آراء عربية ومعلومات فنية عن المشكلة .

وفي أواخر يونيو 1948 أنهى الكونت برنادوت دراسته للقضية الفلسطينية في رودس ، ووضع مقترحات لحل المشكلة وأذيعت مقترحاته رسميا في 1948/7/4 وهي كالتالي :

1 – تعيين خطوط المناطق العربية واليهودية عن طريق إجراء مفاوضات بين العرب واليهود تحت إشراف الوسيط الدولي . وبعد الاتفاق على خط الحدود الرئيسي تشكل لجنة مشتركة يدخلها مراقبون من هيئة الأمم المتحدة . ويعهد إليها بتخطيط الحدود نهائيا .

2 – يضم النقب أو جزء منه إلى المنطقة العربية .

3 – يضم غربي الجليل أو جزء منه للمنطقة اليهودية .

4 – تضم القدس إلى المنطقة العربية على أن يكون للجالية اليهودية فيها بلدية مستقلة استقلالا ذاتيا . وتتخذ التدابير اللازمة لحماية الأماكن المقدسة .

5 – يعاد النظر في وضع يافا .

6 – يعتبر ميناء حيفا بما فيه منطقة معامل تكرير البترول ميناء حرا . ويعتبر مطار اللد منطقة حرة كذلك .

7 – يقام اتحاد بين العرب واليهود مهمته النهوض بالمصالح الاقتصادية المشتركة والقيام بالمشروعات التي من شأنها النهوض بالبلاد ، وتنسيق السياسة الخارجية والتدابير الخاصة بالدفاع المشترك .

8 – للفريقين أن يباشرا الإشراف التام على شئونهما الخاصة بما في ذلك العلاقات الخارجية على شرط أن تتمشى هذه العلاقات مع القواعد التي يفرضها نظام الاتحاد .

9 – تعتبر الهجرة من اختصاص كل من الفريقين شريطة أن يكون لكل منهما الحق بعد انقضاء عامين على إقامة الاتحاد ، إعادة النظر في سياسة الهجرة التي يتبعها الفريق الآخر .

10 – يعترف بحقوق سكان فلسطين الذين هاجروا مساكنهم بسبب الأحوال التي أوجدها النزاع بين الفريقين . ويحق لهم العودة إلى منازلهم دون قيد أو شرط واستعادة ممتلكاتهم في فلسطين .

وقد رفض العرب واليهود هذه المقترحات ولكل أسبابه في ذلك .

و من طريف ما يروى أن توفيق أبو الهدى باشا رئيس وزراء الأردن كان من أكثر المتحمسين للرفض كنوع من الخداع والتمويه . فما مقترحات برنادوت إلا حلقة في سلسلة تنتهي بأحكامها على رقبة العرب . ومادام اليهود لايوافقون على المقترحات فليس أمام أبي الهدى غير ذلك !

وبرق البصر وخسف القمر !!

الملك عبد الله يزور مصر والسعودية :

وعلى سياسة أن يقوم لصان بالسرقة ، فيتم أحدهما الجريمة والآخر يصنع ضجة وشغبا ليصرف الأنظار عمن يسرق .

فقد كان اليهود يرتبون الأمور في فلسطين ورودس – مفاوضات وشحن وذخائر ومؤن وتسليح ، ورفض المفاوضات والاقتراحات ، ومزيد من الاستعداد للسيطرة الكاملة والهيمنة التامة .

في ذلك الوقت يقوم الملك عبد الله ، المنقذ ابن المنقذ ، على حد تعبير زعران عمان ، بزيارة لمصر والسعودية .

وكان الملك عبد الله يشعر باستياء الدول العربية من سياسته التي وضحت معالمها وظهرت . وكان الساسة يعرفون طبيعة اتصالات الملك عبد الله واتصالاته ، ولكنهم لا يستطيعون التصريح له باحتجاج أو لوم .

وكانت عمليات الجيش العربي قد وضح أنها وقعت تحت تأثير سياسة الملك عبد الله مما حال بين الضباط الوطنيين وبين تحقيق أهداف مهمة في القتال ، وقد كان القادة الإنجليز على رأس الجيش وهم والملك الذين يعرفون ما ينبغي أن يصنع .

ولم تكن الدول العربية بعيدة عن فهم هذه الأمور ، ولكن لا يمكن التصريح بها في زعمهم ، فمعناه خروج الأردن من جامعة الدول العربية .

وياليتهم فعلوا ذلك أيامها !!

ورغم أن الملك عبد الله كان عليه أن يبقى في بلاده أثناء ترتيبات الهدنة إلا أن عليه دورا ينبغي القيام به ، ولا شأن له بما يدور في رودس .

نزل الملك عبد الله وحاشيته في مطار ألماظة الحربي يوم الثلاثاء 1948/6/22 وتقدم الملك فاروق لملاقاة ضيفه ، وتبادلا القبلات الحارة ، وجمعت الجماهير كالعادة لتحية الضيف الكريم .

الضيف الكريم الذي رتب كل شيء مع اليهود ولم يغفل أقل التفاصيل ، فهو معهم أينما كانوا يصدر عن أمرهم وينفذ مخططهم ، ويخذل الناس عنهم ، فهم القوة التي لا تقهر ، والعالم كله يقف من ورائهم . ولكنه أمام الميكروفون أو في الساحات يقول كلاما آخر مختلفا عن شرف العرب وكرامتهم وعزتهم والسجع والشعر .

ولا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

والناس تصفق مبهورة بالمنقذ ابن المنقذ ، وهو يريد شرف إسرائيل الذي ينبغي أن يسلم من الأذى بإراقة الدم العربي على جوانبه .

وكانت زيارته لمصر والملك فاروق مهمتها التشويش على عقل الملك والحكومة وكذلك على عقل الشعب المصري من خلال أدوات الإعلام المتاحة .

وكانت زيارة قصيرة ، انصرف بعدها ، صرف الله قلبه .

وحطت طائرته في السعودية ليرى « أخاه » جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المحنك الذي يفهم نفسية الملك عبد الله فهما عميقا ، ويعرف العائلة كلها كما يعرف أصابع يده ، ولكن واجبات الضيافة واللياقة تقضي بشيء من المجاملة والتودد والتلطف والترحيب . وعبد العزيز آل سعود يسمع ولكنه يعي معنى كل حرف ويدرك مرماه ويبتسم ولا يرد .

وعاد الملك عبد الله بعد أن أطلق قنابل الدخان في سماء مصر والسعودية .

الملك عبد الله يريد بيع حائط المبكى لليهود !

في صباح السبت 1948/6/19 اتصل الشيخ محمد الشنقيطي وزير المعارف الأردني من عمان بالكولونيل عبد الله التل في القدس .

وبعد السلامات والتحيات والتبريكات التي لا أول لها ولا آخر سأل الشنقيطي :

– ألم تصلك مقترحات قائد الفرقة لاش؟

ورد عليه عبد الله التل في دهشة :

– أية مقترحات ؟

وقال الشنقيطي بلهجة ثعبانية :

– فيما يتعلق بحائط المبكى وزيارة اليهود له يوميا .

وكان عبد الله التل في دهشة من تدخل الشيخ الشنقيطي وزير المعارف وقاضي القضاة في عمان في مثل هذه الأمور التي لا دخل لها في اختصاصه .

وقال التل :

– كلا لم يصلني شيء من هذا .

واستمر الشنقيطي :

– ما رأيك ؟

وقبل أن يجيب عد الله التل واصل الشنقيطي :

– جلالة مولانا والحكومة يرغبان في هذا . وهما موافقان على هذه العملية ، وسوف يدفع اليهود مقابل ذلك خمسين ألف جنيه لصندوق الزكاة .

وفهم عبد الله التل صلة الشنقيطي بالموضوع ، فهو المشرف على صندوق الزكاة ، ويمكنه توزيع المبلغ بينه وبين الملك ورئيس الحكومة . وليس هناك من يحاسب في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة يطمع الشنقيطي في رحمة الله وينتهي الموضوع .

وقال عبد الله التل للشنقيطي :

– سوف أدرس مقترحات لاسن حال وصولها إلي .

وانتهت المكالمة بعد أن أوصاه الشنقيطي بالاهتمام الشديد فهو أمر يخص الملك والحكومة ، وسوف يكون « سيدنا » محل اغتباط وسرور في حالة تنفيذ هذا الاتفاق .

ووصلت عبد الله التل الرسالة التالية :

قيادة الفرقة الأمامية « مكتوم »

الرقم ح 1387/1/1

التاريخ 1948/6/19

قائد الكتيبة السادسة

نتيجة اجتماع اليوم صباحا مع ممثلي هيئة الهدنة طلب مني ما يلي ، وأرجو بيان ملحوظاتكم حول الشروط المبينة تاليا . مع العلم أنني وافقت على السماح للحاخامين اليهود بالدخول إلى الكنيس القديم .

الشروط :

1 – يطلب أن تخصص زيارة يومية إلى لأكثر من خمسين شخصا ليزوروا المبكى ولا يبقوا عند المبكى أكثر من ساعة واحدة ، على أن يحدد وقت هذه الزيارة من قبل لجنة الهدنة .

2 – يجب أن يكون مع كل دفعة مراقب من لجنة الهدنة .

3 – تدخل كل دفعة إلى المدينة القديمة من باب النبي داود ثم يذهبون إلى المبكى بطريق يرتب فيما بينكم وبين لجنة الهدنة .

4 – يسمح ببقاء الزوار عند حائط المبكى لمدة ساعتين مساء كل يوم جمعة « ليلة السبت » .

5 – يمنع جميع الزوار من حمل أسلحة من أي نوع كان .

مع العلم بأنه يوجد من شروط الهدنة التي وافقت عليها الجامعة العربية أن يسمح بزيارة الأماكن المقدسة لمقاصد دينية .

الزعيم
لاسن
قائد الفرقة الأولى

وأهمل عبد الله التل الرد على هذه الرسالة[1] أو وضع بنودها موضع اعتبار ، وعندما اتصل به لاسن هاتفيا ليسأله عن مصير هذا الخطاب أجابه بأنه يسمح بما جاء فيها لو سمح اليهود للعرب بزيارة المقدسات الإسلامية في يافا وعكا وحيفا .

وتجرع لاسن غيظه ولم يرد ، واكتفى بهذا القدر من المحاولة .

الهدنة من خطط عبد الله لإقامة إسرائيل :

لم تكن لهذه الهدنة أن تتم أو تعتمد لو لم تكن طلبا إسرائيليا يحقق فائدة واضحة للمخططات اليهودية . ولم تكن لها أن تتم لو اعترض الملك عبد الله عليها اعتراضا حقيقيا ، بل قد رأينا أنه الذي سعى في إقامتها وهددت حكومته بالانسحاب من جامعة الدول العربية . ورفض العرب أن يضحوا بالمنقذ ابن المنقذ من أجل سبب تافه وهو قيام دولة إسرائيل !!

وعندما تم التوقيع على الهدنة نام العرب واستيقظ اليهود ، وكانوا يصلون الليل بالنهار من أجل تقوية المراكز والحصون . والعرب في انتظار ما تسفر عنه أحلام الكونت برنادوت في عالم مثالي يرعى فيه الذئب مع الحمل حيث

(1) المصدر السابق ص 225 .

يعم السلام ولا تكون حروب « حيث يطيعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل » كما جاء في العهد القديم .

لم ينفذ اليهود شروط الهدنة في أي جزء من أجزاء فلسطين . ولم يهتموا بالذين يقومون على الرقابة ولم يكترثوا بهم ، بل مضوا في استيراد السلاح والذخائر من جميع أنحاء العالم ، ومن يوغوسلافيا على وجه التحديد حيث كان تيتو توأم « الزعيم الخالد » جمال عبد الناصر . وكانوا ينقلون المهاجرين بالآلاف وبسرعة ، وهم يقومون بتدريب النساء والأطفال على استعمال الأسلحة الخفيفة والمتفجرات .

وكانوا لا ينامون إلا لماما فهي فرصة ذهبية للاستعداد لعدو هو كتاب مكشوف أمامهم الآن . وهم يبنون الاستحكامات على عجل والدشم التي تقي الجنود من الرصاص .

وكانت الطرق والخنادق تحفر على مرأى من برنادوت ورجاله وكأنهم لا يشعرون .

ومن أهم الطرق التي شقت أثناء الهدنة طريق « برما » السرية التي ربطت تل أبيب بالقدس ، ووفرت على اليهود المرور بالطريق الرئيسي غير المأمون . وقد استطاعوا شقه في بضعة أسابيع في منطقة وعرة جبلية من أوعر مناطق فلسطين .

وقد تم هذا العمل عن طريق تشغيل جميع المدنيين اليهود بلا استثناء ساعات معينة في الأسبوع بطريقة إجبارية لم يعترض عليها أحد منهم .

وهذا الطريق هو الذي أنقذ يهود القدس من الهلاك . فكل قوافل الأسلحة الثقيلة والمؤن والإمدادات العسكرية أو أغلبها مرت من هذا الطريق ، والزعيم « لاسن » يرى ذلك كل يوم ولا يحرك ساكنا ، فهو مما يتفق مع الخطة .

ولم تكن الهدنة عند اليهود راحة من الحرب ، ولكنهم بذلوا فيها جهداً أكبر من أيام الحرب نفسها ، فقاموا بتثبيت المواقع الدفاعية وبناء الاستحكامات ، وحفر الخنادق والممرات ، ونصب الأسلاك الشائكة في العمق ، وبث مئات الألغام في الأماكن التي يتوقع منها الهجوم . وكان تضامنهم عظيما خوفا من الخطر البالغ الذي أحسوا مرارته في أيام الحرب القليلة التي مرت .

وما كاد الملك عبد الله يفرض الهدنة على العرب حتى سارع اليهود باستيراد الأسلحة من كل مكان في العالم . واستطاعوا الحصول على مدافع ثقيلة عيار 25 رطل ، وهي إنجليزية الصنع ، وعشرات الآلاف من البنادق والرشاشات ، وآلاف الأطنان من المواد المتفجرة من أمريكا . وجاءتها البواخر محملة بالأسلحة من دول أوروبا الوسطى . ومدافع الهاون عيار 3 بوصة وبوصتين ومدافع الصاروخ « بيات » والمدافع الصغيرة من عيار 6 رطل ورطلين .

وقد عرف بذلك العرب عندما استؤنف القتال ، فقد شهدوا أسلحة جديدة كثيفة تدخل الميدان للمرة الأولى .

واستطاع اليهود استيراد الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل والدبابات الثقيلة ، وكذلك الخبراء الإنجليز والأمريكان المؤهلين لاستخدام هذه المعدات بصورة لا تقبل الخطأ .

ووصل إلى منطقة القدس خبراء عسكريون إنجليز وكانوا في مواجهة الجيش العربي الإنجليزي لصاحبه الملك عبد الله وأولاده !

ويصعب تخيل أن يشتبك الإنجليز مع الإنجليز من أجل أحد .

وأهم ما فعله اليهود وأتاحه لهم الملك عبد الله أثناء الهدنة ، وربما هو

الذي نصحهم بذلك هو توحيد العصابات الصهيونية المقاتلة ، وعمل أول نواة لجيش نظامي إسرائيلي ، فقد تمت بينهم المناقشات والمفاوضات وانتهوا إلى ضرورة هذا التوحيد ، ولاشك أنه كان ذا أثر عظيم في ما جرى من حوادث بعذ لك .

وكان توحيد هذه العصابات على هدف محدد يتم تنفيذه بعد انتهاء الهدنة وهو احتلال القدس .

وقام اليهود بعمل المطارات الصغيرة في كل أنحاء فلسطين أثناء فترة الهدنة .

وأجروا الإصلاحات اللازمة لمحطة كهرباء القدس ، وبدءوا في تنفيذ مشروع المياه في القدس بعد ساعة من إعلان الهدنة ، وانتهوا منه في خلال شهرين .

وهكذا أنقذ يهود القدس من العطش .

كل هذا كان يتم أمام برنادوت ومراقبيه ، والملك عبد الله وأركان جيشه من الإنجليز . دون اعتراض أو احتجاج . وما ينبغي له !!

وفي المقابل لم يفعل العرب شيئا يذكر أو له تأثير في مجريات الحوادث بعد ذلك عند استئناف القتال .

ولكن الملفت للانتباه أن جلوب باشا وبحجة شراء الأسلحة قام عبر سماسرة ومندوبين بشراء الأسلحة من عرب فلسطين لتسليح الجيش العربي ، والحقيقة أنه كان يجرد السكان من السلاح ، وقد تمت هذه العملية بنجاح وسرعة ودقة ، وكانت أيضا من التجارة الرابحة التي اشترك فيها مع الملك عبد الله عبد القادر باشا الجندي .

وكان المصدر الوحيد للسلاح للجيش العربي الإنجليزي الهاشمي هو شراء السلاح من عرب فلسطين ، ولم تستورد رصاصة واحدة من أي مكان آخر . وكان الأهم من ذلك كله أن يحدث تعديل في الخطط العسكرية بعد تلك الجولة التي تمت ، فعلى ضوء ما حدث يمكن الاستفادة من الأخطاء ، والعمل على تعديل التفكير والخطط بشكل يضمن النجاح الكلي أو الجزئي عند استئناف العمليات . ولكن الهدف الحقيقي لم يكن النصر على اليهود ، ولكن العكس .

وقام ضباط الجيش العربي الإنجليزي بخزن أكبر كمية من « الويسكي » فهو الشيء الوحيد الذي يحتاجونه عند استئناف العمليات .

وكان لابد من الخمر للضباط الإنجليز حتى يمكنهم الاستمتاع بتلك المسرحية العبثية المجنونة التي يشتركون فيها بأدوار رئيسية .

ومن أكبر الخيانات التي صنعها الملك عبد الله أثناء الهدنة حكاية جبل سكوبس حيث توجد عليه هداسا والجامعة العبرية !!

فهذا الجبل يشرف على المنطقة العربية في القدس وعلى الطرق المؤدية إليها . وعلى طريق القدس عمان ، وطريق القدس رام الله ، وعلى الأحياء العربية في القدس الجديدة ، وأغلب الأحياء اليهودية في القدس الجديدة .

فقد تدخلت الحكومة البريطانية وأمريكا للحيلولة دون احتلال هذا الجبل ذي الموقع الاستراتيجي الهام بحجج لا معنى لها .

وأثناء الهدنة وعبر اتصالات مع الملك عبد الله أمر « لاسن » بإبرام معاهدة مع اليهود وتحت إشراف مندوبي الهدنة باعتبار جبل سكوبس وكل المنشآت الموجودة فوقه منطقة دولية يرفع عليها علم الأمم المتحدة ، ويتم تجريدها من السلاح . ووافق الخواجة لاسن على عدم وجود حراسة عربية

ورضي ببقاء اليهود على شكل بوليس ، وهو يعلم أن لا فرق بين البوليس والجيش عند اليهود . ووافق على تموين اليهود المرابطين في ذلك الموقع الخطر ، وعمل تبديل لهم مع يهود القدس مرة كل أربعة أسابيع .

وحصن « لاسن » لليهود الجبل وما حوله من المناطق العربية حتى يكون موقعا هاما لهم إذا استؤنف القتال .

أما قصة الأمم المتحدة وعلمها فهي للاستهلاك المحلي مثل خطب الملك عبد الله . فعندما جد الجد جاءت مفرزة من اليهود واستولت على الجبل وطردت من فيه من غير اليهود ، وقذفت وراءهم بعلم الأمم المتحدة فقد يحتاجونه إذا فقدوا الماء وهم راجعون .

الملك عبد الله وجلوب يرتبان لنهاية الحرب :

كان الضباط الإنجليز يصرحون علانية وفي كل مكان بأن هذه الهدنة هي نهاية الحرب ، وليست هناك من حرب أخرى .

وقام جلوب باشا بالتشاور مع الملك بسحب جميع المجاهدين الأردنيين والفلسطينيين من أرض المعركة لإعادة التنظيم .

واتفق مع الملك وتم تنفيذ سحب جيش الإنقاذ الموجود بالقدس وأعادوه إلى سوريا .

وكانت السلطات الأردنية تتصرف على أساس أن كل شيء قد انتهى وأن التقسيم سيتم تنفيذه .

ولكن الحرب قد استؤنفت رغم تصريحات الضباط الإنجليز في كل مكان إنه ليست هناك ثمة حرب ، وكانوا يتصرفون وفقا لذلك .

وقد ظهر بعد ذلك أن استئناف الحرب كان له هدف استراتيجي

وحيد ، وهو انسحاب الجيش العربي الإنجليزي الهاشمي من اللد والرملة وتسليمهما لليهود ، وهذا كان غاية المراد .

تسليم اللد والرملة ونهاية الحرب :

طلب برنادوت تمديد فترة الهدنة ووافق اليهود على الفور فهي لصالحهم ، ورفض العرب على الفور رغم عدم اختلاف شيء . ورغم أنهم لم يستفيدوا من هذه الهدنة في قليل أو كثير .

وكان اليهود رغم ما وصلهم من معدات وما فعلوه من استعدادات فقد كانوا في الوقت نفسه مشفقين على دمائهم وأبنائهم من الاشتباك مع العرب ، ويودون أن تنتهي المسألة عند هذا الحد ، وقد تحقق التقسيم فلا حاجة بنا إلى إراقة الدماء . أو الانتظار فترة أطول لمزيد من الاستعدادات وبناء الاستحكامات وشراء الأسلحة .

انتهت الهدنة الأولى بين العرب واليهود في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة 1948/7/9 وبدأ القتال وإطلاق النار عشوائيا من جانب العرب . كل يتصرف من موقعه حسب ما يمليه عليه الظرف الذي يحكمه ، وحسب ما قرأت وأطلعت فلم يصل إلى علمي وجود خطة أو خطط على الإطلاق .

و « ليقف القارئ على مأساة اللد والرملة لابد لنا من ذكر ما جرى في تلك المنطقة في مرحلة الحرب الأولى ، أي من 5/15 إلى 1948/6/11 مما أعتبره من العوامل التي دبرت لإنجاز المأساة على الوجه الأكمل .

تعتبر هاتان المدينتان من أكبر مدن فلسطين وأقدمها ، فقد كان عدد سكانهما يزيد في أيام السلم على 50 ألف نسمة ، وقد تضاعف هذا العدد في الأشهر التي سبقت تاريخ 1948/5/15 ، وذلك بسبب موجة النازحين

التي تدفقت على المدينتين من المقاطعات والقرى المحيطة بهما . وبلغ عدد سكانهما حينما دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين أكثر من 70 ألف نسمة ، ومثل هذا العدد يسكن في القرى التابعة للمدينتين .

وبدلا من أن تدخل المدينتان في صميم خطة الجيش العربي ، وتتخذا قاعدة للجيش يزحف منهما إلى تل أبيب ليلتقي بأخيه الجيش المصري ، أهملهما جلوب باشا إهمالا واضحا ، تجلى بمكره ولؤمه حينما أرسل للدفاع عنهما سرية مشاة واحدة مجردة من أية قوة مساندة كالمدرعات والمدافع الرشاشة أو الثقيلة . فقد بعث جلوب باشا إلى تلك المنطقة بالسرية الخامسة بقيادة الرئيس أديب القاسم الذي وزع سريته ما بين المدينتين .

وشرع قائد السرية يتعاون مع المناضلين الفلسطينيين من الجهاد المقدس وغيرهم من المتطوعين من سكان المدينتين ، وتعاون كذلك مع الناضلين الأردنيين الذي تطوعوا من العشائر الأردنية ، ورابطوا في هاتين المدينتين .

وقد زاد عدد هؤلاء المتطوعين الأردنيين على 400 مناضل سلاحهم البنادق التي تسلموها من قيادة الجيش العربي .

ثبات المدينتين في المرحلة الأولى

لما كانت مدينة تل أبيب لا تبعد عن اللد والرملة أكثر من خمسة عشر كليو مترا فقد كان اليهود يوجهون هجماتهم المستمرة على هاتين المدينتين اللتين كانتا تشكلان خطرا كبيرا يهدد تل أبيب قلب الصهيونية العالمية .

وقد تكسرت جميع هذه الهجمات على صخرة الثبات والإخلاص والشجاعة التي أبداها المناضلون مع الجنود القلائل ، يساعدهم في ذلك إيمان هاتين المدينتين العربيتين وثباتهما ، ولم يأل اليهود جهدا في إرهاب المدينتين العربيتين وتهديدهما بالهجمات الليلية التي كانت تقترب في كثير

من الأحيان إلى أطراف المدينتين حيث يتصدى لها المناضلون البواسل فيردون اليهود على أعقابهم خاسرين .

وقد انتهت أسابيع الحرب الأربعة وفرضت الهدنة الأولى والمدينتان ثابتتان تتحديان مركز الثقل في قوة اليهود وطغيانهم . إلى أن انتهت الهدنة ونشب القتال في فلسطين للمرة الثانية ، فكانت ضحيتها الأولى هاتين المدينتين وما حولهما من أراض خصبة شاسعة وقرى تعد بالعشرات ، ووقعت المأساة وتفاصيلها تأتي في هذا الفصل .

مطار اللد العالمي ومعسكر صرفند

يقع في هذه المنطقة « منطقة اللد والرملة » مطار عالمي ومعسكر تاريخي بالنسبة لفلسطين ، أما المطار فشهرته وأهميته معروفتان في العالم أجمع ، وهو مطار اللد ، وأما المعسكر فهو أقدم وأكبر معسكر في فلسطين بناه الإنجليز وتوسعوا في بنائه على أرض عربية خصبة ، وهو معسكر صرفند الذي يقترن باسمه أبشع أنواع الظلم الإنجليزي .

ولما كان مطار اللد واقعا في منطقة عربية خالصة فقد سمح جلوب باشا ببقاء مفرزة من المجاهدين لحماية ذلك المطار العالمي . ونجحت تلك المفرزة بمساعدة عدد قليل من جنود الجيش العربي في الاحتفاظ بالمطار طوال أيام الحرب الأولى ، إلى أن وقعت المأساة التي سيأتي شرحها .

أما معسكر صرفند فقد رفض جلوب إرسال أحد لحمايته لأنه يقع في المنطقة اليهودية بحسب قرار التقسيم .

وهكذا ضاع من أيدي العرب ذلك المعسكر الذي يعد مدينة قائمة بذاتها فضلا عن أهميته الحربية بالنسبة لقربه من تل أبيب .

يعتبر تسليم اللد والرملة لليهود من أكبر الفواجع التي وقعت في فلسطين لأن التسليم قد تم على يد الجيش العربي الذي يقوده الإنجليز ، ولو تم على يد الجيش البريطاني كما وقع في حيفا ويافا وغيرهما لكانت المصيبة أخف والفاجعة أهون .

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند وقد يستغرب القارئ الكريم أن استبدل كلمة « احتلال » بكلمة « تسليم » ، ولكني سأزيل استغرابه لأني سأشرح بالتفصيل خفايا مأساة اللد والرملة ، والدسائس والخيانة التي تمت بأحكام من أجل تسليم منطقة عربية خطيرة لليهود .

لماذا أراد الإنجليز تسليم اللد والرملة لليهود ؟

مدينتا اللد والرملة لا تبعدان عن تل أبيب أكثر من خمسة عشر كيلو مترا . وقد كان في هاتين المدينتين من القوات المحاربة سرية مشاة واحدة من الجيش العربي الأردني وخمسمائة مناضل أردني ، سحب جلوب أكثرهم قبل نشوب القتال في هذه المرحلة . هذا بالإضافة إلى المناضلين البواسل من أهل المدينتين ومن الجهاد المقدس . ولما رأى جلوب باشا أن هاتين المدينتين ثبتتا أمام هجمات اليهود المتكررة التي كانوا يشنونها يوميا في أيام الحرب الأولى لم يرق له الأمر ، وصمم على إنهاء هذه المشكلة حالما تنشب المعركة الثانية .

أما لماذا أراد الإنجليز تسليم منطقة اللد والرملة ، فإلى القارئ الأسباب الحقيقية لذلك[1] :

---

(1) هذا الكلام على لسان عبد الله التل والظن أنه يعرف وقد صرح في مواضع مختلفة أن هذا التسليم تم بالاتفاق مع الملك عبد الله . مصدر سابق ص 248 .

1 – نظرا لضيق إسرائيل من تلك الناحية الخطيرة التي تقع بها أكبر مدينة يهودية – وهي تل أبيب – التي لا تبعد عن حدود القسم العربي أكثر من خمسة عشر كيلو مترا كما أسلفنا .

وبحسب رأي الإنجليز فإن عرض إسرائيل لا يجوز أن يكون خمسة عشر كيلو مترا إذ لابد من توسيعها ، وقد اختاروا في هذه المرة منطقة اللد والرملة .

2 – لكشف ميمنة الجيش المصري ، وتهديده بطريق غير مباشر .

3 – لأن هاتين المدينتين من معاقل سماحة المفتي بحسب رأي الإنجليز وحكومة عمان « هو يعني هنا الملك عبد الله » والأفضل تسليمهما لليهود على بقائهما عقبة في سبيل ضم القسم العربي من فلسطين إلى الأردن[1] .

4 – لإنهاء مشكلة « الكوريدور » ما بين تل أبيب والقدس ، إذ بتسليم اللد والرملة لليهود يتم لهم السيطرة على منطقة تمتد من تل أبيب إلى القدس ويزيد عرضها على عشرة كيلو مترات في كثير من الأماكن ، وهذا هو الممر المضمون الذي كان يحلم به اليهود .

5 – لتأديب العرب الذين رفضوا تمديد أجل الهدنة الأولى ، وقد عمد الإنجليز « والملك عبد الله » إلى تسديد طعنة جديدة في صميم الكيان العربي فاختاروا هذه الطعنة ، وأوعزوا إلى جلوب باشا لتسليم منطقة اللد والرملة ، فكانت طعنة نجلاء في الصميم ، ثم لإرغام العرب على الانشغال باللاجئين ، وتحويلهم عن الهدف الحقيقي ، وقد كان للإنجليز ما أرادوا ، إذ إن مأساة اللد والرملة كانت نقطة التحول في معركة فلسطين .

---

(1) لاشك أن هذه الأمور قد جرت بشأنها مفاوضات ومذكرات لم يكشف عنها بعد ا .ر .

6 – لتحطيم أعصاب الجيش العربي الذي يكان يشعر بالقوة والثقة ، ويعتبر بعبع اليهود ، ويهدد تل أبيب ويطوّق القدس .

الخيانة العظمى – كيف نفذت الخطة ؟

في مساء يوم الاثنين الموافق 1948/7/5 زار جلوب باشا منطقة عجلون في شرقي الأردن ، واجتمع بقائد المنطقة نديم السمان في مقر المنطقة بإربد ساعتين كاملتين ، لم يدخل عليهما أحد في تلك الفترة الطويلة . ولم يفهم شيء مما دار بينهما إلا بعد عودة جلوب باشا إلى عمان وقيام نديم بعمل ألقى ضوءا على المؤامرة ، بل كان مفتاحها .

أما ما قام به السمان فقد كان كما يلي :

بعد أن اطمأن نديم السمان إلى وصول جلوب إلى عمان بعث إلى قيادة الجيش العربي بالبرقية التالية :

« مكتوم . من ت أربد إلى القيادة – الحركات الحربية ن/43 (.) شاهد قادة المخافر في الغور تجمعات كبيرة لليهود في منطقة بيسان والمستعمرات المجاورة لها (.) قوافل كبيرة من السيارات تنتقل ما بين المستعمرات اليهودية في الغور (.) أرجو العلم وإجراء اللازم (.)[1] .

هذا ما فعله نديم السمان .

مسألة في غاية البساطة ، برقية بريئة « في الظاهر » دفعه إليها إخلاصه وسهره على الغور . برقية لم يبق شخص في قيادة الجيش إلا وربط بينها وبين ما اتخذه جلوب باشا بسببها من إجراءات مما أدى إلى وقوع المأساة .

---

(1) المصدر السابق ص 249 .

وحينما تسلم جلوب باشا برقية قائد منطقة عجلون ، أصدر أوامره إلى أقوى كتيبة في الجيش العربي للإسراع في الانتقال إلى منطقة طوباس المشرفة على الغور لتراقب « تجمعات اليهود » التي ذكرها نديم السمان ولتشتبك معها عند اللزوم .

مع أن منطقة طوباس لم تكن من مسئولية الجيش العربي بل الجيش العراقي .

والغريب أن اختيار جلوب باشا وقع على الكتيبة الأولى المرابطة في منطقة اللد والرملة لحماية المدينتين من أي عدوان يهودي .

وقد حرص جلوب باشا على تنفيذ أوامره قبل انتهاء مدة الهدنة الأولى وبدء القتال ثانية : فتم نقل الكتيبة الأولى من منطقة اللد والرملة حيث كانت تعسكر في بيت نبالا إلى منطقة طوباس وذلك في مساء الخميس 1948/7/8 أي قبل نشوب القتال .

وبذلك أخلى جلوب باشا منطقة اللد والرملة من القوة الوحيدة التي كان يعول عليها في صد أي هجوم يهودي .

واطمأن جلوب باشا إلى أن الخطة المرسومة ستتم وخاصة أن قوات الدفاع الباقة في المنطقة لا تتعدى المناضلين وسرية مشاة واحدة من الجيش العربي لا يصعب سحبها في الوقت المناسب .

أما كيفية وصول صورة البرقية إلي فقد كان بواسطة مأمور اللاسلكي الذي أبرقها ، والذي لم يتمكن من الاحتفاظ بالنسخة الأصلية لأن نديم السمان قد استردها بعد أن تأكد من إبراقها[1] .

---

(1) الكلام على لسان عبد الله التل المصدر السابق ص 250 .

ولم تعد قصة هذه البرقية بخافية على أحد في عمان . ومن يعرف شخصية القائد نديم السمان لا يستبعد عنه التواطؤ مع جلوب على بيع الأردن في سبيل إرضاء سيده[1] .

وقد مر معنا ذكر نديم السمان حينما سلم قائد الهجناه أبو يوسف لليهود وأشرف على عملية نهب المشروع ومستعمرة نهرايم .

وأما انسحاب الكتيبة الأولى من منطقة اللد والرملة فقد تم في اليوم الذي بينته ، ويعرف هذا جميع أهل فلسطين وشرق الأردن ، ولا يجرؤ جلوب على إنكار ذلك .

وزيادة في الإيضاح فإني أورد هنا برقية وصلتني من قائد إحدى سرايا الكتيبة الأولى وفيها يطلب إلحاق فئة من سريته كانت في منطقة القدس .

ويبين في برقيته أن الكتيبة الأولى قد تسلمت مواقعها في طوباس .

البرقية .

« عادي الرقم 12/5/4 تاريخ 1948/7/8 مستعجل (.) من الملازم علي فلاح إلى اللواء الرابع مكررك 6 .

الكتيبة الأولى استلمت مواقعها في منطقة طوباس منتظرا الأمر بخصوص الفئة (.)[2] .

وقوع المأساة

حينما انتهت الهدنة في 1948/7/8 شرع اليهود في حشد قواتهم في

---

(1) ولا يتم هذا دون علم الملك عبد الله ورأيه ولكن التل لا يصرح هنا بذلك رغم وضوحه من السياق .

(2) المصدر السابق ص 251 .

المستعمرات الواقعة إلى الغرب من معسكر تل لتفنسكي ، ومن هناك تقدموا إلى المراكز العربية في مطار اللد وقريتي العباسية وولهلما ، ولمّا لم تكن في هذه المراكز قوات عربية ذات شأن فقد احتلها اليهود دون مقاومة تذكر وكان ذلك في صباح السبت 1948/7/10 .

وقد كانت قوات اليهود في هذه المرة ميكانيكية تساندها الطائرات التي باشرت بقصف هذه المراكز اعتبارا من صباح 1948/7/9 بالإضافة إلى قصف مدينتي اللد والرملة باستمرار تمهيدا للهجوم .

وفي يوم الأحد 1948/7/11 واصلت هذه القوات زحفها باتجاه شمال شرقي فاحتلت دون مقاومة قرى مجدل اليابه وعنابة ودانيال والحديثة وبيت نبالا ودير طريف وقوله والمزيرعة وحمزو .

وهي مجموعة القرى التي تتشكل منها أغلب منطقة اللد والرملة .

وباحتلال اليهود لهذه القرى أتموا تطويق المدينتين الكبيرتين .

وكما قلت سابقا لم يجد اليهود من هذه القرى أية مقاومة لأن قوة الجيش العربي كانت في ذلك الوقت ترابط في منطقة طوباس حسب خطة جلوب الرامية إلى تسليم منطقة اللد والرملة إلى اليهود »[1] .

لم يكن لجلوب باشا أن يفعل شيئا مما فعله في مؤامرة الانسحاب من اللد والرملة دون أن يكون للملك عبد الله الرأي الأول والأخير في هذا ، وكل منهما يوافق مزاجه مزاج الآخر ويتفقان في الأهداف الكلية للصراع العسكري والسياسي في تلك الآونة .

---

(1) المصدر السابق ص 252 .

وإن عرفنا أن المدينتين كانتا من أهم المعاقل التي تدين بالولاء للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وأكبر معارض للملك عبد الله وسياسته التي كانت تدعم اليهود وتحقق أهدافهم لفهمنا أهمية أن تظل المدينتان تابعتين لليهود بدلا من أن تظلا في القسم العربي بعد انتهاء الحرب حيث يضم الملك ذلك القسم إلى المملكة الأردنية الهاشمية ولا يجد عندها من يعارضه .

ولا يخفى على أحد أهمية المدينتين لدولة إسرائيل الجديدة ؛ فهي التي طالبت بهما سلما ودون قتال جدي ، ووافق على ذلك الملك عبد الله لأن هذا يتفق مع مخططه وأفكاره المستقبلية ، فالتقسيم واقع لا محالة ، أو هكذا كان حلمه ، ولا بأس من سقوط مدينتين من الجانب العربي ، قد تخرج منهما أصوات شديدة تقاوم ما يزمعه وما يرمي إليه . ولهذا فقد أوكل إلى جلوب باشا الخبير بمثل هذه الأمور أن ينهي هذه المسألة بشكل مناسب من وجهة نظر جلوب باشا .

« ذهبت لمواجهة رئيس وزراء الأردن وأوضحت له بأنه تتوفر لدينا فرصة شهر واحد لالتقاط الأنفاس لتعزيز قواتنا ، وتعويض الخسائر التي عانيناها ، وطلبت مصادقته على ما أردت ، ولكنه رد بقوله إن ذلك لن يكون ضروريا تماما نظرا لأنه لن يقع هناك المزيد من القتال » .

فقد كان توفيق أبو الهدى باشا يظن أنه ليست هناك حرب بعد عقد الهدنة .

ويستمر جلوب باشا :

« ولقد رددت على قوله ذاك بأن الإسرائيليين منهمكون ، بصفة يائسة ، في زيادة قوتهم وأنهم على النقيض من شروط الهدنة كانوا يتلقون الأسلحة والتعزيزات من تشيكوسلوفاكيا لأن مساندة الاتحاد السوفيتي لإسرائيل في

هذه المرحلة كانت نسبية . وعلى الرغم من الحظر الذي أصدره رئيس وزراء الأردن فإنني بذلت كل ما استطيعه لتجنيد المزيد من الرجال وتدريبهم » .

« قبل أن تنتهي مدة الهدنة اجتمعت إلى الحكومات العربية في القاهرة ، وقد طلبت أنا والملك عبد الله إلى رئيس الوزارة الأردنية أن يعمل على تمديد الهدنة ، الأمر الذي وعد بتنفيذه . لم تصل إلينا أية أنباء عن المداورات التي جرت في القاهرة ، إلى أن عاد توفيق باشا ، وأفاد بأن محمود فهمي النقراشي رئيس وزراء مصر قد أصرَّ على إنهاء الهدنة . حينذاك سألت رئيس الوزراء توفيق باشا قائلا ولكن كيف نواصل القتال من دون ذخيرة ؟ فرد علي يقول : لا نطلق النار إلا إذا أطلق اليهود النار أولا .

لقد وافق الإسرائيليون على تمديد أمد الهدنة ، أما العرب فإنهم بتحريض من مصر ، قد رفضوا ذلك . أما بالنسبة للأمر الواقع فإنه لم يكن لدينا سوى النزر اليسير من الذخيرة ، وقد طلب إلينا بألا نطلق النيران ، إذا كنا نستطيع تجنب ذلك .

وفضلا عن ذلك فقد كرر توفيق باشا أوامره بألا ننفق أية نقود . وكان الملك عبد الله مبتسما وكنت أنا كذلك أبادله الابتسام »[1](!!)

« ومع ذلك فقد استغل الإسرائيليون الهدنة الأولى في سبيل استكمال نقل قواتهم إلى القدس وتعزيزها هناك ، ولذلك فإنهم قرروا في الفترة الثانية من القتال أن يستولوا على « اللد » و « الرملة » وهما المدينتان اللتان يسكنهما العرب وحدهم ، واللتان ضمتا إلى المنطقة العربية وفق مشروع التقسيم ، غير أن هاتين المدينتين تقعان في السهل الساحلي ، وعلى بعد بضعة أميال

---

(1) مذكرات جلوب باشا ص 223 دار الفجر بغداد ، الطبعة الأولى 1988 .

ليس إلا عن تل أبيب ، ولم يكن لدينا حتى ولا رجل واحد لكي يدافع عنهما »[1] .

وتجاهل أنه هو الذي أمر بسحب كل من يستطيع الدفاع عنهما ، ونسي أنه هو الذي أراد لهما هذا والملك !! ولم يظن أن التاريخ سوف يذكر هذا الأمر البسيط .

معركة اللد والرملة من مصادر رسمية « أردنية - يهودية » :

شكلت مدينتا اللد والرملة هدفا مغريا للصهيونيين بسبب موقعهما المتوسط على بعد 15 كيلو مترا من تل أبيب ، عند ملتقى خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب والساحل والداخل ، وبسبب وجود مطار عسكري صغير وآخر مدني كبير ، إلى جانب محطة الهاتف الرئيسية في فلسطين هناك ، ومعسكر صرفند قريب منها ؛ ولذلك سعى الصهيونيون إلى احتلال المدينتين ، وأعدوا من أجل ذلك خططا مبكرة جدا ، وأخفوها ، وجعلوها قيد التنفيذ عندما تسنح الفرصة لذلك .

وكان سكان المدينتين يدركون هذا الخطر الذي يتهددهم ، ويفهمون أهمية موقع المدينتين ، وبدءوا يتخذون التدابير الدفاعية معتمدين على جهودهم الفردية ، ولجانهم القومية المحلية ومتعاونين مع قوات جيش الجهاد المقدس العاملة في هذا القطاع بقيادة الشيخ حسن سلامة .

والشيخ حسن سلامة المجاهد العظيم هو لمن لا يعرفه حما السيدة جورجينا رزق ملكة جمال الكون في سنين مضت عندما تزوجها الشهيد علي حسن

---

(1) المصدر السابق ص 224 .

سلامة في وقت لاحق وأمهرها بضعة ملايين من الدولارات أثناء كفاحه قبل أن يستشهد في بيروت منذ سنين ... على أي حال هذه قصة أخرى !!

وقد بذل السكان من أجل التحصين والاستعداد والتدريب والحصول على السلاح جهدا خارقا .

كان في مدينة اللد زهاء 75 مقاتلا تابعين لقوات الجهاد المقدس ، و 250 رجلا من الحرس البلدي ، و 350 متطوعا بدويا ، ونحو 650 فردا احتياطيا من أبناء المدينة ينزلون إلى الميدان كلما دعت الحاجة ، وكان لدى هذه الحامية 11 مصفحة ، وثلاثة مدافع هاون ، ومدفعان كبيران ، وأربعة مدافع مضادة للدبابات ومدفعان عديما الارتداد ، وأربعة رشاشات « هوتشكيز » ، و 25 رشاشا من نوع برن ، و 7 رشاشات « ستن » ، و 150 بندقية عادية ، و 180 صندوق ذخيرة إنجليزية ، وقليل من القنابل اليدوية والألغام .

أما الرملة فقد تألفت حاميتها من نحو 300 مناضل من أبنائها ، 50 منهم تابعون لقوات الجهاد المقدس ، والباقون من أفراد الحرس البلدي أو المناضلين غير الثابتين . ولم يتعد تسليحهم 400 بندقية إنجليزية وألمانية عادية حصلوا على معظمها من مستودع الجيش الإنجليزي في عاقر . وكان لديهم رشاش واحد من نوع « فيكرز » ، وثلاثة من نوع « هوتشكيز » وبضعة رشاشات « برن » ، ومدفع واحد مضاد للمصفحات .

وقامت اللجنة القومية التي تم تشكيلها بإشراف الشيخ حسن أبو السعود بمساع جيدة في سبيل التنظيم وتوحيد الجهود وعمل مختلف التدابير للدفاع والتسليح .

وقد قوى عزيمة السكان في الرملة ومناضليها انضمام 250 متطوعا من

بدو شرقي الأردن بقيادة الشيخ فضيل الشهوان من مشايخ العجارمة والشيخ جمال المجالي من مشايخ الكرك .

وظل هؤلاء يقاتلون مع أهل المدينة منذ انضمامهم في فبراير 1948 حتى النهاية .

كذلك أصدرت اللجنة العسكرية بدمشق في 1948/2/16 أمرا إلى سرية من وحدات جيش الإنقاذ معها فصيل من المتطوعين المصريين بالتوجه إلى قطاع اللد والرملة .

وقد تحركت الكتيبة المذكورة يوم 23 فبراير بقيادة الملازم أول عبد الجبار العراقي .

ووضعت هذه القوة تحت إمرة الشيخ حسن سلامة الذي اعترفت به اللجنة العسكرية قائدا لهذا القطاع .

وكان يعوز هذا الشتات من المقاتلين في المدينتين قيادة حازمة يمكنها استيعاب كل هؤلاء ، وتتولى مسئولية التدريب المتفق مع طبيعة المنطقة ، وتنسق الجهود ، وتضع خطط العمليات وتوجهها من مركز قيادي واحد قادر على دراسة الموقف واتخاذ القرارات في الأوقات المناسبة ، ودون تأخير .

وقد نشبت عدة اشتباكات بين مناضلي المدينتين والصهيونيين منذ صدور قرار التقسيم .

وكان النصر حليف العرب دائما ؛ فقد أسقط مناضلو اللد طائرة كانت تحلق فوق مطار المدينة واستولوا مع مناضلي القرى المجاورة على المطار ومحطة السكة الحديدية ومخزن الوقود ومعسكر بيت نبالا ، وأقاموا مفارز خاصة لحراسة هذه المواقع والدفاع عنها .

وظل الأمر على هذا الحال إلى أن انتهى الانتداب وأعلن قيام الكيان الصهيوني ودخلت الجيوش العربية فلسطين ، وأعلنت الهدنة الأولى . وفي أثناء هذه الهدنة تحركت يوم 1948/6/18 سرية المشاة الخامسة التابعة لقيادة اللواء الثالث من الجيش الأردني « عدد عناصرها 185 ضابطا وفردا » إلى مدينتي اللد والرملة لتأخذ مواقعها هناك ، وتساعد الحكم العسكري الأردني في إدارة المدينتين ، وتنسق الدفاع عنهما وتعيد تنظيمه .

وقد تبين لقائد السرية أن المدينتين قادرتان على الدفاع أمام هجمات المشاة لفترة زمنية محدودة ، ولكنهما لا تملكان القدرة على الدفاع والصمود في وجه الدبابات والمدفعية ، وينقص القوات المدافعة عنهما في الوقت ذاته التنظيم والتدريب والتماسك .

سعى الإسرائيليون بعد استئناف القتال في 1948/7/9 إلى احتلال مدينتي اللد والرملة والانطلاق منها إلى مواقع الجيش الأردني في باب الواد لفتح طريق القدس بالقوة ، بعد فشلهم في تحقيق ذلك أثناء مرحلة القتال الأولى قبل الهدنة .

وكانت المدينتان هدفا مغريا لقلة القوات المدافعة من جهة ، ولقربهما من مركز القوات الإسرائيلية الرئيسية حيث يسهل عليها الاحتشاد والعمل من جهة ثانية ، ولبعدهما عن مراكز القوات العربية من جهة ثالثة .

وقد أعطى الإسرائيليون الأسبقية لاحتلال اللد والرملة أيضا للقضاء على تجمع سكاني عربي قريب من تل أبيب ، وللقضاء على فكرة المناطق المحددة في التقسيم والحصول على مكاسب إقليمية واستراتيجية ، وتخفيف الضغط عن القدس .

العملية داني « احتلال اللد والرملة » :

أطلق الإسرائيليون على عملية اللد والرملة الاسم الرمزي « داني » وخصصوا لها نخبة الجيش الإسرائيلي ، وهي قوة البالماخ المؤلفة من 6500 جندي منتظمين في ثلاثة ألوية مزودة بناقلات الجنود المدرعة المجنزرة والمدرعات والمدفعية والإسناد الجوي .

بدأ الهجوم الإسرائيلي يوم 1948/7/9 ، وسعى الإسرائيليون إلى عزل المدينتين عن أية مساعدة قد تأتي من الشرق ، فتقدم إلى شرقي اللد والرملة لواءان أحدهما من الجنوب حيث دخل قرية عنابة في الساعة الواحدة من صباح 10 يوليو ثم قرية جمزو ، وثانيهما من اتجاه تل أبيب في الشمال الغربي ، وقد احتل هذا اللواء « ولهلمينا » ثم مطار اللد .

وباحتلاله عزلت سرية الجيش الأردني في الرملة والعباسية واليهودية . وهكذا اكتمل تطويق المدينتين وعزلهما ، ولم يستطع المناضلون في القرى المذكورة ومطار اللد الصمود طويلاً أمام هجمات المدفعية والدبابات .

وتعرضت المدينتان أثناء ذلك لقصف جوي ثقيل وجه إلى مركز شركة الرملة خاصة ، وقصف مدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان .

استمر ضغط الإسرائيليين على امتداد واجهة القتال . وقد ألقت طائراتهم في صباح 11 يوليو نشرات تدعو الأهالي إلى التسليم ، إذ لا فائدة ترجى من القتال بعد أن أصبحت المدينتان مطوقتين ، وطلبت من أهالي اللد إرسال وفد عنهم إلى مقر القيادة الإسرائيلية في قرية جمزو شرقي اللد ، ومن أهالي الرملة إرسال وفدهم إلى مقر القيادة الإسرائيلية في قرية البرية شرقي الرملة أيضا .

ركز الإسرائيليون هجومهم على مدينة اللد أولا فشنوا عند الظهر هجوما

قويا عليها من الناحية الشرقية عند قرية دانيال ، ولكن مجاهدي المدينة استطاعوا أن يصدوا الهجوم بعد معركة دامت ساعة ونصف وخسر الإسرائيليون فيها 60 قتيلا .

وعاد المجاهدون وقد نفد عتادهم .

ثم شن الإسرائيليون هجوما آخر بقوات أكبر تدعمها المدرعات وتمكنوا في الساعة 16,00 تقريبا من دخول اللد واحتلالها وهم يطلقون النار على الأهالي دون تمييز .

وسقط نتيجة لذلك عدد كبير من أبناء المدينة شهداء .

وكانت قوة من حوالي سريتين معها عدد من المدرعات من الكتيبة الأولى للجيش الأردني قد تحركت من رام الله إلى بيت نبالا في 7/10 ، في حين اتجه من بقي من الكتيبة الأولى مساء 11 يوليو إلى مخفر الجفتلك في غور الأردن ، ومكثوا فيها يومين ثم عادوا إلى منطقة دير قديس .

أرسل قائد اللواء الثالث الأردني دورية يوم 11 يوليو إلى قرية جمزو ، فطردوا القوة الإسرائيلية منها وقتلت عشرة من أفرادها . ولكن الإسرائيليين عادوا إلى القرية بعد انسحاب الدورية الأردنية منها .

وضربت قوة الكتيبة الأولى من مراكزها في بيت نبالا عدة مراكز متقدمة للقوات الإسرائيلية وطردتها منها .

أرسلت القيادة الأردنية فئة مدرعات للتثبت من الموقف في مدينة اللد .

ولما رآها أهل المدينة وهي تشاغل حشود العدو على مشارف اللد ظنوا أن هذه الفئة مقدمة رتل قادم لإنقاذ اللد ، فتشجعوا وراحوا يهاجمون اليهود في كل مكان ، ولاسيما في الناحية الشمالية حيث دخلت المدرعات الأردنية ولكنها انسحبت بعد وقت قصير .

وقد أدى ذلك إلى تغلب القوات المعادية على المناضلين ، وتمكنت من سكان اللد فقتلت 426 مواطنا عربيا منهم 176 قتلوا في مذبحة نصبت لهم في مسجد المدينة .

تقدمت القوات الإسرائيلية بعد سقوط اللد باتجاه مركز القسم الواقع بين اللد والرملة ، وفيه مقر الحاكم العسكري الأردني .

وقطعت هذه القوات خطوط الهاتف بين قيادة السرية الأردنية الخامسة المقيمة في القسم ومركز الفصائل .

وأرسل قائد السرية مفرزة مؤلفة من ثمانية جنود لاستطلاع الأمر ، كما طلب إلى قائد حامية محطة السكة الحديد الخاصة باللد أن يقوم بحماية مركز القسم والحاكم العسكري الأردني . وحين أشرف هذا القائد على المركز وجد أن القوات الإسرائيلية أصبحت على مقربة من مقر الحاكم ، فاشتبكت فصيلته مع قوات الاستطلاع المعادية ، ودمرت لها سيارة جيب ، وغنمت بعض أسلحتها بعد أن فرَّ من بقي من رجالها .

وعندئذ توقف الإسرائيليون عن التقدم باتجاه الرملة وأنقذ الحاكم العسكري الأردني مع المفرزة الموجودة في مقره . وقد قاتل المناضلون الذين كانوا يرابطون في عمارة الشرطة بعناد إلى جانب الجيش الأدني . واندحر الإسرائيليون وهم يظنون أن هناك قوات كبيرة تتمركز في مدينة الرملة .

جمعت السرية الأردنية الخامسة فصائلها في مركز شرطة الرملة ، ثم تلقت برقية من اللواء الأردني الثالث ، الذي كان يقوده العميد أشتون الإنجليزي ، تأمرها بالانسحاب . وتم الانسحاب ليلا على الأقدام عن طريق جمزو – عنابة – بيت سيرا حيث منطقة تجمع السرية . وقد أتلفت السرية قبل الانسحاب معداتها الثقيلة وأسلحتها الزائدة .

أحكم الإسرائيليون الطوق على مدينة الرملة ، وجاءوا بحشود جديدة وزادوا قصفهم الجوي والمدفعي لها . ولما علم أبناء المدينة بخبر انسحاب السرية الأردنية اضطروا للاتصال بالإسرائيليين للتسليم ، فذهب وفد منهم إلى قرية البرية ومنها أخذهم الإسرائيليون إلى مستعمرة النعاني .

واستمرت المفاوضات من الساعة 12,00 من يوم 1948/7/11 حتى الساعة 6,00 من صباح اليوم التالي . وقد اتفق على تسليم المدينة بشروط مكتوبة منها عدم التعرض للأهلين أو المساس بالأملاك . ولما عاد الوفد إلى الرملة كانت القوات الإسرائيلية قد احتلتها . فوضع أعضاء الوفد تحت التحفظ في بلدية الرملة .

جمع الإسرائيليون شباب المدينة وساقوهم مرفوعي الأيدي إلى مكان جمع الأسرى في مركز شرطة الرملة حيث ظلوا حتى الساعة السابعة مساء . وبعد ذلك أطلق الإسرائيليون سراح أعضاء الوفد .

وفي 13 يوليو طلب الإسرائيليون من السكان إخلاء الرملة فرفضوا ، و لم يتقيد العدو بالشروط التي اتفق عليها مع وفد المدينة بل أجبر معظم السكان على الرحيل وأركبوهم في سيارات حملتهم إلى آخر نقطة باتجاه الشرق . وهناك تركوهم يسيرون على أقدامهم . وقد استمرت العملية ثلاثة أيام .

هذه ملخصات للروايات الرسمية من الجانبين اليهودي والأردني ومن خلال تأمل السرد لا يمكن أن تختفي مؤامرة الملك عبد الله وجلوب باشا فهي ظاهرة جلية ، رغم أن الفريقين حريصان على إخفائها وطمس معالمها . وإبداء المسألة على أنها حرب وقتال وقوة وضعف ، وقدرة وعجز ، وأنها الكر والفر ويوم لك ويوم عليك . وهي لم تكن كذلك بحال . فهي من المآسي التي صنعها المجرمون ولا تزال أصداؤها ترن في الآذان ، وأشباحها تتراءى أمام الأعين . وهي تشير في وضوح وجلاء إلى خيانة الحاكم لشعبه من أجل البقاء على العرش . وإن ذهب في سبيل ذلك من ذهب .

ما فعله الملك عبد الله باللد والرملة أكبر مما فعله اليهود في دير ياسين !

كانت عملية احتلال مدينتي اللد والرملة مذبحة بشعة وخيانة كبيرة لايزال صداها يتردد مع تاريخ العرب وفلسطين . فقد رأينا كيف قارب الذين قتلوا برصاص اليهود حوالي الخمسمائة بين طفل وشيخ وامرأة ، وكان خلف رصاصهم إرادة الملك عبد الله فهو الذي أراد . وهو الذي ترك المدينة بلا دفاع بعد أن تآمر مع جلوب باشا الخبير بهذا . وهو الذي سحب الكتيبة الأولى إلى طوباس لسبب مختلق ، وترك الناس يواجهون مصيرهم ، وهم على ظن من أنهم تحت حماية الجيش العربي الإنجليزي !

وكانت هناك سرية من الشرطة معها من السلاح ما لا يسمن من جوع أو يغني من خوف أمام قوات « البالماخ » المجهزة المدربة ، وأمرهم رئيسهم إدريس سلطان بالاختفاء في القلعة الواقعة بين البلدين . وهو يرسل إشارات الاستغاثة وبرقياتها . وتأتيه الردود تؤكد له أن النجدات في الطريق ولكن لا ينبغي أن يخبر أحدا بذلك ، ولابد أن يظل الأمر سرا حتى تأتي الجيوش التي لا مكان لها إلا في الخيال .

واضطربت صفوف المدافعين عن المدينتين فهم أخلاط ليست لهم قيادة مركزية واحدة . وقوتهم دون ما يحيق بهم بكثير .

وعندما ذهب أعيان المدينتين لعرض التسليم ومناقشة الشروط ، لم يسمعوا من القائد اليهودي غير كلمة واحدة ، وهي التسليم دون قيد أو شرط !

وأي شروط يمكن أن يعطيها عدو مدجج بالسلاح لقوم يعلم علم اليقين أن ملكهم قد خانهم وتخلى عنهم وتركهم لأعدائهم ليستسلموا لهم دون شروط ؟

ودخلت القوات اليهودية مدينة اللد أولا . مشاة تتقدمهم دبابات تشرشل الإنجليزية وبعدها بقليل دخلت الرملة في مناظر تبكي القلوب وتصدع النفوس عندما اجتمع الناس كالفئران المذعورة في المساجد والكنائس حيث لا طعام ولا ماء . مع الخوف القاتل والحر الشديد . ولا أحد يعلم ماذا سيكون بعد قليل .

وانطلقت مكبرات الصوت في الشوارع الخالية التي تركها أهلها إلا من بعض الجثث لقتلى انشغل عنهم أهلهم حزنا من الفزع الأكبر الذي عاينوه .

وكانت أوامر القادة اليهود بخروج الناس رافعي الأيدي مستسلمين ، مطأطئين رءوسهم إلى الأرض ترهقهم ذلة ، كأنما غشيت وجوههم قطع من الليل مظلما .

فصل اليهود الرجال عن النساء . وتركوا من هم فوق الخمسين من العمر . وأخذوا الشباب ، وجمعوهم في شارع الرملة الرئيسي ، وكان عددهم يزيد عن الألفين ، ومنهم من لم يمسك ببندقية في حياته ، واعتبروهم من المحاربين ، ومن ثم فقد أرسلوا إلى معسكرات الأسرى داخل إسرائيل ، وكانوا أحسن حالا من الذين تركوهم في المدينتين ينتظرون ما يراد بهم .

وجمع شعب المدينتين خائفا جائعا يحطمه العطش في طابور طويل ، يمر كل فترة بعض الجند يضربون جوانبه بكواعب بنادقهم حتى يستقيم . والكل يرضخ لكل بادرة أمر من أقل جندي في يده السلاح ، فقد كان الموت الأحمر يخيم بسحابته على المكان .

وكان هذا الطابور العجيب يتكون من عدة عشرات من ألوف البشر الذي يفري قلوبهم الخوف والجزع الشديد ، وهم لا يعلمون ما يكون . ومنهم من سقط ميتا أثناء وقوف الطابور من أزمات القلب أو رصاصة

طائشة لم ينتبه إلى أنه أو أنها مصابة بها . وكانت بعض الحوامل قد أتى موعد ولادتهن ، ومتن أثناء ذلك الانتظار الطويل . ولم يتقدم أحد لخدمة آخر إلا في أقل القليل وكان نصيبه العذاب الشديد .

وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا !

وبعد أن أتم اليهود نقل الرجال أمروا بقية سكان المدينتين بالتوجه شرقا ثم السير على الأقدام « للالتحاق بالملك عبد الله » على حد تعبير الجند والضباط اليهود ساخرين . فسار عشرات الألوف من النساء والأطفال والشيوخ هائمين على وجوههم في التلال المخوفة ، وطلقات الرصاص تلعلع في المكان ، ولا أحد يدري ، هل يطلقون النار عليهم ، أم أنه شيء آخر .

وكانت الطريق وجهتها رام الله ، وخيم الليل عليهم في هذا الجحيم ، ومن النساء من ذهلت عما أرضعت ، ووضعت كل ذات حمل حملها . والركب يتقدم يحدوه الخوف والذعر بعد أن تركت بعض النسوة ما ألقته من جنين أو وليد نهبة للوحوش فقد كان الأمر أشبه بيوم القيامة .

ومات عدد كبير من هذا الركب البائس قبل أن يصل إلى غايته التي ساقتها إليها قدماه .

فقد بدت مشارف الطريق الرئيسية ، وهرعت الجموع الخائفة الزاحفة إليها ، تلتمس الحياة أو أملا غامضا من بين سحابة الموت التي خيمت عليهم .

كانت هذه هي طريق اللطرون - رام الله .

وكانت سيارات الجيش العربي الإنجليزي في انتظار هؤلاء البائسين الذين لا يعرفون وجهة لهم يذهبون إليها .

وانفض الجمع بعد قليل ، فمنهم من ذهب إلى اللطرون ، ومنهم من ركب إلى رام الله ، وهناك قسم ثالث لم يأمن شر هؤلاء المنقذين فانساحوا واختفوا في القرى القريبة هنا وهناك ، يداوون جراحاتهم ، ويأخذون بعض الدواء إن وجد ، وما يمكن أن يمضغوه ويأكلوه وشيئا من ماء قليلا .

الملك عبد الله وجلوب يرتديان ملابس التمثيل :

هرج ومرج ساد الأردن وعمان من هول ما حدث ، والناس بين مصدق ومكذب . وأسرع الملك ليتصل بجلوب باشا صاحب الخبرة في هذه الأمور ، ولم يقصر وأمر بإرسال الكتيبة الأولى بالعودة ثانية إلى اللد والرملة ، ليس لاقتحام المدينتين ولكن للوقوف عند طريق اللطرون — رام الله حيث التقطوا المطرودين والذين أُخْرِجُوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .

وكانت عملية الغرض منها التضليل والخداع وإيهام الناس أنهم يقاتلون . وكانت الأوامر تقضي بعدم مهاجمة اليهود مهما كانت الأسباب ، وعدم ترك النقطة التي تمركزوا فيها على طريق اللطرون – رام الله وكأنهم يقومون على حراسة اليهود في اللد والرملة .

أما السرية البائسة التي اختفت في القلعة من الشرطة العربية والتي كان يقودها إدريس سلطان . فقد انتظرت قدوم الليل وخرجوا لواذا يزحفون على بطونهم لمسافات طويلة ، يدفعهم الخوف ويسرع بهم إلى غايتهم . ووقف إدريس سلطان الجريح المخدوع بالنجدات القادمة يسب بأعلى صوته الملك عبد الله وجلوب باشا والإنجليز وجميع الإخوة العرب ، وزملاؤه يحاولون إسكاته ، وهو في حالة من الهياج يصعب معها السيطرة عليه .

ولما بلغ خبره جلوب باشا ابتسم وقال :

– تؤخر ترقيته دفعتين . ما فيش مشكلة يا حبيبي .

وكان جلوب باشا كما نعلم يتكلم العربية باللهجة الأردنية وسائر اللهجات البدوية المنتشرة على ضفاف الأردن وفي جوف الصحراء .

وحشر جلوب باشا فنادى وأذاع في أوساط عمان بأن الكتيبة الأولى لم تتمكن من فك الحصار عن المدينتين وإنقاذهما .

كتيبة بها ألف جندي مدرب تدريبا عاليا ، وأربعون مدرعة ثقيلة وخفيفة ، ومجموعة مدفعية ثقيلة للمعاونة ، وبطارية هاون عيار 4/2 بوصة لم تستطع فك الحصار ، ويبدو أنها ذهبت لقراءة التعاويذ والطلاسم وليس للاشتباك وإطلاق النيران . ففك الحصار يستدعي الاشتباك والحرب وسقوط القتلى ، ضمن خطة يعدها أركانه ، ولم يكن هناك شيء من هذا على الإطلاق . فما معنى أن الكتيبة قد فشلت في فك الحصار ؟

قد ذهبت الكتيبة للتمويه وتضليل الرأي العام ونجحت في مهمتها إلى حين . أما عندما يأتي وقت كتابة التاريخ ، فنراه صارما لا يرحم خائنا أبدا !!

سقطت اللد والرملة ولم تطلق الكتيبة الأولى رصاصة واحدة ، ولم يكن عندها قتيل واحد ولا جريح واحد !

وفي الجانب اليهودي سقط قتيلان ، وجرح ثلاثة !

مع ذلك المشهد الشيطاني حيث هدير المدافع والطلقات ورعد القنابل .

وكان القتلى فقط من النساء والشيوخ والأطفال وبعض الشباب ، وهؤلاء استشهدوا وهم لا يقاتلون . كانوا ضحايا القوة والخيانة والإرهاب .

كانت الحرب الثانية من أجل الاستيلاء على اللد والرملة :

اشترك الملك عبد الله والإنجليز في تسليم المدينتين لليهود . وقد أسفرت هذه الجريمة عن نتائج في صالح اليهود نجملها في نقاط :

1 - قضى التسليم على ذلك النفوذ العربي الخطر الذي كان يهدد تل أبيب .

2 - أخذ اليهود مطار اللد العالمي الذي كانت قيمته كبيرة لهم آنذاك . أخذوه سليما لم يلحقه أي أذى أو تخريب ، وكذلك أهم محطة للسكة الحديد .

3 - أخذ اليهود المدينتين الكبيرتين وما يتبعهما من أكثر من عشرين قرية كبيرة ، وخمسين قرية صغيرة ، واستولوا على كل ما فيها من منقولات وأثاثات وأشياء .

4 - ضم اليهود إليهم حوالي مليون دونم من الأراضي الخصبة التي كانت من أملاك الفلسطينيين قبل ذلك الحادث البشع .

5 - زال من طريق تل أبيب ، القدس العقبة الرئيسية في تحقيق الممر الذي كانوا يطالبون به .

6 - انكشفت ميمنة الجيش المصري أمام الهجمات اليهودية .

7 - ارتفع عدد اللاجئين إلى 450 ألفا بسبب تلك المأساة حتى ذلك الوقت .

8 - ارتفعت الدعاية اليهودية في العالم عن قوتها وضعف أعدائها وازداد ضغطهم على النقاط الضعيفة في القدس وغيرها .

9 - انخفضت الروح المعنوية العربية بشكل عام وبدأ الإحباط يصيب

العرب من نتائج الحرب ، وبدأت روح الهزيمة تسري في نفوس الناس .

10 - جرَّب اليهود سياسة الأمر الواقع مع العرب ونجحت وتلا ذلك أعمال كثيرة .

وقد حقق اليهود مكسبا سياسيا خطرا باستيلائهم على اللد والرملة سلما .

الملك البردعة !

هذه العبارة قالها المرحوم عبد الله التل عن الملك عبد الله في مجال تقييم خيانة الملك وجلوب ، وهو نادرا ما يفصح في مذكراته عن هذه الخيانة ، بل هو يدور حولها من هنا وهناك ، ويدع من يقرأ يلتقط ما يفهم . وهي من المرات القليلة التي يصرح بها هكذا . ويبدو أنه عندما يقترب في سرده من المصائب أو يجد نفسه في وسطها يفقد حذره وتزداد جرأته .

فقد قامت المظاهرات الشعبية في المدن والقرى الفلسطينية والأردنية تعبر عن السخط والغضب مما حدث . وكانت الهتافات تنادي بسقوط الملك عبد الله وحكومته وقائد جيشه جلوب ، وقد عرض لهذه الحوادث جلوب باشا أيضا في مذكراته .

وكانت الهتافات تتعالى بخيانة جلوب وعمالته ، وهو يهزأ منها ساخرا لأن ما يفعله هو سياسة الحكومة الأردنية ورأي الملك عبد الله شخصيا الذي لن يستقر عرشه بغير هذه الخيانة الصريحة ، وكل مايفعله جلوب إنما هو محاولة لتجميل الصورة ليس أكثر ، مثل افتعال حادث أو برقية تستوجب سحب القوات المدافعة عن اللد والرملة ، ثم إخطار اليهود بما جرى وهناك لذلك عشرة آلاف طريق ، هذا إن لم يكن الأمر متفقا عليه

من قبل معهم ووفق خطة مركزية يهودية للعمليات الحربية في فلسطين عام 1948 . وجلوب يسارع بإرسال الكتائب إلى اللطرون – رام الله ليس لاسترداد المدينتين اللتين سقطتا ، ولكن للتمويه والتجميل وخداع الشعب ، وربما للدفاع عنهما إذا استدعى الأمر لحساب اليهود .

جاء الملك عبد الله من أرض الحجاز على جمل ومعه فرقة من الجيش الإنجليزي ونزل بهذه البلاد وأعمل السوط والحذاء في أهالي تلك الناحية حتى سموه ومن بعده سيدنا أميرا كان أم ملكا ، ودانت له بعد ذلك البلاد والعباد ، وكان جلوب باشا هو سوطه الذي يضرب به الناس ، وذهبه الذي يوزعه على القبائل للطاعة والولاء . وهو سره الذي لا ينفصل عنه إلا بالموت ، وأغلب أهل بلادنا من الغافلين .

ولم يكونوا يتخيلون الأمور على النحو الذي ظهرت عليه بعد نصف قرن من الأحداث وقلة يسيرة من أهل تلك البلاد التي كانت تربط بين خيانة الملك عبد الله وبين جلوب باشا ، وتفهم الصلة العضوية بين الاثنين .

« أما حكومة اللصوص في عمان فقد كانت في واد وقضية الجيش في واد آخر ، فلم تتخذ أبسط الاجراءات في مثل هذه الحالات ، ولم تحاكم جلوب أو تحقق معه في شيء ، وكأنه في نظرها لم يفعل شيئا . وسكوتها عن المأساة دون أن تتعرض لجلوب بشيء كان أكبر دليل على اشتراكها في الجريمة ، وأن المأساة لم تقع إلا بمعرفتها واطلاعها ، ولو كان الواقع غير هذا لتجرأت على إجراء تحقيق مع جلوب ولتقدمت إليه بالأسئلة التالية :

1 – لماذا نشر الكتائب على الجبال وأهمل منطقة اللد والرملة التي تعتبر من صميم المنطقة العربية المعنية للجيش العربي سواء في قرار التقسيم أو في خطة الجامعة العربية لمعركة فلسطين ؟

2 ـ لماذا خصص الكتيبة الأولى للدفاع عن اللد والرملة ثم سحبها قبل انتهاء الهدنة الأولى ونشوب القتال في 1948/7/9 ؟ ثم أرسلها إلى منطقة تقع ضمن مسئوليات الجيش العراقي ، ثم أعادها بعد سقوط المدينتين والقرى التابعة لها بأيدي اليهودي ؟

3 ـ لماذا لم تحاول الكتيبة عند عودتها إنقاذ المدينتين ؟ وإذا كانت قد حاولت وفشلت حربيا فكم عدد القتلى والجرحي منها ؟

4 ـ لماذا لم تدافع السرية التي عينها في المدينتين مع المناضلين ، أو تحاول الدفاع على الأقل لتقوم بالواجب العسكري ، وإذا كانت قد فعلت وأخفقت فكم عدد القتلى والجرحى منها ؟

5 ـ لماذا منع ـ جلوب باشا ـ قوات اللطرون وباب الواد من إرسال نجدات إلى إخوانهم في اللد والرملة ، وهم لا يبعدون عنهم سوى بضعة كيلو مترات ؟

6 ـ لماذا لم يسمح للمدفعية الثقيلة بقصف تجمعات اليهود قبل الهجوم على المدينتين وبعده ؟ ولماذا لم يزود سرية المشاة بمدافع مقاومة للدبابات وهي كثيرة جدا في الجيش العربي ؟ »[1] .

هذه أفكار عبد الله التل ، وتساؤلاته وهي منطقية وصحيحة ، ولا تحتاج حتى إلى إجابة من أحد ، فجلوب باشا هو جزء من منظومة واتفاق وتصور وخطة ، وسياسة عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية التي بدأت أثناء حرب فلسطين 1948 . أما جلوب باشا الذي نشر مذكراته بعد عبد الله

---

(1) كارثة فلسطين ص 262 .

التل بكثير فهو يرد على هذه الاتهامات بكلمات لا تعدو سطورا ثلاثة ، لا تخلو من تهكم ومن سخرية ، وكأنها أمور مفهومة .

يقول جلوب باشا :

« ومع أن الحكومة الأردنية قد وافقت بأن لا نحاول الاستيلاء على اللد والرملة ، إلا أن هذه الحكومة نفسها أخذت تشارك الآن في إطلاق حملة الشتائم والعويل !... وقد استدعيت لحضور اجتماع كامل عقده الملك عبد الله والوزارة الأردنية واتهمت فيه بالخيانة ! »[1] .

هذا هو كل ما قاله جلوب باشا ونشره حول الموضوع ، ولكن من خلال هذه السطور يمكن لنا تبين الكثير ، الملك موجود ، والوزارة التي وافقت من قبل على عدم محاولة الاستيلاء على المدينتين ، بمعنى أن خطة قد عرضت عليها ووافقت بخصوص المدينتين ، يقول جلوب إنه رغم اشتراكهم معنا وجدنا من يقف فيهم ويتهمني بالخيانة . وهذا كل ما هناك !!

بماذا رد جلوب باشا ؟ ليست عندنا إجابة ! ماذا قال الملك عبد الله في هذا الاجتماع ؛ الله أعلم . ويقيني أن العبارة التي وردت في مذكرات جلوب باشا حول سقوط اللد والرملة إنما تأتي من باب السخرية والتهكم على الجميع ... الملك ... والوزارة ... وعبد الله التل ، وأنا وأنتم ... وجميع العرب !!

لقد جاء جلوب باشا إلى بلادنا في زمن الهزيمة العربية ، وكان هو أحد صناعها ، وعنصرا مهما من عناصرها . وهو والملك عبد الله وجهان لعملة واحدة . الملك في ناحية ... والكتابة في الناحية الأخرى ... ماهو مكتوب علينا !

---

(1) مذكرات جلوب باشا ، مصدر سابق ص 225 .

وبعد اجتماع الحكومة الأردنية قرَّرت ترقية « لاسن » ذراع جلوب باشا اليمين ، وبعض رفاقه بعد منح كل واحد منهم وساما تقديرا لخدماته . وكانوا يعدون « لاسن » ليخلف جلوب بعد عمر طويل . فقد صار زعيما فلواء . وبعد موت جلوب يصير فريقا ، ربما تكون هناك خدمة أخرى لإسرائيل مكتوبة في « الأجندة » ولا يعرفها العرب الأمجاد !

« وعندما فوتح جلالة الملك في أمر جلوب وضباطه الإنجليز وطلبت الجامعة العربية الاستغناء عنهم أو سحب القيادة منهم ، أجاب الملك في جلسة هامة بقصر رغدان : أنا لا أستطيع تغيير سرجي في المعركة .

ولعل الأمة العربية تشهد - بل العالم بأجمعه يشهد - أن جلالته لم يغير سرجه « جلوب باشا » لسبب بسيط هو أن السرج أو « البردعة » كان الملك نفسه وليس جلوب ! »[1] .

* * *

كانت الحرب بين العرب واليهود عام 1948 لعبة قذرة صنعت من أجل خلق دولة جديدة لها تاريخ وتراث وكفاح . وكان أبرز اللاعبين هو الملك عبد الله . ولم يكن الملك من السذج أو الغافلين كما قد يتراءى للبعض من سير الحوادث والتداعيات .

كانت هناك دولة قد أجمع العالم على إقامتها هي إسرائيل ، وبغض النظر عن الحق والباطل في تلك القضية . ولكنها ثمرة جهود أجيال يهودية تعاقبت في العمل والتخطيط عندما أحسوا بالحاجة الملحة التي فرضها الاضطهاد

---

(1) مذكرات التل مصدر سابق ص 262 .

الطويل بعد قرون من النعمة أيام ازدهار الإسلام حيث عاشوا كمواطنين لهم كل الحقوق التي كانت للمسلمين ، وزادوا على هذه الحقوق بحق الذمة ، أنهم في ذمة المسلمين وعهدهم . وقد وصلوا إلى أعلى المناصب أيام قوة الإسلام . وربما مرت بهم فترات اضطهاد عانى منها الرعايا المسلمون أكثر مما عانوا هم ، فالمستبد لا يفكر في الأديان أو أتباعها بل هو يظلم الجميع بلا تمييز .

وأيامها لم يفكروا في دولة أو وطن فالعالم الإسلامي هو وطنهم ودولتهم ، وجاءت أيام كان عدد اليهود في مدينة القدس يعد على الأصابع ، أصابع اليدين ليس أكثر ، فهم يروحون ويجيئون في حرية ودون ما اعتراض .

وعندما حدث اضطهادهم في أوروبا بعد سقوط غرناطة وصدور قانون 23 مارس عام 1492 الذي أصدره الملكان الكاثوليكيان والذي يقضي بطردهم من أسبانيا وعرض من تبقى منهم على محاكم التفتيش لجئوا إلى العثمانيين ، وعاشوا قرون الاضطهاد في أوروبا ، ونشأت حاجتهم إلى الوطن .

وتكونت هذه الدولة بعد إجماع العالم على وجودها . وهذا العالم هو الذي أوجد دولة الأردن ، ولكنه لا يحافظ عليها بنفس الحماس الذي يحافظ به على إسرائيل ، أو هكذا اعتقد الملك عبد الله ، وعرف أن عليه الاعتماد على نفسه في بقاء ذلك العرش له ولأولاده ، وعرف أن الطريق إلى ذلك هو الخيانة ولكنه يطلق عليها اسما آخر .

الملك عبد الله يقف علانية في صف اليهود



الفصل التاسع

الملك عبد الله يقف علانية
في صف اليهود

الملك عبد الله يسوي بالعرب الأرض :

كانت الجيوش العربية المحاربة في فلسطين هزيلة عاجزة من حيث التدريب والكفاءة والتسليح ، ورغم ذلك فقد استبسل أغلب الضباط والجنود في أداء المهام التي أوكلت إليهم ، أو أَوْكَلُوها هُمْ إلى أنفسهم في بعض الحالات .

وكان الغرض من الحرب من وجهة نظر الملك عبد الله حسب « السياسة المرسومة » – وهذه العبارة قد ترددت كثيرا بين الملك وبين اليهود – أن يكرس الحدود بين إسرائيل وبين القسم العربي الذي اتفق مع الملك علي أن يضمه إليه بعد أن ينتهي الحفل .

وكان الملك ملتزما بالخطة اليهودية بألا يحارب حربا جدية مع اليهود ، وإن اضطر إلى ذلك فلا يزيد عن التظاهر بالحرب ، وإلا وقعت الواقعة معه ومع جيشه وبلده ، ونزلت به قارعة لا يدرك مبتداها ومنتهاها ، وهكذا كان يفهم ويعلم ، ولم يحد عن ذلك الاتفاق قيد أنملة .

وكأنما قد ساق العرب إلى حتفهم بالشعارات الملتهبة والمعلومات الخاطئة . ولعله قد أيقظهم من سباتهم من حيث لا يحتسب .

وهناك قلة قليلة تعرف الاتفاق بينه وبين اليهود لا أستبعد منهم جلوب باشا ، أو رئيس وزرائه توفيق أبو الهدى باشا ، ومجموعة أخرى يتبينها القارئ من بين السرد .

ويبدو الاتفاق من الأعمال الجنائية التي تصل إلى درجة الجريمة ضد

الجيوش العربية ، والمواطنين العرب من فلسطين أو الأردن ، وهي أمور يراها الرائي بوضوح ولا تلتبس عليه .

والأمثلة كثيرة ، ونحن هنا لا نؤرخ لحرب فلسطين عام 1948 كيف نشأت وكيف دارت معاركها ، ولكننا نبين خيانة الملك عبد الله وأبيه وأبنائه والدور النكد الذي لعبته تلك العائلة في تاريخ العرب الحديث ، وهو ما ينبغي علينا أن نكتبه ، وهو ما ينبغي على الناس أن يعرفوه . فمن يعرف الماضي يمكنه فهم الحاضر في سهولة ويسر .

فالملك يكره المصريين ويشعر بالغيرة منهم ، وزاد من بغضه لهم أن انضمت إليهم في حرب فلسطين كتيبة من الجيش السعودي أعدائه التقليديين الذين طهروا الحجاز ومكة والمدينة من فساده وفساد عائلته . وهو يرقب الحرب على جبهتهم وكله أمل في أن ينزل الله بهم نازلة أو أن تنكسر جيوشهم . وهو يزيد على ذلك فيتوسل إلى إلياهو ساسون صديقه القديم أن يقوم الجيش الإسرائيلي باحتلال غزة ويسلموها له قائلا :

- نريد يابا منفذا على البحر الأبيض .

ويرد عليه ساسون باسما :

- الله يقوينا يا سيدنا .

وعندما زار الوفد اليمني عمان كان مؤلفا من الأمير محمد البدر ومن سيف الإسلام يحيى والسيد على المؤيد ، وكان يحمل رسالة من الإمام يطلب فيها من الملك عبد الله عدم التخلي عن فلسطين ومؤازرة الجيش المصري وعدم التخلي عن القضية ، وكان ذلك في أول شهر يناير عام 1949 .

وقام الوفد مع الملك عبد الله بجولة بين ربوع فلسطين في القسم العربي

الذي تركه له اليهود صلحا واتفاقا ، وكانوا قد جمعوا له عشرة آلاف من المساكين ومن المواطنين يهتفون بحياته ، قد جمعهم حاكم رام الله الشهير نديم السمان .

وكانوا قد وضعوا الزينات والأعلام في كل مكان يريدون خداع الضيوف حتى يخرجوا من عنده ، فيتحدثون بما رأوا وشاهدوا .

وأقاموا لهم احتفالا في دار سينما رام الله حيث خطب الخطباء ، وتكلم المتكلمون والكل يشيد بفضل السماء على أهل هذه الناحية التي جاءتهم بذلك الفذ العبقري المخلص والذي حمل على كاهله آلام العرب ، واستطاع أن ينقذهم من اليهود ، وأن يقودهم في حرب منتصرة خلّص بها تلك الرقعة من الأرض التي يعيشون عليها الآن .

وانتهى الحفل بين رضا « سيدنا » وحبوره ، وبين انبهار الضيوف وإعجابهم ، فهم لم يعهدوا مثل هذه الأمور في بلادهم ، ويظنون أن ما رأوه صحيحا وحقيقيا . وليس مهرجانا قد أعده مخرج محترف حيث جاءوا له بالكومبارس بأجور زهيدة .

وتناولوا العشاء في منزل السيد أمين حداد أحد الوجهاء الفلسطينيين ، ثم اختلى الملك عبد الله بضيوفه اليمنيين واطلع على الرسالة التي جاءوه بها .

وكان الملك عبد الله مستهترا في حديثه يتكلم بما يعن له دون تحفظ أو خوف من أن ينقل عنه أو منه . والتفت إلى ضيوفه وقال :

– مالنا وفلسطين ، أنتم شفتم تعلق الناس بنا ، وليه ما تيجو من الجنوب ، وأنا بجيش من الشمال وابن أخي من الشرق فنلتقي في مكة ؟

واصفرت الوجوه واضطربت الأفئدة ، ولكن الأمير أجابه :

– يا سيدنا والله نحن أتينا لبحث مسألة فلسطين وهي أهم من كل شيء .

لم يتخل الملك عبد الله عن ثأره القديم مع السعودية ، وهو لا يهتم بفلسطين . ويصرح بذلك علانية ، ولا يخجل من دعوة اليمنيين إلى الاتفاق معه على إحداث شغب عظيم في جزيرة العرب . ولو وجد أقل بادرة للاستجابة لمشروعه لمضى فيه قُدمًا ، ولتذهب فلسطين والفلسطينيون إلى الجحيم . وهو على يقين من أنه لو وجد قوما يساعدونه على غزو جزيرة العرب لوقف بجواره اليهود ، كما وقف الإنجليز من قبل بجانب أبيه الشريف حسين . ولكن ذلك الحلم الذي غاب في ظلمات السنين عاد وظهر فجأة في مخيلة حفيده الملك حسين عندما وضع كل البيض في سلة صدام حسين على أمل أن يتحقق ذلك الحلم المجنون ، في عالم قد ترك فكرة الغزو وحشد الجيوش إلى قوم لا يزالون يعيشون في ماض سحيق لم يدركوا معالم الحاضر بعد أو علامات التغيير في العقل البشري وطبيعة العلاقات بين الدول والناس ، ولهذا الكلام موضع آخر سوف يأتي بعد ذلك .

مؤتمر أريحا :

استطاع الملك عبد الله أن يجمع إليه بعض أعيان فلسطين من الموالين له ، وأوحى إليهم أن يأتمروا ويبايعوه ملكا على ما تبقى من أشلاء فلسطين . واجتمع الملك وبطانته في الشونة مع الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ومن أكبر الموالين للملك حيث عرض عليه الأخير ما يريد .

وفي صباح الأربعاء 1948/12/1 جاء الأعيان والوجهاء من أرجاء ما تبقى من فلسطين إلى أريحا ، وأخذوا أماكنهم في ساحة فندق القصر الشتوي . وكان السفر والإقامة على حساب الحكومة التي تحسنت أحوالها

المالية مع الزمن ، ولو لم يكن كذلك لما جاء أحد .

وفي تمام الساعة العاشرة والنصف من ذلك الصباح الكئيب قام سكرتير المؤتمر السيد عجّاج نويهض وألقى كلمة قصيرة بين فيها أهداف المؤتمر ، واقترح انتخاب الجعبري رئيسا له . وكان الكل يعلم أن هذه هي إرادة الملك ، وأنه أمرٌ قد بُيِّت بليل . ثم تلا السكرتير أسماء أعضاء هيئة المؤتمر ، وهم السادة فؤاد عطا الله المحامي وإبراهيم نجم ومصطفى الدباغ . وذكر أيضا أسماء لجنة المقترحات ، وكانت من حكمت التاجي وعثمان محمدية وكمال حنون ويحيى حمودة والدكتور موسى الحسيني .

وقام الشيخ محمد علي الجعبري رئيس المؤتمر وألقى كلمة طويلة تكلم فيها عن حالة فلسطين وكيف غدر بها العرب ، وكيف باعوها بدراهم معدودة لليهود . ولا أدري كيف حدث هذا !! وإن البطل الذي صمد أمام الصهيونية وحارب اليهود حربا ضروسا هو الملك عبد الله المنقذ ابن المنقذ . وهو الذي حمى البلاد بجيشه البطل من أن تقع في يد اليهود .

وأنهى خطبته العصماء بمقترحاته التي سبق لهم كتابتها ومناقشتها مع الملك في الشونة قبل ذلك بأيام .

وكانت القرارات كالتالي :

1 - يشكر المؤتمر الدول العربية على ما بذلته من جهود وتضحيات ويطلب منها جميعا مواصلة القتال لإنقاذ فلسطين .

2 - القول بالوحدة الفلسطينية الأردنية ، ويعتبر المؤتمر فلسطين وحدة لا تتجزأ وكل قول يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلا نهائيا .

3 - لا يمكن للبلاد العربية أن تقاوم الأخطار التي تجابهها وتهدد

فلسطين إلا بالوحدة القومية الشاملة ، ويجب البدء بتوحيد فلسطين مع شرق الأردن مقدمة للوحدة العربية الحقيقية .

4 - يبايع المؤتمر جلالة الملك عبد الله المعظم ملكا على فلسطين كلها ويحييه ويحيي جيشه الباسل والجيوش العربية التي حاربت ولا تزال دفاعا عن فلسطين .

5 - التشديد بضرورة الإسراع بإرجاع اللاجئين إلى بلادهم والتعويض عليهم .

6 - يقترح المؤتمر على جلالته الإشارة بوضع نظام لانتخاب ممثلين شرعيين عن عرب فلسطين يستشارون في أمورها .

7 - تبلغ هذه المقررات إلى منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية والدول العربية وممثلي الدول الأخرى .

هذه هي مقررات مؤتمر أريحا !! قوم يعيشون في عالم آخر ولا يدرون من أمر عالم العرب والعالم شيئا . وهم يجتمعون بدون شرعية تجمعهم ، ولم يستندوا إلى شيء في اجتماعهم هذا ، فلم ينتخبهم أحد ، ولم يحصلوا على تفويض بالكلام نيابة عن أحد . إنما هم بعض من الوجهاء والمتسكعين الذين درجوا على لعق حذاء الملك ، وهم في جملتهم لا يمثلون شعب فلسطين ، ولا يتحدثون إلا نيابة عن أنفسهم . ولكن هذا ما حدث !!

وخرج المؤتمرون في السيارات التي استأجرتها الحكومة إلى قصر المصلى بالشونة حيث استقبلهم جلالة الملك الذي كان ينتظرهم على أحر من الجمر .

ومن طريف ما ينبغي ذكره في هذا المجال أن قصر المصلى الذي يمموا

شطره قد قام ببنائه المقاولون والمهندسون اليهود ، ولم يتقاضوا بقية أجرهم عندما انتهوا منه واندلعت حرب فلسطين . ولكن الوكالة اليهودية قامت مشكورة بتسديد مستحقات هؤلاء المقاولين والمهندسين عن طيب خاطر ورضا نفس ، فهي تعتبر القصر من أهم المؤسسات اليهودية التي تعمل على خدمة شعب إسرائيل مادام الملك عبد الله يجلس فيه .

ودخلت وفود المؤتمر على الملك ولثمت يده « الشريفة » ، وأشار لهم فجلسوا . ثم قام خطيبهم وأنهى إليه ما اتفقوا عليه . وقام الملك يرد على كلمة الخطيب ، وعلى هذه القرارات ، وهو يقبل منهم تلك البيعة التي لا أساس لها من شرع أو قانون أو عرف . وإنما هي قطعة من منظومة قد نظمها الملك مع اليهود ، وسوف نرى بعد ذلك كيف يتوسل الملك إلى اليهود ألا يتخلوا عن هذه المقررات وأن يعملوا لها الدعاية اللازمة ، وأن يحصلوا لها على الاعتراف الدولي حتى تستقر في أذهان الدول والشعوب .

قال الملك في خطبته :

« أعتبر مقرراتكم هذه منة من المولى عز وجل ، وحملا منكم ثقيلا . وكنت في شهر نيسان الماضي عندما جاءتني وفود فلسطين للحادث الأليم الذي وقع في دير ياسين ، قلت إني أضع نفسي تحت تصرف أهل فلسطين حتى النصر أو يقولون كفى « !! » .

وقد يسَّر الله لنا القيام بما وعدنا . والموقف ليس موقف خطب ولكنه موقف تبصر وتدبر . وسآخذ هذه المقررات وأعرضها على الحكومة ، ولابد أن تسمعها الدول العربية . وإنها ستساعد على انتشال فلسطين من كبوتها »[1] .

---

(1) كارثة فلسطين ، مصدر سابق ص 379 .

قال الملك في خطبته إنه يضع نفسه تحت تصرف أهل فلسطين حتى النصر ، ولم يقل نصر من ؟ العرب أو اليهود ؟ ومن الذي يقول كفى ؟

واجتمع البرلمان الأردني يوم 1948/12/9 وأقرّ مقررات أريحا وقال في قراره : « إن مجلس الأمة بعد أن اطلع على قرار الحكومة الذي اتخذته بناء على مقررات مؤتمر أريحا يقرر بالإجماع موافقة الحكومة على سياستها المذكورة » .

وكان ذلك المجلس يتألف من عشرين عضوا نصفهم من الأميين ، وأغلبهم من مؤيدي الملك والحكومة .

وكانت هناك مؤتمرات عديدة تدور حول هذا أو ضده في عمان وفي غزة ، ويبدو أن الناس قد انشغلوا بالمؤتمرات كرد فعل للهزيمة العسكرية وقيام دولة إسرائيل .

وقد ردَّ اليهود على هذه المؤتمرات بجولة قام بها حاييم وايزمان في إسرائيل ولم يهاجم مؤتمر أريحا ومقرراته ، وإنما تكلم عن القدس وأهميتها التاريخية والدينية لليهود ، وأنها عاصمتهم القديمة ، وأنه من الأمور المؤسفة أن تقوم دولة إسرائيل وتبقى القدس خارجها .

جلوب باشا يحذر من مؤازرة الجيش المصري :

اطمأن اليهود إلى أن الجيوش العربية لن تحارب مرة أخرى ، فقد سحبوا قواتهم من جميع مناطق القتال في فلسطين لمواجهة الجيش المصري في الجنوب عند النقب . وأشاع اليهود أن الجيش المصري قد خرق اتفاقية الهدنة ، وأنهم اعتدوا على مواقع يهودية ، ولم يكن هذا صحيحا .

وكان جلوبا باشا قد قام بزيارة إلى القدس في 1948/10/2 وجمع إليه

الضباط والجنود وخطب فيهم وشرح لهم قضية فلسطين وكيف سارت بها الأمور . وكيف رفض العرب جميع الحلول التي وضعها الإنجليز لحل هذه المشكلة .

وبعد أن أطنب في شرح هذه الأمور تكلم عن اتفاقية الهدنة وحذَّر من خرقها ، وأنهم لو فعلوا ذلك فسوف يضعون الجيش العربي في موقف حرج لا يقوون عليه نظرا لنقص الذخائر ولاستحالة تعويضها . وتكلم كثيرا في هذه النقطة وأكد على ضرورة عدم إطلاق النار تحت أية ظروف .

ولم يفهم أحد طبيعة هذا التحذير من إطلاق النار إلا بعد يومين من ذلك الاجتماع عندما هاجم اليهود الجيش المصري في 1948/10/14 فقد كان جلوب باشا يعلم مسبقا بهذا الهجوم ، وهو ضمن الخطة الكلية لتوسيع دولة إسرائيل والسيطرة على منطقة النقب لقسم العالم العربي قسمين ولكسر شوكة المصريين ومن ثم العرب ، ولتهديد مصر تهديدا مباشرا بالوقوف على حدودها ، وإرغامها على قبول وجود الإنجليز في منطقة قناة السويس . ولم يكن الملك عبد الله بعيدا عن هذه التدابير .

وانتهز الملك عبد الله هذه الأحداث واتفق مع جلوب باشا على إرسال بعض السرايا من الجيش العربي الإنجليزي بقيادة الميجور لوكت ، وكان هذا بعد أسبوع من الأحداث ، إلى منطقة الخليل وبيت لحم للاستيلاء على المناطق التي كان بها الجيش المصري .

ورفع العلم الأردني على بلدية الخليل وأنزل العلم المصري . واتصل لوكت بالأعيان والوجهاء وأخطرهم أن هذه المنطقة أصبحت تحت حكم الملك وسيطرته . وكان الكل يظن أن هذه المفارز قد جاءت لمساعدة الجيش المصري المرابط هناك .

وكاد يحدث قتال بين الأردنيين والمصريين لولا حكمة بعض الضباط المصريين الذين حلوا المشكلة بوضع الأعلام الثلاثة فوق مبنى الحكومة في الخليل . وهي أعلام مصر والأردن وفلسطين .

وظل لوكت كحاكم عام أردني للمنطقة من قبل الملك عبد الله .

مصر تطلب مساعدة الجيش العربي رسميا :

حضر إلى قصر رغدان الأمير ألاي سعد الدين صبور حاملا رسالة من وزير الحربية المصري الفريق محمد حيدر ، وكانت موجهة إلى الملك عبد الله الذي فضها وابتسم وناولها ثانية إلى الأمير ألاي صبور ليقرأها، وفيها شرح مؤلم للوضع الذي كانت عليه القوات المصرية المحاصرة في الفالوجا ، وفي ختامها تطلب الحكومة المصرية رسميا من الملك التدخل لرفع الحصار عن القوات في الفالوجا ، وذلك عن طريق المعاونة العسكرية حيث يمكن ذلك للجيش العربي وليس غيره .

وكان يحضر هذه الجلسة الكولونيل عبد الله التل[1] .

وبعد أن استمع الملك عبد الله إلى الرسالة التي كان يقرؤها الأمير ألاي سعد الدين صبور قال له :

« إي والله . هيا اذهب يا صبور بك أنت وعبد الله التل إلى جلوب باشا وتباحث معه إلى عمل شيء . وأنا أكلم توفيق باشا ليخبر جلوب عن قدومكما » .

ورفع الملك سماعة التليفون وتكلم مع توفيق باشا أبو الهدى وأخبره بالقصة وأن عليه أن يجعل جلوب باشا ينتظر لمناقشة هذه المسألة .

---

(1) كارثة فلسطين ، مصدر سابق ص 418 .

وكان ذلك يوم الجمعة الموافق 1948/11/12 حسب شهادة الكولونيل عبد الله التل . وفي تمام الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم كان كل من سعد الدين صبور وعبد الله التل يجتازون عتبة بيت جلوب باشا حيث رافقهما أحد الموظفين إلى حيث استقبلهما جلوب باشا في مكتبه بمنزله . واستمع إلى شرح سعد الدين صبور ولم يكن في حاجة إلى مثل هذا الاستماع فهو يعرف طبيعة الموقف معرفة جيدة .

وقال جلوب باشا إنه سوف يجتمع بسعد الدين صبور في الغد ببيت لحم بعد أن يمر على عبد الله التل في القدس ، وأنه سوف يرى ماذا يلزم لفك ذلك الحصار .

خطة عربية لفك حصار الفالوجا يرفضها جلوب :

كان جلوب والملك عبد الله على علم تام بما يفعلان ، وأهم الأسرار الخطيرة التي لها صلة بالسياسة والحكم واليهود يتم تبادلها بين الاثنين دون ثالث .

وكان جلوب قادرا على تنفيذ المخططات السرية بلباقة وذكاء ، ويمكنه أن يغلف الجريمة بما لا يجعلها تبدو كذلك ، على الأقل أمام السذج والعوام .

تمت اتصالات عربية نتيجة لهذه الرسالة ، وكانت مصر قد أحاطت سوريا وبغداد علما بما جرى . وتم عقد اجتماع عسكري في الزرقا لبحث هذا الموقف ، وقد مثَّل الأردن فيه عبد القادر باشا الجندي ، وقد حضر ممثل لسوريا وآخر للعراق في هذا الاجتماع . واتفق في هذا الاجتماع أن تقدم سوريا فوجين سوريين لاحتلال مواقع فوجين عراقيين ، ثم يقوم الفوجان العراقيان مع فوج أردني بهجوم مفاجىء في منطقة بيت جبرين لاحتلالها والاتصال بقوات الفالوجا ورفع الحصار .

وكان هذا العمل من الناحية العسكرية سهلا جدا وليس هناك حل آخر على ضوء الظروف والإمكانات المتاحة في ذلك الوقت .

وكان المجتمعون في الزرقا أبرياء لا يعرفون طبيعة الأسرار والخفايا التي تحكم الصراع في تلك البقعة من الأرض .

وقد وافق الملك عبد الله على هذه الخطة فور وصولها إليه . وتحرك الفوجان السوريان لاحتلال مواقع العراقيين . وعندما وصل الفوجان إلى درعا في طريقهما إلى المثلث إذا بأوامر جديدة من عمان ترفض السماح بالمرور لهذين الفوجين !!

ثم ذهبت رسالة أخرى إلى الحكومة السورية من عمان تقول بأن محاولة مرور هذين الفوجين ستقابل بالقوة وسيمنعان من ذلك .

وكان الوفد العسكري المجتمع بالزرقا قد ذهب بتلك المقررات إلى جلوب باشا الذي نظر فيها وابتسم قائلا :

ـ هذا ما يصير يا حبيبي !!

رغم موافقة الملك . فالملك يوافق وجلوب باشا يدبر الأمر .

ورفع جلوب باشا تقريرا إلى الحكومة الأردنية يشرح لها فيه ـ من وجهة نظره ـ أن الموافقة على مثل تلك الخطة معناها تعرض مدينة عمان للدمار الشامل بالطائرات الإسرائيلية ، لأن اليهود لن يوافقوا على ذلك .

ونقلت الحكومة هذا التقرير إلى الملك الذي قال : وماذا نفعل ؟ ووعد جلوب باشا بوضع خطة أخرى لإنقاذ المصريين المحاصرين في الفالوجا .

الخطة دمشق لرفع الحصار عن قوات الفالوجا :

كانت الخطة دمشق هي ما تفتق عليه ذهن جلوب باشا بالتشاور مع

الملك عبد الله وهي تقضي بأن يقدم الجيش العراقي فوجين والجيش العربي فوجا واحدا . وتقوم هذه الأفواج الثلاثة بعمل مناوشات في منطقة بيت جبرين ، وليس أكثر من المناوشات لإشغال اليهود . وفي أثناء ذلك يقوم قائد قوات الفالوجا المصري بتدمير كافة الأسلحة الثقيلة التي في حيازته . ثم يتسلل بجنوده مشيا على الأقدام من طريق سري تحت إرشاد الميجور « لوكت » الضابط الإنجليزي الذي سيرسله جلوب باشا ليتولى سحب قوات الفالوجا المصرية .

وسافر الميجور لوكت بتفاصيل الخطة إلى قائد القوات المصرية في الفالوجا ، وأرسلت صورة منها إلى اللواء أحمد فؤاد صادق قائد القوات المصرية في فلسطين .

ولم يكن من الصعب على فؤاد صادق والسيد طه أن يفهما ما تنطوي عليه هذه الخطة من غدر وسوء نية .

وبعد أن تم التشاور بين القائدين المصريين تقرر رفض هذه الخطة تماما .

وكان « لوكت » قد وصل إلى الفالوجا ومعه مجموعة صغيرة لها خبرة بتدمير الأسلحة الثقيلة . وطلب منه مغادرة الفالوجا هو ومن معه . وخرج منها مطرودا .

وكان من الصعب أن يتسلل آلاف من الجند عبر طريق يقال عنه إنه سري دون التعرض للقضاء عليها من اليهود الذين كانوا ينسقون مع جلوب باشا .

وقد أثبتت الوقائع بعد ذلك علم اليهود بتلك الخطة .

فقد وقع أحد الضباط المصريين أسيرا عند تسلله من ذلك الطريق السري

الذي أشاروا إليه ، وكان يريد الذهاب إلى الخليل ، وقتل مجموعة من الجند الذين كانوا يرافقونه في ذلك التسلل .

فقد كان اليهود يعرفون ذلك الطريق السري ويراقبونه ، وينتظرون تسلل المصريين منه للإمساك بهم والقضاء عليهم .

وأثناء المفاوضات حول الهدنة في رودس بين الوفدين المصري واليهودي سأل أحد الضباط اليهود ضابطا مصريا عن السبب في عدم تنفيذ خطة جلوب باشا لرفع الحصار عن القوات المصرية في الفالوجا .

وكانت دهشة المصريين شديدة عندما فاتحهم الضباط اليهود حول هذه الخطة .

وتعجبوا من علمهم بها .

وفي يوم 1948/12/20 اجتمع جلوب باشا بالضباط والجنود في القدس وخطب فيهم وأكد لهم على بعض المعاني الهامة التي أراد أن يغرسها في عقولهم .

كان جلوب باشا يركز على عدم وجود ذخيرة لدى الجيش العربي . وهو يؤكد للضباط والجنود بأن الحرب قد انتهت بين الجيش العربي والجيش اليهودي وهذه هي تعليمات الحكومة ، ورأي الملك عبد الله أيضا .

وقد قدم لهم تحذيرا شديدا بعدم التحرش باليهود مهما كانت الأسباب ، وأنه لا دخل لهم بما يجري في أية بقعة من بقاع فلسطين . وأن هذا هو طلب الملك عبد الله شخصيا .

ثم أمر جلوب باشا بإعطاء عدد كبير من الضباط والجنود إجازات ليتمكنوا من زيارة أهلهم ورؤية أطفالهم .

وبعد ثلاثة أيام من هذا الاجتماع كان الهجوم اليهودي الثاني على الجيش المصري في الجنوب بتاريخ 1948/12/23 .

موقف الجيشين الهاشميين من الهجوم على الجيش المصري :

كان المنتظر أن تهب الجيوش العربية ، والعراقي والأردني منها على وجه الخصوص ، وأن تعمل على نجدة الجيش المصري في جنوب فلسطين والذي يتعرض لهجوم شديد من جانب اليهود . ولكن أيا منها لم يفعل .

وانتهت معركة الجنوب الثانية بين المصريين واليهود ولم يشترك أحد من الجيش العراقي والأردني في المعركة ، أو حتى أية محاولة لتخفيف الضغط على المصريين ، وكان في إمكانهم ذلك لولا الاتفاق المسبق مع اليهود ، وكان جلوب باشا يعلم بموعد الهجوم على المصريين قبل وقوعه .

ورغم ضغط مجلس النواب العراقي والمظاهرات في بغداد من أجل دفع الجيش العراقي للعمل على تخفيف الهجوم على الجيش المصري ، فإن شيئا من هذا لم يحدث ، مع ملاحظة أن الجيش العراقي كان بكامل قوته فهو لم يشترك في القتال على الإطلاق في أية معركة ولم تحدث بينه وبين اليهود أية مناوشات ، وذخائره كاملة غير منقوصة لم تطلق منها رصاصة واحدة من قبل .

وكان هناك اتفاق تام بين الملك عبد الله والأمير عبد الإله على ما يجري ، فهما يحاولان المحافظة على حكم الهاشميين ، وليس استرجاع فلسطين كما يصدرون من تصريحات هي للاستهلاك المحلي ليس أكثر . فقد صدرت بيانات من مجلس النواب العراقي عظيمة وفخيمة من يسمعها ويقرؤها يظن أن الأمر قد انتهى ، وأن القضاء على اليهود هي مسألة أيام ليس أكثر ، وأبلغت الحكومة العراقية الحكومة المصرية عن طريق التليفون

وعبر رسالة مكتوبة أنهم قد أصدروا الأوامر بفتح جبهة ثانية ضد اليهود للتخفيف عن الجيش المصري .

وكان هذا مجرد هراء وكلام ، واستقال رئيس الحكومة العراقية السيد مزاحم الباجة جي لأنه لم يستطع أن يمضي قدما في ذلك الطريق المؤسف .

وجاء نوري السعيد رئيسا للوزراء وقد كان يسير الوزارة من بيته قبل أن يتولاها رسميا .

وسرعان ما فتح المعتقلات والسجون للوطنيين والذين ينادون بالوقوف مع الجيش المصري في قتاله الدائر مع اليهود .

وأرسل الملك عبد الله برقية إلى الوصي على العرش في العراق يقول فيها :

« سمعت نبأ إسنادكم الملكي لرئاسة الوزارة إلى الصديق القديم للبيت الهاشمي وللثورة العربية والخادم الأمين لعمكم رحمه الله ، والمحب لي والذي توفي جدكم وهو عنه راض . وإنني إذ أشكر سموكم على هذه الأصالة أتمنى للوزارة العراقية التوفيق ، وأبين للشعب العراقي جهود جيشه الذي تحت قيادتكم وإدارة الراشدين من قواد العراق العظام الذي تحمل العبء الأكبر مع زميله الجيش الأردني وأخيه . وإنني لجد فخور بزيارة هذا الجيش الباسل أمس ، فكما أنني شكرته في الوقت العصيب أؤمل أن يزداد تقديري وشكري لهذا الجيش في إقامة الطمأنينة والسلام . مع إحقاق الحق إن شاء الله »[1] .

الملك يعلم بالهجوم على الجيش المصري :

« لم يعد خافيا على أحد من رجالات عمان العسكريين والسياسيين أن

---

(1) كارثة فلسطين ، مصدر سابق ص 430 .

الملك كان يعلم بهجوم اليهود على الجيش المصري ، والدليل على ذلك تصريحات جلالته الكثيرة في مجالسه الخاصة بالشونة ، تلك التصريحات التي تناقلها أفراد الحاشية ونشروها بين الناس .

والمعروف عن الملك الصراحة التامة وعدم المبالاة . وكان جلالته لا يخفي سروره وابتهاجه بانسحاب الجيش المصري في بعض المواقع وتخليه عن بعض المراكز .

ولطالما صرّح بأنه يفضل انتقال جنوب فلسطين إلى اليهود على بقائه في يد المصريين ، لأن استرداد النقب من اليهود أهون بكثير من استرداده من المصريين بحسب رأي جلالته . وإن عبارته المشهورة في هذا الباب يرددها الخاص والعام وهي : إنني أخاف على فلسطين من قريب حاسد أكثر من عدو حاقد .

وفي اجتماع لجلالة الملك مع ضباط عراقيين وأردنيين أثناء زيارتهم للشونة يوم الجمعة الموافق 1949/1/7 وكنت من بين أولئك الضباط - الحديث لعبد الله التل - صرح جلالته بأنه يرغب من صميم قلبه أن يحتل اليهود غزة لأنهم وعدوه بجعلها ميناء عربيا ، وبجرأته الغريبة ، ووقاحته العجيبة نطق بجملته المشهورة التي حفظها الضباط وما زالوا يرددونها وهي :

« أما المصريون فقد تعفرت أنوفهم بالتراب ، وأما أهل الشمال فلا حول لهم ولا قوة » .

ويقصد بأهل الشمال سوريا ولبنان .

وقد تبجح في هذا الاجتماع بسلامة الجيشين الهاشميين »[1] .

---

(1) المصدر السابق ، ص 432 .

وقد استطاع المصريون الصمود وأثبتت المعارك أن هناك مؤامرة يهودية - إنجليزية ضد القوات المصرية ، عندما توقفت جميع الجبهات عن القتال ، وتفرغ اليهود للجيش المصري في الجنوب ، وقد أظهرت هذه المعارك جانبا مأساويا وأخلاقيا شهده العالم أجمع ، عندما امتنع العراقيون والأردنيون عن الوقوف إلى جانب المصريين في القتال أو حتى مناوشة اليهود في الجبهات المختلفة لتخفيف الضغط على الجبهة المصرية .

وقد انتهى القتال مع المصريين عند البدء في مفاوضات رودس التي لجأ إليها اليهود بعد أن عجزوا عن كسر استحكامات الجيش المصري ، وقد ظهرت التسليحات الضخمة التي تميزت بها القوات اليهودية في تلك المعارك . وتم إعلان توقيع اتفاقية الهدنة بين مصر واليهود ووقعت في 24 فبراير 1949 .

وكان الملك عبد الله لا يخفي سروره عن أحد لما لحق الجيش المصري من خسائر كثيرة . وهو بهذا يؤكد أنه يقف مع اليهود في مواجهة العرب وليس العكس من أجل عرش أقيم في غفلة من الزمن .

الاتصالات السرية للملك عبدالله لعقد الصلح مع إسرائيل



الفصل العاشر

الاتصالات السرية للملك عبد الله
لعقد الصلح مع إسرائيل

قد رأينا في فصول سبقت كيف كانت صلة الملك عبد الله باليهود وثيقة منذ اليوم الأول التي وطأت قدماه أرض الأردن . فقد كانوا بمثابة حبل الحياة الذي يمده بالماء والغذاء في بلاد فقيرة ليست لها موارد ، وتقوم الحكومة البريطانية بدفع مرتبات العاملين بالدولة والإنفاق على الجيش ، وعمل بعض المشروعات الصغيرة اللازمة لكيان دولة ينبغي أن تكون .

وقد ظهرت تلك الصلة من خلال الوثائق التي يحتفظ بها الأرشيف المركزي الصهيوني والتي قدر للبعض أن يطلع عليها ويقوم على نشرها . وهي تنتهي في عام 1939 ولم يقدر نشر ما بعد ذلك من وثائق . وعلى الأخص الوثائق المتعلقة بحرب عام 1948 بين العرب واليهود ، والتي أتصور أنها حافلة بالمفاجآت والغرائب والمثير للدهشة البالغة . وقد رأينا عينة لما قبل ذلك ، وقد دهشنا غاية الدهشة لما فعل في السر وما يقال في العلن . وتعجبنا أن يهبط الملك عبد الله ذلك الدرك الأسفل من الوقوف أمام إرادة الأمة وكل توجهاتها القومية والدينية في الوقت الذي يزعم فيه أنه من سلالة النبي ﷺ .

ولو كانت دعواه صحيحة لمنعه ذلك من التدني في السلوك حتى يحفظ شرف هذا الانتساب . ولو كانت غير صحيحة لاختلف سلوكه ولتغيرت أقواله حتى يمكن للناس تصديق هذه المقولة .

والذين يشتغلون بالعمل العام أعمالهم ظاهرة مهما اجتهدوا في إخفائها ، والذنب لا يخفى ، والدَّيان لا يموت ، والتاريخ لا يرحم فهو يظهر كل شيء طال الزمن أو قصر .

وأهمية إبراز مثل هذه التواريخ التي اجتهد أصحابها في إخفائها عن الناس ، أن تستبين معالم الحاضر ، وأن يتخيل المرء ماذا يمكن أن يدور في الخفاء في حياته التي يحياها . وماذا يمكن أن يفعله الحاكمون من خلف ظهر أمتهم وقومهم . ومن ثم يمكننا فهم سلوك الحكومات الضعيفة التي لا تحيا إلا في ظل الخيانة ، والتعاون مع العدو لتحقيق أهدافه ومطامعه . والثمن هو البقاء على العرش وتعاطي المكافآت الضخمة من أجهزة المخابرات المختلفة . فهم يمنعون نمو الأمة وتقدمها ، ويجعلونهم يعيشون في الوهم ويقتاتون الكلمات والشعارات الجوفاء التي يصعب تحقيقها أو يستحيل .

ويمتنعون عن أداء الواجب السهل البسيط الذي يساعد على تقدم المجتمع وازدهاره ويملئون السجون بالمجاهدين والمخالفين ، ويمنعون الناس حقهم في التعبير ، وهم يفكرون نيابة عنهم ، ويأخذون القرارات العظيمة بوكالة زائفة عن الأمة غير قابلة للإلغاء ، ومن يفكر في إلغائها يكون نصيبه السجن أو القتل .

وهم ذرية بعضهم من بعض ، ومن يشذ عن ذلك يقتلوه أو ينفوه أو يتهموه بالجنون مثل ما فعلوا بالملك طلال ، ويضعوه في مستشفى حتى يموت ، والله من ورائهم محيط .

الكولونيل عبد الله التل :

وعندنا شاهد مهم على اتصالات الملك عبد الله باليهود في أعقاب حرب 1948 مباشرة .

وهذا الشاهد هو الكولونيل عبد الله التل قائد معركة القدس . وقد قدر لي أن أراه وأن أزوره في منفاه بالقاهرة عندما كان يعيش فيها بمصر

الجديدة في نهاية الخمسينيات . وكنا نسمع منه في ذلك الحين العجب من أحوال الملك عبد الله وأخباره وما جرى له ومنه مع اليهود .

وكان المرحوم عبد الله التل في غاية التأثر والغضب من هول الخيانة وهو يقص علينا أخبارها ، وكيف أن الصورة لم تتضح له تماما إلا بعد فوات الوقت .

وفي تلك الفترة التي كان يحكي فيها المرحوم عبد الله التل أخبار تلك الخيانة لم يكن قد ظهرت بعد تلك الوثائق والأوراق التي كشفت زمنا طويلا من الاتصالات ومن الرشوة من أجل تحقيق أهداف اليهود في بلاد العرب .

وكنا أيامها نستمع إليه مشدوهين من هول ما نسمع ، ويزيد من أهمية ما يحكي أن الذي يقوله شاهد عيان ، وهو شاهد عدل في الوقت نفسه ، وهو يذكر وقائع أهلها أحياء كلهم في ذلك الوقت ، وبعضهم كذلك الآن .

وقد مكنته ظروفه وموقعه في الجيش العربي من الاطلاع الواضح على كثير مما كان يجري في تلك الأيام بين الملك وبين اليهود .

إلياهو ساسون يبدأ المراسلة :

وإلياهو ساسون كان مديرا للشئون العربية في وزارة الخارجية الإسرائيلية . وكان صديقا حميما للملك عبد الله منذ أن وفد الأخير إلى الأردن ، وكان وسيطا بينه وبين الوكالة اليهودية كما رأينا في صفحات مضت من هذا الكتاب . والمعروف أن ساسون كان يزور عمان بين الآونة والأخرى ويظل في ضيافة الملك عبد الله أياما عديدة يتباحثان ويتفاهمان ويتفقان . ومن زياراته المشهورة تلك التي أعقبت تتويج الملك عام 1946 عندما جاء يهنىء الملك باسم اليهود في فلسطين ويقدم لجلالته الهدية

اليهودية ، وكانت ستة آلاف جنيه ، وقد علمت الأردن كلها بخبر تلك الزيارة والهدية في حينها . وإلياهو ساسون يجيد اللغة العربية والفرنسية إجادة تامة ، بالإضافة إلى اللغة العبرية .

يقول المرحوم عبد الله التل :

« في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة الموافق 1948/12/10 كلمني رئيس المراقبين الدوليين هاتفيا وقال : إن الكولونيل دايان يريد مقابلتي في المنطقة الحرام لأمر هام .

فتوجهت إلى منطقة باب الخليل حيث اتفقنا على الاجتماع ، ولما وصلت وجدت دايان ينتظر ومعه أحد المراقبين المعينين لتلك المنطقة . فتقدم دايان وقال إنه يحمل رسالة هامة جدا من شخصية يهودية كبيرة إلى صاحب الجلالة الملك عبد الله .

فأخذت الرسالة ووعدته بتأمين إيصالها إلى الملك . ثم افترقنا بعد أن أكد لي أهميتها ، وألا يفتحها إلا جلالة الملك بنفسه .

ولكني ما كدت أصل إلى أقرب نقطة فيها ضوء حتى بدأت أحس بعوامل قوية تدفعني إلى فض الرسالة والاطلاع على ما فيها أهمها : الشك في سير الأمور ، وفي نوايا الملك عبد الله ، ورغبتي في معرفة الحقيقة لعلي أستطيع تدارك ما يمكنني تداركه .

ففضتها غير مبال بعاقبة الأمر لو سألني الملك عن أسباب فتحها . وفي لمح البصر أزلت عنها الشمع الأحمر بحضور الرئيس قسيم محمد وقرأتها »[1].

---

(1) كارثة فلسطين ، ص 438 .

نص رسالة إلياهو ساسون إلى الملك :

مولاي المعظم .

إجلال واحترام . وبعد أرجو أن تكون جلالتكم بغاية الصحة أدامها المولى عز وجل عليكم .

سيدى .

لقد وصلت اليوم إلى القدس عائدا من باريس لمدة قصيرة جدا ، للاتصال بجلالتكم - إذا تفضلتم وأمرتم بذلك - والتعاون على حل الأمور المعقدة والوصول إلى ما نتمناه جميعا من إحلال السلام في ربوع هذه البلاد العزيزة على جلالتكم وعلينا . فأرجو جلالتكم والحالة هذه ، أن تتكرموا وترسلوا إلى القدس لمقابلتي والبحث معي أحد الأشخاص الذي تثقون بهم ، وأرجو أن يكون هذا الشخص مصحوبا بالصديق شوكت باشا ، وأن يكون كذلك من المخلصين للقضية المشتركة .

هذا وأرجو أن يأتي هذا الشخص في أسرع ما يمكن ، وإن أمكن غدا السبت حيث أوقاتي قصيرة جدا ، ومضطر أن أعود إلى باريس في أسرع ما يمكن ، هذا وإني أتمنى أن تساعدني الظروف على التشرف بمقابلة جلالتكم في إحدى الفرص السعيدة إن شاء الله .

وأرجو أن يكون الشخص الذي سيأتي لمقابلتي حاملا الكثير من ملاحظات جلالتكم بشأن كافة الأمور لنسترشد بها في حديثنا وأطال المولى بقاء جلالتكم - آمين .

المخلص

القدس ، الجمعة 1948/12/10 إلياهو ساسون

ملاحظة : لقد قابلت قبل تركي لباريس حضرة الصديق الأمير عبد المجيد حيدر وتكلمنا مطولا في عدة أمور[1] .

ملاحظات على رسالة إلياهو ساسون للملك :

واضح من الرسالة أن الملك عبد الله يتصل باليهود في باريس عبر سفيره في لندن آنذاك الأمير عبد المجيد حيدر من نوفمبر عام 1948 ، وهي الفترة الحرجة للجيش المصري في فلسطين ، وأن المفاوضات قد استؤنفت بعد ذلك في القدس بمعرفة الدكتور شوكت باشا طبيب الملك عبد الله الخاص . وأن ثمة « قضية مشتركة » - وهذا نص تعبير ساسون - بين الملك عبد الله وبين اليهود .

ويمكننا الربط بين هذه الرسالة ومحتواها وبين اجتماع الملك عبد الله يوم 12 أبريل 1948 - قبل حرب فلسطين ودخول الجيوش العربية إليها بأكثر من شهر ، في الوقت الذي كان يطالب فيه جلالته بالقيادة العليا لكل الجيوش العربية - باثنين من وزراء الحكومة الإسرائيلية في غور المجامع ، واتفق معهما على قبول قرار التقسيم ، وكما رأينا من قبل أن جلالته عاد واجتمع مع السيدة جولدا مايرسون « جولدا مائير » واتفق معها في حضور وزيرين من حكومته في بيت محمد الضباطي على أن يقف الجيش الأردني والعراقي عند الحدود العربية التي رسمها قرار التقسيم ، وهو ما أيدته الحوادث بعد ذلك ، وظهر عمليا في موقف الجيشين الأردني والعراقي في عمليات فلسطين .

---

(1) انظر صورة الرسالة في ملاحق الكتاب .

الملك عبد الله يتسلم رسالة ساسون :

يقول عبد الله التل[1] :

« سافرت إلى الشونة مبكرا في صبيحة يوم السبت الموافق 1948/12/11 واجتمعت بجلالة الملك الساعة الثامنة تماما ، وقدمت له الرسالة بعد أن وضعتها في مغلف جديد ختمته بالشمع الأحمر . وما إن بدأ الملك بقراءتها حتى انبسطت أساريره وتهلل وجهه فرحا وأعاد لي الرسالة لأقرأها . ثم خرج برهة وعاد ومعه الدكتور شوكت السلطي طبيب جلالته الخاص فسلمه الرسالة وقال بالحرف الواحد :

- اذهب ياباشا للقدس ، وتقابل مع ساسون للتفاهم معه على المسائل المعقدة ، وعبد الله بك يساعدك في الأمور الفنية .

ثم أمر بإحضار ورقة بيضاء وبدأ يملي على الدكتور ما يلي ليبلغه إلى ساسون :

- يسرنا أن تكون مذاكرة معكم .

- تعلمون أن أية مذاكرة منفردة إن لم تكن موفقة فهي ستجر متاعب من الناحية العربية ، وبالأخص من الخصوم السياسيين فوق ما تتصورون .

- قرار مؤتمر أريحا يجب أن يكون بالغ الاحترام .

- مسألة اللد والرملة يجب أن تكون على الحالة التي سبقت الانسحاب منها لأنكم لا تدركون المتاعب التي لحقتنا بعد الانسحاب .

---

(1) كارثة فلسطين ، مصدر سابق ص 440 .

- مسألة يافا تحت المذاكرة ، والقدس القديمة عربية ، واليهودية بيد أهلها .

- مسألة النقب تحت المذاكرة .

- مسألة اللاجئين تحت المذاكرة .

عندما أنهى إملاء ملاحظاته أمرني أن أسافر إلى عمان وأعرض رسالة ساسون على رئيس الحكومة الأردنية السيد توفيق أبو الهدى .

وصلت إلى عمان الساعة الثانية عشرة ظهرا واجتمعت برئيس الحكومة في مكتبه وقدمت له الرسالة . وبعد أن قرأها خاطبني قائلا :

- الحكومة ما عندها مانع . وجلالة سيدنا يطلعنا دائما على نتيجة اتصالاته الشخصية مع اليهود في لندن وباريس . أما نحن فلا يمكننا أن نفاوض اليهود علنا حتى لا نكون موضع انتقاد من الدول العربية . مع أننا نوافق على كل ما يتوصل إليه سيدنا من اتفاق معهم .

ولم يزد الباشا عن ذلك شيئا فأخذت الرسالة وعدت للشونة حيث اجتمعت بالدكتور شوكت باشا ، فبلغني أنه سيحضر للقدس هذا المساء للاجتماع بساسون ، وطلب أن يكون الاجتماع في الساعة السادسة والنصف » .

الاجتماع الأول بساسون :

عاد عبد الله التل إلى القدس وطلب الاجتماع بدايان ، فحضر إلى المنطقة الحرام وأخبره بوصول الرسالة إلى الملك وحضور شوكت باشا اليوم للاجتماع بساسون إن كان هذا ممكنا . وأجاب ساسون بأن هذا ممكن نظرا لوجوده بالقدس ، ومن السهل حضوره إلى مكان الاجتماع في المنطقة الحرام بباب الخليل .

« وفي الساعة السادسة مساء حضر الدكتور شوكت من الشونة وقبل حركتنا لمكان الاجتماع طلبت منه الملاحظات التي أملاها عليه الملك وأمعنت النظر فيها فوجدتها مبهمة وخطيرة ، وخاصة بما يتعلق بالقدس .

واتفقت مع الدكتور على إهمالها وتقديم نقاط جديدة كانت كما يلي :

1 – وجوب إعادة اللد والرملة كدليل على حب التفاهم .

2 – وجوب إعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم قبل فوات موسم الزراعة .

3 – بحث اقتراح برنادوت ومشروع التقسيم للتوصل لحل يرضي الطرفين .

4 – إعادة الأحياء العربية في القدس الجديدة .

وقبل الموعد بخمس دقائق تحركنا لمكان الاجتماع ، وعند وصولنا وجدنا ساسون ودايان ينتظران . وما إن شاهد ساسون الدكتور حتى تقدم وصافحه بحرارة .

ثم بدأ الدكتور بالحديث وبلغ ساسون تحيات الملك وسروره من رسالة ساسون الرقيقة . وهنا تبادل الصديقان القديمان عبارات العتاب على سوء التفاهم الذي وقع وأدى إلى الاشتباك المسلح ، ومما قاله الدكتور لصديقه ساسون معاتبا :

– كانت جولدا مايرسون « جولدا مائير » جافة أثناء مقابلتها لجلالة سيدنا قبل الاضطرابات ولو حضرتم بأنفسكم لكان التفاهم أحسن .

فرد ساسون مدافعا عن جولدا مايرسون ووضع اللوم على المترجم اليهودي الذي رافقها لعمان لأنه لم يوفق لشرح وجهات النظر جيدا .

وأخيرا بدأنا ندخل في الموضوع الرئيسي ، فأخرج الدكتور ورقة الملاحظات التي اتفقنا عليها وشرحها لساسون بعد أن أكد له أن سيدنا يرحب بالمباحثات الأولية مع اليهود تمهيدا لعقد صلح رسمي .

ولما انتهى الدكتور من حديثه بدأ ساسون يعلق باختصار على النقاط التي قدمناها وتملص من إعطاء رأي قاطع عن أية ناحية وطلب إمهاله ليتذاكر مع تل أبيب ثم يعطينا رأيه في الاجتماع المقبل[1] .

خلوة بين ساسون والدكتور شوكت :

« وانتهى الاجتماع على أن يعقد ثانية مساء الاثنين 1948/12/13 وعند وداعهما ابتعد ساسون مع الدكتور شوكت عنا قليلا ، ووقفا مدة عشر دقائق في خلوة تامة . وبعد افتراقنا عاد الدكتور إلى الشونة في نفس الليلة فوصلها في العاشرة ، وكان جلالة الملك لا يزال في انتظاره مع أنه يأوي لفراشه عادة في التاسعة تماما ، فشرح له الدكتور ما وقع في الاجتماع ، وكيف أن رد ساسون سيقدمه إلينا في الاجتماع المقبل »[2] .

الاجتماع الثاني مع ساسون :

« حضر الدكتور من الشونة للقدس بعد ظهر الاثنين 1948/12/13 واجتمعت به قبل ذهابنا للاجتماع الثاني مع ساسون ـ الحديث لعبد الله التل ـ واتفقنا على أن نسمع منهم في هذه المرة ولا نقدم أية ملاحظات ، وذلك لجس النبض والاطلاع على بعض ما يكنونه .

---

(1) المصدر السابق ص 442 .
(2) المصدر السابق ص 442 .

وفي الساعة السادسة والنصف وصلنا إلى مكان الاجتماع المقرر في المنطقة الحرام فألفينا ساسون ومساعد دايان في انتظارنا . وبعد أن بلغ الدكتور سلامات سيدنا وتحياته لساسون كالمعتاد ، رد ساسون مبلغا تحيات بن جوريون وشرتوك لجلالته ثم بدأنا الحديث الرسمي عن النقاط .

وعندها أخرج ساسون ورقة من جيبه ورجا الدكتور أن يسجل الملاحظات الواردة فيها ليقدمها للملك في الشونة .

فبدأ ساسون يملي والدكتور يكتب .

وكانت تلك الملاحظات كما يلي حرفيا :

1 – إذا كان جلالة سيدنا يرغب في تنفيذ مقررات أريحا فلا اعتراض لنا على ذلك . ونظن أن المستحسن أن ينفذها في أسرع وقت ممكن حتى يضع خصومه وأصدقاءه أمام الأمر الواقع . وللأمر الواقع أهمية كبرى عند دول أوروبا وأمريكا . وقد جربنا ذلك بأنفسنا .

2 – في حالة إقدامه على تنفيذ هذه المقررات نرجوه ألا يتعرض للناحية اليهودية لا بخير ولا بشر ، ويكتفي بالقول بأنه يقدم على ذلك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولإعادة الهدوء والسعادة إلى الشعب العربي الفلسطيني .

3 – نرجوه في حالة إقدامه على تنفيذ المقررات ألا يحدد موقفه النهائي من ناحية مصير القدس لا القديمة ولا الجديدة ، لأننا نعتقد أنه يجب ترك مصيرها إلى مباحثات واتفاقات بيننا وبين جلالته مباشرة في القريب العاجل ، ونعتقد أن هناك حلا يرضيه ويرضينا .

4 – ننصح لسيدنا بإعلان الهدنة الرسمية الطويلة ـ هدنة دائمة ـ وهذا يساعد على سحب جيوشه من جميع الجبهات واستخدامها في جهات أخرى

إذا ما اقتضت الحاجة لذلك . وإذا كانت الظروف الحاضرة تحول دون إعلان ذلك فبالإمكان الاتفاق على ذلك سرا بيننا . وفي مثل هذه الحالة نؤكد له بأننا لن نتعرض بسوء إلى مراكزه في جميع الجبهات ونحترمها كل الاحترام حتى نهاية المباحثات ولو طال الأمر شهورا .

5 - نحن ننصح لسيدنا أن يعمل بسرعة على سحب القوات العراقية من الحدود وإحلال قوات أردنية محلها للمحافظة على الأمن الداخلي فقط . وإن فعل ذلك فإننا نؤكد له بأننا لن نمس هذه الأماكن بسوء حتى نهاية المباحثات . أما إذا بقيت القوات العراقية في مراكزها فنخشى أن نصطدم بها يوما من الأيام .

6 - ننصح لسيدنا أن يسعى جهده لسحب القوات المصرية من جنوب القدس والخليل ليتخلص من المتاعب السياسية التي يخلقها وجود هذه القوات في أي وقت .

7 - ننصح لسيدنا أن يتجنب بقدر الإمكان وساطة الأجانب لتسوية الأمور بيننا وبينه ، وأن يفضل مثلنا المباحثات المباشرة ، فإن هذا في نظرنا أدعى للنجاح سواء كان من الناحية العسكرية أو السياسية .

8 - إذا أعرب سيدنا عن موافقته على النقاط السبعة السالفة فإن في استطاعتنا أن نؤكد له بأننا سوف نقوم بالدعاية لمقررات أريحا في جميع أرجاء العالم .

انتهى ساسون من إملاء ملاحظاته أو بالأحرى نصائحه ، وتجاهل بحث النقاط الرئيسية التي قدمناها له في الاجتماع الأول .

ولاشك أن القارئ يلاحظ من هذه النقاط اهتمام اليهود بالتعليق على مقررات أريحا مع أنه لم يرد لها ذكر في النقاط التي قدمناها مما يدلنا على

خيط من خيوط الخلوة السرية التي تمت بين ساسون والدكتور في الاجتماع السابق .

وحين تصافح الدكتور وساسون للوداع ابتعدا قيد خطوات منا وتهامسا لبضع دقائق استطعت خلالها أن أسمع بعد الألفاظ تدور حول المادتين الخامسة والسادسة من ملاحظات اليهود للملك .

وأخيرا افترقنا على أن نعود لساسون برأي الملك »[1] .

الملك لا ينام حتى يرد على نصائح ساسون :

« ظل الملك ساهرا على أحر من الجمر إلى أن وصل الدكتور شوكت للشونة في الحادية عشرة ليلا ، فتلقاه الملك مستفسرا عن أسباب تأخره في هذه المرة . فأخرج الباشا الرسالة التي حملها وقرأ موادها الثمانية على مسامع الملك الذي كان يعلق على كل مادة بجملة مختصرة يسطرها الدكتور على هامش الرسالة .

وفي فجر الثلاثاء الموافق 1948/12/14 اتصل بي جلالة الملك هاتفيا وتكلم باختصار قائلا :

- الباشا يجيك اليوم مع جوابنا للجماعة . أوصلوه لهم .

والجماعة هنا تعني اليهود ، وكان جلالته يرمز إليهم بهذه الكلمة عندما يكون الحديث سريا .

وفي العاشرة صباحا وصل الدكتور وأطلعني على تعليق الملك على هامش

---

(1) المصدر الساق ص 444 .

الرسالة ، وقد كان ذلك التعليق بحسب كل مادة كما يلي :

1 ـ هذا رأي حسن .

2 ـ هذه خطتنا من قديم .

3 ـ القدس القديمة للعرب والجديدة لليهود وتترك المسألة للمباحثات .

4 ـ أوافق على ذلك سرا بشرط أن يسري على الجبهة العراقية .

5 ـ للمباحثات مع سمو الوصي .

6 ـ ممكن عند انتهاء المشكلة بيننا وبين مصر والجامعة العربية . أفضل قبول الهدنة السرية .

7 ـ للمباحثات السرية مع الباشا فيخبركم عن رأيي .

8 ـ نعم .

وقد هالني في هذه الشروح الملكية أن أجد في المادة الثالثة أنه لا يزال يقنع بالقدس القديمة للعرب ، فأقنعت الباشا أن نضع كلمة « العربية » بدلا من القديمة ، واليهودية بدلا من الجديدة فتكون الفقرة « القدس العربية للعرب واليهودية لليهود » .

أما الألغاز التي وردت في المادتين الرابعة والسابعة فلم أعرها اهتماما لأنني لم أكن أتوقع أن يتآمر الملك الهاشمي على حلفائه العرب الذين ورطهم في فلسطين ، ثم خانهم واتفق مع اليهود على قهرهم حسب اعتراف جلالته نفسه وكما سيرد معنا فيما بعد »[1] .

الاجتماع الثالث بساسون :

« بقي الدكتور شوكت في القدس حتى الساعة الرابعة والنصف بعد

---

(1) المصدر السابق ص 445 .

الظهر يوم الثلاثاء 1948/12/14 حيث اجتمع بساسون للمرة الثالثة ، وأطلعه على رد الملك على الملاحظات والنصائح . ولم أحضر اجتماعهما في هذه المرة بسبب استدعائي إلى الشونة من قبل جلالته لسبب ظاهره استشارتي في أمر تعيين أحد أنجاله نائبا للملك في فلسطين ، وباطنه إبعادي عن اجتماع الدكتور بساسون هذه المرة .

وعندما عدت من الشونة إلى القدس تقابلت مع الدكتور في الطريق وسألته عن نتيجة الاجتماع فأكد لي أنه عرض لساسون الرد الملكي بحسب اتفاقنا ولم يزد عليه شيئا »[1].

اليهود يطلبون وثائق تثبت المفاوضة معهم !

« طلب اليهود الاجتماع بالدكتور في السادسة والنصف من مساء الخمس 1948/12/30 ولما وصل الدكتور للقدس توجهنا إلى مكان الاجتماع وكان في باب الخليل ، وقد أدهشنا ألا نجد في هذه المرة ساسون ودايان بل وجدنا دايان ومعه شخص آخر عرفنا بنفسه وكان روبين شيلوح من مساعدي وزير خارجية إسرائيل ، وكان يجيد العربية ، وقد بادرنا سيلوح قائلا :

– مع أننا نثق في جلالة سيدنا ونعلم تماما أنه يحافظ على كلمته ، إنما الأصول تقضي بأن نتبادل أوراقا رسمية تثبت تفويضنا وتفويضكم للكلام عن إسرائيل وجلالة سيدنا .

وعندما سمعنا هذا الاقتراح وعد الدكتور بإحضار التفويض المطلوب على أن يحضر اليهود مثله ، وافترقنا »[2].

---

(1) المصدر السابق ص 446 .
(2) المصدر السابق ص 447 .

الملك يفوض عبد الله التل في المباحثات مع اليهود :

« وحينما عاد الدكتور للشونة أطلع جلالته على نتيجة الاجتماع وكيف أن ساسون قد اختفى وجاء محله شيلوح . فاتصل بي جلالته هاتفيا وأمرني أن أقابله في الشونة صباح الجمعة في 1948/12/31 .

وفي الوقت المعين قابلت جلالته ، وكان الدكتور جالسا معه ، وتباحثنا في مسألة التفويض المطلوب ، فقال الملك :

ـ يا عبد الله . الدكتور ما يعرف شيء . والله أحاكيه ما يجاوبني . نريدك أن تخدمنا وتحكي بلساننا مع الجماعة .

فأجبت :

ـ أمركم يا مولاي ، وإنما المباحثات مع اليهود من واجب الحكومة المسئولة ، وأنا عسكري بالدرجة الأولى .

فقال :

ـ أين الحكومة ؟ خليك من الحكومة ، أنا المسئول قبل كل إنسان . وأنت لا تخاف من شيء . وأريدك أن تجس نبض الجماعة .

فقلت :

ـ أمركم مولاي سأجس نبضهم بصورة غير رسمية .

عندها وضع جلالته صيغة كتاب التفويض بنفسه وأمر بطبعه »[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 448 .

صيغة خطاب التفويض[1] :

عبد الله بن الحسين

عمان في 2 ربيـــع الأول 1368
الموافق 1 كانون الثاني 1949

قائد القدس العسكري السيد عبد الله التل .

أفوضكم للتذاكر مع الجانب الإسرائيلي في الأسس المرغوب التفاهم عليها ، تذليلا لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمي . وإن تفويضكم هذا هو تفويض شخصي ، وسيتلو هذا التفويض الرسمي مع رفاق آخرين ، وبالشكليات الحكومية المعتادة في مثل هذه المسائل .

وبما أن الغرض من التذليل هو إيجاد سبل السلام الحقيقي ، فلا يجب ترك أي أمر بدون أن يتفق عليه . ونؤمل أنكم والجانب الآخر تتفوقون بالنيات الحسنة للعمل الإنساني المرغوب فيه .

عبد الله « توقيع »

وواضح أن الملك يدير المفاوضات بنفسه ، وأنها لم تأخذ طابع « الشكليات الحكومية المعتادة » إلا بعد أن انتهت ، والملك يعتبر الدخول في مفاوضات مع اليهود ـ في وقت يخوض فيه الجيش المصري القتال معهم ـ « عملا إنسانيا مرغوبا فيه » وواضح أن للكولونيل عبد الله التل دورا في إفساد مخططات الملك إلى حد ما ، وهو قد خالف تعليماته

---

(1) توجد صورة منه في ملاحق الكتاب .

الصريحة ، وبذل جهدا لإحباط الاتفاق بين الملك وبين اليهود ولولا ذلك لوقعت معاهدة الصلح في ذلك الوقت .

تبادل وثائق التفويض :

« تقرر أن نجتمع لتبادل وثائق التفويض وذلك يوم الأربعاء الموافق 1949/1/15 وحضر الدكتور ومعه الوثيقة الملكية التي تفوضني بالتحدث باسم جلالته ، فتسلمتها وذهبنا إلى مكان الاجتماع في « ماندلبوم » بالمنطقة الحرام . وهناك وجدنا شيلوح ودايان فقدما إلينا وثيقة تفويضهما مكتوبة باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والعبرية وهي بتوقيع بن جوريون وشرتوك . فتسلمتها واعتذرت لهما عن عدم إنجاز الوثيقة الملكية لأن جلالته يريد صوغها طبقا لما يرد في وثيقتهم . فلم يعترضا على ذلك .

وكان نص الوثيقة اليهودية كالتالي[1] :

« إن حكومة إسرائيل تعطي بهذا تفويضا وصلاحية كاملين للسيد روبن شيلوح واللفتنانت كولونيل موشى دايان للتفاوض وعقد اتفاق مع جلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية لأجل إنهاء أعمال العدوان وإنشاء علاقات السلام بين دولة إسرائيل وبين المملكة الأردنية الهاشمية على أن يكون مفهوما بأن كل اتفاق كهذا ، فيما إذا عقد فهو يحث إلى تصديق حكومة إسرائيل المؤقتة .

أعطي في هاكريا ، في إسرائيل في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني 1949 .

م . شرتوك	بن جوريون
وزير الخارجية	رئيس الحكومة

---

(1) صورة للتفويض بالإنجليزية في ملاحق الكتاب .

« وبالرغم من تبادل الوثائق من جانب واحد فقد جلسنا مدة ساعة نتحدث عن المشكلة وقد كنت أتكلم بدلا عن الدكتور هذه المرة لأنه يجهل حقا معرفة أي شيء عن قضية فلسطين . كانت الجلسة لجس النبض ، وفيها كشف اليهود عن بعض نواياهم بعد أن رسمت لهم الأسس التي يمكن لجلالة الملك بموجبها أن يتفاهم معهم .

ومن جملة ما أوضحته لهم من تلك الأسس ما يلي :

1 - إعادة منطقة اللد والرملة .

2 - السماح للاجئين العرب بالعودة فورا إلى مدنهم وقراهم قبل إجراء أي تفاهم .

3 - إعادة الأحياء العربية في القدس الجديدة ولا سيما أنها أخذت بدون حرب وقبل جلاء الإنجليز .

فاستمعوا لحديثي وردوا عليه بحديث غامض حتى لا نعتبره ردا نهائيا منهم :

ومن جملة ما قالوه :

1 - يمكن لإسرائيل أن تنظر في إعادة بعض أهالي اللد والرملة . ولكن لا يمكن بحال من الأحوال جعل المدينتين في القسم العربي لأنهما تبعدان عن تل أبيب مسافة رمي المدفعية .

2 - مسألة إعادة اللاجئين عويصة وجلالة سيدنا يدرس معنا مشروع استقرار اللاجئين بعد تعويضهم ، وخاصة في شرقي الأردن .

3 - نرغب في تبادل المصالح بأن نسمح لجلالة الملك باستعمال ميناء حيفا مقابل إعادة العمل بمشروعي البوتاس والكهرباء في غور الأردن .

4 ـ مسألة القدس دقيقة جدا وتسبب إزعاجا كبيرا لحكومة تل أبيب ونحن نلاقي مصاعب مع الشعب اليهودي الذي يعتبر القدس مدينة اليهود أكثر من صعوبات حكومة جلالة سيدنا . لذلك نترك هذه المسألة الآن وخاصة أن الأحياء العربية أصبحت مزدحمة باللاجئين اليهود .

5 ـ نرغب في تبادل الأسرى .

سمعنا هذه الملاحظات التي فاه بها شيلوح ودايان وانتهى الاجتماع وافترقنا »[1] .

الملك غارق في الخيانة هو والدكتور !

« وما كدنا نبتعد عن مكان الاجتماع حتى بدأ الدكتور يضرب كفا بكف ويفرك جبينه بعصبية ظاهرة ، وصار يردد العبارة التالية :

ـ غشوه ... غشوه ... الجماعة تغيروا عما كنا نعرفهم .

فاستدرجته قليلا بشكل لا يدعو للشبهة . فبدأ يكشف عن بعض أسرار الكارثة . وكيف أن جلالته تواطأ معهم على الغدر بالجيش المصري مقابل ميناء في مجدل عسقلان على الأقل . وكانت دهشة الدكتور كبيرة ، واستغرب كيف أن لهجة اليهود تغيرت عنها في اجتماعاتهم مع جلالته قبل جلاء الإنجليز .

ثم قال في ألم ظاهر :

ـ يا أخي اليهود هم اليهود وسيدنا متوهم عليهم »[2] .

---

(1) المصدر السابق ص 452 .
(2) المصدر السابق ص 453 .

الملك يجمع بدايان وساسون في الشونة :

• وفي صباح يوم الأحد الموافق 1949/1/16 طلبت من المراقب الدولي أن يجمعني بدايان في المنطقة الحرام ففعل . وعرضت على دايان رغبة الملك في الاجتماع به وبساسون في الشونة هذه الليلة ، لتبادل وجهات النظر وتناول طعام العشاء على مائدة جلالته . فردّ دايان طالبا إمهاله ساعة من الزمن ليتصل بتل أبيب ، ويتأكد من وجود ساسون بها ، ولاستشارة حكومته في الأمر .

فافترقنا على أن يعطيني الجواب بعد ساعة .

وفي الوقت المعين تسلمت رسالة من دايان وفيها أن سلطات تل أبيب ترحب بفكرة الاجتماع وأن الشخصين المطلوبين ساسون ودايان على استعداد للسفر للشونة مساء .

وفي الساعة السادسة والنصف مساء ذهبت إلى ماندلبوم في المنطقة الحرام فوجدت سيارة الحرس جاهزة حسب أمر قائد اللواء المبلغ إليه من جلوب باشا .

وحينما حضر ساسون ودايان تحركنا معا إلى الشونة فوصلناها في الثامنة إلا عشر دقائق .

وقبل وصولنا للقصر قابلتنا إحدى سيارات المقر العالي وبها هاشم الدباس مرافق الملك للاطمئنان على سرية الرحلة وسلامتها .

ولما وصلنا للقصر قابلنا الدكتور شوكت باشا فتعانق مع ساسون وصافح دايان وأدخلهما الصالون .

وبعد برهة وجيزة صاح أحد أفراد الحاشية :

- جلالة سيدنا .

فنهضنا جميعا ودخل جلالته بلباسه العربي وعمته « الهاشمية » فتقدمت إليه وقبلت يده ، وتبعني ساسون ودايان فصافحاه . ثم أمسك جلالته بيد ساسون ونحن لا نزال وقوفا وخاطبه قائلا :

- هيك يا أخي والله ما عهدت فيك هذا الجفاء .

فخجل ساسون وقال :

- عفوا يا مولاي .

ثم جلس الملك وساسون عن يمينه وأخذ كل منا مقعدا ومعنا الدكتور شوكت باشا وهاشم الدباس . وبدأ جلالته الحديث سائلا ساسون عن صحة بن جوريون وشرتوك ، فرد ساسون أنهما بخير وقد حملاه سلاما عاطرا لجلالته »[1] .

الملك أحمق وسبق له الاتفاق مع اليهود !

« كنت أتوقع ، وهي أول مرة أرى فيها ملكا يجتمع بأعدائه ، أن يكون جلالته لبقا حذرا يأخذ ولا يعطي ، يرهب ولا يرغب - والحديث لعبد الله التل - وكدت أذوب خجلا حين بدأ جلالته يكشف أوراقه بشكل مخيف ، ويتحدث بأسلوب رقيق سخيف ، كأنه يتحدث إلى أبنائه .

ومن جملة ما قاله واستطعت تسجيله عليه :

- أنا ملك عربي لا أخلف وعدا ولا أخون عهدا . تعرفون نواياي

---

(1) المصدر السابق ص 460 .

وشعوري نحوكم . ورأيي أن لا يقف أحد بيننا الآن بعد أن خمدت الفتنة وانتهى لكم الأمر في الجنوب . وأنت تعلم ياساسون أننا لم نحاربكم ولم نعتد على ما خصص لكم . وأنا الآن لا أصغي لنصائح حلفائي من الإنجليز فهم أصدقاؤكم المخلصون ، وقد أحجموا عن مساعدتنا . ولم يبعثوا لنا خرطوشة واحدة منذ نشوب الاضطرابات . وكانت تنقصنا الذخيرة ولا تزال »[1] .

ويمكن تقديم جلالة الملك عبد الله للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ويمكن الحكم عليه أيضا بالإعدام استنادا إلى هذه الفقرة التي أوردها المرحوم عبد الله التل في مذكراته والتي نسبها إليه .

فهو قد أفشى أسرارا سياسية وعسكرية إلى الأعداء والبلاد في حالة حرب !

فهو يتعهد بعدم النية في حربهم ، وهو يعترف أن الإنجليز لا يدعمونه سياسيا ولا يقفون في جانبه ، فهي ورقة لا يستطيع استخدامها في التعامل مع اليهود . وكان اليهود قبل هذا الاعتراف ربما يظنون غير هذا وهو يؤثر في تعاملهم مع الأردن . وهو يعترف لليهود ويفشي لهم سرا مهما بأن الإنجليز لا يمدونه بالسلاح . وأن حالة الجيش لا تسمح بالحرب .

وماذا يمكن للمخابرات أن تعرف أكثر من ذلك ؟ فهذا تقرير مفصل عن حالة الدولة السياسية والعسكرية في فقرة لا يتعدى النطق بها دقائق معدودة .

ويستمر عبد الله التل في شهادته فيقول :

---

(1) المصدر السابق ص 460 .

« كان الملك يتكلم وساسون ودايان يستمعان ثم زاد جلالته قائلا :

« أنت تعلم يا أخي ـ مخاطبا ساسون ـ أننا اتفقنا على أسس سبقت ، ولكم الآن مطالب حقة . ولنا مطالب حقة . والقدس المقدسة في عهدتنا . ولكم حرية المرور لمعابدكم . وما بأيدكم لاننازعكم عليه .

« والغريب في الأمر أن جلالته لم يعط فرصة لساسون ليرد عليه بشيء ، فقد أنهى جلالته ونهض قائلا : هيا نتعشى . وسار إلى قاعة الطعام وسرنا خلفه » .

« وبعد أن انتهينا من تناول الطعام نهض جلالته وقاد ساسون بيده إلى غرفته الخاصة وأقفل بابها . وبعد دقيقتين على دخولهما نادى جلالته الدكتور شوكت وأشركه في الخلوة التي دامت عشر دقائق » .

اجتماع الملك مع ساسون ثانية :

كان نتيجة لحديث الملك الصريح مع ساسون ودايان أن تغيرت وجهة نظر اليهود في الطريقة التي يتعاملون بها مع العرب في القدس ، فقد كان الاجتماع الذي تم بين الملك وبين ساسون ودايان لا يعدو أن يقدم لهم فروض الطاعة والولاء وأن يعاهدهم على التمسك « بالأسس التي سبقت » . وفهموا نواياه أنه لا يهدد ولا يوجد ما يهدد به فجيشه ضعيف وليست لديه ذخائر ، وهو يطلب من ساسون أن يبلغ الحكومة اليهودية ما يشعر به حيالها من حب وما يكنه قلبه لهم من ولاء . ولعله في الخلوة التي مكثها مع ساسون والدكتور شوكت باشا لم يزد عن تأكيد هذه المعاني لهم ، وليس هناك ما يمكن أن يقدمه لهم في خلوة بينهم ، فقد قدم لهم في العلن وأمام رجال القصر غاية ما يمكن أن يقدمه حاكم لحلفائه وليس لأعداء بينه وبينهم حرب لا تزال قائمة ولم ينطفىء أوارها بعد .

بدأ اليهود يتحرشون بالعرب أو بالجيش العربي على وجه التحديد ويطلقون النيران على مراكزه في دير أبي طور جنوب القدس . ولم تكن القوات العربية في حالة تسمح لها بالتمادي مع اليهود في إطلاق النيران . واليهود يعرفون حالة الجيش من قائده الأعلى كما حدث في الاجتماع .

وبعد ذلك الاجتماع أدلى موشى دايان بتصريح في 1949/1/23 كالتالي :

« إن القدس تربطها بإسرائيل روابط حية ، فهي هدف يهود العالم منذ آلاف السنين . بينما لا تربطها بالعرب روابط قوية . وإسرائيل مستعدة للمحافظة على جميع الأماكن المقدسة بما في ذلك مقدسات المسلمين . كانت القدس لنا وستبقى لنا »[1] .

وعندما لاحظ عبد الله التل هذا التطور طلب الاجتماع بدايان كمحاولة لفهم ما حدث .

وقد فوجىء عندما لاحظ تغيرا كليا في اللهجة والحديث ، وصار أقوى بكثير عن ذي قبل .

وقال للتل ما معناه إن اليهود قد قضوا ألفي سنة في التشرد حتى جاءهم مثل هذا اليوم ، وإنهم لن يتراجعوا عن أي بيت احتلوه ، ولا مناص من الموافقة على سياسة الأمر الواقع ، الذي يقول إن اليهود موجودون وسيظلون كذلك ولا أمل في زحزحتهم شبرا واحدا من الأرض .

ورفع التل تقريرا مفصلا عما حدث لوزير الدفاع واتصل بالملك فدعاه إلى الشونة في 1949/1/26 ودار بينهما الحديث في قصر المصلى الذي بناه اليهود . وكان أهم مادار أن عبد الله التل قال للملك :

---

(1) المصدر السابق ص 463 .

- الجماعة اتغيروا والحالة تطورت .

ورد عليه الملك مطمئنا :

- توكل على الله . إن شاء الله ما يتغيروا . أنا أريد أشوفهم مرة ثانية .

لاشك أن الملك مهما كان محنكا ، وهذا لا يبدو واضحا اللهم إلا إذا رأى أن الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ بالعرش أن يكون كذلك ، وأن أي شيء آخر معناه فقدان عرشه وهو ما لا يريده على الإطلاق .

ولكنه يتصرف في شئون الحكم والسياسة كتصرف العُمد وشيوخ البلد ، وهي مقولة قالها أحد الجنود المصريين الذين كانوا في القوات المرابطة في الخليل ، وقالوا إن الملك عبد الله سوف يمر على الناحية ، وكان ذلك بعد مؤتمر أريحا وانتظر ذلك الجندي مع من انتظروا مرور الملك ، ولما رآه في جبته الواسعة وعمامته الضخمة التفت إلى زميله في دهشة شديدة وقال له :

- ده عمدة مش ملك !

ويبدو أن الملك عبد الله عاش حياته عمدة ، ولم يكن ملكا في يوم من الأيام .

« وعندما أبدى جلالته الرغبة في مجيء اليهود للشونة ثانية اتصلت - الحديث لعبد الله التل - برئيس الحكومة السيد توفيق أبو الهدى - وكنت قد شرحت له نتائج الاجتماع الأول - فنصح بأن ألبي أمر الملك ، ووعد بأن يحضر الاجتماع هذه المرة لربما استطاع كبح جماح جلالته .

وهكذا أجرى الدكتور شوكت الترتيب مع اليهود ، واتفقنا على السفر إلى الشونة مساء الأحد في 1949/1/30 .

وفي الوقت المعين تحركنا من المنطقة الحرام مع الحرس المقرر ، ووصلنا القصر في السابعة والنصف مساء .

وقابلنا الدكتور شوكت وأدخلنا للصالون المعد للاجتماع حيث وجدنا توفيق باشا في الانتظار .

وبعد برهة وجيزة صاح السيد هاشم الدباس :

- جلالة سيدنا .

فنهضنا جميعا ودخل جلالته وحيا الضيفين وصافحهما . وردّ ساسون التحية بمثلها وزاد من عنده تحيات بن جوريون وشرتوك لجلالته .

ثم دار الحديث وأغلبه حول المادة الخامسة من رسالة ساسون ونصائحه للملك كما ورد معنا سابقا . فقد كرر ساسون رأي بن جوريون ونصيحته لجلالة الملك بسحب الجيش العراقي من لواء السامرة ووضع قوات البوليس مكانه ، ويتعهد اليهود بعدم التعرض للمنطقة بسوء . وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين وهم جيش هاشمي أمره يهم سيدنا كثيرا .

وحينما سمع جلالته حديث ساسون قال :

- إن شاء الله نشوف عبد الإله في « H3 » بهذين اليومين . وسيكون ما ترغبون »[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 464 .

جلالته يشجع اليهود على احتلال غزة !

« وبعد أن وعد جلالته ساسون بمقابلة عبد الإله في « H 3 » قال بكل جرأة ولم يخجل من أحد حتى ولا من رئيس الحكومة الذي تحمس لحضور هذا الاجتماع ، قال جلالته مخاطبا ساسون :

ـ كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزة فهي منفذنا على البحر ، ولابد لنا من ميناء ولتكن مجدل عسقلان .

وطرب ساسون ودايان لسماع تصريحات كهذه وقال ساسون :

ـ الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا »[1] .

وكان العشاء ولم يدر حديث ذو بال ، وبعد أن انتهوا منه فعل نفس الشيء مع ساسون حيث اختلى به والدكتور شوكت حوالي ربع ساعة ، وبعدها سلّم على ضيفيه وودعهما ، وعاد الركب البائس إلى القدس ، حيث وصلوا عند منتصف الليل حسب ما يروي عبد الله التل .

جلالة الملك في « H 3 » :

« « H 3 » هي آخر محطة لشركة بترول العراق داخل الحدود العراقية ، ويأتي بعدها « 114 » داخل الحدود الأردنية . اتفق جلالته مع الوصي العراقي على الاجتماع في تلك المحطة ، والغاية من الاجتماع بحث اقتراح سحب الجيش العراقي من فلسطين تلبية لتل أبيب ، وإشباعا لمطامع الملك بجعل لواء نابلس تابعا للإدارة الأردنية .

وفي يوم الثلاثاء 1949/2/1 تحرك الركب الملكي الذي شمل وزير الدفاع

---

(1) المصدر السابق ص 465 .

ووصل إلى « H 3 » مساء ذلك اليوم حيث كان في انتظار جلالته سمو الوصي ووزير الدفاع العراقي ، ووزير الخارجية ، ورئيس الأركان ونوري السعيد .

وفي 1949/2/2 عقد الاجتماع الرسمي وتبودلت وجهات النظر ، وتم الاتفاق على سحب الجيش العراقي تدريجيا وبالسرعة التي تسمح بها وسائل النقل .

وقد عاد جلالته إلى عمان بعد ظهر الخميس في 1949/2/3 وحال وصوله أدلى بالنطق التالي :

- لا عجب من سفري هذا ، ولا لزوم للسؤال لأن البيت واحد وسياسته واحدة وليس هناك ما يوجب التحري ، ولقد سافرت وعدت وأنا أؤمن في أن المتاعب الحاضرة في بلاد العرب تصل بحسن النية إلى ما يرضي كل الجهات والنواحي . وسياسة الأردن في القضية الفلسطينية سياسة حقائق ، وسيحفظ الله تعالى مقدساته في هذا الوطن الكريم .

وفي الساعة السابعة من صباح الاثنين في 1949/2/7 كلمني جلالته من الشونة هاتفيا وقال : « الدكتور جايك معه رسالة للجماعة » .

وانتظرت الدكتور فوصل بعد الظهر حاملا رسالة مختومة بالشمع الأحمر فيئست من الاطلاع عليها لأنه أصرّ على تسليمها لدايان بنفسه .

وأخيرا فهمت من الدكتور أنها تبشر اليهود بنجاح رحلة الملك إلى « H 3 » .

وقد عاد الدكتور إلى الشونة بعد أن سلمها لدايان في المنطقة الحرام »[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 466 .

كان الملك عبد الله في قلب عاصفة قيام دولة إسرائيل في فلسطين ، وهذه العاصفة يمكن أن تؤدي به وبعرشه ، وهو يتمسك بذلك العرش تمسكه بالحياة نفسها . وهذه هي الطريقة الوحيدة للبقاء ، أن يوافق اليهود على بقائه ، وبغير ذلك لا يستطيع .

مأساة أم الرشراش وإنشاء ميناء إيلات

كانت القوات الأردنية تحتل مساحات كبيرة من النقب الفلسطيني، وكانت على هيئة مثلث طول ضلعه الشرقي في وادي عربة مائة كيلو متر، وطول ضلعه المقابل في الحدود المصرية مائة كيلو متر أخرى، والمسافة بين وادي عربة والحدود المصرية في سيناء تزيد على 60 كيلو مترا، ويلتقي الضلعان عند قرية صغيرة اسمها أم الرشراش وهي الميناء الفلسطيني على خليج العقبة. وهي تبعد عن ميناء العقبة الأردني حوالي ثمانية كيلو مترات.

وكان الوفد الأردني الذي سافر إلى رودس يحمل معه الخرائط الخاصة بالحدود، وبوجود القوات، وهو يظن أن ما يحمله من خرائط هي حجج الملكية، وأن المراقبين الدوليين الموجودين هناك هم بمثابة هيئة محكمة ويكفي أن نبرز لهم الوثائق والمستندات حتى يحكموا لصالحنا.

وظن الوفد أن حدود الهدنة تتوقف على ما يحملونه من خرائط معتمدة موثقة.

وكانت الحكومة الأردنية غافلة عما يجري على الساحة الفلسطينية والأردنية في آن واحد؛ فهناك مشاورات واتفاقات بين الملك عبد الله واليهود والإنجليز في بعض الأحيان، وقد تطلع الحكومة على واحدة من هذه المشاورات، ولكن بجوار هذه الواحدة هناك مائة أخرى لا تدري الحكومة عنها شيئا.

وكانت أم الرشراش هذه من المائة الأخرى التي جرى بشأنها اتفاق بين الملك وبين اليهود والحكومة لا تدري عنها شيئا ، وكذلك الوفد الذاهب للتوقيع على الهدنة بالخطوط الحالية وإذا به يفاجأ بطلبات عديدة لليهود لا يدري عنها شيئا فأسقط في يده ، وأرسل يستفتي الحكومة التي دهشت هي الأخرى ولم تدر بماذا تجيب . فخبرتها السياسية ضعيفة وعلى الأخص ماله علاقة بقضية فلسطين .

ولم يكن في بال الحكومة الأردنية أن ميناء أم الرشراش هذا من أهم أمنيات إسرائيل وأحلامها ولابد من الاستيلاء عليه ، وهو أمر متفق عليه من قبل ولكنهم لا يعلمون .

ومن ينظر إلى خريطة صحراء النقب عام 1949 ويرى اليهود على مقربة من إيلات يدرك أنهم لابد وأن ينقضوا عليه ، آخذين في اعتبارهم الظروف الدولية المساندة لهم ، والضعف العربي الآخذ بالألباب ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .

ولم يكن هناك اعتبار للقوانين الدولية والأعراف العامة ، إنما هو عالم يتكون بعد الحرب العالمية الثانية بغير قواعد سابقة ، ويصنع قواعده وأحكامه الخاصة به ، وكل ما يقال عن الأمم المتحدة في ذلك الوقت لا معنى له . وكان أهم ما في الموضوع أن اليهود يريدون الحصول على « أم الرشراش » والملك موافق على هذا ، وكل ما يتبقى بعد ذلك أمره سهل .

مناورة جلوب باشا :

كان جلوب باشا هو الغائب الحاضر في كل اتفاقات الملك عبد الله مع اليهود ، فنحن لا نراه في الاجتماعات التي كانت تتم معهم ، ولكننا نرى آثاره بعد ذلك ، كما حدث في اللد والرملة ، وكما يحدث الآن عند ذكرنا

لأم الرشراش العربية التي تحولت بقدرة قادر إلى ميناء إيلات الإسرائيلي ومنعت الاتصال بين الأردن وبين مصر .

كانت القوات الأردنية في النقب تتراوح ما بين ثمانمائة جندي إلى ألف ، وقد انتشروا في مراكز حربية تقطع كل الطرق التي يمكن للعدو أن يسلكها إذا فكر في احتلال أم الرشراش .

وكانت تلك القوة مزودة بمدرعات ثقيلة وخفيفة ، مع اختصاصيين في التدمير والمتفجرات .

وأرسل جلوب باشا الكابتن بروج ليكون قائدا لهذه المنطقة ومسئولا عن العمليات الحربية فيها .

وقد بدأت إسرائيل بعمل بعض العمليات الاستكشافية في المنطقة في 1949/2/25 وأخذت شكلا بسيطا في مبدأ الأمر ، حيث تخرج بعض عربات الجيب لتعمل كشفا للممرات والطرق التي يمكن اجتيازها بالسيارات ، وأهم المناطق التي أجريت عليها الاستكشافات تلك الواقعة بين وادي عربة وصحراء سيناء .

وقبل وصول القائد الإنجليزي كان القائد العربي قد عمل حسابا لجميع المفاجآت ؛ فهو قد درس الطرق التي يمكن أن تسلكها القوات الإسرائيلية إذا ما فكرت في احتلال هذا الموقع ، ووزع قواته على تلك الطرق والدروب ، وأعد الكمائن ، وقوى مواقعه الحربية ، حتى أصبح من المستحيل أن تمر أية قوات يهودية دون حدوث اشتباكات ليست محسومة عسكريا لحساب أحد تحت الظروف التي أعدها القائد العربي . وكانت الألغام قد زرعت ، وحفرت خنادق ، ونسفت بعض الطرق التي يمكن أن تساعد اليهود في الوصول إلى قرية أم الرشراش .

وقد حاولت بعض طلائع القوات اليهودية اختراق مواقع الجيش العربي في 1949/3/4 وتم الاشتباك معها ، ووقعت السيارة الأولى من ذلك الطابور في الكمين وتطايرت أجزاؤها في الفضاء وهلك كل من فيها ، وعادت الدورية من حيث جاءت .

وفي تلك الأثناء وصل القائد الإنجليزي بروج الذي أرسله جلوب باشا للإشراف والقيادة .

وكان وفد الأردن في رودس ينتظر تعليمات حكومته بشأن توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار ، وفي هذه الأثناء بعثت الحكومة البريطاني برقية إلى الدكتور رالف بنش تخبره فيها أن القوات البريطانية المرابطة في العقبة لن تتدخل في حوادث جنوب النقب التي كانت بوادرها قد بدأت ، وأنها لن تطلق النار إلا إذا هوجمت من اليهود .

وأرسلت صورة من هذه البرقية إلى السلطات الإسرائيلية !

وكانت هذه البرقية بمثابة الإشارة أو الإذن بالهجوم أو أن الوقت سانح للاستيلاء على أم الرشراش لتحقيق أهدافهم كاملة .

وقد أكدت برقية الحكومة البريطانية إلى بنش ما أذاعته الصحف العبرية في ذلك الحين عن وصول أوامر وزير الحربية البريطاني شنوئيل اليهودي إلى قائد القوات البريطانية في العقبة ، وهي تتلخص فيما يلي :

1 - لا يجوز الاشتباك مع اليهود بأية حال من الأحوال ومهما كانت الظروف .

2 - لا يجوز اجتياز الحدود الفلسطينية .

3 - إذا هاجمكم اليهود فعليكم ردهم والدفاع عن العقبة ، ولا يجوز المطاردة إلى داخل الحدود الفلسطينية .

كانت القوات الإنجليزية المرابطة في العقبة تعمل على حراسة القوات الإسرائيلية وهي تجتاح أم الرشراش ، وليس لحماية العقبة من هجوم إسرائيلي حسب ما يظن بعض الوزراء الأردنيين الجهلة والذين لا يعرفون أين تقع النقب من الخريطة على حد تعبير الكولونيل عبد الله التل .

ثم نشطت الجبهة ، وكثرت الدوريات اليهودية الكاشفة ، وأصبح الاشتباك بين قوات الجيش العربي واليهود منتظرا بين لحظة وأخرى .

وصارت الطائرات تحلق كل يوم فوق المنطقة ، وكثف الإسرائيليون نشاطهم ، وتحركت الطوابير الزاحفة ووجهتها أم الرشراش .

وكان قائد القوات الأردنية الإنجليزي على اتصال بعمان لتلقي الأوامر على ضوء ما يحدث من متغيرات .

وجاءت برقية جلوب باشا تأمر بالانسحاب إلى العقبة . تأمر بالانسحاب من جبل الردادي وهو جبل يشرف على سهول العقبة ووادي عربة ، ومن وادي الحياني وهو وادٍ يقع على خط مواصلات اليهود الذين زحفوا من بئر سبع إلى خليج العقبة ، ومن رأس النقب وهو تل عال يشرف على أم الرشراش وميناء العقبة .

ومن أم الرشراش وهي الهدف المقصود أولا .

وأسرع الكابتن بروج والذي كان قد قدم لهذا الغرض بتنفيذ الأمر على الفور .

وتم سحب جميع القوات من مواقعها الحصينة . وكانت الأوامر تقضي بسرعة الانسحاب وكانت برقية الأوامر بتاريخ 1949/3/6 .

اليهود يستولون على أم الرشراش دون قتال :

كان الكل يعمل لصالح اليهود . الملك عبد الله وجلوب باشا ومن ورائهم

بقية الحكومة ؛ رئيسها والوزراء . وقد يتظاهر البعض بأنه لا يعرف نية الآخر ، وهم يتناسقون في العمل خدمة لأهداف إسرائيل العليا ، فأهم شخصية في البلاد تعمل من أجل ذلك الهدف .

كشفت طائرات اليهود الانسحاب السريع المضطرب ، ورأوا القوات الأردنية تتحاشى الاشتباك مع الإسرائيليين ؛ فبهذا قضت التعليمات . واطمأنوا على أن كل شيء يسير على ما يرام ، ومن ثم فقد أسرعوا في زحفهم مارين بنفس المواقع والمراكز التي أخلاها الأردنيون .

وفي يوم 1949/3/8 وصل اليهود إلى نقطة تبعد ثلاثين كيلو مترا من الخليج . وتأكدوا أن أحدا لا يعترض طريقهم فتابعوا سيرهم فوصلوا خليج العقبة في يوم 1949/3/10 .

وكانت القوات اليهودية التي قامت باحتلال أم الرشراش لا يزيد عددها عن مائتي جندي محملين في اللوريات وسيارات الجيب ، وكان معهم عدد قليل من المدرعات . وكان من السهل القضاء على هذه القوة الصغيرة لو سمح بذلك جلوب باشا أو الملك عبد الله ، ولكنهما لم يسمحا .

وبوصول اليهود إلى الخليج واحتلالهم لأم الرشراش وإقامة ميناء إيلات تمت قسمة العالم الإسلامي لأول مرة في تاريخه الطويل .

الحكومة الأردنية تحتج على هذا العدوان :

وعرفت الحكومة بتلك الأخبار كما عرفها رجل الشارع في عمان ، وأسرعوا بإرسال برقية احتجاج إلى الدكتور بنش في رودس ، وقالوا في احتجاجهم كما يقال عادة في مثل هذه الاحتجاجات ، إن ما حدث يعد خرقا صريحا للهدنة .

وضحك الدكتور بنش وهو يتسلم الاحتجاج وقال للوفد الأردني :

ـ إن كانت الحكومة الأردنية صادقة حقا في إدعائها فلماذا لم توقف زحف اليهود ، أو تشتبك قواتها معهم ليحصل أثر مادي لاعتداء اليهود على منطقة أردنية ؟

وقيل إن أعضاء الوفد الأردني قد شاركوا بنش الضحك لأنهم لم يجدوا إجابة على سؤاله .

ووضع الاحتجاج في الملف الخاص بالموضوع بعد أن قيد وأخذ رقما ، وهو فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وعند الجلوس للمفاوضات اضطر الوفد الأردني إلى إيداع خرائطهم في حقائبهم فلم يعد لها أي معنى ، لقد تغيرت الخرائط ، وأصبحت الخرائط المعتمدة هي التي بأيدي اليهود ، وكانوا قد أعدوها من قبل على ضوء ما سوف يكون .

وتم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين الفريقين ، وشملت الاتفاقية النقب الجنوبي وأم الرشراش التي تم تسليمها دون قتال ، وكان يمكن الاحتفاظ بها بأقل جهد من القوات الأردنية ، ولكن شاءت إرادة الملك أن تسلم إليهم .

ولم تهتم الحكومة الأردنية بتلك الحوادث فما أم الرشراش ؟ إن هي إلا قرية صغيرة لا قيمة لها في نظرهم تقع في فسيح من الأرض يعانق الخليج ، وقد ضاعت قرى كثيرة فماذا لو زاد ما ضاع قرية أو قريتين ؟

وقيل إن رئيس الحكومة توفيق أبو الهدى باشا قد عاتب جلوب باشا على أن الجيش لم يحاول الاحتفاظ بهذه القرية ، وقيل إن جلوب باشا كان ينظر إليه وعلى وجهه بسمة ساخرة ولم يرد عليه .

وكان وزير الدفاع الأردني يتعجب من ضياع النقب دون أن يخسر الجيش العربي جنديا واحدا ، فقد كان الأمر في نظره كأنه السحر .

وأرسل معاليه احتجاجا إلى لجنة التوفيق الثلاثية عن خرق اليهود للهدنة ، وقد أرسلت إليه اللجنة ما يفيد استلامها للاحتجاج .

وأعطت اللجنة الاحتجاج رقما وأودعته الملفات ، وأعطى وزير الدفاع الإيصال الذي سلم بموجبه الاحتجاج رقما وأودعه في الملفات هو الآخر ، وانتهى الموضوع عند هذا الحد .

وكان احتجاج الحكومة الأردنية على اليهود محل استنكارهم وسخريتهم ، فقد تم تسليم النقب باتفاق ولم يحدث أي اعتداء ، فلم هذه الضجة التي لا معنى لها ؟

وقد أنكرت صحفهم وإذاعاتهم أن هناك اعتداء حدث على أية أرض أردنية ؛ فهم استولوا على أرض لم يكن فيها جند أو جيش . وقد تحدوا عبر صحفهم وإذاعاتهم أن يقوم أحد بتحديد الموقع الذي حدث فيه اعتداء .

وأرسل بنش مراقبيه إلى خليج العقبة حتى يستكمل إجراءاته ، وذهبوا فوجدوا الجبهة هادئة ، ولا يوجد أثر لأي اشتباك أو قتال ، واليهود مستقرون في أمان الله على مياه الخليج . وبعثوا إليه بتقاريرهم التي تؤكد أن كل شيء هادئ في جنوب النقب وأن الشكوى الأردنية ليس هناك ما يسندها من وقائع .

وأرسل بنش إلى الأمم المتحدة ليستكمل أوراقه ، وأفاد بأنه لم يتلق من المراقبين ما يثبت الأنباء التي جاءت من عمان حول اعتداءات يهودية .

وأسدل الستار على تلك المأساة التي صنعتها خيانة ملك وغفلة شعب، وكتب في السجلات اليهودية أن حملة احتلال ساحل إيلات سميت «عوفدا» ومعناها «الحقيقة الواقعة». وأطنبت الصحف الإسرائيلية بتلك النهاية السعيدة لحملة جنوب النقب.

الملك يعاتب شرتوك:

وكانت الحكومة الأردنية لا علم لها بما يجري جنوب النقب على وجه التحديد، وما كان يأتيها عبارة عن متفرقات من هنا وهناك، وتظاهر الملك عبد الله أيضا بأنه لا يعرف حقيقة ما جرى على وجه الدقة، وردّد مع المرددين أنها مناوشات في وادي عربة في الجنوب من النقب وليس أكثر من ذلك. وكان لابد أن ينفعل مع المنفعلين ويبدو أمام الحكومة ومن يعرف ما حدث بأنه وطني غيور حريص على مصلحة البلاد. وأظهر الملك أنه لم يعرف بهذه المناوشات إلا يوم 1949/3/10 وهذا اليوم هو الذي تم فيه احتلال النقب الجنوبي والوصول إلى أم الرشراش.

وأرسل الملك رسالة إلى شرتوك يعاتبه فيها على ما يحدث في النقب الجنوبي في الوقت الذي يلتقي فيه الوفدان الأردني والإسرائيلي في رودس.

وفي فجر يوم الخميس الموافق 1949/3/10 اتصل الملك بعبد الله التل في القدس هاتفيا وقال له:

- «ساسون يبعث لنا برقية طيبة من باريس وجماعته هنا يتحرشون بنا ويهاجمون العربان في وادي عربة، أنا أرسل لك الآن برقية خصوصية لمستر شرتوك. بالله عليك توصلها وتطمني»[1].

---

(1) المصدر السابق ص 482.

ووصلت الرسالة إلى الكولونيل عبد الله التل في الساعة العاشرة من صباح يوم 1949/3/10 وكان بالسيارة سائق يحمل الرسالة الأمر الذي جعله يتمكن من الاحتفاظ بالرسالة الأصلية وتحرير صورة منها لليهود .

وكانت الرسالة كما يلي :

رئاسة
الديوان الهاشمي
الرقم
التاريخ 11 جمادى الأولى سنة 1368
الموافق 10 مارس سنة 1949

رسالة شفوية للمركز الذي يخابركم وتخابرونه من الجانب الإسرائيلي مع تحية منا إلى المستر شرتوك[1] :

أسفنا جدا لما قد حدث وما يمكن أن يحدث بجوار النقب ووادي عربة ونواحي العقبة . نحن بعثنا برجالنا إلى رودس على روح تميل لتلقي حسن النية بمثلها ، وإن تكرر هذه الحوادث يجعل مساعي الراغبين بحفظ الحقوق الصريحة صعبة ، وعندئذ لا تحمد النتائج . وآمل أن يصل الجواب المرضي بالابتعاد عن أي تماس يجر إلى اقتتال ولو كان فرعيا بدون جدوى . الجبهة الوسطى ستكون في حوزتنا إن شاء الله في هذه الأيام من خرتبا إلى حدود جسر المجامع .

انتهت الرسالة .

أملاها جلالة سيدي المعظم علي لأبلغها لكم .

عبد الغني الكرمي

---

(1) توجد صورة من الرسالة في ملاحق الكتاب .

وواضح من الرسالة أن الغرض منها التغطية والتهوين من الأمر أيضا ، فهو لا يعدو أن يكون مناوشات واعتداء على بعض العربان في وادي عربة والنقب ، وليس في نظر الملك كما حدث وهو فصل آسيا عن إفريقيا بخنجر يمتد من البحر الأبيض حيث ينغرس سنانه في رأس خليج العقبة عند إيلات .

شرتوك يرد على الملك عبد الله :

ورد موسى شرتوك على الملك بالرسالة التالية :

هافريا في 11 مارس 1949

صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

بعد تقديم التحية والسلام إلى السدة الملكية نود التعبير لجلالتكم عن تقديرنا لمراجعتكم الشخصية لنا بعد فترة الانفصال الطويل .

إننا لنؤكد لجلالتكم مرة أخرى كما سبق وأكدنا أن القوات الإسرائيلية لم تجتز الحدود الأردنية في أي منطقة منها ، وأنها لن تتجاوز قيد شعرة حدود بلادنا في المستقبل إن شاء الله .

تعلمون جلالتكم حق العلم بأن ما بين شرق الأردن وبين مصر من أقاليم واقعة في حدود السيادة الإسرائيلية . فإذا ما قام الجيش الإسرائيلي بحركات في تلك الأقاليم بما فيها قسم من ساحل الخليج الواقع بين الساحل الأردني والساحل المصري ، فما تلك الحركات إلا حركات مشروعة في صورة لا يتسرب إليها الريب . وليس هنالك أي مبرر لاعتبارها ذات نية عدوانية بالنسبة للدولة المجاورة .

هذا ولم يصل إلى علمنا أي نبأ عما يقال من اصطدام بين قواتنا وقوات

الجيش العربي الأردني ، ونرى أنفسنا مضطرين إلى نفي ما زعمه فإن مثل هذا الهجوم لم يحصل ولم يقع في أي مكان كان .

والحادث الوحيد الذي حصل هو إطلاق دورية من الجيش العربي النار على وحدة من الجيش الإسرائيلي على بعد بضعة كيلو مترات غربي غرندل . ولقد أطلقت الوحدة الأردنية النار بدون أي تحرش من جهتنا . ثم إن الدورية الأردنية وقت إطلاقها النار كانت داخل حدود دولة إسرائيل دون ما مبرر . ثم لم تلبث بعد أن أطلقت النار أن ولت من تلقاء نفسها مجتازة الحدود إلى شرقي الأردن .

هذا ما حصل ولا شيء غيره بتاتا ، وحتى في هذا الذي حصل لم يكن أي استفزاز من جانبنا . لقد ذكرتم جلالتكم حوادث وقعت بجوار النقب ووادي عربة ونواحي العقبة .

إن المحل الأول وهو النقب فهو على حدود إسرائيل ومصر . وإننا رغم إدراكنا لما تبدون جلالتكم من الاهتمام بكل ما يجري في هذه المنطقة جميعها ، لمن العسير علينا أن نرى ما يوجب أن يكون هذا المحل موضوع بحث بيننا وبين الحكومة الأردنية أو ما هو حق الحكومة الأردنية فيه ؟

وأما وادي عربة فإن حدود بلادنا تمر فيه ، وإن قواتنا لتتخذ أقصى الحذر في حركاتها من أن نجتاز الحدود ونتعداها .

وأما نواحي العقبة ـ المنطقة المحاذية للخليج والكائنة في شرق الأردن ـ فلقد قلنا وكررنا القول إنه ليس لنا نية في أن نطرقها .

وإننا نوافق جلالتكم كل الموافقة في أنه يجب التوصل إلى تسوية أساسها حفظ الحقوق الصريحة ، على أن الحقوق الصريحة تشمل حقنا في الأقاليم شمولها للحقوق الأردنية الصريحة ، وإنني لعلى ثقة ويقين في أن جلالتكم لا ترغبون

في أن نتهم حكومتكم في مؤسسة هيئة الأمم المتحدة بأن قواتها ، أي قوات حكومة جلالتكم ، موجودة في أراضي دولة أخرى ذات سيادة . وإن الاتفاق المؤدي إلى السلام لا يمكن أن يتم ما لم يقم على أساس احترام كل دولة لسيادة جارتها . وإننا واثقون من أن مثل هذا الاتفاق سيتم بيننا في العجل .

وبما أن الحكومة البريطانية أعلمت حكومتنا رسميا بالشكوى التي تلقتها حكومة إسرائيل من حكومة شرقي الأردن بشأن عمليات عدوانية مزعومة من قبل حكومة إسرائيل ، فلقد قمنا بدورنا بإعلام الحكومة البريطانية بحقيقة الحال ، وبلغناها خلاصة كتابنا هذا إلى جلالتكم .

وتفضلوا جلالتكم بقبول خالص تحياتنا وتقديرنا .

موشيه شاريت

وزير خارجية إسرائيل

ويبدو أن هذه البرقية ليست مرسلة للملك بقدر ما هي مرسلة لمن مع الملك وهي أيضا ضمن خطة التغطية على الحوادث المتفق عليها سلفا . وهي رد على رسالة الملك وما فيها من نقاط . فشرتوك يعلم أن الملك يقع تحت ضغوط من حاشيته وحكومته ، وهو ما يدفعه للكتابة السريعة إليهم ولابد أن يحصل على إجابة معقولة أو شبه معقولة ، يصدقها أغلب من يطلع عليها أو بعضهم . فهذه أصول العمل السياسي مع عميل كبير مثل صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية . فهذه الرسالة ليست له بقدر ما هي لمن حوله ممن لا يدركون طبيعة العلاقة اليهودية الهاشمية !

مأساة المثلث

المثلث :

هو مثلث الخطر أو المثلث العربي أو المثلث الأخضر ، وسمي في فترة لاحقة بالمثلث الضائع أو الجريح ، ثم درس مع مادرس من أرض فلسطين . وانشغل الناس بعده بمثلثات ومربعات أخرى . ولكن تظل ذكرى خيانة الملك عبد الله في هذه القصة حية في وجدان من عاشوا تلك الأيام ، أو من يقرءونها مرة ثانية في كتاب الهاشميين الأسود الذي أساء إلى تاريخ العرب الحديث .

وهذا المثلث عبارة عن لواء نابلس في فلسطين ، ويتكون من متصرفية نابلس وكذلك الأقضية التي تتبعها ، وهما قضاء جنين وقضاء طولكرم . وهذه البقعة من الأرض على شكل مثلث رأسه مدينة نابلس وعلى قاعدته تقع جنين ناحية اليمين ، وتقع طولكرم وقلقيلية . وهو من الأراضي الوعرة الجبلية ولهذا سمي بمثلث الخطر لوعورة جباله ومسالكه . وكان المجاهدون يختفون فيه أيام جهاد الإنجليز .

وعجز الإنجليز عن الوصول إليهم عندما كانوا يختفون في جبل نابلس المسمى بجبل النار . وهو يضم سهول طولكرم وجنين الخضراء بالزراعة والمحاصيل ، حيث كانت تسد حاجة نابلس وأغلب مناطق فلسطين .

وكان عدد سكانه أيام تلك المصيبة حوالي 150 ألف نسمة يقيمون في

مدنه المختلفة. وسوف نمضي مع الحوادث لنتبين كيف حدثت تلك المأساة، وكان كل تصرف سياسي من الملك عبد الله وحكومته في تلك الأثناء بمثابة مأساة.

الملك عبد الله يرد على شرتوك:

أرسل الملك عبد الله ردا على رسالة شرتوك الرقيقة المؤرخة في 1949/3/11 في تودد واستعطاف واستفسار، وكأنه يريد أن يقول له لا تحرجونا أمام الناس وتلطفوا معنا لنكسب حب الشعب، وهو لم يكتب هذا ولكنها نغمة الرسالة.

ونص الرسالة:

عزيزي المستر شرتوك

تلقيت رسالتكم الشفوية فأعجبني صوغها وكمال احتشامها وما فيها من احترامات وتأمينات. على أنني أفيد هنا أنني لم أراسلكم شفويا إلا لاعتمادي عليكم وعلى أسس سبقت. والآن والوفدان في رودس فمن الحكمة وأصالة الرأي عدم أية حركة من الجهتين وأي استفزاز. وما بحثتم عنه سواء كان في الجنوب أو بوادي عربة فكل ذلك سيتناوله البحث عند التسوية وفي كل شيء ما دامت النية حسنة. إمكان التعديل والتصحيح في اليد. ولقد شاع هنا أنكم صرحتم بأن فئة عسكرية إسرائيلية وصلت إلى ساحل خليج العقبة بأراض كانت تحسب من فلسطين وهذا صحيح، ثم قيل إن في هذا التصريح قلتم سعادتكم إن أي قسم من فلسطين ينسحب منه الجيش العراقي ستحتله القوات الإسرائيلية من أجل تأمين الأمن. فهل هذا صحيح ؟ وإنه على ما قيل إن فئة إسرائيلية موجودة الآن عند وادي عربة وأخرى في محل كذا رغم ما جاء في جوابكم الشفوي السابق.

بدون توقيع[1]

---

(1) صورة منها في ملاحق الكتاب.

فقد نسي الملك توقيعها . وكتب الفقرة الأخيرة منها بخطه المعروف . وهو يقول في الرسالة بوضوح تكرر أكثر من مرة « لاعتمادي عليكم وعلى أسس سبقت » . وتناول جلالته موضوع العقبة واحتلالها ببساطة ، ولكنه يريد أن يقول لا تحرجونا أكثر من ذلك .

رسالة الملك عبد الله الثالثة إلى شرتوك :

الذي كان يقوم بتوصيل الرسائل ذهابا وإيابا بين الملك وبين اليهود كان الكولونيل عبد الله التل نظرا لوجوده في نقطة التماس في القدس . وكانت هذه فرصة جيدة لأنه احتفظ لنا بالكثير من صور هذه الرسائل أو أصولها وسلم اليهود نسخة مكتوبة من الرسالة . لهذا فإنه من النادر أن نحصل على صورة من رسائل اليهود إلى الملك لأنه لابد من تسليمها له . ولكننا نجد العكس .

وقد وصلت رسالة الملك إلى اليهود في نفس اليوم الذي كتبت فيه وهو 1949/3/14 ولما لم يصل جواب سريع إلى الملك، فقد شفعها برسالة أخرى وهي الثالثة في صباح 1949/3/15 وكان شرتوك قد غادر تل أبيب إلى أمريكا ، وجاء الرد بمعرفة الدكتور إيتان وكيل الخارجية اليهودية .

ونص رسالة الملك الثالثة إلى شرتوك كالتالي :

عزيزي المستر شرتوك .

لم يكن بحثي أمس عما عزي إليكم من التصريح عن الجبهة العراقية في حالة انسحابها إلا لأمور جوهرية هي :

عند حضور ساسون أفندي والقائد دايان إلى الغور لمقابلتنا بحثنا عن عدم الاطمئنان بهدنة لم تكن العراق قابلة لها وإن الجيش ينسحب منها .

فللرغبة في التسوية المأمولة عزمنا تسلم الجبهة العراقية . فهذا التصريح وما وقع في الجنوب من حركات يدعو إلى التردد في النتائج . ولذلك أحب أن - تشعروا وفدكم بأن يتفق مع وفدنا على سريان اتفاقية عدم إطلاق النار في الحدود التي يشغلها الجيش العراقي حال تسلمها من قبل القوات الأردنية .

مع تحياتي لكم ولمستر بن جوريون .

الشونة في 1949/3/15 عبد الله « توقيع »[1]

وفي هذه الرسالة يؤكد الملك لقاءه السابق بساسون ودايان . وأن المفاوضين اليهوديين قد أبديا خوفهما من ألا يلتزم الجيش العراقي بالهدنة التي يلتزم بها الملك عبد الله . وأن صاحب الجلالة قد تعهد بأخذ الجيش العراقي على مسئوليته .

وكتب يؤكد عزمه على تسليم الجبهة العراقية رغبة في التسوية المأمولة .

ويطلب الملك من شرتوك أن تسري اتفاقية وقف إطلاق النار على الجبهة العراقية من ساعة تسلم الجيش الأردني لها .

وأن هذه الحركات التي أبلغ بها الملك اليهود لم تبلغ باقي الجيوش العربية أو حكوماتها .

وفي هذه الرسالة تأكيد على أن الغور والشونة قد شهدتا مهرجانا من المفاوضات والمباحثات بين الملك ورجاله وبين اليهود .

ومن هذه المفاوضات ما أدى إلى تسليم المثلث وسكة حديد جنوب القدس لليهود .

---

(1) صورة من الرسالة في ملاحق الكتاب .

رد اليهود على رسالة الملك :

هافريا في 15 آذار 1949 .

برقية سرية

إلى حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله المعظم .

من مدير وزارة الخارجية العام إيتان .

بعد تقديم التحيات إلى السدة الملكية .

لي مزيد الشرف بأن أعلن جلالتكم أن وزير الخارجية معالي السيد موشى شاريت[1] قد سافر إلى الخارج ، وإنني أقوم الآن بأعمال معاليه . كما لي الشرف المزيد بأن أشكر نيابة عنه جلالتكم كتابكم السامي الذي تسلمناه مساء أمس ، وبأن نرد عليه بما يلي :

إننا مسرورون لكون الحالة في النقب جميعه هادئة ، وبعدم وقوع أي حادث بين قوات جلالتكم وقواتنا . ولسوف تبقى الحال على هذا المنوال مادام الأمر متعلقا فينا وفي وسعنا أن نؤكد لجلالتكم ، ورائدنا الإخلاص والصدق ، أنه ليس ثمة نية من أساس للشائعات الزاعمة بأننا قد خرقنا الخطوط الأردنية أو أن في نيتنا خرقها . وطالما كان الفريقان يحترم كل منهما سيادة الآخر فليس هناك داع للمخاوف أو لحصول حوادث مؤسفة مهما تكن من الضآلة . وإنكم تعلمون يا صاحب الجلالة بأن غايتنا هي العيش وإياكم في سلام وصداقة .

أما بشأن انسحاب القوات العراقية من الأقاليم التي يحتلونها في الوقت

---

(1) أعاد اليهود أسماءهم إلى أصلها العبري . فشرتوك صار شاريت وجولدا مايرسون صار مائير .

الحاضر ، وحلول قوات الجيش الأردني محلهم ، فلقد سبق أن أعلنا لنائب الوسيط أننا نعتبر مثل هذه الخطوة خرقا للهدنة ، ولن نقبل بها ما لم تسبقها موافقتنا عليها . إلا أننا لا ننوي احتلال تلك الأقاليم أو تهديد الأهالي العرب ، ففي نيتنا التوصل إلى اتفاق سلمي في تلك الأقاليم أيضا . ونعتقد أنه إذا توفر التفاهم المتبادل فمن الممكن التوصل إلى تسوية واتفاق يمكنان بدورهما من إدراك بعض التعديلات المنطقية في الأماكن المذكورة .

وقد رأينا في البحث في هذا الشأن ليس عائدا إلى مفاوضات الهدنة القائمة في رودس ولكننا مستعدون لاستدعاء الكولونيل موشى دايان من رودس للتداول مع جلالتكم فيما يتعلق بخصوص التسوية المرضية للجانبين حول المنطقة التي ينسحب منها العراقيون ونكون ممتنين لجلالتكم إن تكرمتم وأعلمتمونا فيما إذا ما كنتم تريدون أن نستدعي الكولونيل دايان للتداول في الأمر المذكور . وإنني لعلى ثقة بأن جلالتكم تستحسنون ذلك حيث إن جلالتكم لا أقل منا ، وتفضلون حل المسائل بالطرق السلمية .

وتفضلوا جلالتكم بقبول فائق احترامنا .

توقيع[1]

في هذه البرقية كشف اليهود عن نواياهم بالنسبة لمنطقة المثلث التي أشرنا إليها ، وهي تختلف عن النوايا السابقة التي كانوا قد أظهروها منذ أيام وهي أن يحل الجيش العربي محل الجيش العراقي دون شرط . وأثبتوا في هذه الرسالة أنهم أخبروا نائب الوسيط عن رأيهم في تبادل القوات .

ويطلب إيتان من جلالة الملك في هذه الرسالة أن يكون بحث مشكلة

---

(1) كارثة فلسطين مصدر سابق ص 492 .

المثلث بين اليهود وجلالته مباشرة بدلا من بحثها في رودس .

وتكمن هنا الخطورة فقد وافقهم الملك ، وكانت المباحثات الحقيقية بين الملك شخصيا وبين اليهود في الشونة لتحقق مأساة المثلث .

الملك عبد الله يرد على إيتان :

جناب الدكتور إيتان المحترم .

بواسطة الكولونيل دايان المحترم

سرني جوابكم وعلمت بسفر شاريت إلى أمريكا . مستر ساسون على اتصال بعمر زكي وقد يكون وجوده هنا يساعد على كثير من تذليل بعض العقبات . النقب سيظل هادئا بدون أن يقع فيه ما يكدر ، إذا روعيت حسن النية وروح السلام . إنني واثق كما قلتم بأنكم تريدون أن تعيشوا في جنبنا بسلام ، وإنني دائم الرغبة في الوصول إلى هذه النتيجة المرضية .

وإنني أعلم أنكم ستوافقونني في مسألة احتلالنا للجبهة العراقية . وقد نتج ذلك بسبب آخر مذاكرة وقعت بيني وبين المستر ساسون والكولونيل دايان ، يوم ذكرا بعض التوحش في الجيش العراقي . وقد قلت لهم إني « أمون » على الجيش العراقي ، فمن أجل توقيف النار يصعب على العراقيين في حالتهم الحاضرة ، أن يتنازلوا عن حقهم لي تحريرا ، ولكنني أملك ذلك فعلا ، وأنا المسئول عنه . فلما لم ترتاحوا لذلك تكلمت بذاتي مع أهل العراق في سفري إلى « H 3 » وأقنعتهم بأنني سأحتل الجبهة كلها تسهيلا لرغبتكم في دفع التوحش . إنني أراقب زيارتكم بعد أن تعرضوا هذا على مراكزكم وتأتوا بالموافقة ، بدون أن تسقط كلمتي أمام العراقيين الذين رضوا بالتأخر لنحل محلهم . ولا نعتقد أن الجانب الإسرائيلي يتعمد وقوع إشكالات في وجهي سواء مع العرب أو مع الإسرائيليين ، وإذا تمكنتم

جنابكم من مقابلتي أنتم ودايان ، فآمل أن يكون وراء ذلك ما نود جميعا . وإن لنا مطالب حقة وإن لكم مطالب حقة تسوى جميعها إن شاء الله . ولا ضرر من وجودكم في المراكز العراقية في ناحيتكم أو ضدكم ، وثقوا بكلمتي هذه وأنتم خبرتم أفكاري التي ترمي إلى حل المشكلات والمخاوف بترك شيء وأخذ شيء فيما بيننا هنا وهنالك .

الشونة في 1949/3/19 توقيع[1] عبد الله

ورسالة الملك مليئة بالتهافت كالعادة ، وهو يتوددهم ويتملقهم ، ويقول لهم من بين السطور أنا خادمكم المطيع ! وهو كالعادة يكشف قومه ، ويبين لليهود أنه يستطيع أن يرغم العراقيين على ما يريد أو أنهم لا يعترضون على ما يطلبه منهم .

وكان يمكن أن يلعب بورقة تشدد العراقيين لأخذ مكاسب عربية ، ولكنه فعل العكس . وأنه يعمل لحسابهم ومن أجل تحقيق أهدافهم .

وهو يتوسل إليهم ثانية ألا يحرجوه أمام العرب وأمام اليهود .

وهو يؤكد مطالبهم الحقة التي سيعمل على تحقيقها ، وهو يرجوهم أن يساعدوه على تحقيق مطالبه الحقة ، ولم يبين ما هي هذه المطالب .

وهو يطلب نقل المفاوضات إلى قصره حيث يأتيه دايان وإيتان ويتكلموا وإن شاء الله ما يصير إلا الخير .

وعلى الطريقة المصرية يقول في الرسالة « بترك شيء وأخذ شيء فيما بيننا هنا وهنالك » يعني شوية من هنا وشوية من هنا ويمشي الحال !! وقد

---

(1) كارثة فلسطين مصدر سابق ص 493 .

صدق الجندي المصري الذي رآه في الخليل فاندهش وقال : ده عمدة مش ملك !!

والحكومة العراقية لم تقبل حتى تاريخ 1949/3/19 تفويض الوفد الأردني حق التكلم باسمها . وهذا ما جعل اليهود يزدادون تعنتا ، ويصرون على بحث منطقة الجيش العربي فقط . ومادام العراقيون قد رفضوا أن يتحدث أحد باسمهم فلندعهم وشأنهم ولا ينبغي أن يحل الجيش العربي محل الجيش العراقي . بل على الجيش العراقي أن ينسحب فقط ولا يحل محله أحد اللهم إلا الجيش الإسرائيلي .

وتقدم اليهود بمذكرة إلى الدكتور بنش يشرحون وجهة نظرهم يقولون فيها : « إن حكومة إسرائيل قد أبلغت بأن القوات العراقية المرابطة في منطقة المثلث العربي ستنسحب وتسلم مراكزها إلى القوات الأردنية . إن حكومة إسرائيل تعتبر ذلك خرقا لأحكام الهدنة ولن يكون في وسعها الاعتراف بأية نتائج قانونية عن هذا التبادل . ويسود الاعتقاد بأن العراق لا تنفذ ولا تنوي أن تنفذ قرار مجلس الأمن بشأن المفاوضات وتحاول التهرب من المسئوليات ، وتحاول أن تؤمن لنفسها حق الادعاء بأنها الدولة العربية الوحيدة التي لم تعقد أي نوع من المفاوضات مع إسرائيل .

إن شروط الهدنة تسمح بتنقلات قوات إحدى الدول ولكنها تحظر استبدال قوات دولة بقوات دولة أخرى . وإن هذا التبادل لا يرمي إلى خروج العراق من المأزق فحسب ، بل يقصد منه فتح آفاق جديدة من المساومة أمام شرق الأردن في مفاوضات رودس »[1] .

---

(1) مصدر سابق ص 494 .

وأرسل رئيس الوفد الأردني في رودس رسالتين واحدة للحكومة والأخرى لجلوب باشا . وكان رئيس الوفد وهو الرئيس علي أبو نوار على اتصال دائم بجلوب باشا ، رغم أنه معين من قبل الحكومة وعليه أن يقصر اتصاله بها فهو يتكلم باسمها .

وفي الرسالة شرح رئيس الوفد شروط الإسرائيليين لقبولَ مناقشة مسألة المنطقة العراقية ، وكانت كالتالي :

1 - إيصال السهل الساحلي اليهودي بسهل مرج ابن عامر بواسطة طريق عرعرة التي تعتبر - من وجهة نظرهم - حيوية لهم وغير ضرورية للعرب .

2 - تسلم بعض المواقع الاستراتيجية في سفح المثلث العربي لتساعد اليهود على حماية السهل الساحلي المكشوف[1] .

الملك يجتمع بـ دايان والميجور هاركابي :

أرسل إيتن الكولونيل دايان والميجور هاركابي للتفاوض مع الملك . وأخذهم الكولونيل عبد الله التل كالعادة إلى الشونة ، حيث وجدوا الدكتور شوكت باشا قد أعدَّ عشاء في بيته نظرا لانشغال الملك مع المستر بري جوردون القائم بأعمال السير كيركبرايد . فقد كان الملك يعمل لحساب اليهود والإنجليز في آن واحد ، وهو يريد إرضاء الجانبين .

وبعد العشاء توجهوا إلى القصر بعد أن انصرف ضيف الملك . ورحب بهم الملك كالعادة وأجلسهم حوله وسمح للدكتور شوكت ولعبد الله التل ولهاشم الدباس بالبقاء .

---

(1)نفس المصدر السابق .

وبدأ جلالته الحديث مع دايان فذكره بآخر كلام بينهما في حضور ساسون ، وكيف أنهم قد اتفقوا على أن يحل الجش العربي محل الجيش العراقي ، وأن ذلك ما دعاه إلى السفر لمقابلة الوصي على العرش العراقي في « H 3 » .

وكلمه دايان بالعربية مبينا أن طلباتهم هينة ، وقد اقتضتها مصلحة إسرائيل ، وهي طلبات حيوية جدا لهم ولاتهم العرب كثيرا ، وأكد أنه يمكن التعويض عنها في أماكن أخرى .

وسأله الملك عن هذه الطلبات الحيوية لإسرائيل .

وأجاب دايان في رقة حاسمة :

ـ يوصل السهل الساحلي اليهودي بسهل مرج بن عامر ـ العفولة بواسطة طريق وادي عرعرة .

ونظر دايان في وجه الملك فوجده صامتا لا يرد ، فاستمر في كلامه :

ـ وأن تشتمل حدود إسرائيل من ناحية المثلث على مواقع استراتيجية تساعد على حماية السهل الساحلي اليهودي .

وعاود دايان النظر في وجوه المجتمعين فوجدهم جميعا صامتين ، فطلب إلى الملك أن يوعز للوفد الأردني في رودس بالتفاوض مع اليهود على أساس ما ذكره حتى يمكن لإسرائيل التسليم بمبدأ تسلم المنطقة من الجيش العربي .

ولاحظ دايان بعض التململ في الوجوه المجتمعة فبادر الملك قبل أن ينطق :

ـ أو أن يتخلى جلالة الملك عن هذه الفكرة بالمرة ويترك اليهود حرية التفاهم مع الجيش العراقي بالطريقة التي نراها .

وخيم مزيد من الصمت على المكان ، فدايان يهدد بالقتال مع الجيش العراقي ، وهذا ما لا يريده الملك وسوف ينعكس عليه وعلى عرشه في زعمه . وهو يريد أن تمر جميع المسائل في هدوء وسلام ، وليأخذ اليهود ما يأخذونه ، وليس هناك من داع لكل هذه المنغصات التي لا يأمن أحد ماذا تسفر عنه .

وأجاب الملك بالقبول ووعد دايان بأن يرسل أوامره للوفد في رودس بقبول هذا الطلب .

والتفت الملك ناحية عبد الله التل وقال :

- سوف يذهب عبد الله بك إلى بيروت لعرض الأمر على رئيس الحكومة توفيق باشا لتكون الحكومة على علم ولو من باب الشكليات .

ولم يعلق دايان وزميله على كلام الملك .

ولكن عبد الله التل وجّه الكلام إلى دايان :

- سيدنا لا يفاوض ، ولا يجوز أن يتحمل مسئولية أي شيء وكل ما وافق عليه هو الإيعاز لوفد رودس أن يبحث المسألة معكم لأن ذلك من اختصاص الوفد .

ولم يرد موشى دايان ولا زميله على كلام عبد الله التل ، ولو تأمل الأخير في وجهيهما لوجد ابتسامات خفيفة ساخرة ، فالملك في جيبهم وهم يوجهونه حسب ما يشاءون .

وحوالي الساعة العاشرة مساء غادر اليهود ومعهم الحرس الشونة إلى القدس . فقد كان الاجتماع قصيرا وحاسما ، ولم يدع المفاوضان دايان وهاركابي فرصة للملك المنهزم أن يقول شيئا يعارض به طلباتهم .

عبد الله التل ورئيس الحكومة الأردنية :

كان رئيس الحكومة في بيروت على رأس الوفد الأردني لحضور الاجتماع الذي قررت عقده لجنة التوفيق الثلاثية مع وفود الدول العربية .

وسافر إليه عبد الله التل حسب أوامر الملك ، وجلس إليه وشرح له ما حدث .

وكان رئيس الحكومة في حالة شديدة من الحيرة ، وبعد أن ظل صامتا لمدة طويلة قال لعبد الله التل :

ـ الحكومة لا تخرج عن خطة جلالة الملك ، إنما لا ترى من الحكمة تكليف الوفد في رودس بحث هذه المسألة ، لأن الوفد عسكري ، وهذه مسألة سياسية تهم الحكومة بالدرجة الأولى ؛ ولذا فأنا سأقترح على سيدنا أن يعين وفدا حكوميا يفاوض اليهود ويفهم طلباتهم ، وأرى أن يكون الوفد مؤلفا من فلاح باشا المدادحة وزير العدلية ووكيل وزير الدفاع والسيد حسين سراج وكيل الخارجية ، وأنا راح أكتب لسيدنا بهذا الخصوص[1] .

وتناول توفيق باشا أبو الهدى ورقة وأخذ يسطر رسالة لجلالة الملك تتضمن خلاصة رأيه في هذه الأمور وهو في غاية القلق والتفكير .

الملك يستجيب لمقترحات رئيس الوزراء :

التقى في الشونة بعد ظهر الثلاثاء 1949/3/22 فلاح باشا المدادحة نائب وزير الدفاع وسعيد باشا وكيل رئيس الحكومة والشنقيطي وزير المعارف وجلوب باشا وعبد الله بك التل قائد القوات العربية في القدس .

---

(1)المصدر السابق ص 498 .

ودعي الجميع للقاء الملك في تمام الساعة الرابعة من هذا اليوم في ديوانه الخاص .

وبعد أن لثم الجميع يده ، حتى جلوب باشا ، جلس وأشار لهم فجلسوا .

وتحدث الملك طويلا عن حكمته وبعد نظره ، وأنه يقود البلاد في ظروف صعبة ودقيقة من تاريخها ، وشرح للموجودين رأي رئيس الحكومة بأهمية تشكيل لجنة وزارية لمفاوضة اليهود ومعرفة ماذا يريدون على وجه التحديد في المثلث وأنه قد عيَّن فلاح باشا وحسين سراج بك لهذه الغاية .

وتوجه الملك بالكلام ناحية عبد الله التل :

- تجيبهم لنا الليلة ، ويكون وفدنا ينتظرهم هنا .

وعاد يتكلم مع فلاح باشا ويوجه له نصائحه في طريقة سير المفاوضات مع اليهود . وكانت هذه النصائح تتلخص في نصيحة واحدة ؛ فهو يطلب من فلاح باشا أن يستجيب لجميع طلبات اليهود وأن يبرم الاتفاق معهم مهما كلفه ذلك ؛ حتى يستطيع جلالة الملك أن « يخلص » ويتفرغ للمشاكل الأخرى العويصة . ولا أحد يدري إن كان الملك يطلب من وفده في المفاوضات أن يستجيب لكل طلبات الأعداء فما معنى المفاوضات ؟ فيكفي أن يكتب اليهود طلباتهم في ورقة ويوقع عليها الجانب الأردني بالموافقة وانتهينا .

والتفت الملك إلى الجالسين وقال لهم :

- عندنا كثير من المواقع الاستراتيجية في جبال طوباس والخليل وما يضرنا لو أعطيناهم بعض التلال ليحموا بها أرضهم .

ولا أدري مواقع استراتيجية ليستخدمها ضد من ؟ أو تلال يعطيها لليهود

ليحموا بها أرضهم على حد تعبيره ممن ؟ وهل هي أرض المرحوم أبيه الشريف حسين ليوزعها كيف شاء ولمن يريد ؟

وتدخل عبد الله التل في الحديث :

ـ لو طلبوا تلال نطلب مقابلها .

وامتعض جلالة الملك فهو لا يقوى على المفاوضة ، وهناك اتفاق بينه وبينهم يجبره على التسليم لهم بما يريدون ؛ اتفاق لا يعرفه التل أو غيره فحواه يتكون من كلمات ثلاث : الخيانة مقابل العرش . ولا شيء آخر .

ويبدو أن كلمات التل عكّرت مزاج صاحب الجلالة وانبرى الشنقيطي يخفف من وقع هذه الكلمات على جلالته :

ـ العرب في فلسطين هربوا من قراهم ، وتركوا ديارهم لليهود ، وسيدنا ، طوّل الله عمره ، حامل همهم اليوم لوحده ولا يجوز المكابرة بالمحسوس ، فالأحسن التفاهم مع اليهود مهما يكلف الأمر[1] .

وكان جلوب باشا يتابع الحديث بنظرة خنزيرية صامتة ، ولم يفتح فمه بكلمة واحدة .

ومن ثم فقد تعطلت أعمال لجنة الهدنة فيما يخص الوفد الإسرائيلي والوفد الأردني في انتظار ما تسفر عنه مباحثات الشونة . ثم جاء بعد ذلك الوقت الذي انتقل فيه الوفد الأردني إلى الشونة حيث المفاوضات الحقيقية مع اليهود .

---

(1) المصدر السابق ص 500 .

رسالة د . إيتان إلى الملك عبد الله :

هافريا في 21 آزار 1949 .

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

من الدكتور إيتان .

بعد تقديم التحيات إلى السدة الملكية الهاشمية .

سررنا عند تلقي كتابكم السامي ، وإننا لشاكرون لجلالتكم المعاملة الطيبة التي أبديتموها للوفد الذي تشرف بمقابلتكم أول أمس ، وشاكرون كذلك لروح الصداقة والرغبة في التوافق اللتين تظهرونهما . وإنه لمما يزيدني شرفا واعتزازا أن أستجيب لدعوة جلالتكم السنية لي إلى مقابلتكم ، إلا أنني وددت معرفة ما إذا كنتم لا تزالون تعلقون أهمية على تشرفي بمقابلتكم بعد ما حصل من تباحث بينكم وبين الكولونيل دايان مؤخرا .

ويسرنا جدا التفاهم المبدئي الذي تم بينكم وبين الكولونيل دايان ، وإننا نرى فيه خطوة واسعة في الطريق المؤدية إلى التسوية السلمية المنشودة . غير أننا نخشى من أن المسائل الصغيرة التي ما زالت معلقة قد تعرقل مجرى المباحثات .

ولقد رأينا بالتجربة أن المفاوضات في رودس تجري ببطء كثير ، وكنا نود تعجيل مسارها ، وكم يسرنا أن جلالتكم ترتئون ذلك أيضا . حتى إنه إذا ما تم اتفاق في المسائل العامة فإن زمانا طويلا يمضي في صوغ التفاصيل ، ولقد يحدث أحيانا أن تعيق الشئون الطفيفة الطارئة مجرى الأمور . وإنني لرغبتنا الصادقة في إقرار السلام في البلاد عامة والتعجيل في تحقيق اتفاقكم مع أهل العراق خاصة ، أتشرف بأن أقترح على جلالتكم

أن نحيط وفدينا علما بجميع التفاصيل والتعليمات اللازمة لإتمام الاتفاق ، وهكذا نحول دونهم والغرق في لجج التساوم ولا ندع لتكاثر المسائل الصغيرة أن يكشف المسائل الجوهرية .

واعلموا جلالتكم أننا نوافق من كل قلبنا على ما أشرتم إليه من أن لكم مطالب حقة وضرورية نأخذها في الحسبان ، وأن لنا مثل هذه المطالب وبدوركم تأخذونها في الحسبان . ولقد نظرنا بعين الاعتبار دائما لكل ما هو ضروري لكم ، كما أننا ندرك الضروري لكم ، وكذلك شأن اتفاقكم وأهل العراق . وطالما نظر الفريقان بعين الاعتبار ، كل إلى المطالب الحقة التي للآخر ، فإن ذلك ضمان للتسوية النهائية .

ونحن على ثقة ، فيما يخص المرحلة الحاضرة من المفاوضات ، من أنكم تودون تطبيق مطالبنا الحقة بما فيها إقرار الحدود المعلومة بين خليج العقبة والبحر الميت وخط المواقع الممتد بين البحر الميت ونواحي الخليل حتى يدرس على ما وجده وصدق عليه المراقبون الدوليون بإمضاءاتهم ، والتعديلات في الجبهة العراقية عند انسحاب العراقيين ومغادرتهم للبلاد ، وكذلك مسألة اللطرون التي هي بمثابة عائق بالنسبة إلينا في حين أنها ليست ذات أهمية بالنسبة لكم .

لقد أعلمنا معالي موشى شاريت بالجاري بين جلالتكم وبيننا فاغتبط كثيرا ، وهو يرسل لكم خالص تحاياه وتمنياته . ويبعث لكم فخامة دافيد ابن جوريون بعاطر سلامه كذلك .

وإنه ليسرني أن نكون قد توصلنا لما توصلنا إليه من توافق وتفاهم متبادلين ، وإنما المهم هو أننا نرغب في السلام وندرك أهمية إنشاء علاقات جيدة حسنة بيننا وبينكم . فإن العناصر الخارجية تأتي وتروح إلى حيث أتت . أما نحن فعلينا أن نقيم معا ، وما أحسن أنكم مثلنا تفضلون التسويات

السلمية ، وترغبون كما نرغب نحن جهدنا في الابتعاد عن العنف والقوة كل الابتعاد .

وتفضلوا جلالتكم بقبول فائق احترامنا[1] .

الاجتماع في القدس :

أراد عبد الله التل أن يجعل اللجنة الوزارية تجتمع مع اليهود في القدس بعيدا عن الشونة والملك عبد الله . فهو يريد أن يحفظ للملك كرامته وهيبته إن استطاع .

ويريد أيضا أن يحافظ على كرامة الحكومة وشرفها ، ويخاف أن تكون المفاوضات تحت إشراف الملك ففي ذلك خطر عظيم نظرا لتساهل الملك وتهاونه في حقوق العرب والبلاد .

فما إن انفض الاجتماع حتى عاد عبد الله التل إلى القدس واتصل باليهود على الفور وبلغهم عزم الملك على إرسال لجنة وزارية هذه الليلة إلى القدس لتدرس طلباتهم بالنسبة لمنطقة المثلث . وقبلوا وتقرر أن يكون الاجتماع في المنطقة الحرام في الساعة الثامنة مساء .

واتصلت بالملك وأخبرته أن اليهود طلبوا أن يكون الاجتماع في القدس . وطلب أن يأمر اللجنة بالمجيء للقدس قبل الثامنة مساء . ومن حديث جلالته شعر عبد الله التل أنه قد امتعض كثيرا لهذا التغيير . ولكنه أذعن فلم يكن هناك مجال للاعتراض على إرادة اليهود ومشيئتهم .

وقبل الموعد وصل إلى القدس فلاح باشا المدادحة وحسين بك سراج ، والأول وزير العدلية ونائب وزير الدفاع والثاني وكيل وزارة الخارجية .

---

(1) المصدر السابق ص 502 .

وأسرع فلاح باشا يتصل بالملك فور وصوله يطمئنه على وصولهما . وطلب من الملك أن يأمر عبد الله التل أن يصاحب اللجنة كمستشار لها في الشئون العسكرية . وكلف الملكُ عبد الله التل بذلك .

وتحرك الركب إلى المنطقة الحرام عند بوابة « ماندلبوم » بالمنطقة الحرام . وكان اليهود في انتظارهم في مكان الاجتماع .

وكان الوفد اليهودي يتكون من :

الدكتور إيتان وكيل الخارجية .

البريجادير يادين رئيس العمليات الحربية .

الكولونيل دايان قائدهم في القدس .

الميجور هاراكابي من وزارة الخارجية .

والتف الجميع حول المنضدة ، وبعد الأحاديث العابرة عن الطقس والصحة وما شابه ذلك ابتدأ فلاح باشا الكلام في الموضوع وقال :

- لقد بعثنا جلالة سيدنا للتفاوض معكم هذه الليلة حول منطقة المثلث ، ولنسمع منكم ما هي طلباتكم بالتفصيل لأن جلالة مولانا وافق معكم مبدئيا على النظر في الطلبات :

وإذا اتفقنا هذه الليلة سوف تصدر الأوامر للوفد الأردني في رودس ليتفق مع وفدكم على الهدنة الدائمة . ونحن جئنا وكلنا أمل أن نتوصل إلى اتفاق معكم لأن نيتنا حسنة وهي مقتبسة من نية سيدنا الحسنة وتوجيهاته الطيبة[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 504 .

وقام حسين بك سراج بترجمة كلام فلاح باشا إلى الإنجليزية وساعده في الترجمة الميجور هاراكابي .

وهزّ إيتان رأسه فاهما ثم ردَّ ردا مختصرا باللغة الإنجليزية وشكر فلاح باشا على شعوره الطيب ونيته الحسنة ، وأعرب عن إعجابه بالملك عبد الله الذي امتاز بالحكمة وحسن إدراكه للأمور ! والتفت إلى يادين وكلفه بتقديم الطلبات اليهودية .

وبدأ يادين يشرحها باللغة العربية بعد أن بسط خريطة لمنطقة المثلث على المنضدة تحت نظر الجميع ، ورسم خطًا جديدا عدَّل به خطوط الهدنة بينهم وبين الجيش العراقي . وكان ذلك الخط الذي رسمه يدفع خطوط العراقيين في بعض الجهات خمسة عشر كيلو مترا للوراء .

وقد مرَّ هذا الخط من الغور وارتفع إلى محاذاة طوباس ثم مرّ به بالقرب من جنين إلى أن اخترق الجبال التي تشرف على وادي عرعرة ثم إلى مسافة عشرة كيلو مترات داخل الجبال الكائنة ما بين طولكرم وقلقيلية .

وكان فلاح باشا وحسين بك يحدقان في الخريطة وعيونهم على يد يادين الممسكة بالقلم وهي تتحرك فتزيل القرى والمساحات .

وانحنى عبد الله التل عليهما وهمس لهما :

ـ صاحبنا يهذي ويتكلم بالخيال خلوني أرد عليه[1] .

وبعد أن انتهى يادين من طلباته المشروحة على الخريطة طلب التل أن يتحدث بصفته المستشار العسكري للوفد وقال :

---

(1) المصدر السابق ص 505 .

- إن اللجنة ليست مخولة حق النظر في طلباتكم هذه لأنها مستحيلة التنفيذ ، وتتناول تغييرات إقليمية خيالية ، ولي الحق أن أنصح اللجنة بعدم الأخذ والرد معكم إذا كان هذا هو موقفكم .

وتدخل فلاح باشا في الحديث متوسلا لليهود وخاطبهم قائلا :

- لا تجعلوا رءوسكم قاسية إننا أحسن لكم من غيرنا من الدول العربية لأننا جيرانكم ، ويقول المثل عندنا اسأل عن الجار قبل الدار .

وبذل الميجور هاراكابي جهدا في ترجمة هذا الكلام لإيتان الذي فهمه بصعوبة شديدة .

وساد الصمت برهة طويلة ، ووضح أنه ليس هناك تنازل من أحد الجانبين . وهمّ المجتمعون بالانصراف ، ولكن فلاح باشا المدادحة الذي كان يخشى نتيجة فشل المفاوضات صار يتوسل إليهم ويرجوهم وبدأ عتابه ورجاءه :

- جارك القريب ولا أخوك البعيد .

والميجور هاركابي وإيتان يبتسمان ساخرين . وبعد أن أكثر الباشا من التوسل والرجاء وضرب الأمثال لهم لعلهم يتذكرون ، تبادل اليهود النظر ، وتنهد يادين ورسم خطا جديدا على الخريطة .

وعاد الباشا يتوسل لليهود ويرجوهم ويسألهم الله والرحم ، ثم قال لهم :

- أعطونا أدنى ما تطلبونه نهائيا .

وعندها تم رسم الخط النهائي الذي يعتبرونه أقل شيء يرتضونه !

وظن يادين أنه تساهل في الأمر وأنه سيحصل على توقيع الباشا فورا .

ولكن عبد الله التل أفهم الجالسين من اليهود أن اللجنة لا تستطيع الاتفاق معهم على شيء من هذه الطلبات العجيبة لأنها أرسلت على أساس يختلف كثيرا عما يتكلم عنه اليهود في هذه الجلسة . وشرح لهم أن اللجنة مخولة في بحث استعمال اليهود لطريق عرعرة وإعطائهم بعض المواقع الحربية مقابل طلبات مماثلة تتقدم بها اللجنة .

وغمغم اليهود وبدا عليهم الضيق ، بينما ظهر القلق على وجه فلاح باشا خوفا من الملك وتأنيبه من عدم توقيع الاتفاق .

وطلب اليهود أن يستمعوا لطلبات اللجنة الوزارية مقابل ما اعتبره اليهود أقل شيء يطلبونه .

والتفت فلاح باشا إلى عبد الله التل وطلب منه أن يقدم طلبات اللجنة ، وهو في هذا يقلد إيتان عندما طلب من يادين شرح طلبات اليهود .

وقال عبد الله التل :

– مع العلم بأن اللجنة ليست مخولة صلاحية الاتفاق معكم وإعطائكم طلبات كهذه إلا أنها تبين لكم طلباتها المماثلة والتي تعتبرها مساوية لما تطلبون وهي :

1 – إرجاع الخط اليهودي إلى ما كان عليه قبل تسليم اللد والرملة .

2 – إرجاع الخط اليهودي في منطقة جبرين إلى أسدود لتتصل الخليل بغزة .

3 – فتح طريق الخليل – بئر سبع – غزة بدلا عن طريق وادي عرعرة .

وكان اليهود ينظرون محدقين في وجه عبد الله التل ويقلبون النظر في اللجنة الوزارية الجالسة أمامهم وكأنهم يتبعون لحكومة ألمانيا وليس الأردن .

وتأدبا لم يعلقوا على هذه الطلبات الخيالية في نظرهم ولم يعلقوا عليها ولم ينطقوا بكلمة واحدة بعد عرض هذه الطلبات واكتفوا بابتسامات صفراء لا تخلو من سخرية ، وهم ينظرون إلى بعضهم بعضا متغامزين .

وصار فلاح باشا يرجو اليهود أن يوافقوا على ما قاله عبد الله بك التل ومن ثم فقد دار النقاش مرة أخرى واستمر حتى الساعة الواحدة صباحا بغير نتيجة .

وانتهى الاجتماع بالفشل ، واتفق على أن يعرض على الملك ما طلبه اليهود ، ومن ثم فقد استراح اليهود لهذه الفكرة ، وهم يعلمون أن إليه يرجع الأمر كله والعياذ بالله .

وذهب فلاح باشا للنوم وكذلك حسين بك سراج . وحاول عبد الله التل النوم ليلتها فلم يستطع ، ومع الفجر طلب الملك فلاح باشا عبر التليفون الذي أخبره بفشل المفاوضات وأنه سيخبر جلالته عندما يراه أسباب ذلك وهي أسباب هامة في نظره .

ويبدو أن الملك قد غضب وأغلق السماعة في وجهه بعد أن أمره بحضورهم .

وارتدى فلاح باشا ملابسه على عجل ، وفي دقائق كانوا مجتمعين في غرفة عبد الله التل .

وانبرى فلاح باشا يفرك يديه وهو في غاية القلق ويوجه اللوم إلى التل :

– جلالة سيدنا زعلان للغاية ويقول : هذا الذي كنت حاسبه ، ويطلبنا حالا للشونة .

وأبدى عبد الله التل استعداده لتحمل المسئولية . ومازال الأمر بيد الملك ويمكنه أن يعطي اليهود ما منعتهم اللجنة الوزارية ، والمسألة بسيطة .

وأثناء جلوس الثلاثة يتحدثون وكانت الساعة السادسة صباحا دق جرس التليفون وكان الملك هو المتحدث وطلب عبد الله التل وبادره قائلا :

- يا با ليه عملتم كذا !

وقبل أن يجيبه عبد الله التل واصل الملك حديثه :

- أنا أطلب جلوب باشا وأنتم تكونون هنا الساعة التاسعة .

ورد عبد الله التل :

- أمركم مولاي والأسباب نشرحها أمام جلالتكم .

الملك والحكومة وجلوب في خدمة اليهود :

وصلت اللجنة الوزارية والمستشار العسكري إلى الشونة في التاسعة من صباح يوم 1949/3/23 ، وما إن دخلوا قصر المصلى حتى رأوا الملك يروح ويغدو في بهو القصر وعلامات الحيرة والاضطراب بادية عليه . وما إن رأى اللجنة وهي تجتاز البوابة حتى أسرع داخلا إلى غرفة الاجتماع ولحقوا به سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون .

وتسارعوا يقبلون يده والغضب على محياه الهاشمي ولم ينبس ببنت شفة ، وكان من عادته أن يبتسم ابتسامة رضا لكل من يقبل يده ، ولكنه هذه المرة لم يفعل ، فقد كان سيدنا غاضبا وهو لا يغضب إلا لأمر عظيم .

وكان الذين حضروا هذا الاجتماع الذي أعد على عجل وأغلب الذين جاءوا لم يناموا الليل ، وكذلك كان سيدنا الذي كان يروح ويجيء ويطلب من نام ليوقظه ويوبخه ويطلب منه الحضور في التاسعة إلى الشونة .

كان يجلس على المائدة حول الملك كل من :

سعيد باشا المفتي	رئيس الوزراء بالوكالة
محمد أمين الشنقيطي	وزير المعارف
فلاح المدادحة	وزير العدلية ونائب وزير الدفاع
حسين سراج	وكيل الخارجية
جلوب باشا	رئيس أركان الجيش
عبد الله التل	متصرف لواء القدس
الدكتور شوكت الساطي	طبيب الملك الخاص

ووقف على باب القاعة حسب ما يروي عبد الله التل السيد هاشم الدباس والسيد غازي راجي من موظفي القصر ، وكانت عيونهم وآذانهم على المجتمعين وكأنهم كانوا من المدعوين لهذا الاجتماع .

وطلب الملك من فلاح باشا أن يشرح لماذا فشلت المفاوضات .

وانبرى فلاح باشا يشرح ثم ختم شرحه بالعبارة الآتية :

- يا مولاي طلبوا منا مساحات كبيرة وخفنا سيدنا يزعل علينا لو أعطيناهم منطقة واسعة . والحقيقة أن عبد الله بك هو اللي نصحنا ما نوافق معهم .

والتفت الملك غاضبا ناحية عبد الله التل وقبل أن يفتح فمه بكلمة تكلم الملك :

- كلكم تعلمون أن الدول العربية خذلتنا ، وأصبحنا وحدنا في الميدان . والجيش العربي صغير وبني للدفاع عن الحدود لا لاحتلال فلسطين الملأى باليهود الأقوياء الذين جمعهم الإنجليز بها ، والجيش العراقي لا نتكل عليه ، وقد يخذلنا وهو مضطر للعودة لأسباب داخلية ، أهم في نظره ونظرنا من قضية فلسطين ، وقد وعدناهم بتسلم المنطقة . والجيوش المصرية

والسورية واللبنانية ذهبت إلى حال سبيلها و لم تعد بالحسبان والغرب قد خذلنا ولا نعتمد عليهم ، وإذا نشبت حرب قد نخسر أكثر مما يطلبه اليهود وتطأطئ هاماتنا ، عندها قد تخسرونني وإذا ذهبت لن يأتيكم من هو أحسن مني أو مثلي ، وطلال تعرفونه جيدا .

وهنا صاح الوزراء :

ـ نحن عبيدكم نفتديكم بأرواحنا ، وماذا تأمرون سنوافق عليه .

وقد لخص الملك الحال تلخيصا جيدا ، وشرح أمره وأمر الأردن بدقة ووعي وفهم .

فهو خائن يعرف ما يريد ، عميل يريد أن يدفع ثمن عمالته وإلا استغنوا عنه وطردوه من رحمتهم فيخسر كل شيء .

وهو يبين أن الجيش قد أنشئ لحماية الحدود ، وهذه الحدود المقصودة هي الحدود مع العربية السعودية ، فقد قامت الأردن كحاجز بين الصحراء وبين الشام والعراق .

وهناك أسباب تستدعي عودة الجيش العراقي إلى العراق ، وهذه الأسباب أهم عند الأسرة الهاشمية من قضية فلسطين على حد تعبير الملك . وهذه الأسباب هي الحفاظ على ملك الهاشميين . أما فلسطين فقد حكمت عليها الظروف بأن تكون لليهود وليس في وسع أحد أن يسترجعها . وأن طلبات اليهود أوامر ، وإن لم ينفذوها فسوف يجرونهم إلى حرب سوف يخسرون فيها كل شيء فالتنازل عن قطعة من الأرض خير من ضياع الأرض كلها . وإن حدثت الحرب فسوف يخسر الأردن جلالة الملك وهو ضروري للفساد والسرقة والنهب ، فإن ذهب فلن يأتي من هو أحسن منه أو مثله ، وطلال الذي يمكن أن يأتي بعد الملك عبد الله يعرفونه جيدا كما قال الملك . ومعنى

العبارة أنه لن يسمح لهم بالنهب والسرقة والعبث بالمال العام . ولا يوجد معنى للعبارة غير ذلك .

ودار كلام كثير حول المشكلة وطلبات اليهود واشتراك ضباط في اللجنة الوزارية والاستسلام لما يريدونه وعدم التشدد وإلا ستسوء العواقب .

وسأل الملك جلوب باشا :

- بالله عليك . ليه اليهود يطمعوا بنا ؟ ونحن نحب التفاهم معهم . وأين رأيك ياباشا في الأسباب التي دفعتهم لتقديم طلبات كثيرة ؟

ورد جلوب باشا :

ـ الأسباب واضحة يا سيدي فهم قوم طمَّاعون يريدون زيادة أراض بكل الوسائل . والأهم أنهم يريدون توسيع إسرائيل من تلك الجهة الضيقة لأن عرض بلادهم هناك لا يزيد على عشرة كيلو مترات .

القائم بالأعمال البريطاني والأمريكي يلحقون بالاجتماع :

وكان الملك قد طلب من المستر بري جوردون القائم بالأعمال البريطاني والمستر ستبلر القائم بالأعمال الأمريكي أن يحضرا إلى الشونة فوصلا في الساعة الحادية عشرة ولحقا بالاجتماع بعد ساعتين من بدئه .

ووجه الملك كلامه إلى المستر ستبلر معاتبا إياه لموقف أمريكا الموالي لليهود مما شجعهم على التمادي في طلباتهم . وطلب منه أن يبدي رأيه وينصح بما ينبغي عليهم اتباعه في هذه المشكلة .

وأجابه ستبلر بأنه في وضع لا يمكنه من إبداء النصح بشكل رسمي ، وعن رأيه الشخصي فإنه يطلب مهلة حتى يتصل بحكومته ويستطلع رأيها ، وأن كل ما لديه من معلومات سرية رسمية أن حكومته قد أوعزت إلى ممثلها

في تل أبيب أن يوصي إسرائيل بقبول فكرة انسحاب الجيش العراقي وتسليم المنطقة للجيش العربي .

والقائم بالأعمال الأمريكي يتكلم هنا عن منطقة المثلث ، وهو يعلم أنه سيتم تسليمها لليهود بعد ذلك .

وسأل الملك المستر بري جوردون القائم بالأعمال البريطاني رأيه بعد أن سمع القصة كلها .

وطلب المستر جوردون مهلة ثمانية وأربعين ساعة ليستطلع رأي حكومته .

وهنا قال الملك لمن حوله :

ـ إذن نجيبهم الليلة للشونة ونتفق معهم ونترك لتوفيق باشا في بيروت حق التصديق على الاتفاقية لتصبح نافذة . وفي المدة التي نبعث بها الأوراق لبيروت تكون الأخبار قد وصلتنا من لندن وواشنطن .

وانتهى الاجتماع في الثانية عشرة ودعا الملك الموجودين إلى طعام الغداء .

وعلى المائدة دار الحديث في نفس الموضوع وقال الملك :

ـ أنا مستعد للتنازل عن العرش ولا أحارب اليهود ، ولكن من يأتيكم بعدي ؟ والله إني أحب الأردن وأهله وليس لي منه نفع مادي لأنه فقير . وإذا تركت البلاد فأنا لا أملك عشاء ليلة (!!)[1] .

وانصرف بري جوردون وستبلر بعد الغداء إلى عمان للاتصال بحكومتيهما . وذهب جلوب باشا لإحضار الضابط وما يلزم من خرائط عسكرية في زعمه من عمان أيضا .

---

(1) المصدر السابق 511 .

وأوى الملك إلى مخدعه ليستريح قليلا فقد مرت به ليلة صعبة ، وأعطى أوامره بأن يتم الاتصال باليهود في القدس للحضور إلى الشونة من أجل إتمام المباحثات الليلة ، وأن يتفضلوا بالحضور في تمام الساعة الثامنة مساء لتناول طعام العشاء .

الاجتماع الحاسم مع اليهود :

جاء الوفد اليهودي إلى الشونة في تمام الثامنة من ليلة 23-1949/3/24 . وكان رجال التشريفات في انتظارهم على بوابة القصر ، وأدخلوهم بكل إجلال وإكبار إلى الصالون .

ودخل الملك بعد لحظات وصافحهم جميعا بترحاب شديد ، وكانوا نفس الذين سبق لهم الاجتماع باللجنة الوزارية في القدس .

إيتان ... يادين ... دايان ... هاراكابي .

ومن جانب الحكومة الأردنية حضر كل من سعيد المفتي رئيس الوزراء بالنيابة ، وفلاح باشا المدادحة ومحمد الشنقيطي وحسين سراج ، والميجور كوكر عن الجيش ، والملازم عبد الرحمن رصاص .

ومكثوا مدة قليلة في الصالون ، ثم تقدمهم الملك إلى قاعة الطعام .

وتبادل الملك وإيتان الحديث أثناء الطعام ، بينما لزم الباقون الصمت .

ومما يذكره عبد الله التل مما دار من حديث بينهما أن الملك كان يتكلم عن جامعات إنجلترا واللغات الحية والفروق بينها . وسأل الملك إيتان عن بن جوريون وعن تخصصه .

فقال إيتان إنها الفلسفة ، وذكر أن بن جوريون عالم كبير في التاريخ .

وسأل الملك عبد الله موشى دايان عن السبب في أن عربيته ليست قوية . وقال له دايان إن السبب في ذلك يعود إلى قلة الاختلاط بالعرب .

الملك والحكومة واليهود :

حضر الاجتماع من حضر العشاء وزاد عليهم الدكتور شوكت الساطي طبيب الملك الخاص ، وهاشم الدباس من رجال القصر .

بدأ الاجتماع بحديث الملك موجها إلى إيتان يحكي فيه عن القضية الفلسطينية وتطوراتها حتى وصلت إلى شكلها الأخير الذي نراه . وكان الملك يتحدث في صراحة غامرة ، وكأن هؤلاء اليهود الذين يجلسون في الاجتماع من أعضاء وزارته ، أو هم بعض أبنائه أو أولاد عمومته من الأسرة الهاشمية . وكان هذا تعليق بعض من حضر الاجتماع . فهو يفتح صدره ويتكلم غير مبال بأسرار عن الدولة والجيش ، وأن من يستمع إليه سوف ينتفع بكل حرف ينطقه . واعترف في حديثه هذا لهم أن الجيش العربي لم يحاربهم ، وليست لديه أوامر بغير هذا ، فليست هناك نية لقتال اليهود !

ومما قال :

– اليهود أمة راقية متكتلة ، والعرب أمة ضعيفة متأخرة ، والغرب ضدنا ، ووالله ثم والله لم تردنا خرطوشة واحدة في هذه الحرب من الخارج ، والأجانب معكم منذ البداية ... كان العرب يؤملون النصر وما وقع عكس ذلك . ونحن لم نكن في نيتنا أن نحارب . ولقد دفعنا للحرب دفعا لأنهم رفضوا قبول نصائحي . إنني لا أخاف . وأريد أن أتحمل المسئولية معكم وهذه نيتي وأنتم تعرفون صراحتي .

وصار صاحب الجلالة يذكر لليهود كيف أنه يقوم على خدمتهم والاهتمام بمصالحهم وكيف سافر لمقابلة الوصي على العرش – ابن أخيه – في العراق ، بعد أن طلب منه ساسون ذلك .

ورجاهم الملك ألا يغالوا في طلباتهم ، وأن يتهاونوا قليلا ، لأن ذلك

يؤثر تأثيرا سلبيا على موقفه في العالم العربي ، وهو يعلم أن اليهود لا يريدون ذلك ، ويعلم أن اليهود حريصون عليه وعلى مكانته .

هكذا كان يتكلم الملك في الاجتماع !!

وقال الملك إنه عيَّن نفس اللجنة للتفاوض بزيادة كوكر بدلا من عبد الله التل .

وسكت الملك يتلفت في وجوه الحاضرين الذين كانوا شبه مُخدرين لا يقوون على الكلام . ولما رآهم هكذا قال لهم :

- والآن ... أرجو أن تقولوا لي كلمتين لأعلم درجة تأثير كلامي عليكم[1] .

كان الميجور اليهودي هاراكابي ينقل حديث الملك من العربية إلى العبرية لإيتان .

وكان حسين سراج ينقل حديث إيتان للملك من الإنجليزية إلى العربية .

وبدأ إيتان حديثه مبلغا الملك تحيات بن جوريون وشكره على الحفاوة التي لقاها اليهود عند التشرف بجلالته . ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي فقال إنه يتفق مع جلالة الملك في أكثر النقاط التي أثارها جلالته ، ويرغب أن تتم المصالحة النهائية بين إسرائيل وجلالته بأقرب وقت ممكن .

ومضى إيتان في حديثه مبينا أن العرب لم يفهموا ولم يصدقوا أن اليهود يحبون أن يعيشوا في وئام مع العرب في أرض فلسطين ومع جميع الأقطار العربية . وإنهم لا يزالون يأملون ذلك . وذكر أن ظهور إسرائيل إلى عالم الوجود سيكون حادثا ليس تاريخيا فقط بل هاما في الشرق الأوسط .

---

(1) المصدر السابق ص 513 .

وقال إيتان إن هذه الصداقة وذلك التفاهم لابد أن ينبني على أسس صحيحة ، ومن ثم فهم يطلبون إجراء تعديلات إقليمية في منطقة المثلث كخطوة أساسية للتفاهم مع جلالة الملك .

إيتان يهدد الملك :

وصار إيتان يشرح للمجتمعين العوامل التي دفعت إسرائيل لإجراء التعديلات في منطقة المثلث كشرط لقبول احتلال تلك المنطقة بمعرفة الجيش العربي .

وذكر إيتان أن إسرائيل تعاني من متاعب ومشكلات كثيرة نظرا لضيق مساحتها في تلك البقعة . والقتل يحدث كل يوم بين الرجال والنساء نتيجة للاحتكاك المستمر والوضع غير الطبيعي بالنسبة لإسرائيل ، وسلامة كيانها في تلك البقعة من فلسطين .

ثم قال بصراحة إنه إذا لم تستطع الحكومة الأردنية تلبية هذه الطلبات الإسرائيلية العادلة ، فإنه ينصح ألا تتدخل شرق الأردن بين اليهود وبين العراق ، ولكن تترك الطرفين للتفاهم فيما بينهما بالطرق التي تراها إسرائيل مناسبة .

ثم قال إيتان إن طلبات الحكومة الإسرائيلية سوف يتم تحقيقها حتما ، سواء تم تحقيق هذه الطلبات بالتفاوض مع الأردن أو مع العراق . فطلبات اليهود على حد تعبيره طلبات عادلة تؤمن لإسرائيل طمأنينتها وراحتها ، وهي تقوي الاتصال بين شمال البلاد وجنوبها .

الملك يستجدي اليهود :

انتهى إيتان من حديثه والكل يرقب الموقف في توتر شديد ، ولكن الملك

ابتسم وتحدث ثانية مبينا أن هذه الطلبات اليهودية ضرورية لهم والكل يفهم ذلك ولكنه يرجوهم التنازل عن بعض القرى كأم الفحم وباقة الغربية والطيبة لئلا يزيدوا في تعقيد مشكلة اللاجئين .

وصار يمر بعينيه في وجوه اليهود راجيا بل متوسلا ، ولكنهم كانوا يجاوبونه بنظرات جامدة لا تخلو من صرامة .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ليلا .

وقال الملك :

- هيا بنا ولندع الوفدين لدرس المسألة . وأعدكم ألا أنام قبل أن تبشروني بنجاح الاجتماع .

وقام الملك وخرج ومعه الذين لم يكونوا من أعضاء الوفد ، وانتقل الجميع إلى غرفة الاجتماعات ، وكان اليهود في حيوية كاملة بينما كان أعضاء الوفد الأردني لم يناموا الليلة الماضية ، وبدت علامات الإرهاق على وجوههم الشاحبة التي أضناها السهر والمسئولية البالغة التي يتعرضون لها في تلك الأيام العجيبة التي تعيشها البلاد .

واجتمع المفوضون بعمل المباحثات وكان معهم الميجور كوكر بينما جلس عبد الله التل مع موظفي القصر ، والكل ينتظر ماذا سوف ينجلي عليه الموقف ، أو إلى أين تذهب تلك المفاوضات بين اليهود وبين زمرة من أضعف رجالات الأردن ، على حد تعبير عبد الله التل أحد الذين رووا وقائع هذه الأحداث .

وكان يمر هو وبعض رجال القصر على المجتمعين ليروا إلى أين ذهبت الأمور . وكذلك كان يفعل الملك ، فهو يمر على المجتمعين من اليهود ويربت

على أكتافهم ويخص إيتان ودايان باهتمامه ورجائه ، فما زادهم إلا إيمانا وتسليما بحقهم المزعوم وضرورة أخذ غاية ما يستطيعون .

توقيع الاتفاق :

وفي الساعة الثالثة صباحا وقع الطرفان على اتفاقية من 12 مادة . وجعلوها خاضعة لتوقيع توفيق أبو الهدى باشا في بيروت خلال سبعة أيام من تاريخ وضعها .

كما وقعوا الخرائط المرفقة بالاتفاقية . وفيها حددت خطوط الهدنة الجديدة بعد أن يتم جلاء الجيش العراقي .

وأغلب مواد هذه الاتفاقية أدخلت في اتفاقية الهدنة التي تم توقيعها في رودس بعد ذلك .

وقد نقل عبد الله التل أغلب هذه المواد وهي كالتالي[1] :

1 – تقبل إسرائيل أن يحل الجيش العربي الأردني محل الجيش العراقي .

2 – تكون الحدود الفاصلة بين إسرائيل وبين الجيش العربي كما هو مبين بالخرائط المرفقة .

3 – يجري تسليم وتسلم الخط المتفق عليه على مراحل :

أولا : خلال خمسة أسابيع من توقيع الهدنة في رودس تسلم المنطقة الواقعة غرب الطريق الممتدة من باقة إلى جلجولية ـ كفر قاسم .

ثانيا : خلال سبعة أسابيع وفي منطقة وادي عرعرة يسلم شمال الخط الممتد من باقة ـ زابوبا .

---

(1) المصدر السابق ص 515 .

ثالثا : بقية المناطق تسلم خلال خمسة عشر أسبوعا من تاريخ توقيع الهدنة .

4 ـ تعوض إسرائيل المملكة الأردنية الهاشمية مناطق أخرى في فلسطين عوضا عما خسرته في منطقة الجيش العراقي .

5 ـ توافق المملكة الأردنية الهاشمية على ألا يحل الجيش العربي محل الجيش العراقي قبل إدماج هذه الاتفاقية باتفاقية الهدنة في رودس .

6 ـ تعوض إسرائيل المملكة الأردنية الهاشمية تكاليف بناء طريق بدلا عن طريق وادي عرعرة .

7 ـ يحق لأهالي القرى التي تتأثر بالتخطيط الجديد البقاء في قراهم وتكفل إسرائيل جميع حقوقهم وحرياتهم . وفي حالة رغبة أحدهم في مغادرة بلده إلى القسم العربي يحق له أن يأخذ أمواله المنقولة ويعوض تعويضا كاملا عن أمواله غير المنقولة .

8 ـ يعين لهذه القرى التي تتأثر بالاتفاقية بوليس محلي ولا يحق للقوات اليهودية دخول القرى .

9 ـ لا تؤثر هذه الاتفاقية على التسوية النهائية لقضية فلسطين .

يقول عبد الله التل :

« هذه أغلب المواد التي استطعت أن أثبتها وإني أذكر جيدا المادة الثانية عشرة التي اعتبرت الأمل الوحيد في تلك الليلة لإبطال الاتفاقية المشئومة . فقد جاء في تلك المادة :

ـ لتصبح هذه الاتفاقية قانونية ونافذة المفعول فيجب أن تصدق من

رئيس الحكومة الأردنية خلال أسبوع واحد من تاريخ وطبع هذه الاتفاقية[1] وتم التوقيع من الجانبين على الاتفاقية بين غبطة الملك وسروره البالغ ، فقد شعر أن حملا ثقيلا قد رفع عن كاهله .

وعندما خرج المفاوضون الأردنيون سألهم عبد الله التل عن المناطق التي ستعوضها إسرائيل للأردن وفقا للمادة الرابعة فما كان جوابهم إلا أن قالوا :

- هذه المادة للتغطية فقط ولتسكيت الناس وتضليل الرأي العام .

هذا رأي شباب !!

أمر الملك عبد الله التل أن يسافر إلى بيروت حاملا رسالة ملكية مع الاتفاقية إلى رئيس الحكومة توفيق أبو الهدى باشا .

وفي الطريق إلى بيروت علم عبد الله التل أن رئيس الحكومة الأردنية قد نزل فندق الشرق في دمشق في طريق عودته إلى عمان بعد انتهاء مؤتمر بيروت .

وهناك التقى برئيس الحكومة ووزير الدفاع وسكرتير الحكومة حمد بك الفرحان .

وقرأ رئيس الحكومة الرسالة الملكية والاتفاقية ، وشرح له عبد الله التل تفاصيل ما حدث منذ اجتماع القدس وتشدد اليهود ، واجتماع الشونة وتشدد اليهود مرة ثانية ولين الملك عبد الله ، وكيف أن اليهود لم يتنازلوا عن شبر واحد من الأراضي التي تمسكوا بها ، وكيف رضخ الجميع لطلباتهم في النهاية .

---

(1) المصدر السابق 516 .

وأنهى عبد الله التل مبديا رأيه الخاص في هذه المشكلة دون أن يطلب منه ذلك :

ـ أما عن رأيي الخاص فهو الحرب حتى النهاية ، إذا ما أصر اليهود على طلباتهم ، وإذا خسرنا في الحرب فخسارتنا أشرف من نتائج هذه الاتفاقية[1] .

وكان رئيس الحكومة يستمع باهتمام إلى ما يقوله عبد الله التل ولكنه انزعج كثيرا عندما سمع هذه العبارة وقال :

ـ هذا رأي شباب ، والحكومة لا تنظر به ، وهي تقرر ما يجب عمله .

ثم سأل التل عن رأي جلوب باشا ، وأخبره أن جلوب باشا لا يستطيع الحرب فالجيش ضعيف وليست لديه ذخائر .

وسكت رئيس الحكومة متأملا فيما يسمع ، ثم طوى الأوراق وسلمها إلى حمد بك الفرحان ، ودعا الموجودين إلى طعام الغداء .

وقبل أن يسافر إلى عمان مع فوزي باشا وحمد بك اللذين لم يستطع عبد الله التل أن ينفرد بأحد منهما طلب منه أن يلتقي به في الشونة غدا ليقابلوا جلالة الملك .

الملك عبد الله ورئيس حكومته وآخرون :

تم الاجتماع في الشونة في صباح 1949/3/26 في تمام العاشرة والنصف .

وقد حضر الملك وجلوب باشا ودعي إليه :

---

(1) المصدر السابق ص 518 .

توفيق باشا أبو الهدى	رئيس الحكومة
فوزي باشا الملقى	وزير الدفاع
محمد الشنقيطي	وزير المعارف
فلاح باشا المدادحة	وزير العدلية
سليمان باشا سكر	وزير المالية
نجيب باشا الشريدة	وزير المواصلات

وحضر الاجتماع - عدا هؤلاء - حمد بك الفرحان سكرتير الحكومة وشوكت باشا الطبيب الخاص للملك. وبالطبع جلوب باشا والميجور كوكر.

وبدأ جلالته الاجتماع شارحا موقف الجيش العراقي والعربي، وكيف أن فرص النجاح في الحرب مع اليهود منعدمة، وأن الحرب معناها الخسارة المؤكدة.

ثم تكلم الملك عن موقف بريطانيا وأمريكا اللذين يساندان اليهود إلى أبعد غاية.

وكيف أنه لا يعتمد عليهما ولا على وعود أية دولة أجنبية، فلجلالته خبرة بالوعود المعسولة التي لا يتحقق منها شيء أيام الثورة العربية الكبرى.

ثم أخرج الملك البرقية التي وردت من المستر بيفن رئيس الوزراء البريطاني لجلالته وكان فيها:

« تنصح حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن تتصلوا جلالتكم شخصيا بالمستر ترومان لاستطلاع رأيه في المشكلة ».

وقد علق الملك على البرقية بعد أن قرأها على المجتمعين:

ـ كما فعلوا بفلسطين أولا ورموا همها على الأمريكان يفعلون بنا الآن ويطلبون منا استشارتهم .

ورغم اعتقاد الملك بعدم جدوى ذلك كله إلا أنه أخبر المجتمعين أنه قد أرسل رسالة خاصة للمستر ترومان يرجوه فيها التدخل لإيقاف اليهود عند حد .

ولم يأت الرد عليها بعد ، وإن هذه البرقية قد أرسلت بالأمس بتاريخ 1949/3/25 .

وتوجه الملك بسؤال إلى جلوب باشا يسأله عن إمكانيات الجيش في الحرب .

وأجاب جلوب باشا كالعادة إن الجيش صغير والعتاد لا يكفي للقتال لأكثر من يومين أو ثلاثة .

وتوجه الملك إلى رئيس الحكومة منفعلا يسأله :

ـ هل نعتمد على الأجانب يا باشا ؟ والله ما نحارب !

وهزَّ رئيس الحكومة رأسه نافيا إمكانية الاعتماد على الأجانب في الحرب ، وصار يعطي أمثلة على ذلك . وأفشى أسرارا هامة أثناء ضربه هذه الأمثلة ، فقد قال :

ـ كان وصول القوات البريطانية للعقبة بناء على طلبنا ، وبقصد منع اليهود من الوصول إلى الساحل حتى لا يمنعوا اتصالنا بمصر ، ولكن ذهبت أم الرشراش ولم يتدخل الإنجليز . وعندما سألنا السير كيركبرايد عن السبب ، حاول أن يبين وقوع سوء فهم بما يتعلق بمجيء القوات للعقبة وإنها جاءت فقط لحماية العقبة . ولكني أقنعته بوجهة نظري ، فأبرق إلى

المستر بيفن فجاء الرد مؤيدا صحة رأي الحكومة الأردنية وأن الحكومة البريطانية تعتذر لتقصيرها في تنفيذ العهد لسببين :

الأول : لأن أمريكا نصحتها بعدم الاشتباك مع اليهود .

ثانيا : لأن أغلب دول الكومنولث البريطاني لم توافق على الاشتباك مع اليهود .

وتنفيذا لرغبة الملك وحرصا على سلامة الجيش فقد قرر مجلس الوزراء ما يلي :

1 - يدعى اليهود للشونة يوم الثلاثاء 1949/3/29 أي قبل آخر موعد لقبول الاتفاقية .

2 - يستحسن أن يحضر مع الوفد اليهودي رئيس حكومتهم لأن رئيس الحكومة الأردنية سيحضر الاجتماع .

3 - تنوي الحكومة الاتفاق مع الوفد اليهودي وتلبية جميع طلباته ، ولكنها ستسعى لتعديل بعض المواد .

4 - يستدعي رئيس الوفد الأردني في رودس للاشتراك في المفاوضات وللاطلاع على كل ما يجري ليسهل توقيع الهدنة في رودس .

5 - يفاوض اليهود في هذه المرة كل من :

فوزي باشا الملقي	وزير الدفاع
فلاح باشا المدادحة	وزير العدلية
حمد بك الفرحان	سكرتير الحكومة
الميجور كوكر	رئيس فرع الحركات الحربية

6 - تكون الاتفاقية مع اليهود سرية ، وتدمج في هدنة رودس ،

وتصدر كأنها تمت في مفاوضات الهدنة هناك ، ويحاط نائب الوسيط والمراقبون علما بكل ما جرى .

وتهلل وجه الملك واستبشر عندما سمع هذا القرار ، وراح يمدح حكومته ورئيسها ومما قاله :

- الله يقدرني على مكافأتكم وأنتم زعماء الأردن أهل الحل والعقد والبلاد بلادكم[1] .

الملك يتآمر مع اليهود ضد الجيش العراقي :

كان العراق متعنتا جدا مع الأردن في تفويضه للتحدث باسمه في رودس . وفجأة أبدت العراق موافقتها أن يتحدث الأردن باسمها بشأن مسألة المثلث بعد طول امتناع . فقد أرسلوا برقية إلى بنش بتاريخ 1949/3/20 يخولون فيها الوفد الأردني حق التكلم باسم العراق . وكانوا يعارضون التسليم بمطالب اليهود في منطقة المثلث ، وكانت هناك برقية نصها :

« ترى الحكومة العراقية وتؤيدها السفارتان الأمريكية والبريطانية أن تنفيذ هذه الاتفاقية يؤثر في العائلة الهاشمية في الأردن والعراق » .

وكل هذا تبخر فجأة وسمحوا بعكس ما كانوا يتشددون به وأرسلوا الفريق نور الدين وجميل الراوي الوزير العراقي المفوض بعمان إلى قصر المصلى في الشونة مساء 1949/3/26 وقد قابلا على الفور الملك ورئيس الحكومة ، وأبلغاهما رغبة العراق الملحة في سحب الجيش العراقي من فلسطين على الفور لأسباب خطيرة أحجما عن ذكرها . ثم فوضا الحكومة

---

(1) المصدر السابق ص 522 .

الأردنية تفويضا كاملا لاتخاذ أية خطوة تتعلق بقضية المثلث دون استشارة حكومة العراق التي لم تعد تكترث بما يجري في فلسطين ، فسلامة العراق والجيش العراقي أهم في نظرهما من أي شيء آخر .

ولتحيا الأسرة الهاشمية وليسقط ما عداها ، ولكن الأسرة الهاشمية تأتمر بعضها بعضا ، وذلك سبب ذلك التهاون والتراجع عن ذلك الموقف القديم الذي كان ظاهره حب الوطن وخدمة المسلمين ، وباطنه الخوف من الشعب والثورة عليهم . ويعود سبب ذلك إلى مؤامرة قد تم اكتشافها .

فعندما ذهب إلياهو ساسون إلى باريس ، وهناك أجرى مفاوضات مع الأمير عبد المجيد حيدر الوزير الأردني المفوض بلندن وعمر زكي الوزير المفوض بباريس . وكان ساسون يتصل بالملك عبد الله عن طريق هذين المفوضين .

وقد عرف بعض الضباط الأردنيين الذين يقيمون في لندن وباريس بعض هذه الاتصالات وقد حدث في أواسط مارس 1949 أن أرسل ساسون برسالة مطولة إلى الملك يقترح عليه تطويق الجيش العراقي وإرغامه على الخروج من فلسطين إذا ما أصرّ على البقاء في منطقة المثلث ، وشرح له الخطة في هذه الرسالة وهي كالتالي :

1 – تبدأ القوات اليهودية بمناوشة الجيش العراقي في المثلث في اليوم الذي تعينونه جلالتكم .

2 – تحتشد القوات الرئيسية للجيش الإسرائيلي في غوربيسان .

3 – تزحف هذه القوات من بيسان إلى الجفتلك وتحتل المرتفعات التي تسيطر على طريق نابلس ـ الجفتلك لتقطع خط انسحاب الجيش العراقي بأكمله .

4 – تمنع حكومة شرق الأردن الجيش العراقي من الانسحاب عن طريق رام الله – القدس – أريحا ، لئلا يضرب القوات الإسرائيلية المرابطة في الجفتلك أو بطونها .

5 – لا بأس من أن تقع مناوشات بين القوات الأردنية والإسرائيلية للتغطية ، وعلى كل حال يمكن لحكومة صاحب الجلالة الهاشمية أن تحتج بأن توقيع الهدنة مع إسرائيل يمنع من الاشتراك الفعلي مع الجيش العراقي .

6 – عندما يدرك الجيش العراقي أنه وقع في الطوق سيطلب حتما الانسحاب من فلسطين بدون قيد أو شرط .

وقد اطلعت شخصية عربية في المفوضية الأردنية بلندن على هذه الرسالة ومنعت وصولها إلى الملك ، وطلبت هذه الشخصية الالتقاء بالسفير العراقي في لندن الأمير زيد ، وأطلعه على هذه البرقية .

وفي اليوم التالي طار الأمير زيد إلى بغداد ، وبالطبع فقد أحاط الوصي والحكومة بما يدور ، وبدلا من أن يتخذوا مع الملك عبد الله إجراءً صارما إذا بهم يحققون له رغبته وينسحبون من فلسطين .

وهكذا يتحالف الملك عبد الله مع الشيطان ، وهو يضرب أبناء عمومته والجيش العراقي وكل شيء من أجل البقاء على حكم بلاد قاحلة ليس فيها شيء .

وتراه يفعل أي شيء يخطر بباله ، والمفاهيم الأخلاقية العامة ليس لها دور في سلوكه السياسي ، وليس للإسلام تأثير في ضبط تصرفاته وتعامله مع العدو .

ولا يرعى اعتبارات الأخوة في الوطن أو الدين ، أو حتى صلة القربى .

وقد جاءت الملك عبد الله برقية من الرئيس ترومان ردا على برقيته هي

بمثابة لطمة على أم رأسه ، فقد رأينا كيف أرسل برقية بتاريخ 1949/3/25 يطلب من الرئيس ترومان التدخل للحد من طلبات اليهود .

وجاءه الرد بتاريخ 1949/3/29 .

« من البيت الأبيض إلى جلالة الملك عبد الله ـ عمان .

يشكر المستر ترومان لجلالتكم اتصالكم به ، وينصح بقبول مطالب اليهود في هذه المرة . ويعد المستر ترومان جلالتكم أن يقف حائلا دون طلبات يهودية في المستقبل ، أو أي توسع جديد على حساب القسم العربي الباقي من فلسطين »[1] .

خاتمة المطاف في الخيانة :

استدعت الحكومة الأردنية من رودس القائمقام أحمد صدقي الجندي رئيس الوفد الأردني ومعه الرئيس علي أبو نوار عضو الوفد لحضور الجلسة الختامية مع اليهود .

واتصل حمد بك الفرحان بالكولونيل عبد الله التل هاتفيا يطلب منه باسم الحكومة الأردنية أن يبلغ اليهود ضرورة وجود بن جوريون في الاجتماع المنتظر لأن رئيس الحكومة الأردنية السيد توفيق أبو الهدى باشا سوف يكون موجودا في المفاوضات ، على رأس الوفد الأردني في اجتماع الشونة المزمع عقده .

واتصل عبد الله التل باليهود في القدس ونقل لهم طلب الحكومة الأردنية ، وجاءه الرد بعد ساعتين بالاعتذار عن حضور بن جوريون لأنه ـ في رأيهم ـ لا يُفَاوِضُ ولا يُفَاوَضُ .

---

(1) المصدر السابق ص 527 .

وأخذ رئيس الحكومة الأردنية الصفعة على قفاه وحضر جلسة المفاوضات بعد ذلك دون حياء !!

وفي مساء 1949/3/30 وبناء على طلب الملك تحرك حرس الجيش مع الوفد اليهودي من القدس إلى الشونة . وكانوا هم نفس الأشخاص بزيادة روبن شيلوح رئيس الوفد اليهودي في رودس الذي جاء خصيصا للاشتراك في هذه الجلسة الفاصلة حيث يبتر جزء جديد من أرض المسلمين .

وكان الملك ينتظر متلهفا قلقا كالعادة ، ووصل اليهود في تمام الثامنة والنصف .

وكان العشاء ولم يدر أي حديث سياسي على المائدة .

ثم انتقلوا بعد ذلك إلى قاعة الاجتماعات .

وكان المجتمعون من العرب كالتالي :

جلالة الملك عبد الله	
توفيق أبو الهدى	رئيس الحكومة
سعيد المفتي	وزير الداخلية
محمد الشنقيطي	وزير المعارف
فلاح المدادحة	وزير العدلية
فوزي الملقي	وزير الدفاع
حمد الفرحان	سكرتير الحكومة
القائمقام أحمد صدقي الجندي	رئيس وفد رودس
الرئيس علي أبو نوار	عضو وفد رودس
الميجور كوكر	رئيس فرع الحركات الحربية
شوكت الساطي	الطبيب الخاص للملك

وحشر عبد الله التل نفسه مع المجتمعين ولم يعترض أحد، وكذلك فعل هاشم الدباس على اعتبار أنه خادم الملك الخاص.

وكان الوفد اليهودي يتكون من:

الدكتور إيتان وكيل الخارجية
بريجا ديريادين رئيس العمليات الحربية
روبين شيلوح رئيس وفد رودس
كولونيل دايان كبير العسكريين في وفد رودس
ميجور هاراكابي من وزارة الخارجية

ورحب الملك بالضيوف وبدأ الاجتماع.

وتكلم توفيق أبو الهدى باشا رئيس الحكومة وقال:

« أكلمكم باسم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية وبحضرة جلالة سيدنا وأرحب بقدومكم الذي نأمل منه كل خير لصالح البلدين.

إذا ذكرنا الماضي نجد كيف تورط الأردن في الحرب، والأسباب المباشرة كانت مدينة القدس القديمة، ومحاولة قواتكم الاستيلاء عليها، مما أدى إلى اشتباك جيشنا العربي مع جنودكم اشتباكا فعليا، وماعدا ذلك فلم تقع معارك من طرفنا.

وتعلمون سعادتكم أن السياسة الأصلية التي سرنا عليها، هي أن يقف الجيش العربي على حدود القسم العربي من فلسطين، ولا يتعداه ولم يتعده بالفعل، ولو أن هذه السياسة لم تقل ولم تنشر، إلا أنها كانت بالفعل مرسومة. ولم يكن هنالك ميل للحرب بالمرة، ولا نية أكيدة. ويمكنكم أن تقدروا صعوبة موقفنا في تنفيذ تلك السياسة المرسومة، وفي الانجراف مع سياسة الدول العربية مجاراة لها وللتغطية فقط.

والآن لن نتقيد بعد اليوم بنصائح خارجية حتى ولا بالسياسة العربية .

ونرغب من كل قلوبنا أن نصل معكم إلى تسوية وصلح دائم . إذا توافرت لديكم حسن النية كما هي عندنا ، لاشك بأننا سننهي كل المشاكل بما تمليه المصالح وحسن الجوار بين بلدينا .

والمشكلة الحالية هي الهدنة الدائمة التي تطالبون فيها بتغيير الحدود وصعوبة ذلك علينا . وحكومة صاحب الجلالة ترى وجوب التقيد بمشروع التقسيم وفيه تقسيم المنطقة إلى :

ا ـ منطقة داخلة حسب المشروع بدولتكم .

ب ـ منطقة داخلة حسب المشروع لنا أي بالقسم العربي .

فلماذا لا نتقيد الآن بذلك ؟ حتى لا تزيدوا من متاعبنا ، وخصوصا مشكلة اللاجئين ؟

لأن تحقيق مطالبكم هذه يجعل الحكومة وجلالة الملك سيدنا في مركز حرج ، ويعوق خطواتنا التي نخطوها نحو الصلح النهائي معكم » .

وختم رئيس الحكومة حديثه قائلا :

« وبمناسبة فوزي باشا وهو الوزير المختص ، فقد انتدبته الحكومة مع فلاح باشا المدادحة والقائمقام أحمد صدقي الجندي وحمد الفرحان وكوكر ، للتفاوض معكم هذه الليلة ، وكلنا أمل أن تتوصلوا مع وفدنا إلى اتفاق حول المسائل المختلف عليها ، وهي فنية حسب اعتقادي ولا أرى لزوما لحضورها فتعذروني . أما عن سرية الاتفاق فأنا أميل إلى ذلك ، مع أنه ما من شيء يبقى مكتوما ولابد من ظهوره . ولذلك فإن اتفاقية هذه الليلة ستدخل في اتفاقية رودس وكأنها جزء منها . وهو ما جعلنا نستدعي صدقي بك ليشترك بنفسه في محادثات الليلة » .

وقبل أن يرد إيتان على فخامة الرئيس تدخل الملك معلقا على حديث رئيس الحكومة ، مؤيدا كل ما قاله ، معجبا بصراحته المستمدة من صراحة جلالته .

ومما قاله الملك مخاطبا إيتان :

« والله نحن أحسن لكم من غيرنا ، ومصالحنا متشابكة ، ونحن جيران شئتم أم أبيتم ، فلا تحرجوا الحكومة وتحرجوني » .

ويقول عبد الله التل[1] :

- وبدا الجو قاتما والموقف مخزيا لأنه خيانة وذل واستجداء ، وتمنيت في هذه اللحظة أن يغور القصر بمن فيه ، ليتخلص العرب من المطامع والأحلام ، التي تعتبر أصل بلاء الأمة العربية .

أما فخامة الباشا فقد نسي وجودي في القاعة ، وأدلى باعترافاته الخطيرة التي تدينه بالخيانة العظمى ، إذ كشف النقاب عن السياسة العليا التي دفعت بالجيش العربي لا ليحارب بل « ليجاري الدول العربية ويضللها » . وسياسة فخامته هذه التي تعتبر سياسة الملك والإنجليز ، هي التي أوصلت القضية الفلسطينية إلى هذه الحال ، وأذلت الأمة العربية ، وصورتها أمام العالم - ظلما - أمة ضعيفة لم تقو دولها السبع على التغلب على شرذمة اليهود في فلسطين .

وقال إيتان ردا على كلام رئيس الحكومة :

« إن الخوض في الماضي لا يجدي نفعا بل يحيي الجراح ، والأفضل أن يتحدث عن الحاضر » . وأشار إيتان إلى الصداقة العربية المنتظرة في

---

(1) المصدر السابق ص 532 .

المستقبل ، بجهود بعض الحكماء الذين يقدرون قيمة السلم وينبذون الحرب أمثال جلالة الملك وبن جوريون وفخامة الرئيس توفيق باشا أبو الهدى ، ومن مثلهم على هذا النهج الحكيم .

ثم قال :

« إن الصداقة يجب أن تكون على أساس متين لا تشوبه شائبة في المستقبل ، ومن الأسس التي ستجعل صداقة إسرائيل بالأردن قوية ، هي تسوية مشكلة المثلث بما يرضي إسرائيل ويؤمن سلامتها وطمأنينة شعبها . وإن الوضع الداخلي في إسرائيل وخاصة وضع الحكومة ، ليس أحسن بكثير من وضع حكومة صاحب الجلالة . وكما أن فخامة الرئيس لا يريد أن تزداد متاعب حكومته ، فإن حكومة تل أبيب تريد أن تهدىء الرأي العام الثائر على الوضع في المثلث ويطالب بالحرب لتسوية المشكلة هناك » .

« وإن طلبات إسرائيل لا تقبل المساومة بالنسبة للمثلث . ولا يمكن التنازل عن شيء منها ، لأن الخبراء العسكريين أوصوا بها كحد أدنى لتأمين سلامة الدولة اليهودية الفتية من تلك الناحية ، وتواصيهم هذه تعتبر بنظر الحكومة أهم بكثير من قضية اللاجئين والتعويضات وما شابه ذلك ، لأن سلامة إسرائيل هي ما يطالب به الوفد اليهودي بالدرجة الأولى ، ومتى تأمنت هذه المطالب سيتم الاتفاق هذه الليلة » .

الساعات الأخيرة في حياة المثلث[1] :

دخل المندوبون العرب إلى غرفة المفاوضات يتبعهم الوفد اليهودي ماعدا إيتان الذي بقي مع الملك ورئيس الحكومة في قاعة الاجتماعات .

---

(1) المصدر السابق ص 533 .

وبدأت المداولات من جديد ، واستعمل فوزي باشا مقدرته الفائقة باللغة الإنجليزية ومؤهلاته الدبلوماسية الخارقة ، وعمل كل ما باستطاعته ليزحزح اليهود عن شبر واحد مما طلبوه دون جدوى .

وكان السكرتير حمد الفرحان يصول ويجول ليستخلص قرية واحدة من الخط الذي رسمه اليهود ، ولكن بدون أية فائدة . وفي تلك الأثناء استطعت أن اختلي بالقائمقام صدقي الجندي ، محاولا تشجيعه على رفض التوقيع ما لم يحصل العرب على مناطق مقابل ما يأخذه اليهود - والحديث هنا لعبد الله التل - ولكن مساعي معه ذهبت سدى ، لأن سعادته ادعى بأنه عسكري تركي مطيع ومنفذ للأوامر .

وحوالي الساعة الثالثة صباحا ، استدعاني فوزي باشا إلى غرفة المفاوضات ، وسألني رأيي في مسألة تسليم المناطق لليهود على مراحل أو دفعة واحدة ، فأجبته بأني أرفض الاشتراك معهم ولو بكلمة واحدة ، ما لم أعرف أن اليهود مستعدون لتعويض العرب منطقة اللد والرملة وبيت جبرين بدلا مما يطلبون .

وتأثر معاليه وتأثر معه جميع المفاوضين العرب ، لأني أعصى أوامر الملك والحكومة والإنجليز ، الأمر الذي لم يعهده بموظف شاب من قبل ، ويئست من تأمين إخفاق الاجتماع ، لأني لم أجد واحدا منهم يملك من الجرأة ما يجعله يقف معي . ولو وجدت واحدا فإن الملك يضطرب ويخاف ، ولربما أخفق الاتفاق مع اليهود .

أما رئيس الحكومة فقد عاد إلى عمان حوالي الساعة الواحدة صباحا ، بعد أن اطمأن إلى اتفاق الطرفين نتيجة أوامره للوفد الأردني بالاتفاق على كل ما يطلبه اليهود هذه الليلة .

وظل الملك ساهرا يتردد على قاعة الاجتماع ، مشجعا الطرفين على إزالة نقاط الاختلاف . ولم ينم جلالته تلك الليلة بطولها .

وكان منظرا يفتت الأكباد أن ترى الملك يمر على الأعضاء اليهود واحدا واحدا يلاطفهم مستجديا ، إلى أن قاربت الساعة الرابعة صباحا دون جدوى . عندها وقع الطرفان الاتفاقية التي لم تختلف عن مسودة الاتفاقية السابقة في شيء .

وزادت هذه الاتفاقية على سابقتها بالمادة التي جعلتها نهائية نافذة المفعول بمجرد توقيع الهدنة في رودس .

ولقد وقع الاتفاقية والخرائط كل من :

فوزي باشا وفلاح المدادحة والقائمقام صدقي الجندي والرئيس علي أبو نوار والميجور كوكر .

وبدا جلالته بعد الاتفاق وكأنه في ريعان الشباب ، كله همة وحيوية .

وفي الساعة الخامسة صباحا ودع ضيوفه الذين عادوا إلى القدس حاملين معهم الاتفاقية المشئومة .

وهنأ الملك أعضاء الوفد الأردني وعلى رأسهم فوزي باشا ، وصافحهم جميعا قبل عودتهم إلى عمان ، وأما صدقي الجندي فقد منحه الملك لفتة خاصة وقال له :

- بارك الله بالجندي وأنت جندي حقا . الله يحيينا لنراك في المنصب الذي نريده لك .

وعاد صدقي الجندي إلى رودس حاملا نسخة من الاتفاقية لإدماجها في معاهدة رودس .

وقد أعطت هذه الاتفاقية المشئومة اليهود ما يزيد على 400 ألف دونم من أراضي فلسطين الخصبة ، ووضعت تحت يد إسرائيل عددا كبيرا من القرى الكبيرة والصغيرة .

ولم يكن هناك تقدير لفداحة النكبة ، وكان الذين يعملون على الخرائط تلك الليلة الميجور كوكر وصدقي الجندي ، وكأنهم حرفيون ليست لديهم مشاعر إنسانية .

ولو أنصف رئيس الحكومة وكان لديه شيء من الشرف والكرامة لاستقال في تلك الليلة ولرفض هذه الاتفاقية والمضي قدما فيها ، ولو فعل لما استطاع له أحد شيئا ولتغير موقف الملك أيضا .

فقد كان الملك جبانا خائفا مهزوزا لم يضغط عليه أحد ، فبريطانيا لم تكترث وأمريكا نصحت بالاستجابة لمطالب اليهود . ولو أنه فكّر في الحرب فلم يكن بالسهل على اليهود أن يحاربوا ثلاثين ألف جندي من الأردن والعراق ، ناهيك عن تحرك المشاعر في الأمة العربية والإسلامية عندما يرون من يقاتل ببسالة وإخلاص دون التفكير في هدنة . لو اختار الملك هذا الخيار لتغير تاريخ العرب وفلسطين . ولكن لم يكن للملك ليفعل غير ما فعل لأنه رحيق الخيانة قد أطعمه به أبوه الشريف الحسين ، المنقذ الأول وملك العرب ، وأمير المؤمنين لأيام قبل أن يذهب إلى قبرص .

وليس غريبا ما يحدث من الملك حسين بن طلال فقد تربى في حجر جده ، وقد رأى اليهود صبيا يفاوضون جده ويؤاكلونه ويمازحونه ، ثم عرفهم يافعا ، وصادقهم رجلا ، وعمل لحسابهم كهلا ، وارتبطت مصالحه بهم هو الآخر ؛ فهم ذرية بعضها من بعض ولا صلة لهم برسول الله ﷺ .

فضيحة الملك عبد الله قبل أن يقتل !

الملك عبد الله قبل النهاية :

كان الملك عبد الله نموذجا فريدا غريبا من حكام العرب في العصر الحديث . وقد جاء تفرده وغرابته من طبيعة عائلته التي حكمت الحجاز ولعبت دورها المشهور في حرب الخلافة العثمانية وإجهاض الأماني القومية للعرب في الاستقلال والتقدم .

فقد علا نجم هذه العائلة في فترة من الفترات كانت تنبىء بأنهم قادة العرب القادمون ، ولم يكن هناك ما يحول دون تحقيق هذه السيادة في زعمهم وظنهم ، لولا أن التاريخ لا يصنعه فرد واحد أو إرادة واحدة ، وإنما هو مزيج بين إرادات مختلفة وصراع بينها ، وتتوقف النتيجة على الظروف وعلى قوة أحد هذه الجوانب .

ولو تحققت أماني نابليون ومشيئته في أول القرن التاسع عشر لكانت أوروبا كلها أمة واحدة تحت قيادته . ولكن كان هناك من الأقوياء من يختلف معه ، وغلبت مشيئتهم وإرادتهم وساعدهم على ذلك ظروف أوروبا ونفورها من الاستبداد . وكانت هناك إنجلترا وروسيا وألمانيا وآخرون من دونهم ، تحالفوا عليه وتحزبوا ضده ، وخرج من التاريخ أو دخل إليه في منفاه بسانت هيلانة .

والقياس مع الفارق ، فقد كانت الشواهد كلها تشير في مطلع الخيانة العربية الكبرى عندما بدأت بمشاورات الشريف حسين مع المكتب الشرقي للمخابرات البريطانية في القاهرة في غضون عام 1914 ثم انتهت برسائل

حسين مكماهون في عام 1916 . كانت الشواهد تقول إن الشريف حسين وأبناءه هم ورثة الأرض ، وهم حكام العرب . وكانوا يعتمدون في هذا كما رأينا على حسن صلتهم بالإنجليز وخدمتهم لهم وتحقيق مخططاتهم ، وفوجئوا بعد حين من الوقت أن هذه المخططات تستدعي تفريق العرب وتركهم متفرقين متناحرين حتى يصفو الجو أمام إسرائيل في تحقيق وجودها وتمكنها في الأرض . ثم جاء الوقت بعد ذلك الذي عرف فيه الهاشميون أن شرط بقائهم رهين برضا إسرائيل عنهم ، وفي دورهم المرسوم لهم لتمكن اليهود في الأرض . واستجابوا طواعية لهذا الدور ، وتيقنوا أنه شرط في استمرارهم حاكمين . ومضت الحياة بهم على هذا النحو .

وكان الملك عبد الله هو الذي مرَّ بكل الأماني الهاشمية في السيطرة والنفوذ ثم وصل به الحال أخيرا كما رأينا إلى الإحباط الكامل ، ومحاولة أن ينال شيئا من هنا أو هناك .

وكما يحكي الملك حسين في كتابه مهنتي كملك كيف كان الملك عبد الله يسافر إلى معان في جنوب الأردن يستقبل الرياح القادمة من الحجاز ، ويقول لمن حوله إني أشم رائحة مكة . وهو لاشك يتذكر الحلم الذي ضاع والمجد الذي تبدد عندما كانوا يحكمون بلادا هي سُرَّةُ بلاد المسلمين ، ويأتيهم الناس من أرجاء المعمورة يحجون إلى الأرض ، وإذا بهم يطردون نتيجة لخيانتهم ويحكمون بلادا هم فيها غرباء ، ونصيرهم في هذا بنادق بريطانية الصنع ، وعسكر مدربون على استخدامها ، وهم يقودونهم كالخراف ويضعونهم فوق عروش صنعوها وهيئوها لهم ، وهم بذلك فرحون يجترون حسرتهم القديمة ، في أمل قادم لا يدرون هل يتحقق أم تحول دون ذلك الظروف ، والقوى العاتية التي تتحكم في بلاد العرب .

وكانت عائلة الشريف حسين يتنازعها قطبان من أبنائه ؛ الملك عبد الله

رجل السياسة والمفاوضات وتحقيق الخطط ، وفيصل رجل الحرب والعسكرية وتسيير الجيوش .

وكان كل واحد منهما أخيب من أخيه في المجال الذي رسمه لنفسه أو رسمه له أبوه ، أو أملته عليه الظروف .

وحكام الدنيا بشر أمثالنا ، ومنهم من تحكمه المؤسسات والدساتير ، ومن ثم يكون خطؤه ضئيلا وصغيرا مهما فعل ، ومنهم من لا يحكمه شيء غير ضميره ومصالح أمته كأغلب الأحوال عندنا في بلادنا العربية . ثم يأتي من يجنح حتى إنه لا يفعل غير الشر بأمته وينساها ولا يعود يذكر غير ذاته وكيفية المحافظة على العرش والتمكن في الأرض مثل الملك عبد الله بشكل خاص ، وعائلته بشكل عام .

فالملك عبد الله كان يرى أن مصلحة البلاد الجديدة التي يحكمها في بقائه حاكما لها ، وهو يقول ذلك لمن حوله في مناسبات عديدة ، أنه لو ذهب فلن يجد الناس من هو خير منه . وهو يعلم أن بقاءه حاكما رهين بتنفيذ التعليمات والمخططات . فقد صار يمثل الوطن والأماني القومية وتحقيق الأهداف ، وبلورها وركزها حتى صارت تتمثل في بقائه حاكما ، مع عدم الأخذ في الاعتبار أيها يأتي بعد الآخر . فقد صار هو الدولة والهدف والغاية ، وكل ما عدا ذلك وسائل ينبغي الترفع عن مناقشتها أو إعطائها أكبر من حجمها .

فهو عندما يربط مصالحه الشخصية باليهود ، فإن ذلك في مصلحة البلاد التي يحكمها ، وهو أدرى بخيرها وما يصلحها ، وأبناؤها جهلة أغبياء لا يعرفون مصلحتهم ، وهو يقوم بأمرهم . وهو عندما يؤلب العرب على النزول بجيوشهم إلى فلسطين بعد انتهاء الانتداب في 1948/5/15 ويرفض

أية فكرة أخرى قالها ملك أو رئيس بدعم المنظمات التي تعمل في مجال جهاد اليهود ، والاكتفاء بذلك ، وأن هذا أولى وأجدى من أي عمل آخر تقوم عليه جيوش لم تنتظم بعد لتحارب ، ويصعب تحقيق التناسق بينها في ذلك الوقت ـ فإنه يحقق مصلحة البلاد في بقائه حاكما ، لأن ما حدث في فلسطين عام 1948 هو طلب اليهود لتحقيق إعلان دولة إسرائيل من خلال حرب مزعومة ، ترسم على أثرها الحدود ، وتكتب اتفاقات الهدنة ، حيث تبرز الوثائق للوجود ممهورة وموقعة تنبئ عن كائن جديد هو دولة إسرائيل .

وكانت حرب فلسطين 1948 إحدى الطقوس الهامة التي تنشأ بها الدولة اليهودية . وكان البعض يفهم هذا ، ولكنه لا يستطيع مقاومة الملك عبد الله الحكيم المعني بشئون فلسطين لأنها مجاورة لأرضه ، وهو أكبر العرب وأحكمهم ، وكما رأينا فقد عُيِّن قائدا عاما للقوات العربية المقاتلة في فلسطين ، وهو ينقل الخطط إلى اليهود ، إن كان ثمة خطط ، وهو لا يرضى بأقل المناوشات حتى يرفع الحصار عن الجيش المصري في الفالوجا . وهو يتفق مع اليهود على حصار الجيش العراقي الموجود في منطقة المثلث إن رفض الانسحاب ، عبر اتفاق تم مع ساسون في باريس وبين الأمير عبد المجيد حيدر وزيره المفوض في لندن .

وهو قبل هذا أو بعده يتعهد لجولدامائير في اجتماعه بها يوم 1948/4/12 بقصره في الشونة على ألا يقاتل ، وألا تتجاوز قواته الخطوط التي رسمها مشروع التقسيم ، وهي تزجره بكلامها معه ، ولا يملك إلا عتابا يخبر به أحد اليهود فيما بعد . ويعتذر إليه ذلك اليهودي بأن سبب هذا اللبس هو رداءة الترجمة ، وأنهم سوف يعاقبون المترجم ! ثم يسلمهم طواعية واختيارا قرية أم الرشراش القائمة على خليج العقبة ليقيموا عليها

سيناء ، ويرفعوا حاجزا بين آسيا وأفريقيا لأول مرة في تاريخ المسلمين كما رأينا .

وهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

فضيحة الملك عبد الله قبل أن يقتل :

كانت اتصالات الملك عبد الله باليهود سرية لا يعرفها غير عدد قليل من الناس الذين قدر لهم أن يكونوا على مقربة من هذه الأحداث . وكانت بعض الأخبار تصل للناس همسا ودون تحقيق ، ولكنها ظلت في مبتداها ومنتهاها أمرا غامضا مبهما لا يعرفه أحد على وجه اليقين ، فهي أخبار ليست واضحة المعالم ، غير محددة الأبعاد ، لا ينطق بها أحد علنا وعلى رؤوس الأشهاد . حتى جاء الوقت الذي تغير فيه هذا وبدت الفضيحة ماثلة للعيان ، ويتكلم بها الجميع ، فقد ظهرت نتائج الخيانة ، وأصبحت حقائق يلمسها الناس دون غموض .

فقد عادت الجيوش العربية التي ذهبت للقتال في فلسطين إلى بلادها خائبة يملؤها الحزن والغضب ، حيث يحكي أفرادها ما لمسوه وعرفوه بأنفسهم ، وما سمعوه هنا وهناك . حتى صار أمر الملك عبد الله مشهورا ومعروفا ويعلمه جميع الناس .

وبدأت المقالات الصحفية تحكي طرفا من خيانة الملك ، فقد كانت الأمور في ذلك الوقت ليست بذلك الوضوح والاتساع ووفرة المعلومات التي بين أيدينا اليوم ، بعد أن تم نشر ذلك الكم الكبير من الوثائق ، ولا يزال في رحم التاريخ من الوثائق والبيانات ما سوف يسفر عنه مستقبل الأيام .

وقد نشرت مقالات قليلة هنا وهناك على استحياء في بعض الصحف المحدودة التوزيع وكأنها منشورات سرية كما حدث في بعض صحف القدس مثلا . وأقل القليل في الصحف الأجنبية حيث لا يطلع عليها إلا الصفوة المختارة من العرب الذين حباهم الله بميزة السفر إلى أوروبا في رحلة الشتاء والصيف .

أما في مصر فقد أخذت هذه الفضيحة شكلا آخر ، حيث انبرت كبريات الصحف المصرية في الحديث عن الملك عبد الله وجريمته في اتصاله باليهود . والذي ساعد على ازدياد هذه الحملة وشدة سُعَارِها ، هو موقف الملك عبد الله من عدم القيام بمساعدة الجيش المصري المحاصر في الفالوجا . ثم التآمر عليه مع جلوب من أجل القضاء على ثلاثة أو أربعة آلاف جندي بعد تدمير أسلحتهم ، في خطة واهمة خائنة تقضي بتسللهم عبر طريق سري كما رأينا ، ورفض قيادة الجيش المصري لهذه الخطة .

وقد رأينا كيف حاول أحد الضباط - وهو المرحوم معروف الحضري - التسلل من ذلك الطريق ومعه بعض الجند ، وقتل من قتل منهم وقبض على الباقين ، ووضعوا في معسكرات الأسرى . وكيف سأل الضباط اليهود المفاوضين المصريين في رودس عن سبب عدم تنفيذ الخطة دمشق المشار إليها ، وكان عجب المصريين أن هذه الخطة من المسائل السرية التي لا يعرفها أحد ، وإذا بها عند اليهود بكاملها .

وكان بعض الضباط المحاصرين في الفالوجا على صلة وثيقة بالصحفيين المصريين مثل جمال عبد الناصر الذي كان صديقا حميما لمحمود أبو الفتح رئيس تحرير جريدة المصري الشهيرة في ذلك الوقت . كل هذا خلق مناخا لكشف الملك ومادة صحفية غزيرة آنذاك ، وهي قياسا إلى ما بين أيدينا اليوم تعتبر لا شيء !

والذي لا يعرفه الناس أن التاريخ صارم لا يرحم ، وهو إن تلعثم في بدء حديثه ، فإنه ينطلق بليغا بعد ذلك ويذكر كل شيء كان قد خفي أمره حينا من الدهر . لأنه لابد وأن يتحدث أحد يوما ما بعد طول صمت ، أو أن يظهر ماكان عنده من وثائق ومستندات ، وسنظل نطلع على فضائح الهاشميين لأكثر من خمسين عاما قادمة ، حيث نجد الذين تطاولوا على الناس بنسب مزعوم إلى رسول الله ﷺ ، من خلال شجرة مرسومة لا يدري أحد حقيقة من رسمها ، أو كيف رسمت ، وهل امتدت إليها يد بالعبث والتحريف ، فوضعت أسماء عليها ببراعة تجعلها مع تطاول القرون وكأنها حقيقة ، نجدهم وقد أتوا من الأعمال ما يترفع عن إتيانها الكريم المحب لقومه ووطنه ، ثم نجد أمرهم مشهورا مفضوحا بين الناس . ولعل هذا ما ينقض ادعاءهم للنسب المزعوم ، فقد قضى الله في محكم كتابه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل البيت وأن يطهرهم تطهيرا ، وهؤلاء ليسوا كذلك ، فهم غارقون في الرجس ، وليسوا من المطهرين ، ودليلنا في هذا أعمالهم ، وهي منشورة يراها الناس ، ولا يختلف على فهم مدلولها إنسان .

ففي جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 18 مارس سنة 1950 العدد 280 نشرت الجريدة القاهرية صورة لبعض خطابات الملك إلى اليهود ، وكان هذا في ذلك الوقت بمثابة صدمة عنيفة لجمهور المصريين والعرب . وقالت الجريدة تعليقا على صور تلك الوثائق ما يلي :

استطاعت « أخبار اليوم » أن تحصل على وثائق خطيرة بخط الملك عبد الله ملك شرق الأردن ، وبخط كبار رجال حكومة إسرائيل المسئولين ، تثبت أن الملك الهاشمي - ! - كان على اتصال باليهود طول مدة حرب فلسطين وبعدها .

وأولى هذه الوثائق الخمس التي تعتبر أخطر ما نشر من أسرار السياسة

العربية ، خطاب بخط يد المسيو إلياس ساسون – الذي كان مستشارا للشئون الشرقية بوزارة الخارجية اليهودية – وهو الآن سفير إسرائيل في تركيا .

وفي هذا الخطاب الخطير الذي كتب في 10 ديسمبر سنة 1248 أي الفترة التي كان الجيش المصري يخوض فيها وحده أعنف معاركه في الجنوب – قال ساسون بالحرف الواحد – كما يتبين من صورة الوثيقة – موجها كلامه إلى الملك عبد الله :

ثم تنشر الجريدة نص الخطاب الذي كتبه إلياهو ساسون إلى الملك ، والذي سبق أن تناولناه ونشرنا نصه ، وتجد صورة منه في آخر الكتاب مع الملاحق .

وتمضي الصحيفة فتقول :

والوثيقة الثانية من هذه الوثائق الخمس الخطيرة صادرة من الملك عبد الله إلى قائده العسكري في القدس – وعليها توقيع جلالة الملك عبد الله بخط يده ، وهي على ورق الخطابات الخاص بجلالته – كما يتبين من صورتها .

ثم تنشر الصحيفة صورة من خطاب الملك عبد الله إلى الكولونيل عبد الله التل والذي يفوضه فيه بالتفاوض مع اليهود ، وقد تناولناه من قبل ، وتجد صورة منه في ملاحق الكتاب .

وتقول الصحيفة في نفس العدد تعليقا على هذه الوثيقة :

ويتضح من هذه الوثيقة :

(1) أن الملك عبد الله كان بشخصه يتولى المفاوضات ، وأنها لم تأخذ

طابع « الشكليات الحكومية المعتادة » إلا بعد أن انتهت .

(2) أن جلالة الملك الهاشمي اعتبر دخوله في مفاوضات مع اليهود - في وقت يخوض فيه الجيش المصري أعنف معاركه - « عملا إنسانيا مرغوبا فيه » .

(3) أنه لولا أن الكولونيل عبد الله التل القائد العربي للقدس خالف سرا تعليمات ملكه الصريحة ، وبذل كل جهوده لإحباط الاتفاق بين الملك واليهود ، لوقعت معاهدة الصلح بينهما في ذلك الوقت .

وتمضي صحيفة أخبار اليوم في نفس العدد وعلى الصفحة الأولى فتقول :

والوثيقة الثالثة من هذه الوثائق ، رسالة شفوية مثبتة على الورق الرسمي لرئاسة الديوان الهاشمي ، وعليها توقيع الملك عبد الله بالحبر الأحمر - لتبلغ إلى حكومة إسرائيل ، ونصها - كما يتبين من صورتها - كما يلي :

ثم تورد الجريدة صورة من الرسالة الشفوية وقد سبق تناولها من قبل ، وتجد صورة منها في ملاحق الكتاب .

أما تعليق جريدة أخبار اليوم فهو كما يلي :

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة :

(1) أن الملك الهاشمي يبعث بتحية منه إلى شرتوك وزير الخارجية الإسرائيلي .

(2) أن الملك الهاشمي يأسف على احتكاك بسيط حدث بين جنوده وبعض جنود إسرائيل .

(3) أن الملك الهاشمي يثق في حسن نيات اليهود .

(4) أن الملك الهاشمي يخبر اليهود بحركات جيوشه في فلسطين ، وبأن الجبهة الوسطى ستكون في حوزته في هذه الأيام من خربتا إلى حدود جسر المجامع .

ثم تقول الصحيفة :

والوثيقة الرابعة من هذه الوثائق الخطيرة هي رد موسى شرتوك على رسالة الملك عبد الله الشفوية في اليوم التالي لإرسالها مباشرة ، وهذا نصها – كما يتبين من صورتها – بالحرف الواحد :

ثم تورد الصحيفة صورة من رسالة موشيه شاريت المؤرخة في 10 مارس 1949 والتي تناولناها من قبل ، وتجد صورة لها في ملاحق هذا الكتاب .

ويأتي تعليق جريدة أخبار اليوم كما يلي :

ويتضح من هذه الوثيقة العجيبة :

(1) أن وزير الخارجية اليهودي « يعرب عن تقديره » للملك الهاشمي .

(2) أن الملك الهاشمي كان متصلا بشرتوك شخصيا من فترة طويلة مضت .

(3) أن الملك الهاشمي يتلقى تأكيدا من شرتوك يطمئنه – ! – أن قوات إسرائيل لن تتعدى حدود شرق الأردن .

(4) أن شرتوك يكذب معلومات رجال الملك عبد الله .

(5) أن شرتوك يصف وحدة من الجيش الأردني بأنها « أطلقت النار ثم ولّت هاربة من تلقاء نفسها » !

(6) أن شرتوك لا يرى أي حق للحكومة الأردنية في النقب ، بل ولا يرى لها أي حق في بحث أي شيء عنه .

(7) أن شرتوك يخاطب الملك بلهجة مليئة بالتعالي فيقول له : « قلنا وكررنا القول إنه كذا وكذا » .

(8) أن شرتوك يهدد الملك عبد الله بأن يشكو شرق الأردن في هيئة الأمم المتحدة .

(9) أن شرتوك يصف شكوى شرق الأردن إلى بريطانيا من إسرائيل بأنها مزعومة !

(10) أن شرتوك يبلغ خطاباته للملك الهاشمي إلى بريطانيا !

وبعد ذلك تنتقل الصحيفة إلى الوثيقة الخامسة :

وربما كانت الوثيقة الخامسة أعجب هذه الوثائق الخطيرة - خصوصا بعد خطاب شرتوك إلى الملك الهاشمي . فإن جلالته يعتبر وقاحة شرتوك أدبا وكمال احتشام !

وهذه الوثيقة هي رد الملك عبد الله على رسالة شرتوك ، وقد أضاف الملك الهاشمي إلى نصها المكتوب بالآلة الكاتبة بضع عبارات بخط يده ، ونصها - كما يتبين من صورتها - كما يلي :

ثم تورد الصحيفة صورة للرسالة التي كتبها الملك إلى وزير الخارجية الإسرائيلي ، وقد سبق أن تناولناها ، وتجد صورتها في ملاحق الكتاب .

ثم يأتي تعليق جريدة أخبار اليوم كالتالي :

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة :

(1) أن الملك الهاشمي أعجب بصوغ وكمال احتشام رسالة شرتوك السابقة !

(2) أن الملك الهاشمي يعتمد على شرتوك .

(3) أن الملك الهاشمي يسجل على نفسه اتصاله القديم بشرتوك ، وأنه كان بينهما « أسس سبقت » – وهذا نص تعبير الملك .

(4) أن الملك يسلم لشرتوك برأيه في أنه لاحق له في الحديث عن النقب ، ويقول إن « إمكان التعديل والتصحيح في اليد مادامت النية حسنة » .

أخبار اليوم تطلب من الجامعة العربية التحقيق مع الملك :

ويقول محرر أخبار اليوم في ذلك العدد المشار إليه بعد أن نشر الوثائق الخمس وكتب التعليقات السابقة عليها :

وبعد فإن « أخبار اليوم » تطلب من الجامعة العربية التي سيجتمع مجلسها بعد أسبوع أن تحقق هذه الوقائع والوثائق .

إن هذا الاتفاق السري بين اليهود والملك الهاشمي – من قبل أن يجلو الإنجليز عن فلسطين ، ومن قبل أن تدخل الجيوش العربية إليها – هو المسئول عن الكوارث التي وقعت في فلسطين .

إن هذه الوثائق تدل على أن الملك الذي كان قائدا أعلى للجيوش العربية اعترف بإسرائيل ، واعترف بحكومتها ، واعترف بوزير خارجيتها ، وأرسل الوفود للاجتماع سرا برجالها في الوقت الذي كان يموت فيه ألوف المصريين برصاص اليهود ، وفي الوقت الذي قاطعنا فيه إسرائيل ورفضنا أن يدخل مندوب إسرائيل الإسكندرية للاجتماع في المؤسسة الإقليمية للصحة ، وفي الوقت الذي وضعنا فيه اليهود في السجون والمعتقلات ، ووضعنا الحراسة على أموال الصهيونية ، وأنفقنا مائة مليون جنيه لتحرير فلسطين !

كل هذا يحدث في مصر ... والملك العربي يحيي وزير خارجية إسرائيل !

وثائق جديدة خطيرة بتوقيع الملك عبد الله :

وواصلت « أخبار اليوم » نشر الوثائق في عددها رقم 281 الصادر بتاريخ 25 مارس 1950 بمجموعة عناوين كبيرة في صدر الصفحة الأولى هي كالتالي :

وثائق جديدة خطيرة بتوقيع الملك عبد الله .
الملك عبد الله يعتذر لليهود عن حرب فلسطين .

ننشرها بنصها مع التعليقات :

وثائق جديدة بتوقيع الملك عبد الله تقدمها
أخبار اليوم للجامعة العربية .

..... وهذه وثائق جديدة خطيرة ، تكشف صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن .

لقد كان جلالته القائد الأعلى للجيوش العربية ، ومع ذلك فاوض اليهود من وراء ظهر الدول العربية .

وسلّم لليهود بأن لاحق للعرب في النقب ، في الوقت الذي كان الجيش المصري فيه يروي صحراء النقب بدم المصريين .

ونادى شرتوك وزير خارجية إسرائيل بقوله : عزيزي المستر شرتوك ، وبعث إليه بشوقه وتحياته ، في الوقت الذي كان فيه بين الجيشين المصري والإسرائيلي نار تتفجر !

ثم تمضي الجريدة في عرض الوثائق والتعليق عليها فتقول :

والوثيقة الأولى من الوثائق الجديدة ، وعليها توقيع صاحب الجلالة الهاشمية - شخصيا - رسالة موجهة إلى موسى شرتوك وزير خارجية إسرائيل نصها - كما يتبين من صورتها الزنكوغرافية - كما يلي :

وتورد الصحيفة صورة للبرقية قد تناولناها من قبل ، وتجد صورتها في ملاحق الكتاب .

وهي بتاريخ 1949/3/15 .

ثم يأتي تعليق أخبار اليوم على ما نشر فتقول :

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة ما يلي :

(1) أن الملك عبد الله قابل ساسون - مستشار وزارة الخارجية الإسرائيلية للشئون الشرقية وقتها وسفير إسرائيل في تركيا الآن - وقابله مع دايان وهو الكولونيل موشى دايان حاكم القدس العسكري اليهودي في الغور .

(2) أن المفاوضين اليهوديين أبديا خوفهما من ألا يلتزم الجيش العراقي الهدنة التي يلتزم بها الملك عبد الله ، وأن صاحب الجلالة الهاشمية تعهد بأخذ الجيش العراقي على مسئوليته . وكتب في اليوم التالي إلى شرتوك يقول إنه عزم على تسلم الجبهة العراقية رغبة في التسوية المأمولة .

(3) أن الملك يطلب من شرتوك أن تسري اتفاقية وقف إطلاق النار على الجبهة العراقية من ساعة تسلم الجيش الأردني لها !

(4) أن هذه الحركات التي أبلغ بها اليهود لم تبلغ بها باقي الجيوش العربية أو حكوماتها .

(5) أن الغور والشونة شهدتا مفاوضات عديدة بين الملك ورجال

حكومته . وبينها هذه المفاوضات التي تم على أثرها تسليم منطقة المثلث وسكة حديد جنوب القدس لليهود .

(6) أن صاحب الجلالة الهاشمية لم يكتف بإرسال التحية إلى عزيزه المستر شرتوك ، بل شفعها هذه المرة بتحيته أيضا إلى عزيزه المستر بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل .

والوثيقة الثانية خطاب على الورق الرسمي لصاحب الجلالة الهاشمية يعلوه التاج الملكي وتحته اسم عبد الله بن الحسين . والخطاب مرسل إلى اللورد هربرت صموئيل قطب الصهيونية الكبير ، وهو الذي لعب دورا كبيرا مع تشرشل في تنصيب صاحب الجلالة الهاشمية على عرش الأردن ، وكان أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وإليه يرجع الفضل في توطيد دعائم الصهيونية في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

وأرسل له صاحب الجلالة الهاشمية في 22 مايو سنة 1949 هذا الخطاب الذي يحمل إمضاءه ! والذي ترجمته بالحرف – كما يتبين من مقارنته بالأصل الإنجليزي المنشور بالزنكوغراف – كما يلي :

وينشرون الخطاب الذي نورد صورته في ملاحق الكتاب .

ثم يأتي تعليق جريدة أخبار اليوم :

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة ما يلي :

(1) أن صاحب الجلالة يدعو قطب الصهيونية الكبير لزيارته في عمان كيفما يشاء ووقتما يشاء . « إذا رغب وسمح وقتكم بذلك » . نص تعبير صاحب الجلالة الهاشمية !!

(2) أن صاحب الجلالة يلقي اللوم على شعبه – الشعب العربي كله –

أمام اليهود ، ويتهمه بأنه المسئول عما حدث وأنه لم يطع الملك ، وكل ما فعلته الشعوب العربية هو أنها دخلت الحرب ضد اليهود ، فهل كان هذا غير ما يريده الملك !

(3) أن صاحب الجلالة عبد الله بن الحسين يعتمد على اليهودي الكبير اللورد هربرت صموئيل ونصائحه !

(4) أن صاحب الجلالة الهاشمية قرّر أن يحصل على مزايا السلام !

(5) أن جلالته يشمل باحترامه كل الصهيونيين من موسى شرتوك إلى بن جوريون . إلى اللورد صموئيل . والليدي صموئيل زوجته أيضا !!

وبعد .

في صباح هذا اليوم - السبت 25 مارس - سوف يجتمع مجلس الجامعة العربية و « أخبار اليوم » تضع هذه الوثائق - والوثائق التي نشرتها في الأسبوع الماضي على مائدة الاجتماع .

وتطلب التحقيق مع حضرة صاحب الجلالة الهاشمية عبد الله بن الحسين سليل النبي وعزيز شرتوك وبن جوريون واللورد صموئيل ؟

إلى مجلس الجامعة العربية
عبد الله بين إسرائيل وبريطانيا
هل في الجامعة العربية حياة
أودب فيها الفناء ؟

تحت هذا العنوان نشر الأستاذ الكبير محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصري وعضو مجلس الشيوخ المصري مقالا في جريدة المصري الصادرة بتاريخ 27 مارس 1950 ، وهذا المقال كالتالي :

لا نظن أن هناك ظلا من الشك في أن تصرف الملك عبد الله – ولا نقول تصرف الأردن أو شرق الأردن – في السنوات الماضية إنما هو تصرف لا يتفق مع العهود التي قطعها على أنفسهم ملوك العرب ورؤساء جمهورياتها ، والتي تعاهدت عليها حكوماتهم ، منذ ظهرت في الوجود مشكلة فلسطين ، ومنذ اشتدت أزمتها وتفاقمت ، ومنذ بدأت نذر الحرب تتجمع ، ومنذ نشبت تلك الحرب ، ومنذ طالب الملك الهاشمي بتولي قيادة الجيوش العربية وطاف بعواصم العروبة يتلقى التهاني والتمنيات ، ويقابل من شعوبها وملوكها ورؤسائها مقابلات لم يحظ بمثلها الذين حققوا لشعوبهم أكبر الانتصارات في الحربين الأخيرتين .

ثم عاد هذا القائد العام ، وفي أذنيه دوي هتاف الشعوب العربية التي عقدت عليه الآمال ، وعلى رأسه أكاليل الغار ، وعلى وجنتيه قبلات الملوك والزعماء – عاد هذا القائد العام ، وما كاد يصل إلى مقر قيادته العامة حتى خمدت أصوات المدافع ، وخبت نيرانها ، وأغمدت السيوف في قرابها ، وجلت جنوده عن مواقع رئيسية ، وسلمتها عن طيب خاطر للصهيونيين ، وتخلت لهم عن أراض وقرى ومدن خضبتها دماء عرب فلسطين دفاعا عن الوطن المقدس وصيانة له .

في الظلام

عاد هذا القائد العام ، وكان أول ما فعله أن أخذ يمد يده في الظلام إلى الصهيونيين يفاوضهم ، ويساومهم ، على حساب العرب المشتتين المشردين .

على حساب هؤلاء

.... على حساب مئات الألوف الذين طردوا من ديارهم بعد أن

رأوها تنهب وتخرب وتدمر ، على حساب انتهاك أعراض نساء العرب ، وقد كان الاعتداء على عربية واحدة في عهد آبائه وأجداده – رحمهم الله – يثير حربا تبقى مستعرة إلى أن يشفى الغليل من المعتدين .

أراد أن يقنع الصهيونيين

عاد هذا القائد العام ، من رحلاته التي لا نحسب ، بعدما ظهر ، أنه قصد منها إلى شيء سوى اتخاذها وسيلة للتأثير في نفوس الصهيونيين ، ليقتنعوا أن عبد الله هو كل شيء في العروبة ، فإذا كانوا معه أسخياء كرماء طابت لهم فلسطين في النهاية ثم تفتحت البلاد العربية الأخرى لغزوهم الاقتصادي والصناعي .

اتفاقاته مع شرتوك

وقد فضحت « المصري » اتصالات الملك عبد الله مع الصهيونيين ومفاوضاته غير مرة ، ونشرت في العام الماضي نص اتفاق مبدئي عقده مع شرتوك ، غير أنه كان ينفي كل هذا ، حتى نشرت جريدة « أخبار اليوم » أخيرا صورا زنكوغرافية لمكاتبات ومذكرات متبادلة بينه وبين شرتوك وبن جوريون وغيرهما من زعماء الصهيونيين ، كل كتاب أو مذكرة منها ، وثيقة اتهام خطير ، اتهام بالخيانة التي لا يكفي في وصفها كلمة « العظمى » .

خيانة لجيش مصر

..... خيانة لجيش مصر الذي اجترأت قوات الصهيونيين على مهاجمته لأنها أمنت جانب عبد الله وجيشه ، بل وحصلت منه على أسرار عسكرية ، مكنتها من الانتصارات الدامية التي أحرزتها .

وخيانة لمصر

... خيانة لمصر التي استقبله ملكها وشعبها استقبالا منقطع النظير ، وائتمنوه على قيادة جيوشهم ، فكانت النتيجة أن تآمر عليها مع أعدائها ، وأن ضحى بمئات ومئات من خيرة جنودها ومن أينع زهرات شبابها .

وخيانة للعرب

... خيانة للدول العربية التي وثقت به واطمأنت إليه ، ووضعته في موضع الزعامة ، وسلمته قيادها العسكري .

خيانة للعروبة التي انضم إلى كتلتها ووقع ميثاقها .

خيانة لمليون عربي وعربية ، مسلمين ومسيحيين ، علقوا عليه آمالهم ، وناطوا به مصايرهم ، واتجهوا إليه بقلوبهم لإنقاذ بلادهم ، فكانت النتيجة أنه ساوم الصهيونيين عليهم ، وباعهم بيع السلع ، وتركهم فريسة رخيصة للطغاة المدمرين الفتاكين .

ويتكلم ويعترض

وبعد هذا كله ، وبعد الفضائح التي شاعت ثم قامت الأدلة الحاسمة عليها ، نرى لعبد الله ممثلا يحضر جلسات الجامعة العربية ، ويتكلم ليعترض على تمثيل فلسطين ، ونسمع أن الجامعة تنتظر قدوم وفد من الأردن .

كان الناس يتوقعون

إن هذا ليدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فقد كان الناس يتوقعون من مجلس الجامعة أن يضع في رأس جدول أعماله فصل شرق الأردن – أو الأردن كما سماه عبد الله !

فيم هذا التردد ؟

إن الناس هنا وفي البلاد العربية يعزون ذلك إلى ضغط بريطانيا على الدول العربية ، فقد أصدرت حكومة لندن في الأسبوع الماضي تعليماتها إلى سفاراتها ومفوضياتها في تلك الدول بأن تبذل كل جهد لمنعها من التعرض للملك عبد الله ، وعدم اتخاذ قرار بفصله من الجامعة العربية .

دور الإنجليز

وقد كان موضوع الملك عبد الله أحد الموضوعات أو أهم الموضوعات التي قابل من أجلها مستر تشابمان أندروز الوزير المفوض البريطاني وزير خارجية مصر في الأسبوع الماضي ، كما قابل زملاؤه في جدة ودمشق وبيروت وبغداد رجالها هناك للدفاع عن عبد الله وحمايته .

هذا يخصهم

أما أن يدافع الإنجليز عن عبد الله ويحموه فهذا أمر خاص بهم ، لأنهم الذين خلقوا شرقي الأردن ، وهم الذين نصبوه عليه ملكا ، ولهم في أرضه مصالح كبرى ، ولهم عليه هيمنة وإشراف وسلطان .

وهذا أيضا يخصهم

وأما أن ينسى الإنجليز ضربات الصهيونيين التي أنزلت مكانتهم في الشرق إلى الحضيض ، بل إلى ما هو أحط وأدنأ من الحضيض ، فهذا أيضا أمرٌ يتعلق بهم وبمصالحهم وبالنفوذ الصهيوني في بلادهم .

ولكن ليس هذا من حقهم

ولكن الذي ليس لهم فيه حق ، هو أن يملوا على الدول العربية ، أو

يوحوا إليها بأمر في شأن من أدق شئونها وأخص خصائصها ، وهو بتر عضو فاسد من أعضائها ، ينقذ استئصاله بقية هذا الجسم الضخم ، ويمنع سريان السم فيه .

إجماع على الفصل

لقد سألنا منذ أيام بعض المشتغلين بشئون الجامعة العربية وباجتماعها عن موقفها المنتظر من شرق الأردن ، فقيل لنا إن الإجماع يكاد يكون منعقدا على فصله ، ولكن البعض يتساءل : هل من المصلحة أن يفصل ويلقى به في أحضان الصهيونية ؟؟ أم أن الأفضل إبقاؤه مع أخذ العهود والمواثيق عليه ؟؟

... ياسادة

صح النوم ياسادة ، فإن عبد الله قد ارتمى في أحضان بن جوريون وشرتوك وساسون ودايان منذ زمن طويل .

ألا تكفي تجارب الماضي العديدة !!! ألم تكفكم العهود العديدة التي عاهدكم عليها من قبل مرات ومرات ، ونكث في كل مرة !!

ألم تكفكم الأيمان المغلظة التي أقسم بها ثم حنث !!!

لا ياسادة .

لا يازعماء العروبة .

لا يارؤساء الحكومة العربية وممثليها المجتمعين في القاهرة الآن . كونوا حكماء ، واقضوا على الطابور الخامس في صفوفكم . وكونوا حازمين ، واستأصلوا هذا العضو الفاسد من جسمكم . فإن لعبد الله خطة موضوعة مرسومة ، وهي الاتفاق مع الصهيونيين ليمدوه بالمال والعتاد ، حتى يحقق

حلما يردده لكل من يلقاه ، حلم الإغارة على الحجاز لاسترداد ملك أبيه ، والإغارة على سوريا لاسترداد ملك أخيه - عليهما رحمة الله - وسيمضي في هذه الخطة سواء بقي في الجامعة أو خرج منها .

يا سادة .

إن الإنجليز يبذلون كل مسعى لديكم للإبقاء على عبد الله لأنهم يعلمون أن فصله من الجامعة سيفقده هذا الستر المهلهل الذي يستتر وراءه ، ويمكنه من الاحتفاظ بشيء من المكانة بين الذين يضللهم من الأردنيين ، فانزعوا عنه هذا الغطاء ، غطاء الجامعة العربية ، واتركوه عاريا حتى يرى قومه ويرى الناس في مشارق الأرض ومغاربها اللوثات اللاصقة به .

يا سادة .

إن مائة مليون عربي ، وأربعمائة مليون مسلم ، ومئات الملايين من المسيحيين ينظرون إليكم ليروا هل في الجامعة العربية حياة ، أو أن الفساد والفناء دب فيها !!

الكلمة لكم .

والله يوفقكم .

محمود أبو الفتح

وقد اهتمت في هذا الوقت وكالات الأنباء بذلك المقال الذي وصفته بأنه خطير ومنها من أبرق به كاملا ، ومنها من أرسل تلخيصا له . لأن محمود أبو الفتح كان في ذلك الوقت من أهم وأكبر الكتاب الصحفيين في مصر والعالم العربي ، وكان لكلامه الوزن الكبير والاعتبار الزائد ، ويقرؤه الجمهور من المحيط إلى الخليج . وكان لتناوله موضوع الملك عبد الله آنذاك أكبر الأثر في فضح جرائمه في العالم العربي الذي ذهل من وقع

هذه المقالات وما احتوته من أخبار عجيبة غريبة لم يكن يظن وقتها أن الملك عبد الله متورط في مثل هذه التحالفات المريبة مع اليهود . ولو قدر للمرحوم محمود أبو الفتح أن يطلع على ما اطلعنا عليه من وثائق الأرشيف المركزي الصهيوني ، وكيف كان الملك في نظر الوكالة اليهودية مجرد عميل صغير يتقاضى كما رأينا في بعض الأحوال مبلغ خمسين ليرة من أجل أداء خدمة لليهود ، لربما هال المرحوم محمود أبو الفتح ما اطلعنا عليه ولم يبلغه خبره .

شرق الأردن : البلد الذي خان الإسلام !

وقد يبدو العنوان لاذعا ، والمقصود هنا هو الحكومة والملك كما جاء في المقال الذي نشرته جريدة « المصري » بعددها الصادر في 19 مارس 1950 بقلم المحرر تحت عنوان :

ابتروا ذلك الجزء الفاسد في جسد الأمة العربية .

كانت « المصري » من أولى الصحف التي حذرت مصر والجامعة العربية والدول العربية جميعا من تصرفات الملك عبد الله ، بل لم تدخر « المصري » جهدا في سبيل نشر الكثير من الحقائق التي تجعل الشعوب العربية في كل أقطار الأرض ، تنظر بريبة إلى تصرفات الملك عبد الله ، ولم نكن نهدف إلا لخير القضية العربية التي تخونها حكومة عربية .

وكانت الرقابة على الصحف في ذلك الحين تحمي الملك الشيخ من الألسنة الصادقة التي تريد أن تقول للناس ما يدور خلف الستار .

ولم يكن الملك عبد الله لينصرف عن اتجاهه الذي يضمره ، فلم يكف عن الاتصال بالصهيونيين بل استمر في توطيد علاقته بهم ، وكان يغتنم الفرصة بعد الفرصة لتأكيد هذه العلاقة الغريبة التي خرجت بها شرق

الأردن وحدها عن الحلف العربي ، وخانت بها شرق الأردن وحدها قرارات الجامعة العربية .

وهل كان أفجع للاتحاد العربي من أن يسلم الملك عبد الله مدينتي اللد والرملة إلى اليهود ، والحرب دائرة بين الجيش المصري والصهيونيين ؟

وهل كان أدل على النيات الغريبة التي كانت تضمرها شرق الأردن ، من أن تختار ذلك الظرف العصيب لتسليم أجزاء من البدن العربي إلى أعداء الأمة الإسلامية ومحاربيها ؟

وليت الأمر كان قد وقف عند ذلك الحد المفجع الأليم الذي عاونت به شرق الأردن اليهود على العرب ، فساهمت في سفك دماء المحاربين المصريين . لقد كان كل يوم ينقضي ، يحمل الريبة في تصرفات الملك عبد الله ، ويتضمن خروجا جديدا على ما أجمع عليه العرب في كل الأقطار .

وأمس نشرت « أخبار اليوم » وثائق خطيرة ، تؤيد ما كانت « المصري » تذهب إليه منذ شهور طوال ، فقطعت بذلك ألسنة المدافعين عن شرق الأردن وحققت الظنون والشكوك التي طالما ساورت الكثيرين وحيرتهم تحييرا أليما .

لقد حان الوقت بعد ظهور تلك الحقيقة الموجعة عن اتصالات الملك عبد الله باليهود لأن تعمل الجامعة العربي والدول العربية على قطع صلاتها بشرق الأردن ، البلد الذي خان الإسلام ، بعد أن خان الحلف العربي وقضية فلسطين .

لقد حان الوقت لأن نبتر ذلك الجزء الفاسد من جسم الأمة العربية ، ولأن نواريه الثرى ، ونهيل عليه التراب .

وبذلك وحده نريح ونستريح ، لأن الأخوة التي تطعننا من الخلف أبشع وأخطر من العداوة التي تشهر في وجوهنا الرماح .

مصلحة الهاشميين قبل الإسلام والعروبة !

والمقالات التي نشرت في الصحف المصرية في عام 1950 عن خيانة الملك عبد الله للعرب والمسلمين تملأ مجلدات ولكننا نختار نماذج منها حتى نتخيل الفضيحة التي مني بها الملك قبل أن يقتل . والذي أتصوره أن هذه الحملة الإعلامية المستعرة – التي قامت ضد الملك بسبب شهداء فلسطين والهزيمة المنكرة التي منيت بها الجيوش العربية – كانت من أهم الأسباب في تأليب الرأي العام العربي ضده ، وفضحه في بلاده وبين مواطنيه مما أدى في النهاية إلى اغتياله .

وقد نشر الأستاذ محمد التابعي الصحفي المصري الشهير في ذلك الوقت مقالا في مجلة آخر ساعة في عددها رقم 803 الصادر في 1950/3/8 ونأتي منه بما يلي :

مرة أخرى :

هذه هي الجامعة العربية !

أكتب عن صاحب الجلالة الملك عبد الله وعيني على قانون العقوبات المصري الذي وحده دون سائر أو معظم قوانين العقوبات الحديثة في الأمم المتمدينة ينص على عقوبة ما يسميه « جريمة العيب في رؤساء الدول وذوات الملوك » !

فأنا لا أعرف أن هناك نصا على هذه الجريمة في قانون العقوبات الفرنسي ، ولا في قانون العقوبات السويسري ... ولا في إنجلترا ...

ولا في الولايات المتحدة الأمريكية ! ولا أعرف – ولم أسمع – أن صحفيا أمريكيا أو فرنسيا أو سويسريا حوكم أمام القضاء من أجل جريمة العيب في حق رئيس دولة أو ذات ملك على كثرة ما تنشره بعض صحف تلك البلدان من أكاذيب ومفتريات سخيفة وظالمة عن بعض الملوك ورؤساء الدول الأجنبية !

والذي أعرفه وأسمعه أن حكومات تلك الدول تجيب – وإن تلطفت فقل تعتذر ! – إذا تلقت احتجاجا من إحدى الدول ... بأن الصحافة في بلدها حرة ... وأن لا سلطان عليها لأحد !... حتى ولا لقانون العقوبات !

مصر وحدها إذن هي الحريصة على عقاب كل صحفي يخرج لسانه لرئيس دولة أجنبية ... أيا كانت هذه الدولة وأيا كان مقامها في مجالس الأمم وفي أطلس التاريخ والجغرافيا . بل إن للنائب العمومي في مصر – إذا تحنبل في تطبيق القانون – أن يقدمني غدا إلى محكمة الجنايات إذا أنا قلت كلمة نابية عن رئيس جمهورية سان مارينو ... أو صاحب السمو أمير موناكو ... أو صاحب السمو أمير ليختنتشين لأن كلا منهم رئيس دولة مستقلة ... فهم إذن – وفي مصر وحدها – في حمى حماية قانون العقوبات !

وأولى من هؤلاء بالحماية ولاشك مولانا وسيدنا الملك عبد الله !

فهو أولا ملك دولة عربية شقيقة ! وثانيا ملك دولة عربية حليفة ، أو هكذا زعموا ... وثالثا ملك دولة تزيد مساحة وسكانا على إمارة موناكو ... إذ يوشك أن يقفز عدد سكانها من ثلث مليون إلى ما يقرب من مليون بعد أن ضمت إليها ما تبقى من فلسطين العربية !

ضمها الملك عبد الله إلى ملك صحرائه الواسعة بالرغم من أنف عرب

فلسطين ! وبالرغم من أنف العهود والمواثيق ! وبالرغم من أنف الجامعة العربية ! ... وبالرغم من أنف حكومة عموم فلسطين ! وبالرغم من أنفك وأنفي ما عدا طبعا أنف سعادة الأمين العام عزام باشا الذي لايزال يؤمل خيرا في الجامعة العربية ... ولا يزال يدعو ويعد جدولا لأعمال اجتماع مجلس دول الجامعة العربية !

ترى هل هناك على رأس جدول الأعمال هذا « مفاوضات الصلح أو معاهدة الصلح بين الملك عبد الله وحكومة إسرائيل » ؟

ونظرة أخرى ألقيها على قانون العقوبات المصري لكي يتزن القلم في يدي فلا يشط ولا يشتط .

كلمة الحق أن الملك عبد الله خفيف الدم والظل ! ما أسهل عليه أن يقول كلا ... وهو يقصد نعم ! وما أرخص البلاغات الرسمية في بلاط ملكه السعيد !

جلالته – في كلمة واحدة – لا تنقصه روح « المجون » لأنه وبحق ابن عصرنا الحديث . يؤمن بسياسة العصر الحديث !

هو حتى اليوم عضو في جامعة الدول العربية التي نادت وما تزال تنادي بالعداء حتى الموت لحكومة إسرائيل !

ثم هو يفاوض إسرائيل سرا في عقد الصلح !

وبالأمس كان جلالته القائد العام لقوات الدول العربية في حرب فلسطين ! وكان جلالة القائد العام – والحرب دائرة – يفاوض إسرائيل سرًا ... ويساومها على كذا وكذا تحقيقا لمطامعه إذا تخلف جيشه عن نجدة جيش مصر .

وبعد .... ما أنا بالذي يلوم الملك عبد الله - معاذ الله ! واللوم عيب في ذوات الملوك ! - كلا . لست أنا بالذي يلوم جلالته . فهو كما قلت أولا وأخيرا ابن عصرنا الحديث . عصر المادة ! عصر المصالح ! عصر الواقع والحقائق ! ... العصر الذي تباع فيه قناطير المبادىء من أجل درهم مصلحة شخصية أو دراهم تدخل الجيب .

مصلحة ملكه أولا ... ومصلحة الهاشميين أولا ... وبعدها إن تبقى شيء فلا بأس من مراعاة مصلحة العروبة ومصلحة الأخوة العربية ... ومصلحة لا أذكر ماذا أيضا من النظريات السامية التي كنا نتواصى بها منذ عام !

قول الحق أن جلالته نادى دائما وصرّح دائما وأعلن دائما عن أغراضه في سوريا وفلسطين ! وعلى هذا الأساس - أساس مصلحة ملكه وعرشه ومصلحة الهاشميين - دخل الجامعة العربية .

ولما بيتت المؤامرة بليل وركزت إسرائيل هجومها ضد قوات مصر - بعد أن اطمأنت إلى سكون أو سكوت الجيش العراقي وجيش شرق الأردن ! - كان نصيب مصر من الضربات هو النصيب الذي ما فوقه نصيب !

لماذا لا تأخذ هذه « الخيانة » مكانها في جدول الأعمال ؟

لماذا نجتمع نحن ومندوبو العراق وشرق الأردن وصدورنا مطوية على خبيئة ونفاق ؟

لماذا لا نصارحهم بالاتهام لعل عندهم - وما أظن - كلمة تدفع التهمة وترد الثقة أو بعض الثقة إلى النفوس ؟

لماذا لا نرميها في وجوههم صريحة جهيرة ونقول إنهم لم يدخلوا الحرب

لكي يحرروا فلسطين لأهلها !... وإنما لكي يقتطعوا منها ما يستطيعون لأنفسهم ... وإن خلاص فلسطين والقضاء على إسرائيل كان فيه القضاء على مطامعهم ومؤامراتهم . لأن فلسطين كلها - المستقلة الموحدة - كانت أكبر من أن يستطيع بلعها أي ملك هاشمي حتى ولو كان صاحب عرش عمان .

كانت المصلحة إذن - أو كانت المؤامرة - في ألا تخلص فلسطين ! حتى يسهل على الطامع أن يسلب منها - أو من أشلائها - نصيبا ... ولو كان بالاتفاق مع إسرائيل !

هذه هي المؤامرة ... وهذا ما سيقوله التاريخ !

محمد التابعي

الملك عبد الله : أنا ابن بنت رسول الله ؟

ويبدو أن الملك عبد الله قد فقد وقاره واتزانه عندما رأى كبار الكتاب يكشفون عن جريمته في الاتصال باليهود ، وقد اشترك في هذه الحملة ألمع الأسماء في ذلك الوقت . فقد فقد الملك وقاره وصار يكتب مقالات في الصحف الأردنية يرد على هؤلاء الكتاب .

وقد نشر الأستاذ محمد التابعي مقاله التالي في العدد 804 من مجلة آخر ساعة الصادرة في 1950/3/22 تحت عنوان :

صاحب الجلالة الذي هو من آل البيت الكريم !

الصحافة ترحب بانضمام زميل كبير جديد هو صاحب الجلالة الأردنية الهاشمية عبد الله بن الحسين . فقد كتب جلالته لجريدة « النهضة الأردنية » مقالا نشرته الزميلة - طبعا ! - وكان عنوان المقال « من يكون هذا التابعي ؟ » .

ولقد نحا جلالة الصحفي الزميل في مقاله هذا نحو بعض المناطقة والجدليين من التساؤل والإجابة ... فتساءل أولا – والأسئلة كلها موجهة إلى محمد التابعي من المذكور أعلاه .

تساءل جلالة الزميل !

– هل أنت مسلم ؟

وإني لأشكر لجلالته لأنه بادر بالرد على السؤال بالإيجاب ، فقال – ودائما في مقاله – قال !

– نعم ... لأن اسمك محمد .

وكان السؤال الثاني :

– وهل تؤدي أيها المسلم فرض الصلاة ؟

ومرة أخرى أشكر جلالته لأنه أحسن الظن بهذا المسلم الخاطىء الذي هو أنا وأجاب بالإيجاب فقال ... نعم !

والسؤال الثالث :

– إذن فأنت كمسلم تؤدي فرض الصلاة لابد أنك تردد في ختام صلواتك كل يوم هذه التحية « اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ..... » .

فمن هم آل سيدنا محمد أي هذا التابعي ؟

وتطوع صاحب الجلالة بالجواب على السؤال بالنيابة عن « أي هذا التابعي » فقال :

– آل بيت الرسول هم نحن الهاشميين ! أنا ابن بنت رسول الله !

وانطلق جلالته في سين وجيم ، يعجب ويقلب راحتيه الكريمتين عجبا واستنكارا ، كيف يجوز لمسلم يحيي في صلواته آل سيدنا محمد أن يتطاول على مقام الكرام من آل البيت الكريم !

وجلالته يقصد شخص جلالته الهاشمي الكريم !

* * *

هذا ما يهم القارئ من فحوى المقال ... وأما بقية التفاصيل وما في المقال فلا أحب أن أقف عندها طويلا ؛ احتراما للبيت الهاشمي الكريم !

وكما قلت في صدر المقال أعود فأعلن أن الصحافة ترحب بانضمام الزميل الجليل المقام والقدر ... ولكن الصحافة وهي ترحب ... تفضل أن تتحفظ فلا تبدي الآن رأيا في مقدار نصيبها من الفخر بهذه الزمالة ! وتؤثر أن تترك الحكم على قدر هذا النصيب للتاريخ !

ثم أعترف أن منطق صاحب الجلالة سليم ومحبوك لولا ... .

لولا أنه ما من تحية وما من صلاة ، بل ما من نص في الدين الحنيف يستطيع أن يحمي أي فرد أو أي نفر بالغا ما بلغ مقامه بين آل البيت الشريف إذا هو خرج على اجتماع أمة الإسلام ، أو تنكر لأمة المسلمين ، أو وضع يده سرا في أيدي أعداء الإسلام والمسلمين !

فليكن جلالة الملك عبد الله بن الحسين علما بين آل البيت الهاشمي – وإن جلالته لكذلك ! وليكن البيت الهاشمي الكريم أعلى بيوت المسلمين مقاما – وإنه لكذلك ! ولكن لا هذا ولا ذاك بمستطيع أن يحمي جلالته من نقد المسلمين ومن حساب المسلمين ... بل ومن حساب الدين !

إن آل البيت – وأستغفر ألا يكونوا كذلك – هم الذين يعلون كلمة

الله ، وكلمة الدين ... ويرعون حق الأخوة الإسلامية ، ويحفظون العهد والميثاق !

فهل كان جلالة عبد الله بن الحسين كذلك ؟

لقد اطلع القراء في مصر وفي كل قطر من أقطار العالم العربي لم تمتد فيه يد المصادرة الهاشمية إلى عدد المجلة ! - اطلعوا في عدد « أخبار اليوم » الأخير على وثائق بخط الملك العربي الهاشمي ، والعلم الخفّاق بين آل البيت الكريم !

وثائق دامغة تثبت - ودائما بخط يده ! - أنه بوصفه القائد الأعلى للجيوش العربية في فلسطين كان يفاوض العدو سرا ومن وراء الظهور .

وتهمة كهذه إن ثبتت على أي قائد عام ... ماذا يكون جزاؤه أيها القراء ؟

ولكن القائد العام هنا يحمل لقب صاحب الجلالة ! فلا سلطان لقانون عليه !

وتثبت هذه الوثائق بين ما تثبت :

أولا : أن الملك الهاشمي الأردني اعترف بحكومة إسرائيل وتبادل الخطابات مع رجالها بوصفهم وزراء في دولة مستقلة ذات سيادة !

ثانيا : أنه اشترك في حرب فلسطين ، وليس في نيته ولا في نية الجيش الهاشمي الآخر أن يزحفا على تل أبيب - كما كنا نظن ، وكما دأبت على تذكيرنا صحافة بغداد وعمان وبعض الصحف المخدوعة أو المأجورة في سوريا ولبنان - لأن جلالته كان اتفق مع مندوبي إسرائيل على أن يقف جيشه الأردني وجيش العراق عند حدود القسم الذي أعطاه قرار التقسيم لإسرائيل فلا يتعداه الجيشان .

ومعنى آخر نستخلصه من هذه التهمة الثابتة ، وهو أن الهاشميين دخلوا حرب فلسطين لا لينقذوا فلسطين ... وإنما لينفذوا عمليا قرار التقسيم لفلسطين بين العرب والصهيونيين ، وهو ما سبق أن قلته في مقال سابق ، ثم جاءت هذه الوثائق وأيدته بخط الملك العربي الذي هو من آل البيت الكريم .

ثالثا : أن قضية الملك عبد الله هي نفس قضية إسرائيل ، ذلك لأنه جاء ذكر « القضية المشتركة » في الرسائل المتبادلة بين جلالته ورجال تل أبيب .

رابعا : في الوقت الذي كانت صحافة العرب تكتب عن فظائع الصهيونيين وكيف أنهم كانوا يحرقون القرى العربية ، ويشتتون ويطاردون عرب فلسطين . ويذبحون الشيوخ والأطفال ويبقرون بطون الحبالى من نساء العرب ، كان العلم المفرد بين آل البيت يكتب إلى « عزيزه » مستر شرتوك وزير خارجية إسرائيل ليبلغه اطمئنان جلالته إلى حسن نوايا إسرائيل !

خامسا وسادسا وسابعا :..... .

يطول الحديث لو مشيت أعد وأحصي . ولكن ليس أقلها شأنا على كل حال أن هذه المفاوضات كانت تدور يوم صمد الجيش المصري وحده أمام جموع الصهيونيين ! ووقف الجيشان الهاشميان - جيش الأردن وجيش العراق - وقف الجيشان يتفرجان وينتحلان مختلف الحجج والأعذار لعدم نجدة الجيش المصري الشقيق !

والآن وضح الخفاء ، وعرف العالم العربي لماذا خسرنا فلسطين وقضية فلسطين !

* * *

أما بعد ... سوف تجتمع بعد يومين اثنين وفود الدول العربية حول مائدة اجتماع ما لا يزالون يسمونها « جامعة الدول العربية » .

ترى هل سوف يشهد هذا الاجتماع مندوبو الملك عبد الله بن الحسين ؟ ومعهم مندوبو حكومة العراق ؟

وبأي وجه يلقوننا ويلقون وفود الدول العربية الأخرى ؟

بل وبأي وجه نلقاهم نحن ونبادلهم التحية والسلام ؟

وهل سوف نمضي في جدول الأعمال كأن لم يعكر الجو شائبة ، ولم تطف بالجو رائحة خيانة ومروق !

وهل سوف نتبادل أحاديث الود والإخاء العربي ... وأحاديث العروبة التي يجب أن تعلو على كل خلاف وخصام ؟

وهل سوف نتحدث في خلاف « الأخوة » الذي هو سحابة صيف ؟

وهل سوف نصدر البيانات الرسمية نعلن فيها أن كل شيء على ما يرام ... وأن أغصان الزيتون تتمايل في قاعة الاجتماع ؟

* * *

وهل سوف يدعو سعادة وزير شرق الأردن المفوض - وأنا أعترف لسعادته بالأدب الجم والكياسة ، ولا أحسده على موقفه اليوم ، بل أشفق عليه من كل قلبي - وهل سعادته سوف يعقد مؤتمرا صحفيا يكذب فيه هذه الوثائق ، أو يتهمها بأنها دسيسة صهيونية أو يطعن فيها بالتزوير ؟

وهل ... وهل ... وهل ...

حان الوقت فيما نرى ويرى الناس أن يفيقوا من الحلم الجميل ، حلم

الأخوة العربية ! وأن ننسحب من هذه المهزلة التي نسميها جامعة الدول العربية مادام فيها من آل البيت من لا يتورع عن مفاوضة أعداء رب البيت وأعداء العرب وأعداء الإسلام ! اللهم إلا إذا رأى أهل الرأي ... أن تكمش الجامعة العربية .

* * *

وأخيرا ... نعم اللهم صل وسلم وبارك ألف مرة على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ... ولن يكون منهم ذاك الذي باع دينه وشعبا كريما لليهود !

محمد التابعي

من الذي باع دمشق لليهود ؟

وفي مقال للأستاذ محمد حسنين هيكل في مجلة آخر ساعة في عددها 799 الصادر بتاريخ 1950/2/15 يروي كيف أطلع الملك عبد الله ورجاله اليهود على الخطة دمشق التي وضعها جلوب بغرض اصطياد القوات المحصورة في الفالوجا لولا أن رفضتها القيادة العامة للجيش المصري .

فيقول :

وقد حدث أن أسر أحد الضباط المصريين الذين كانوا يشاركون في عملية التنفيذ ومن القلائل الذين يعرفون سرها ، وذهل الضابط المصري - وهو الصاغ معروف الحضري - لما وجد ضابط المخابرات اليهودي الذي كلف باستجوابه يقول له :

- إننا نعرف كل شيء عن العملية السرية التي تقومون بتحضيرها ونعلم كافة تفاصيلها ، بل نعلم أنكم أطلقتم عليها اسما سريا ليستعمل في الشفرة ، وهو اسم « العملية دمشق » .

وحدث أيضا أثناء مفاوضات رودس لتوقيع الهدنة أن الدكتور بنش فاجأ المفاوضين المصريين مرة بقوله : لماذا لم تنفذوا « العملية دمشق » ؟

وحدث أيضا ما هو أدهى وأمر – أثناء مفاوضات رودس – لقد قال الجنرال يادين – رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلي ، وكان وقتها يرأس وفد إسرائيل في مفاوضات رودس – موجها الحديث للمفاوضين المصريين :

– أليس صحيحا أنه كانت هناك خطة تقضي بكذا ... وكذا ؟

وروي « يادين » بعد ذلك كل تفاصيل « العملية دمشق » .

وكانت فجيعة وفد مصر في هذا الموقف لا توصف .

تعهد من جلوب باشا

وفي أول نوفمبر استدعي من عمان الأمير ألاي سعد الدين صبور بك قائد سلاح الفرسان الملكي المصري – وكان يقيم فيها بوصفه رئيس هيئة المستشارين العسكريين لجلالة ملك شرق الأردن .

وبقي في القاهرة عدة ساعات ثم سافر على الفور إلى عمان .

ومضى يوم ثم تلقت القيادة المصرية العليا في القاهرة منه برقية شفرية تفيد أنه اتصل بالملك عبد الله لمحاولة عمل شيء وأن صاحب الجلالة الهاشمية أحاله على الجنرال جلوب باشا ليبحث معه الموضوع !

وبعد يومين تلقت القيادة العليا في القاهرة رسالة شفوية أخرى من صبور بك هذا نصها :

« بعث إليّ جلوب بالتعهد الكتابي التالي مع الميجور لوكيت :

أتعهد بالذهاب وإخراج لواء الفالوجا بأقل الخسائر الممكنة على شرط أن تصل إليّ موافقتكم في ظرف 12 ساعة - سوف لا يذكر اسمي أو اسم الجيش العربي لأي مخلوق - عزام باشا يعرفني وأنا أعمل هذه العملية بحبي لمصر . انتهى تعهد جلوب .

أرجو سرعة البت في هذا الموضوع الليلة » .

خبير في التدمير

وفي نفس الليلة عاد الأمير ألاي سعد الدين صبور بك فأبرق إلى القاهرة برسالة شفرية يقول فيها بالحرف الواحد :

« يدققون في إرسال المستشار لتنفيذ العملية ، علما بأنه درس الأرض مشيا على الأقدام ، ويعلم المسالك والمخابئ التي لا يمكن إرسالها باللاسلكي - ستسحب القوات ليلا بعد تدمير أسلحتها الثقيلة وستجري عمليات مشاغلة في جهات متعددة - أرجو سرعة البت » .

وبدأت القاهرة تفكر في الخطة جديا .

وشهدت الأيام الثلاثة التالية لهذا خطوات عملية .

انتقل سعد الدين صبور بك من عمان إلى قرية صغيرة اسمها « خربة عوا » قريبة من بيت جبرين .

وبدأ « لوكيت » - الذي أطلق عليه صبور بك في رسالته للقاهرة لقب « المستشار » - يعد العدة ليتسلل إلى قوات الفالوجة ويحمل إليها التفاصيل .

وتسلل « لوكيت » فعلا ومعه ضابط مصري هو الصاغ معروف

الحضري عن طريق خربة الوبدة فالمحجظ فعراق المنشية فالفالوجة !

ولم ينس الميجور لوكيت أن يصحب معه في تسلله جاويشا بريطانيا خبيرا في التدمير ليتولى نسف المدافع الثقيلة المصرية التي لا تستطيع القوة المنسحبة أن تحملها معها .

محاولة انتحار

وفي صباح 20 نوفمبر وصل لوكيت إلى الفالوجة وكان يرتدي سروالا من التيل الكاكي الطويل وقميصا من الصوف ويضع على رأسه عقالا أحمر مُحلًى بشارة الجيش العربي . وجلس لوكيت على صندوق خشبي قديم وأخرج من جيبه علبة النشوق وأخذ يعطس . ثم تحول ببصره إلى مواقع الضرب وأحصى ستة وثلاثين قنبلة سقطت على مواقع الفالوجة في برهة قصيرة ، ثم بدأ يتكلم مع الأمير ألاي السيد طه ويشرح له خطته .

وقال لوكيت – وهذا نص كلامه – « إنه يحمل أوامر من الملك عبد الله ومن صبور بك لسحب قوات الفالوجة إلى الخليل بعد تدمير المدفعية والعتاد الثقيل والعربات على أن يكون انسحاب الجنود بسلاحهم الشخصي وأقصاه مدفع البرن الأوتوماتيكي » .

وأبدى الأمير ألاي السيد طه تشككه في إمكان تنفيذ هذه العملية بهذه البساطة .

وقال لوكيت في إصرار باللغة الإنجليزية :

But we have to risk it ! أي يجب أن نقوم بهذه المخاطرة !

اطرد ذلك السكير

وعلم القائد العام في غزة اللواء أحمد فؤاد صادق بهذه الخطة من

الفالوجة ، فقد أبرق إليه السيد طه يقول إن عنده في الفالوجة الآن الميجور لوكيت وجاويشا بريطانيا اخصائيا في التدمير . ثم روى له الخطة .

وبحثت القيادة العامة في غزة الخطة من كافة نواحيها وكان رأيها يتلخص فيما يلي :

1 – أنه لا يمكن الاطمئنان إلى خطة يضعها جلوب باشا .

2 – أن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تخفى على اليهود مادامت قد أصبحت شائعة إلى هذا الحد في عمان .

3 – أن سحب أربعة آلاف جندي مشيا على الأقدام في مواقع يحتلها اليهود يعرضهم جميعا لخطر الإبادة .

4 – أن نسف المدافع والسيارات سيلفت أنظار اليهود ، ثم إن نسفها وتدميرها خسارة فادحة على الجيش .

5 – أنه لا يمكن الاطمئنان إلى قيمة عمليات « المشاغلة » التي افترض أنها ستشغل اليهود وتلهيهم عن عملية الانسحاب .

6 – أن 45 كيلو مترا مسافة طويلة لجندي منسحب على قدميه تحت وابل من رصاص العدو .

وأخيرا أبرق اللواء أحمد فؤاد صادق باشا إلى الأمير ألاي السيد طه يقول له : « ارفض هذه الخطة ... واطرد ذلك السكير لوكيت من مواقعك ... أي مجد عسكري في مثل هذا العمل ... إنها كارثة محققة ... دافعوا عن مواقعكم لآخر طلقة ولآخر رجل » .

تعهدات في الهواء

وبدأت الخطة « دمشق » تهتز ... ودارت مخابرات ومحادثات ثم وافق

القائد العام اللواء فؤاد صادق عليها بشرطين هامين :

الأول : أن تبدأ الكتائب العراقية والأردنية الثلاث عملياتها وتحتل بيت جبرين .

الثاني : أنه في ذلك الوقت يستطيع القائد العام أن يطمئن إلى جدية المساعدة ، فيصدر أوامره إلى قوات الفالوجة أن تنسحب إلى بيت جبرين مقاتلة .... لا متسللة .

وبذلت عدة مساع لتوفير الضمانات التي يطلبها القائد العام المصري . ثم شاء القدر أن تنكشف الخطة دمشق .

فقد رفض الجيش العراقي أن يقدم الكتيبتين اللتين تعهد بتقديمها لتقوما بمشاغلة العدو ، ثم اعتذر جيش شرق الأردن – الذي يقوده جلوب صاحب الخطة – بأنه لا يستطيع توفير الكتيبة التي تعهد بتقديمها !

وعاد القائد العام مرة أخرى يبرق للسيد طه قائلا :

اطرد ذلك السكير لوكيت من مواقعك .

تفضل من هنا

ويبقى سؤال هام :

من هو « لوكيت » ؟

« كان الميجور لوكيت ضابطا في المخابرات البريطانية ، وخدم فترة في فلسطين ، وكان ياورا للجنرال « ونجت » الذي أشرف على تدريب جيش الهاجاناه اليهودي . ثم نقل « ونجت » إلى بورما ومعه « لوكيت » . وعاد لوكيت وحده بعد الحرب إلى الشرق الأوسط ، وكانت القلاقل قد بدأت

في فلسطين ، فتقدم إلى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة يطلب استخدامه مع قوات المتطوعين .

واستأجرته الجامعة العربية فعلا – مع الأسف – ثم فجأة انتقل ضابطا في صفوف الجيش العربي وأصبح موضع سر جلوب باشا » .

ولقد ثار « لوكيت » لما استدعاه السيد طه إلى قيادته صباح أحد الأيام وأبلغه بأدب أن وجوده في الفالوجة أصبح أمرا غير مرغوب فيه .

اليهود كانوا ينتظرون صيدًا وفيرًا

وخرج « لوكيت » من الفالوجة ، ولكن قصة العملية « دمشق » لم تنته !

وبعد خروج « لوكيت » تسللت وراءه قافلة مصرية مكونة من سبعة عشر شخصا بينهم الضابط معروف الحضري الذي جاء مع لوكيت ، وكان في القافلة عدد من الجرحي رؤي تهريبهم من الطريق السري .

وظهر أن الطريق لم يكن « سريا » – ! – لأن القافلة اكتشفت بعد فوات الأوان أن اليهود كانوا يتربصون بالطريق وينتظرون صيدا أكثر وفرة من قافلة تضم سبعة عشر شخصا . وقتل – لسوء الحظ – عدد من أفراد القافلة ، وهام بعض الجرحى على وجوههم وسقط الصاغ معروف الحضري في الأسر .

وكان أول سؤال وجه إليه : ما هي أخبار الخطة دمشق ؟

ثم ماذا ؟

وفي هذا الأسبوع . قال الكولونيل عبد الله التل الذي كان قائد القدس الأردني . وقت محاولة تنفيذ العملية ، وبالحرف الواحد :

« إن الخطة كانت مبيتة للقضاء على قوات الفالوجة بأكملها ! » .

ثم ماذا يا صاحب الجلالة الهاشمية ؟

هل سمعت الحكمة التي تقول :

اللهم احمني من أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم ؟

هل سمعتها يا صاحب الجلالة ؟

التوقيع

محمد حسنين هيكل

هيكل يواصل فضح الملك عبد الله :

ونشر محمد حسنين هيكل في مجلة آخر ساعة في عددها رقم 804 الصادر بتاريخ 1950/3/23 تحت هذا العنوان :

من شرق الأردن تسربت أسرار الجيش المصري إلى اليهود

تذيع « آخر ساعة » اليوم سرا خطيرا وتطلب التحقيق فيه !

إن صاحب الجلالة الهاشمية لم يكتف بما فعل بل قدم أغلى وأهم أسرار الجيش المصري والجيوش الأخرى التي عرفها جلالته بوصفه قائدا أعلى للجيوش العربية ، ثم بصفته عضوا في الجامعة العربية له جيش مشترك مع الجيش المصري - هكذا كان مفروضا !- في معارك الحرب !!

مؤتمر خطير

والسر الخطير الذي تكشف « آخر ساعه » الستار عنه اليوم بدأ في 13 ديسمبر 1948 أي بعد يومين من اتصال الملك بإلياس ساسون المبعوث اليهودي لمفاوضة جلالته في القدس !

فقد تقرر أن يعقد في ذلك اليوم مؤتمر حربي هام لرؤساء أركان حرب جميع الجيوش العربية ، وبدأ المؤتمر فعلا أولى جلساته بعد ظهر هذا اليوم في مقر رئاسة الجيش بالعباسية بالقاهرة .

وكان المؤتمر تحت رئاسة الفريق عثمان المهدي باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري .

وقد بدأ المؤتمر بكلمة قصيرة من عثمان المهدي باشا قال فيها إنه يرحب بزملائه رؤساء هيئة أركان حرب الجيوش العربية ، ثم قال لهم إنه يشكرهم على الاهتمام بالحضور لوضع خطة عامة للجيوش العربية في الميدان ، ولإنقاذ فرقة الفالوجة بالذات من الحصار .

وانتهى عثمان المهدي باشا من كلمته ، وإذا باللواء صالح صائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش العراقي يقول :

« إننا قبل أن نبحث في هذا كله يتعين علينا أن نعرف أين نحن الآن دون أن يخدع أحدنا زملاءه ... وعلينا أن نصارح رجال السياسة - الذين دفعونا دفعا إلى الحرب - بحقيقة موقفنا ، ولهذا فإني أقترح أن تقدم كل دولة إلى هذا المؤتمر بيانا بما لديها من ذخائر وأسلحة وجنود ومدى تحملها - على هذا الأساس - للهجوم والدفاع .

أسرار خطيرة

واستمرت المناقشات - ومن سوء الحظ - أن اللواء صائب استطاع أن يدفع المؤتمر في هذا الطريق ، فسار فيه ، وكان ذلك هو التمهيد للكارثة .

وفي جلسة تالية للمؤتمر تقدمت كل دولة من الدول العربية ببيان ما لديها .

وقد قالت لبنان مثلا – بغير تفصيلات كثيرة خطيرة – إن مالديها يكفيها لتقف ضد اليهود خمسة أيام في الهجوم وثلاثة أيام في الدفاع !

وقالت سوريا مثلا إنها تستطيع أن تقف في الدفاع سبعة أيام ، فإذا كان عليها أن تهاجم فما لديها لا يسمح لها بأن تستمر في الهجوم أكثر من خمسة أيام .

وقالت العراق إنها تستطيع أن تهاجم عشرة أيام وأن تدافع أسبوعين .

وأخيرا جاء دور مصر .

وقدمت مصر كشفا أمينا بالأسلحة والذخائر ومواقع الجنود في ذلك الوقت ، ولم يكن هناك بالطبع نسبة بين حالها وحال باقي الدول العربية ، وليس هذا هو المهم على أية حال .

ولكن الشيء العجيب الذي لم يحدث مثله في تاريخ أي مؤتمر حربي أن الكلام الذي قيل فيه ، والوثائق التي قدمت جمعت كلها في محضر واحد كتب بطريقة « الاستنسل » وطبع منه عدد من النسخ يوازي عدد الحاضرين من القواد المشتركين في المؤتمر ، وهكذا أخذ كل منهم نسخة ومضى في طريقه بعد انفضاض المؤتمر !

والحقيقة المروعة التي ثبتت بعد ذلك أن المفوضية العراقية في القاهرة أخذت نسخة من التقرير الذي أخذه القائد العراقي المشترك في المؤتمر ، وأعادت طبع عدة نسخ منه وزعت – كأنها منشورات ! ثم وزعته على بعض الضباط العراقيين الذين لم يشتركوا في المؤتمر .

والأخطر من هذا – وهنا تجيء مسئولية صاحب الجلالة الهاشمية ! – أنه ثبت أن نسخة التقرير السري الخطير التي وصلت إلى جيش شرق

الأردن قد وصلت إلى جلوب باشا العتيد ... ومنه انتقلت إلى يد الكولونيل جولدي الضابط الإنجليزي الذي كان قائدا عاما للمنطقة المحيطة بالقدس .

إنجليزي يهودي

ولقد ظهر أن الكولونيل جولدي إنجليزي يهودي !

وظهر أيضا أن التقرير السري الخطير – أو أهم ما فيه – قد تسرب من يد الكولونيل جولدي إلى يد الكولونيل موسى دايان قائد القدس اليهودي !

ولقد تأكد بعد ذلك أن أهم ما في تقرير رؤساء أركان حرب الدول العربية قد تسرب إلى يد العدو ، وتأيد ذلك بحركات اليهود في الميدان ، فقد بدأت خططهم تتشكل وفقا للحقائق الواردة فيه .

ولقد اكتشفت القيادة المصرية العليا في فلسطين أن شيئا ما قد حدث ، فبادرت على الفور بتغيير المراكز وأحدثت حركات سريعة غيرت الوضع ، ولولا هذا لكانت الكارثة فادحة لا تعوض .

قبل الضمان الجماعي !

وبعد .... ليس من مصلحة مصر .

ولا من مصلحة أية دولة عربية .

ولا من مصلحة الجامعة العربية التي سيجتمع مجلسها بعد يومين أن تبحث مشروعا للضمان الجماعي ، وأن تجلس حول مائدة واحدة تتلمس خير الوسائل لتأمين سلامتها ، إذا كان هناك بين الجالسين حول المائدة ... من يفشي أسرارها للعدو ؟!!

محمد حسنين هيكل

المؤتمر الصحفي لعبد الله التل :

كانت فضيحة الملك عبد الله والأسرة الهاشمية كبيرة في غضون عام 1950 فقد كثرت المقالات لكبار الكتاب كما رينا الأمر الذي دعا الملك في بعض الأحيان بالرد على هؤلاء الكتاب كما حدث مع الأستاذ محمد التابعي . وكأنما أراد الله للملك أن يتجرع غصص الفضيحة ومرارتها ، وكان ذلك قبل مقتله بأكثر قليلا من عام تقريبا .

وقد عقد الكولونيل عبد الله التل مؤتمرا صحفيا في القاهرة يوم 1950/1/27 حضره عدد كبير من الصحفيين ومندوبي وكالات الأنباء .

وكان عبد الله التل قد هرب من الأردن في تفاصيل طويلة مثيرة فيقول في مذكراته :

« وفي ليلة 1949/10/4 استطعت إيصال أوراقي السرية الهامة إلى دمشق وأوراقي أعز علي من نفسي . وفي اليوم التالي 1949/10/5 اجتزت الحدود الأردنية بطريقي إلى دمشق بعد أن أخفيت نبأ هجرتي على أهلي وعشيرتي . ويؤسفني ألا أستطيع الكشف عن خطة اجتيازي الحدود ، وأسماء الذين ساعدوني على تنفيذ تلك الخطة .

وفي دمشق التقيت بالزعيم الأردني المجاهد الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة ، وأطلعته على قراري فشجعني وبارك خطوتي ، وهو الذي جرّب بنفسه أساليب الإنجليز وعبيدهم في الأردن ، وكان أول من رفع لواء المعارضة في الأردن قبل أكثر من ثلاثين عاما ، ولم يطق العيش تحت حكم الإنجليز وعبيدهم يوما واحدا ، فعاش في دمشق هذه السنين الطوال يعمل من أجل تحرير وطنه الأول الأردن .

وفي يوم الاثنين 1949/10/10 سافرت بالطائرة إلى القاهرة ومعي والدتي وزوجتي وشقيقي محمد زكي وزوجته . وفي مطار ألماظة قابلني اليوزباشي

أحمد سالم البدن وسهل إتمام معاملة الجوازات ، وأنقذني من موظف الجمرك الذي أراد الإطلاع على ما في حقيبتي من أوراق سرية ومذكرات . واعتبرتني السلطات المصرية لاجئا سياسيا »[1] .

وقد سلم عبد الله التل إلى الصحفيين بيانا نشرته جريدة الأهرام في عددها الصادر في 1950/1/28 يقول فيه :

« أريد قبل كل شيء أن أقول : إنني لم أختلف مع السلطات الأردنية على مسائل شخصية بسيطة ، بل اختلفنا على مسائل هامة وخطيرة تتعلق بالوضع الحالي في الأردن . وفي اللحظة التي تتغير فيها الأوضاع في عمان ويتحرر الشعب الأردني من قيود الظلم التي يرسف فيها فإنني سأعود جنديا في خدمة ذلك الجزء من الوطن العربي الكبير » .

أعطوا قليلا وأخذوا كثيرا

ولعلكم تريدون إيضاحا لما قلت ، وخاصة عن الأوضاع التي وجدت أنها لا تطاق ولا تحتمل صبرا .

وخلاصة رأيي في ذلك هو أن الإنجليز في الأردن قد أعطوا أكثر مما منحتهم إياه معاهدة « جلوب - كير كبريد » .

فقد نصت تلك المعاهدة وملحقاتها العسكرية على أن يكون الضباط الإنجليز في الجيش العربي بعثة فنية للتدريب ، وليسوا قادة مسئولين عن كل صغيرة وكبيرة كما هو الواقع الآن .

---

(1) مذكرات التل ص 598 .

وتنص المعاهدة على تأليف لجنة الدفاع المشترك من ضباط الجيش العربي وضباط الجيش البريطاني ، ولكن هذه اللجنة ألفت من جلوب باشا عن العرب وجلوب باشا عن الإنجليز .

وقد أدى هذا الكرم العربي إلى خلق مسائل عديدة كان لها الأثر الفعال في خسران قضية فلسطين وزعزعة مركز العرب في العالم .

مسئولية الحكومة

وثمة وضع ينفرد به شرق الأردن عن سائر بلاد العالم التي تسير بحسب ما يسمونه الدستور فدستور عمان ينص على أن الحكومة ليست مسئولة أمام البرلمان ، ولهذا لم يكن من حق البرلمان أن يحاسب الحكومة على سياستها وبخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين ، وترك الأمر لحكومة لم تجرؤ على توجيه سؤال واحد لقائد الجيش العربي أو تحاسبه على نتائج حرب فلسطين .

وعلى العكس من ذلك فقد أصبح جلوب باشا الآن بطلا منقذا للقسم الباقي من فلسطين في يد الجيش العربي . فهو يتجول كل يوم بفلسطين العربية ويجتمع بالوجوه والأعيان حاثا إياهم على التمسك بما بقي لهم وكأنه لم يقيد الجيش العربي لتنفيذ الخطة التي رسمت في لندن لتنفذ في عمان .

لا نطيق خلفاء لورنس

وفي الوقت الذي يئن فيه عرب فلسطين من هول الفاجعة نجد جلوب باشا يحشد في القسم العربي عددا من الضباط الإنجليز بلباس الجيش العربي يفوق عددهم أيام الانتداب . ولم يعد العرب يطيقون رؤية خلفاء لورانس أمثال كلايتون وجلوب وسترلينج ؟ لماذا يترك الإنجليز جلوب باشا في الأردن إلى يومنا هذا بعد أن أدى مهمته السرية على أحسن وجه ؟؟ وهل

تتصور السلطات الأردنية أن يقبل الشعب الأردني والفلسطيني دوام هذه الحال ثمانية عشر عاما أخرى كما نصت المعاهدة ؟

واجب الجامعة العربية

لهذا كله أردد هنا صوت الأردن المكبوت هناك حيث لا حرية قول أو كتابة أو حركة ليسمع ندائي المسئولون عن جامعة الدول العربية الذين سيجتمعون قريبا ، وإنني أرجوهم وأناشدهم أن يعملوا بحرية وصراحة على إرغام السلطات الأردنية للتوصل إلى فعل ما يأتي :

1 – تطبيق المعاهدة الأردنية الإنجليزية أولا ثم تعديلها ثانيا .

2 – حل مشكلة الجيش العربي وتأمين تكاليفه حتى يحتفظ العرب بالبقية الباقية من كرامتهم ، ولتطمئن الدول العربية إلى أن هذا الجيش قد أصبح عربيا بالمعنى الصحيح ، وليس خنجرا في ظهر كل دولة عربية .

3 – تعديل الدستور الأردني العجيب ليلائم تطور الزمن وبخاصة أننا أصبحنا نجاور إسرائيل التي تسير بسرعة النفاثة بينما نسير نحن بسرعة الجمل .

وهذه الاقتراحات سهلة التنفيذ ، وتنفيذها يحقق بعض رغبات الشعوب العربية .

الأردن ثغرة خطرة تهدد كيان العرب !

هذا هو رأيي أنادي به وأطلب بحثه مثل بحث أي موضوع يتعلق باليهود ، لأني واثق من أن بقاء الوضع الأساسي في الأردن على حالته الراهنة يجعل من تلك البلاد ثغرة خطرة تهدد كيان الأمة العربية بأسرها ، ولنا

من الماضي القريب في ثورات فلسطين التحريرية وحرب العراق مع الإنجليز وحرب فلسطين ما يكفي لدفع جامعة الدول العربية إلى معالجة هذه المشكلة الخطيرة .

ومن العبث أن تظل سياسة الجامعة العربية بعيدة عن بحث أوضاع كل دولة عربية ومعالجتها بداعي أنها لا تتدخل في الشئون الداخلية لتلك الدول ، وفيم تتدخل الجامعة إذن ؟ .

انتهى بيان عبد الله التل

* * *

وواضح أن ظاهرة عبد الله التل تمثل الشباب الوطني الذي يأنف من الخيانة والتخاذل وضرب مصالح العرب لحساب اليهود أو الإنجليز ، وهو ينحى باللائمة على الملك عبد الله فهو كل شيء في الأردن ، والحكومة مسئولة أمامه وليس أمام البرلمان . والبرلمان كما رأينا من قبل عشرون عضوا أغلبهم لا يقرءون أو يكتبون وإنما هم من شيوخ العشائر آفاقهم ضيقة لا تتعدى العشيرة وما يصلح أحوال أفرادها من تأجير أرض أو بيعها كما رأينا ، أو قرض من بنك يماطلون في دفعه حتى تتغير الظروف أو يأذن الله بأمر آخر .

ولكن أن يظهر في القاهرة ، ثم يستدعي الصحفيين لمؤتمر صحفي عالمي ويقول فيه ما قال ويكشف عورة الملك حيث تبرق الوكالات بما سمع مندوبوها ، لاشك أنه قد أصاب الملك عبد الله بطعنة نجلاء ، وكان لما فعل دور في قتل الملك بعد ذلك ، ولهذا لم يكن من الغريب أن يحكم عليه بالإعدام في تلك القضية . ولكنه كان في القاهرة بعيدا عن البطش والتنكيل .

ولهذا فإننا نرى ضرورة لفضح وكشف الظالمين والمستبدين وهو واجب ديني وقومي وعلى الأخص أولئك الذين لهم من الجرائم ما تنوء الجبال عن حمله مثل صدام حسين والملك حسين حفيد الملك عبد الله .

ولعل ما نقرؤه في تاريخ الجد يفسر تصرفات الحفيد ، فهي سلسلة من الخيانة انقطعت لفترة أقل من عامين في حكم طلال الذي أشاعوا عنه الجنون وانتهت حياته في المصحات العقلية والنفسية ، وكان الحسين بن طلال هو النموذج الفريد للحاكم الذي يحقق مصالح غير العرب والمسلمين ، فقد رضع هذه الأشياء صغيرة في الشونة عندما كان يرى اليهود يجتمعون بجده وربما توددوا إليه في غدوهم ورواحهم بهدية أو دينار للغلام الصغير الذي ربما يكون ملكا في أيام قادمة .

فإن أكبر الخبرات التي تعلمها الغرب واليهود هي كيفية صناعة الحاكم العربي الذي يحرص على مصالح من صنعوه ، ويعمل جاهدا من أجل تحقيقها بشكل يحسدونه عليه ، ولا يستطيعون أن يجاروه فيما يعمل لصالحهم .

وكانت نظرة عبد الله التل ترجع إلى المفاهيم السائدة في منتصف القرن العشرين عن الإنجليز والاستعمار ، ودور هذا في تسيير السياسة في بلد مثل الأردن ومع حاكم مثل عبد الله بن الحسين ، ويبدو أن فكرة الإشراف الكامل الدقيق على الحكام وإبداء الرأي في كل صغيرة وكبيرة من تصرفاتهم ليست بالنظرية الصائبة ، وإنما هي مصالح يراها الحاكم الضعيف في الارتباط بقطب يراه قويا ويمكنه من أشياء كثيرة أهمها وجوده كحاكم ، وهو يعرف ما ينبغي عليه فعله دون إملاء أو إصدار أوامر .

ولست أشك في أن الملك عبد الله بن الحسين كان يكره الإنجليز كراهية عمياء ، ولكنها كراهية العبد للسيد المستبد شديد الطغيان ، وهو يفعل ما يرضيه لأنه يخافه ويمقته في الوقت نفسه .

وكانت أحلام الملك عبد الله أن يحكم سوريا والعراق والحجاز ، وهو يتحسس هذا الحلم الغامض بين إرضاء الإنجليز وطاعتهم لأنهم أصحاب العالم والمتحكمون في أموره كلها ، فقد نشأ وأبوه على طاعتهم وفعل ما يحبون ، وقد رأى كيف جعلوا منه ملكا ومن أخيه كذلك ، ومن قبل كان أبوهم على الحجاز ، ولولا أنه طعن في السن واختلطت عليه الأمور لكان له شأن آخر . أو هكذا يظن عبد الله الملك .

وكان الملك عبد الله يستطيع أن ينحو نحوا آخر مختلفا عما فعل . فلو تماسك وأبدى قوة ولم ينفذ مخططات الإنجليز وطلبات اليهود لربما اختلف شكل التاريخ في المنطقة . فقد كان يمكن لقوات المتطوعين الذين ذهبوا إلى حرب اليهود قبل إعلان الحرب الرسمية في 1948/5/15 أن تأتي بنتيجة مختلفة عن تلك التي حدثت .

فيمكن الضغط على الحكومات من أجل إعلان الهدنة ، ولكن يستحيل فرض هذا على جموع من المتطوعين ، وكانوا في ذلك الوقت أقدر على منع الدولة اليهودية من الظهور ، وكانت وجهة النظر العربية هي التي تأخذ مكانها ، لو شعر الملك عبد الله أنه على استعداد للتضحية بالعرش في سبيل المصالح العربية ، وكان هذا ما يمليه عليه واجبه كمسلم لو كان حقا ينتمي إلى البيت الكريم .

وأغلب الظن أن جلوب باشا كان ينفذ سياسة الملك عبد الله وليس سياسة الإنجليز ، وربما كان يقوم بشرح ما غمض على الملك من التوجه الإنجليزي ، ولكنه في النهاية يأتمر بأمر الملك الذي في حقيقته يستجيب لكل مطالب اليهود وليس الإنجليز .

وقد ادعى جلوب باشا في مذكراته أنه عندما ذهب في إجازة إلى لندن بعد انتهاء حرب فلسطين ، قابله في المطار أحد رجال المخابرات الإنجليزية وطلب منه أن ينزل في الفندق باسم مستعار ، وأن ينتبه لعصابات الإرهاب اليهودية ، ولكنه في نهاية المذكرات يشرح كيف أن معاشه كان يعتمد على إلقاء المحاضرات في الجامعات الأمريكية ، وذلك بعد أن خرج مطرودا من الأردن في حركة درامية من الملك حسين عام 1957 والمعروف أن أحدا لا يمكن من إلقاء المحاضرات في الجامعات الأمريكية بشكل يكفل له معاشه وحياته إلا إذا كان ذلك عن رضا وموافقة من اليهود هذا بشكل عام ، وفي ذلك الزمن الذي ذهب فيه جلوب ليحاضر بشكل خاص .

* * *

عبد الله التل يجيب على أسئلة الصحفيين :

بعد انتهاء التل من تلاوة البيان الذي أشرنا إليه آنفا بدأت الأسئلة توجه إليه .

وكان سؤال حول إذا ما كان قد اختلف في الخطة العسكرية مع الضباط الإنجليز ؟

وأجاب :

كنا على خلاف تام منذ اللحظة الأولى لدخول حرب فلسطين ، فقد تركت بقوة صغيرة أدت أعمالا أقرب إلى المعجزة ، ولم تساعدني القيادة العليا في شيء ، لأن السياسة الإنجليزية المرسومة كانت ألا نهاجم القدس والجامعة العبرية .

وسأله سائل :

لماذا لم تقدم استقالتك مادمت وهم على طرفي نقيض منذ البداية ؟

وأجاب :

ظهر الخلاف منذ أول يوم ، وكنت أهاجم الإنجليز في الصحف ، وأتهمهم بالمؤامرة على تسليم اللد والرملة ويافا وحيفا . ولقد كنت أقدم استقالات كثيرة في فترات متقطعة ولكنها لم تقبل . ولقد أجمع شباب فلسطين على ألا أنسحب من الميدان في هذه الفترة الخطيرة ، لأن انسحابي لن يجدي شيئا ، بل كان من المؤكد أن القدس ستذهب كلها إذا ما انسحبت أو تمردت . ولقد كانت الإعانة الإنجليزية ثمنا لمواقع استراتيجية ، وليست ثمنا لتسليم القيادة للإنجليز ، وجعل الجيش العربي فرقة تابعة للجيش البريطاني . وأذكر أن الجامعة العربية تعهدت بمصروفات الجيش العربي إذا ما تخلت السلطات الأردنية عن الضباط الإنجليز ، ولكن هذه رفضت !

وسئل : لقد قيل إنكم طلبتم – في أثناء نشوب القتال مع الجيش المصري – إلى الجيش الأردني مساعدة جيش مصر ، ولكنه رفض . فهل هم الإنجليز الذين رفضوا ؟

وأجاب :

عندما تعلمون أن الإنجليز منعوا الجيش العربي من إطلاق رصاصة واحدة في مواقعه على خليج العقبة ، وسحبوا القوات من النقب الجنوبي الذي كان يوصل الأردن بمصر فلن تستغربوا لماذا أو كيف منع الإنجليز الجيش العربي من مساعدة الجيش المصري .

وسئل :

هل حقيقة ما قيل إن هناك اتصالا تليفونيا بينك وبين اليهود ؟

وأجاب :

نعم . يوجد تليفون بين القيادة اليهودية والقيادة الأردنية تحت رقابة مراقبي هيئة الأمم ، بل وبإيعاز منها ، وذلك من أجل فض المشاكل التي كانت ولا تزال تقع بالعشرات يوميا في القدس . ومثل هذه الاتصالات التليفونية تجري يوميا بين القوات اليهودية والقوات العربية في جميع مناطق فلسطين . وإن لم يتم هذا الاتصال بالهاتف فإنه يتم بالمقابلة .

وسئل :

ما رأيك فيما يقوله الملك عبد الله عن الطريقة التي يقاوم بها جلالته جلوب باشا وأن الإنجليز هم الذين يمونون الجيش العربي ؟

وأجاب :

إن الإعانة البريطانية هي مقابل المواقع الاستراتيجية ، وليست ثمنا لتسليم القيادة للإنجليز ، وجعل الجيش العربي فرقة تابعة للقيادة البريطانية .

وسئل :

بماذا تعلل موقف بريطانيا من ميناء العقبة عند إرسالها قواتها للدفاع عنها ، وعن موقفها من رغبتها في رفض مساعدة الجيش الأردني لجيش مصر ؟

وأجاب :

إن مصلحة بريطانيا في ميناء العقبة تحتم عليها اتخاذ موقفها من إرسال جنودها للدفاع عنها .

وسئل :

ما رأيك في قضية القدس وتدويلها ؟

وأجاب :

إني أفضل تدويل القدس تدويلا كاملا ، وإن كان الحل العادل يحتم أن تصبح كلها عربية ، ولكن نظرا إلى أن السياسة الدولية حالت دون ذلك ، فإن التدويل أهون بكثير من الوضع الحالي .

وسئل :

هل في إمكان الجيش العربي الاستيلاء على القدس كلها ؟

وأجاب :

نعم لو كانت القيادة في أيدي العرب .

* * *

أحدثت الحملة الإعلامية التي نشبت فجأة أسوأ الأثر على موقف الملك وسمعته في العالم العربي أجمع ، وزاد مؤتمر عبد الله التل الصحفي من سوء الموقف وكثرت الأخبار والقصص عن خيانة الملك لقضايا العرب . وزاد التذمر والضيق بين الشباب الفلسطيني والأردني ، وهناك من ترك الوظيفة الحكومية بالأردن من كبار الموظفين . فقد أذاعت وكالة الأسوشيتدبرس عن مراسلها في القاهرة في 26 مارس 1950 أن السيد محمد فهمي هاشم الوزير الأردني لدى المملكة العربية السعودية قد التجأ إلى مصر احتجاجا على المفاوضات السرية التي تجري بين الملك عبد الله وإسرائيل . ثم أضافت أنه قد ترك منصبه لغير إذن من الملك عبد الله وجاء إلى القاهرة طالبا حمايتها ، وأنه قد بعث إلى الملك برسالة قال له فيها : إنه لن يعود إلى عمان طالما استمرت الحالة في الأردن على ما هي عليه .

ومضى يقول : إنه ترك منصبه بسبب المفاوضات الجارية مع اليهود التي علم بأنبائها عن الطريق الدبلوماسي وما نشر في الصحف .

ثم قال : إن قضية فلسطين يجب أن تحملها الدول العربية مجتمعة ، وإن الملك عبد الله ليس من حقه أن يتصرف في وضع حل أو محاولة الاتفاق مع إسرائيل بمفرده .

هذا إلى أن جميع ما ذكره الكولونيل عبد الله التل - عن شرق الأردن ، وعن الدور الذي لعبه الملك عبد الله في فلسطين - حقائق لا سبيل إلى إنكارها . كما أن ما نشرته إحدى الصحف المصرية على لسانه يعد دليلا على أن الملك عبد الله كان يتآمر مع اليهود في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تروي بدمائها أرض فلسطين .

ثم إن الملك عبد الله يحاول ضم فلسطين لبلاده في حين أن مصير فلسطين يجب أن يقرره الفلسطينيون أنفسهم .

الملك عبد الله غارق في التآمر ضد العرب :

واستمرت حملة التشهير بالملك وكانت عنيفة وتعتمد على حقائق يعرفها من تناولها وهي من الكثرة بحيث يصعب تكذيبها ، وقد رأينا أن الوزير المفوض الأردني في مصر كان يسارع بعقد مؤتمر صحفي للرد على أية مزاعم تثار ضد حكومته ، وكان ذلك قبل حرب فلسطين ، ولكن إذا بنا نجده يلزم الصمت حيال السيل الجارف من مقالات كبار الصحفيين المصريين ودعوتهم إياه بالرد أو التكذيب والنفي بلا فائدة ، فقد كان من الصعب تكذيب حقائق يعرفها جمع من الدبلوماسيين والعسكريين ، وكتبت بشأنها وثائق منشورة ثم صارت مشهورة . وكان الوزير المفوض الأردني في مصر يكتفي بالقول بأنه ليست لديه أية معلومات من حكومته حول قصة اتصالها باليهود أو التفاوض معهم .

وهو مازاد من أوار الحملة وسعارها فالحكومة الأردنية تعترف بهذه

الاتصالات مع اليهود من خلال صمت مندوبها في القاهرة وامتناعه عن الرد . وكل ما استطاعه الملك عبد الله أن يكتب بعض المقالات الركيكة التي لا تتناول صلب الموضوع ولكنه يخرج بالكلام إلى دوائر لا معنى لها حول صلته بالنبي ﷺ ، وضرورة احترام آل البيت مهما أتوا من أفعال ، وكأنه يجنح بكلامه إلى رأي الشيعة الذي يقول بعصمة الأئمة من آل محمد .

وقد خرجت جريدة « المصري » القاهرية الواسعة الانتشار في ذلك الزمن ، وفي عددها الصادر في 1950/3/24 بعناوين مثيرة في صدر صفحتها الأولى :

مؤامرة بريطانيا والملك عبد الله
ونوري السعيد
لعقد اتفاقيات مع اليهود والقضاء
على الجامعة العربية

ونقلا عن مراسلنا « المصري » في باريس :

قابلت سياسيا عربيا كبيرا حضر حديثا من لندن ، وكان من الطبيعي أن نتحدث عن القضايا العربية وما يشغل دول الجامعة في هذه الأيام . وأبرز ما فيها الاتفاقية الأخيرة التي وقعت بين شرق الأردن وإسرائيل ، وما دار حولها من نفي وتثبيت ، فأظهر السياسي العربي الكبير أسفه الشديد لحالة العرب الحاضرة ، ولما يحاك حولهم من مؤامرات ودسائس وقال لي : إن الذي يؤسف له كثيرا أن تحاك هذه المؤامرات والدسائس بواسطة رجال عرب يتمتعون بمراكز كبيرة في البلاد العربية ، وأطلعني على معلومات في غاية الخطورة ، يتبين منها أن قضية الاتفاق الأردني – الإسرائيلي ليست

قضية محلية بين شرق الأردن وإسرائيل ، بل إنها أبعد من ذلك بكثير ، وإنها ستكون الثغرة التي تصيب بناء العرب ووحدتهم في قضايا أخرى لا تقل خطورة عنها .

ثم قال المتحدث :

يظن البعض أن اتفاق جلالة الملك عبد الله مع إسرائيل هو اتفاق شخصي قام به جلالته منفردا ، مع أن الواقع غير ذلك تماما ، فهناك مقدمات حدثت لها علاقة كبرى بهذه النتيجة المؤلمة . وهذه المقدمات تتعلق بالسياسة العراقية ، والقصد منها وضع العراق أمام الأمر الواقع لتستطيع الجهة الدولية التي ضغطت على الملك عبد الله أن تضغط على العراق أيضا تحقيقا لما تبيته ، وتأمينا لمصالحها في تلك البلاد .

ولذلك تراني مضطرا للرجوع إلى الوراء لتوضيح مدى هذه العلاقة وكيفية تنفيذها :

نوري السعيد

فقد أوصي من لندن إلى نوري السعيد بضرورة إسقاط الوزارة العراقية السابقة التي كان يرأسها فخامة علي جودت الأيوبي بأي ثمن كان ، والعمل على تأليف وزارة تكون لنوري السعيد عليها سيطرة تامة لكي تأتمر بأمره وتنفذ مشيئته – ومشيئة نوري السعيد معناها مشيئة من وراءه .

ولتنفيذ هذه الخطة قام نوري السعيد « بلعبته المعروفة بواسطة أتباعه في المجلس النيابي العراقي ، وبما له من نفوذ لدى المقامات العليا لإجبار الحكومة السابقة على الاستقالة والإتيان بحكومة يسيطر عليها سيطرة تامة .

والغرض من تأليف حكومة من هذا النوع هو منع عرقلة المشاريع التي « تطبخ » في لندن وترسل إلى بغداد وعمان لتنفيذها .

مشروعات خطيرة

ومن المعلوم أن وزارة فخامة الأيوبي إلى جانب معارضتها لنوري السعيد ونياته المعروفة كانت تعارض بشدة أيضا أهواء الملك عبد الله ومشاريعه التي منها الاتفاق مع إسرائيل ، مع ما يتبع ذلك من قضاء على الجامعة العربية ، وضم القسم العربي من فلسطين إلى مملكته ، وسحب الاعتراف عن حكومة عموم فلسطين ، والخروج من الجامعة العربية إن أمكن .

صلة العراق بإسرائيل

والاتفاق مع إسرائيل ليست علاقته بعمان فقط ، بل له علاقة مباشرة مع العراق كما سيتبين مما يلي :

صراحة الباجه جي

وقد كان فخامة الباجه جي صريحا جدا وقاسيا جدا مع جلالة الملك عبد الله عند زيارة جلالته الأخيرة لبغداد أثناء قيام الحكومة السابقة ، وقد عمل فخامة الباجه جي كثيرا لإحباط خطط الملك عبد الله وعدم الموافقة عليها ، وكان من نتيجة ذلك أن غادر جلالته بغداد غاضبا حانقا .

وعلى أثر عودة الملك عبد الله إلى مركز عاصمته في شرق الأردن ابتدأ نوري السعيد بتطبيق البرنامج الموضوع لزحزحة الحكومة الأيوبية ، وحمل عليها حملة شعواء ، وبنوع خاص على فخامة الباجه جي ، حتى اضطرت هذه الحكومة إلى الاستقالة .

ولم تكد الحكومة العراقية الحاضرة تتسلم الحكم حتى بدأت بملاطفة جلالة الملك عبد الله ، مما دعا جلالته إلى الإنعام بالباشوية على رئيسها فخامة توفيق السويدي .

وتابعت الشخصية العربية حديثها فقالت :

يبدو أن سفر نوري السعيد مباشرة إلى لندن بعد إسقاط الوزارة الأيوبية وتشكيل الحكومة الجديدة لم يكن كما زعم بخصوص معامل النسيج العراقية التي يساهم فيها ، إنما كان ذهابه إلى لندن أشبه بالاستدعاء من قبل المسئولين فيها لإطلاعه على الخطط المرسومة ، والاتفاق على كيفية التنفيذ .

من نتائج الرحلة

وبالفعل بعد سفر نوري السعيد إلى لندن ورجوعه منها ظهرت نتائج مفاوضات الملك عبد الله مع إسرائيل والاتفاق بينهما . والحكومة العراقية الحالية لم تعترض على اتفاق الأردن وإسرائيل ، ولم تحرك ساكنا حتى الآن في مثل هذا الموضوع الخطير . وسوف تكشف الأيام القادمة الكثير من الحقائق المؤلمة أمام الرأي العام العربي .

الملك يهرب البضائع إلى اليهود !

واستمرت الحملة الصحفية تتناول أغلب ما يدور بين الملك وبين اليهود ، وكيف أن المحاصرة العربية الاقتصادية لإسرائيل تحقق نوعا من الضيق والاختناق ، وكيف أن الملك ورجاله لم يمتنعوا عن تهريب البضائع لإسرائيل ، وكيف أن الحكومة البريطانية نصحت الملك عبد الله بالتخفيف من ذلك النشاط حرصا على سمعته ومكانته بين العرب ، وأنه يعطي فرصة للإعلام العربي لكشفه وليس هذا في صالحه بالمرة .

وقد تناولت هذه الأمور صحف مختلفة منها صحيفة الفجر الرسمية في

باكستان بالإضافة إلى الصحف الأوروبية ، والصحف المصرية على اختلاف توجهاتها ، ونشرت جريدة « أخبار اليوم » القاهرية بتاريخ **1949/6/4** تحت عنوان :

لندن تتهم شرق الأردن بتهريب بضائع اليهود .

لندن – من زغلول السيد :

علمت أن تقارير سرية قد وصلت إلى هنا من الشرق الأوسط تقول : إن السوق السوداء قد نشطت بشكل واسع النطاق بين العرب في شرق الأردن ويهود إسرائيل وبلغ نشاط هذه السوق درجة مخيفة كما وصفتها التقارير .

وقد علمت أن الحكومة البريطانية نصحت حكومة شرق الأردن والملك بتحقيق هذه المسألة الخطيرة حفظا على السمعة .

ومعظم هذه المواد التي يبيعها العرب لليهود من المواد التي تشرف حكومة إسرائيل على بيعها داخل البلاد .

ويقول تقرير آخر : إن الدولارات أهم ما يتاجر به عرب شرق الأردن في هذه السوق السوداء .

ونشرت جريدة الأساس المصرية :

لندن في 26 مارس 1950 – لمراسل الأساس :

أكدت بعض التقارير التي وردت إلى لندن من تل أبيب أن شرق الأردن صدرت إلى إسرائيل خلال شهر فبراير المنصرم بضائع ومنتجات في حدود 750 ألف جنيه . وغالبية البضائع هي مهربات تسربت من العراق وسوريا إلى إسرائيل عن طريق شرق الأردن : وقد نقلت عبر أراضيها بموافقة السلطات .

الهاشميون يهربون الحشيش إلى مصر!

وتحت عنوان « معظم الحشيش يرد عن طريق شرق الأردن » نشرت جريدة المصري القاهرية بتاريخ 1950/3/30 لمراسلها في الإسكندرية ما يلي :

إن التقارير تقول : إن مهربي المخدرات - وخاصة الحشيش - أخذوا ينشطون في هذا الموسم بسبب اعتدال الجو . وبالرغم من أن الحشيش يزرع في سوريا ولبنان وجبل الدروز إلا أن المصدر الأكبر للحشيش الوارد إلى مصر هو شرق الأردن ، لأن كثيرين من رجال شرق الأردن يعتمدون اعتمادا كليا في ثرواتهم ومظاهرهم على ما يربحون من عملية استيراد الحشيش من مراكز إنتاجه ثم تهريبه إلى مصر عن طريقين :

الطريق الأول : السيارات الأردنية التي تعتبر بحكم طبيعة صاحب الشأن فيها غير خاضعة للتفتيش الجمركي أو حرس الحدود . وقد نشر « المصري » أخيرا صورة السيارة الأردنية التي ضبطت على الحدود السورية وبها حشيش مع شريف أردني من أقارب الملك ، وكانت السيارة تحمل لوحة البلاط الملكي الهاشمي ، وسبق أن ضبطت السلطات المصرية سيارة أخرى وبها شريف آخر ، ومعه كمية كبيرة من الحشيش في منطقة القنال ، غير أن اعتبارات الود والمجاملة التي تحرص مصر عليها جعلت السلطات تغض النظر عن ذلك الحادث .

أما الوسيلة الثانية فعن طريق العقبة . إذ تشحن المخدرات في مراكب صيد أو مراكب شراعية من الشاطئ الأردني ، وتنزلها على الشاطئ المصري من خليج السويس ، ومن ثم تهرب إلى داخلية البلاد بسيارات خاصة أو سيارات النقل .

وهذه الأخبار التي نشرت في الصحف في تلك الأيام ليست بالمستغربة

أو المستبعدة عن الملك ورجاله ، فالذي باع فلسطين يهون عليه بيع أي شيء آخر في سبيل المال .

الإنجليز يصرون على بقاء الأردن في الجامعة العربية :

كان من أثر نشر فضائح الملك في الصحف المصرية أن ارتفعت دعوة عالية إلى طرد الأردن من الجامعة العربية ، وقد تناوب تلك الصيحة كبار الكتاب المصريين وبعض الساسة في تصريحاتهم ومحاضراتهم وبعض المؤتمرات الصحفية التي عقدت .

والغريب أن الملك عبد الله كان يرى نفسه أكبر من الجامعة العربية ، ويرى أن بقاءه عضوا بها يشكل ضغطا عليه وقيدا له وليس وراء العرب ما يفيد في زعمه وأن الخير كل الخير في تحسين العلاقة مع إسرائيل والتعاون معها من أجل مستقبل مالي له ولأسرته وللأردن بعد ذلك . ولذلك كان يتكلم في ترفع وتكبر غير مبال بما يقوله الرأي العام العربي ، ولو أنه في دخيلة نفسه يشعر بالكرامة المهدرة من جراء ما تم نشره حول تصرفاته واتصالاته . ولكنه يريد أن يمضي في الشوط إلى نهايته غير مبال بفساد العلاقات مع العرب ، فهو لا يحاول استرضاءهم أو كسب ودهم ، وغاية ما يفكر فيه هو حكم سوريا والعراق وضمهما إلى ملكه ، ولو تغيرت الظروف فسوف يأخذ أرض الحجاز ويستعيدها ، ولن يساعده العرب في هذا أبدا . ولكن الذين يمكنهم مساعدته إن زادت ثقتهم فيه واقتناعهم بقدراته وأنه يقدم خدمات أكثر وأكبر إذا ضمت هذه البلاد إليه ، هؤلاء الذين يمكنهم أن يصلوا به إلى الشاطىء الآمن هم اليهود والإنجليز ، وليس غيرهم بأية حال .

والملك عبد الله رغم ذكائه لم يكن مؤهلا لفهم الطريقة التي يفكر بها

اليهود أو الإنجليز ، ولهذا لم يفهم الملك أن بقاءه في جامعة الدول العربية يتفق مع المصالح الاستراتيجية الإنجليزية والاسرائيلية كذلك .

وكان الملك لم يرسل مندوبه للحضور إلى اجتماعات الجامعة العربية الذي عقد في القاهرة في شهر مارس من عام 1950 اعتمادا على أنه ينوي تركهم إلى غير رجعة . وكانت الدول العربية تميل إلى هذا وترغب فيه ، فهناك تهم كبيرة موجهة إلى الملك لم يدافع عن نفسه بشأنها ولم يكذبها ولم يردها بل لزم الصمت .

وكان المسرح مهيأ تماما لطرد الأردن من جامعة الدول العربية ، فالأعضاء يريدون ذلك . وقد أعد الرأي العام بما نشر من فضائح عن الملك .

والملك يريد ذلك حتى يصير حرا في التصرف مع إسرائيل ، ويكثر البيع والشراء ويستلهمهم الرأي والمساعدة في حكم بلاد الشام والعراق ، والحجاز إن أمكن ذلك .

وقد تصدى لذلك الإنجليز لحساباتهم السياسية المركبة التي لا يفهمها سواهم .

وتحت عنوان : « تشابمان أندروز يطلب من وزير الخارجية المصرية الإبقاء على الأردن عضوا في الجامعة » نشرت جريدة « المصري » في عددها الصادر بتاريخ 1950/3/27 ما يلي :

في يوم الأربعاء الماضي 22 مارس توجه مستر تشابمان أندروز الوزير المفوض بالسفارة البريطانية إلى وزارة الخارجية المصرية لمقابلة معالي محمد صلاح الدين بك دون أن يكون هناك موعد سابق ، وحدث يومها أن حضر مستر تشابمان أندروز إلى دار الوزارة قبل حضور معالي وزيرها ،

ففضل أن ينتظر حضوره على أن يعود إلى مكتبه إلى حين تحديد موعد آخر .

وعرف يومها في الأوساط السياسية والصحفية أن هذه المقابلة كانت لأمر عاجل على جانب كبير من الأهمية . وقد رفض الوزير التصريح بموضوع المقابلة رغم إلحاح الصحفيين ، كما اكتفت السفارة البريطانية بالصمت وإصدار بيان نفت فيه ما نشر خاصا بهذه المقابلة .

واليوم يستطيع « المصري » أن يذيع سر هذه المقابلة الهامة العاجلة ، فنؤكد أن الموضوع الرئيسي الذي جاء من أجله الوزير المفوض البريطاني إلى وزارة الخارجية المصرية ، كان بيان وجهة النظر البريطانية في موقف الحكومات العربية - والحكومة المصرية على الأخص - من الأردن ، واحتمال إخراجها من الجامعة العربية .

وكانت وجهة النظر البريطانية تؤيد بقاء الأردن عضوا في الجامعة ، وعدم اتخاذ أي قرار حاسم من شأنه أن يبعد الملك عبد الله عن مجال الإجماع العربي .

ورغم هذا الضغط الذي حاولت بريطانيا أن تفرضه على الحكومة المصرية - وعلى الحكومات العربية الأخرى - فقد وضح موقف الإنجليز تماما ، وتمت في نفس الأسبوع مقابلات في جميع العواصم العربية بين ممثلي بريطانيا وبين المسئولين في الحكومات العربية ، ودارت كلها حول نفس الموضوع ، وتولى ممثلو بريطانيا شرح وجهة النظر التي تولى شرحها للحكومة المصرية مستر تشابمان أندروز الوزير المفوض البريطاني بالسفارة البريطانية بالقاهرة .

ولعل هذا يفسر الاجتماع الذي تم على ظهر المدمرة البريطانية « ماك

فاي » أثناء رسوها بالعقبة في منتصف مارس من نفس العام ، وكان من شهوده الملك عبد الله وبن جوريون والسير ألكسندر كير كبرايد الوزير المفوض الإنجليزي في عمان والمستر جيرالد درو الوزير الأمريكي المفوض ، وسمير الرفاعي باشا وزير البلاط .

وكان هذا الاجتماع قد نشرت أخباره الصحف ، وتصورت أنه لعقد صلح بين الأردن وبين إسرائيل ، والأرجح هو لإقناع الملك في عدم ترك الجامعة العربية .

وكان هذا الخبر قد نشر في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ 15 مارس 1950 .

وكان النحاس باشا رحمه الله له رأي حازم في مسألة طرد الأردن من جامعة الدول العربية مادام عبد الله ملكا لها ، أو أن يرد على التهم التي وجهت إليه وينفيها ويثبت عكسها .

وتدخل رئيس الوزراء البريطاني بيفن لدى النحاس باشا لمنع صدور مثل هذا القرار بحجة أن ذلك يفرق العرب ولا يجمعهم ، وهو يرى – مستر بيفن – أن الظروف الدولية لا تسمح بقرار مثل هذا ، وينبغي التريث فيه طويلا ، وهو يفضل إلغاءه بالمرة وعدم إدراجه في أي جدول أعمال .

وتمت في لندن اتصالات هامة في أواخر مارس من عام 1950 بين رجال الهوايت هول وعبد الفتاح باشا عمرو السفير المصري في لندن الغرض منها تبليغ رجاء مستر بيفن الحار الحازم إلى النحاس باشا والذي يقضي بتخفيف الأزمة بين شرق الأردن وبين باقي الدول العربية .

وتدخلت إسرائيل تدافع عن الملك عبد الله .

فقد قالت جريدة البلاغ في عددها الصادر في 1950/3/28 ما يلي :

أذاع راديو إسرائيل تعليقا على دعوة الجامعة العربية لحكومة فلسطين لحضور محادثات الجامعة فقالت : إن دعوة مثل هذه الحكومة تعد اعتداء على كرامة الملك عبد الله ، بل تعاميا عن النظر إلى الواقع .

إذ إن الحكومة الأردنية تدير الآن بالفعل معظم الأقسام العربية من فلسطين ، ويحتضن الملك عبد الله الكثير من عرب فلسطين الذين اختاروا الجنسية الأردنية ، وتضم الوزارة الأردنية عددا من زعماء فلسطين ، يضاف إلى ذلك أن الملك عبد الله يسعى للحصول على أموال الفلسطينيين لدفعها إلى أصحابها .

وقد شاركت حكومة واشنطن في ذلك الضغط على العرب من أجل وقف قرار طرد الأردن من الجامعة العربية . فقد أوعزت الخارجية الأمريكية إلى سفرائها ووزرائها المفوضين في العواصم العربية بالتدخل ، وحمل الحكومات العربية على العدول عن قرارها بإخراج الأردن من الجامعة العربية .

وقد نشرت روزاليوسف في عددها 1138 الصادر في 1950/4/4 الخبر التالي :

قابل سفير أمريكا رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء يوم الثلاثاء الماضي ، مقابلة خاصة ، وطلب من رفعته التريث في اتخاذ قرار عدائي ضد شرق الأردن .

وقد قابل وزير أمريكا المفوض في بيروت فخامة الرئيس اللبناني في نفس ذلك اليوم وتقدم بنفس الطلب ذاته .

وقد استجابت الحكومات العربية لهذه الضغوط الدولية ولم يصدر القرار .

جامعة الرفق بالملك عبد الله !

كان رد الفعل الشعبي نتيجة استجابة الحكومات العربية والحكومة المصرية على وجه التحديد للضغوط الأمريكية والإنجليزية لعدم طرد الأردن من الجامعة العربية ، شديد الغضب والاستياء لبقاء ذلك العضو الفاسد وعدم بتره على حد تعبير الكثير من الصحفيين والكتاب آنذاك .

نشر الأستاذ محمد التابعي في العدد 806 من مجلة آخر ساعة الصادر في 1950/4/5 المقال التالي :

جامعة الرفق بالملك عبد الله

أو جامعة الدول العربية التي أثبتت في اجتماعها الأخير - ولم تكن هناك حاجة بها إلى تقديم دليل جديد ! - أثبتت أنها جامعة حكومات ، لا جامعة شعوب ، وإلا لأنصتت لصوت الشعوب ونزلت على مشيئتها .

ومشيئة الشعوب العربية - حتى شعب الأردن نفسه - أن أخرجوا الملك عبد الله من الجامعة ، وألا تأمنوا لصاحب الجلالة ، وألا تلدغوا من جحره مرات ، وقد سبق لكم أن لدغتم منه مرتين وثلاث مرات .

هذه هي مشيئة شعوب العرب ، ولكن الجامعة كما قلت جامعة حكومات ! جامعة مصالح ذاتية .

جامعة لم يكد يقرع سمعها صوت النذير من أمريكا وبريطانيا حتى تراجعت أمام لندن وواشنطن .

وواشنطن تحتضن إسرائيل لأنها هي التي خلقت إسرائيل .

وهي تحتضن اليوم عبد الله بن الحسين بعد أن مدّ جلالته يده الكريمة إلى إسرائيل .

ولندن تحتضن صاحب الجلالة الهاشمية الأردنية لأنه جعل صحراوات ملكه الواسعة مطارات ونقط ارتكاز للقوات البريطانية في الشرق الأوسط !

ومن هنا خضعت الجامعة – وهي التي لا تخضع لأي ضغط أمريكي أو بريطاني ، كما أعلن وأكد لنا كبير منها وهو يهز رأسه بعنف وشدة ! – خضعت وأرسلت تدعو الملك عبد الله لكي يتفضل ويبعث بمندوبيه .

وتبغدد الملك عبد الله وقال :

– كلا .

وعادت الجامعة فأرسلت ترجو جلالته أن يقطع الشر ويتفضل مشكورا ويبعث مندوبيه .

وتبغدد الذي هو من آل البيت ، ورفض أن يقطع الشر وقال :

– كلا .

وعادت الجامعة فأرسلت تتوسل للملك عبد الله أن يخزي الشيطان ، ولا يكون معول هدم للجامعة ، وأن يتفضل ويبعث ... إلى آخره .

وأكتب هذه الكلمة مساء الأحد ولا أحد يعرف بعد ما إذا كان صاحب الجلالة الهاشمية قد قبل أن يخزي الشيطان .

* * *

لقد كانت شعوب العرب تعتقد – وهذا الذي أقوله هنا أستوحيه من

خطابات القراء التي جاءتني من مختلف الأقطار العربية ، ومن المقالات والرسائل التي تنشرها الصحف المصرية - معظمها لا كلها ! - كانت تعتقد أن فضيحة الملك عبد الله ليس لها ستر ولا ساتر .... وأن الوثائق التي نشرت - ولم يكذبها جلالته ، وما كذبتها حكومته حتى اليوم - هذه الوثائق كافية في ذاتها لأن تجعل خيانة الحكومة الهاشمية الأردنية وغدرها ونكثها بالعهود والمواثيق أمرا ثابتا محققا ، وجريمة لاشك فيها .

هذا ما كانت تعتقده شعوب العرب . وكانت هذه الشعوب ترجو أن جامعة الدول العربية لاتكاد تجتمع حتى تصدر قرارا بفصل هذا العضو الفاسد العفن ! هذا الطابور الخامس الذي أفشى أسرارها - والمعركة في حدة أوارها - إلى إسرائيل ! الناكث للعهد الذي اشترى منها باسم العروبة ما اشترى لكي يعود ويبيع لإسرائيل ما اشتراه من بضائع وسلع ... والذي جعل من شرق الأردن دار تصفية بضائع من ... وإلى إسرائيل ، ضاربا عرض الحائط أو عرض الذمة والقومية والضمير بقرار مقاطعة إسرائيل .

هذا ما كانت ترجوه الشعوب العربية ! ولكن الجامعة كما قلت جامعة حكومات . والحكومات في واد ... وشعوبها في واد .

ولكنني أتساءل . وبين الأنباء الأخيرة ما يشير إلى أن الملك سوف يذعن لرأي لندن وأمريكا فيرسل مندوبيه مادام قد أمن شر الفضيحة والعقاب ... وأن الجامعة مستعدة لأن تحيي جلالته وتقول : « عفا الله عما سلف » - أتساءل : أي ضمان بعد اليوم على احترام الاتفاقات والعهود ؟ وأي ضمان على عدم الخيانة والغدر ؟ وأي ضمان على أن أسرار الاتفاق - أي اتفاق - سوف تبقى سرا ولا تنقل لإسرائيل ؟

واسألوا اليوم أي ضابط هل يأمن أن يقاتل بعد اليوم معركة ما وإلى

يساره أو يمينه جيش الملك عبد الله ؟ وهل هو يأمن على سلامة أية خطة حربية إذا كان سرها بيد صاحب الجلالة الذي هو من آل البيت !

إذا قالوا : نعم ... نأمن ! إذن فأنا المخطئ المذنب ، وحسابي عند الله عسير .

* * *

وبعد .... ما سر الحرص على الملك عبد الله ؟

أستحلفكم - بل وتكفيني منكم كلمة الشرف - هل كنتم تحرصون كل هذا الحرص على الملك عبد الله وبقاء حكومته الهزيلة بينكم لو لم يكن مؤيدا ومسنودا من بريطانيا وأمريكا ؟

ولكنكم - ومعذرة عن كلمة الشرف ! - ولكنكم تهزون رءوسكم بعنف وشدة وتقولون إنكم تحرصون عليه لأنكم تحرصون على الوحدة وضم الصفوف !

والوحدة وضم الصفوف اصطلاحان جديدان يضمان إلى الاصطلاحات القديمة التي معناها خدمة مصالح لندن وواشنجتون .

* * *

جامعة الدول العربية ؟ أولى بكم أن تسموها بعد اليوم جامعة الرفق بالملك عبد الله ! إذا ارتكبت عمان خيانة أو غدرا أو نكثت بعهد أو ميثاق ... أسرع « أطباء » الجامعة العربية ، والتمسوا الأسباب الرحيمة ، وشخصوا الداء - لا على أنه خيانة أو غدر ، كلا بل على أنه ضعف وهزال .

ضعف الاقتصاديات ! وهزال الإمكانيات ... وسوء الحالة المالية ..

هذه وتلك هي التي حملت عمان على اقتراف ما اقترفت . وهذه وتلك هي التي دفعتها - وهي كارهة مرغمة - على الارتماء في أحضان إسرائيل !

وإن ارتكبت عمان خيانة في الميدان - والمعركة في حدة أوارها - التمس أطباء الجامعة أرحم الأسباب ، وشخصوا الخيانة على أنها « نزول على حكم الظروف » التي فرضت جلوب باشا قائدا للجيش الهاشمي الأردني ، ولا حيلة لعمان في جلوب باشا مادامت هي - عمان - تعيش على المليون أو الثلاثة الملايين من الجنيهات البريطانية التي يتناولها صاحب عمان مرتبا أو إعانة سنوية من يد حكومة لندن .

وقد تخون عمان غدا ... وقد تعود وتغدر بعد شهر أو بعد عام أو أكثر . ولن يعدم « أطباء » الجامعة يومئذ سببا رحيما في تشخيص الداء .

سوف يقولون إنها « نكسة » ... ويطلبون منا أن ندعو للمريض الغالي بالشفاء .

محمد التابعي

* * *

ولعل هذا المقال يذكرنا بواقع الحال ، وكيف تحالفت حكومة عمان وعلى رأسها الحسين حفيد الملك عبد الله مع حكومة البعث العراقية وعلى رأسها صدام حسين مفرق العرب وقاتل المسلمين . ثم تنتهي الجولة بهزيمته هزيمة نكراء ثم ترتفع الأصوات بالدفاع عن المجرمين الذين وقفوا معه ، ويقولون عفا الله عما سلف ولنبدأ صفحة جديدة ! وكيف يكون هذا ؟ كيف يمكن الصفح ودماء الضحايا لا تزال الأرض مبللة بها ؟

منطق أعوج وعواطف كاذبة ، وإمعان في الخداع وفعل الشر ، وتبديد

لطاقة الأمة ، وعدم تسمية للأشياء بأسمائها ، واختلال النظرة ، وفقدان الميزان بين الحق والباطل .

ويبدو أن الأسرة الهاشمية لا يمكن لملك منها أن يعيش حياة بعيدة عن الخداع والغش وارتكاب الجرائم ضد العرب . وهذا ما يبدو واضحا لمن يقرأ التاريخ ويتتبع سيرتهم من الشريف حسين إلى الملك حسين .

ومن واجب العرب والمسلمين اليوم أن يتوقفوا عن استخدام مبدإ « عفا الله عما سلف » استخداما خاطئا . فإن الله سبحانه وتعالى يعفو عما سلف ويأمرنا بذلك في حالة اعتراف المجرم بجريمته وإعلان التوبة منها وتقديم التعويض اللازم أو الترضية التي تتناسب مع الجريمة ، وبعد ذلك ينظر في تنفيذ هذا المبدإ . وإن جامعة عربية تصر على بقاء مثل صدام حسين والملك حسين وغيرهما بها لهي جامعة خليقة بألا تكون فلا معنى لها ، فهي لا تقدم خيرا ولا تمنع شرا إن وقع . وتسريحها ربما يكون أولى وأجدى وأنفع للناس .

شعب الأردن يطلب أن يحل محل الملك !

وقد أبرق الدكتور محمد صبحي بك أبو غنيمة عميد الأحزاب الأردنية الحرة والمقيم بدمشق ، البرقية التالية إلى سماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا .

« باسم اللجنة التنفيذية لمؤتمر الأحزاب الأردنية أعلن براءة الشعب الأردني – المغلوب على أمره بحراب الإنجليز – من المخازي والجرائم التي جرت باسمه ، وهو يرجو أن يصغي إلى صيحاته العديدة بإقصاء خادم المستعمرين ، وطاعن قومه من الخلف ، وتمكين أحرار الأردن – وهم الممثلون الحقيقيون – من تمثيل شعبهم في مجلس الجامعة ، ليتسنى إيجاد

إجماع عربي صادق »[1] .

الملك يُهَاجَمْ ويعجز عن الدفاع :

.كانت الحملة الصحفية ضد الملك في أوجها ، وهو لا يستطيع الدفاع ، لأنه لا يوجد ما يدافع به عن نفسه ، فالتهمة ثابتة ، ويؤكدها صمت الملك .

ونشرت جريدة المقطم القاهرية في عددها الصادر في 1950/3/31 مقالا افتتاحيا تحت عنوان :

عضوية الأردن في الجامعة يجب
بحثها في ضوء المصلحة العامة

.... وسواء أوفد الأردن وفدا كبيرا أم اكتفى بوفده الصغير الذي يمثله الآن في الجامعة فليس ثمة ريب في أن هناك اتهاما معلقا لم يفصل فيه ... اتهاما بالخيانة العظمى ، والتعاون مع الأعداء ، وضرب العرب بخنجر في الظهر ، والائتمار بأوامر تل أبيب .

وهذا الاتهام يحتم عدم السماح لشرق الأردن بالاشتراك في مباحثات الجامعة العربية إلا بعد أن يفند تفنيدا لا يحتاج بعد ذلك إلى تشكك أو إلى ارتياب .

وقبل أن يدفع الأردن الاتهام ما كان يجوز لمندوبه الاشتراك في أعمال مجلس الجامعة ، لئلا يقف على أسرار وخطط سرية يقررها العرب ، ثم

---

(1) وثائق خطيرة عن اتصال ولي الأمر في شرق الأردن باليهود ، المطبعة السلفية ص 127 بدون تاريخ .

تفشى هذه الأسرار إلى اليهود عن طريق عمان ، مادام هناك اتصال وثيق بين عمان وتل أبيب أكدته الرسائل المتبادلة مع « عزيزي شرتوك » و « عزيزي بن جوريون » و « عزيزي ساسون » .

وغير هؤلاء وهؤلاء من سادة إسرائيل .

فالأمر الذي يجب الفصل فيه حالا هو :

أولا : هل خانت حكومة شرق الأردن العرب فعلا في أثناء القتال ، وفي الفترة التالية له ، أو أن تهمة الخيانة باطلة ؟

ثانيا : هل الوثائق والرسائل التي نشرت حتى اليوم بإمضاء جلالة العاهل الأردني وثائق صحيحة لا مطعن فيها ، أو أنها رسائل مدسوسة على جلالته زورت في غير عمان ؟

ثالثا : هل من مصلحة الدول العربية أن تطرد الأردن من عضويته في الجامعة إذا ثبت أنه أخل بالميثاق ، أو أن من المصلحة إبقاء الأردن حتى لا يتمادى في السبيل الذي ارتآه ؟

والذي نراه نحن من حقائق الحال أن شرق الأردن لم يصدر حتى اليوم بلاغا رسميا واحدا يهدم ولو رسالة واحدة من الرسائل التي تبودلت مع زعماء إسرائيل ، وفي هذا ما يدعو إلى الارتياب الشديد ، بل إلى قطع الشك باليقين .

والذي تظهره الحقائق فعلا هو أن الأردن على الرغم من جميع المواثيق التي عقدت - حتى ميثاق أنشاص الذي يحظر على الدول العربية أن تستولي على أجزاء من فلسطين - لم يبال بوحدة العرب ، وأعلن جهارا أن فلسطين العربية جزء من الأردن وضفة غربية لنهر الأردن ، وهناك فعلا استعدادات

لإجراء انتخابات نيابة في شرق الأردن في الشهر القادم لإدماج فلسطين العربية في الأردن .

فهذا الإخلال بكلمة العرب يستدعي من الحكومات العربية كل اهتمام وعناية ، لأن ضم فلسطين إلى الأردن أشد هولا في الاغتياب والاغتيال من نشوء دولة لإسرائيل في هذه الرقعة العربية .

والذي بينته الوقائع أن جيش مصر عانى كثيرا في أثناء حرب فلسطين في الساحة الجنوبية ، ولم ينجده الجيش الأردني ، مع أن ذلك كان في مقدوره ، ومع أن الاتفاقات كانت تقضي بذلك ، وهذه خيانة ثابتة على شرق الأردن لا سبيل إلى الفرار من تبعتها .

فالدورة الحالية للجامعة العربية يجب أن تقدم مصلحة العرب العامة على كل مصلحة شخصية مباشرة . لأن وجود عضو أشل مريض في جسم الجامعة العربية يشيع الفساد والعلل في هذا الكيان جميعه ، ولا يستطاع بعد ذلك علاجه بالأدوية المعروفة ، ولأن دأب شرق الأردن على انتهاك قرارات العرب والارتماء في أحضان أعداء العرب لا يمكن أن يجد مسوغا واحدا من العقلاء .

طعنة في صدر العروبة وصميم الإسلام !

في الحقيقة أن فضيحة الملك عبد الله كانت كبيرة ومشتهرة وتناولتها صحف العالم العربي والإسلامي ، وقد أتينا بنماذج من الصحف المصرية باختلاف انتماءاتها وتوجهاتها ، والكل يجمع على الخيانة الصارخة التي سقط فيها الملك .

وقد نشرت جريدة « الفجر » التي تصدر باللغة الإنجليزية في كراتشي

والتي تعتبر أوسع الصحف انتشارا في باكستان مقالا افتتاحيا في عددها الصادر بتاريخ 8 مارس 1950 نقتطف منه ما يلي :

« إن الأزمة الوزارية التي وقعت في شرق الأردن في المدة الأخيرة ذات علاقة وثيقة بتوقيع المعاهدة الأردنية الإسرائيلية . وإن الملك عبد الله لاعب الشطرنج المعروف يريد بلا شك أن يلعب لعبة خطرة على رقعة الشرق الأوسط . فهل أدرك الملك مبلغ الخطر الذي يترتب على قيامه بهذه الخطوة التي أوعز له أصدقاؤه في الخارج بأن يقوم بها ؟!

.... فإذا ما صح ما علمناه من أمر هذه المعاهدة ، ومن أن الملك عبد الله يريد أن يفك الحصار الاقتصادي الذي تريد الدول العربية أن تضربه حول « إسرائيل » وأن يجعل من بلاده سوقا لتجارة اليهود ، فإنه يكون قد خان القضية العربية خيانة لم يقدم عليها أحد من قبله ، ويكون قد أحدث صدعا في الكتلة العربية التي هي أحوج ما تكون إلى التضامن والتكاتف .

وإذا لم تستطع قضية الأراضي المقدسة أن تجمع شمل العرب ، فهل هناك يا ترى قضية غيرها تجمعهم ؟

إن الاتفاقية - الإسرائيلية طعنة خنجر دامية في صدر العروبة وصميم الإسلام ، وعرقلة لحل قضية فلسطين .

..... وإذا لم يستطع العرب أن يقصوا الأصابع التي تدبر الخيانة فإن قضية فلسطين ذاهبة لا محالة طعما لشباك الغدر التي ما زال يحركها الصهيونيون من وراء ستار والتي ظاهرها عربي وباطنها من قبله العذاب »[1] .

---

(1) المصدر السابق ص 139 .

وكان العالم العربي والإسلامي ينعي هذه الجريمة النكراء بكل اللغات التي يعرفها ، وكانوا يملئون الصدور بالحقد والغضب على ذلك الذي يرتدي الجبة ويضع على رأسه أكبر عمامة عرفتها العرب حتى وافاه المصير المحتوم .

اغتيال الملك عبد الله !

عندما أتخيل لحظة إطلاق النار على الملك عبد الله تأتي إلى مخيلتي لحظة أخرى مرت به قبل ذلك بخمسة وثلاثين عاما ، وأشعر تجاهه بكثير من الاشمئزاز والقرف الشديد ، ولا أتأثر وأنا أتخيله يسقط على الأرض متضرجا في دمائه ، ولست ممن يرون الاغتيال السياسي كحل ولا أوافق عليه فهو قد يفتح بابا للفتنة لا يعرف أحد إلى أين ينتهي ، ولكنني رضيت بمقتل الملك عبد الله وشعرت بارتياح كبير . وسوف ينتابني نفس الشعور يوم أسمع بمقتل صدام حسين . فقد ارتكب كلاهما من الجرائم ما يجعل الإنسان يتمنى لو تتطهر الأرض من أمثالهما وبأية طريقة كانت من سوء ما فعلوا بالعالمين .

تلك اللحظة التي مرت على الملك عبد الله قبل اغتياله بخمسة وثلاثين عاما عندما كان هناك في الطائف أيام بداية ثورة أبيه العربية الكبرى . وكان الأتراك لا يصدقون ما تأتيهم به الأخبار من أن العرب يضعون يدهم في يد الإنجليز ضدهم وضد الإسلام . وأتذكر العبارة التي كتبها أحمد جمال باشا في مذكراته : « أصبحت يوم 20 يونيو 1916 وأنا أمام ثورة الشريف حسين التي كانت ضربة قاضية على حملة القناة » . وكان الأتراك قاب قوسين أو أدنى من دخول مصر ظافرين محققين انتصارا ساحقا على الجيوش الإنجليزية بوادي النيل لولا ثورة الشريف حسين !

وأتذكر عبارة كليمنصو وزير خارجية فرنسا التي قالها عام 1919 : « لقد اشترك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع

والجيش الثامن من العثمانيين ، واحتل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجرأة والإقدام » .

وبعد ذلك كله لم يحقق لهم الحلفاء ما وعدوهم به !

ثم أذكر رثاء المرحوم أحمد شوقي للشريف حسين :

قم تحدث أبا علي إلينـا كيف غامرت في جوار الأراقم
قد رجونا من المغانم حظا ووردنا الوغى فكنا الغنائم

ثم أذكر تلك الرسالة التي أرسلها جمال باشا والي الشام إلى الشريف حسين ، وإلى ولده فيصل ، وذلك بعد أن أذاعت حكومة روسيا على العالم اتفاق سايكس - بيكو الذي يلغي الوعود التي قدمت للعرب .

لقد أرسل جمال باشا رسولا إلى العقبة يحمل رسالتين مؤرختين في 26 نوفمبر 1917 إحداهما مفصلة إلى فيصل حتى يحملها إلى أبيه ، والأخرى موجزة إلى جعفر باشا . وقد ذكر جمال باشا في رسالتيه أن فيصلا وأباه قد خدعهما الإنجليز والدليل هو اتفاق سايكس - بيكو وأنه لن يكون هناك استقلال للبلاد العربية ، وأن هذا وهم من الأوهام ، وأن بريطانيا وفرنسا قد أعدتا مخططا كبيرا خطيرا لاقتسام البلاد العربية . ثم ذكرهم جمال باشا بالإسلام وواجب الدين الذي يحتم عليهم الوقوف مع الأتراك في حربهم ضد الإنجليز . وهو يدعوهم إلى نسيان ما مضى ، ويمكن إصلاح ما هو قادم والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل . وأنهم لو وضعوا ما تحت أيديهم من قوات في جانب الأتراك فسوف يتغير الوضع ، ويمكن للأتراك أن يحققوا انتصارا على الإنجليز .

ودعا فيصل أن يأتي إلى دمشق آمنا مطمئنا وهناك يتم اتفاق مكتوب على إعطاء الولايات العربية الواقعة تحت حكم دولة الخلافة استقلالا ذاتيا ،

يحقق ما يطمعون فيه من الأماني القومية ، وأن السلطان التركي وإمبراطور ألمانيا يضمنون تنفيذ هذا الاتفاق بعد نهاية الحرب .

ثم ناشدهم الله ورحم الإسلام ألا ينخدعوا بمعسول الوعود والكلام من الإنجليز فهم أهل غدر ، وأنه جدير بزعماء العرب ألا ينسوا واجبهم الديني وألا يخونوا الأمانة . وذكرهم بأن التحالف مع الإنجليز سوف يجر بلاد العرب إلى حضيض المذلة والهوان ، وأن مصيرهم سيكون في يد فرنسا وإنجلترا وروسيا ، وسوف لا يرعون في مؤمن إلاً ولا ذمة .

وأرسل فيصل تلك الرسالة الخطيرة إلى أبيه ، وكان الشريف حسين أحمق لا يفهم في السياسة ، وربما ظن أنها خدعة ، ولو أنه كان يمكنه التأكد من جديتها إن أراد . وكانت رسالة جمال باشا ترسم سياسة جديدة للحكم بعد الحرب من خلال دولة اتحادية تجمع شمل المسلمين لمواجهة القوى العالمية العاتية ، وهي تكشف في وضوح عن مخططات الإنجليز ، وما يريده الغرب من الشرق بالأدلة والبراهين ، ففي الرسالة نسخة من اتفاق سايكس – بيكو .

وأرسل الشريف حسين المأفون نص الرسالة إلى السير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في القاهرة وسأله تفسيرا عما جاء بها .

ولم يستطع ونجت الإجابة فأحال الرسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية وهو يشعر بالحرج الشديد وعدم القدرة على إجابة الشريف حسين .

وكان وزير الخارجية البريطاني هو آرثر جيمس بلفور الذي قدم وعدا للبارون روتشيلد في نفس الشهر بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وأدرك بلفور أن الميزان يمكن أن ينقلب عليهم ، وأن العرب لو وضعوا أيديهم في أيدي الترك فإن هزيمة ساحقة سوف تلحق بقواتهم ، لهذا فقد

سارع بإرسال رسالة مليئة بالخداع والكذب ، وهو يصف اتفاق سايكس – بيكو أنه كان مجرد مشاورات مع روسيا قبل قيام الثورة العربية الكبرى ، وأنه ليس ثمة اتفاق قد أبرم بل كانت محادثات مؤقتة قد انتهت بالوعود التي قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب . ونفى للشريف حسين نفيا باتا وجود مثل هذه المعاهدة ، واتهم جمال باشا بالخبث والجهل وسوء الطوية[1] .

واستراح الشريف حسين عندما وصلته مذكرة رسمية في تاريخ 8 فبراير 1918 عن طريق الكولونيل باست[2] المقيم البريطاني في جدة تؤكد نفس المعاني الكاذبة التي أوردها بلفور من قبل . وصدق الحسين كل ما جاء بالمذكرة وقعد مستريح البال مواصلا حربه ضد الأتراك في صف الإنجليز لأن إيمانه بالمعاملة النظيفة في مقاييس الخلق الإنجليزي لم يكن قد تزعزع بعد[3] .

أما الملك عبد الله فقد جبل على الخيانة ومارسها صبيا وشابا وشيخا فقد كانت طبعا فيه . فقبل مقتله بخمسة وثلاثين عاما وعندما كان يقيم بالطائف على مقربة من الوالي التركي غالب باشا الذي كان في جدل عنيف مع حاشيته حول ضرورة اعتقال عبد الله بن الحسين ، إذا به يدخل على الوالي غالب باشا في صباح الجمعة 9 يونيو 1916 وأخبره أنه سيخرج بعد الصلاة مع قواته لتأديب قبيلة « التعوم » .

---

(1) جزيرة العرب في القرن العشرين حافظ وهبة ص 326 .
(2) صورتها في آخر الكتاب .
(3) يقظة العرب جورج أنطونيوس ترجمة ناصر الدين الأسد ص 364 بيروت 1962 .

وتعجب غالب باشا فقد كان يسمع أن عبد الله بن الحسين ينوي مهاجمة الجيش التركي ، وليست هذه تصرفات من يفكر في الهجوم عليهم ، فهو يدخل عليهم معسكرهم هادئا مطمئنا واثقا من نصر الله للمسلمين .

وتردد غالب باشا ثم ذكر له ما سمعه من شائعات ، وإذا بعبد الله بن الحسين يلقي محاضرة على الباشا ومن معه في موالاة الكافرين وعقاب ذلك عند الله ، ومازال يحدثه حتى بدا عليه التأثر وانهمرت دموعه . وعندما لم تتحمل عواطف الوالي ومشاعره ما يرى ويسمع انفجر في البكاء تأثرا من هذه الروح الإسلامية العالية ، وقام وعانقه عناقا حارا وكان ذلك على مرأى ومسمع من الجند والضباط الأتراك القائمين في المعسكر .

وأصر غالب باشا أن يودعه وداعا رسميا اصطف فيه الجند والضباط لأداء التحية لذلك الأمير العربي الشهم الذي يعرف حدود الإسلام وواجبات المسلم حيال دينه .

ولكن الأمير عبد الله الخبيث ما إن غادر المعسكر حتى سارع بقطع أسلاك البرق والتليفون التي تصل المعسكر بالعالم ، وفي المساء كر عليهم وأعمل فيهم ذبحا وتقتيلا ، وهو الذي كان يلقي عليهم في الصباح درسا في الإسلام .

عندما أتذكر هذا ، وأتذكره وهو يسقط يشغب دما لا أشعر بالحزن عليه فقد قتل المسلمين بيده ، وتسبب وساعد على قتلهم ، وكانت حياته كلها حربا على دولة الإسلام ومصالح المسلمين .

* * *

كان الملك عبد الله رجلا محكوما عليه بالموت قتلا ويعرف ذلك كل من حوله ولكن أحدا لا يعرف يوم التنفيذ .

ويحكي الملك حسين الذي كان في صحبة جده يوم قتل تفاصيل ما حدث حتى لحظة القتل في كتابه « مهنتي كملك » .

« كان ذلك في يوم الجمعة العشرين من يوليو عام 1951 . كان الحر شديدا وكان هذا هو اليوم الثاني من إقامتنا في القدس . في هذا اليوم وفي المسجد الأقصى بالقرب من قبة الصخرة »[1] .

« لقد وقعت أحداث عديدة خلال هذا الأسبوع الفاجع ، ففي صباح الأربعاء ، عشية رحيلنا إلى القدس ، التمس سفير الولايات المتحدة مقابلة الملك .

« قال يا صاحب الجلالة ، هل أستطيع أن أتوسل إليكم بألا تذهبوا إلى القدس . إذ يبدو أن هنالك مؤامرة للاعتداء على حياتكم . إنني لأرجوكم يا مولاي أن تعدلوا من برامجكم .

فنظر إليه جدي وهو مستغرق في التفكير . ثم قال له :

– أشكركم على هذا التحذير ، حتى ولو صح ما ذكرتموه فلسوف أذهب على كل حال »[2] .

« وفي يوم الأربعاء أنهينا استعدادات السفر . ولم يكن مفترضا أن أقوم بالرحلة إلى القدس . ولكن في المساء بعث إليّ الملك يطلبني وخاطبني قائلا :

– إنك تعلم بأنني طلبت إلى الكثير من الناس مرافقتي غدا إلى القدس ، ولكن الغريب أن معظمهم لا يرغبون في الذهاب ، فكأنهم يخشون شيئا .

---

(1) مهنتي كملك ص 33 الملك حسين .

(2) المصدر السابق ص 36 .

إنني لم أسمع أعذارا بهذه التفاهة .

ونظر إليّ لحظة ثم أضاف :

– هل تريد أن تأتي معي يا ولدي ؟

فقلت له :

– سأكون سعيدا بذلك فحياتي ليست شيئا يا مولاي بالقياس إلى حياتك .

ربما كانت اللهجة مسرحية ، ولكن الكلمات كانت تصدر من أعماق أعماق قلبي . فنظر إليّ بوقار ، ولكنه لم يضف شيئا .

كانت الدموع تترقرق في عينيه ... ذهبنا إذن إلى القدس معا .

وقد بدأ نهار الجمعة باكرا جدا ، لأنه كان قد وعد بزيارة بعض الأصدقاء في نابلس ، قبل أن يتوجه إلى القدس للصلاة . فتناولنا فطورا صباحيا نسبيا ، لأن النهار سيكون طويلا .

ونظر إليّ جدي لحظة ، ثم طرح عليّ سؤالا لم يكن على الأقل متوقعا :

– لماذا لم تلبس البزة العسكرية ؟

ولم أكن أملك غير بزة عسكرية واحدة . وقد ارتديتها في اليوم السابق بمناسبة تقديم سرب الطيارين الأول في القوات الجوية الأردنية . ولما كنت أريد تنظيفها فقد بعثت بها إلى عمان مع ملابسي الشخصية الأخرى قبل تناول الفطور .

وأمرني جدي قائلا .

– عليك بارتداء البزة العسكرية .

فأسرعت إذن بإرسال ساع لاستعادة الرداء بأسرع وقت ممكن .

وغيرت ملابسي بعد قليل من أجل زيارة نابلس التي لم تستغرق وقتا طويلا ، ولما كنا متقدمين في الوقت على البرنامج المحدد ، فقد استقبل جدي بعض الوجهاء المحليين .

كان بين الزوار الجنرال كوك الذي كان يسمى وقتئذ كوك باشا ، وهو قائد الفرقة الجديدة في الجيش العربي . لم يكن قد مضى على وصوله إلى الأردن إلا وقت قليل . ولقد قبلت بسرور طلب الملك أن أقوم بدور المترجم بينهما ، لا سيما عندما قال له :

- إني فخور بحفيدي وغدا سوف أقلده شعار المرافق العسكري .

قليل أولئك الذين كانوا يعرفون أن غدا بالنسبة لجدي سوف لن يأتي أبدا . كان هناك رجل يعرف ذلك . ولقد كنت إلى جانب جدي عندما وصل خاضعا متواضعا يلتمس المقابلة . كان اسمه الدكتور موسى عبد الله الحسيني . كان من أقرباء المفتي ، ومن خريجي جامعات ألمانيا الغربية .

لقد خرّ راكعا أمام الملك ثم أعرب له ، وعيناه تحدقان في عينيه عن ولائه ، متمنيا له طول العمر والسعادة .

وبعد ساعتين كان الملك قد قتل . أما الحسيني فقد كان تورطه في هذا الاغتيال من الخطورة بحيث تم إعدامه »[1] .

« جلس أحدنا بجانب الآخر ، وانطلقنا باتجاه المسجد . كانت كل التدابير الأمنية قد اتخذت . وكانت تحرس الطريق قوات مجهزة بكامل أسلحتها .

---

(1) المصدر السابق ص 37 .

كان القلق باديا على الوجوه . وما إن دخلنا المدينة القديمة حتى ترجلنا متجهين إلى المسجد . كان الحرس العسكري من كثرة العدد إلى الحد الذي جعلني أسأل ضابطا :

– ما الذي يجري ؟ هل يتعلق الأمر بمسيرة جنائزية ؟

كنت أسير خلف جدي باتجاه خفيف إلى اليمين . لقد تبادل بعض الكلمات في الطريق . ثم انتصب باب المسجد أمامنا تماما .

قدم حرس الشرف التحية العسكرية .

وعندما دخل جدي المسجد استدار نحو قائد الحرس وسأله عما إذا كان لا يعتقد بأن المراسم العسكرية غير مناسبة في مكان مقدس .

وتقدم نحو الباب ، وما كاد يخطو خطوات حتى ظهر رجل وراء الباب الكبير إلى اليمين :

لم يكن في حالة طبيعية ، وكان يمسك بسلاح . وقبل أن يستطيع أحد أن يبدي أية مقاومة ، أطلق النار . لم يره جدي أبدا . وكان على بعد مترين من القاتل .

فأصيب برأسه ، فانهار على الأرض وقد انتشرت عمامته .

لم أتبين فورا ما قد حدث خلال لحظة كانت تبدو دهرا كاملا . بقي القاتل جامدا غير قادر على الحركة .

إلى جانب قدمي ، كان شكل أبيض مسجى على الأرض . بقيت لا أفهم أبدا .

وفجأة استدار الرجل وفر هاربا . فانطلقت في أثره في داخل المسجد . وفي الوقت الذي انطلق مسرعا ، رأيت من طرف عيني كل أصدقاء جدي

يهربون في كل اتجاه . إنني مازلت أراهم ، هؤلاء الكبراء وأعيان الدولة وهم يخفون وجوههم ويفرون كأنهم العجائز المذعورات .

إن هذه الصورة سوف تبقى محفورة إلى الأبد في ذاكرتي أكثر من صورة القاتل ، لأنها إلى حد كبير البرهان الأكيد الدائم على ضعف الولاء السياسي وسرعة زواله .

كل ذلك حدث في جزء من الثانية . وكان القاتل يجري في خط متعرج دون أن يعرف في أي اتجاه يفر . وكانت طلقات الرصاص تلعلع في كل مكان داخل المسجد . وفجأة التفت ، بعد أن حوصر في زاوية ، فاستشففت وجهه وفمه الأدرد الخالي من الأسنان ، وكانت عيناه تلمعان والسلاح مازال في يده اليمنى عندما رأيته يسدده نحوي ، وقد أصبت بما يشبه مفعول التنويم المغناطيسي ، لقد حدثت الأمور بسرعة : رأيت الدخان وانطلقت الرصاصة فترنحت وقد تزعزعت أركاني من جراء صدمة كبرى أصابت صدري .

فتساءلت عما « إذا كان ذلك هو الموت » وانتظرت ولكن لم يحدث شيء لقد حدثت معجزة . فقد ضربت الرصاصة أحد أوسمتي ثم ارتدت . عندما سقط القاتل بدوره كان مستمرا في إطلاق النار »[1] .

* * *

أراد الملك عبد الله أن يذهب إلى القدس لصلاة الجمعة فاعتذر معظم أصدقائه ورجاله بأعذار واهية على حد تعبيره هو شخصيا حسب ما روى

---

(1) المصدر السابق ص 39 .

لنا الملك حسين في كتابه . فهل كان هؤلاء الكبراء يعلمون شيئا عن المؤامرة ؟

جاءه السفير الأمريكي ورجاه بحرارة ألا يذهب إلى القدس لوجود مؤامرة للاعتداء على حياته . فهل كان السفير يعلم بشيء عن المؤامرة ؟

كان المسجد قد اصطف أمام بابه الحرس والجند ، ولكن بداخله لم يكن هناك أحد من الحرس أو الأمن على الإطلاق ، بدليل انتظار القاتل خلف الباب من الداخل و لم يتعرض له أحد لعدم وجود من يمكنه التعرض ، فهل تم هذا عن عمد ، وكان هناك من الحرس من يعرف بقصة الاغتيال ؟

الذين كانوا مع الملك سارعوا بالجري والاختفاء وهم يضعون على وجوههم أيديهم حتى لا يعرفهم أحد . هل ذلك لشعورهم بالخيانة ، وأن القاتل معه آخرون يريدون قتل جميع الخونة ؟ فقد كان جميع رجال الإدارة في ذلك الوقت خونة من وجهة نظر الشعب العربي أجمع .

* * *

حاول الطبيب الذي تصادف وجوده أو جاء على عجل إنقاذه من الموت بأن فك ملابسه في ذلك اليوم الشديد الحرارة ، ولكن بلا فائدة فقد كانت الرصاصة في الرأس وعلى بعد مترين وهي إصابة مباشرة أودت بحياته في لحظة واحدة . وحملوه في بعض بسط المسجد إلى السيارة التي نقلته إلى المستشفى ، وأقنعوا الملك حسين بالذهاب إلى المطار حتى يذهب إلى عمان ، فليس هناك من معنى لذهابه إلى المستشفى مع جثة هامدة ، وقد يكون هناك بعض القتلة لا يزالون مطلقي السراح .

والذي أذكره عن هذا الحادث عندما كنت صبيا أن موجة من الفرح العارم قد شملت العالم العربي والإسلامي عندما أذيع نبأ اغتياله .

كان يمكن للحادث أن ينتهي عند هذا الحد بإطلاق الرصاص على القاتل الذي لم يعرفه أحد والذي مات في نفس الوقت ، ومات سره معه .

فقد تمت التحريات وعرف أنه يعمل بمقهى في مدينة القدس ، وليست لديه أية انتماءات سياسية أو حزبية ، بل هو عامل مقهى بسيط متواضع لم ينل حظا من التعليم ، ولا يعرف القراءة أو الكتابة وانقطع الخيط بين دهشة الجميع لقدوم مثل هذا الرجل « مصطفى عشو » على اغتيال الملك عبد الله . وصعب على جهات التحقيق الحصول على الدافع ، أو معرفة طبيعة هذه القضية .

وكانت الصدفة المحضة هي التي أدت لاكتشاف سر هذا الاغتيال ، ومعرفة من وراءه من أهل الرأي والانتماء السياسي .

وقد شاع أن الإنجليز كانوا وراء هذا الاغتيال بنحو أو بآخر ، ولكن ذلك لم يثبت في أي مراحل التحقيق . وربما عُرف ذلك واتفق على إخفاء ذلك الجانب من القضية .

وقد يسأل سائل : لماذا يقدم البريطانيون على قتل الملك عبد الله وهو طوع بنانهم ويفعل ما يطلبون منه دون تردد كبير ؟

والإجابة أن هذه هي سياسة الدول الكبرى أو أجهزة مخابراتها التي تقوم على تصفية العميل إذا كان في رتبة ملك أو رئيس بعد أن يكون قد أدى دوره وأصبح وجوده يثير قلاقل وغضبا قد يؤثر على مصالح تلك الدولة الكبرى التي يكون من مصلحتها تحقيق الاستقرار في ذلك البلد .

فقد صار الملك عبد الله شخصية مقيتة في كل بلاد العرب والمسلمين ، وكان محل ازدراء وكراهية الشعب العربي من المحيط إلى الخليج لدوره في الثورة العربية ، ثم أداؤه الدءوب في بيع فلسطين وتسليمها لليهود ، وهنا

تأتي الحاجة والضرورة للتخلص منه ، حتى لا يزيد الضغط على الشعب ، ويمكن التطلع إلى آفاق استعمارية جديدة . على أية حال فهذا الرأي لم يقم عليه دليل ، وإنما هي اجتهادات بعض أهل الرأي في مثل هذه الأمور .

وكاد التحقيق أن يغلق ، وأغلق بالفعل لولا الصدفة كما قلنا هي التي قادت إلى الخيوط الكاملة للاغتيال أو الوصول إلى معظمها .

وقد سمعت تفاصيل تلك القصة العجيبة من بعض الأصدقاء من شيوخ عمان الذين عاينوها وعايشوها ويعرفون أخبارها .

* * *

كان النائب العام وليد صلاح هو الموكل بالتحقيق في تلك القضية ، وقد يئس وأوشك على غلق الملف . ولكنه يفكر في هذه القضية ليل نهار ، ويحاول أن يفهم كيف تمت ، وعمل مئات التحريات ، وسأل عددا كبيرا من الناس بلا فائدة .

وكان على صلة ما بسيدة ألمانية كانت زوجة أحد الذين رتبوا عملية الاغتيال دون أن يعرف .

وكان يذهب إلى زيارتها في غياب زوجها ، وهو يذهب خفية وفي أوقات مأمونة . وفي مرة من هذه المرات شاهد رجلا يتسلل خارجا من عندها ، وراقبه وهو ينصرف فوجده حريصا على ألا يشاهده أحد . وظن وليد صلاح أن هذا الرجل على علاقة بهذه السيدة الألمانية .

ودخل المنزل وسألها غاضبا عن سبب وجوده عندها . وأجابته ببساطة إنه قد جاء يرد إلى زوجها مسدسا كان قد استعاره منه منذ أسابيع . ولأن وليد صلاح يفكر في هذه القضية ليل نهار ومنشغل بها فقد شعر

شعورا خفيا أن هناك صلة ما بين هذا المسدس وذلك الرجل وزوج تلك السيدة ومقتل الملك عبد الله .

وجاء بذلك الرجل مقبوضا عليه وأعلمه وليد صلاح أن زوج السيدة قد اعترف بكل شيء عن المؤامرة ، وأنهم عرفوا أنه أعاد المسدس في يوم كذا الساعة كذا ، وأنه يستطيع أن يكون شاهد ملك بمعنى أن يعترف بالتفاصيل ومن ثم ينجو من العقاب ، علما بأنه لم يطلق النار على الملك .

ثم أمر النائب العام وليد صلاح باستخدام السوط والعذاب على عادة ما يجري في بلادنا أثناء التحقيق .

واعترف الرجل اعترافا تفصيليا ، وكذلك فعل الآخرون ، فقد كان لدى النائب العام المعلومات التي يمكن من خلالها أن يقيم بناء القضية وكيف سارت . والسوط والعذاب من العوامل الحاسمة في مثل هذه الأمور ، وهي أقصر الطرق في الوصول إلى مثل هذه الأسرار .

* * *

كان المتآمرون أربعة عدا القاتل الذي أطلق عليه النار في المسجد . ولم تكن هناك صلة بينهم وبين القاتل . كل ما في الأمر أنهم كانوا يجلسون في المقهى الذي يعمل فيه ، وعندما أرادوا الانصراف عرضوا عليه أن يصحبهم إلى مزرعة قريبة حيث يقضون يوما ، فيقوم على خدمتهم ، ويعطونه أجرًا مجزيا .

وذهب الرجل معهم يعد لهم « النرجيلة » والطعام ويجلس على مقربة ينتظر أوامرهم ويستمع إلى أحاديثهم .

ويبدو أن المتآمرين على درجة كبيرة من الذكاء ، وهم يبحثون عن قاتل

تنقطع خيوط القضية بقتله وقد عثروا على ضالتهم المنشودة في شخص مصطفى عشو الذي لم ينل حظا من التعليم ، ويتمتع بسذاجة كبيرة تؤهله للقيام بمثل هذا المشروع الخطر .

وفي ذلك اليوم صاروا يطلقون بعض الأعيرة النارية على أهداف صنعوها أمامهم كنوع من لفت الانتباه والتدريب أيضا .

ومصطفى عشو ينظر إليهم وهو سعيد أن يكون في خدمة هؤلاء البكوات الذين يرتدون الملابس الغالية ، ويعاملونه ببساطة وبتودد .

وفي الأسبوع الذي تلا ذلك طلبوا منه أن يأتي لخدمتهم كالعادة وذهب معهم فهو أمر يبعث في نفسه السرور ، وهم يعطونه أجرا مجزيا أضعاف ما يأخذه في القهوة ، ناهيك عن العمل الشاق هناك .

ودهش مصطفى عشو دهشة شديدة في تلك المرة الثانية عندما سمع الحديث الذي دار بينهم .

– أنا أقول لك لن يصيبك الرصاص بأذى .

– هل يمكنك أن تجرب هذا .

– نعم ... امسك أنت المسدس وأطلق علي الرصاص ولن يصيبني شيء وسوف ترى .

ووقف واحد منهم وصوّب ضده الآخر المسدس ، وسمعت الفرقعة وانبعث الدخان من فوهته ، وإذا بالآخر يبتسم ويضحك بين دهشة عشو العارمة . فالرجل قد أطلق عليه الرصاص أمام عينيه و لم يمت ، بل هو حي معافى يضحك عاليا .

ثم تبادلا المواقع ، وارتفع صوت الرصاصة ، و لم يصب ذلك الذي

أطلق عليه النار ، وعشو يفرك عينيه من الدهشة وهو يسمع الحوار .

– هذا الحجاب الذي ترتديه عند إطلاق النار قد صنع في السودان ، وقام على تنفيذه عدد كبير من السحرة وهو قد تكلف عشرة آلاف جنيه . ومن يرتديه لا يقتل أبدا بأي رصاص . وقد رأيت .

وهنا تدخل عشو وطلب ملحا أن يجربوا هذا الحجاب عليه ، وألبسوه الحجاب وأطلقوا عليه الرصاص عدة مرات ، ولم يصب فالرصاص كان « فشنك » يحدث صوتا ويصدر دخانا ولا شيء بعد ذلك .

وكانت فرحة عشو عارمة لمعرفته هذا السر .

وفي الأسبوع الذي جاء بعد ذلك سمعهم يتكلمون عن مقتل الملك عبد الله لخيانته للعرب والمسلمين . وسألهم عشو بسذاجة :

– ولماذا لا يقوم واحد فيكم بهذا العمل ؟

وأخبروه أن وجوههم معروفة لرجال المخابرات وللملك شخصيا ، وأنهم يبحثون عن شخص ليس محل شك أو انتباه الحرس ، وأنه سوف يحصل على مليون جنيه بعد قيامه بهذه المهمة . وأن أحدا من الحراس لن يستطيع له شيئا . فالرصاص لن يضره . وبعد أن ينتهي من مهمته سوف تنتظره طائرة مثل هذه ، وأشاروا له إلى طائرة كانت تطير صدفة في ذلك الوقت . وسوف ينقلونه إلى فرنسا حيث أعد هناك قصر فخم لمن يقوم بهذه المهمة . المهم أن يغادر مكان الحادث بسرعة ولا يعبأ بإطلاق الرصاص عليه فهو لن يضره في شيء .

وتحمس عشو وعرض أن يقوم بهذه المهمة وهم يتمنعون ، وهو يلح

عليهم حتى وافقوا في النهاية ، وقاموا بتدريبه على هذه العملية بمنتهى الدقة في التصويب .

وليلة الحادث قضى ليلته في المسجد الأقصى ، وتمت القصة على النحو الذي رأينا . وذهب الملك عبد الله غير مأسوف عليه بعد أن رسم نموذجا للحاكم العربي الخائن .

ولكن لماذا لم يكن هناك حرس داخل المسجد ، وهذه هي أبسط قواعد الأمن ؟ لا أحد يعرف !!

... يتكلمون عن مقتل الملك عند

... الساحة ...

... العمل ؟

... الطائرات والملك شخصيا ، وأنه

... الحرس ، وأنه سوف يحصل

... وأن أحدا من الحراس لن يستطيع

... من مهمته سوف ...

... صدفة في ذلك الوقت

... لن يقوم بهذه ...

... إطلاق الرصاص ...

... مهمته وهم يستعدون ...

الملك طلال هو الجسر لحكم الحسين

الفصل الثانى عشر



الملك طلال هو الجسر لحكم الحسين

الملك طلال يتولى العرش:

قتل الملك عبد الله في 20 يوليو عام 1951 ونودي بطلال ابنه ملكا على الأردن في 6 سبتمبر عام 1951 أي بعد حوالي شهر ونصف من مقتل الملك عبد الله.

ويعزي هذا التأخير إلى تردد في بعض الأوساط التي لها حق الإشراف على دولة الأردن مثل الإنجليز، ترددهم في اختيار الأمير طلال الابن الأكبر للملك أو اختيار أخيه الأمير نايف ليجلس على عرش الأردن.

وتجاوز الابن الأكبر للملك إلى الذي يليه شيء لا يتفق مع العرف الإنجليزي الذي لا يوافق على هذا في البلاد الأخرى إلا لضرورة بالغة. وكان الملك طلال يستجم في سويسرا عندما قتل أبوه، وسافرت إليه بعثة إنجليزية كأنما هي للدراسة والنظر في إمكانية التعاون مع الملك الجديد أم أن هذا أمر صعب؛ فقد اشتهر الملك طلال بالنزعة الوطنية وحبه لقومه ومحاولة تقديم شيء للأمة الإسلامية، وأنه ينبغي التخلص من سلطان الإنجليز والتحرر من تبعيتهم، وكان على صلة وثيقة بأصحاب النزعات التحررية من الأردنيين، وهو يشجعهم دائما عندما كان أميرا على محاولة التخلص من النير الأجنبي.

وليس هذا سببا يجعل الإنجليز يحجبون العرش عنه، فهم يعرفون دائما أن الكلام في المقهى شيء والكلام من قصر الحكم شيء آخر. والوطنية في الشارع غيرها عندما يمارس ملك مسئولياته، فهو عندما يتوج يفاجأ بكل ما لم يكن يخطر له على بال من الأسرار والاتفاقات والالتزامات التي تحوله في يوم وليلة من رجل بريء نظيف إلى طاغية جبار يبيع قومه كل ساعة، ويخون الله ورسوله والمؤمنين، كما كان يفعل « المغفور له » جلالة الملك عبد الله بن الحسين.

وللإنجليز تجارب عديدة في هذا المجال ، ولهم خبرة لا تنكر في مجال الحكم والسياسة وإدارة الشعوب ، ولعلنا لم ننس كيف أن الخديو توفيق حاكم مصر في القرن الماضي ، كان يجلس إلى جمال الدين الأفغاني يتعلم الثورة ويتنفسها من كلماته المتوهجة ، وكيف عاهده إن وصل إلى كرسي الخديوية أن يحكم بالعدل ويجري الإصلاحات اللازمة ، ويتخلص من سلطان الأجانب .

وكانت فرحة جمال الدين الأفغاني طاغية عندما سمع بتنازل الخديو إسماعيل وتولية ولده مكانه على العرش ، وظن أن كل أحلامه تتحقق ، وأن كل ما نادى به من إصلاحات سوف يكون .

وكان أول قرار وقعه الخديو توفيق بعد أن جلس في قصر عابدين العامر هو طرد جمال الدين الأفغاني من مصر ؛ لأنه على حد تعبير القرار : « يجلس إلى شباب فاسدين ، اجتمعوا على فساد الدنيا والدين » .

فليس هناك خوف من تولية طلال ، وليس هناك من داع لتخطي التقاليد الإنجليزية التي هي عندهم بمثابة أحكام الدين عند المسلمين . وعندما يجلس طلال على كرسي العرش سيكون سهلا وأسلس قيادا ، وسوف ينسى القومية والوطنية ، ولن يتذكر إلا ما كان أبوه يحاوله طول الوقت ، وهو أن يتشبث بالكرسي حتى يموت أو يقتل ، وهذه هي المادة السحرية التي حقن بها الإنجليز كل حكام الشرق حتى صارت تقليدا لا محيد عنه .

العرش أو الرئاسة ومنها إلى القبر ، وليس هناك من تصور آخر .

وقد رضي الناس منهم هذا حتى صار كأنه عقد بين الحاكم والمحكومين في بلادنا .

لعل أول من حدثنا عن طفولة الملك طلال هو العلامة محمد أسد النمساوي الذي كان اسمه ليوبولد فايس ثم اعتنق الإسلام بعد رحلة طويلة في بلاد الشرق تعرف فيها على الدين الإسلامي عن قرب ثم كتب كتابه الشهير « الطريق إلى مكة » الذي ترجم إلى لغات كثيرة لقيمته العالية وأهميته البالغة .

وقد زار محمد أسد الأمير عبد الله بن الحسين عندما كان أميرا جديدا لشرق الأردن وكان يسكن مخيما على رابية تشرف على عمان .

وكان ذلك في صيف عام 1923 .

وهو يحكي عن جلسة معه فيقول :

« وبالرغم من أن كثيرا من العرب لم يكونوا راضين عن الدور الذي لعبه – الأمير عبد الله – في الثورة التي قام بها الشريف حسين بوحي من الإنجليز ضد الأتراك واعتبروها خيانة من قبل الإنجليز لإخوان لهم في الدين ، فإن الأمير عبد الله قد فاز بشيء من الاعتبار بتزعمه القضية العربية ضد الصهيونيين[1] ، ولم يكن قد أتى اليوم الذي أدت فيه سياسته المتميزة باللف والدوران إلى جعل اسمه ممقوتا في العالم الإسلامي كله .

وإذ كنا نحتسي القهوة من الفناجين الدقيقة التي كان يدور علينا بها الخادم الأسود .... أخذنا نتحدث ... وظهر صبي يناهز عمره الثانية عشرة من وراء أحد الحواجز ، واجتاز الغرفة المعتمة التي كنا فيها بخطوات سريعة

---

(1) هكذا كان يظن الناس آنذاك ولم تكن الاتصالات والاتفاقات قد كشفت بعد . « أحمد رائف » .

صامتة ، وقفز دون ما ركاب ، إلى ظهر الجواد الذي كان يثب مرحا خارج الخيمة ، والذي كان أحد الخدم ممسكا به استعدادا لقدوم الصبي . كان ذلك الصبي ابن الأمير البكر طلال . وفي جسمه النحيف الأهيف ، وفي قفزته السريعة إلى ظهر الجواد ، وفي عينيه البراقتين ، رأيت مرة أخرى : ذلك الاتصال الحقيقي بالحياة الخاصة التي كان يمتاز بها العرب عن كل ما كنت قد عرفت في أوروبا .

وإذ لاحظ الأمير عبد الله إعجابي الواضح بابنه . قال :

– إنه شأن كل طفل عربي آخر يكبر ونصب عينيه هدف واحد : الحرية .

وفي ذلك الحين ـــ 1923 ـــ لم يكن أحد يمكنه التنبأ بالخلاف الشديد الذي كان مقدرا له ، فيما تلا من السنين ، أن يطبع العلاقات بين الأمير عبد الله وولده طلال ، فيحمل الابن على أن يكره ملاينة أبيه للسياسة البريطانية في العالم العربي ، والأب على أن يستاء من صراحة ابنة الحماسية ووطنيته . كذلك لم أستطع أن أرى – والحديث لمحمد أسد – لا في تلك المناسبة أو غيرها من المناسبات أية أمارة من أمارات « الاضطراب العقلي » عند طلال ، ذلك الذي ادعوه ، وأدى بعد ذلك إلى تنازله الإجباري عن العرش الأردني عام 1952 »[1] .

وهذه شهادة لها اعتبارها عن طفولة الملك طلال من العلامة محمد أسد الذي أسلم وحسن إسلامه وشهدت بهذا جموع كثيرة من خيرة المسلمين . وهو يتميز برجاحة عقل ونظرة صائبة سديدة ، ورأي حسن في الأمور .

---

(1) الطريق إلى مكة محمد أسد ص 149 ، بيروت 1968 ، الطبعة الثالثة .

صديق لطلال يخبر عن رأيه فيه :

وقد رأيت أستاذا فاضلا في عمان مرة ، وقد عرفني عليه بعض الأصدقاء على أن هذا الأستاذ كان من أكثر أصدقاء الملك طلال قربا له في طفولته وصباه . وكان هذا الرجل ملمًا بشئون الأسرة الهاشمية وعلى دراية كبيرة بها . وكنت على اهتمام كبير في ذلك الوقت بقصة الملك طلال وإجباره على التنازل عن العرش ، هل كان مجنونا حقا ؟ أم كان وطنيا شريفا وألصقوا به تهمة الجنون للتخلص من مبادئه ومثاليته ؟

وقد أكد لي صديقه هذا أن طلال لم يكن مجنونا على الإطلاق ، بل كان راجح العقل سديد الرأي .

وسألته عن طفولته وشبابه فأجابني :

- كانت مشكلته الأساسية ما حدث فيما يسمى بالثورة العربية الكبرى التي أحدثها جده . وكان يرى أن هذه كانت من جرائم القرن العشرين التي ارتكبها عربي مسلم ضد قومه وعشيرته . وكان طلال قد صحب جده الشريف حسين في منفاه إلى قبرص . وعاش معه أياما كان فيها ما هو حلو وأغلبها مرّ شديد المرارة للعوز والضيق والفقر وتنكر أبنائه له ، إما للجحود والنكران أو لفقرهم أيضا ، فهم لا يستطيعون مساعدته لضيق ذات اليد . ولهذا كان شديد الحزن على ما حدث .

وسألته يومها :

- أثناء إقامته مع جده في المنفى بقبرص . ألم يدر بينهما حوار حول ذلك ؟ هل سمعت شيئا منه في هذا المجال ؟

وتنهد الرجل طويلا وهو يسترجع الذكريات :

- لقد قصَّ عليّ طلال الكثير من هذه الأحاديث ، وقد كان هذا هو الموضوع الرئيسي الذي يتكلمان فيه هناك بالمنفى في قبرص . وكان يعاتب جده فيما حدث وكان جده يوافقه على أنه قد أخطأ في حلفه مع الإنجليز ضد الأتراك . وأنه لو عاد به الزمن لما فعل ذلك . وكان كثيرا ما يشرح لحفيده طلال أخطار الإنجليز واليهود على الأمة الإسلامية والعربية .

وسألته :

- هل كان يتوقع أن يصبح ملكا على الأردن ؟

وأجابني باسما :

- كلا على الإطلاق لم يخطر هذا بباله أبدا ، فهو يعرف أن الإنجليز يختارون الملوك بعناية شديدة ، وكان هو يجاهر بالعداء لهم منذ كان صبيا .

وسألته

- وكيف كانت صلته بأبيه ؟

- كان يمقت الملك عبد الله مقتا شديدا لأنه كان يعرف صلة الملك باليهود ويرى بنفسه زعماءهم وهم يزورونه كثيرا . وكان يمقت رجال الملك لأنهم كانوا غارقين في الفساد ، وهو لا يتورع أن يسب أي واحد فيهم مهما علا شأنه سبا قبيحا أمام الأشهاد . لهذا كانوا يعملون له كل حساب . وكانوا يتملقونه ويتوددون إليه بلا فائدة .

وعدت أسأل ملحًا :

- ما يعنيني هو مسألة جنونة ما مدى صحتها ؟

- ليست صحيحة على الإطلاق فقد ظن الإنجليز أنه بعد أن يصير ملكا سوف يكون أداة طيعة في يدهم ، وفشلت محاولاتهم في ترويضه فاخترعوا

قصة الجنون هذه ، واعتقل تقريبا ونقل إلى المصحات المختلفة في مصر وتركيا ولم يعد أحد يراه . وكان كبار رجال القصر والحكومة عندما يجابهم بقسوة يقولون لبعضهم بعضا من قبيل العزاء ، هو رجل مجنون . فالأمانة في نظرهم جنون والاستقامة نوع من الخلل العقلي . ولو قدر له أن يستمر قليلا في الحكم لأحدث انقلابا كبيرا في كل شيء . ولكني أجزم لك أنه لم يكن مجنونا فقد صحبته سنين طويلة وكان من أعقل الناس عليه رحمة الله .

– هل كان يحب زوجته ... الملكة زين ؟

– كان يمقتها ... كان يمقت كل عائلته تقريبا ويراهم فاسدين مضلين عبيدا للاستعمار ... وقد تزوجها رغم أنفه ، وكانوا من خلالها يريدون إعداده إعدادا استعماريا جيدا فقد كانت الملكة منذ نعومة أظفارها إنجليزية التفكير والعواطف وقد نشأت بينهم ، وصلتها عميقة ووثيقة بالسفير الإنجليزي في ذلك الوقت .

– وأبناؤه ؟

– بطبيعة الحال لا يكره الرجل أولاده أبدا ، ولكن طلال كان يعيش وحيدا ... وأجمل لحظاته عندما كان يتسلل ليقضي معي بعض الوقت نلعب الشطرنج أو نتحدث فنسب الإنجليز واليهود والأسرة الهاشمية . فقد كان يجاهر بهذا .

– وهل كان الشعب الأردني يحبه ؟

– اسأل الناس ، كانوا يحبونه حبا عميقا لصراحته واستقامته ووطنيته ، ولبساطته التي لا حدود لها ، فقد تراه كثيرا يجلس في مقهى من المقاهي أو يرتاد مطعما متوسط الحال ، فالرجل لم يكن ثريا ... كان فقيرا ...

وكان يقترض مني بعض النقود في كثير من الأحيان .

– وهل ردها بعد ذلك ؟

– نعم .

وهنا ضحك الرجل ضحكة مجلجلة . وسألته عن سبب هذه الضحكة وما الذي تذكره وجعله يضحك هكذا ؟ فقال لي :

– بعد أن صار ملكا كان يهرب من الحرس ويأتي لزيارتي في بيتي ، ويطلب مني أن نخرج إلى الشارع للنزهة . وعندما ألح علي وخرجنا وجدنا جمعا كبيرا من الناس يقفون للفرجة أمام البيت . ووجدت عربة الحرس التي استطاعت أن تتبعه حتى وصل عندي . وسبهم ونهرهم وصرفهم .

وصرنا نتجول في الدوار الثاني من عمان ، وزاد عدد الفضوليين الذين تبعونا للمشاهدة والفرجة . وكان يومها سعيدا ، أما أنا فقد كنت في غاية التوتر ، فلم يسبق لي أن مشيت مع ملك في الطريق العام نتبادل الأحاديث والنكت والسخرية أحيانا من بعض الأمور .

– وبماذا كنت تناديه ؟

– كنت أناديه بكنيته أبي حسين . وقلت له مرة : يا سيدنا فأغرق في الضحك وضحكت معه بعد لحظة .

– وما رأيك في ولده الملك حسين ؟

هذا صناعة غربية يهودية قد تم إعداده ببراعة شديدة . وقل أن يحصلوا على مثله في المشرق أو المغرب .

وسألته سؤالا أخيرا :

– هل كانت له آراء غريبة أو متطرفة تكون ذريعة لمن يتهمه بالجنون ؟

– كانت جميع آرائه غريبة ويراها أهله متطرفة ، وكلام مجانين ... هكذا كانوا يقولون ... فمثلا ... كان يرى أن المذهب الوهابي ... مذهب أعداء أسرته ... والذين ورثوا عنهم ملك الحجاز ... كان يقول إن تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي أقرب التعاليم إلى الإسلام ، وهي بسيطة بريئة نرى فيها التطهر وصلب العقيدة الإسلامية ... وكان يزيد على ذلك فيقول إن عبد العزيز آل سعود هو أقدر العرب على حكم العرب ، ولو أنصف الناس لانضم الجميع تحت لوائه في دولة واحدة بدلا من هذا التشرذم والتفرق .

وتنهد الرجل تنهيدة طويلة وزفر زفرة حارة وقال :

– كان إنسانا عظيما وكان يمكن أن يقدم أعظم الخدمات للإسلام والمسلمين . فقد كانت تحكمه عقدة أن أهله قد خانوا العرب والمسلمين ، وكان يريد أن يكفر عن ذنب عائلته ولم يسمح له الإنجليز بذلك .

طلال يدبر انقلابا ضد الملك عبد الله :

كان الأمير طلال على صلة وثيقة بالحركة الوطنية الأردنية التي كانت تقاوم نفوذ الإنجليز وتعمل على وقف السيطرة الصهيونية على السياسة الأردنية . ويظهر ذلك جليا في مذكرات عبد الله التل الذي كان على صلة وثيقة به وبينهما نشاط مشترك له أطراف متعددة تصل إلى سوريا من ناحية ومصر من الناحية الأخرى .

فقد كان طلال يدبر انقلابا ضد أبيه ويتصل بالوطنيين من خلال عبد الله التل الذي يقول :

« أوفدت إلى مصر رسولا ناب عني في الاتصال بالمسئولين ، وعرض

الرسول وجهة نظري ، مستعينا بشخصية عربية كبيرة ... وحصلنا من المسئولين على موافقة مبدئية على مساعدتنا في قضايانا لمصلحة فلسطين خاصة والأمة العربية عامة .

ووعدت السلطات المصرية بتقديم المساعدات التالية :

1 - تقديم العون المالي للجيش وخاصة إذا قطع الإنجليز إعانتهم .

2 - مساعدتنا في المحافل الدولية لشرح قضيتنا .

واشترطت مصر أن تكون سوريا موافقة على الحركة ، فأكد الرسول ذلك .

وبتاريخ 1949/4/21 قام حسني الزعيم بزيارة مفاجئة لمصر ، وبحث فيما بحث ، موضوع حركتنا في الأردن . واتفق مع المسئولين في مصر على كل شيء . ثم عاد إلى سوريا ليشن حملة شعواء على ملك الأردن وحكومته ، لمساعدتنا في إعداد الشعبين السوري والأردني لتقبل الحركة .

وفي 1949/4/30 أرسل حسني الزعيم يطلب مني رسولا ليحمله رسالة شفهية . فاخترت شخصين كانا موضع ثقتي وتربطهما صداقة متينة وهما : السيد عبد الله الريماوي والشيخ تقي الدين النبهاني . وحملتهما جواز سفري السياسي ليقدماه للزعيم حسني الزعيم كإشارة متفق عليها بيننا .

وتحرك الرسولان إلى دمشق يوم 1949/5/7 بحجة شراء ورق لجريدة البعث .

واجتمعا بحسني الزعيم ونقلا إليه خلاصة عن سير العمل عندنا . وحملا منه رسالة شفهية يطمئنني حسني الزعيم فيها على تأييده وتأييد مصر ، ويطلب أن نواصل استعدادنا بروية وحذر لنكون واثقين من النتيجة ساعة التنفيذ .

الاتصال بالأمير طلال

عرف عن طلال عداؤه للاستعمار ومقته لاستخزاء والده وضعفه أمام الإنجليز . وكان الأمير يتصل بالشباب الأحرار ويؤيدهم في كفاحهم السري ، فاكتسب بذلك كله شعبية واسعة . ولذا فقد أطلعناه على خيط من خيوط الحركة ، وأخذنا موافقته المبدئية ، وأكدنا له أننا لن نسمح بالاعتداء على حياة الملك أو أي فرد من أفراد الأسرة المالكة .

ووافق معي في اجتماع عقدته معه في 1949/4/8 على تغيير الحكومة ، واعتقال رئيسها ، وحجز جلوب وضباطه الإنجليز في معسكر عمان .

ووافق طلال على تولي أمر المملكة والتعاون مع الضباط المخلصين الذين سنقدمهم إليه يوم الحركة »[1].

استمرار الاتصال بالأمير طلال

« لم أهمل أثناء وجودي في بلدي « إربد » أمر الاتصال بالأمير طلال والزعيم حسني الزعيم . وأصبت بمغص كلوي دخلت على أثره المستشفى الطلياني في عمان مدة عشرين يوما . وتمكنت بعد شفائي من الاجتماع بالأمير طلال في غياب والده الملك عبد الله في بغداد وذلك في 1949/8/6 ، واستعرضت مع طلال الحالة ، فأيد استقالتي ، وطلب مني أن استمر في الاتصال السري مع الضباط الأحرار »[2] .

ثم يحكي عبد الله التل كيف سارت الأمور على عكس ما يشتهون فقد

---

(1) مذكرات عبد الله التل ص 592 مصدر سابق .
(2) المصدر السابق ص 593 .

قتل حسني الزعيم في 1949/8/12 بعد أربعة أيام من عودة الملك إلى عمان من بغداد ، وتسلم سامي الحناوي الحكم بعد الزعيم ، وقد أطلع على العلاقة التي كانت بين الزعيم وبين عبد الله التل واعتبرها من الأمور الخارجية التي لها صلة وثيقة بمصالح الوطن العليا . وكيف أنهم واصلوا الاتصال به للمضي قدما في مشروع الانقلاب ضد الملك عبد الله ، وتم لقاء بين عبد الله التل وبين وفد القيادة السورية الجديدة في مدينة درعا على الحدود الأردنية السورية .

ويبدو أن انقلاب حسني الزعيم كان أمريكيا ، وقد ردّت عليه بريطانيا بانقلاب إنجليزي يقوده سامي الحناوي . ويبدو أن عبد الله التل ومن معه قد تشككوا في نوايا الانقلاب السوري الجديد . ومن ثم فقد فكر في السفر إلى مصر لاستطلاع رأي من فيها من المسئولين .

عبد الله التل يستأذن طلال في السفر !

ويبدو من سرد عبد الله التل أن الأمير طلال يقود تنظيما ضد دولة ، أبوه على رأسها ، لخيانته للأمة وللمعاني القومية والدينية ، وأنه العقل المدبر الذي يمسك بجميع الخيوط في يده ، وأنه في غاية الاتزان وبعيد تماما عن الجنون كما ادعوا بعد ذلك للخلاص منه .

فالتل يبدي مخاوفه للأمير طلال فيوافقه عليها ، ويحبذ السفر إلى مصر[1] حتى يعرف هناك رأي المسئولين فيها ، ووجهة نظرهم في انقلاب الحناوي .

---

(1) المصدر السابق ص 597 .

وقد تم اللقاء عندما سافر الملك عبد الله إلى لندن حيث تمكن التل من لقاء الأمير مرتين . ونصح الأمير أن يكون السفر إلى مصر مسببا ، فهو يذهب أولا إلى بيروت للعلاج ويحصل من هناك على تقرير طبي ينصح بعرض نفسه على أطباء مصريين . وعندما يذهب إلى مصر لابد له من الحصول على تقرير طبي من أي مستشفى مصري . فإن عاد الملك من لندن وعلم بغيابه فيمكنه تقديم هذه التقارير ومن ثم يكون في أمان .

وفي القاهرة عرف التل من المسئولين المصريين أن الإنجليز يكادون تقريبا أن يطبقوا عليه ، وأنهم يعرفون أهدافه وبعض وسائله ، وأن المسألة مسألة وقت . ونصحوه بالقدوم إلى مصر والإقامة بها ، ويمكنه الاتصال بالأحرار في عمان في أي وقت يشاء .

وعاد التل وعرض على الأمير طلال القصة بالكامل حيث أيد تركه للأردن للمحافظة على أمنه وأمن من معه أيضا .

والذي يتأمل هذا السلوك يتأكد من كذب دعوى الجنون التي يرمونه بها .

أم أنه قد صار مجنونا عندما أراد أن يتخلص من النفوذ الإنجليزي وأن يساعد في خلق وطن قوي يلتحم مع جيرانه العرب ويحقق أماني قومهم في مستقبل أفضل ؟

الملك طلال قبل التنازل عن العرش :

يحكي الملك طلال في مذكراته كيف وصل إلى عمان بعد وفاة جده الشريف حسين وانتظر عند السكرتير عدة ساعات حتى أذن له أبوه بلقائه وكان لقاء جافا خصص له فيه الملك راتبا شهريا عبارة عن ستين دينارا

وأمره ألا يمكث في القصور الملكية حيث كان يعيش مع أخيه نايف وأخته بسمة ، وذهب يبحث عن شقة في مدينة عمان ، وأعطاه أحد أصدقائه الشقة التي كان يسكنها .

وكان يعيش حياته بعيدا عن القصر يقرأ الكتب ويتردد على بعض الأصدقاء وعلى الأخص الوطنيين الأحرار الذين ساءهم حال القصر والملك ومصير البلاد الذي صار ألعوبة في يد الإنجليز واليهود .

وفي يوم زاره رئيس الديوان الملكي وأخبره أن الملك يعد له مفاجأة سارة ، فقد قرّر الملك تزويجه وحدّد له الساعة الثامنة موعدا للقائه .

وقابله أبوه في حضور السفير البريطاني ، وأخبره بعروسه بعد ذلك أنها الشريفة زين شقيقة الشريف ناصر . ولم يكن هناك مجال للاعتراض كما ذكر .

وجاءوا بها لتعيش في القصر شهرين قبل الزواج ولم يسمح له بلقائها أو مقابلتها ولكنه عرف أن السفير البريطاني وزوجته كانا يترددان عليها ويمكثان معها وقتا طويلا .

وفي ليلة الزفاف صارحته الملكة زين أنها لا تحبه ولا تطيقه ، ولكنها الظروف هي التي حكمت بزواجهما ، وأخبرها طلال أن الحال من بعضه ، وأنه أيضا لا يطيقها ، ولكنها إرادة القوي على الضعيف .

وكان دعمه المادي من الملك يتوقف على حسن علاقته بالشريفة زين زوجته ، فهو إن ضايقها يسحبون منه السيارة ، أو يمنع من دخول القصر ، أو لا يدفع الإيجار الشهري للبيت الذي يعيش فيه ، أو أي شيء من المضايقات التي تجبره على حسن الصلة بزين .

وجاءت فترة فكر طلال في تطليقها ، وانتقل إلى بيت رخيص الإيجار ، وأبدت له أنه يمكنهما العيش في هدوء وبلا ضجيج ، وأخبرها ببعض الشروط للحياة الجديدة في المنزل الجديد الذي أقسم صاحبه ألا يتقاضى إيجاره طالما عاش فيه . وكانت شروط طلال ألا تذهب إلى القصر ، ولا تتصل بالسفراء أو زوجاتهم ، وعلى الأخص السفير البريطاني .

وعاشا في تلك الفترة في راحة وهدوء وأنجب ابنه الأول : حسين ، وبعد ذلك محمد وحسن وبسمة .

وفي يوم من الأيام أرسل الملك عبد الله يطلب رؤية الأولاد ، وذهبت الملكة زين ومعها الأولاد ليراهم جدهم ، وعادت من هذه الزيارة كما كانت من قبل وعلى سابق عهدها ، وكانهم أعطوها عقارا جديدا جعلها وكأن لم تتغير أو يحدث لها ما حدث .

واحتجز الملك الأولاد بالقصر الملكي وعادت زين للتردد لرؤية أولادها .

وبعد أسبوع سمح لهم بأخذ الأولاد ما عدا حسينا الذي أصر على بقائه بجانبه . وأصبح أبوه لا يراه إلا مرة في الشهر ليس أكثر ، وكان ولده فيها شديد الفتور ينفر منه إذا لمسه ، وعرف أن سبب ذلك أن الملك عبد الله يسب طلالا سبا قبيحا أمام ولده حسين ، فنشأ الغلام وهو يكره أباه .

وكانت الملكة زين تغادر حيث تذهب إلى بيت السفير البريطاني كل يوم ، وهو لا يدري سر حرص السفير وزوجته عليها إلى هذا الحد .

ومرض طلال وزاد مرضه ، ولا أحد يلتفت إليه أو يهتم به حتى شك أن الأطباء الأردنيين يزيدون من مرضه بأمر من أناس لا يعرفهم .

وأرسل يستدعي طبيبا سوريا نصحه بالسفر إلى سويسرا ، وهناك بدأ يستعيد صحته ، ويبرأ من مرضه الذي لم يذكر شيئا عنه في المذكرات .

وفي سويسرا عرف بموت الملك ، وعاد بعد فترة ملكا للأردن ، وهو لم يدهش عندما عرف بمقتل الملك فقد أرسل إليه بعض الأصدقاء يخبرونه أن بعض أبناء الضفة الغربية سوف يقتلون الملك عقابا على تفريطه في فلسطين .

وهو لم يتحدث عن الفترة بين معرفته بقتل الملك وتنصيبه ملكا على الأردن ، وهي تتجاوز شهرا ونصف شهر ، وكان يهرب من الحديث فيها كما أخبر بذلك سكرتيره .

واستقبل في عمان استقبالا حارا ، وعزل الكثير من الموظفين وعَيَّن بعض من يثق فيهم . وفوجىء بمكالمة عاجلة من السفير البريطاني ، ورفض التحدث إليه وأخبر رئيس التشريفات أن على السفير أن يلجأ للطرق المعتادة لمقابلة الملك . ولكن السفير كان عنده بعد دقائق وأصر على مقابلته ، وسأله عن طبيعة التغيرات التي حدثت ، ورفض الملك طلال أن يشرح له شيئا منها أو أن يعطيه أي تفسير .

وقال له السفير البريطاني :

- إن حكم الأردن أمر صعب للغاية . ومن الضروري أن يستند حكام الأردن إلى دولة قوية تؤمن لهم حكمهم وتدعمه .

ولم يسمح طلال للسفير بالاستمرار وطرده من القصر ، وشاعت القصة ، ونشرت جوا من الابتهاج بين الشعب الذي جاء يحييه في مظاهرات على موقفه .

وحاول السفير عدة مرات أن يلتقي بطلال عن طريق رئيس التشريفات

ولكن الملك كان يرفض دائما . ورفض رئيس الوزراء الأردني التدخل بين السفير والملك خوفا من الملك . ولكن جلوب باشا قبل هذه الوساطة ودعا الملك إلى العشاء في وحدة من وحدات الجيش ، وهناك وجد الملك السفير البريطاني يجلس على المائدة ، ولم يدخل الملك وسارع بمغادرة النادي رغم توسلات جلوب .

ثم استدعى الملك جلوب في اليوم التالي وسلمه قائمة بها أسماء خمسة عشر ضابطا وطلب منه إحالتهم على الاستيداع ، وثار جلوب وقال للملك إنه لا يستطيع أبدا الاستغناء عن هؤلاء الضباط ، وأنذره الملك إن لم يمتثل سوف تزيد القائمة اسما آخر هو جلوب باشا .

كانت أحلام الملك كبيرة فهو يريد أن يحقق الكثير .

يريد أن يطمس الملامح التي خلفها الاستعمار في الأردن ، وأن يتم الاستغناء عن جميع البريطانيين في الجيش والوزارات ، أن يطالب بجلاء القوات البريطانية .

أن يعهد للعناصر الوطنية بجميع شئون الحكم .

واكتشف طلال أن العملاء الإنجليز منتشرون في كل مكان ، في الجيش والوزارات والشركات ، واكتشف أن معظم الساسة عملاء لبريطانيا ، وعرف أن جميع أسرار الدولة تبلغ أولا بأول للمخابرات البريطانية ، ووجد أن السفارة البريطانية هي التي تحكم الأردن .

وبدأ مع أصدقاء لم يذكرهم في وضع خطة للتخلص من هذه الأحوال السيئة .

وكانت هناك مشكلة ضخمة تقف في سبيل تحقيق هذه الإصلاحات .

هذه المشكلة هي الملكة زين . مشكلة لم يعمل لها حسابا و لم يظن أنها بهذه الضخامة .

فقد كانت الملكة تتصرف في الأردن وكأنه ضيعة أبيها .

فقد أخبر وزير الاقتصاد الملك أن الملكة استدعته وأمرته أن يجعل تجارة الأقمشة الصوفية من بريطانيا حكرا على تاجر سمته له ، ولما أخبرها الوزير أن هذا يتنافى مع قوانين البلاد ، قالت له الملكة إنها هي التي تضع قوانين البلاد . وطردت الوزير من القصر .

وجاءه يوما وزير الداخلية وأخبره أنه نفذ تعليماته التي وصلته عن طريق الملكة زين ، وأخبره الملك أنه لا يرسل تعليمات عن طريق الملكة . وعرف أنها أصدرت له أمرا بالإفراج عن ثلاثة من المجرمين .

وفي يوم آخر سألة رئيس التشريفات عن الساعة التي سيشرف فيها حفل العشاء الذي سيقام الليلة في القصر على شرف السفير البريطاني والذي أمرت به الملكة زين . وثار الملك وأمر بإلغاء الاحتفال وإبلاغ السفير بذلك قبل أن يأتي .

فما كان من الملكة زين إلا أنها ذهبت وتناولت عشاءها في منزل السفير .

وجاءت مع الفجر .

وجاءت له سيدة من قريباته تشكو الملكة أنها أمرتها أن تغادر قصرها الصغير لأن الملكة في حاجة إليه لبعض الاستقبالات .

وفي اليوم نفسه عرف أنها كلفت أخاها ناصرا بإخلاء منزل يجاور منزل وزير الخارجية لتقيم به صالونا آخر .

وعرف أنها أمرت أحدهم وكان قد بنى بيتا جديدا ألا يضع عليه اللافتة المعروفة في ذلك الزمن « للإيجار » وطلبت من شقيقها أن يكون هذا المنزل محل إقامة حلاقها اليوناني الذي جاءت به من بيروت .

وحكى له واحد من أصدقائه أن الملكة ذهبت إلى توكيل سيارات « البويك » وأخذت واحدة وأرسل التاجر الفاتورة إلى القصر فثارت الملكة ثورة عارمة ، وذهب الشريف ناصر وهدد التاجر أنه إن لم يقدم الترضية اللازمة لهذه الإهانة فإن التوكيل سوف يغلق .

وسأل التاجر عن الترضية المطلوبة ، فقال له الشريف ناصر إنها اعتذار وسيارة من نفس الموديل بلون آخر .

واستدعاها الملك يوما وناقشها الحساب وصفعها على وجهها لأنها كانت تجيبه بوقاحة شديدة ، ثم غادرت القصر كما أخبره بذلك ولده حسين الذي شهد جزءا من اللقاء .

وخرج حسين ومعه مجموعة من الشرطة يبحثون عن الملكة في كل مكان بلا فائدة ، ثم اتصلت هي بعد ثمانية أيام من بيروت ، وقالت إنها سوف تقضي بضعة أيام أخرى للاستجمام ثم تعود ، وسافر إليها حسين ليقنعها بالعودة ، ورفضت وعاد وحده .

وعادت الملكة بعد أسبوعين إلى منزل شقيقها وطلب حسين أن يقيم معها و لم يمانع طلال ، وأخبره بعض الأصدقاء أن السفير البريطاني يزورها كل ليلة ، وأنهم ربما يتآمرون لإقصائه عن العرش ، ولكن الملك طلال لم يكترث رغم أنه سمع أنها أرسلت مذكرة رسمية إلى الحكومة البريطانية تزين لها هذا الأمر ، ويتولى حسين ويحكم من خلال مجلس وصاية . وأن ذلك قد تم بالتفاهم مع عناصر من الحكومة والنواب .

وأخبر الملك بعض أصدقائه أن السفير البريطاني قد منح كل نائب من مجلس النواب ألف دينار كرشوة لإتمام إقصائي عن العرش دون ضجة .

وخرج الملك إلى منزل الشريف ناصر ليقابل زوجته الملكة زين وفوجئ بسيارة السفير أمام المنزل ، ودخل وفي الصالون وجدها تجلس وعن يمينها السفير البريطاني وعن يسارها يجلس الشريف ناصر ، وفي الصالون كان يجلس وزير الزراعة ووزير الأشغال وثلاثة من مجلس النواب ، وانسحب السفير ، وكذلك فعل الآخرون بعد أن قدموا للملك حججا واهية لتواجدهم .

وحدثت مشادة عنيفة بين الملك والملكة ، انتهت بأن قام الملك خارجا وطلب من الشريف ناصر ببحث إجراءات الطلاق .

وخرج الملك طلال هائما على وجهه عند بعض أصدقائه ، وعندما عاد إلى القصر في منتصف الليل وجد الملكة زين في انتظاره باكية ومعها الشريف ناصر وتوسلا إليه أن يصرف نظره عن فكرة الطلاق ، وتعهدا بعدم العودة إلى مثل هذه الأمور أبدا .

وكثرت شائعات إقصاء الملك عن العرش ، وجاءه الفريق جلوب باشا يشرح له أن السفير البريطاني بعيد كل البعد عن هذه الشائعات ، وأنه أرسله ليبلغ الملك ذلك .

وأصيب الملك بحالة من الإحباط والتدهور ورقد في الفراش وجاءه الأطباء ويبدو أنهم كانوا يعطونه عقاقير تزيد حالته سوءا .

وطلب الملك رؤية رئيس الوزراء فأخبرته الملكة أنه يخشى الحضور خوفا على حياته من أن يطلق الملك عليه الرصاص .

وثار الملك وأسرع إلى التليفون ليستدعي رئيس الوزراء ولكنه سقط مغشيا عليه لفترة لا يستطيع أن يحددها .

وأفاق الملك في وقت لا يستطيع تحديده هل هو أيام أو أسابيع أو شهور ، هو لا يعرف ، ولكنه وجد نفسه نائما في سريره ، ويقف على مقربة شقيق الملكة زين الشريف ناصر الذي نظر إليه متحديا وقال له :

– لقد وافق البرلمان على سفرك للعلاج .

وقال له الملك :

– أي علاج ؟

ورد عليه الشريف ناصر في قوة وتحد :

– إن حالتك الصحية خطيرة .

وترك الملك وانصرف .

عزل طلال وإجباره على التنازل عن العرش :

قبل أن يتقرر سفر الملك طلال للعلاج دعا توفيق أبو الهدى باشا لاجتماع عاجل في مجلس الوزراء حضره جمع هام من أعيان الأردن وكبرائها ممن لهم صلة وثيقة بالسفارة البريطانية ، وشهد الاجتماع :

الفريق جلوب باشا رئيس أركان حرب الجيش الأردني .

السيد عبد الرحمن خليفة رئيس الديوان الملكي .

الدكتور شوكت الساطي ، الطبيب الخاص للملك .

وكان يحضر جميع الوزراء .

وكان في الاجتماع ثلاثة من كبار قادة الجيش .

ومدير الأمن العام .

وقائد قوات البادية .

والمقدم صبحي طوقان .

وبعض النواب .

ويبدو أن كل من في الاجتماع كان يعرف السبب الذي من أجله انعقد ، فقد كان الصمت يخيم على المكان ؛ والعيون كلها معلقة بتوفيق أبو الهدى باشا صاحب الصلة الوثيقة بإسرائيل ، ورجل الاستعمار الإنجليزي العتيد .

ودخل توفيق أبو الهدى متباطئا متثاقلا يحمل في يده ملفا كبيرا قد شحن بالأوراق . وأخذ مكانه في صدر المائدة .

كان الاجتماع لأمر يعرفه الجميع ، وقد بُيِّت بليل وأعد له إعدادا دقيقا .

ولم يكن ما يحدث غير مشهد مسرحي قد كتب نصه وقام على إخراجه السفير البريطاني في عمان . وكان الجميع يعلم ذلك .

وفتح توفيق أبو الهدى الملف الضخم ووضعه أمامه على المائدة ، وقرأ كلاما كثيرا من الملف الموضوع أمامه ثم قال :

- إن أوضاع البلاد قد وصلت إلى حالة بالغة السوء .

ولم يرد عليه أحد ولكنهم كانوا يهزون رءوسهم مؤمنين على ما يقول .

وأضاف رئيس الوزراء :

- وأنتم تعرفون السبب في ذلك ولاشك . إنه الملك طلال .

والكل يهز رأسه مؤمنا على كلامه موافقا عليه .

واستمر رئيس الوزراء شارحا :

– إن الملك في حالة صحية سيئة ، وهذه الحالة الصحية تؤثر على أعصابه !

وهذا ما يفسر تصرفاته الشاذة التي يتحدث بها الجميع وتعرفونها كلكم . كركوب الخيل في الشوارع ، والإسراف في شرب الخمر ! والاتصال بالعناصر الخطرة التي تعرض النظام للخطر ! وتحريض الضباط على القيام بانقلابات عسكرية ! وقد حاول قتل الأمير محمد ولده في باريس ! ويؤسفني أن أقول لكم إنه لا يعترف بأبوته للأميرة بسمة .

ثم أخرج ورقة من الملف الكبير وانبرى يحدث الموجودين :

– هذا الخطاب تلقيته اليوم من الملكة زين ! إن الملكة تطالب بضرورة تنحية زوجها على العرش والمناداة بنجله الأمير حسين ملكا على الأردن !

وقد تم بحث هذا الأمر بحثا دقيقا وهو يتم من أجل مصلحة البلاد العليا . ثم التفت رئيس الوزراء ناحية الطبيب الخاص للملك ، وقد فرضوه على الملك ، فهذا الطبيب يعرف – كما رأينا في فصول سابقة – المفاوضة مع اليهود أكثر مما يعرف في الطب وشئونه .

وطلب الرئيس من الطبيب أن يقرأ تقريره .

وأخرج الطبيب حزمة من التقارير ، وكلها يقول لابد من عزل الملك وقال :

– إن الملك طلال أصبح في حالة لا تؤهله لتحمل أعباء الحكم ، وذلك نظرا لسوء حالته الصحية وضعف قواه العقلية .

وسكت الطبيب وأشار رئيس الوزراء إلى وزير الصحة جميل التوتونجي الذي أخرج هو الآخر مجموعة من التقارير غير التي قرأها الطبيب الخاص ، ولكنها متماثلة في المضمون فالملك مجنون وينبغي عزله لمصلحة البلاد العليا .

وكان جلوب باشا يتأمل الموجودين صامتا لا ينطق بحرف بل يكتفي بملاحظة الوجوه والعيون .

والكل كان يتلفت وينظر ناحية الآخر ، ويبدو أن سحابة من الخجل قد لفت كل الجالسين الصامتين الذين لا ينطقون .

ولكن رئيس الوزراء قطع الصمت بسعلة خفيفة ثم قال :

– لهذه الأسباب التي سمعتموها سوف أعرض على مجلس الأمة قرارا قد وافق عليه مجلس الوزراء بالإجماع ، ويقضي بمطالبة المجلس بالموافقة على تنحية الملك طلال عن العرش لعدم صلاحيته للقيام بسلطاته الدستورية ورفضه التعاون مع الحكومة . ولابد من حماية العرش والدولة .

وسكت رئيس الوزراء ليرى تأثير كلامه على الجالسين الذين يعلمون بخبر هذا الاجتماع قبل حدوثه ، ولكنهم جميعا يشعرون بالخجل رغم علمهم المسبق واتفاقهم على تمثيل هذا الدور .

ونظر جلوب باشا إلى الطبيب الخاص كأنما يأمره بالكلام .

وتكلم الطبيب وكرر أقواله السابقة وأضاف :

– إن الملك طلال أصبح لا يستطيع التحكم في قواه العقلية بسبب الكميات الضخمة من الخمر التي يتناولها !

وبدا على الوجوه مسحة من استياء فقد سمعوا هذا الكلام منذ قليل .

ولكن الطبيب الخاص واصل حديثه :

– إنه يعتدي كل يوم اعتداءات وحشية على أفراد حاشيته ، ويهدد الملكة زين وأولاده بالقتل ، وهذا هو سبب وجودهم في الخارج في معظم شهور السنة خوفا على حياتهم ... وهذا أمر لا يمكن استمراره .

وقال رئيس الوزراء للمجتمعين :

- ماذا قلتم ؟

و لم ينطق أحد بكلمة .

ووجه رئيس الوزراء كلامه إلى الضباط الثلاثة وقال :

- لقد وقع الاختيار عليكم لترافقوا الملك بصفة دائمة . ويجب منع تسرب الخمور إلى القصر . ومنع اتصال الملك بأي شخص مهما كان شأنه إلا بأمر كتابي من رئاسة أركان حرب الجيش .

ثم التفت ناحية جلوب باشا وأضاف :

- وبتوقيع جلوب باشا شخصيا وليس غيره مهما كانت الظروف .

وتكلم الطبيب وطلب إليهم الإقامة بصفة دائمة في القصر ... وأمرهم بمغادرة الاجتماع على الفور والتوجه إلى مقر عملهم الجديد .

ونظر الضباط الثلاثة ناحية رئيس الوزراء ليروا مدى موافقته على هذا الكلام ، فوجدوه يقول لهم :

- نعم ... هذه هي التعليمات ... هيا تفضلوا .

وقام الضباط الثلاثة منصرفين إلى مقر عملهم الجديد في قصر بسمان حيث كان يقيم الملك طلال غارقا في العقاقير التي حقنوه بها وجعلوه لا يقدر على شيء ويبدو كالذاهل في بعض الأحيان .

وعند القصر وجدوه وقد أحيطت به السيارات المدرعة التي شحنت بالجند ، وبدا المكان كأنه ثكنة عسكرية .

ومضت أيام قليلة بعد هذا الاجتماع والملك في غيبوبته ، ثم عرض القرار الذي أعده رئيس الوزراء على مجلس الأمة .

وقد وافق مجلس الأمة على القرار المقدم له والذي يقضي بعزل الملك طلال عن العرش ، والمناداة بنجله الأمير حسين ملكا على الأردن .

وقد عارض هذا القرار من النواب اثنان .

الشيخ سلمان التاجي

المحامي أبو الشـــعر

وكان مصيرهما الاعتقال في نفس اليوم ، فلم تكن مسألة الحصانة البرلمانية التي يتحدثون عنها في هذه الأيام قد ظهرت وقتها .

الملك يعرف بقرار عزله :

عندما خرج الشريف ناصر من عند الملك طلال وأخبره أن حالته الصحية خطيرة وأن البرلمان قد وافق على سفره للعلاج ، مكث الملك ذاهلا لا يفهم فهو في حالة طيبة ولا يشعر بمرض خبيث في جسده اللهم إلا حالة الذهول وعدم التركيز التي تنتابه كلما حقنوه بما لا يعرف .

وبينما هو في ذهوله دخل عليه إبراهيم جاموس وكان صديقا له ، وقد أتوا به ليجعلوه يرضى بالأمر الواقع ولا يناقشه ، فبهذا حكمت الأقدار ، ومصلحة الإنجليز فوق كل اعتبار .

وكان الشريف ناصر يقف على مقربة من الباب .

وسأل الملك الذاهل صديقه الحزين :

- هل تعرف شيئا عن حالتي الصحية .

وبدا إبراهيم جاموس مضطربا لا يعرف كيف يتكلم ، والملك يشعر أنه في حالة طبيعية ، وهو لا يعرف لماذا التزم صديقه الصمت ، فأعاد عليه السؤال بصوت فيه بعض الحدة .

– ماذا حدث ؟ إيه الحكاية ؟

وترقرق الدمع في عيون صديقه ولم يرد .

وشعر الملك بالذعر الشديد وظن أنه قد أصيب بالسرطان وهو لا يعرف شيئا ، كل ما يذكره أنه سقط في غيبوبة منذ وقت لا يعرفه .

وجلس الملك في فراشه وهو ينظر نظرة متوسلة إلى صديقه :

– يا أخي أخبرني بما حدث ؟ ماذا أصابني ؟

واقترب إبراهيم جاموس من سرير الملك مترددا ، ويبدو أنه كان عليه أن يقول له كلاما لتهدئته ولقبوله بالأمر الواقع ، وتسليم المسألة لله سبحانه وتعالى ، وألا يثير القلاقل فليس هناك ما يفعل .

ولكن إبراهيم قال له مترددا وبصوت متقطع :

– لقد نجحت المؤامرة .

– ماذا تعني ؟

– لقد أبعدوك عن العرش .

وهنا دخل الشريف ناصر وسحب إبراهيم جاموس خارجا وتركا الملك الذاهل الذي كان يسمع في هذه اللحظة ضحكات الملكة زين المجلجلة في أرجاء القصر ، ومن خلال الستر والأبواب كان السفير البريطاني ينظر إليه وقد علت وجهه ابتسامة ساخرة .

* * *

قدر للملك طلال المخلوع والذي أجبر على توقيع وثيقة التنازل عن العرش رغم قرار عزله ، أن يعيش حياة صعبة مليئة بالمشقة وشظف العيش متنقلا بين المستشفيات العقلية في مصر وتركيا ، وهو في حالة جيدة فلم

يكن الملك مجنونا كما ادعوا ولكنه كان وطنيا مخلصا ، وهو لا يفترق عن الجنون في نظر الإنجليز والأسرة الهاشمية ، وكانوا يستطيعون حجبه عن العرش لو أرادوا عندما قتل الملك عبد الله . ولكنهم كانوا حريصين - إن لم ينصلح حال الملك طلال بالحكم - على أن ينتقل الملك إلى الملك حسين الذي أعد إعدادا خاصا منذ نعومة أظفاره ، فقد رضع من لبن اليهود طفلا يرتع في قصر الشونة عندما كان اليهود يروحون ويجيئون ، ثم أرسلوا به بعد كلية فكتوريا إلى هارو في إنجلترا ، وكان هناك من يتولاه من أهل العلم ، وأصحاب الخبرة في صناعة الملوك ، فقد بدءوا في إعداده من لحظة أن رأى الحياة في 14 نوفمبر عام 1935 ، فالإنجليز واليهود ينظرون طويلا إلى أبعاد المستقبل الضارب في الغيب . وهو أمر لا يشكل صعوبة عند أساطين الاستعمار ، ويكفي مكتب صغير في إدارة المخابرات البريطانية أن يقوم باللازم على أتم وجه ، والإعداد الذهني والنفساني ونمط الحياة والثقافة أمر يتكون مع خلايا الجسم ويصعب خلعه من الشخصية بعد أن تنمو وتكبر ، فقد كانت كل هذه السناريوهات من أجل وصول الحسين حفيد الملك عبد الله العتيد إلى حكم الأردن تلك المنطقة الحاجزة بين الحق والباطل ، ولوجودها كل الدواعي لضبط الأمور لصالح الإنجليز واليهود وكل صاحب مصلحة يأتي من رحم الغيب على شرط ألا يكون عربيا أو إسلاميا .

ومع تولي الحسين الملك بدأت أكثر الصفحات سوادا في كتاب الهاشميين .

آخر أيام الهاشميين فى الأردن!



الفصل الثالث عشر



آخر أيام الهاشميين في الأردن

نذيـر شـــؤم :

أجبر الملك الوطني طلال على التنازل عن العرش ، وكتبوا التقارير بجنونه وحملوه على طائرة إلى مصر حيث يقضي وقته في إحدى المصحات العقلية المشهورة « بهمن » وهو العاقل الرشيد .

وهذه هي علامة من علامات الأسرة الهاشمية ، وتقليد من تقاليدها ، وهو التضحية بأي مخلوق أو بأي معنى في سبيل التاج ، وهو في ذلك الحين تاج ليست له القيمة الكبيرة فهو لملك في فسيح من الصحراء ليس فيها ما يفيد .

وهو مفتاح شخصية الملك حسين الذي رضي بهذا الذل لأبيه ، وتلك المهانة لرجل قد جلس يوما على عرش البلاد . إنها الخيانة والنكران لأقرب الأقرباء ، الأب . فقد خرج طلال من عمان على الطائرة وهو غارق في تأملاته لا يكاد يصدق ما حدث له ، وكأنها دراما « شكسبيرية » مغرقة في الألم ، إنه يغادر البلد الذي جاءه صبيا ثم صار عليه ملكا وهو كهل ، وها هو يغادره ، ومن فعل به هذا ؟

– أرجو أن تكون الرحلة مريحة يا مولاي !

كان المتحدث هو عوني عبد الهادي السفير الأردني بمصر والذي قطع

الصمت المخيم على الجالسين في الطائرة ، وكأنهم في جنازة تسير فوق السحب ، وانتبه الملك إلى الصوت والتفت إليه قائلا وعيناه تذهبان بعيدا إلى حيث لا يرى شيئا :

ـ كيف تريد أن تكون الرحلة مريحة ؟ لقد تآمرت زوجتي وولدي ، ويساعدهم في هذا من سلمت إليهم الأمور في بلدنا على إقصائي عن العرش ثم طردي .

و لم يستطع عوني عبد الهادي أن يقول شيئا ، وعاد الملك يتحدث إليه :

ـ أخرجني ولدي من الأردن بسبب الإنجليز ، وقد طرد الهاشميون جميعا من الحجاز بسبب ولائهم للإنجليز . هل تعرف هذا ؟

و لم يرد السفير ، فهذا من الكلام الذي لا يرد عليه .

وعاد الملك إلى أفكاره التي صارت تجري على لسانه :

ـ كان أبي الملك عبد الله هو السبب في إيجاد إسرائيل كشوكة في جنب العرب إلى زمن لا يعلمه إلا الله .

ثم التفت إلى عوني عبد الهادي :

ـ مالك لا ترد ؟

و لم يكن عند عوني عبد الهادي ما يقوله له ، بينما استمر الملك طلال :

ـ إن بلدا على رأسه أفعى كزين وابنها حسين ، سيكون مصيره الخراب . الخراب . الخراب .

وصار يردد كلمة الخراب حتى تمنى عوني عبد الهادي أن يسكت ، ولحظتها فقط عرف لأول مرة في حياته أن السكوت من ذهب بالفعل .

ويبدو أن الملك طلال كان محقا في نظرته ، والخراب هنا واسع المفهوم والمدلول .

ولكن حسين بن طلال قد جاء إلى الحكم في الأردن بعد التخلص من أبيه ، ومعه علامة من السماء أو نذير شؤم كما وصف ذلك جلوب باشا في مذكراته عندما يقول :

« كان صيف سنة 1953 م عسوفا في شدته ، لقد آن وقت تتويج الملك ، وإقامة العرض الاحتفالي بهذه المناسبة ، كان شرق الأردن قد أصيب فجأة آنذاك بآفة الجراد التي تمثل كارثة عظمى للبلد الزراعي ، وقد استدعي الحسين ليقوم بمكافحة الجراد .

ضاعفنا من جهودنا على الحدود الإسرائيلية دون التسلل ، وفي خلال أشهر نيسان وآيار وحزيران من هذه السنة ، حدث نقص ملموس في حوادث الحدود . وحينذاك وعلى حين غرة ، قام الجيش الإسرائيلي ليلة الحادي عشر من شهر آب 1953 م بهجمات متواصلة على القرى العربية في « وادي فوكين » و « الصريف » و « أدنة » لم نستطع أن نفهم سبب تلك الهجمات لأنه لم تقع حوادث تستوجب الثأر عنها .

وفي اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الأول سنة 1953 م ، زعمت إسرائيل أن ثلاثة من العرب تسللوا إلى داخل الحدود ، وألقوا بقنبلة يدوية على نافذة مضاءة في مستعمرة « تيرات يهوذا » وقتلوا امرأة وطفلين ، نهضنا على الفور ، واتخذنا كل خطوة لتعقب آثار المعتدين ، كما عرضنا مساعدتنا على الإسرائيليين ، بأن دعونا شرطتهم لكي تأتي معنا وتعمل .

وفي الساعة التاسعة والنصف بعد ظهر اليوم الرابع عشر من شهر تشرين الأول ، أي بعد الحادث المذكور بأربع وعشرين ساعة ، اندفعت قوة

إسرائيلية مجهزة بكل الأسلحة إلى قرية « قبية » التي تقع على بعد ميل وربع الميل داخل الأراضي الأردنية .

كانت العملية الإسرائيلية قد أعدت إعدادا جيدا . ففي أول الأمر تم إمطار القرية بإطلاقات من مدافع « المورتر » ، ومن ثم تقدمت قوة من المشاة إلى الداخل ، وراحت تطلق النار عمدا في كل الممرات والأزقة ، من المدافع الرشاشة ، وفي ذات الوقت تم قصف قرية « شقبة » و « بردوس » المجاورتين .

ومن ثم جاء في أعقاب المشاة رجال الهندسة الذين كان كل واحد منهم ، يحمل على ظهره ، حزمة من المتفجرات ، كان يضعها قبالة أحد الدور في القرية . كان القرويون قد تكوروا داخل بيوتهم بعد أن أفزعتهم النيران التي كانت تنطلق . وإذ ذاك أقدم المهندسون الإسرائيليون على إشعال تلك المتفجرات ، فتحولت القرية برمتها إلى أنقاض ، بسكانها الذين دفنوا تحت الأنقاض »[1] .

هكذا بدأ الحسين بن طلال حكمه في الأردن : فقد جاء الجراد والإسرائيليون مع تتويجه ، حيث هلك الحرث والضرع بالجراد ، وقتل حوالي سبعين شخصا من قرية « قبية » العربية ، وحول سلاح المهندسين الإسرائيلي القرين إلى كومة من الرماد .

وقد رأينا في كلام جلوب باشا كيف طلبوا من الشرطة الإسرائيلية أن تشترك معهم في التحقيق مع الأردنيين لمعرفة أبعاد الحادث الذي أشار إليه .

وهذه حادثة من مئات الحوادث التي استقبل بها الحسين حكم الأردن .

---

(1) مذكرات جلوب باشا مصدر سابق ص 255 .

وهو يعلم وحكومته أن حادثة « تيرات يهودا » سوف يتم الثأر لها على هذا النحو البشع والذي تكرر مرات ومرات ، وهو لم يفعل شيئا لمواجهة هذه المذابح التي تقع كل حين من الأيام للمواطنين الأردنيين المساكين الذين يعيشون على الحدود ، وقد منعوا حمل السلاح ، وهم يذهبون بهم إلى التحقيق كل فترة من الوقت ، ثم بعد ذلك يأتي سلاح المهندسين الإسرائيلي لنسف القرية وقتل سكانها ، والملك وجلوب في عمان . في عليين . وما أدراك ما عليون ؟ وكان أبسط ما هو مطلوب منهم كتيبة من الجيش العربي لردع اليهود وهو أمر سهل ويمكن أداؤه ، والعرش في مأمن ، فالإنجليز يعرفون أهميته ، وبذلوا جهدا ووقتا ومالا من أجل إقامته .

ولكن أحدا لا يهتم بهؤلاء المواطنين المساكين الذين لا حول لهم ولا قوة .

وعندما نشبت المظاهرات في الشوارع في عمان والسلط والمدن الكبيرة بالأردن تهتف بسقوط الملك حسين الذي لم يكد يجلس بعد على العرش ، وتهتف بسقوط جلوب والجيش العربي الإنجليزي الذي يحرس المعتدين اليهود حتى يقوموا بمهامهم في القضاء على القرويين البسطاء على الحدود مع إسرائيل ، عندما نشبت هذه المظاهرات تحركت قوات الجيش العربي ومعها الشرطة السرية للتنكيل بالمواطنين واعتقالهم .

لقد بدأ الحسين حكمه بداية سيئة كريهة ! فقد حكم على أثر خيانة .

الملك حسين يشترك في طرد أبيه !

وقد اشترك الملك حسين في مؤامرة التخلص من أبيه ، ودوافعه في هذا كثيرة ، ومنها النزعة الخيانية الموجودة في أخلاق أبناء هذه الأسرة ، وقد تجلت وشرحت في صفحات سابقة .

وقد صرّح الملك طلال في مذكراته في أكثر من موضع باتهام ولده الحسين في هذه المؤامرة ، وقد نشأ الحسين فقيرا ، وقد ماتت شقيقة له من البرد ، وعدم القدرة على توفير وسائل التدفئة في المنزل البسيط الذي نشأ فيه بعمان مع والديه . وهذا ما رواه في مذكراته في أماكن متفرقة ، والفقر لا يجعل الإنسان خائنا ، ولكن إن توافرت عوامل أخرى مع الفقر ، بالإضافة إلى الاستعداد الشخصي فهي تجعل منه مجرما يقتل ويخون ويسرق من أجل مكانة وصل إليها ولا يريد أن يفقدها ، أو مكانة يراها بخياله ويريد أن يصل إليها ، وليحدث في سبيل ذلك ما يحدث !

فقد ذهب لزيارة أعمامه في بغداد وهناك وجد لعبة أو دمية من القطيفة ذهبت بلبه وخياله . وأهدوه دراجة وكان مجنونا بها . ثم جاء الوقت الذي طلبت منه أمه الملكة زين أن يبيعوا هذه الدراجة لأنهم في حاجة إلى نقود . قد نشأ في عوز وفاقة ، وعاش مع جده عبد الله ، ورآه وهو يخون قومه مع اليهود . فهو مؤهل للخيانة قادر عليها ، مستعد لها ويطلبها . وهي لا تخطئه فهي تعرف طريقها إليه خلال اضطراب في القيم والمفاهيم ، وحرص هائل على الدنيا ، ونهم إلى الشهوات لا حد له .

الحسين يزور أباه في المستشفى :

ويحكي الملك طلال في الفصل السابع والعشرين من مذكراته التي ضمنها آلامه الشديدة التي عاناها في سجونه عبر أقطار العالم ، حيث وصمته عائلته بالجنون من أجل طرده من العرش .

وهو لا يذكر اليوم بالتحديد الذي زاره ولده الحسين ، ولكنه كان في الشتاء ، يوم من أيام شهر نوفمبر . وكانوا قد نقلوه من مصر خوفا من جمال عبد الناصر من أن يتعاون معه ضد حكومة الأردن وملكها . وكان

عبد الناصر شديد العداوة للعرش الأردني . وقد اختارت الملكة زين - وهي التي كانت تحكم الأردن في حقيقة الأمر إستانبول لإقامة زوجها طلال ، فلها مشاريعها مع حكومة عدنان مندريس من أجل حلف بغداد الذي كانوا يعملون فيه على قدم وساق . ويبدو أن هذا هو السر لزيارة الملك حسين لتركيا ، وليس لرؤية أبيه السجين ، والموصوم بالجنون ظلما وعدوانا .

كان الملك طلال يجلس وحده كالعادة في غرفته بمستشفى الأمراض العقلية في إستانبول عندما فوجىء بالشريف ناصر شقيق الملكة زين وخال الملك حسين يقتحم عليه الغرفة ، ولم يكن الملك يتوقع حضور الشريف ناصر فرفع رأسه إليه :

- خير إن شاء الله .

وضحك الشريف ناصر ضحكة صفراء مرتبكة وقال له :

- قد جئت للاطمئنان على صحتكم .

وكان طلال ينظر إليه متفرسا ولا يرد ، بينما استمر الشريف في الحديث :

- إن الملك والملكة يبلغانكم تحياتهما وأشواقهما .

وابتسم الملك طلال بمرارة وقال له :

- بلغهما عني - لو سمحت - أنني أرفض هذه التحيات وتلك الأشواق .

وازدادت ابتسامة الشريف ناصر اصفرارا على حد تعبير الملك طلال ، ثم قال له مترددا :

ـ إن الملك حسين سيصل بنفسه بعد أيام إلى إستانبول للاطمئنان على صحتكم بنفسه .

ونظر إليه طلال ساخرا وهو لا يصدق أن يأتي الملك لهذا السبب وقال :

ـ ولماذا يكلف نفسه كل هذه المشقة ؟

وقال الشريف ناصر باحترام مصطنع :

ـ إنه لا يكن لكم إلا كل حب واحترام .

وهزّ طلال رأسه يائسا و لم يقل شيئا بينما استمر الشريف ناصر متحدثا :

ـ لقد قررت الإقامة في إستانبول حتى يحضر الملك حسين .

وهز طلال يديه بمعنى افعل ما تشاء . ولكن الشريف ناصر قال :

ـ قد قررت الإقامة في الغرفة التي تجاور حجرتكم .

ونظر إليه طلال متعجبا متسائلا لا يفهم . وواصل الشريف ناصر :

ـ أريد أن أشرف على راحتكم أثناء وجودي في إستانبول ... والآن ... هل تسمح لي برؤية الطبيب .

وغادر الغرفة والملك طلال ينظر في أثره ولا يقول شيئا .

ودخل سكرتير الملك طلال وأخبره أن الهدف من إقامة ناصر في المستشفى هو مراقبة الملك طلال .

وكانت هناك قصة عن أمير كويتي لم يذكر الملك طلال اسمه حاول أن يهربه من المستشفى التي جعلوها كسجن له .

وقال السكرتير للملك إنهم ربما سمعوا عن قصة الأمير الكويتي ، لهذا

فقد جاءوا لإجراء التحريات اللازمة للتأكد من صحة هذه القصة أو عدم ذلك .

وجاء الملك حسين بعد خمسة أيام من وصول الشريف ناصر ، ودخل على أبيه متهلل الوجه ، بينما قابله الأب ببرود شديد .

وقال الملك حسين :

- أرجو أن تكون صحتك على ما يرام .

ورد عليه الأب :

- ما عمرك ؟

وانتابت الملك حسين دهشة شديدة من هذا السؤال وبهت ولكنه أجاب :

- إنك أبي وتعلم بالطبع كم أبلغ من العمر .

وانبرى الملك يتحدث في مرارة شديدة :

- إنك مازلت كما تركتك يوما .. طفلا صغيرا .

واضطرب الملك حسين واحمرّ وجهه وأمر مرافقيه بمغادرة الغرفة .

واستمر الملك في حديثه :

- لقد كنت على الدوام أنتظر نضوج عقلك حتى تفيق إلى أبيك ، وتعي ما مرّ به من مصاعب ، وتعرف المصائب التي حدثت له . ولكنك مازلت كما كنت ، طفلا صغيرا .

ورد الملك حسين في حدة :

- لست طفلا .

وقال الملك طلال :

- بل إنك رضيع في نظري ... لأنك لاتملك سوى تنفيذ ما توحي إليك به الأفعى !

ورد حسين بحدة أكثر :

- هذه الأفعى التي تتحدث عنها هي أمي .

وقال طلال بمرارة :

- للأسف الشديد .

ثم أشاح بوجهه عنه ينظر إلى نقطة لا يراها خلف النافذة .

ووقف الملك حسين وقال :

- يبدو أنك لا ترغب في رؤيتي .

وقال طلال :

- لا أرغب في رؤية الابن العاق .

- لقد جئت للاطمئنان عليك ومعرفة رغباتك .

وقال له الملك طلال :

- إن كنت صادقا حقا فأخرجني من هذا السجن الذي وضعتني فيه أمك ، وساعدتها على ذلك .

وقال الملك حسين :

- إن الأطباء لا يرون ذلك .

ثم غادر الغرفة وترك أباه ينظر في أثره ذاهلا وهو آسف على ما يفعله معه ولده .

حلف بغداد بين الرقص ومحاولة الاغتيال :

كانت أسباب زيارة الملك حسين لإستانبول سياسية في المقام الأول وليست رؤية أبيه المريض ، فقد كان أيامها كلام كثير حول حلف بغداد ، وأشياء من هذا القبيل ، ومادام الأب مريضا ويقيم في المدينة فلا بأس من زيارته ، فهذا أولى وأجدى في الدعاية والسمعة الطيبة .

ولكن الملك طلال ذكي يفهم هذه الأشياء ، وقد أدرك أنه سجين إلى مدى لا يعلمه إلا الله ، أو إلى أن يموت ، فأسرته هي التي سجنته ، بالاتفاق مع الإنجليز ، لأنه يفسد سياستهم في المنطقة ، وهو يشكل خطرا عليها . وكونه مجنونا يفسر حبسه وإقامته في المستشفى . ولكونه محبوبا في بلاده ، فلو أبدى تأييدا لانضمام الأردن إلى حلف بغداد ، فذلك يفيد شعبيا ، وقد تكون هذه البادرة معناها شفاؤه وخروجه من سجنه إن أراد . وكان الملك طلال يفهم هذا ، ولكنه رجل وطني لا يقبل المساومة في المبادئ بعد أن رأى من أحوال أبيه وجده ما ساءه وأحزنه ، وجعله متطرفا في وطنيته . وقد جاء الملك حسين وأمه التي كانت تحكم الأردن حكما حقيقيا في تلك الآونة إلى تركيا لمزيد من الاتفاقات حول الانضمام إلى حلف بغداد ، والتفاهم مع عدنان مندريس الاستعماري العتيد .

وكانت الملكة زين شديدة المهارة تعرف من أين تؤكل الكتف ، فهي تتصل بالسفير الأمريكي في أنقرة ، وهي تطلب مساعدات عاجلة للأردن وللملك حسين شخصيا . وهي تستطيع أن تؤثر تأثيرا عميقا في نفس السفير الأمريكي ، وتتمكن من إقناعه بضرورة تقديم العون المالي إلى الأردن وإلى الملك شخصيا ، حتى يكبر العرش في نفوس الناس في بلادها ، وحتى يمكنه اتخاذ القرارات الكبيرة التي تخدم المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية .

وكانت الزيارة سرية ، وهناك تكتم شديد حولها ، ومنعت الصحف التركية من نشر أخبار هذه الرحلة إلا قليلا .

فقد نشرت مجلة تركية نبأ الزيارة وكتبت مقالا حول الأهداف الحقيقية لها . وقالت المجلة إن الأردن تدخل حلف بغداد على أثر صفقة مالية ضخمة ، بين أصحاب الحلف وبين الملك الفقير الصغير الذي يبحث عن مال ، ويبحث أيضا عن دور ما .

وكانت أخبار الملك حسين تذهب إلى الملك طلال عن طريق مرافقيه ، فهو يسمع قصصه كل يوم . ويأسف للحال التي وصلت إليها الأردن .

وكان الحسين يذهب كل ليلة للرقص في أندية الليل حيث لا يعرفه أحد ، فهو ملك جديد لدولة صغيرة لا تزال تقع في نظر العالم على هامش الجغرافيا والتاريخ .

وهناك تناقض وصراع في شخصية الملك حسين ، ولا يريحه منه غير الرقص والخمر ، أو هكذا يظن أبوه الذي هو به خبير عليم .

وفي ليلة من هذه الليالي الصاخبة زاد الملك من رقصه ، وشرب كمية أكبر من الخمور الفاخرة المعتقة التي يحرمها الدين . وأحدث الملك صخبا عاليا في الملهى الذي كان يعبث فيه .

وتقدم منه أحد مرافقيه يريد أن يخرجه من الملهى وينهي هذه الليلة على خير وكفاهم ما تم فيها من خمر ورقص .

ورفض الملك مغادرة الملهى ، وزاد على ذلك بأن صفع المرافق على وجهه صفعة مدوية لفتت انتباه كل من في الملهى ، الذين كفوا عن الرقص ليشهدوا هذا الفصل الذي قد يحدث كثيرا في مثل هذه الأماكن . ولكن الزائر يبدو أنه شخصية كبيرة لانتشار الشرطة وكثرة المرافقين .

وذهل المرافق الأردني لهذه الصفعة من الملك حسين والتي لم يكن يتوقعها !

وهاج المرافق المدرب صاحب اللياقة البدنية العالية ، وأمسك بالملك الثمل وضربه ضربا مبرحا ، وأسرع هاربا من الملهى .

واضطر بقية المرافقين والشرطة للإفصاح عن شخصية الملك خشية مزيد من الاعتداء على حياته ، وحملوا الملك مغشيا عليه إلى الفيلا التي يقيم فيها .

أما المرافق فقد غادر إستانبول إلى الكويت وطلب اللجوء السياسي هناك .

واختفى الملك حسين في الفيلا التي يقيم فيها حتى يشفى من الكدمات التي ملأت وجهه من شدة الضرب .

وبعد أن شفي خرج يتناول عشاء هادئا ليس فيه خمر بفندق هيلتون ، واقترب منه أحد الشباب الأردنيين ، وابتسم الملك لهذا الشاب الذي ظن أنه قد جاءه للتحية .

وفجأة وعلى غير توقع أطلق هذا الشاب الرصاص على الملك وأسرع هاربا من أيدي المطاردين .

ونجا الملك لحسن حظه ولسوء حظ العرب لأن أحد المرافقين أسرع بدفعه إلى الأرض وأخذ الرصاصة في كتفه بدلا منه .

وتم القبض على الشاب الأردني وأودع السجن ، ولم يشر إلى الحادث في أية صحيفة تركية .

ولم يطق الملك حسين البقاء في إستانبول أكثر من ذلك ، بل آثر السفر منها إلى بلاده وهذا بعض ما قصه الملك طلال في مذكراته :

عندما عرف حسين بأنه قد صار ملكا !

لم يكن غريبا على طلال أن يرى ويعرف عن ولده هذه الأشياء المشينة المخجلة بدءا من التآمر عليه ، وانتهاء إلى الدخول في الأحلاف الاستعمارية ، والتظاهر ضد قومه من العرب والمسلمين ، والفسق والفجور الذي كانت تأتيه أخباره ، وقصص ما يفعله في الأندية والمراقص الليلية .

فقد كان نهم الحسين إلى السلطة والمال عارما منذ نعومة أظفاره ، وكان ينتظر تلك اللحظة التي يملك فيها ويسعى إليها ، ورضي بكل نقيصة ليكون ملكا على بلاد لا تزال في هامش الواقع والتاريخ ، على أمل أن تبتسم لها الحظوظ ، وأن يشرق المستقبل لها بما يسر الخاطر ويحقق الأماني التي كان يرجوها المتآمرون .

فقد خرج الحسين وأمه وإخوته من عمان إلى سويسرا حتى تنتهي إجراءات إقصاء أبيه عن العرش ، ثم يعودوا بعد ذلك آمنين . وكان كل شيء معدا بعناية كما سبق أن رأينا . ولكن شهادة الملك حسين نفسه كما أوردها في كتابه « مهنتي كملك » هي الوثيقة البليغة التي تحدد آفاق الملك وتبين أخلاقه ونوازعه العميقة .

فبعد الفقر الشديد الذي عانوه ، ولا يزالون يذكرون مرارته في حلوقهم ، خرجت زين والأسرة - كما يروي الملك - إلى ساحة القديس فرنسوا يشترون الملابس الغالية التي طالما رأوها على أجساد الأغنياء ويتحرقون شوقا إليها[1] .

---

(1) مهنتي كملك مصدر سابق ص 50 .

وجلس الملك الغلام في الغرفة بالفندق على البحيرة يرقب الأفق وينتظر عودة أمه بالملابس وما يشتهيه ، فقد وعدته بذلك . وكانت البحيرة ساكنة والأوز الأبيض يمرح في حبور وسعادة ، كأنما يشاركه أحلامه وأمانيه .

وكانت سفينة صغيرة بيضاء تدلف إلى مياه البحيرة ، بينما طرق الباب ، وقام الملك ليفتح ، فقد كان أيامها بشرا سويا . ولم يكن في حاجة لأن يعمل ذهنه كثيرا !

كان هناك خادم صغير يرتدي ملابس مزركشة ، سوف يرتدي الحسين مثلها عندما يصبح ملكا ، وهو يحمل في يديه صينية من الفضة عليها ظرف مغلق ، قد كتب عليه « حضرة صاحب الجلالة الملك حسين » .

ومادت الأرض بحسين فهذه أول مرة يخاطب فيها « بصاحب الجلالة » كجده على حد تعبيره . ولم يكن قد بلغ السابعة عشرة من عمره .

وكانت هذه الرسالة التي ينتظرها ، قد تأخرت طويلا أو هكذا ظن ، رغم أن أباه لم يجلس على الكرسي غير فترة محدودة .

كان صباحا جميلا ، أو هكذا رآه الملك ، وكانت الساعة لا تزال التاسعة صباحا ، وفض الملك الرسالة في هدوء وحبور ، فهي ليست مفاجأة ، بل كان ينتظرها . وقرأ ما فيها . وهي صادرة من رئيس الوزراء ، في لهجة مؤدبة فاترة ، أو هكذا رآها الملك . وهو يخطره عن أسفه لإعلامه بتنازل والده عن العرش ، وهو قد صار ملكا للأردن بعد أن أقر ذلك مجلس النواب ومجلس الأعيان ، ويطلب منه الحضور إلى الأردن ليتسلم وظيفته الجديدة فقد صدر قرار تعيينه .

وخرج الحسين يلهث في الطرقات حتى وصل إلى ساحة القديس فرانسوا ،

وما هي إلا لحظات حتى وجد الملكة زين .

وناول الملك حسين الظرف لوالدته وهو يلهث .

ونظرت الملكة زين إلى الظرف ولم تفتحه فقد فهمت ما فيه .

ووضعت ذراعها على كتف الملك وأخذا طريقهما في سعادة ونشوة ، فقد أصبح كلاهما من الحكام . وعليهما مهام ثقيلة ، ومستقبل لا يدرون ما هم فاعلون فيه .

هل كانت هذه الرسالة مفاجأة ؟ بطبيعة الحال لا . فعزل الملك وسجنه قد استغرق شهورا ، وقد بدأ منذ أن تولى طلال الحكم ، ومن يدري قد تخرج بعض الوثائق التي تؤكد أن هذه المؤامرة قد بدأت قبل أن يتولى طلال العرش !

ونحن هنا نعيد ونزيد لنبين أن الحسين قد خرج إلى عرش الأردن من رحم مؤامرة بالغة التعقيد اشتركت فيها عائلته والإنجليز في وضوح شديد ، وربما كان لها بعد يهودي لم نعرفه بعد ، ولكن يمكن استنتاجه وتوقعه من تاريخ الأسرة منذ أن خرجوا من أرض الحجاز مطرودين غير مأسوف عليهم .

واليهود ليسوا بمعزل عما يحدث في الأردن ، ولا يستطيعون أن ينفصلوا عنه فهو البوابة الرئيسية لبلادهم ، ومنه يأتي الخير والشر . واليهود على صلة عميقة بكل رجالاته كما رأينا من قبل ، وقد ظلوا لأكثر من ربع قرن وهم يعدونهم لخدمتهم ، ويسرّوا لهم سبل الثراء والقوة ليس بشكل مطلق ، ولكن من أجل تنفيذ المخططات .

والوثائق والمستندات التي نشرت ، والتي توقفت قبل حرب فلسطين

بقليل ، والتي حفلت بالتفاصيل عن طبيعة العلاقة بين الملك ، وكل الساسة الأردنيين تقريبا لا تعني أن هذه العلاقة قد قطعت ، ولكن تعني أن الوثائق قد حجبت ، ليس أكثر من ذلك . وقد رأينا الاتصالات والمفاوضات والزيارات أثناء حرب فلسطين وبعدها في نتف يسيرة ، ولكنها عميقة الإشارة واضحة المدلول تحدد كل شيء في جلاء وبرهان بغير لبس أو غموض .

والذي لاشك فيه أن فضيحة الملك عبد الله قبل مقتله ونشر صور من رسائله إلى اليهود ، وتداول صحف العالم لها ، قد جعلهم أكثر حكمة ودراية في إخفاء مثل هذه الرسائل ، وعمل الاحتياط اللازم لعدم تداولها بين الناس .

ولكن كل شيء يظهر بعد حين من الوقت مهما اجتهد المجتهدون في إخفاء خياناتهم .

والخيانة ليست بالشيء الغريب عندما نقرأ التاريخ ، فسطورها تحتل مساحة كبيرة في كتابه الكبير ، وأصحابها دوافعهم مختلفة ومتباينة ، ومنهم من يغلفها بأشكال نبيلة براقة ، مثل حب الشعب والصالح العام ، ولكن هذا لا ينطلي على أحد في أغلب الأحوال .

وهناك فرق بين حاكم يخون عهدا مع غيره ، وآخر يخون قومه وعشيرته مع سبق الإصرار والترصد والعمد .

ومن الصنف الأخير جلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية !

وليس هذا ادعاء أو تهمة مفتراة ، بل هو ما يقوله كتاب التاريخ من الوثائق والمستندات والوقائع الثابتة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها .

وقد رأينا أن الحسين وأمه ، قد أخبرهما الطبيب المعالج للملك طلال أنه في صحة جيدة ، وأنه لا يشكو من مرض ما ، وأنه يمكنه العودة إلى بلده إن أرادوا فالرجل صحيح الجسم والعقل ، ويجب أن يحيا حياة طبيعية بعيدا عن المستشفى والمصحة والأدوية والعقاقير . ولم يكن الطبيب ليفهم البعد السياسي وراء المرض .

وثارت الملكة زين في وجه الطبيب ثورة عارمة ، واتهمته بالجهل وأنه لا يفهم عمله . وأن على الملك طلال أن يبقى في المستشفى حتى يخرج منها إلى القبر ، وأن الطبيب لا يفهم في الطب مثل ما تفهم الملكة وولدها . وحذرته من إذاعة الأسرار الخاصة بحالة الملك طلال . وأمرت له بثلاثة آلاف ليرة منحة كل شهر مدى الحياة . حياة الطبيب أو حياة الملك طلال !! وسيارة « بويك » هي في الطريق إلى الطبيب الذي لا يفهم في الطب ! ولكن عليه أن يقدر فضيلة الصمت ، فهي أم الفضائل ولكن الطبيب جاهل لا يعلم هذه الأمور ، تركي من الدهماء لا يفهم أسرار تلك السلالة المقدسة المدعاة !!

الحسين شغوفا بالنساء !

أسرع الملك حسين بالزواج من الشريفة دينا عبد الحميد إحدى قريباته والتي تكبره بعدة أعوام ، والتي شغف بها حبا لمراهقته ، ولأنها أكبر منه في السن وهي تذكره بأمه التي كان وثيق الصلة بها .

وظنت الملكة زين أنها يمكن أن تطوي هذه السيدة تحت جناحيها ، وتكون عونا لها على مخططاتها وما تريد . ولكنها لم تدرك أن دينا خريجة كمبردج والشديدة الذكاء والتطلع هي الأخرى تريد أن يكون لها دور في ذلك العالم الجديد الذي انفتح على الأسرة من حيث لم يحتسبوا .

لقد تزوجت دينا الحسين ، وهي تريد أن تمارس دورها كملكة للأردن ، وهي لا تقبل أن ينافسها في هذه المكانة أحد ، ولو كانت الملكة زين التي تحكم ولدها ، ومن ثم فهي تحكم الأردن حكما مطلقا غير عابئة بدستور قد كتبه بعض الجهلة ، أو هكذا تظن ، وهي تصدر أوامرها للوزراء مباشرة أو لرئيسهم ، وقد يعلم الملك حسين أو لا يعلم فهذا يأتي في المرتبة الثانية . وهو لا يعترض ثقة في أمه وموافقة لها ، أو هو لا يستطيع إن جاء القرار - قرار الملكة زين - على غير ما يهوى ويحب .

والملكة زين تستمد شرعيتها من فهم السياسة الإنجليزية في المنطقة العربية ومن طاعتها العمياء للسفير البريطاني ، وللدوائر السياسية الأخرى في داوننج ستريت بلندن . وهي محل إعجاب جلوب باشا تلك الشخصية القوية الغامضة التي لا يعرف أحد بشكل محدد إلى أين ينتمي . ولكنه يمسك بأصابعه بكثير من الخيوط التي تحكم الحياة السياسية في الأردن ذلك المجهول آنذاك .

والملكة دينا لا تفهم هذه الأمور ، أو تعرف جانبا يسيرا منها لا يؤثر في سلوكها وفي حرصها على أداء دورها كملكة بشكل لا يقبل المساومة والمناقشة فقد قرأت التاريخ وتعجبها لعبة البلاط والوصيفات والحاشية ، وبعض مما قرأته عن بلاط سان جيمس . وهي تنظر إلى الملكة زين كسيدة لا محل لها من الإعراب ، والأولى بها أن تمكث في قصرها ولا تتدخل فيما لا يعنيها من شئون الحكم والسياسة .

وتنازع الملك حسين في صدر حكمه امرأتان : زوجته دينا المثقفة صاحبة المثل التي تظن أن الكون والظروف يساعدانها في أخذ حقها كملكة للأردن ، وأمه الملكة زين ، تلك الحية الرقطاء على حد تعبير زوجها الملك

طلال في أكثر من موضع في مذكراته التي كتبها ، وهي القادرة على التغلب على تلك المرأة المثقفة القادمة من كمبردج وهي لا تدري من أمر الدنيا شيئا ، فهي لا تعرف تفصيلا وتحديدا كيف تكونت تلك المملكة الغريبة المدعوة باللأردنية الهاشمية ، وهي لا تعرف كيف جاء زوجها الحسين إلى الحكم إلا لماما ، من خلال أحاديث ناقصة غير كاملة ، لا تشفي غليلا ، ولا تعطي أحدا سرا من الأسرار إلا قبل انقضاء نصف قرن .

وإن كان الملك حسين يحبها فما أسهل أن يتبدد هذا الحب من قلب غلام مراهق ، يحب الدنيا ويريد أن ينهل من الشهوات ، فقد علمته تجارب آبائه وأجداده أنهم في العادة لا يحوزون شيئا ، ويغادرون ملعونين مذمومين تشيعهم كراهية الله والناس .

وهو قد قدم ليحكم بغير مثل عليا غير ما لقنوه ، وأفهموه أن هذا هو الذي ينبغي أن يكون . وهو يجلس على عرش تتجاذبه القوى وتعصف به الأنواء ، إن فكّر فيه طار صوابه وجافاه النوم . وهو قلق يبحث عما ينسيه ما هو فيه من خوف وعذاب ولا يجد الأمن إلا في أولئك الذين تغطي هاماتهم شعور شقراء ، وعيون زرق ، وهم يتحدثون العربية في لكنة سكسونية ، ويرسلون إليه أوامرهم وطلباتهم عبر الملكة زين المحنكة التي تعرف أصول اللعبة في عالم يفيض عمالة وكراهية للعرب والمسلمين .

في هذا المناخ القلق ، هل تعجز الملكة زين أن تطوي الملك ؟ لم يكن هذا بالصعب عليها ، وسرعان ما جاءوا بالفتيات الجميلات من أوروبا في أقصى بلاد الشمال ، ونثروهن نثرا في طريق الملك ، فهو يراهن أينما ولى وجهه .

وكانت الحفلات الصاخبة في القصور التي بنيت وتناثرت ، هنا وهناك ،

في جبل عمان ، وجبل الحسين ، وأماكن أخرى مختلفة ، حيث يتسلل الملك ليلا دون أن يشعر به حرس أو تعرف زوجته صاحبة المثل العليا ، ثم يدخل قصرا من تلك القصور الخفية ، وما إن ينفتح بابه حتى يلج إلى عالم مسحور ، قد جرت فيه الخمر أنهارا ، وامتلأ بحور قد تم اختيارهن باقتدار ، وهن مدربات ، وأية واحدة منهن قد تستهوي الملك . وكلهن على استعداد ، وقد يعجب بهن جميعا ، فهم لم يأتوا بأي منهن على سبيل الخطأ .

وجُنَّ جنون الحسين بأولئك الوافدات من أوروبا . فهو يخرج معهن ، ويقود سيارته وهو في سكر بيِّن ويراه الناس في طرق عمان المختلفة ، وهم لا يخطئونه فهو ملك البلاد المحبوب ، أو هكذا يصفونه ، ويجبرون الناس على هذه الصفة ، ويجعلونهم يلوكونها حتى يصدقوها ، والويل كل الويل لمن لم يقل بغير هذا .

وما كان أسهل على الملكة زين أن تلوث سمعة الملكة دينا الغافلة ، وليس هناك ما هو أيسر من إطلاق بعض الشائعات ، وخلق الملابسات التي تجعل الملك يراها حقيقة واقعة . وهو في أعماقه يريد أن يخلص منها إلى ذلك العالم المسحور رغم أنه قد رزق منها بعالية . ولكن هل هذا يهم ؟

كان الملك يتمنى الخلاص من دينا بأسرع ما يستطيع بعد أن فتحوا له باب النساء على مصراعيه يؤوي إليه من يشاء منهن دون وازع من خلق أو دين أو سمعة طيبة ينبغي أن يتحلى بها ملك شاب حديث عهد بالحكم ، في دولة تلعب بها الرياح والعواصف .

تزوج الحسين الملكة دينا في 19 أبريل عام 1955 وطلقها بعد ثمانية عشر شهرا .

وكانت قد غادرت عمان إلى القاهرة ثائرة محتجة لأن الملك قد قتل

رجلا مسكينا بريئا أثناء قيادته للسيارة ثملا في شوارع عمان بليل ، وكانت بجواره فتاة مدربة قدموا بها من بلاد الشمال لتنصلح أحوال الملك والدولة .

الملك حسين وسط الأنواء والاضطرابات :

كانت المملكة الأردنية الهاشمية هي نتاج العقلية الاستعمارية العتيدة التي تريد أن تحكم قبضتها على منطقة الشرق الأوسط والبلاد العربية . وكما رأينا من قبل ، فالدواعي كثيرة لإنشائها وتكونها ، فهي تقع حاجزا مع زميلتها الهاشمية الأخرى في العراق ضد الخطر الإسلامي القادم من الصحراء حيث نشأت دولة تتميز بالحماسة الشديدة والعودة إلى أصول الإسلام والعقيدة الصحيحة ، ونبذ العادات والتقاليد التي أخرجت الناس من ربقة الإيمان إلى نير الشرك . وكان هذا الأمر مما تخشاه السياسة البريطانية في المنطقة ، ولابد من دولة عازلة بين البداوة بنقائها ، وبين الحضر بتشوقه أيضا إلى هذا النقاء الذي يفتقده ، ولو التقيا لتغير تاريخ العرب والإسلام ، وهو أمر يحرص على عدم حدوثه الإنجليز واليهود .

وكان الفيلق العربي بقيادة جلوب باشا هو الذي يحمي تلك الحدود من خلال الكيان السياسي الذي يحتوي تلك القوات للحراسة ، وعندما حدث انقلاب رشيد عالي في العراق أسرع جلوب باشا إلى هناك وكان من العوامل الحاسمة في القضاء على ذلك الانقلاب .

وهذه الدولة العازلة ضرورة لتداعيات الموقف بين إسرائيل والعرب بعد قيام الدولة اليهودية .

ومثل تلك الدولة التي تفتقت عنها عبقرية الاستعمار الإنجليزي بالتعاون مع الوكالة اليهودية وحكماء صهيون لابد وأن يحكمها رعيل من التلاميذ والمدربين ، والقادرين على مواجهة شعوبهم في صفاقة وبلا حياء .

ولابد أن ترتبط مصالح هؤلاء التلاميذ بمصالح الدولة القائمة على شئونهم ، والمصالح هنا بمعنى المصالح المادية القريبة الشخصية الممثلة في الأرصدة المالية والأسهم في الشركات وخلق الأموال واستثمارها لحساب التلميذ ، من خلال قنوات متعددة متشابكة التركيب .

ولابد الحاكم الأردن أن يكون استعماري النزعة ينفذ بلا مناقشة طويلة غير مجدية ولهذا كان الملك عبد الله يفهم ما يطلب منه دون لجاج كثير ، ولكن طلال لم يتأقلم مع ماهو مطلوب .

وكان من السهل وصمه بالجنون وإحاطة قصره بالمدرعات وجمع الوزراء ورئيسهم وتقرير يكتبه أجنبيان ، ويشفعونه بتقارير يكتبها عرب ، ويمنع الاتصال به حتى يودع في المصحات حتى يموت .

ومن بعده يأتي الحسين الذي أعد بعناية شديدة . وهو ودولته حقل لتجارب السياسة وكشف المستقبل في عالم العرب . ومن خلال الرقعة التي يحكمها يكون أكبر مركز للاستخبارات والدراسات . فهي مكان لجمع المعلومات ومختبر لإجراء التجارب .

وقد تكون هذه التجارب عنيفة تهز النظام ، ولكنهم لا يخشون عليه من السقوط فهم يمنعون ذلك عند الضرورة .

ولعل هذا هو تاريخ الأردن والملك حسين منذ توليه حتى غزو الكويت !

* * *

فعندما عيّن الملك حسين فوزي الملقي باشا رئيسا للوزراء في أول عهده ، فإن معناه أن الإدارة الخفية التي تدير البلاد هي التي أرادت هذه

الشخصية التي تلقت تعليمها في بريطانيا ، وشارك في التفاوض مع اليهود في حكومة توفيق أبو الهدى باشا أيام الملك عبد الله ، وهو يعرف أصول اللعبة ويتقنها ، ويفهم ماذا ينبغي وماذا لا ينبغي في شئون الحكم والسياسة في بلاده .

وهو عندما يصدر قانونا ينص على حرية الصحافة والخطابة والاجتماعات فليس معناه أنه يقصد ذلك حرفيا ، وهو لا يصدر عن نفسه ، ولكن يتم كل شيء باتفاق .

وما القانون إلا بالون اختبار كبير لدراسة ماذا حدث للمجتمع الأردني بعد الأحداث الكبرى التي مرت به ، وهو كشف دقيق عن نوعية التحركات تحت السطح ، ورصد لكل القوى السياسية التي تعمل في الساحة ، والبحث عن الشيوعيين والتقدميين ، وغاية الأبعاد التي يفكر فيها الإخوان المسلمون .

وظهر على السطح الشيوعيون ، وظهر معهم « حزب التحرير الإسلامي » الذي أنشأه تقي الدين النبهاني ، والذي رأينا من قبل كيف كان رسولا بين القوى الوطنية في الأردن وبين حكومة حسني الزعيم الانقلابية في سوريا بغرض التنسيق لإحداث تغيير في الأردن .

وكان هذا النشاط تحت السطح . ولكن الحرية أظهرته عيانا للناس ولجمع الراصدين . واستطاعت المخابرات البريطانية أن تعيد النظر إلى القوى المطروحة والتي ظهرت عقب التصريح بالحرية الذي صدر بقانون ، والذي مهر بتوقيع الملك حسين .

وقد ظهرت القلاقل على السطح في كل مكان بالأردن ، وتبين أن القوى السياسية المختلفة لها انتماءات خارجية ، ويشد من أزرها أنظمة متعددة .

وبعد أن كشف الملك حسين الساحة السياسية وما فيها أمر فأسدل الستار من جديد .

كانت الأردن ساحة للتجارب ولفهم طبيعة العالم العربي ، وماذا يختبىء تحت هذا المجهول .

فرغم أن المخابرات الإنجليزية تعمل عملها في البلاد إلا أن هناك ما لا يعرف وهو كثير .

ونصح الملك بعزل جلوب من منصبه حيث يبدو أمام العالم العربي أنه وطني يريد تخليص البلاد من نير التبعية للإنجليز حيث يمثلهم ذلك الاستعماري العتيد الذي لم يعد لوجوده أهمية كبرى ، فقد تغير العالم ، ويمكن إدارة هذا الجزء من الأرض بطريقة مختلفة .

وقد أشار الملك حسين إلى أن جلوب لا يمتثل إلا لما يأتيه من أوامر هوايتهول في لندن .

ومن ثم فلن يكون هناك قلق من طرده في شكل درامي مؤثر يرفع من أسهم الملك .

* * *

أطلقت الحريات ، وتقدمت الأحزاب للانتخابات التي كانت حرة ، ولم يحدث بها تزوير على عادة ما يجري في مثل هذه البلاد . ونجح الوطنيون الاشتراكيون فيها . وأصبح سليمان النابلسي رئيسا للوزراء لكونه الأمين العام للحزب الفائز رغم أنه قد سقط في دائرته الانتخابية .

وصدق الناس أن هناك حرية بالفعل وظهرت آراؤهم الحقيقية ، وهي

الرغبة في الخلاص من تلك الأسرة التي ارتكبت خيانات كبيرة أثرت في تاريخ العرب وكرست دولة إسرائيل .

وكانت الأردن تمنع صدور الصحف الشيوعية ، وتحرم ذلك النشاط جملة وتفصيلا ، إلا أن الحكومة برئاسة سليمان النابلسي قد أعدت مرسوما لصدور جريدة « الجماهير » الشيوعية .

ووافق رئيس الحكومة أيضا على فتح مكتب لوكالة تاس السوفيتية . وبدأت الكتب الروسية في الظهور ، وعرضت بعض دور السينما الأفلام الروسية لأول مرة .

وكان هذا ما تريده المخابرات البريطانية فهي تريد أن تعرف ما يجري تحت السطح على وجه التحديد .

وهاج الجيش ، وظهرت فيه علامات التمرد والرغبة في التخلص من الحسين وإسدال الستار على تاريخ الملك عبد الله وأبنائه .

وكان كل شيء تحت السيطرة . وقدم ضابط من بيروت وقابل الملك حسين وأخبره أن الضباط الأردنيين الموجودين في دمشق وبيروت ينفقون أضعاف رواتبهم الأمر الذي يبعث على الحيرة ، وأن هناك شيئا في الأفق لا يملك دليلا عليه ولكن وراء الأكمة ما وراءها من محاولة لاضطراب وقلاقل يسعون إلى إحداثها في الأردن . وأن هؤلاء الضباط الأردنيين يترددون على السفارتين الروسية والمصرية . وأخرج الضابط قائمة بأسماء هؤلاء الضباط سلمها للملك الذي طلب منه العودة إلى بيروت ومراقبة الوضع مع رجاله وإخطاره بكل ما يحدث . وكأن الملك قد أصبح مسئول المخابرات في بلاده ، وعليه أن يقدم تقريرا إلى شخص ما أو جهة ما هي التي تحسن تقدير مثل هذه المعلومات .

ووضح أن الشغب قد وصل إلى شخصيات كبيرة في الجيش مثل قائده الجديد اللواء علي أبو نوار ، وكثير من كبار رجال الحكومة . وربما كان الملك يريد أن يتخلص من هذا الكابوس . ولكن هناك من يريد أن يصل بالأمور إلى غايتها لفهم ما يدور .

وكان اللواء علي أبو نوار من أصدقاء الملك المقربين ، الأمر الذي أثار دهشته وذهوله عندما علم أنه يزور دمشق بانتظام ويتردد على الروس والمصريين الأعداء التقليديين للعرش الأردني .

وكان عبد الله الريماوي وزير الدولة للشئون الخارجية من المتآمرين الذين يزورون أيضا دمشق بانتظام . وهو عضو في حزب البعث الذي تكون حديثا في الأردن .

ولم يكن هو وحده الذي يزور سوريا لأغراض مجهولة بل كان معه عدد من الوزراء الأردنيين الآخرين .

وقد همس أحد عملاء المخابرات في أذن الملك أنه لو أمر بفتح الحقائب التي يحملها الوزراء أثناء اجتيازهم نقطة الحدود عند الرمثا لوجدوا هذه الحقائب مليئة بالنقود . ولكن الملك رفض هذا الطلب فقد كانت البلاد في حالة غليان ، ويجب أن تظل كذلك حتى يفهم ما تحت السطح .

وانقسم الجيش إلى مجموعات متعارضة ، كل فريق يدين بمذهب سياسي ، وكذلك كان حال الشعب ، وبدت البلاد مقدمة على حالة من الفوضى ، فالكل يجتر خيانات الهاشميين مع اليهود والإنجليز ، ولا يفكرون إلا في التخلص منهم . حتى إدارة المخابرات الأردنية ، والمفروض أنها التي تتولى مسألة الرقابة على مثل هذه الأنشطة المعادية للنظام ، امتلأت هي الأخرى بالاتجاهات المختلفة المتعارضة . وهو أمر دعا رئيس المخابرات آنذاك

بهجت طبارة إلى الاستقالة فهو لا يستطيع أن يحكم سيطرته على أخطر جهاز يمكنه حماية النظام . ويبدو أن هناك جهازا آخر للمخابرات إنجليزي التركيب لا يمكن اختراقه أو العبث بأفراده ، وهذا ما يضمن عدم الوصول إلى نقطة النهاية في النظام .

ولكن ازدادت الأمور سوءا باستقالة رئيس المخابرات .

كان الإنجليز يريدون معرفة عناصر التحرر في بلاد الأردن ، ولابد من قليل من الفوضى حتى يظهر المستور ، ويعرفوا ما تحت الغطاء . ومثل هذه الخطط لا يقوم بها إلا أساطين السياسة والخبرة والقوة . وليس الملك غير لعبة في يد هؤلاء الشياطين الواثقين من عملهم ، الدائبين عليه . ويمكنهم إبطال مفعول أي شيء يشكل خطرا حقيقيا على وجودهم في الوقت المناسب ، وهم يعرفون علامات هذا الوقت . ولكن الملك الخائف المرتعد لا يريد المضي قدما في مثل هذه اللعبة الخطرة التي قد تكلفه حياته وعرشه .

وبدأت الحكومات المختلفة ترسل بتوصياتها إلى الملك وحكومته . فهذا صلاح البيطار وزير الخارجية السوري يرسل بتوصية إلى الحكومة الأردنية هي بمثابة أمر ينبغي طاعته ، أن تبادر الحكومة الأردنية بالاعتراف بالاتحاد السوفيتي والصين ، وتبادل علاقات أكثر ودية معهما .

وعرض سليمان النابلسي هذه الرسالة على حكومته ، وهو الأمر الذي أطار صواب الملك . وردّ بنفسه على الرسالة ردا قاسيا ، رغم أن هذا يتنافى مع قواعد البروتوكول .

وبدأت خطابات رئيس الوزراء والوزراء لا تتعرض إلى الملك في قليل أو كثير بل هي تتكلم كثيرا عن نزعات التحرر ، وضرورة التخلص من

التبعية للإنجليز ، وعمل صلات بالعالم الموجود ، والمقصود به الاتحاد السوفيتي والبلدان الشيوعية الأخرى . والمضي قدما في تحقيق الحرية للناس ، والسماح للأحزاب بحرية أكثر من التي حصلوا عليها .

وكان من الواضح أن ذلك كله كان مقدمات لانقلاب على الملك الذي لم ينس أحد من الشعب ما فعلته أسرته بقضايا الأمة .

وكان الريماوي وزير الخارجية يكاد يمارس مهام وظيفته من دمشق ، حتى إن البعض كان يسخر من هذا فيقول إن وزارة الخارجية الأردنية مقرها دمشق وليس عمان .

والجيش على نفس الدرجة من التوتر والاستعداد لعمل ما ، هو الانقلاب الذي يُعد له ، وتحت أجهزة الرصد كان ذلك يتم .

وأرسل الملك حسين رسالة إلى سليمان النابلسي يحذره فيها من السير في هذا الطريق الخطر الذي يرتب لثورة أو يفضي إليها إن كانت الحكومة حسنة النية . وأنه ليس من الحكمة إن كنتم تحاربون الإمبريالية أن تستبدلوا بها إمبريالية أخرى أشد عتوا ورسوخا ودعا الملك رئيس وزرائه إلى التصدي للشغب الحادث والدعاية التي ينبغي القضاء عليها .

وذكره أن في قوانين البلاد ما يسمح له بهذا التصدي ، ويمكنه القضاء على كل هذه المظاهر التي تنذر بثورة يصعب السيطرة عليها ، أو معرفة نتائجها وما يمكن أن تؤدي إليه .

وعندما وصلت الرسالة إلى رئيس الوزراء عمد الملك إلى إذاعتها ونشرها ، حتى يمكنه تشجيع الفصائل التي تدين له بالولاء .

وكان رد الفعل عجيبا فقد عمد بعض الوزراء إلى الإدلاء بتصريحات

تخالف مضمون هذا الخطاب ، ونشرت المقالات تبين أن هناك خلافا بين القصر والحكومة . وبدا وكأن الصراع على وشك الاحتدام .

والتمس رئيس الوزراء مقابلة الملك وجاء إليه بصحبته الريماوي وعلي أبو نوار وبعض الوزراء اليساريين وكان مطلبهم التخفيف من لهجة الرسالة ، ورفض الملك .

ويبدو أن رئيس الوزراء كان يرتب للاعتراف والتمثيل مع الاتحاد السوفيتي والصين ، ويضع الملك في مأزق حرج ، حيث تزداد الدعاية ضده بأنه عميل للإمبريالية العالمية في حالة اعتراضه على هذا الإجراء .

الجيش يبدأ في التمرد :

وفي ساحة عمان الرئيسية وقف رئيس الوزراء سليمان النابلسي يخطب في جمهور كبير ، ومعه لفيف ممن يعتبرهم الملك من الشيوعيين ، مثل عيسى مدانات أحد أقطاب الشغب والإثارة آنذاك ، وكأن رئيس الوزراء يعمل ضد مضمون الرسالة التي وصلته من الملك والتي يطلب فيها وقف ذلك الشغب الشيوعي وأن في قوانين البلاد ما يسمح له بذلك .

وبعد ذلك بأيام خرجت سرية مصفحات قد طوقت العاصمة ، وتمركزت عند النقاط الهامة بحيث لا يدخل أحد أو يخرج إلا بعد المرور عليها ، وبدت المدينة وكأنها محاصرة .

وقد وضح من هذا أنه مقدمات لعمل وشيك الوقوع ، وهذا العمل يستهدف الملك أولا وأخيرا . وهو مقدمات انقلاب واضح .

وأرسل الملك يستدعي على أبو نوار وهو في شدة الغضب . وسأله عن تفسير هذا الذي يحدث من الجيش . وطمأنه قائد الجيش في لهجة هادئة

مؤدبة بأن هذا ليس غير عمليات روتينية لتفتيش السيارات التي تدخل عمان أو تخرج منها . وأنه ليس هناك ما يستوجب القلق .

وأصر الملك على سحب هذه السيارات المصفحة من مداخل عمان ومخارجها وعودتها فورا إلى الثكنات . ووافق قائد الجيش ووعد بهذا .

الملك يعزل الحكومة :

كان الغضب الشعبي عارما ، وتمرد الجيش حقيقة ، وكأن الناس قد تذكروا ما فعل بهم الملك عبد الله وكيف باع بلادهم فأرادوا الانتقام من حفيده الذي صار دمية في يد الإنجليز ، ويستخدمونه لإجراء التجارب الاجتماعية والسياسية وهم لا يفهمون .

وربما أوحى إلى الملك بأن الوقت قد حان لعزل الوزارة ، فقد عرف من يريد أن يعرف ماذا وراء الأكمة من غضب واستعداد للانقضاض .

واستدعى الملك إلى مكتبه بهجت التلهوني رئيس ديوانه وأمره بإعداد خطاب إعفاء الوزارة ، ثم عاد فأملاه عليه بنفسه .

وذهب التلهوني إلى رئاسة الوزراء ووجد الوزارة مجتمعة ، وطلب من رئيسها أن يخرج إليه ، وأفهمه مضمون الخطاب دون أن يسلمه إليه ، خشية استخدامه استخداما يزيد الأمر سوءا في الدعاية السياسية ضد الملك .

وانصرف رئيس الديوان بينما أسرع رئيس الوزراء باستدعاء على أبو نوار قائد الجيش يستشيره فيما حدث .

وأخبرهم أبو نوار أنه لا خوف من تقديم الاستقالة ، ولن يجد الملك من يكلفه بها وأكد لهم أنه ـ أي أبو نوار ـ سوف يرغم الملك على استدعائهم مرة أخرى ، لأن الجيش في يده ، وهو القوة الوحيدة في هذا البلد .

وذهب رئيس الوزراء إلى القصر وقدم للملك خطاب استقالته ، وأصر أن يضمنه عبارة تقول : « بناء على أمر جلالتكم » على أساس أن يدعي بعد ذلك أنه قد أرغم على الاستقالة من جانب الملك .

الأسرة الهاشمية تفكر في الهرب !

وبدا الجو كالحا ينذر بعاصفة هوجاء تقتلع القصر ومن فيه ، ووصلت الأمور إلى قرب نهايتها ، والحوادث تسير في صالح الشعب وضد القصر والهاشميين .

وتوافد أفراد الأسرة الهاشمية وعددهم قليل ، ولا حيلة لهم ولا قوة وهم في ذعر مما يرون ويسمعون . وكان ممن وفد إلى القصر الشريف ناصر خال الملك ومعه بعض السيدات ، وبعض الرجال من العائلة ، واجتمعوا جميعا في صالون صغير . وكانت هذه هي الأسرة التي تحكم الأردن ، أو تملك البلاد ومن عليها عبر واجهة دستورية وقانونية يعملون على تلميعها كل صباح بلا فائدة .

وتكلم الشريف ناصر الذي كان له دور كبير في إحضار الملك حسين إلى الحكم بدلا من أبيه الذي قضت عليه نزعته الوطنية . وقال للملك حسين إن وقت الرحيل قد أزف ، وإنه لا بقاء لهم في هذه البلاد ، أو هو القتل الذي لن يميز بين أحد منهم ، وسيستوي في ذلك الأميرات والأمراء .

وشرح الشريف ناصر للملك أنه يمكنهم الخروج من الأردن في سلام ، وأن ينشئوا حكومة في المنفى ، وأن يتصلوا بأصدقائهم الإنجليز يطلبون منهم العون . وقد تغافل أو غفل عن أن الإنجليز على مرمى حجر منهم . وإنما هي التجارب الكبرى التي تكون الشعوب والحكومات مادة لها .

ويبدو أن الملك قد وجد أن من المصلحة الاستجابة لطلب الشريف ناصر ، فالصورة أكثر قتامة مما يظن . وبدأ يناقش معه المكان الذي يذهبون إليه وكيفية الخروج من عمان .

وجاء بهجت التلهوني واستدعى الملك ، الذي خرج من الصالون مضطربا حائرا قلقا ، ثم عاد بعد ساعة . ويبدو أنه كان يتكلم في التليفون ، أو أنه قد التقى بزائر قد قدم لزيارته في هذه الساعة العصيبة من ساعات حكمه .

ثم عاد الملك إلى أسرته الصغيرة المجتمعة في الصالون ، وهو أقل قلقا واضطرابا ، وقد بدت عليه علامات الشجاعة والتماسك ، بين دهشة أسرته التي تنظر إليه مليا .

لقد نظر الملك إلى خاله وطلب منه أن يذكره بالحديث الذي كان يدور بينهما منذ فترة وقبل أن يغادر الصالون . وأخبره الشريف ناصر بضرورة الرحيل عن الأردن .

وفي شجاعة أنكرها عليه من رآه قال الملك إنه لن يغادر عمان ، وسوف يبقى ليقاتل ويقضي على « الشيوعيين » ، فقد كان يناسبه أن يصف الذين يناوئونه بهذه الصفة ، ولم يكونوا كذلك .

لقد عرف وقتها أن هناك من شجعه على البقاء والمكوث وأن لا خوف على عرشه من شيء يهدده !

الانتظار حتى تتحقق الوعود :

لم يكن أمام الملك حسين غير انتظار ما وعد به من التثبيت والنصرة . وكان الوقت في شهر رمضان . وذهب إلى مزرعة خاله الشريف ناصر في

وادي الأردن ينتظرون انقضاء النهار حتى يشربوا الشاي ويدخنوا السجائر ، فقد كان الملك صائما ، أو هكذا قال في مذكراته .

وكانت عمان قد امتلأت بالأعلام الحمراء ، وبأعلام أخرى تمثل جمهورية الأردن .

وجرت الاتصالات والمحاولات لتشكيل حكومة جديدة بدلا من حكومة سليمان النابلسي الذي أجبر على الاستقالة ، وكان ذلك بلا فائدة ، فقد عبئ الشعب ضد الملك حسين ، والناس جميعا يجترون المهانة والذل الذي أوقعهم فيه جده الملك عبد الله . والأحياء كانوا يعرفون صلة الأخير باليهود ، وماذا سلم لهم ، وماذا تقاضى منهم ، وكانت مخازي من الصعب أن تنسى أو تغفل ، وقد جاء وقت الانتقام ممن خان الله ورسوله وشعبه الآمن الضعيف الذي بدأ ينتفع بقوته التي لم يكن يدري من أمرها شيئا .

أرسلوا إلى الدكتور حسين فخري الخالدي يستدعونه لتشكيل الوزارة ، ولكن النابلسي قد ضمن ألا يشترك أحد بها . وباءت المحاولات بالفشل .

وكان سليمان النابلسي في سهرة مع قائد الجيش وبعض الوزراء المستقيلين ، وقد دار بينهم الحديث .

وقال سليمان النابلسي يسأل من حوله :

ـ من الذي يحظى بتأييد الشعب ؟

ورد عليه بعض من الجالسين :

ـ أنتم .

والتفت إلى علي أبو نوار :

– من الذي يؤيده الجيش ؟

وابتسم علي أبو نوار :

– ليس هناك غيرك يا صاحب الفخامة .

وعاد النابلسي يسأل :

– ومن الذي يؤيد الملك ؟

وانفجر الجالسون في الضحك ، فلم يكن أحد يؤيد الملك . ولكن النابلسي قد اكتست وجهه سحابة من كدر وضيق ، فهو سياسي يعرف أو يتصور ماذا يمكن أن يدور خلف الستار . وهو ليس من السذاجة حتى لا يتخيل الأيدي الإنجليزية واليهودية التي يمكن أن تساند الملك . وهي يمكن أن تبقيه حيا وملكا لزمن طويل .

محاولات تشكيل الوزارة :

اتجه الملك إلى عبد الحليم النمر بعد أن اعتذر الخالدي عن تشكيل الوزارة . وقد اختار الملك حسين النمر لأنه كان عضوا في الحزب الوطني الاشتراكي مثل سليمان النابلسي ، وكان وزيرا في حكومة النابلسي أيضا ، ووافق النمر على تشكيلها ولكن الحزب الوطني الاشتراكي حجب عنه التأييد ، واشترط عددا أكثر مما ينبغي من الوزراء المشاغبين كشرط للتأييد والدعم . وفشل النمر في إقناع الملك بالموافقة ، ولو وافق لكان معنى هذا أن تأتي الوزارة القديمة بدون رئيسها ، وهكذا كأن شيئا لم يتغير .

واتصل الملك بسعيد المفتي ليقوم على التشكيل . وكان أثناء ذلك يستشير على أبو نوار الذي كان هو الآخر يستشير أصدقاءه في دمشق وبيروت والقاهرة .

والتقى أبونوار بالسياسيين من أهل اليسار واتفقوا على تأييد عبد الحليم النمر تظاهرا لكسب الوقت .

واستدعى الضباط سعيد المفتي إلى أحد المعسكرات في عمان ، وتكلم معه علي أبو نوار وأفهمه أن الوضع متفجر في الشعب والجيش .

وسأله سعيد المفتي الذي بدا عليه الاضطراب والقلق :

- وما الحل في نظركم ؟

وقال له علي أبو نوار في حزم :

- عليك أن تخبرهم هناك في القصر أنه إذا لم يتم تشكيل وزارة في موعد غايته الساعة التاسعة مساء فإنني لست مسئولا ومعي الجيش عما يمكن أن يحدث من شغب واضطراب .

وبلع سعيد المفتي ريقه الذي جف وقال :

- هل هذا إنذار عليَّ نقله إلى الملك ؟

وخفف علي أبو نوار من لهجته وقال :

- هذا ليس إنذارا ولكنه توصيف دقيق للحالة التي تمر بها البلاد ؛ الشعب والجيش .

* * *

وذهب سعيد المفتي لمقابلة الملك مضطربا وبصعوبة شديدة شرح له مادار مع قادة الجيش من حديث ، وألمح من طرف خفي أنهم لن يقبلوه رئيسا للحكومة وأن من الصالح العام محاولة الاتفاق ثانية مع عبد الحليم النمر الذي استدعي على عجل للتشاور والتفاهم .

وكان النمر رجلا لينا هينا ، أو مراوغا شديد الدهاء ، وأخبر الملك أنه يمكن التفاهم مع أصدقائه ، ويمكن تحقيق حل وسط ينهي هذه الأزمة .

وغادر النمر القصر على هذه النية التي أعلنها .

ثم جاء علي أبو نوار ثائرا هائجا وخاطب رئيس الديوان بلهجة هي أقرب إلى الإنذار منها إلى شرح الموقف . وكان يحضر الجلسة سعيد المفتي الحائر الذي لا يستطيع أن يعمل شيئا . بينما قبع الملك في حجرته يفكر فيما جاءه من وعود للبقاء ، وهل يمكّن الاعتماد عليها .

وقال أبونوار :

– أريد يا سيدي أن أبلغك كلاما محددا ، ويجب أن ينظر إليه بكل اعتبار لخطورته . فإذا لم يبلغ الجيش حتى الساعة التاسعة من مساء هذا اليوم أن هناك حكومة قد تشكلت فإن حوادث جسيمة سوف تقع ، وستكونون أنتم مسئولين عنها .

وسأل رئيس الديوان :

– هل هذا إنذار ؟

وأجاب علي أبو نوار في حدة :

– نعم يا سيدي . اعتبر هذا البيان إنذارا نهائيا .

النجدة تأتي للملك :

كان الكلام من الصراحة والوضوح بحيث استقر الرأي على الاستجابة لهذه المطالب ، وتشكيل الحكومة قبل الساعة التاسعة ، بأية صورة وعلى أي شكل ، حتى لو كان رئيسها هو سليمان النابلسي .

ولكن جاء أحد الضباط من معسكر الزرقاء ، وهو المعسكر الرئيسي

الذي به يدور الشغب وعلامات التمرد ومعه كتاب سلمه لرئيس الديوان ، وطلب رفعه إلى الملك على وجه السرعة .

ومما جاء من فقراته :

« إن ضباط الزرقاء الموالين المخلصين لجلالتكم قلقون من الطابع غير المألوف للتعليمات التي تصدر إليهم . لقد بلغنا بأن أوامر ستصدر لبعض الوحدات لتطويق عمان . يا صاحب الجلالة ، إن شكنا وارتيابنا بمن يتولون قيادة الجيش في ازدياد مستمر . وإننا لنلتمس من جلالتكم أن تأذنوا لنا بعرض الأوامر على جلالتكم لتتحققوا من سلامتها »[1] .

كان الظن أن علي أبو نوار حريص على القصر والأسرة ، وأن كل ثورته التي بدت في كلماته الساخنة وإنذاراته التي وجهها مرة إلى سعيد المفتي وأخرى إلى رئيس الديوان بأنها من منطلق الحرص على الوضع العام . ولكن بدا للقصر بعد هذا القادم أن الأمر مختلف وأن قائد الجيش ضالع في التآمر ضد الأسرة الهاشمية . أو هكذا بدأ الملك يشك في الأمر . والذين يتولون الحماية الحقيقية لا يمدونه بالأخبار الصحيحة . فالتصور أن الساحة كانت حقلا للتجارب يمسكون هم بزمامها من وراء ستار .

وقد فهم من الرسالة التي جاء بها ذلك الضابط أن بعض الكتائب والوحدات التي يتولى قيادتها رجال موثوقون وموالون للأسرة الهاشمية قد تم نقلهم مع وحداتهم إلى مناطق مختلفة بعيدة من الأردن ، وأنه لم يبق في الساحة غير المتآمرين الذين ينتظرون الأمر بالانقضاض .

ويدعي الملك لمن حوله أنه كان على علم بهذه التحركات .

---

(1) مهنتي كملك مصدر سابق ص 132 .

ثم جاء الشريف ناصر وقابل الملك على عجل وأخبره أن معه ضابطا ينبغي لقاؤه على الفور فعنده أسرار بالغة الأهمية حول موضوعات عاجلة .

* * *

وفي مكتب الملك كان الضابط عبد الرحمن سبيلة ، وقد أرسل موفدا من قبل فريق من ضباط وجنود الكتيبة المدرعة . وقال للملك :

- يا صاحب الجلالة . يوجد خونة في كل مكان . ولكن ليس في كتيبة المدرعات الأولى .

كونوا واثقين بنا جلالتكم . إن ضباط وجنود الكتيبة يؤكدون لجلالتكم أرسخ الدعم والتأييد .

وسأله الملك عن طبيعة الموقف في الجيش .

وأجاب عبد الرحمن سبيلة :

- لقد جمع قائد الكتيبة الضباط لإعطائهم الأوامر وهي تقضي بالزحف إلى عمان ، ثم تطويق القصر الملكي والقبض على الملك . وتقضي التعليمات بالرد على كل طلقة تطلق من القصر بقذيفة من عيار ستة أرطال . لقد اختيرت الكتيبة الأولى للمدرعات للقيام بهذه المهمة . واجتمعنا واتفقنا على البقاء في الولاء للملك والبلاد ، وتم الاتصال بمن نثق بهم من ضباط الصف والجنود . واتفقنا على مسايرتهم والتظاهر بالموافقة وتنفيذ الأوامر . وهذا هو الموقف ونحن في انتظار التعليمات !

ومن الواضح أن ذهب الإنجليز قد عرف طريقه إلى بعض الوحدات ، فهم لهم خبرة كبيرة بهذه الأمور من أيام « دوست محمد خان » ملك بلاد الأفغان في القرن الماضي .

وأمر الملك عبد الرحمن سبيلة بالعودة إلى وحدته ، وطلب منه أن ينبه أصدقاءه ومن يراه بحسن الانتباه والاستعداد وأن يسايروهم حتى اللحظة الأخيرة .

* * *

كانت النصيحة الإنجليزية قد جاءت إلى الملك بالذهاب إلى معسكر الزرقاء ، فكل شيء هناك على ما يرام ، ولا خوف على حياته أو عرشه .

وعندما كان يهم بالذهاب فوجئ بحضور اللواء علي أبو نوار إلى القصر ، وكان علي أبو نوار شابا ممشوق القوام في الرابعة والثلاثين من عمره ، له شارب دقيق فوق فمه ، يرتدي ملابس هي غاية في الأناقة سواء كانت عسكرية أو مدنية . وكان ينظر إلى الملك نظرة لا تخلو من الازدراء الخفيف الذي يحاول إخفاءه دائما تحت ابتسامته الودود المتأدبة .

وكان علي أبو نوار ومن معه يدبرون أمرا ، وكان الإنجليز والملك يكتشفون أمرا آخر ، ولم يكن أبو نوار على وعي تام بما يدور ، فقد ظن أن الإنجليز قد تركوا الملك يواجه مصيره وحده .

وواجه الملك حسين اللواء علي أبو نوار بما سمعه ، وسأله تفسيرا لما حدث ، وكان الملك قد استكمل كل أسباب القوة ، ولم يعد هناك ما يخاف منه .

وعندما بدأ أبو نوار في الشرح قرع جرس الهاتف ، وكان أبو نوار مطلوبا على الطرف الآخر ، وكان الذي يكلمه اللواء معن أبو نوار ابن عمه وقائد لواء « الأميرة عالية » .

وكان الحديث مثيرا فقد انقلب الميزان لصالح الملك بقدرة قادر ، وبجهد إنجليزي يتميز بالخبرة والدقة ، وهم هناك يحدثون ضجة أو ثورة ، ليس ضد الملك كما رسم أبو نوار ومن معه ، ولكن هذه المرة ضد المتآمرين .

وأخبره ابن عمه قائد اللواء أن الذي ينقذ الموقف هو ظهور الملك في المعسكر .

وكان الملك يستمع إلى الحديث ويهم بالذهاب إلى المعسكر لولا حضور أبو نوار !

وكان علي أبو نوار يصرخ في التليفون :

- أوقفهم بأي ثمن . أين المدفعية ؟ أين اللواء الحياري ؟

وردّ عليه معن أبو نوار :

- لابد من حضور الملك لإنقاذ الموقف .

واختطف الملك السماعة من يد أبو نوار وقال :

- أنا الملك وسوف آتي .

استطاع الإنجليز أن يحركوا أنصارهم بالوسائل المعروفة ، وأغلبهم من شيوخ العشائر الذين لهم أكبر التأثير على أبنائهم الضباط . ومادام الشيوخ قد اقتنعوا فلابد أن يقتنع أبناؤهم أيضا ... والإنجليز من أقدر الناس على التأثير والإقناع .

وقد كان .

واستقام الأمر وامتلأ الملك شجاعة واستطاع أن يقف وحده أمام شعبه !

طلب من خاله الشريف ناصر أن يعد له سيارة على عجل لتذهب به إلى معسكر الزرقاء الذي حدث به التمرد . وجلس بجوار السائق بينما جلس في المقعد الخلفي الشريف ناصر واللواء علي أبو نوار .

وفي الطريق اعترضتهم شاحنة مليئة بالجند . وكانت تحيتهم للملك تدل على أن كل شيء على ما يرام وقد تم ترتيبه ترتيبا دقيقا .

وشعر اللواء علي أبو نوار أن هناك الكثير الذي حدث حتى تصبح الصورة على النحو الذي شاهده . وطلب من الملك أن يأذن له بالعودة إلى عمان . وأدرك الملك أن الأمر قد تحدث فيه أمور يصعب حلها ، وأن قتل رجل مثل اللواء أبو نوار قد ينبىء بوخيم العاقبة ، وهو لا يدري طبيعة السيطرة التي تمت . المهم أنه ليس هناك انقلاب ضد الهاشميين .

ونزل أبو نوار من السيارة عائدا إلى عمان بعد أن طلب الملك منه أن ينتظره في القصر حتى يعود .

وانتهت المؤامرة الضخمة التي اشترك فيها الجيش مع الشعب للتخلص من الأسرة الهاشمية ، بعد أن تم كشف جميع عناصر الشغب في كل أنحاء الأردن .

ولم يكن الإنجليز يحبذون وجود شهداء في نقطة من تاريخ الشعوب التي تحكمها أو تسيطر عليها . فالشهداء عادة هم علامات تضيء ليتقدم شهداء آخرون ، ولا يزالون هكذا حتى يحققوا أهدافهم ، ولو بعد أجيال وأجيال .

وفي القصر جلس الملك حسين في مواجهة اللواء أبو نوار بعد أن انتهت الجولة لصالح الملك والأسرة الهاشمية .

وسأله الملك :

- ما الذي تريده على وجه التحديد ؟

وقال أبو نوار في ثبات لا يخلو من شيء من الاضطراب :

- أريد الذهاب إلى إيطاليا أستريح من العناء الذي مرَّ بي في الأسابيع التي مضت .

كانت هذه هي تفاصيل محاكمة اللواء أبو نوار على تهمة الخيانة العظمى !!

سؤال عما يريد ، وإجابة استجيبت على الفور ، وفي الصباح كان يأخذ طريقه إلى دمشق ومنها إلى حيث يريد .

وأعاد الملك ترتيب الأمور ، وعيَّن قائدا جديدا للجيش سرعان ما عرف أنه قد غادر إلى دمشق فقد كان من المتآمرين . أراد أن يلقي خطابا إلى الشعب من محطة الإذاعة ، وكانت أيامها في القدس العربية فأخبروه أن الإذاعة قد أغلقت أبوابها فالمدير وجميع الموظفين في صف الشعب ضد الأسرة الهاشمية . ولكن كل هذا يهون . المهم أين يقف الإنجليز ؟ وفي ذلك الوقت تحرك لواء مدرع إسرائيلي ليقف على الحدود . فقد ظهرت بعض الشائعات أن هناك بعض الكتائب السورية التابعة لعبد الحكيم عامر تتجه جنوبا إلى إربد في أقصى شمال الأردن . وهذا ما لاتسمح به إسرائيل .

وباختصار فقد اتخذت من الإجراءات ما كفل تأمين النظام الأردني ، وما كان لأحد من أصحاب المصلحة أن يسمح له بالسقوط .

وفتشوا في القوائم فلم يجدوا غير حابس المجالي ليكون قائدا عاما للجيش الأردني ، وأخيرا وبعد الاختبار العنيف الذي جرى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

وجمع الملك ساسة الأردن الذين لهم ولاء قديم للهاشميين والإنجليز ، وكان قد شكل وزارة برئاسة حسين الخالدي لم يقدر لها أن تستمر ، أما هؤلاء فقد كانوا أصحاب قدرة على الاستمرار وإعلان الأحكام العرفية

والضرب بيد من حديد ، والمعتقل يتسع لأي عدد من الناس . وليس هناك ما يستوجب الوجل والخوف .

جمع الملك الساسة وأخبرهم أن هذه الدولة هي دولتهم ، وأن عليهم جميعا الحفاظ عليها ، وأنها إن ذهبت ذهبوا معها .

وتشكلت حكومة برئاسة إبراهيم هاشم ، وتم إعداد محطة الإذاعة للعمل ببعض الموظفين السابقين وآخرين جدد . وأعلن الملك الأحكام العرفية ووضع الجيش على أهبة الاستعداد وفتحت المعتقلات ، وألغيت جميع الأحزاب ، فلم تعد لهم بها حاجة فقد تم رصد كل القوى التي بالأردن .

وجلس السفير البريطاني يحتسي كأسا من الشمبانيا وهو يلقي نظرة على الملف الضخم الذي قدم له وهو جالس في شرفة السفارة بينما كان الناس يتسللون إلى بيوتهم في انتظار مدفع الإفطار أو خوفا من إمساك الشرطة بهم .

وفي هذا الوقت ذهب الملك حسين للنوم بعد أن ملأته الطمأنينة الكاملة .

نهاية الهاشميين في العراق :

تم تتويج الملك حسين على الأردن والملك فيصل الثاني على العراق في يوم واحد . وتولى الملك فيصل الثاني الحكم تحت الوصاية بعد وفاة أبيه الملك غازي في حادث سيارة . وكذلك كان حال الملك حسين الذي تولى الحكم بعد وضع أبيه في مستشفى المجانين . وكلا الشابين كان يدرس في « هارو » بإنجلترا ، تلقيا نفس التعليم ، ونفس الرعاية وكانا يُعدَّان نفس الإعداد ، وبلداهما من صنع الإنجليز ويقعان تحت نفوذهم ، ولهم في هذه البلاد مآرب أخرى .

وكانت السياسة الغربية هي شغل هذه البلدان العربية بعضها بعضا . فما إن تم تأسيس الجمهورية العربية المتحدة بين الجمهورية السورية وبين مصر حتى تم في نفس الشهر ما يسمى بالاتحاد العربي الهاشمي بين الأردن والعراق ، فهذه بلاد تتبع للعائلة المقدسة ، وكلا الملكين من نسل الشريف . وجدهما هو الحسين الأكبر صاحب الخيانة العربية الكبرى ومؤسسها هو وأولاده .

وكان الذين قاموا بهذا الاتحاد لهم دوافعهم الخاصة ، فالإنجليز قد أذنوا حتى يستمر العزف على أوتار الوطنية والتقدمية وسائر الهراء الذي كان يجتره العرب في ذلك الحين ، وهم يرون في كل تجربة سياسية في بلاد التجارب التي يسيطرون عليها أمرا يزيد من خبرتهم وعلمهم بطبيعة العرب وردود أفعالهم ، وهم لا يحبون المياه الراكدة ، بل يريدونها متحركة دائما ، فهي تكشف عما فيها ، ولا يختفي في الماء المتحرك شيء ، أما الماء الراكد فقد يختفي في طياته غول لا يراه أحد إلا لحظة يطبق عليه .

وكان الأمير عبد الإله ونوري السعيد يريدان ابتلاع الأردن ، وما الاتحاد إلا خطوة في هذا الطريق . وأما فيصل الثاني فشاب ضعيف الشخصية لا يحسن شيئا ولا يصلح لشيء ، وليس له رأي فيما يدور حوله . والأمير عبد الإله يقوم باللازم في شئون الحكم والسياسة ، وهو ليس غير متفرج يرقب الأحداث ولا تعنيه كثيرا ، وهو معتل البدن سقيم الوجدان ، ويشبه في هذا جده فيصل الأول عندما كان في نفس سنه .

أما الملك حسين الذي طرب لهذا الاتحاد فهو لا يزال يذكر العراق الشديد الثراء ، ولا يزال يذكر الدراجة التي أهداها له ابن عمه عندما ذهب يزورهم في بغداد وهو غلام . وهو يظن أن العراق بلد يفيض بالدراجات والمال . وأن اتحادا مثل هذا سوف يجعل بلدا مثل الأردن يخرج من دائرة

الفقر والفاقة الذي يجعل ملكا مثل ملك الأردن لا يكاد يزيد في إمكانياته عن عمدة من عمد الريف المصري ، أو عين من أعيان ناحية ما في بلد ما من الوجه القبلي أو البحري في مصر .

وتوحد العلم وتعانق الملكان ، وارتفع صوت الملك حسين في الإذاعة ليعلن للناس مولد الاتحاد :

« هذا هو أسعد أيام حياتي . إنه يوم عظيم في التاريخ العربي . لقد اتحدنا في ظل علم واحد ، في ظل راية العروبة التي حملها دائما جدنا الأكبر الوقور الحسين بن علي الكبير ، خلال الثورة العربية الكبرى » .

وكان العقلاء يستمعون وهم يضحكون ، ويخفون ضحكهم في أكمامهم من بشاعة ما يسمعون ، فهم يرون الباطل وقد ارتدى ثياب الحق ، وصار يصرخ في الناس الذين ليس أمامهم خيار بأنه الحق .

ولم يكن الملك حسين يعلم أن هذا الاتحاد لن يعمر أكثر من خمسة أشهر ، ولم يكن يدري أنه لن يتمتع بنقطة واحدة من البترول إلا بعد زمن طويل في أيام « عبد الله المؤمن » صدام حسين .

كان الملك فيصل الثاني هو رئيس الاتحاد العربي الهاشمي ، وكان شابا ضعيفا ، وكان عاجزا لا يستطيع القيام بأمر ما ، وأيضا لا يقدر على إبداء الرأي في مشكلة ما . وهو شخصية مسكينة قد ظلموه فنصبوه ملكا ، وهو أمر فوق طاقته ، وعندما يفكر فيه يُصاب بالدوار .

عين ولي العهد ، الأمير عبد الإله وصيا بعد وفاة والد فيصل في حادث سيارة .

وكان فيصل لا يزال طفلا ؛ فسيطر ولي العهد على المسرح السياسي

العراقي طوال سنوات ريثما يبلغ ابن عمي سن الرشد ويتمكن من ممارسة سلطاته كملك .

كان تأثير ولي العهد على فيصل من العمق بحيث بقي الرئيس الفعلي . وعلى الرغم من أنه لم يكن يملك الكثير من الشعبية إلا أنه كان يتمتع بسلطات واسعة ، وقد احتفظ بها حتى آخر يوم من حياته[1] .

ولم أكن على صلة ودية بولي العهد رغم تقاليدنا التي تحتم احترام الصغير للكبير ، ويرجع ذلك إلى حادثة وقعت في ساندهيرست .

عندما كنت تلميذا ضابطا ، كان الملك فيصل يشغل دارا في مدينة « ستين » يستخدمها في رحلاته إلى بريطانيا العظمى . جاء في أحد الأيام لزيارتي في ساند هيرست ، بصحبة ولي العهد .

وسألني :

ـ لماذا لا تأتي معنا إلى « ستين » لتناول الشاي ؟ إنك تستطيع أن تذهب بعدئذ إلى لندن إذا شئت .

قبلت الدعوة وانطلقنا معا . وكان ولي العهد يقود السيارة بنفسه ، وبجواره كان المرافق العسكري ، الذي صار قائدا للحرس الملكي العراقي أثناء الانقلاب ـ الذي حدث بعد ذلك ـ وكنت أنا وفيصل نجلس في المقعد الخلفي . وكانت سيارتي تتبعنا .

(1) مهنتي كملك مصدر سابق ص 149 .

ونشب شجار في الطريق بين فيصل وبين خاله . ولم أستحسن أبدا أن يحدث مثل هذا الخصام أمام المرافق العسكري وفي حضوري . ولكنني جاهدت نفسي لكي أكظم غيظي الذي كان يتعاظم . ثم توقف النزاع لحسن الحظ .

كنا على مقربة من « ستين » عندما سأل فيصل ولي العهد :

ـ ألا نستطيع أن نسلك طريقا منحرفا يا خالي . يوجد فيلم تصور مناظره غير بعيد من هنا . وستكون رؤية الكيفية التي يجري فيها العمل هنالك مدعاة للبهجة والسرور .

لم يتنازل ولي العهد حتى بالإجابة . أصبت بالذهول لأن فيصل كان ملكا للعراق على أية حال !

استشاط الأمير عبد الإله غضبا من جديد بدون سبب مبرر . وجعل يشتم الملك ويوبّخه ويعنفه كما لو كان صبيا غير مؤدب .

ولم يواصل الملك حسين الرحلة إلى نهايتها وطلب النزول لأنه لا يحب أن يحضر هذا النزاع العائلي ، وربما سعد الأمير عبد الإله بهذا فقد أوقف السيارة ونزل منها الملك حسين ، ولم يذهب لتناول الشاي . والظن أنه قد ذهب يتفرج على ذلك الفيلم الذي يجري تصويره هناك في الطريق الجانبي على مقربة من « ستين » .

وقد بيّن الملك حسين في مذكراته أن عبد الإله الوصي على عرش العراق كان يعامل الملك فيصل معاملة غير لائقة ويوبخه ويشتمه قبل أن يعتلي العرش وبعد أن اعتلاه . ويصفه وصفا غريبا « فهو لا يستطيع التصرف إلا بإذن ، وهو لم يمنح هذا الإذن أبدا »[1] .

---

(1) مهنتي كملك مصدر سابق ص 152 .

ويحكي الملك حسين في مذكراته كيف سقط الهاشميون في العراق فيقول :

« لقد حذرت ابن عمي فيصل شخصيا من هذا الخطر المهدد قبل اليوم المحتوم . فقد جاءتنا أول الظنون والشكوك على أثر اعتقال عميل ناصري يدعى أحمد يوسف الحياري وهو أردني من رجال كتيبة المدرعات الرابعة . كان أحمد يوسف يعتزم اغتيالي واغتيال خالي الشريف ناصر في الوقت نفسه ، وكذلك بعض المسئولين الآخرين عن طريق إلقاء قنابل خلال احتفال عام كان عليَّ أن أترأسه . وعند اعتقاله أدلى باعترافات كاملة وأبلغ عن انقلاب عسكري تعده الجمهورية العربية المتحدة يفترض وقوعه في العراق والأردن في منتصف تموز « يوليو » .

ولقد وفرت لنا المعلومات التي تم الحصول عليها فيما بعد تفاصيل المؤامرة وأسماء بعض المحرضين . كان المفروض أن تقع المؤامرة في كل من بغداد وعمان في آن واحد . وكان أول رد فعل لديَّ هو تحذير ابن عمي فيصل .

واتصلت به هاتفيا وقلت له :

– لدي معلومات هامة لإبلاغكم إياها حول انقلاب عسكري يدبر في العراق . كونوا حذرين يقظين .

وسألني :

– وبماذا تنصحونني ؟

وقلت له :

– أرسل لي أحدا يكون شخصية هامة ، ولسوف أعطيه سائر التفصيلات . ولكن افعلوا هذا بسرعة .

شكرني الملك فيصل وبعث إليّ بالفريق رفيق عارف القائد العام لقوات الاتحاد العربي الذي وصل بالطائرة .

ولم يكن ثمة وقت يمكن إضاعته إذا ما أريد اكتشاف المتآمرين في الوقت المناسب .

أدخل عليَّ الفريق عارف فور وصوله إلى عمان .

وإنني مازلت أذكر المشهد : كان معي رئيس الديوان ورئيس الوزراء والفريق عارف ، والقائد العام للقوات الأردنية . وقدم ضابط من المخابرات لعارف بتأن ودقة التفاصيل والإثباتات التي تمكنا من جمعها .

كنت من وقت إلى آخر ألقي على الفريق عارف نظرات خفية . كان يبدو عليه السأم والملل . وفي ختام الحديث ، تمطى وضحك هذا الضحك الفكه المرح المعهود عند كل العرب وقال :

- يا صاحب الجلالة . إننا جد ممتنون لجلالتكم . وإنني أقدر جهودكم . ولكنني أؤكد لكم بأن الجيش العراقي مؤسس على تقاليد متينة ، وهو على كل حال يعتبر أفضل جيش في الشرق الأوسط ، فهو لم يعرف المشاكل ولا التغيرات التي طرأت حديثا على الشرق الأوسط .

وتوقف لحظة ليلتقط أنفاسه ثم قال :

- لدي انطباع بأن الأحرى بنا أن نقلق على مصير الأردن ، فهذا الانقلاب يهدد بلادكم فعلا وليس بلادنا . فأرجوكم أن تراعوا جانب الحذر والحيطة .

وصحت به :

- ولكن لابد لك من تفهم خطورة الموقف والتهديد الذي يلقي بثقله على العراق أيضا .

وأجابني :

- أؤكد لكم بأنني قد فهمت . ولكنني أشك في ذلك .

ورجوته قائلا :

- عدني على الأقل بأنك سوف تطلع الملك فيصل والسلطات على كل الوثائق التي أبلغناك إياها .

- أعدكم يا صاحب الجلالة بأن الملك والحكومة سوف يجري إبلاغهما .

ثم غادرنا الفريق عارف بعد أن فاه بهذه الكلمات . لقد فعلت كل ما كان في وسعي لتحذير ابن عمي وإبلاغه .

عاد الفريق عارف قبل أربعة أيام من يوم الاثنين الفاجع . كنت وحدي مع شكوكي وظنوني أبتهل إلى الله وآمل من كل قلبي أن يكون جزعي وقلقي واضطرابي لا أساس له . وأن يكون الأمر مجرد إنذار كاذب ولقد علمنا فيما بعد أن بغداد قد تلقت تحذيرات أخرى ولاسيما من جانب تركيا .

خلال العطلة الأسبوعية اتصلت بابن عمي هاتفيا من جديد . كان ذلك عشية سفره في زيارة لتركيا . فأعربت له عن تمنياتي له بإقامة طيبة . وكنت سأتولى رئاسة الاتحاد بالنيابة ، خلال غيابه ، ووعدته أن أكرس كل جهودي »[1] .

* * *

---

(1) مهنتي كملك مصدر سابق ص 156 .

كان مقتل الملك فيصل الثاني ملك العراق يوم الاثنين 14 يوليو عام 1958 م ، وكان مقتله وانهيار الأسرة الهاشمية في العراق أعظم نكبة مني بها الملك حسين في الأردن ، فقد شعر أن الأرض تميد به ، وأنه يمكن بيعه لأي فريق يرفع بعض الشعارات البراقة ، ولو من باب التغيير المطلوب أحيانا للبلاد القلقة المضطربة ، وكانت بلاده من هذا النوع . والحلف بينه وبين الإنجليز واليهود ليس مقدسا إلا بالقدر الذي يحقق الفائدة . وهذه الفائدة تعتمد على حجم المعلومات المتاحة ووجهة نظر رجال المخابرات الذين يشرفون على تلك البلاد .

وقد انهار الاتحاد العربي الهاشمي في المرة التي هم فيها الملك حسين لرئاسته حتى يعود فيصل الثاني من رحلته إلى تركيا ، ويبدو أن الملك نذير شؤم لكل ما يتعرض له .

كانت الساعة تقارب السابعة صباحا عندما أبلغ الملك حسين بأن شيئا ما قد حدث في العراق . شيء ما لم يتبين كنهه بعد . وكانت الأنباء والأخبار المتضاربة تأتي إلى الملك مضطربة متناقضة لاتبين شيئا حقيقيا يمكن الاطمئنان إليه .

لم يكن يعرف ما إذا كان الملك حيا وأنه في طريقه إلى تركيا أم ماذا حدث له .

ولم يكن من السهل الاتصال ببغداد لا عن طريق التليفون أو الراديو .

كان العراق قد قطع عن العالم في ذلك النهار .

ولم يعرف الملك حسين ماذا حدث من كارثة أودت بالهاشميين إلا مع نهاية النهار وقدوم الليل .

وقد قتل الملك فيصل الثاني بطريقة وحشية مخزية ومثلوا بجثته في شوارع

بغداد وكذلك فعلوا بعبد الإله ونوري السعيد ، وكل من كانت له صلة بالأسرة الهاشمية في العراق . جميعا قتلوا وبادوا وجروا جثثهم في الشوارع فيما يسمى عند العراقيين « بالسحل » . ومنهم من « سحل » حيا ومنهم من « سحل » ميتا .

والسحل عند العراقيين وهم أول من ابتدعوه فيما أعلم أن يربط الضحية في عربة بسلسلة متينة ، وتجري به السيارة في شوارع بغداد ، وتجري الدهماء خلفه يضربونه ويبصقون عليه ، ورأسه تجرجر على الأرض حتى يموت . أو يفعلون ذلك معه بعد قتله .

الملك حسين يطلب القوات الأجنبية لحماية العرش :

زلزلت الأرض حول الأردن وأصيب الملك بالذعر الشديد بعد الانقلاب العسكري الذي وقع في بغداد وأودى بحياة الهاشميين ، وكان صيف عام 1958 من أسوأ ما مرّ به في حياته ، ولم يشعر بخوف مثل ما شعر به في تلك الأيام .

وجاء الملك حسين بالوقود والتموين من لبنان عبر الأجواء الإسرائيلية بعدما طلب منهم ذلك ، فقد كانت صلته بهم دائمة لم تنقطع ، وبهذا اعترف في مذكراته . وتشجع الناس في الشوارع والمنتديات ، وصاروا يجهرون بمثالب الملك حسين ويتذكرون الخيانات الهاشمية الشهيرة . وبدأ الناس يفكرون في الثورة من جديد ، وشرعوا ينظمون صفوفهم ، ويتصل الساسة والمفكرون بالجيش وبكبار الضباط يؤلبونهم على تخليص البلاد من هؤلاء الخونة .

وبدأ الأحرار والوطنيون يجرون اتصالات بكل من يمكنه أن يخلصهم من ذلك الكابوس ، فاتصلوا بمصر ، وبالعراق الجديد ، وبغير ذلك من بعض الدول .

كان الإعياء قد أصاب الملك حسين الذي لم يكن يعرف النوم ، وهو يرى عرشه يتهاوى وهو ينظر ، ودعا الملك إلى اجتماع فوق العادة يعقد في القصر . وأعلن للمجتمعين قراره وهو دعوة الولايات المتحدة وبريطانيا أن ترسل قواتهما لحماية العرش الأردني الذي يوشك على السقوط .

ووجم الحاضرون عندما سمعوا من الملك هذا القرار ، ولكنهم أذعنوا في النهاية ووافقوا . وكان قد خطب فيهم خطبة عصماء بين فيها أن بلادهم في خطر وأنه لا وسيلة لإنقاذها بغير استدعاء القوات الأجنبية ، وطلب من كل واحد أن يعلن عن رأيه في صراحة وحرية ، وكانت القاعة تحيط بها قوات البادية تلك الشديدة الولاء للذهب الذي يتقاضونه من الملك . وكان رجال المخابرات قد اندسوا بين الصفوف ، ويراهم الوزراء والنواب والأعيان ، ويعرفونهم كما يعرفون أبناءهم . ولم يكن هناك مجال للمعارضة ، وإلا فالقتل مصير من يعترض في هذا المعترك الذي يهدد العرش .

ويقول الملك في مذكراته عن دعوته للقوات الأجنبية لحماية عرشه ما يلي[1] :

« ولما كان سفيرا الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى غائبين عن الأردن ، فقد استدعيت القائمين بالأعمال ، السيدين ميسون ورايت . شرحت لهما بأننا لا نطلب مساعدتهم لمواجهة وضعنا الداخلي ، ولكن لأننا مقتنعون فقط بأن شعبا صغيرا حرا لا يستطيع أن يقف وحده لكي يواجه بمفرده الاضطرابات التي تهدده .

وأضفت :

---

(1) مهنتي كملك .

إنه لا يهمنا من تكون البلاد التي ستبعث إلينا ببعض قواتها . ولن نحتاج لهذه القوات للمرابطة فترة طويلة في الأردن . إن العون الذي أطلبه باسم شعب الأردن يرمز إلى التضامن الوثيق لبلدان العالم الحر » .

ويمضي الملك حسين في حديثه عن طلب القوات الأجنبية لحماية عرشه فيقول : « تركت للبريطانيين والأمريكان مهمة أن يقرروا بأنفسهم من من البلدين سيمنحنا مساعدته .

ووردنا الجواب بسرعة : سيأتي المظليون البريطانيون من قاعدتهم في قبرص » .

والملك حسين يعمل مسرعا على اعتقال جميع الوطنيين فهو في سباق مع الزمن .

وكل الأحرار الذين يكرهونه ويكرهون الهاشميين هم في نظره متآمرون ينبغي القبض عليهم وإيداعهم في السجون . والمظليون لم يأتوا بعد ، ولكن بريطانيا قد وعدته بإرسالهم على وجه السرعة .

ويقول الملك في نفس الموضوع :

« اعتقلنا في ليلة الأربعاء 16 تموز « يوليو » آخر المتآمرين الذين كانوا يعدون للانقلاب ، وبذلك أفلتنا من هذا الانقلاب قبل وقوعه بقليل .

كنا نراقب مراقبة شديدة أبسط حركات وسكنات المتآمرين منذ أن برزت الدلائل الأولى ، وأمسكنا بالرسائل التي حددت اليوم التالي 17 تموز « يوليو » بداية للتمرد . وبذلك نجا الأردن في آخر لحظة .

كان الانقلاب في الأصل قد تحدد له يوم الرابع عشر من تموز « يوليو » ولكن التدابير الأمنية التي اتخذناها أرغمت المتآمرين على تأجيل موعد مؤامرتهم .

الفرحة العارمة مع وصول البريطانيين :

كان الملك قد تناوبته الأوهام والأشباح ، وظن أن كل من حوله يتآمر عليه وانخلع قلبه من الرعب لاحتمال عزله عن العرش وقتله وإلقاء جثته للكلاب كما فعلوا مع ابن عمه المسكين الملك فيصل الثاني الذي لم يكن له في العير ولا في النفير ولكنه كان سليل الخيانة العربية الكبرى ، وكان هذا سببا كافيا لقتله بتلك الطريقة البشعة التي حدثت .

لم يطمئن الملك حسين إلى شعبه أو جيشه ، ولم يكن هناك ما يهدده بالفعل ، غير الأوهام التي تحكمت في دماغه ، والأحلام المزعجة التي كانت تراوده وهو يقظان لم يعرف طعم النوم لأربعة أيام بعد التنكيل بالهاشميين في بغداد واستئصال شأفتهم ، وكأنه جزء من الانتقام الإلهي من هذه الأسرة التي أساءت إلى العرب والمسلمين ، وكانوا سببا على الأقل في قتل من قتل في فلسطين ، والفيالق التركية التي كانت تحارب الإنجليز في الشام وعلى ضفاف القناة أيام الحرب العالمية الأولى .

ويقول الملك يعبر عن فرحته بوصول الطائرات البريطانية تحمل المظليين لحمايته :

« عندما ألقي المتآمرون في السجن ، تمكنت أخيرا من أخذ قسط من الراحة ، لأنني منذ مذبحة بغداد ، لم أنم سوى أقل من ساعتين . استيقظت باكرا في اليوم التالي . ومنذ الساعة التاسعة والنصف ، كان الهدير يبشر بقدوم الطائرات الضخمة ، ووصول المظليين البريطانيين »[1] .

وقد تداول الأمريكان والبريطانيون مسألة نجدة الملك بسرعة . ووجدوا

---

(1) المصدر السابق ص 163 .

أن من الأفضل إرسال قوات بريطانية بدلا من القوات الأمريكية ، فقد كان لدى البريطانيين قوات على أهبة الاستعداد تقبع في قبرص ، وكانت مهمتها أن تهبط في الأردن إذا تطلب الأمر ذلك ، وتستطيع أن تصل إلى الأردن مع الصباح ، على عكس القوات الأمريكية التي ربما تأخذ وقتا أطول من ذلك .

وكان رجال البحرية الأمريكية منشغلين أيضا بالنزول في لبنان لأسباب مشابهة .

وقد دعا المستر ماكميلان أعضاء حكومته للاجتماع على الفور ونوقش الأمر من كافة جوانبه .

وانتهى اجتماع الحكومة البريطانية في الساعة الثانية صباحا ، وأرسلت رسالة بالشفرة إلى قبرص ، حيث صدرت الأوامر إلى المظليين بالتوجه إلى الأردن .

وقد تساءل أحد النواب البريطانيين عن سر كل ذلك الاهتمام ، وكان يكفي أن يصحب الملك وعائلته شرطيان ويرحلان به بسلام إلى لندن بدلا من كل هذه الضجة التي ليس هناك ما يبررها .

وقد علم الملك حسين بهذه القصة بعد مضي سنة من حدوثها ، فانتهز فرصة عشاء أقيم لتكريمه ، وكان يحضره رئيس الوزراء البريطاني فقال :

« إن عضوا محترما في برلمانكم قد توهم أن اثنين من رجال الشرطة كانا كافيين لتأمين حمايتي ، وأنه لا تستدعى الضرورة إرسال قوات إلى الأردن لكي تحميني .

إنني لم أكن شخصيا في يوم من الأيام في حاجة إلى الحماية . إن قواتكم

لم تحم الأردن ولم تحمني أنا شخصيا ، ولكنها حمت قضية الحرية »[1] .

وما كان أجدر بالملك حسين أن يتذكر هذا الموقف عندما غزت قوات صدام حسين دولة الكويت وهددت السعودية ودول الخليج ، فهو قد توهم أن هناك خطرا على عرشه فاستدعى الإنجليز والأمريكان لحمايته ، لمجرد وهم ليس له ما يسنده من واقع الحوادث والملابسات ، أما الكويت التي غزيت وسرقت ونهبت ، واغتصبت نساؤها ، والسعودية التي أحاطت بها الجيوش ، ومعها الأسلحة الكيماوية والغازات السامة ، ويتقدم إليها عسكر لا يؤمنون فهو يستكثر عليهم أن يهيبوا بالمجتمع الدولي لوقف ذلك الخراب . وهو لمجرد وهم استعان بمن استطاع أن يستعين به . وهذا يبين مدى الانتهازية التي يتخصص بها الملك حسين . وهو لا يخجل من أن يعبر عن سعادته وسروره وشعوره بالأمن وهو يرى الجنود ذوي القبعات الحمراء من المظليين البريطانيين وهم يجوبون شوارع عمان ، وهو يخرج بسيارته ليستمتع بمرآهم وهم يحمون عرشه . وهو يعبر عن شعوره أيامها أنه لم يكن واقفا وحده عندما كان يراهم وفي أيديهم الرشاشات .

ولا يملك الإنسان إلا الشعور بالعجب ! ماذا كان يمكن لدولة قد اجتيحت ؟ ألا تطلب المساندة من المنظمة التي هي عضو فيها ؟ وهل ينبغي على مثل الملك حسين الذي مرَّ بتجربة نفسية فقط من هذا النوع أن يعترض ويشجب القتيل ويندد به عندما يحاول الاستغاثة بالمارة ليمسكوا القاتل أو يمنعوه ؟

---

(1) المصدر السابق ص 164 .

وتأتي الآية الكريمة : ﴿ **ويل للمطففين ◦ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ◦ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ◦ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ◦ ليوم عظيم** ﴾ .

عشرات المحاولات لاغتيال الحسين :

لعل الملك حسين قد ضرب الرقم القياسي في المحاولات التي تمت بغرض اغتياله ، ولا نعرف في كتاب التاريخ ملكا أو رئيسا أو زعيما تعرض لهذا الكم الكبير من محاولات الاغتيال والقتل . وهذه المحاولات لا تشير إلا إلى معنى واحد ليس هناك غيره ، وهو أن الملك حسين شخصية مكروهة من شعبه ، وإن قال هو بغير هذا ، فهو يظن أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ شعبه من الموت والدمار . وهو يقول دائما في خطبه وتصريحاته إن حياته ملك لشعبه ، ونحن لا نفهم معنى هذه العبارة ، وكل ما نلاحظه إن كانت مقولة الملك صحيحة ، فإن الشعب يريد استرداد ما يملك منه ، وهو يحاول هذا دون كلل مرات ومرات . ولكن لكل أجل كتاب .

والمثير للدهشة أن الملك حسين هو الذي يحكي في افتخار عن هذه المحاولات العديدة التي استهدفت حياته ، ثم فشلت ولم تنجح ، ويظن أن ذلك دليل لصلاحه وتقواه ، وضرورته للأردن ، وأن الله سبحانه وتعالى يعصمه من الناس فلا يناله أذاهم .

وهو يحكي أنه كان يشكو من الجيوب الأنفية ، وكيف وضعوا له حامضا قويا بدلا من النقط التي يستخدمها لعلاج هذه الجيوب ، وأنه اكتشف ذلك صدفة .

وهو يحكي أنه كان المقصود بالقنبلة التي قتلت رئيس وزرائه هزاع المجالي .

وهو يحكي كيف أطلقوا النار على الشريف ناصر خاله الذي كان يستقل سيارة « بويك » تشبه سيارة الملك ، وأنه أحس بحاسته السادسة أن الشريف ناصر قد أصيب ، وقاد سيارته في ظلام الليل حيث وجد سيارة خاله وقد مزقها الرصاص ، وخاله يختفي في الأحراش القريبة .

وهو يحكي كيف حاولوا وضع السم له في الطعام عدة مرات ولكن ذكاءه وفطنته وحسه الدقيق هو الذي جعله يكتشف هذه المؤامرات .

وحكى حكايات كثيرة عن محاولات اغتياله ، وكلها تشير إلى أنه شخصية مكروهة ممقوتة من بلاده وشعبه ، ولا يوجد تفسير آخر لها .

وهو يستبدل جميع خدمه كل فترة قصيرة ، لأن واحدا منهم قد يُتفق معه على قتله بطريقة أو بأخرى .

والملك في مذكراته فخور بتلك المحاولات التي جرت لقتله ، وهي كما قلت كثيرة متعددة ، وكلها تقوم بها عناصر أجنبية على حد تعبيره ، وهو لم يشر إلى هذه العناصر الأجنبية التي تحاول اغتياله والتخلص منه . وهو بطبيعة الحال لا يقصد الأمريكان أو الإنجليز أو الفرنسيين ، وإن كان ولابد من التفكير في اتهام جهة أجنبية فلا بد أنها دول أمريكا الوسطى ، ولكن المرء يستبعد اتهام مثل هذه الدول بمحاولة اغتيال الملك حسين فلعلهم لا يعلمون عنه شيئا ، ولعلهم لم يسمعوا بدولة اسمها الأردن على الإطلاق .

والدول الأجنبية المرشحة لاغتياله هي الاتحاد السوفيتي القديم ودول أوروبا الشرقية فالملك حسين كما روى في مذكراته يقول إنه الذي منع الشيوعية من دخول منطقة الشرق الأوسط ، وفي هذه الحالة يمكن أن نتصور أن هذه الدول الشيوعية قد فكرت في الاعتداء على حياته ، ثم نستبعد هذا الفرض لأن مثل هؤلاء قادرون ، ولو حاولوا قتله لنجحوا في ذلك .

وكان أجدر بالملك أن يتهم بعض الدول العربية بذلك فهو أقرب إلى المنطق والعقل . ولكن المرء يفكر ويستعرض أمامه الدول العربية التي قد يكون من مصلحتها قتله والتخلص منه فلا أجد دولة واحدة يمكن أن يكون لديها مثل هذه الدوافع الجدية للتخلص منه ، فوجوده بالنسبة لجميع العرب مثل عدمه وإن ازدرته دولة فليس إلى الحد الذي تفكر فيه بالتخلص منه عن طريق القتل .

والرجل من خلال أحلام العظمة التي تراوده ولا تتركه يرى نفسه هدفا دائما .

الحسين وإسرائيل :

ارتكب الملك حسين جرائم كثيرة في سبيل تثبيت عرشه ونهج على ديدن آبائه وطريقتهم في عدم الالتزام بالعهود والمواثيق ، وتتجلى في شخصيته التركيبية الميكيافيلية المثالية إن كان هذا التعبير جائزا ، وهو كعادة غيره عن الطغاة يرى أن له قبولا بين مواطنيه وأنهم يفدونه بأرواحهم ، ويحبونه ويؤمنون به . وكل من يمدحه من طبقة الخدم والمصفقين ، ولا ينبغي الحكم على سيد من مديح خدمه له . بل ينبغي النظر إلى أعماله بنظرة فاحصة مدققة . ولو فعلنا هذا معه وطبقنا هذه القاعدة على شخصه لما تبقى منه شيء يستحق الاعتبار والالتفات .

وهو الملك الذي يكرهه العرب ويعرفون غدره ولا يطمئنون إليه ، ويعرفون طبيعة الأفعى فيه ، حيث يلدغ عندما يشعر بالدفء . وقد أباح لنفسه ما حرمه على غيره . وقد تطورت أحلامه وتصاعدت مع اختلاف الأيام وتعاقبها . فبعد أن كانت غاية أحلامه الاحتفاظ بعرشه الصغير في الأردن إذا به يتطلع إلى دور عربي يكون فيه الحكيم الذي ينزل على رأيه

ويستشار في كل صغيرة وكبيرة من شئون العرب . ولاشك أنه قد ورث عن جده عبد الله الكثير من المكر والدهاء والمداهنة ، ومعرفة سبل الكسب في عالم السياسة . وهو قد أمن جانب إسرائيل فاتصاله بهم لم ينقطع أبدا . وكيف ينقطع وهو يمثل تراث جده . فحكام الأردن يظنون أن ضمان بقائهم في رضا اليهود عنهم ، وأن تأمين حدودهم مع إسرائيل في دوام اتصالهم بهم . والعرب يعرفون ذلك ويغضون الطرف عنه ، فهم لا يريدون فرقة وانقساما أكثر مما هو حادث بالفعل . واتصاله بهم يحرص على أن يكون سرا لا يطلع عليه مخلوق . وإن اطلع عليه مخلوق فلا ينبغي أن ينشر في وسائل الإعلام المختلفة ، وإن ظهر في وسائل الإعلام ، فليكن الغربي منها فهذه لا سلطان لأحد من أهل الشرق عليها ، ولكن ينبغي ألا يظهر شيء من هذا في صحف العرب وإذاعاتهم حرصا على مهابة الأسرة ومكانتها بين جمهور العرب .

وصلة الملك بإسرائيل بدأت وهو غلام صغير ثم توطدت بعد دخول أمريكا في دائرة السياسة بمنطقة الشرق الأوسط ، وبعد أن ملأت الفراغ الذي تركته السياسة البريطانية بعد تضعضعها في العهد الذي تلا الحرب العالمية الثانية .

وظهرت أمريكا كدولة فتية قد أخذت ميراث الإنجليز والفرنسيين في معظم المستعمرات التي كانت لهم في العالم . وعرف الملك اتجاه الريح . وقد جاءه الخبراء والسفراء فرأوا تقلب وجهه في السماء فأشاروا عليه بقبلة يرضاها ، هي البيت الأبيض الأمريكي ، فهوالملجأ والملاذ بشرط أن يقوم على تنفيذ ما يريدون .

والرجل لا يتأخر عن ذلك . وصارت صلته باليهود أعظم وأعمق من

صلة جده بهم ، فقد كان جده بدويا يتصرف بدهاء الثعالب وعفوية رجل البادية ، وهو يعرف ما يفعل وجاء الحسين وصقل هذه السليقة علما وثقافة وإتقانا للغة الإنجليزية ، وقدرة على الحديث والمناورة ، ثم التسليم في النهاية بما يريدون ويطلبون .

وهذا الباب يستحق أن يفرد له كتاب ، فقد كتبت مذكرات قادة اليهود من الحرس القديم الذين أقاموا إسرائيل ، وكلهم تكلموا عن صلاتهم بالملك الصغير ؛ فقد كتب موشى دايان في مذكراته ، وكتبت جولد مائير ، وكتب أبا إيبان ، ولم يخرج كتاب مذكرات من قادة اليهود الذين ماتوا وبعض من بقي منهم على قيد الحياة إلّا وتحدث عن طبيعة العلاقات الإسرائيلية الأردنية التي لم تنقطع يوما منذ أن أنشئت الأردن وقبل أن توجد إسرائيل .

وهذه الصلة قوامها التعاون على الاحتفاظ بالحدود كما هي إلا إذا اقتضت الضرورة وتم تسليم الضفة الغربية في اتفاق أرغم الملك عليه ليضمن البقاء ، وهناك من قال إن الملك حسين قد دخل حرب 1967 وهو على علم بنتيجة هذه الحرب ، وعلى علم بأنه يترك لليهود الضفة الغربية والقدس العربية ، وهو إن يفعل فقد فعل جد له من قبل ، عندما سلم الملك عبد الله اللد والرملة ، وسكت عن استيلاء اليهود على أم الرشراش لإقامة ميناء يهودي هو إيلات .

والكلام في هذا الباب كثير وهو يستحق أن يفرد له كتاب لطرافته ومرارته .

وقد جمع بين الملك حسين واليهود أشياء كثيرة أهمها كراهيتهم المشتركة لفلسطين والفلسطينيين ، ولكل وجهة نظره الوجيهة التي تتماشى مع ما يعتقد أنه في مصلحته الشخصية ، وكما رأينا فإن مصالح الأمة وأمانيها ضرب من

الأوهام والخرافات والحرث في الماء ، والملك خير من يفهم ذلك .

وكان الملك على اتصال ساخن مع اليهود إبان أزمته القاتلة في عام 1958 وهم كانوا يحمون حدوده من أن تجتاز بمعرفة السوريين أو العراقيين بعد الانقلاب الذي قضى على ملك الهاشميين في بغداد .

والمشتهر إن صلة الملك حسين بالإسرائيليين ، والتي أمكن رصدها منذ عام 1960 قد قاربت أكثر من خمسمائة ساعة[1] من المباحثات السرية معهم . واجتمع الملك مع قيادات حزب العمل الإسرائيلي في الفترة مابين 1963 حتى سنة 1985 أكثر من خمسين اجتماعا ، في أماكن متفرقة من العالم . والتقى بإيجال ألون 14 مرة ، وأبا إيبان 12 مرة ، وإسحاق رابين 8 مرات وجولدا مائير 4 مرات ، وموشى دايان 3 مرات ، ودافيد إليعازر مرة واحدة والتقى بشيمون بيريز 9 مرات .

واجتماعات الملك حسين بلندن مع إيجال ألون وأبا إيبان في عيادة طبيب الأسنان في لندن معروفة ، وأخبارها مشتهرة وتناولتها الصحف الإنجليزية ، وكانت بعد حرب 1967 لوضع عدة اتفاقات عما ستكون عليه السياسة والتعامل بعد الهزيمة العربية الساحقة . وقيل إن اجتماعات الملك حسين بجولدا مائير قد تمت مرة على ظهر طوربيد في ميناء إيلات الإسرائيلي ، ومرة أخرى في خيمة بالصحراء أثناء رحلة صيد ، ومرة في حافلة مكيفة في وادي عربة .

وهناك بعض السياسيين الأردنيين ، وقد سمعت بنفسي من بعضهم رحمهم الله ، أن بعض هذه اللقاءات قد تمت في الأردن حيث زار عدد من الساسة

---

(1) العرش الأردني بين الخيانة والتآمر ، محمد العباسي ، الزهراء للإعلام العربي ص 180 .

الإسرائيليين الملك في بلاده ، والمشتهر منهم أو الذي ذكر لي اسمه هو موشى دايان .

وقد قام الملك حسين بزيارة تل أبيب وتجول فيها بالليل تحت حراسة مشددة ، ومرّ موكبه في شارع « ديزنكوف » الشهير . وكان الملك يريد أن يلقي نظرة على المدينة وكيف صارت بعد أن امتدت لها اليد الإسرائيلية بالعمران والتخطيط .

* * *

وقد تم ترتيب هذه الاجتماعات بين الملك حسين وبين الإسرائيليين باتصال مباشر ، وبترتيب لم يتدخل فيه وسيط من أية دولة ، وقد تركزت معظمها أيام ليفي أشكول وبعد حرب يونيو 1967 ، وكان موسى دايان قد مل لعبة الاجتماعات مع الملك معلنا أن على الملك حسين أن يقدم بشجاعة على إجراء صلح منفرد مع اليهود ، وأنهم - اليهود - لديهم ما يقترحونه عليه ، وتنبأ أن اقتراحاته سوف تنال إعجاب الملك وتحقق مصلحته لو أقدم على إجراء مباحثات علنية تستهدف الصلح ، وأن يطرد الأوهام العربية من رأسه .

وقد تناولت مجلة « التايم » الأمريكية في أعداد متفرقة لها الكثير من هذه اللقاءات بشرح بعض ما وصل إلى علمها عنها وعن القضايا التي أثيرت في مثل هذه المباحثات . وعن طلبات الملك حسين ، ورفض اليهود لها أو موافقتهم على بعضها في تفاصيل طويلة ، وكلها تدور أيضا حول التمهيد لإنهاء حالة الحرب بين الأردن وبين إسرائيل .

ومن بين هذه الاجتماعات ما اتفق عليه من إقامة حزام آمن على طول

الضفة الغربية ، وطلب الملك حسين استبداله بمستوطنات دفاعية تطل عليها ، وفي نظير ذلك يوافق الإسرائيليون على عودة النازحين بعد حرب 1967 ، واختلفوا حول مسألة القدس ، وعرض الملك أن يعطيهم طريقا إلى حائط المبكى في حالة استعادتها ، ثم طرح عليهم فكرة التدويل للمدينة ، ولكن اليهود رفضوا مناقشة موضوع القدس جملة وتفصيلا ، وأنه قد تم ضمها لإسرائيل ، وهي العاصمة ، ولا معنى من الكلام حولها .

وقد شهد يوسف خميس وهو عربي وعضو في الكنيست الإسرائيلي ، وكان قد حضر بعضا من هذه الاجتماعات ، وكان حديثه مع مندوب النيويورك تايمز ، أنه قد حضر اجتماعا بين الملك وبين أبا إيبان ، وطلب الملك حسين في هذا الاجتماع أن يؤمن طريق إلى البحر المتوسط تستخدمه الأردن لأي ميناء إسرائيلي ، ووافق أن تكون السيطرة الإسرائيلية كاملة على القدس ، وطلب مجرد السماح لوزارة الأوقاف الأردنية أن تشرف على الأماكن الإسلامية .

وقد قال يومها أبا إيبان للملك حسين مبتسما :

- ليس هناك جديد يمكن أن تقدمه يا صاحب الجلالة في هذا الاقتراح ، والأفضل أن نفكر سويا في شيء آخر .

وفي إحدى الاجتماعات بين ألون وبين حسين والذي تعرضت له مجلة التايم الأمريكية بالشرح والتحليل ، وقد تم هذا الاجتماع على مقربة من ميناء إيلات الإسرائيلي ، تم الاتفاق على ضرورة تصفية العمل الفدائي في الأردن ، وهذا يأتي كخطوة طيبة تبين النوايا الحسنة للمضي قدما في إنهاء حالة الحرب بين البلدين ، وكان ذلك قبل مذابح أيلول عام 1970 ، وبعدها يتم إجراء مفاوضات سرية بهدف الوصول إلى اتفاق صلح نهائي يبقى سرا حتى

يتيسر إعلانه بإشراك بعض الدول العربية المستعدة لهذا . وقد أضافت هذه الإضافة مجلة « لونوفيل أبزرفاتور » .

وقد باركت الإدارة الأمريكية آنذاك مسألة تصفية العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن وقد تمت هذه التصفية كما يعلم الجميع بالتجاوزات التي دفعت إليها العناصر الفلسطينية ومد الحبل لهم على غاربه حتى يقعوا في الخطأ ، وقد وقعوا فيه ، ومن ثم فقد أباد الجيش الأردني خضراءهم ، وحصدهم حصدا ، وقتل من الفلسطينيين أعدادا يصعب حصرها وتقديرها . فهي تصل في أقل معدلاتها إلى ثلاثة آلاف ، ويؤكد بعض المطلعين أن الرقم قد وصل إلى خمسة عشر ألف قتيل فلسطيني في أحداث أيلول عام 1970 .

وفي تقديري أنه صراع بين المجرمين ، ولا يمثل أي فريق منهم أية نوايا وطنية أو قومية .

وهو نزاع حول سلطة على أرض لا يملكها أي من الفريقين . أما الصراع مع الإسرائيليين فتعرفة قيادة الفدائيين ومنظمة التحرير ، وله سمت آخر وشكل مختلف ، وليس منه خطف الطائرات وتفجيرها بالآمنين الأبرياء من الناس .

يعرف المفكرون كيف لعب الملك حسين دورا سلبيا في قضايا العرب وأمانيهم القومية ، وهو من الأمور المشتهرة المتواترة التي صارت من المسلمات ، فهي ترد إلى الأذهان ثم يتلوها عشرات الأدلة والبراهين ، من تصرفات ولقاءات واتفاقات . ويغطي هذا كله كلام عظيم فخيم ، من باب الدجل والخداع والاستهلاك المحلي كما كان يفعل جده عبد الله ، وجده الأكبر الشريف حسين ، أو ملك عموم العرب كما كان يحلو له أن يسمي نفسه .

والمضي قدما في شرح تفاصيل لقاءاته مع اليهود واتفاقاته السرية معهم ، ثم الكلام الأجوف المليء بالوطنية والعنتريات ، وهو من الأمور التي صارت مفهومة ومعروفة ، ولا يخطئها أحد . والملك حسين صار ممن لهم خبرة بالنفسية العربية التي يعجبها الكلام المليء بالحماس . وهو لا يهتم بما هو دون ذلك من اتفاقات سرية تتلوها إجراءات تضر ضررا بليغا بمصالح العرب . المهم دائما هو الكلام المعلن . والملك حسين هو ممن يجيدون هذا الضرب من الكلام الذي يعممه على الناس من خلال الصحافة وأجهزة الإذاعة والتليفزيون . وتسمعه فتكاد أن تصدقه ، ثم تتطلع على الملفات وعلى التقارير وعلى الأسرار فتعجب وتضرب كفا بكف . فالذي يؤتى من الأعمال في السر يختلف كثيرا ويتناقض مع كلام الملك المعلن ، وعندما تمعن في الاطلاع على ما يدور تصل إلى نقطة تكاد تلعن فيها تلك المقولات النبيلة التي تمثل أماني العرب لذلك الحد الذي ابتذلوها حتى صارت تعني عكس مدلولها عندما ينطق بها شخص مثل الملك حسين . فالعروبة والتضامن العربي والوحدة العربية ، وحقوق الشعب الفلسطيني والخيار الديموقراطي ، كلها عبارات يختلف مدلولها الذي تعرفه عندما تستمع إليها من ثنايا خطاب أو تصريح ينطق به الملك .

وهو سلوك من الملك حسين يمثل تراثا كبيرا استمر أكثر من نصف قرن عندما ابتذلت أسرته هذه الكلمات من أيام السير هنري مكماهون حتى السير هربرت صموئيل .

الملك حسين وكارثة الخليج :

عندما يكتب تاريخ معاصر فتختلط الوثائق بالأحاديث ، وما ينقل مما لم يتح له فرصة نشر من خلال كتب أو مذكرات .

وقصة غزو العراق للكويت في 2 أغسطس 1990 والجرائم التي ارتكبت في حق الشعب الكويتي مشهورة وتناولتها الكتب والأحاديث المختلفة ، ورغم هذا فسوف يظل فيها الجديد دائما ، فهناك من الأسرار الكثير الذي لم ينشر بعد حول هذه الجريمة البشعة التي لم يتفق مثلها في تاريخ العرب الحديث .

ويختلف المحللون والمراقبون حول دور الملك حسين في هذه الجريمة النكراء .

فهناك من يقول إنه المجرم رقم اثنين فهو الذي ساند صدام حسين وأيده ويسر له الأمر ، وهناك من يقول إنه المجرم الأول ، وهؤلاء يقولون إنه الذي رسم هذه الجريمة وخطط لها وأوحى بها ، وكان هو الإرادة ، ولم يكن صدام حسين غير الأداة .

أما أنا فأرى أن الاثنين قد اشتركا سويا في هذه الجريمة ومركزهما واحد فيها . واتفقا عليها وخططا لها ودرسا جميع الاحتمالات ، وقدم الملك حسين إلى صدام حسين كل التفسيرات اللازمة لما قد يستجد من تداعيات نتيجة الغزو .

ودافع صدام حسين معروف وواضح وهو الاستيلاء على أراض بالقوة والغزو ، والحصول على ثروات هذه البلاد الشديدة الثراء . هذا بالإضافة إلى زعامة العرب ، وأن يكون رئيسهم دون منازع ، وأن يعمم عقيدة البعث في كل بقعة من بلاد العرب .

أما دوافع الملك حسين فهي دوافع نفسانية في المقام الأول ، وأطماع مادية في المقام الثاني . وهما جماع شخصية الملك .

فالملك حسين يكره أغلب البلدان العربية وأنظمتها كراهية شديدة .

فهناك تراث من الكراهية يحمله لمصر من أيام جمال عبد الناصر . وهو لا ينسى ملك آبائه في الحجاز الذي ضاع لتساهلهم في أمور دينهم وموالاتهم للإنجليز ضد المسلمين . ومن ثم فعواطفه ليست طيبة تجاه الدولة السعودية . وهو يكره السوريين لمكانتهم التي تفوق مكانته ، وهو يشعر أنه نبت غير طبيعي ، وأنه على رأس دولة مصطنعة ليس لها تاريخ ، وهي لا تنتمي إلا لعالم الجغرافيا ، وهم يريدون أن يؤصلوا لها فكرا ووجودا من عَدَمٍ لا يعطي شيئا ولا يأتي من خلاله غير الهباء والأوهام .

وهو قد يخطئ فهم ظروف العالم ومتغيراته تحت ضغط أطماعه وأمانيه . وهو صديق الغرب وراعي مصالحهم وعينهم على العرب ، فهو الذي ينقل إليهم ما يمكن أن يدور في الغرف المغلقة ، وفي الأحاديث السرية مع الملوك والرؤساء .

وهو لا يعدو أن يكون مخبرا يحلل الشخصيات التي يلتقي بها وينقل ما يفكرون فيه وما ينوونه . فهو كاتب تقارير ذو مكانة رفيعة ويحمل لقب صاحب الجلالة .

وكل هذا يجعله يظن أن السياسة الدولية تقبل أن تتغير بعض الحدود ، وأن ترسم خرائط جديدة إن كان صاحب الجلالة الهاشمية له دور فيها . وأن العالم لن ينشغل في خلافات صغيرة مادامت مصالحه محفوظة ومصونة .

والملك حسين هو الذي كتب في مذكراته كيف كان جده يسافر إلى معان يتنشق ريح مكة ويبكي الملك القديم ، وهو يدرك في أعماقه أن الله قد حرمهم شرف خدمة الكعبة ، والحرم النبوي الشريف لعيب فيهم لا يستقيم . وهذه الأشواق التي كانت تنتاب جده كل حين من الوقت لا تتركه أبدا فهو يفكر فيها ليل نهار ، وينتهز الفرص أو يتخيل أن الفرصة سانحة - ولو لم تكن كذلك - لاستعادة هذا الملك .

وهو ملك لن يتأتى إلا من خلال مغامرة حمقاء مجنونة مثل التي فعلها صدام حسين ، فهو يوحي إليه بها ، ويستدرجه إليها ، ويزينها له ، ويظن أنه من خلالها يمكنه أن يملك الحجاز ، وأن تكون الأردن مهجرا للفلسطينيين في أرض الشتات ، وهو بهذا يحل مشاكل العالم بهذه الفكرة العبقرية . وسوف يوافقه الغرب عليها ولن يعترض مادامت مصالحه في حفظ وصون .

وهكذا فكر وقدر ، فقتل حيث قدر ، ثم قتل حيث قدر !

وتصوري عن كارثة الخليج أن الملك حسين فاعل أصيل فيها ، فهو يمتلىء حقدا ويريد ملكا ، وليس من طريق غير هذا . وهم في نشاطهم كالمقامرون لن يخسروا شيئا ، وسوف تتولى الشعوب دفع الثمن كاملا ، ثمن غفلتها وتحكم الجبارين فيها !

وهناك أحداث صغيرة لها دلالات كبيرة قد لا يلتفت إليها من يحياها ، ولكنها تلفت انتباه من يفكر ويمعن النظر .

الملك حسين يصدر قرارا بأن يطلق عليه « الشريف حسين » لماذا هذا القرار ؟ ومتى صدر مثل هذا القرار ؟ إنه في التحضير للغزو ، هو التمهيد للملك الجديد .

صدام حسين يأمر بوضع تمثال فيصل الأول على حصانه في ميدان عام ببغداد .

صدام حسين يلتحق بشجرة نسب الرسول ﷺ .

الملك حسين يشير على صدام بعمل ما يسمى بالتكامل الرباعي ، ويضم إلى العراق والأردن اليمن ومصر حتى تحاط الجزيرة العربية بجيوش متحالفة .

المتأمل يراهم يمهدون لعملية كبيرة هم شركاء فيها .

الملك حسين يلتقي بإيجال ألون ويخبره أن أية حروب صغيرة بين العرب لا دخل لها بأمن إسرائيل ، وهي لا تستهدف زعزعة هذا الاستقرار . ثم يأتي من يقول لنا إنهم اجتمعوا للتشاور في هذا التقسيم الجديد للخريطة .

وذكروا أسماء الحسين وصدام حسين ، وعلي عبد الله صالح وياسر عرفات ، ومعهم شامير وبيريز . ونسمع من يقول إن هذا كلام لا يرد عليه . ونقول له لو قرأت الكتب وعرفت تاريخ الاتصالات الهاشمية الإسرائيلية لما تعجبت من شيء كهذا .

* * *

لقد عشنا أزمة الخليج ساعة بساعة ، لم يقص علينا أخبارها أحد ، ولم نقرأها في كتاب بل عشناها بأعصابنا وعواطفنا وتفكيرنا ، وشغلتنا أحداثها ليل نهار . وقد يلتبس أمرها على قادم يأتي من الغيب في عمق المستقبل ، ولكن الحال معنا يختلف . وهناك فرق بين من يقرأ كتابا عن حرب 1967 في عام 1990 وبين من عاش هذه الحرب واطلع على أخبارها .

وكذلك الحال معنا في أزمة الخليج .

كنا نسمع الأخبار ونلتقي ببعض المشتركين في الأزمة ونسمع منهم ونناقشهم . وقد تمايز الناس في هذه الأزمة ؛ فمنهم من وقف في جانب الحق وهو طرد المعتدي ثم عقابه ، ومنهم من وقف في جانب الباطل وهلل وطبل وزمر بانتصار القومية العربية على إسرائيل بسقوط الكويت تحت نير الحكم البعثي ، وهناك طرف ثالث التبس عليه الأمر بين الجريمة وبين التدخل الأجنبي المزعوم الذي قالوا عنه .

وأنا أكتب هذا الكلام وتأتيني الأخبار عن السيد جورج حبش الزعيم الإرهابي الفلسطيني المتخصص في خطف الطائرات وقتل المدنيين ، جاءت الأخبار بنقله إلى فرنسا للعلاج من جلطة في الدماغ حيث حدثت أزمة حكومية في فرنسا من جراء هذا الإذن له بالدخول . وليست الأزمة هي التي تعنيني ، ولكن تصريحات السيد جورج حبش من بغداد أيام الأزمة وبعدها في إيران عن التدخل الأجنبي ، وعن ضرورة محاربة الغرب في كل موقع ... يا سبحان الله ... إن الرجل عندما مرض لم يجدوا له حلا غير « التدخل الأجنبي » وذهب بنفسه إلى بلاد الأجانب ليتم هناك « التدخل الأجنبي » الذي يحاربه . ولا يفهم من هذا أننا نوافق على تدخل الأجانب في شئوننا وبلادنا ، ولكن يجب تسمية الأشياء بمسمياتها وعدم الجري بعيدا وراء الأوهام ورفع الشعارات المهيجة التي تخلو من المضمون الصحيح .

هؤلاء الذين التبس عليهم الأمر وجدوا أنفسهم بعد فترة من اللجاج والمماراة في جانب الباطل ويقفون في صف صدام حسين وهم له منكرون .

وكان الملك حسين في جانب صدام حسين بشكل واضح وعلني ويتولى خدمته ونقل رسائله ويحاول أن يجعل الناس يكفون عنه ، ناهيك عن الخبيء الذي نعرفه من التآمر مع صدام حسين .

وهو يحاول أن يخدع العرب جميعا ويحاول التظاهر بدور الوسيط المحايد الذي يريد الإصلاح وفض الخلاف ، ثم يأتي من الأعمال ما يجعل فض مثل هذا الخلاف من أصعب الأمور .

وكان الملك حسين على علم بالفظائع التي كانت ترتكب في الكويت ، الشعب المسالم الذي طالما وقف مع الملك في محنه المالية المتتابعة والتي لا حدود لها . ولم تكن هذه الفظائع خيالا أو أقاصيص تروى دون تحر ، ولكنها كانت ضمن تقارير لجهات دولية دقيقة التحقيق والفحص .

فيذكر بوب وود ورد في كتابه القادة :

« وفي يوم الأحد 16 ديسمبر 1990 غادر الرئيس بوش منتجع « كامب ديفيد » إلى البيت الأبيض إذ كان على موعد مع المذيع ديفيد فروست لتسجيل حديث التليفزيون الاتحادي ، الذي تقرر إذاعته يوم 2 يناير 1991 م .

جلس الرئيس بوش في طائرة الهليوكوبتر وبيده نسخة من التقرير الجديد الذي أصدرته « منظمة العفو الدولية » عن انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبها العراقيون في الكويت منذ الغزو في أغسطس 1990 .

فتح الرئيس بوش التقرير المؤلف من 79 صفحة وكانت بعض سطوره تقول : « إن التعذيب والقتل كانت أمورا تتسق تماما مع الجرائم التي ما برحت ترتكب في العراق على مدى سنوات عدة » .

وقد راع بوش ما ورد في هذا التقرير ، وقال لديفيد فروست الذي كان قد قابله بعد ساعات قليلة من قراءته وهو يشير إلى التقرير في يده :

- ديفيد ... لقد كان الأمر فظيعا لدرجة لا تكاد توصف .

وأوضح الرئيس بوش كيف أن زوجته قد قرأت صفحتين فقط ثم قالت إنها لا تريد القراءة أكثر من ذلك لأنه شيء فظيع لا يحتمل قراءته أحد .

ومضى الرئيس بوش يقول :

- كان هناك تعذيب طفل معاق ... وإطلاق الرصاص على الشباب على مرأى من آبائهم وأمهاتهم ، واغتصاب النساء بعد اقتيادهن من بيوتهن ثم تكرار الاعتداء عليهن ، ومن ثم إحضارهن إلى المستشفيات في حالة إعياء كامل ... وربط المعتقلين في مراوح في السقف لا تكف عن الدوران ... وقتل ك . كويني ثم تركه معلقا من ونش « كرين » كي يكون عبرة

للآخرين ... وتسديد طلقات كهربائية إلى الأعضاء الحساسة في الجسم على شكل صدمات في الأماكن الحساسة للرجال والنساء . وكسر رأس زجاجة وإجبار الصبية والفتيات على الجلوس فوقها ... إن ما أعنيه ... أن تلك أمور ... بدائية ... أنا ... أنا أخشى أن تهتاج عواطفي إذا ما مضينا في وصف المزيد .

لكن الرئيس بوش مضى ليصف حالة صبي في الخامسة عشرة ضربوه على بطن قدمه ... وكيف كان العراقيون ينزعون أظافر ضحاياهم .

وأوضح الرئيس بوش أن بالإمكان تحقيق المزيد من السلام في العالم إذا تقيدت الولايات المتحدة وقوى التحالف . ثم قال بوش :

- ولن يحدث هذا إذا ما ارتضينا أنصاف الحلول ، فعندما نكون بإزاء حالة واضحة من الخير أمام الشر . ونحن بإزاء حالة أخلاقية من هذا القبيل ... إنها على هذا القدر من الجسامة والأهمية أيضا ... لم يحدث مثل هذا منذ الحرب العالمية الثانية »[1] .

لاشك أن الملك حسين كان يقرأ مثل هذه التقارير ويعرف تفاصيل هذا العذاب جملة وتفصيلا . ولكنه لا يهتم بمثل ذلك فعنده في جهاز المخابرات يتم نفس الشيء وليس هذا ما يزعج الملك حسين .

وصار يداهن ، ويخدع ، ويلتمس الأعذار لصدام حسين حتى يكسب الوقت الذي ظن أنه في صالح الطاغية ، وأن التقادم يلغي الحقوق . ولم يعلن هو وصاحبه أن الوقت في صالح رجال الشرطة الذين يمسكون بالجناة . وقد كان .

---

(1) القادة ، مصدر سابق ص 214 .

لم يكن في تقدير الملك حسين ما حدث من تراجع صدام حسين في غزو السعودية بعد أن أعد تشكيلاته على هيئة الهجوم ، وهي الصور التي عرضت على الملك فهد وعلى ضوئها أخذ قراره بالحرب . ولم يكن في تقدير الملك رد الفعل الشديد الذي واجه به المجتمع الدولي ذلك الاجتياح البشع . كل هذا لم يكن في تقديره .

ومن ثم فقد اضطر الملك للتنازل عن أطماعه العظيمة في أرض الحجاز . ومراقبة الموقف عن كثب مع تقديم الدعم الوافر لصدام حسين ، حيث حشد له شعبه بالكامل ، وكسر عنه الحصار الاقتصادي الذي كان يمكن أن يؤجل الحرب ، وسافر وقابل جميع الرؤساء ومن بيدهم الأمر عساه يخفف الضغط عن صدام حسين .

ولم يكن الملك حسين يصدق أن حربا ستنشب لإخراج صدام حسين من الكويت .

ولما حدثت هذه الحرب وبدأت بالقصف الجوي الذي حرق العراق وأكل أبناءها بين أسفنا وحزننا لأن العراقيين من ضحايا صدام حسين . كان الملك حسين لا يزال سادرا في غيه ، ويظن أنها بعض القنابل كثرت أو قلت ، ولكن لن تستطيع القوات التقدم في البر لإخراج العراق من الكويت .

حتى لو نجحت هذه القوات في إخراجه من الكويت فسوف ينتصر ، تماما مثل ما انتصر جمال عبد الناصر عام 1967 على اليهود في هزيمة يونيو المشهورة وانتهت الحرب ... .

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقيل بعدا للقوم الكافرين .

وعاد جابر الأحمد إلى الكويت ... واستقامت الحياة فيها ، وغادرت القوات المتحالفة أراضي السعودية ، وبدأت الأمور تأخذ شكلها الطبيعي .

وبدأ المجرمون يتمايزون ويظهرون ويشار إليهم بالبنان .

وكان على رأسهم كاهن الخيانة الأكبر ... صاحب الجلالة الهاشمية ... حسين بن طلال حفيد الملك عبد الله الشهير ، والشريف حسين الأكثر شهرة ... وقد عودته التجارب الطويلة أن الكذب هو المنجي من المهلكات . على عكس الحكمة المشهورة التي تقول بغير هذا وتزعم أن الصدق هو المنجي ، ولو اتبع هذه الحكمة لعلقوه في المشنقة منذ سنين . أو لقتلوه ضربا بالأحذية من سوء ما فعل بقومه العرب والمسلمين .

فجميع الجرائم التي ارتكبها الملك حسين قد نجاه الكذب منها وحماه من غضبة الجماهير ، وحكم قومه عليه . أما الآخرة وحسابها فأمر فيه نظر ، والله غفور رحيم حسب ما نصت على ذلك آيات القرآن الكريم .

ونسي أنه سبحانه وتعالى عزيز ذو انتقام ، وسريع الحساب ، وهو يهلك الظالمين .

كتاب أبيض مجلل بالسواد :

كان لابد للملك أن يتحرك تحركا جديدا يعيد مكانته التي ضاعت بين قومه من العرب ، وبين رؤساء الدول ، ولدى الكويت والسعودية اللذين هما بمثابة شريان الحياة له ؛ من المساعدات المالية التي يقدمونها إليه كل عام مرة أو مرتين .

وشعر أن قطار السياسة يوشك أن يفوته ، والعالم يتغير ولابد أن يلحق بهذا القطار ولو في آخر لحظة وآخر عربة . وتذكر ما ينجيه دائما من

المهلكات . ليس لهذه المدلهمة غير الكذب . ولنؤلف في هذا الكذب كتابا عليه شعار الدولة والتاج . وليصدر عن الحكومة التي لم يخلق مثلها في البلاد أولئك الحكماء الذين يداوون أمراض الأمة العربية .

وصدر الكتاب الأبيض عن الملك حسين ينضح زورا وكذبا وتلفيقا . وهو يعرف أن هناك من شهد الوقائع ، وهي تكذبه ، ولكن لا يهم . هذا أسلوب في الدفاع عن النفس إن لم ينطل على البعض ، فسوف ينطلي على البعض الآخر بالتأكيد .

وكان الملك حسين يدعي أنه محايد ، وهو شرط للوسيط ألا ينحاز إلى فئة حتى يكون مقبولا من الطرفين . وهو يكذب فقد سمعت شريطا مسجلا في حيازتي بصوت صدام حسين عندما اجتمع مع قادته في الكويت بعد شهرين من الغزو وكان يجلس في الاجتماع كل كبار رجال الحزب والجيش والدولة ، وقد عرضت لهذا الشريط في مكان آخر ، ولكن الذي به ويؤكد تواطؤ الأردن بملكها ورئيس وزرائها قول صدام حسين للمجتمعين ينقل لهم حوارا دار بين مضر بدران وبين المسئولين الكويتيين ، وقد ذهب للوساطة وليس للتحريض والتشفي .

يقول صدام حسين في الشريط المسجل :

- هل تعرفون ماذا قالوا لرئيس الوزراء الأردني ؟ لقد أخبرني رئيس الوزراء الأردني أنهم قالوا له اجعلهم ينصرفون بحشودهم ، وسوف نفكر بعدها أن نقدم لهم شيئا يأكلونه . نحن نعرف أنهم جاءوا من أجل الطعام ، وسوف نستجيب لهم ، ولكن لينصرفوا لعسكرهم .

ويستمر صدام في حديثه بين غمغمة الاستياء :

- هل رأيتم يا إخوان ؟ ينظرون إلينا على أننا كلاب ضالة تبحث عن الطعام .

هذا ما قالوه لرئيس وزراء الأردن ، وهو أخبرني بهذا وهو لا يكذب ... لا والله لن نخرج من الكويت أبدا .

« انتهى كلام المهيب الركن »

هذا هو رئيس الوزراء الأردني الذي أرسله ملكه الحسين للوساطة ، لم يكن الأمر وساطة إذن ، بل هو كشف لأفكار الكويتيين ثم يزيد النار اشتعالا ويوغر صدر رجل أحمق قد استبد به الجنون وعنده جيش يتكون من مليون مقاتل مسلح كلهم عبيد ويتبعونه فيما يذهب إليه دون مناقشة .

أين وساطة صاحب الجلالة الهاشمية ؟ وهناك أكثر من ألف دليل على أنه محرض ومشارك ، ولكن هذا بصوت صدام حسين ، فهل بعد الحق إلا الضلال ؟ يخادعون الله وهو خادعهم !!

الغرض من تأليف الكتاب الأبيض :

يقول مؤلف الكتاب الأبيض الأردني :

إن الهدف من إصداره هو شرح السياسات التي اتبعتها الحكومة الأردنية خلال مراحل أزمة الخليج . ووضع تسجيل أمين وواقعي للأحداث والقرارات التي صاحبت تلك الأزمة ، لكي يتم التعرف على الأخطاء وسوء التقدير ، وعلى أمل تحاشيها في المستقبل .

برز الثعلب يوما في شعار الواعظينا
ومشى في الأرض يهدي ويسب الماكرينا

هذا هو الملك يريد أن يعطي الخبرة والدرس حتى يتعلم العرب حسن التقدير ، وحتى يتعرفوا على أخطائهم ولا يفعلوها ثانية ، ويكونوا حكماء مثل الملك حسين !

تبرير غزو الكويت ونحن على استعداد للانسحاب !

وتقول مذكرة الحكومة المصرية والتي ترد على النقاط التي كانت طرفا فيها :

بعد صفحات حاول فيها مؤلف « الكتاب الأبيض » تبرير الغزو العراقي للكويت ، ورد بالكتاب المشار إليه أن الرئيس صدام حسين قد أخبر جلالة الملك حسين في محادثة هاتفية بعد ظهر يوم الخميس 2 أغسطس « آب » 1990 « أن الجيش العراقي ـ استجابة لطلب متزن من الدول العربية ، وليس تحت التهديد أو الاستفزاز أو الإدانة ـ سيكون مستعدا للانسحاب من الكويت التي كان قد استكمل احتلالها في ذلك الوقت ، وأن الانسحاب سيبدأ خلال أيام وينتهي خلال أسابيع » .

وتسجل حكومة جمهورية مصر العربية بهذا الخصوص أن من الغريب أن المملكة الأردنية الهاشمية لم تبلغها بحصول جلالة الملك الحسين على هذا الوعد « القاطع » من الحكومة العراقية بالانسحاب من الكويت ، ولم تتلق الحكومة المصرية من حكومة أي قطر عربي شقيق ما يفيد إخطارها بذلك من الحكومة الأردنية . كما أن سجلات الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تفيد بأنها لم تتلق أي إخطار بهذا من الأردن .

رغم أن مجلس الجامعة العربية اجتمع ، وكان السيد سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط العراقي عندئذ لم يشر إلى هذا الموقف من قريب أو بعيد ، بل إنه اتخذ في الجلسات العامة ، وفي اللقاءات الجانبية على السواء موقفا يتناقض تماما مع هذا الطرح ، ويقوم على رفض العراق لأية مساءلة لحقه في القيام بما قام به من إجراءات ضد الكويت .

لو وعد العراق بالانسحاب لتغير الموقف !

والثابت أيضا أن أيا من العراق أو المملكة الأردنية الهاشمية لم يخطر مؤتمر القمة العربي غير العادي الذي عقد في القاهرة في 10 أغسطس « آب » 1990 بهذا الإبلاغ ، رغم أنه من الواضح أنه كان كفيلا بإحداث تغيير جذري في الموقف لو كان قد وصل إلى علم القادة العرب المجتمعين .

وواضح كذلك أن أيا من الحكومتين العراقية أو الأردنية لم يبلغ الأمم المتحدة بهذا الإخطار على خطورته رغم أن مجلس الأمن بدأ يبحث مسألة الغزو العراقي للكويت .

وعلى هذا فصاحب الجلالة المؤلف يكذب فيما يقول !

حقيقة اللقاء بين حسني مبارك وحسين يوم الغزو :

يقول مؤلف الكتاب الأبيض عن هذا اللقاء :

بعد المكالمة الهاتفية « التي تمت بين جلالة الملك الحسين والرئيس العراقي صدام حسين » بوقت قصير ، قام جلالة الملك الحسين بزيارة إلى الإسكندرية للقاء سيادة الرئيس مبارك ، الذي تمنى عليه أن يزور بغداد بأسرع وقت ممكن ، وقد أيد الملك فهد هذا التمني ، وتم الاتفاق بين جلالة الحسين وسيادة الرئيس حسني مبارك على أن تؤجل الجامعة العربية إصدار قرار يتعلق بالغزو إلى ما بعد نجاح أو فشل مهمة جلالة الملك حسين في بغداد ، واتفق جلالة الملك مع سيادة الرئيس مبارك على أن يستوضح جلالته موقف العراق من اقتراحين :

الأول : التزام عراقي بالانسحاب من الكويت بالسرعة الممكنة .

الثاني : موافقة العراق على حضور مؤتمر قمة مصغر في جدة ، لبحث وتسوية جميع أوجه النزاع العراقي الكويتي .

وهذا ما قاله المؤلف في كتابه الأبيض .

أما حقيقة ما حدث فهي كالتالي :

وصل جلالة الملك الحسين إلى الإسكندرية في الساعة السادسة من مساء الخميس 2 أغسطس 1990 للتباحث مع الرئيس حسني مبارك في الموقف . غير أنه لم يطرح أية أفكار أو مقترحات لمواجهة الأزمة ، بل كان الرئيس مبارك هو الذي يبادر بالحديث عما يمكن القيام به لتصحيح الوضع الناجم عن الغزو العراقي للكويت ، وقد اتصل الرئيس الأمريكي بوش بجلالة الملك حسين هاتفيا أثناء وجوده بالإسكندرية وتحدث إليه في غير حضور الرئيس مبارك ، ثم تحادث مع السيد الرئيس حسني مبارك معبرا عن قلقه من الموقف وحرص بلاده على احتوائه وتجنب المضاعفات التي لابد أن يولدها ، وفي نهاية المكالمة أعرب الرئيس بوش عن أمله في أن تتمكن الدول العربية من التوصل إلى مخرج من هذه الأزمة .

وعندما تداول الرئيس مبارك مع الملك حسين في الأمر ، اقترح الرئيس على الملك أن يتوجه إلى بغداد لمقابلة الرئيس صدام وإقناعه بالموافقة على :

أولا : الانسحاب من الكويت دون إبطاء .

ثانيا : عدم التعرض لعودة الحكومة الشرعية .

فإذا وافقت القيادة العراقية على هاتين النقطتين من حيث المبدأ ، فإنه يمكن عقد مؤتمر قمة مصغر « في جدة » لإخراج هذا الاتفاق بأسلوب يحفظ ماء وجه العراق .

الملك حسين يطلب عدم إدانة العراق :

ولم يبد الملك حسين تحمسا لهذا الاقتراح الذي اقترحه عليه الرئيس مبارك ، حيث انصب اهتمامه على تأجيل صدور أي قرار عربي بإدانة العراق .

وقد علّق الرئيس مبارك على هذه الرغبة التي أبداها الملك حسين وألح عليها بأنه إذا تجاوبت القيادة العراقية مع الاقتراح المذكور بشقيه ، فإنه كفيل بوقف جميع التداعيات التي يمكن أن يفرزها الموقف ، أما إذا أصرت بغداد على موقفها ، فلن يكون هناك مفر من اتخاذ موقف حازم من الغزو .

وبين الرئيس حسني مبارك للملك حسين أن الشعب المصري كله مستاء تماما لما حدث ، ويطالب باتخاذ موقف حازم ضد الغزو العراقي ، ولا تستطيع الحكومة المصرية أن تتجاهل هذا الضغط الشعبي .

وعلى هذا فقد ذكر الرئيس مبارك أن مصر سوف تسعى في تأجيل إصدار أي قرار منها أو من مجلس جامعة الدول العربية لإدانة الغزو إلى ما بعد زيارة الملك حسين إلى بغداد والتعرف على موقف القيادة العراقية بدقة .

الرئيس مبارك يتصل بالملك فهد :

وقد قام الرئيس حسني مبارك بالاتصال هاتفيا بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وعرض الفكرة عليه ، فلم يمانع في عقد القمة المصغرة التي اقترحها الرئيس مبارك ، وأن يستضيفهما في جدة إذا ما وافق صدام على النقطتين المشار إليهما ، وأعرب عن أمله في أن يوفق الملك حسين في مهمته ببغداد .

الملك حسين يتردد في الذهاب إلى صدام :

وعندما شعر الرئيس مبارك بتردد الملك حسين في التوجه إلى بغداد وحمل الرسالة المصرية للرئيس صدام ، قام سيادته بالاتصال بالرئيس العراقي هاتفيا ، وأخبره بأنه طلب من جلالة الملك حسين أن ينقل إليه رسالة هامة على وجه السرعة ، وأعرب الرئيس عن أمله في تجاوب القيادة العراقية حفاظا على المصالح العربية العليا ، وعلى المصلحة العراقية في المقام الأول .

ولم تكن هناك « مبادرة أردنية » طرحت على الرئيس مبارك أو الملك فهد ، ولم يسمع أحد بهذا التعبير « المبادرة الأردنية » من قبل أو من بعد اللهم إلا ما ذكره المؤلف في كتابه . كل ما كان هناك هو اقتراح مصري مقدم من الرئيس مبارك ووافق عليه الملك فهد وكلف الملك حسين بحمله إلى بغداد وتردد الملك فتم الاتصال التليفوني بصدام لإخباره بهذا ، وأن الملك حسين في طريقه إليه .

وقد كان هَم الرئيس مبارك هو إقناع الملك حسين المتردد في الذهاب إلى بغداد ، ومحاولة إقناع صدام حسين بالموافقة عليه . وحتى يتهيأ المناخ اللازم لذلك فقد اتصل الرئيس مبارك عدة اتصالات هاتفية من الإسكندرية بعدد من وزراء الخارجية العرب ، وفي مقدمتهم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصري ، وتم الاتفاق بالفعل على الانتظار لما تسفر عنه زيارة الملك حسين لبغداد . وبعد أن تمت موافقة وزراء الخارجية العرب على ذلك سافر وزير الخارجية الأردني إلى القاهرة على طائرة مصرية للمشاركة في اجتماع مجلس الجامعة .

الملك حسين يكذب على الرؤساء والملوك :

يقول مؤلف الكتاب الأبيض صاحب الجلالة الذي قال إنه يكتب مذكراته

وخطاباته وبياناته بنفسه وكان ذلك في مذكراته ، يقول :

وفي صباح اليوم التالي « 3 أغسطس 1990 » توجه جلالة الملك حسين إلى بغداد حيث اجتمع بسيادة الرئيس صدام حسين ، وحصل منه على موافقته على حل الأزمة في الإطار العربي ، واتفق معه على أن يحضر العراق القمة العربية المصغرة في جدة في 5 أغسطس « آب » 1990 والتي ستضم زعماء الأردن ومصر والسعودية واليمن ، كما اتفق على الخطوط العريضة للحل الذي كان جلالة الحسين قد بحثه مع سيادة الرئيس حسني مبارك . وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، والذي بموجبه سيبدأ العراق بالانسحاب المبكر جدا والذي سيقرر مؤتمر جدة تاريخ وتوقيت البدء في تنفيذه . واتفق على أن يبلغ سيادة الرئيس صدام حسين جلالة الملك الحسين بتفاصيل الموقف العراقي قبل أن تصل طائرة جلالته إلى مطار عمان لدى عودتها من بغداد .

تصحيح الحوادث التي رواها الملك حسين :

بعد أن أجرى الرئيس مبارك اتصالات هاتفية بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد وصدام حسين وعدد من وزراء الخارجية للجامعة العربية ، تم الاتفاق على أن يتوجه الملك حسين إلى بغداد في صباح اليوم التالي « الجمعة 3 أغسطس 1990 » وليس صحيحا ما جاء في الكتاب الأردني من أن الملك الحسين بحث الاقتراح الذي طرحه الرئيس مبارك مع خادم الحرمين الشريفين ، بل إنه لم يجر أي اتصال بين ملكي الأردن والسعودية أثناء وجود الملك الحسين في الإسكندرية ، وإنما تم الاتصال بخادم الحرمين الشريفين بواسطة الرئيس مبارك ، فوافق على الاقتراح المصري بشقيه . وعندما ذكر له الرئيس أن الملك حسين يفكر في المرور بالسعودية قبل سفره

إلى بغداد ، أبدى خادم الحرمين أسفه لتعذر تحقيق ذلك لانشغاله بمهام أخرى .

ومن الغريب أن يذكر الكتاب الأردني الأبيض أن جلالة الملك حسين « اتفق مع القيادة العراقية على الخطوط العريضة للحل المقترح » فلو كان هذا قد حدث لتغير الأمر برمته . وكل ما أبلغه الملك حسين للرئيس مبارك هو أن صدام حسين قد وافق على حضور القمة المصغرة في جدة . وعندما سأله الرئيس عن موقف القيادة العراقية من نقطتي الانسحاب وعدم التعرض للحكومة الشرعية الكويتية . كان رد الملك أنه لم يبحث هذه التفاصيل في بغداد .

وهذا يفسر رفض الملك فهد أن يمر عليه الملك حسين في طريقه إلى بغداد . فهو عين لصدام حسين على جميع العرب ، وهو يعمل لحسابه ويعينه على هضم الكويت ، والتحرك نحو بلدان أخرى ، وهل لا يخجل من الكذب على رؤساء الدول وهم شهود حديثه . ولكنه أمر قديم وله دوافعه كما فصلنا ذلك من قبل .

الكذبة الرابعة في الكتاب الأبيض :

ويقول المؤلف :

بينما كان جلالة الملك الحسين يتابع جهوده بشأن المقترحات التي اتفق عليها مع الرئيس حسني مبارك . أصدرت الحكومة المصرية بيانا يدين الغزو العراقي للكويت .

وما إن وصل جلالة الملك إلى عمان حتى اتصل بالرئيس مبارك ، وأبلغه بالاتفاق الذي تم مع الرئيس صدام ، كما عبر عن أسفه على البيان المصري .

حقيقة الأحداث في الرد على الكذبة الرابعة :

يقول التقرير المصري :

حقيقة ما حدث هو أن الرئيس مبارك أرجأ إصدار أي بيان من جمهورية مصر العربية إلى ما بعد التعرف على نتائج مباحثات الملك حسين في بغداد ، وبالفعل لم يصدر بيان وزارة الخارجية المصرية إلا بعد اتصال جلالة الملك حسين من عمان بالرئيس ، وإبلاغه له بأنه لم يبحث مع القيادة العراقية النقطتين الخاصتين بالانسحاب وعودة الحكومة الشرعية للكويت .

ثم إن البيان المصري اقتصر على المطالبة بما يلي :

أولا : انسحاب القوات العراقية من الأراضي الكويتية .

ثانيا : الكف عن محاولة تغيير نظام الحكم في الكويت بالقوة ، وترك الشئون الداخلية للكويت للشعب الكويتي الشقيق ، يقررها بإرادته الحرة وقراره المستقل .

ثالثا : ارتباط البلدين باتباع أسلوب محدد لتسوية الخلافات القائمة بينهما بالطرق الودية والمفاوضات السلمية ويبدو أن الملك حسين رأى أن مطالبة العراق بالانسحاب ، وبعدم التدخل في الشئون الداخلية الكويتية إدانة للعراق .

الكذبة الخامسة في الكتاب الأبيض :

جاء بالكتاب أن الرئيس مبارك - في إطار شرحه للموقف المصري - ذكر أنه يتعرض لضغوطات كبيرة ، وأنه تحدث مع خادم الحرمين الشريفين الذي كان غاضبا من الوضع ، وذكر الرئيس مبارك للملك حسين أنه لم يقبل بالاتفاق الذي تم بين جلالة الملك حسين والرئيس صدام ، وهو يصر على ضرورة الانسحاب العراقي غير المشروط من الكويت والعودة الفورية

للعائلة الكويتية الحاكمة ، وبذلك يكون الرئيس المصري قد اعتمد نفس الموقف الذي تبناه وزراء خارجية الجامعة العربية والذي يدين الاجتياح العراقي للكويت ويطالب بالانسحاب الفوري .

تفنيد الكذبة الخامسة :

كان من الصعب على الحكومة المصرية أن تتراخى في إصدار بيان بشأن الغزو العراقي الطائش ، وكل ما كان يمكن عمله هو تأجيل إصدار البيان ، والعمل على تأجيل البيان العربي لمدة 24 ساعة ، حتى يتاح لنا أن نتحقق من استعداد القيادة العراقية للتعهد بالانسحاب من الكويت وعدم التصدي لعودة الحكومة الشرعية ، وهو ما تم بالفعل ولم يصدر البيانان المصري والعربي إلا بعد عودة الملك حسين من بغداد خالي الوفاض .

ويقول التقرير :

ولم يشر الرئيس مبارك من قريب أو بعيد إلى أي « ضغوطات » تمارس عليه غير ضغط الرأي العام ، كما أنه لم يحدث أن غير الرئيس موقفه عندما أصبح يشترط موافقة العراق على النقطتين المشار إليهما ، فقد كان هذا الشرط واضحا في حديث السيد الرئيس مع الملك حسين ومع جميع المسئولين العرب الذين اتصل بهم سيادته منذ الساعات الأولى لنشوب الأزمة .

العرب هم السبب في المصيبة العراقية :

ويدعي الملك حسين في كتابه الأبيض أن صدور قرار مجلس الجامعة العربية أدى إلى تدهور الموقف ، فقد أحبط جهود الأردن لعقد قمة مصغرة . وأدى إلى تحول الموقف العراقي إلى التصلب .

ومن الثابت أن البيان الذي صدر عن مجلس الجامعة العربية يوم 3 أغسطس متضمنا إدانة العدوان العراقي على الكويت ورفض أية آثار مترتبة عليه لم يتم صدوره إلا بعد أن تم التحقق من أمرين :

الأول : أن جلالة الملك حسين لم يحصل من القيادة العراقية على التعهد الذي كان كفيلا بوقف تداعيات الموقف ، وهو لم يذكر في ذلك الوقت أنه حصل على هذا التعهد .

الثاني : أن ممثل العراق في اجتماع الجامعة قد اتخذ موقفا جامدا يقوم على أن الكويت جزء من العراق . وأن العراق لا يقبل أية مساومة فيما اتخذه من إجراءات في هذا الشأن .

وهذا ادعاء سخيف فيه استهتار بالعقول ، فليس من اللائق أن نخبر بأن سبب تشدد العراق في موقفه قد جاء نتيجة صدور مثل هذا البيان . فشئون الدول ومصائرها من الأمور الخطيرة التي لا ينبغي أن تتوقف على صدور بيان بصورة أو بأخرى .

وهو ضرب من التهافت عجيب يقوم على محاولة إظهار أن صدام حسين هو ضحية لسوء السياسة العربية ، وأنهم هم الذين جعلوه مجرما .

الجامعة العربية هي التي فتحت باب الشر !

ويقول الكتاب الأبيض السيىء الصياغة والمليء بالمغالطات إن صدور قرار مجلس الجامعة العربية في 3 أغسطس « آب » قد مهّد الطريق أمام الجامعة العربية للتخلي عن أية محاولة للإبقاء على الأزمة داخل الإطار العربي ، وفتح الباب أمام المطالب الدولية ، التي أصبحت تصر على انسحاب عراقي غير مشروط وغير قابل للتفاوض .

وهذا كلام يصعب هضمه وفهم مراميه ، وهل المقصود أن الجامعة العربية كانت متلهفة للتخلي عن دورها باحثة عن ذريعة لترك مهامها ومسئولياتها ؟ مع ملاحظة أن قرار مجلس الجامعة العربية قد صدر في ساعة متأخرة من مساء 3 أغسطس ، وهو لم يفتح الباب أمام المطالبة الدولية ، فهي كانت قد بدأت بالفعل . فالثابت أن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قد أصدر قراره رقم 660 الذي أدان العراق ودعا إلى انسحابه فورا ودون شروط من أرض الكويت في يوم 2 أغسطس ، أي قبل صدور قرار مجلس الجامعة العربية بيوم كامل ، في انتظار عودة جلالة الملك الهاشمي من عند صدام حسين الذي ثبت أنه هاشمي أيضا في وقت لاحق .

الضغوط على البلاد العربية !

ويمضي مؤلفنا الكبير فيقول :

إن الجانب الأردني قد فهم من السرعة التي صدر بها قرار وزراء الخارجية العرب « والتغيير الذي طرأ على موقف الرئيس مبارك » أن جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ودولا عربية أخرى وقعت تحت ضغوط كبيرة .

إن السرعة في إصدار القرار لا تفيد الضغط ، وهل هناك حاجة إلى ضغط لإدانة العراق في غزوه للكويت ؟ وموقف الدول ثابت منذ اللحظة الأولى ، وطلب من الملك حسين أن يحصل على موافقة صدام على النقاط التي أثيرت من قبل وهي الانسحاب وعودة الشرعية ، وعلى ضوء هذا يمكن المناقشة والتفاهم على الترتيب للانسحاب المشار إليه ، والقيام بتسوية الخلاف عن طريق التفاوض . أما إن الجانب الأردني يفهم هذا فذلك لأن تاريخ الأردن كله عبارة عن تاريخ ضغوط على الملك والحكومة ، وهم يفسرون الأشياء بتجاربهم . وهذا الكلام يفيد الموافقة على احتلال العراق للكويت من الجانب الأردني الذي يفهم الأشياء كما يصورها له خياله وملكه .

وزراء خارجية الدول الإسلامية يدينون الغزو !

ويشير الكتاب إلى قرار وزراء خارجية الدول الإسلامية الصادر في 5 أغسطس والذي زاد عن قرار الجامعة العربية بمطالبة العراق والكويت بمراعاة مقتضيات حسن الجوار وعدم محاولة تغيير النظام الداخلي في أي منهما بالقوة ، واحترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كلا الدولتين ، وامتناع الدول الأعضاء عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد وحدة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي لأي منهما .

ويقول المؤلف إن هذا القرار كان مقدمة لتدويل الأزمة ، ونسي المؤلف أن الأزمة دولية بطبيعتها والذي جعلها دولية هو صدام حسين . وهذه من الأمور البدهية التي لا تحتاج إلى شرح .

مع ملاحظة أنه قرار وزراء خارجية الدول الإسلامية !!

مخطط تدمير القدرات العراقية العسكرية والصناعية !!

يحكي المؤلف مستغفلا قارئيه عن ظروف عقد القمة العربية في 10 أغسطس والتي تمت بدعوة من الرئيس مبارك ، حيث وجد المجتمعون أنفسهم أمام قرار جاهز ومعد ربما قبل انعقاد المؤتمر ، وأقر مشروع القرار بسرعة . ووصف المؤلف هذا القرار بأنه باطل ، ذلك الذي صدر عن المؤتمر .

وأن الأردن وبعض الدول العربية الأخرى وجدت في هذا القرار محاولة لتوفير الغطاء اللازم للتدخل الأجنبي قبل إتاحة مجال كاف لمخرج عربي للأزمة ، وأن هذا ضمن مخطط يهدف إلى تدمير القدرات العراقية العسكرية والصناعية .

ورغم هذا فقد واصل الأردن محاولاته وجهوده لإيجاد حل عربي للأزمة ، بالاشتراك مع أعضاء الجامعة العربية الآخرين الذين يشاركون في البحث عن « حل سلمي » .

الوقائع التي أحاطت بالقمة العربية بعد الغزو !

ونرجع إلى مذكرة الحكومة المصرية فنجد ما يلي :

1 - بعد منتصف الأسبوع التالي للغزو اتصل عدد من الرؤساء العرب بالرئيس حسني مبارك واقترحوا عليه الدعوة لعقد مؤتمر قمة طارئ لبحث الوضع الخطير الناجم عن العدوان العراقي على دولة الكويت ، الدولة الشقيقة العضو في جامعة الدول العربية ، وتداول الرئيس مع بقية الرؤساء والملوك واستقر الرأي في 8 أغسطس 1990 على توجيه هذه الدعوة لمؤتمر يعقد في القاهرة .

2 - وكانت أول خطوة فعلها الرئيس مبارك هي إرسال رسالة عاجلة إلى صدام حسين يطلب منه حضور المؤتمر ، فإذا تعذر حضوره فليرسل وفدا على أعلى مستوى يكون مفوضا ومؤهلا للوصول إلى حل عربي . وأعرب له في رسالته أن أمله كبير في تقدير القيادة العراقية لخطورة الموقف . ورجاه أن يساعدهم على تدارك المضاعفات الخطيرة التي لابد أن تنجم عن استمرار الاحتلال ، وناشده الموافقة على الانسحاب من الأراضي الكويتية ، وعدم التعرض لعودة الحكومة الشرعية للكويت . وبمجرد موافقته على هذا فلن يتعذر الوصول إلى حل يحفظ ماء الوجه العراقي « هذا إن وجد » .

وعندما وصل الوفد العراقي لمؤتمر القمة برئاسة طه يس رمضان استقبله الرئيس مبارك بكامل هيئته للاستماع إلى رد الرئيس صدام حسين على رسالة الرئيس مبارك .

وثابت من محضر ذلك الاجتماع أن رد صدام حسين تركز على النقاط الآتية :

ا ـ أن العراق يعتبر الخطوات التي قام بها تجاه الكويت نهائية لا رجعة فيها ولا مساومة . وهو لا يقبل إثارة الموضوع أصلا في مؤتمر القمة لأنه يمثل أمرا داخليا عراقيا ، وليس لأية دولة عربية أخرى أن تناقشه فيه .

ب ـ أن أية اقتراحات بخصوص انسحاب العراق من الكويت مرفوضة من حيث المبدأ وكذلك عودة الحكومة الكويتية السابقة .

جـ ـ أن العراق يرحب بطرح أية قضايا عربية أخرى على المؤتمر .

وقد كرر الوفد العراقي هذا الكلام أثناء إلقاء كلمة العراق في المؤتمر .

3 ـ ورغم هذا الموقف السلبي الجامد فقد كرر الرئيس مبارك إعرابه عن أمله في أن تعيد القيادة العراقية تقدير موقفها ، وتنظر إلى الموضوع نظرة متأنية تتفق مع الظروف القائمة ومع الأخطار التي تهدد العراق والأمة العربية كلها نتيجة غزو الكويت .

4 ـ وحرص الرئيس مبارك في كلمته بالتمسك بالحل العربي وتجنب التدويل والتدخل الخارجي . ولم تتخل جامعة الدول العربية في مؤتمر القمة هذا عن دورها كصمام ، ولكن جاء رفض العراق ليشل الجامعة عن العمل ، ويجعل العمل مهمة قوم آخرين .

5 ـ جاء في الكتاب الأبيض أن المجتمعين في مؤتمر القمة وجدوا أنفسهم أمام مشروع قرار جاهز ومعد . والذي حدث أنه لم يقدم مشروع قرار للمؤتمر في مراحله الأولى في الانعقاد . وكان التوجه منصبا على الاستماع للكلمات .

ثم المداولات التي تمت خارج القاعة وداخلها . ثم بدأت بعض الدول الخليجية في بلورة مشروع للعرض على المؤتمر ، وطرح المشروع المذكور على الوفود وأخذ الرأي بشأنه ، وتم بالفعل إجراء بعض التعديلات عليه . وقد تم هذا في حضور الملوك والرؤساء جميعا .

ولكن أثناء مناقشة مشروع القرار المشار إليه في المؤتمر اتجه تفكير بعض الحاضرين ، ومنهم السيد ياسر عرفات إلى إيفاد وفد يضم خمسة من الملوك والرؤساء إلى بغداد ومحاولة إقناع صدام حسين بالانسحاب من الكويت .

وكان اسم الملك حسين ضمن هذه الأسماء التي اقترحها ياسر عرفات لتكون ضمن أعضاء الوفد .

وكان الملك حسين يجلس بجوار الرئيس مبارك الذي انحنى عليه وسأله فأبدى رغبته في عدم المشاركة في وفد مثل هذا . وعاود الرئيس مبارك طرح التساؤل على الملك من خلال أحد أعضاء الوفد المصري ولكن الملك عاود الاعتذار بشدة عن المشاركة في مثل هذا الوفد .

وعلى خلاف ما أورده كتاب الملك حسين الأبيض من أن إصدار القرار من مؤتمر القمة قد تم « بسرعة » فإن من الحقائق الثابتة أنه عندما كرر ياسر عرفات حديثه عن وجوب إتاحة الفرصة لإجراء اتصال أخير بالقيادة العراقية قبل اتخاذ قرار حول الموقف ، نظر الملك حسين إلى الرئيس مبارك الذي كان يرأس الجلسة ، وقال له في حديث جانبي سمعه عدد من أعضاء الوفود : « أرى أن تقوموا بطرح مشروع القرار للتصويت ، ولاداعي للاسترسال في هذا اللغو » .

وكرر الحسين الهاشمي للرئيس مبارك هذا الطلب مرة أخرى .

والمادة السادسة من الميثاق « التي أشار إليها الكتاب الأردني » تتطلب

الإجماع في حالة واحدة وهي تلك التي يقرر فيها المجلس اتخاذ « تدابير » معينة لدفع الاعتداء الذي تعرضت له إحدى الدول الأعضاء ، وواضح من القرار أنه لم ينص على اتخاذ مثل هذه التدابير .

ولكن الكتاب الأبيض يتغافل المادة السابعة من الميثاق التي نصت على أن ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله .

وكذلك فإن المادة السادسة من النظام الداخلي للجامعة تنص في فقرتها الأولى على أن « يكون انعقاد المجلس صحيحا إذا حضره مندوبو أغلبية الدول الأعضاء ، ويتخذ قراراته بموافقة أغلبية الدول الأعضاء ، ما لم يرد نص على خلاف ذلك في الميثاق وهذا النظام » إلا في حالة نص عليها على سبيل الحصر وهي اتخاذ تدابير ضد إحدى الدول الأعضاء .

وتورد المذكرة المصرية أن المملكة الهاشمية الأردنية لم تشر إلى هذه النقطة من قريب أو بعيد عندما أصدر مؤتمر القمة المنعقد في بغداد يوم 5 نوفمبر عام 1978 قرارات تقضي بتعليق عضوية مصر فى الجامعة ونقل مقرها من القاهرة ولم يصدر هذا القرار بالإجماع كما هو ثابت في محاضر الجلسات ، رغم أنه يتضمن تدابير تجاوزت كثيرا ما هو منصوص عليه في الميثاق . ولم نسمع مسئولا أردنيا يقول إن هذا القرار قد صدر باطلا . ولكنها التزمت به .

الملك ألف الكتاب في وقت متأخر :

ومادام الملك حسين كان مقتنعا بما جاء في كتابه الذي ألفه من أن مشروع القرار الذي قدم للمؤتمر كان مجرد « محاولة لتوفير الغطاء للتدخل

الأجنبي ، قبل إتاحة مجال كاف لمخرج عربي للأزمة ، ضمن مخطط يهدف إلى تدمير القدرات العراقية العسكرية والصناعية » . لكان من المنطقي ومن الشجاعة والأمانة أن يعترض الملك حسين على إصدار مثل هذا القرار المذكور أثناء المداولات التي جرت بشأنه ، وأن يخطر القادة العرب المجتمعين بما يزعم بعد ذلك أنه قد حدث .

وما كان من السهل على الملك حسين أن يقف ويقول بأعلى صوته :

- إن العراق يوافق على الانسحاب من الكويت بشرط ألا يتعرض الغزو للشجب والإدانة .

في هذه الحالة كان العرب سيدفعون له مصاريف الغزو والبقشيش للعسكر !!

الملك حسين والتدخل الأجنبي :

ورغم هذا كله فإن الكتاب يأتي بوثيقة تنفي كلام الملك في الكتاب ، والهراء الذي ذكر من أن المسألة كانت قاب قوسين أو أدنى من الحل ولكن بعض القوى العربية قد أهدرت هذه الفرصة وفتحت الباب أمام التدخلات الأجنبية ، والثابت من الكتاب نفسه أن الملك حسين وجه رسالة إلى الشعب الأمريكي قال فيها إن الأردن يعترف بحق المملكة العربية السعودية في طلب العون من الدول الصديقة ، وكذلك بحق الإدارة الأمريكية في الاستجابة لذلك الطلب « الوثيقة 8 المنشورة بالكتاب الأبيض » .

وواضح أن هذا الكتاب هو اعتذار عن صدام حسين وتأصيل لما فعل ، وتبرير لموقف الخونة العرب الذين وقفوا معه ، وهو محاولة أردنية ساذجة للاقتراب من الأحداث مرة أخرى ، وإظهار صدام حسين بمظهر الشهيد

الذي تخلى عنه قومه وهو الذي كان يريد بهم خيرا ، ويضعهم جميعا في سجنه الكبير . وهذا الكتاب ينبغي أن ينظر إليه نظرة جدية ، فهو ليس مجرد هراء ، وإن كان كذلك ، ولكنه ينبئ عن خبيئة أناس يحكمون بعض بلاد العرب وهم لجميع العرب كارهون ، ولا ينبغي أن ننسى إساءتهم ، ولا يجوز أن نتغاضى عما فعلوا ، فإنهم سيعودون إلى جرمهم إن سنحت الفرصة لذلك .

أما مقولة عفا الله عما سلف فهي لا تقال لأحد من الهاشميين . سواء كان الملك حسين أو صدام حسين ... فإن الله سبحانه وتعالى قد قضى ألا يعفو عما سلف إن تعلق هذا بحقوق الآخرين الممثلة في الشهداء الذين سقطوا والأعراض التي انتهكت والأموال التي نهبت .

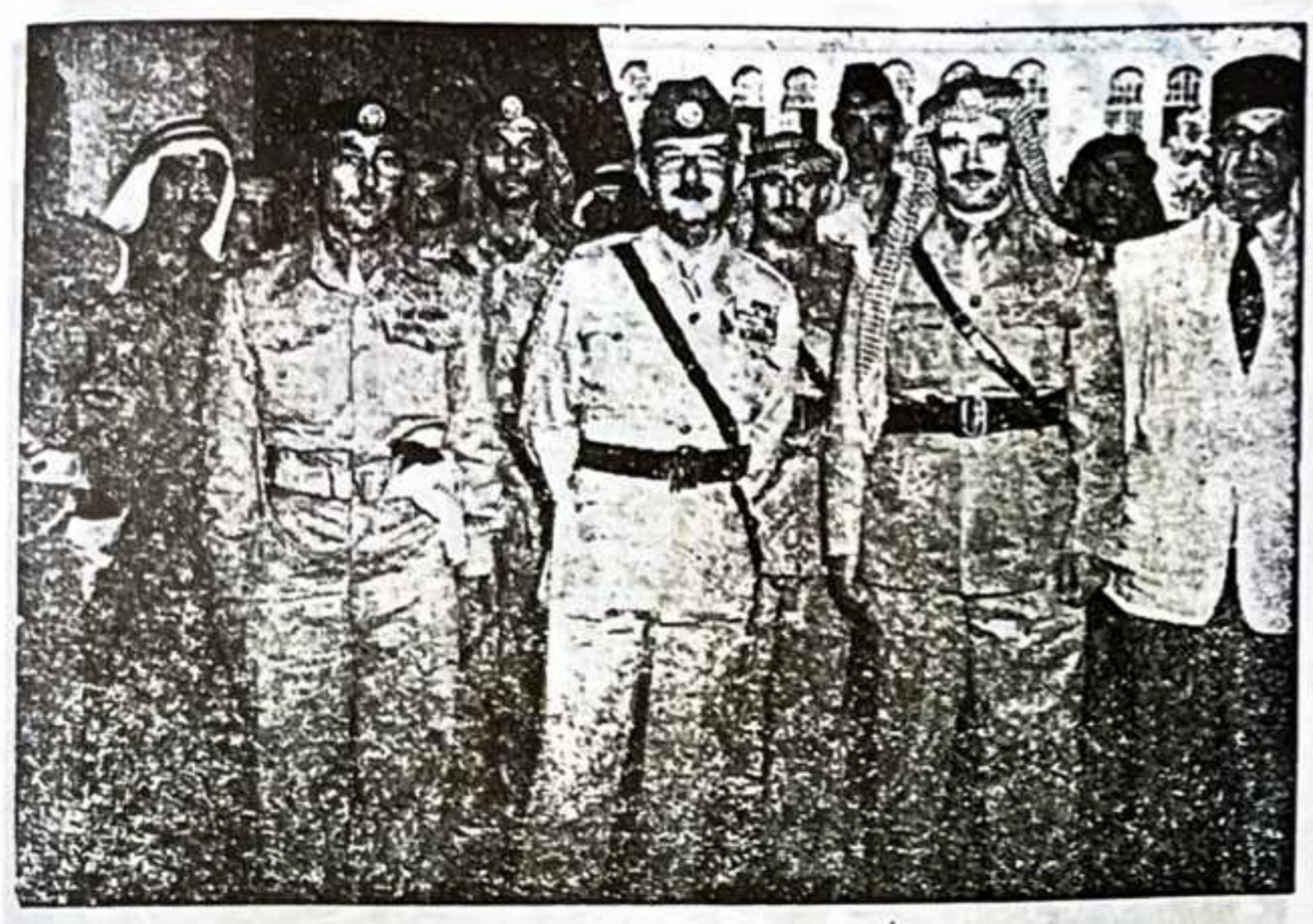
﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾

أحمد رائف

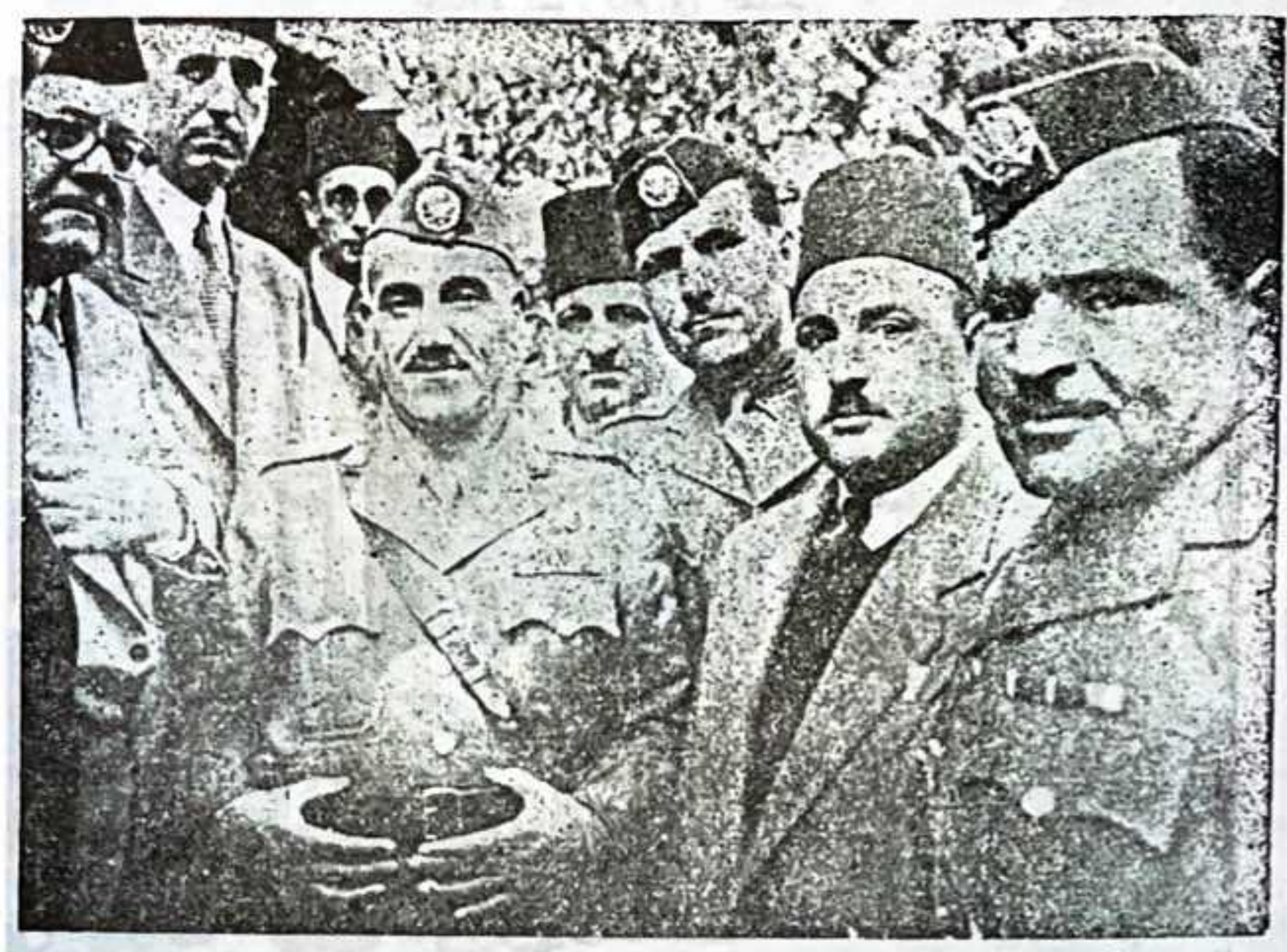
ملحق



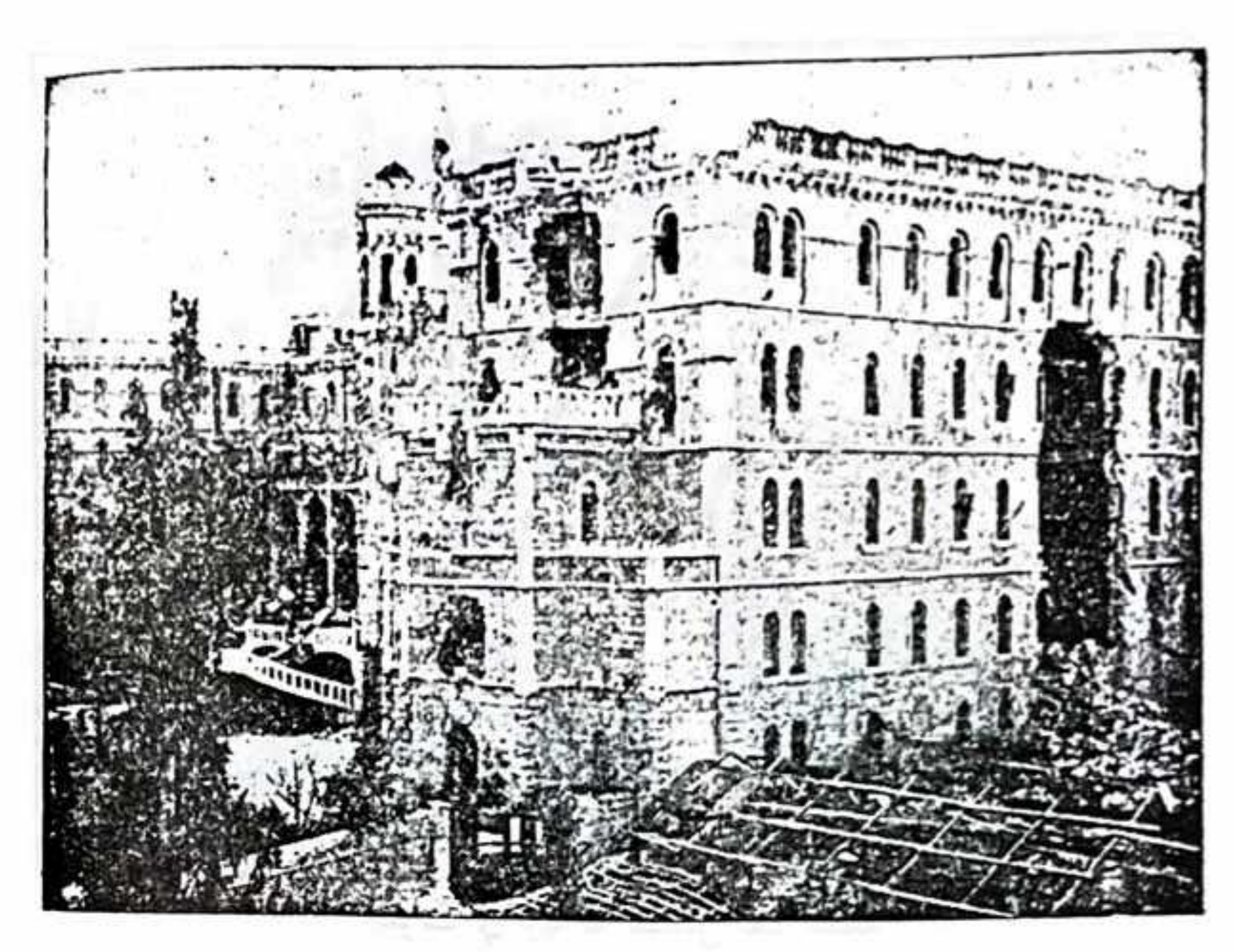




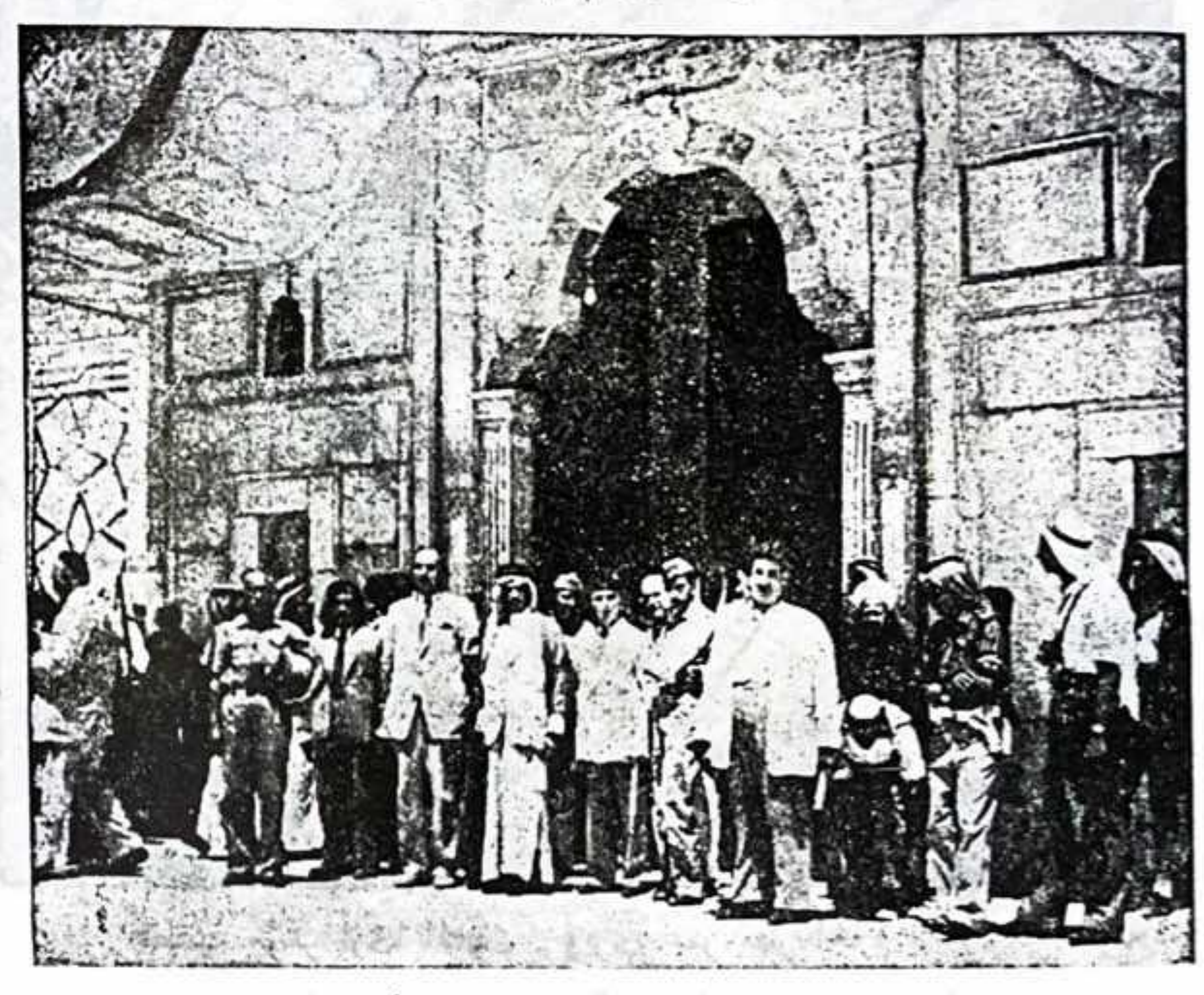
جلوب في زيارته للقدس بعد الهدنة



من أقطاب مؤتمر أريحا المزيف . ويرى عمر مطر الحاكم العام ومن حوله عجاج نويهض ومحمد السحيمات وعثمان محمدية

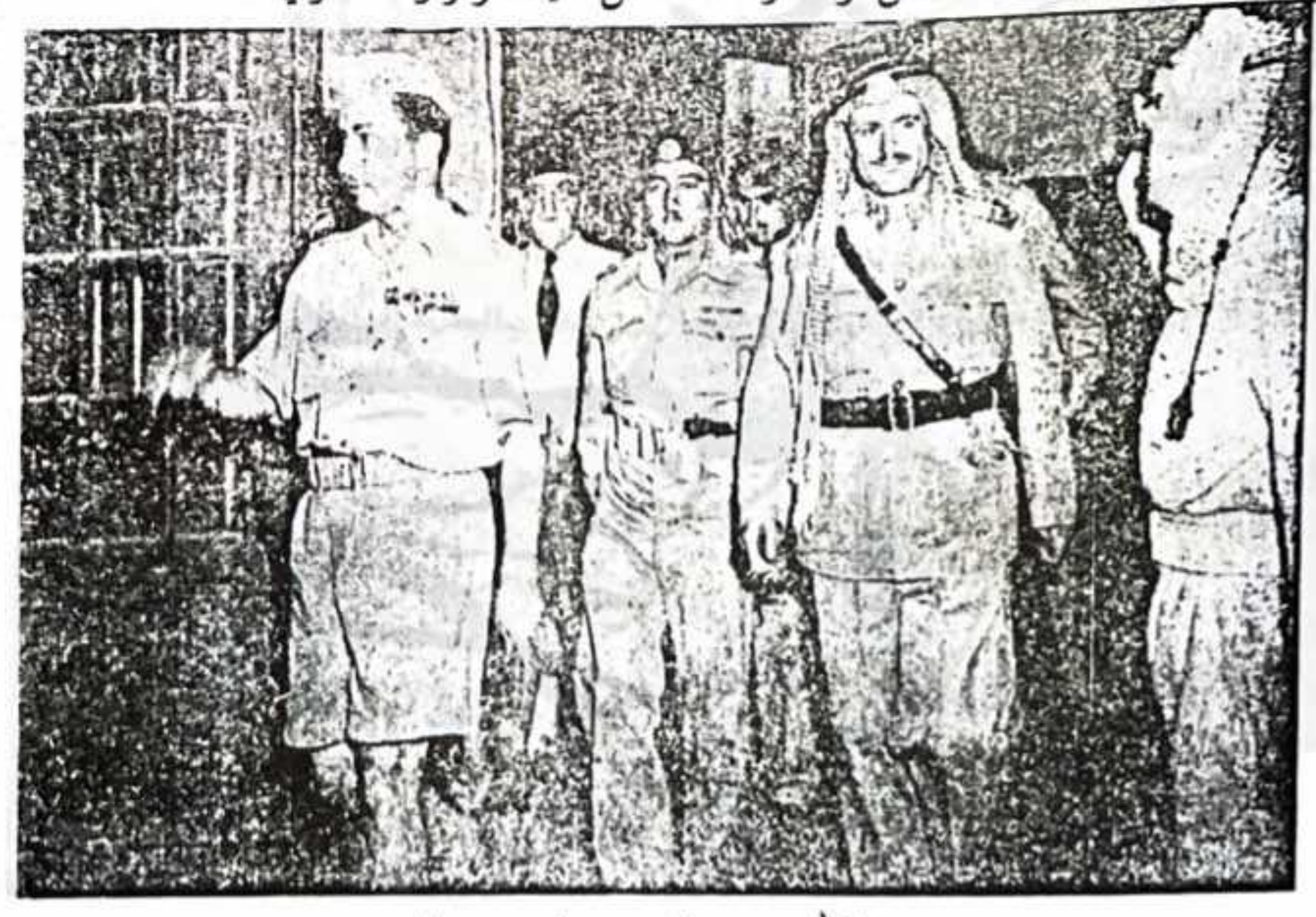


عمارة النوتردام في القدس



الوفد البرلماني العراقي على عتبة المسجد الأقصى المبارك

الملك عبد الله في إحدى زياراته لمنطقة القدس ومن خلفه
عبد الله التل والملازمان فناطل ثنيان ونزار عجلوني



عبد الإله يزور القدس ليخدع الشعب



البكباشي أحمد عبد العزيز ومساعده اليوزباشي كمال الدين حسين والملازم الأول حمدي واصف أثناء زيارتهم في القدس

45

المملكة الأردنية الهاشمية

قيادة الجيش العربي

عمان

سري وشخصي

الرقم س/م ج/٤٠/....

التاريخ ١٩٤٨/٦/٢٨ الموضوع ......

القائد عبد الله بك التل

جاءنا مفتش الجهاد المقدس منير ابو فاضل وطلب الافراج عن اسلحة الجهاد المقدس التي صادرناها في عمان فلم اعده بشيء والحقيقه انني متخوف من نشاط الجهاد المقدس في منطقة الخليل مما جعل الناس يعادون سيدنا ويميلون الى الجهة المصريه . ولذلك اقترحنا على جلالة سيدنا النقاط التاليه ووافق عليها فنرجوكم اتباعها والعمل على تنفيذها بما امكن من السرعه . ولا بأس في ان تقوموا بزيارات متعدده الى تلك المنطقه .

١ـ مصادرة اسلحة الجهاد المقدس في القدس ومنطقة الخليل والتعاون مع وكيل القائد لوكيت لتحقيق هذه الغايه .

٢ـ تنوير اذهان الناس الى حاجتهم للجيش العربي وعطف سيدنا فيتحولون تدريجيا عن علاقتهم بالقوات المصريه .

٣ـ ترويج الاخبار بين الناس عن قرب رحيل القوات المصرية الى بلادها وعن مستقبل المنطقه المرتبط مع مستقبل بلادنا .

الفريق

[signature]

رئيس اركان حرب الجيش العربي

20

مكتوم جـدا

قيادة الجيش العربي

عمان

الرقم م ع/٢٠/١٢/

التاريخ ٢٥/٨/١٩٤٨ الموضوع

قائد الكتيبة السادسه

بلغنا ان الجنود وبعض الضباط يتذمرون ويصغون الى شعور الناس ومشاغبتهم على الجهات العليا بحجة ان الجيش العربي مقصر بواجباته . والحقيقه ان الاصول العسكريه والضبط والربط تحرم على الضباط والجنود ان يتدخلوا في المسائل السياسيه والاختلاط بالمدنيين المشاغبين الذين يتطاولون على الشخصيات العاليه في الحكومه .

فارجو ان تنبهوا على من هم تحت امركم حتى لايشتركوا مع الاهلين في مثل هذه الامور الضاره بالمصلحة العامه .

وبهذه المناسبة نحن عينا السيد توفيق طوقان مفتشا على اللاجئين فارجوكم ان تسهلوا مهمته وتسمحوا له بالتجول على اللاجئين لدراسة شكاويهم وطلباتهم وسوف يقدم لنا التقارير اللازمه عنهم لتحسين احوالهم من جميع النواحي .

الفريق

رئيس اركان حرب الجيش العربي

عمر بهاء الأميري

15

أخي العزيز عبد الله [illegible] حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فقد [illegible] وطفت [illegible]

[illegible] صباح هذا اليوم ٢١/٥/١٩٤٨ بعد صلاة الفجر [illegible]

[illegible] القلب الأقصى [illegible] وقد [illegible]

١ - [illegible] الأعداء [illegible] القدس [illegible] الجيش العربي [illegible]

٢ - [illegible] الأعداء [illegible]

٣ - [illegible] الأعداء [illegible]

٤ - [illegible] القدس [illegible] الأعداء [illegible]

وتقطعت [illegible] بالمحافظة على الوضع الراهن [illegible]

١ - [illegible] الرغبة بالمحافظة على الوضع الراهن [illegible]

الإنكليز [illegible]

٢ - [illegible] القدس [illegible] اليهود [illegible]

[illegible] العزيز [illegible] المنورة [illegible]

٣ - [illegible] المرافقة [illegible]

القدس مدينة مفتوحة [illegible] المسجد الأقصى والأماكن المقدسة للتخريب والتدمير

٤ - [illegible]

[illegible] والنكبة [illegible]

[illegible]

[illegible] الإنكليز [illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible]

[illegible]

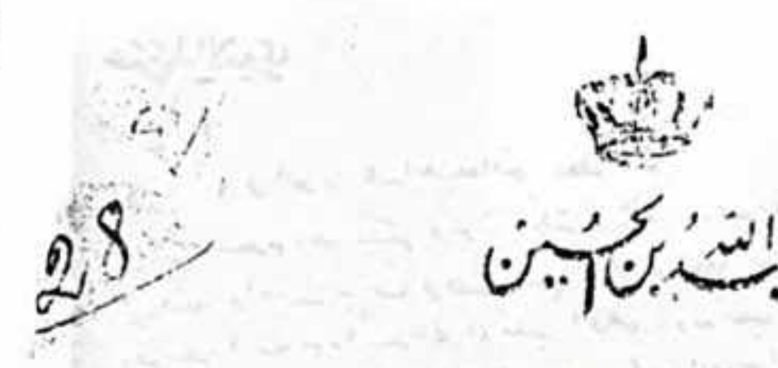
[illegible]

[illegible] اليوم [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٩٤٨

٢١ / ٥ / ١٩٤٨



عمان في ٣ ربيع الأول ١٣٦٨
الموافق ١ كانون الثاني ١٩٤٩

ماجد القدر العسكري السيد عبد الله التل

أمركم المتلقاة من الجانب الإسرائيلي في الأمور المرغوب التفاهم عليها تمهيدًا إلى تسوية قد تحصل فيما بعد عند التعاون الرسمي . وان تفويضكم بهذا هو تفويض شخصي ، وسيكون هذا التفويض الرسمي مع رفاق آخرين وبالتعليمات الحكومية المعتادة في مثل هذه المسائل .

وبما ان الغرض هو التذليل وإيجاد سبل السلام الحقيقي فلا يجب حسبان [illegible] أي أمر يجب ان يتم عليه ، ونزول [illegible] والجانب الآخر [illegible] بالنيات الحسنة للعمل الأساسي المرغوب فيه

٨٢٥

الديوان الهاشمي
رئاسة

الرقم
التاريخ ١١ جمادى الاولى ١٣٦٨
الموافق ١٠ ~~شباط~~ آذار ١٩٤٩

عبد الله بك التل

يجب ابلاغ شفوية بالمركز الذي يخابركم وتخابرونه من الجانب الاسرائيلي مع تحية منا الى المستر شرتوك: ان اسفنا جداً لما قد حدث وما يمكن ان يحدث بجوار النقب ووادي عربة ونواحي العقبة. كنا بقيننا يرجى لنا الى مدة على رد الشيء لتلقي حسن النية بتبليغ؟ وان تكرر هذه الحوادث يجعل مساعي الراغبين في التسوية بحفظ الحقوق الصريحة صعبة وعندئذ لا تحمد النتائج. وآمل ان يصل الجواب المرضي بالابتعاد عن اي تماس مما يجر الى اقتتال ولو كان فرعياً بدون جدوى. الجبهة الوسطى تكون في حوزتنا ان شاء الله في هذه الايام من غربنا الى حدود جسر المجامع.

انتهت الرسالة.

املاها جلالة سيدنا الملك المعظم علي بتلفوني لكم

عبد الله التل

25   ١

مولاي المعظم :

اجلالاً واحتراماً وبعد أرجو أن تكونوا جلالتكم بغاية الصحة أدام المولى عزكم ومجدكم.

سيدي !

لقد حضرت اليوم الى القدس عائداً من باريس لمدة قصيرة جداً، ولو تمكنت بجلالتكم -

إذا تفضلتم وأذنتم بذلك - والتداول معكم حول الأمور المعقدة، والوصول الى ما نتمناه جميعاً

من احلال السلام في ربوع هذه البلاد العزيزة على جلالتكم وعلينا. فأرجو جلالتكم والحالة

هذه أن تتكرموا وترسلوا الى القدس لمقابلتي والبحث معي احد الاشخاص الذين

تثقون بهم، وأرجو ان يكون هذا الشخص مصحوباً بالصديق الدكتور شوكت

باشا، وأن يكون لديه من المعلومات الكافية المستوفاة.

هذا وأرجو أن يأتي هذا الشخص في أسرع ما يمكن، وإن أمكن غداً السبت،

حيث أوقاتي قصيرة جداً ومضطر أن أعود الى باريس في أسرع ما يمكن. هذا

وكلي أمل أن تساعدني الظروف على التشرف بمقابلة جلالتكم في احدى الفرص

السعيدة إن شاء الله.

وأرجو ان يكون الشخص الذي سيأتي لمقابلتي حاملاً الكثير من ملاحظات

جلالتكم بشأن كافة الأمور لنستفيد منها في حديثنا. وأطال المولى

بقاء جلالتكم وأيده.

المخلص

الياس ساسون

القدس، الجمعة [illegible]

ملاحظة: لقد قابلت في ترددي الى باريس صديقنا الصديق الوفي عبد المجيد حيدر، وكلمني مطولاً في عدة أمور.

الديوان الهاشمي
رئاسة

الرقم
التاريخ ١١ جمادى الاولى ١٣٦٨ سجل
الموافق ١٠ مارت ١٩٤٩

رسالة شفوية للمركز الذي تخابركم وتخابرونه من روديس الاسرائيلي مع تحية منا الى المستر شرتوك :

((آسفنا جداً لما قد حدث وما يمكن ان يحدث بجوار النقب ووادي عربة ونواحي العقبة . نحن بعثنا رجالنا الى رودس على روح تميل لتلقي حسن النية بشكلها وان تكرر هذه الحوادث يجعل مساعي الراغبين في التسوية بحفظ الحقوق الصريحة صعبة وعندئذ لا تحمد النتائج . وآمل ان يصل الجواب المرضي بالابتعاد عن اي تماس يجر الى اقتتال ولو كان فرعياً بدون جدوى . الجبهة الوسطى ستكون في حوزتنا ان شاء الله في هذه الايام من غربيها الى حدود جسر المجامع .))

انتهت الرسالة

املاها جلالة سيدنا الملك
المعظم علي لابلاغها لكم

[توقيع]

صورة بالزنكوغراف للوثيقة الثالثة وهي الرسالة الشفوية
التي يعلوها توقيع الملك مع تحية منه الى المستر شرتوك





عمان في ٢ ربيع الأول ١٣٦٨

الموافق ٥ كانون الثاني ١٩٤٩

قائد القدس العسكري السيد عبد الله التل

«فوضتكم للتذاكر مع الجانب الاسرائيلي في الأسس المرغوب التفاهم عليها تذليلا لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمي . وان تفويضكم هذا هو تفويض شخصي ، وسيتلو هذا التفويض الرسمي مع رفاق آخرين وبالشكليات الحكومية المعتادة في مثل هذه المسائل .

وبما أن الغرض من التذليل هو ايجاد سبل السلام الحقيقي فلا يجب ترك اي امر يمكن ان يتفق عليه . ونؤمل انكم والجانب الآخر تتحسسون وجود النيات الحسنة للعمل الأساسي المرغوب فيه .»

صورة بالزنكوغراف للوثيقة الثانية وهي خطاب الملك عبدالله بتوكيل الكولونيل التل ليبدأ المفاوضات باسم الملك شخصيا

(مكتوم)

قيادة الفرقة الامامية
الرقم ج ١/ ١/ ١٣٨٧
التاريخ ١٩/ ٦/ ١٩٤٨

قائد الكتيبة السادسة

بنتيجة اجتماع اليوم صباحا مع ممثلي هيئة الهدنة طلب مني ما يلي ،ارجو بيان ملاحوظاتكم حول الشروط المبينة تاليا مع العلم انني وافقت على السماح للحاخامين اليهود بالدخول الى الكنيس القديم .

الشروط :

١- يطلب ان تخصص زيارة يومية الى لا اكثر من خمسين شخصا ليزوروا المبكى ولايبقوا عند المبكى اكثر من ساعة واحدة على ان يحدد وقت هذه الزيارة من قبل لجنة الهدنة
٢- يجب ان يكون مع كل دفعة مراقب من لجنة الهدنة .
٣- تدخل كل دفعة الى المدينة القديمة من باب النبي داود ثم يذهبوا الى المبكى بطريق يرتب فيما بينكم وبين لجنة الهدنة .
٤- يسمح ببقاء الزوار عند حائط المبكى لمدة ساعتين مساء كل يوم جمعة (ليلة السبت)
٥- يمنع جميع الزوار من حمل اسلحة من اي نوع كان .

مع العلم بانه يوجد من شروط الهدنة التي وافقت عليها الجامعة العربية ان يسمح بزيارة الاماكن المقدسة لمقاصد دينية

الزعيم
[توقيع]
قائد الفرقة الاولى



عمان في

الموافق

Amman,
May 22nd, 1949

Dear Lord Samuel,

I received your letter expressing your noble feeling which was written in Herzlia on May 3rd.

As to the visit which I was expecting, it was left to your desire to fix the time and I wish in this letter to inform you that the invitation is still standing if you wished and your time allows it .

Mentioning the old days, I wish to state that if our people obeyed us it would have been more to their good but circumstances wished what was accomplished .

I like to depend on you in that your desire for the general welfare and your advices towards it will be more and firm from now onwards .

I am decided on my part to get the benefits of the peace if God wishes .

My regards to you and to Lady Samuel.

Sincerely

عزيزي المستر شرتوك

تلقيت رسالتكم الشفوية فأعجبني صوغها وكمال احتشامها وما فيهما من احترامات وتأمينات . على انني اؤيد هنا انني لم اراسلكم شفويا الا لاعتمادي عليكم وعلى اسس سبقت . والآن والوفدان في رودس فمن الحكمة واصالة الرأي عدم اي حركة من الجهتين واي استفزاز . وما يختلف فيه سواء كان في الجنوب او بوادي عربة فكل ذلك سيتناوله البحث عند التسوية وفي كل شيء ما دامت النية حسنة امكان التعديل والتصحيح قائم ولقد شاع هنا انكم صرحتم بأن فئة عسكرية اسرائيلية وصلت الى ساحل خليج العقبة بأراض كانت تحسب من فلسطين وهذا صحيح . ثم قيل ان في هذا التصريح قلتم سعادتكم ان اي قسم [ينسحب] منه الجيش العراقي ستحتله القوات الاسرائيلية من اجل تأمين الأمن فهل هذا صحيح . وانه على ما قيل ان دولة اسرائيل [illegible] الامر [illegible]

[illegible] كذا وفي ما جاء في جرائد الشهور السابقة

٢/١٦

صورة بالزنكوغراف للوثيقة الخامسة وهي رد الملك على رسالة شرتوك وقد اضاف اليها جلالة الملك عبارة : عزيزي شرتوك وذيلها بفقرة بخط يده

26

البلاط الهاشمي

رئاسة التشريفات الملكية

الرقم

التاريخ

الموافق

يا عبد الله

[illegible] الاحتده والذخائر المدخرة في

سنين ابو فاضل [illegible] الشو عشرة [illegible] الحسينية

حول [illegible] لم [illegible] البلد [illegible] والجبهة الجنوبية الزم [illegible]

ومنه [illegible] الى [illegible] الورود العدد الوفد [illegible] مسؤولية الجسيمة الاوروبي [illegible]

او [illegible] مسؤوليتهم [illegible] لم [illegible] جاهد [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] ليالرضا [illegible]

وسمع الله [illegible] الاعتقاد [illegible] لم يراعوا حقنا ابدا

[illegible] بقاء [illegible] المصرية

[illegible] وانت تعرف [illegible] ومثل ما قال الشاعر

[illegible] وما [illegible] المسدد

[illegible] بالذلة [illegible]

[illegible] الرغبة الملكية [illegible]

[illegible] البلد [illegible] المرحوم علينا [illegible] الجهاد

[illegible] ومن [illegible]

الفرصة [illegible] يبع

والسلام [illegible] عليه

ناصر [illegible]

٤٨/١٢/٢٧

35

عزيزي المستر [illegible]

تلقيت رسالتكم الشفوية فأعجبني صوغها وكمال احتشامها وما فيهـا من احترامات وتأمينات . على انني افيد هنا انني لم ارسلكم شفويا الا لأعتمادي عليكم وعلى اسس سبقت . والآن والوفدان في رودس فمن الحكمة واصالة الرأي عدم اي حركة من الجهتين واي استفزاز . وما بحثتم عنه سواء كان في الجنوب او بوادي عربة فكل ذلك سيتناوله البحث عند التسوية وفي كل شيء ما دامت النية حسنة امكان التعديل والتصحيح [illegible] ولقد شاع هنا انكم صرحتم بأن فئة عسكرية اسرائيلية وصلت الى ساحل خليج العقبة بأراض كانت تحسب من فلسطين وهذا صحيح . ثم قيل ان في هذا التصريح قلتم سعادتكم ان اي قسم [illegible] يسحب منه الجيش العراقي سيحتله القوات الأسرائيلية من اجل تأمين الأمن فهل هذا صحيح . [illegible]

[illegible]

[illegible]

عزيزي عبد الله بن الحسين

[illegible]

٩٤٨

٢١/٥

عزيزي المستر [illegible]

لم يكن يخفى امر عن ما عزى اليكم من التصريح عن الجبهة العراقية في حالة انسحابها الا لامور جوهرية هي :

عند حضور مندوبي الشرق والثاني دايان الى الغور لمقابلتنا محتجا عن عدم الاطمئنان بصدد لم تكن العراق - قابلة لمغادرة ان الجيش العراقي ينسحب منها • فالرغبة في التسوية العامة [illegible] عزمنا تسلم الجبهة العراقية • فهذا التصريح وما وقع في الجبهة من حركات يدعو الى التردد في النتائج • ولذلك احب ان تتصوروا وفدكم بان يتفق مع وفدنا على ضمان اتفاقية عدم اطلاق النار في الحدود التي يتخذها الجيش العراقي حال تسلمها من قبل القوات الاردنية •

مع تحياتي لكم وللمستر [illegible] •

الشونة في ١٥/٣/١٩٤٩

MESSAGE FORM.

13/

مستعجل

ABOVE THIS LINE FOR SIGNALS USE ONLY

FROM: قائد اللواء الرابع المشاة رام الله

TO: الى القائد ادريس بك الرملة

٧/٨١

سنرسل اليكم الآن قوة من المشاة مع اعتدة للمقاومة رجاء تشجيعكم لبقية الاسلحة المساندة ارجو تطمين رؤساء البلدة في الرملة والله وذلك لضرورة عسكرية —

This message may be sent AS WRITTEN. This message must be sent IN CIPHER. Originator's instructions and degree of priority

THI or TOR WCC

نسخة لسعادة القائد للتبليغ

[illegible]

رد على استغاثة قائد الرملة

الوثيقة الاولى

عزيزى المستر شرتوك ... هكذا استهل الملك الهاشمي خطابه الى وزير خارجية اسرائيل ... ومضى الملك فى خطابه .. وفى نهاية الخطاب وقع صاحب الجلالة الهاشمية بامضائه الكريم !!

عزيزى المستر شرتوك

لم يكن بحثى امس عن ما عزى اليكم من التصريح عن الجبهة العراقية فى حالة انسحابها الا لامور جوهرية هى :

عند حضور ساسون افندى والقائد دايان الى الغور لمقابلتنا بحثنا عن عدم الاطمئنان بمدنية لم تكن العراق قابلة لها او ان الجيش العراقي ينسحب منها . فللرغبة فى التسوية الطويلة عزمنا تسلم الجبهة العراقية . فهذا التصريح وما وقع فى الجنوب من حركات يدعو الى التردد فى النتائج . ولذلك احب ان تحذروا وتبلغكم بان يتفق مع وفدنا على بيان اتفاقية عدم اطلاق النار فى الحدود التى شغلها الجيش العراقي حال تسلمها من قبل القوات الاردنية .

مع تحياتى لكم وللمستر بن غوريون .

الشونه فى ١٥/٣/١٩٤٩

رسالة الملك عبد الله إلى موسى شرتوك وزير الخارجية الإسرائيلى

عبدالله ...

للتأخير آفات ، وانا لا نحب ارجاء المسائل المحتم حلها ، بل الافضل انجازها والخلاص منها .

الذي فهمته البارحة من خلاصة ما دار بين الباشا والمستر شرتوك انهم يحبون حسم ثلاث امور :

١ـ هاداسا ، ٢ـ الجامعة العبرية ، ٣ـ اللطرون ، وكذلك المشروعين البوتاس والكهرباء . تحت ايضاح انهم يمرون الى هاداسا والجامعة تحت مسئولية الحكومة العربية ، وان يمر العرب الى بيت لحم من القدس القديمة تحت مسئوليتهم ايضا .

اما مسألة المشروعين ومسألة اللطرون ، فمسألة اللطرون اذا تركت لهم مقابل الاحياء العربية في القدس ويكونا في المشروعين كما كانا من قبل ولهم ايضا تكليف في مشاريع الري في نهر الاردن ، هذه فكرة وليست طلب . فاللطرون وسيلة مساومة والمشروعين كذلك اما مرورهم الى المستشفى والى الجامعة فانا لا ارى ان المعاكسة فيها تجدي .

هذه نقاط نظري الشخصية . والحكومة الجديدة بعد ان تدرس القضية لا بد انها تبين لكم رأيها . ولا اعتقد ان احدا سواي سيتحمل مسئولية البت لا انتم ولا الحكومة ، واني اعتقد بنفسي انني اذود عن جريح كلي امل في شفائه انشاء الله .

عمان في ٥/ ٥/ ١٩٤٩

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل التاسع

الفصل العاشر

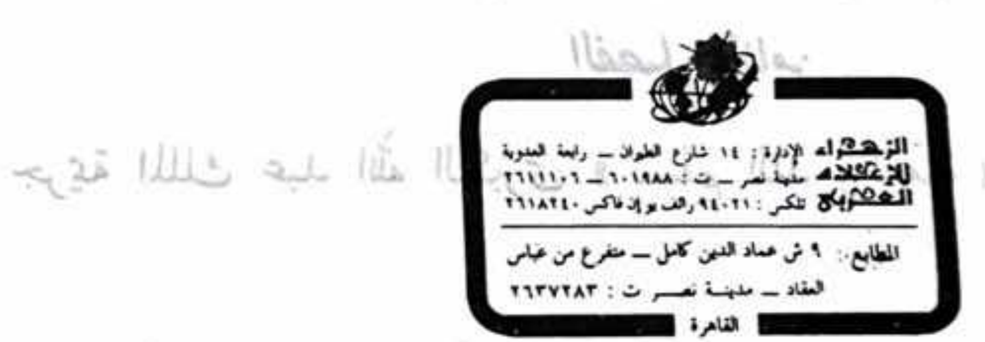
الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

رقم الإيداع : ٢٠٠١ / ٩٢

الترقيم الدولي : ١ ـ ٠٨٣ ـ ٢٥٧ ـ ٩٧٧



الخيانة العربية الكبرى

كتاب الهاشميين الأسود
من الشريف إلى الملك !

رأى الملك حسين وهو طفل جده عـ[illegible] كان يبيع كل شبر من فلسطين لليهود ، وجلس صبيا في اجتماعات [illegible] اليهود في القدس وفي الشونة وفي أماكن مختلفة .

وصنعت عائلته المقدسة دولة إسرائيل ، [illegible] الإسلام وكرسوا العالمانية ، وأجهضوا كل أمل في الإصلاح [illegible] لنا كوما من المشكلات والمصائب يصعب حلها .

هذا الكتاب هو تفصيل لكتاب الهاشميين الأسود ، وما أحدثوه من مصائب وويلات على العرب والمسلمين ولا يزالون .

والتاريخ ليس أبكم ؛ فهو يتكلم مهما حاول من حاول أن يخرسه ، وهو يظهر مهما أحرقوا الكتب ومنعوا تداولها . وهناك من يقول الحقيقة ، ويرفض أن يقبض ثمنا للزيف والكذب ، وسوف نجد مثل هذا الشخص طول الوقت ، فالباطل لا يسود ، وعلى الأخص عند كتابة التاريخ .

فلنتعود أن نصارح أنفسنا وأن نكشف ستر الجبارين والطغاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

الناشر

الزهراء للإعلام العربي